



انجمن افکار اسلامیہ پاکستان

کتاب خانہ اسلامیہ

پشاور

تقریباً ۱۹۵۰ء

پرنٹنگ اور پبلسٹیونگ



۳۷۴
۱۷۰۷
۱۷۰۷
۱۷۰۷

امثال و حکم الامام الکاظم
و کلمات المحن



امثال و حکم الامام الکاظم عليه السلام

و کلماته المحمّدية

للمعجم الاول

محمد عسوي

المؤيد العالي الامام الخميني عليه السلام

الكتاب :	أمثال وحكم الإمام الكاظم عليه السلام / ج ١
المؤلف :	الحاج الشيخ محمد الغروي
الناشر :	المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام
الطبعة :	الأولى - رجب / ١٤١٢ هـ
المطبعة :	مهر قم
الكمية :	٢٠٠٠ نسخة
السعر :	
ليتوگرافى :	تيزهوش

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة المؤتمر :

بافتخار واعتزاز يقدم المؤتمر العالمي للإمام الرضا (عليه السلام) المنعقد لتعريف موقعه الشريف الطاهر، ومقام ولايته السامي، الأثر القيم الجدير بالتقدير للأخ المبجل المحقق حجة الإسلام والمسلمين الحاج الشيخ محمد الغروي الذي جمع فيه من الكلمات المثلية والحكمية الموسوم بـ (أمثال وحكم الإمام الكاظم (عليه السلام) وكلماته المختارة).

ونأمل من الله العلي القدير أن يوفق مؤلفه ويسدّد خطاه، لما بذله من جهد في تأليف وإخراج هذا الكتاب، مع تقدير الشكر له لتلبيته دعوة المؤتمر وقد قرّرت الهيئة الأدبية للمؤتمر طبعه ونشره. ونرجو من المولى جلّ وعلا أن يتقبّل منا هذا المجهود ويمنّ علينا بالرضا والقبول؛ إنّه وليّ ذلك.

المؤتمر العالمي للإمام الرضا (عليه السلام)

الإهداء:

إلى نبعة النبوة والرسالة، ومشكاة الخلافة والإمامة ، وباب الحوائج إلى الله ، وخير الذخائر، وشفيعي في يوم المحشر.

سيدي

قصدتك يا موسى بن جعفر راجياً بقصدي تمحيص الذنوب الكبائر
ذخرتك لي يوم القيامة شافعاً وأنت لعمر الله خير الذخائر
يا سمي الكليم جئتك أسعى والهوى مركبي وحبك زادي

إلى حضرتك المنورة ، ومجلسك الكريم ، أرفع بكلتا يدي هذا الجهد المتواضع الذي هو من نعمك ، وقطرة من بحر نذاك قائلاً :

أهدي لمجلسه الكريم وإنما أهدي له ما خرت من نعمائه
كالبحر يطره السحاب وماله من عليه : لأنه من مائه

فتفضل عليّ بالقبول.

المزلف

تقديم :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على محمد رسول الله ، والأئمة المعصومين من أهل بيته خلفاء الله ، ولا سيما إمام الأبرار، ومودع الأسرار، والحكم والآثارالذي كان يجيى الليل بالسهر إلى السحر بمواصلة الاستغفار، حليف السجدة الطويلة، والدموع الغزيرة أبي الحسن موسى بن جعفر، وعلى « القائم الذي يطهر الأرض من أعداء الله ... »^(١).

ستائة كلمة انتزعناها مما يؤثر عن الإمام الكاظم عليه السلام، فيما لا يسع الناس جهله من المعارف الإلهية ، وما من أجله الرسول ، قال صلى الله عليه وآله : « بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق »^(٢)، والفقه ، والسنن والآداب ، وما يضمن تقدّم الحضارة والسيادة في العالم.

استخرجناها لغرض دراسة الأمثال والحكم، والكلمات المختارة، واخترنا لها اسم (أمثال وحكم الإمام الكاظم (عليه السلام) ، وكلماته المختارة) : وفقاً لمستناه .

أربعة عشر دراسة :

ونحن على عتبة التاسعة من دراسة الأحاديث في هذا الصدد، وابتدأنا

(١) إكمال الدين ٣٦١/٢ ، الباب ٣٤ . ما أخبر به الإمام الكاظم (عليه السلام) من وقوع غيبة الإمام المهدي عجل الله فرجه ، الحديث ٥ .

(٢) كنز العمال ٤٢٠/١١ ، ٣١٩٦٩ ، جامع الأصول في أحاديث الرسول ٤/٤ ، مع اختلاف يسير في لفظه .

بمبدأ الحديث باسم (الأمثال النبوية)^{١١}، وثنيناه بالقسم من نهج البلاغة^{١٢}،
 وثلاثناه بما يؤثر عن الإمام الرضا (عليه السلام)^{١٣}، وكان التسلسل يدعو إلى
 إتمام ما يخص الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) من كتابين آخرين عنوانهما:
 (الأمثال والحكم العلوية)^{١٤}، و (المختار من كلمات الإمام أمير المؤمنين عليه
 السلام)^{١٥}، وما عن الزهراء ، والحسن ، والحسين ، والسجاد ، والباقر ، والصادق ،
 والكاظم ، وباقي المعصومين إلى خاتمهم الإمام المهدي (عليهم السلام) .
 وإنما كان التقديم ، والإخراج ، لأسباب دعت إلى ذلك . ونأمل من
 المولى القدير عز وجل إصدار الكتب المعنية بأجمعها ، وأن ترى النور كما رأته
 تلك ، بفضلته وكرمه .

داعية التأليف:

وكان من أهمّ دواعي كتابة الأمثال والحكم الحديثية التي ابتدأت بتأليف
 الأمثال القرآنية ، وكتبت له ما يُسمّى بالمقدمة ، ومنحته اسم (البصائر في
 تفسير آيات الأمثال والنظائر)^{١٦} ثم أمسكت . لما عثرت على أحاديث منها قول
 الإمام الباقر (عليه السلام) لفتادة : « ويحك يا فتادة إن كنت فسرت القرآن من
 تلقاء نفسك فقد هلكت وأهلك ، وإن كنت قد فسرت من الرجال فقد هلكت

(١) طبع بيروت ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات . ١٤٠١هـ . جزان .

(٢) الأمثال والحكم المستخرجة من نهج البلاغة ، قم - إيران . مؤسسة النشر الإسلامي التابعة
 لجماعة المدرسين ، ١٤٠٧هـ

(٣) طبع الآستانة الرضوية ١٤٠٩هـ . وبيروت - لبنان . مؤسسة دار الزهراء ، ١٤١٠هـ . جزان ؛
 (أمثال وحكم الإمام الرضا أو كلماته المختارة)

(٤) مخطوط .

(٥) خمسة آلاف كلمة مخطوطة .

(٦) مجمّد غير تامّ .

وأهلكت ، وبحك ياقتادة إننا يعرف القرآن من خوطب به»^(١) .
وهي كثيرة لايسع ذكرها المقام ، تدلّ بكلّ صراحة على حظر
تفسير القرآن الكريم قبل الرجوع إلى كلمات أهل البيت ؛ لأن (أهل البيت
أدرى بما في البيت)^(٢) ، وكيف لاوهم بيوت الله التي ﴿ أَذِنَ اللهُ أَنْ تَرَفَعَ وَيَذَكَرَ
فِيهَا اسْمَهُ بِالْغَدْوِِّ وَالْأَصَالِ ﴾^(٣) ، وأبواب الله التي لايسمح لأحد الدخول
إلّا منها قال تعالى ﴿ وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ﴾^(٤) .
فكان الدخول ، والأخذ عنهم لازماً ، وهذه الغاية المتوخّاة دخلنا وخضنا
في أحاديثهم ولم نخرج منها بعدُ وإلى هذا اليوم^(٥) .
لماذا اخترنا الجهة المثليّة والحكميّة؟

إنّ النفوس تكلّ وتقلّ ، ولابدّ من ابتغاء ما يذهب بذلك ، ومنه الأمثال
والحكّم ، ولنا أن نعتبر ذلك وجهاً للاختيار ؛ ولأنّ بهما نوعاً من ترويح ؛ ويشهد
لما قلنا مارواه الشيخ الكليني طاب ثراه عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال:
« رَوِّحُوا أَنْفُسَكُمْ بِبَدِيعِ الْحِكْمَةِ ؛ فَإِنَّهَا تَكَلُّ كَمَا تَكَلُّ الْأَبْدَانُ »^(٦) ، ومارواه
السيد الرضي رضي الله عنه الكلمة العلويّة الأخرى ؛ « إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ تَمَلُّ كَمَا
تَمَلُّ الْأَبْدَانُ فَابْتَغُوا لَهَا طَرَائِفَ الْحِكْمَةِ »^(٧) .
وإنّ المثل والحكمة من تلك البدائع والطرائف ؛ فإنّهما كالبيدين تطرقان

(١) الوسائل ١٨/١٣٦ ، الباب ١٣ من أبواب صفات ، الحديث ٢٥ .

(٢) أمثال وحكم ١/٣١٧ .

(٣) النور : ٣٦ .

(٤) البقرة : ١٨٩ .

(٥) السادس والعشرين من ذي القعدة من سنة ١٤١٠ هـ .

(٦) أصول الكافي ١/٤٨ ، النوادر ، الحديث ١ .

(٧) النهج ١٨/٢٤٦ ، الحكمة ٨٩ .

كلّ باب.

وإنّ من الأمثال ما لا يتيسر تفسيره لكلّ أحد: لبعد المرمى ودقّة المسلك، وصعوبة التطبيق ، وتشهد لذلك قضية رواها ابن مزاحم تسمّعها بعد العنوان الآتي:

قضية لها أبو الحسن (عليه السلام) :

قال نصر بن مزاحم المنقري^١ حدّثنا عمر بن سعد عن الأعمش قال : كتب معاوية ، إلى أبي أيّوب خالد بن زيد الأنصاري^٢ صاحب منزل رسول الله صلى الله عليه ، وكان سيّداً معظماً من سادات الأنصار ، وكان من شيعة عليّ (عليه السلام) - كتاباً ، وكتب إلى زياد بن سمية - وكان عاملاً لعليّ (عليه السلام) على بعض فارس - كتاباً.

فأما كتابه إلى أبي أيّوب فكان سطرّاً واحداً: « لاتنسى شيئا أبأ عذرتها، ولاقاتل بكرها ». فلم يدر أبو أيّوب ما هو ؟ فأتى به عليّاً وقال : يا أمير المؤمنين إنّ معاوية ابن آكلة الأكباد ، وكهف ... كتب إليّ بكتاب لأدرى ما هو ؟ فقال عليّ : وأين الكتاب ؟ فدفعه إليه ، فقرأه وقال : نعم ، هذا مثلُ ضربه لك ، يقول: ما أنسى الذي لاتنسى الشياء^٣ ، أبأ عذرتها والشياء : المرأة البكر ليلة افتضاها ، لاتنسى بعلمها الذي افتزعها أبداً، ولاتنسى قاتل بكرها وهو أول

(١) هو نصر بن مزاحم المنقري نعتار أبو المفضل كوفي مستقيم الطريقة صالح الأمر غير أنه يروي عن الضعفاء ، كتبه حسان ... وراح النجاسي يعدّ كتبه ، وعلّق الأستاذ الخوئي على الترجمة بها في معجم رجال الحديث : ١٤٣/١٦ - ١٤٦ . توفي ٢١٢هـ .

(٢) هو خالد بن زيد بن كئيب الأنصاري نزل عليه النبي صلى الله عليه وآله عند قدومه المدينة فأقام عنده حتى بنى بيوته ومسجده . وتوفّي في غزاة القسطنطينية سنة ٥٢ . هامش وقعة صفين

(٣) قبل : بيا « سبياء » بدل من واو : لأنّ ماء نرجل ساب ماء المرأة ... المصدر.

أمنال وحكم الإمام الكاظم عليه السلام / ج ١ ١٥
ولدها. كذلك لأنسى أنا قتل عثمان...^(١).

الهدف المشترك:

للاشتراك الهدفي يمكن أن يكون أمران.

الأمر الأول : أن حديثهم (عليهم السلام) واحد : روى الشيخ الكليني حديث حماد بن عثمان وغيره وقالوا: سمعنا أبا عبدالله (عليه السلام) يقول : حديثي حديث أبي ، وحديث أبي حديث جدي ، وحديث جدي حديث الحسين ، وحديث الحسين حديث الحسن ، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين (عليهم السلام) ، وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وحديث رسول الله قول الله عز وجل^(٢).

فقد دلّ صريحاً على أن حديثهم واحد، وأنه قول الله تعالى ، وصرّح بالوحدة المحمدية حديث « أولنا محمد ، وأوسطنا محمد ، وآخرنا محمد »^(٣).

قال السيد الشيرازي:

إن الوحدة المحمدية تشير إلى وجوب الطاعة وغيرها فهم كمحمد بل محمد^(٤).

واحتتمل الغرض من الوحدة وحدة الاسم دون المسمى وهو احتمال مردود ؛ لأنه لا يليق بهم ، ولولا الوصف المشترك والوحدة الروحية لما صحّ ذلك؛ إذ ليس كلهم اسمهم محمد وفيهم علي والحسن والحسين وجعفر. ومما يؤكد الوحدة المعنوية ما جاء في تسمية الحمل بمحمد أو علي، ليولد

(١) وقعة صفين ٣٦٦.

(٢) أصول الكافي ٥٣/١.

(٣) مصابيح الأنوار في حلّ مشكلات الأخبار ٣٩٩/٢.

(٤) المصدر نفسه ٤٠٠.

غلاماً وهو الرضوي الآتي ذكره عند « إذا كان الرجل حاضراً فكأنه »^(١) وفيه « علي محمد ومحمد علي شيئاً واحداً... »^(٢) .
ويؤكدُها أيضاً مادلاً على جواز نسبة حديث المعصوم المتأخر إلى المتقدم وسماعه وروايته كذلك.

عن ابن طاووس من كتاب حفص بن البختري قال : قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) : نسمع الحديث منك ، فلا أدري منك سماعه أو من أبيك ؟ فقال : ماسمعته مني فاروه عن أبي ، وما سمعته مني فاروه عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)^(٣) .

وفي الباب أحاديث إن دلت على شيءٍ فإنما تدلّ على وحدة كلمة أهل البيت (عليهم السلام) وأهدافهم السامية . وقد حكى الله عزّ وجلّ عمّا عليه المؤمنون فضلاً عن أئمتهم : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا يَنفِرُونَ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَلَا خَلْفَهُمْ مِنْ أَدْبُرٍ وَلَا يَلْمِزُوكَ بِالْأَفْهَامِ وَلَا يَسْتَوُونَ فِي الْقَوْلِ إِذْ يَقُولُ لِلَّذِي أَتَاهُ لِيَأْخُذَ بِهِ إِنْ كُنَّا لَعِندَ رَبِّنَا لَمَذْكُرُونَ ﴾ .^(٤)

الأمر الثاني:

نشر محاسن كلامهم ، وما جاء من الأمر به وأنّ الناس لو علموا ذلك لاتبعوه ولا فرق بين كلام إمام وإمام في الحسن ولزوم الاتّباع لو علمه الناس .
روى الشيخ الصدوق طاب ثراه بإسناده إلى عبد السلام بن صالح الهروي « عن الرضا (عليه السلام) قال : رحم الله عبداً أحيا أمرنا ، فقلت :

(١) حرف « إذا » مع الكاف .

(٢) الكافي ١١/٦ .

(٣) جامع أحاديث الشيعة ١/١٢٨ ، المقدمات ، الباب ٤ ، الحديث ٤ .

(٤) البقرة : ٢٨٥ .

أمثال وحكم الإمام الكاظم عليه السلام / ج ١ ١٧
وكيف يُحيي أمركم؟ قال: يتعلم علمونا، ويعلمها الناس؛ فإن الناس لو علموا
محاسن كلامنا لا تبعونا....»^(١).

يريد عليه السلام: نحن أهل البيت، وقد جاء في الزيارة الجامعة
«كلامكم نور، وأمركم رشد، ووصيتكم التقوى...»^(٢) فتجدها تثبت
لجميعهم الفضائل المذكورة فيها، وهل بعد ذلك يبقى مجال للفرق بين معصوم
ومعصوم وبين دراسة حديث، وحديث! وكتابة الحديث من أي نواحيه إحياء
لأمرهم، وأحد السبل تعلم علومهم، وتعليمها ونشرها بين الناس، والحمد
لله.

الأمثال :

جمع المثل، فمنها السائر، ومنها القياسي أي التمثيل، وهنا قسم ثالث
تعرفه.

المثل السائر :

وهو كما مرّ غير مرّة: كلمة قالها القائل في واقعة اقتضتها ثم ذهبت مثلاً
سار على الألسن، يتمثل بها في الشيء المشابه لتلك الواقعة من دون تبديل.
قال أبو هلال العسكري: جعل كلّ حكمة سائرة (مثلاً) وقد يأتي
القائل بها يحسن من الكلام أن يتمثل به إلا أنه لا يتفق أن يسير فلا يكون
مثلاً^(٣).

قيل: يعني أن الشيوع والانتشار وكثرة الدوران على الألسنة هو ما
يفرق بين الحكمة والمثل. فالقول الصائب الصادر عن تجربة يسمّى «حكمة»

(١) عيون أخبار الرضا (ع) ١/٢٤٠، الباب ٢٧، الوسائل ١٨/٦٥.

(٢) عيون الأخبار ٢/٢٨١.

(٣) جمهرة الأمثال ١/٥.

إذا لم يتداول ويسمى : (مثلاً) إذا كثر استعماله وشاع أداؤه في المناسبات المختلفة . ويعرف حينئذ بأنه : القول السائر الذين يشبه به حال الثاني بالأول ، أو الذي يشبه مضربه به بمورده . والمراد بالمورد الحالة المشبهة التي أريدت بالكلام^(١) .

إن المثل السائر هي الكلمة الموجزة التي قيلت في مناسبة تناقلها الأجيال بدون تغيير. وكلام العسكري لا ينفي أصل المثل بل المنفي السائر من الكلام الحسن التمثل به فالمثل قسمان : سائر، وغير سائر يحسن التمثل به . نعم المسبق إلى الأذهان منه السائر ، حتى صار في جلالة يضرب به المثل يقال : (أسير من مثل) ، قال الشاعر:

ما أنت إلا مثل سائر يعرفه الجاهل ، والخابر^(٢)

وللقوم حول المثل أقوال وتعريف مذكورة في مقدمة مجمع الأمثال^(٣) قد جمعها الطرابلسي البيروتي^(٤) في نظمه للمجمع، فاصغ إليه حيث قال :

أصغ إلى تحقيق معنى المثل	واغن بنور شمسنا عن زحل
ذلك قول سائر شبه به	بأول حالة ثانٍ فانتبه
وهو من المثال والتشبيه في	معناه أصل فتأمل واعرف
فقولهم بين يديه مثلاً	أشبه بانتصابه حين انجلى
لصورة منصوبه ، وأمثلة	أشبه معناه على مانقلوا

(١) أمثال الحديث ٨٣ .

(٢) العقد الفريد ٣/٣ . الأمثال النبوية ٧/١ ، تقديم الكتاب .

(٣) ج ١ ، مقدمة المؤلف ٥ - ٦ .

(٤) إبراهيم بن السيد علي الأحذب الطرابلسي الحنفي المتوفى ١٣٠٨ هـ .

إِذَا فَكَّنْهُ مَثَلًا مَا جُعِلَ كَقَوْلِ كَعْبٍ لَلَّتِي بِهَا اسْتَفْلُ
عَلَّمَ تَشْبِيهِ بِحَالِ أَوْلَى كَانَتْ مَوَاعِيدُ لِعَرْقُوبٍ مَثَلُ

فمواعيد عرقوب عَلَّمَ لكل ما لا يصح من المواعيد .

وقيل لفظ المثل الذي يُرى مخالفاً لفظاً لمضروب جرى
موافقاً معناه معنى ذلك إذ شَبَّهَ بالمثال بل منه أخذ
وهو الذي عليه غيره عمل هذا الذي عن ابن سَكَيْتٍ نُقِلَ

قال ابن السكيت : المثل لفظ يخالف لفظ المضروب له ، ويوافق معناه
معنى ذلك اللفظ . شَبَّهَهُ بالمثال الذي يعمل عليه غيره .

وقيل إِنَّ الْحِكْمَ الَّتِي تُرَى مَنْصُوبَةٌ فِي الْعَقْلِ صِدْقاً صُوراً
قَدْ أَشْبَهَتْ فِي نَصَبِهَا تَمَثَّلاً لِأَجْلِ هَذَا سَمِّيَتْ مَثَلاً

قال المبرّد : المثل مأخوذ من المثال . وهو قول سائر يشبه به حال الثاني
بالأول والأصل فيه التشبيه . فمعنى مَثَلٍ بَيْنَ يَدَيْهِ إِذَا انْتَصَبَ أَشْبَهَ الصُّورَةَ
الْمُنْتَصِبَةَ . وَفَلَانٌ أَمَثَلَ مِنْ فَلَانٍ أَي أَشْبَهَ بِهِ مِنْ الْفَضْلِ . وَالمَثَالُ الْقِصَاصُ
لِتَشْبِيهِ حَالِ الْمَقْتَصَصِ مِنْهُ بِحَالِ الْأَوَّلِ .

فحقيقة المثل ما جعل كالعَلَمِ لِلتَّشْبِيهِ بِحَالِ الْأَوَّلِ كَقَوْلِ كَعْبِ بْنِ زَهْرٍ :
كَانَتْ مَوَاعِيدُ عَرْقُوبٍ لَهَا مَثَلاً وَمَا مَوَاعِيدُهَا إِلَّا الْأَبَاطِيلُ

قال غير المبرّد وابن السكيت : سَمِّيَتْ الْحِكْمُ الْقَائِمُ صِدْقُهَا فِي الْعُقُولِ

٢٠ المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام

أمثالاً؛ لانتصاب صورها في العقول ، مشتقة من المثل الذي هو الانتصاب^(١) .
سواء أكان أصل الاشتقاق المثل ، أو المثل أن المثل السائر قد عرفت
تعريفه ، ويمرّ القياسي . والمثل باصطلاح الحديث لا يتوقف على شيء من
الاشتقاق ، والأختلاف اللغوي وغيره ، وإنما هو اتجاه خاص يأتي بيانه.
وخذ للمثل السائر من أهل البيت (عليهم السلام) أمثالاً سامية.
المثل النبوي : « لا ينتطح فيها عنزان ».

قاله رسول الله (صلى الله عليه وآله) في قصة أم المنذر الفاسقة المسماة
بالعصماء الخطيئة كانت تمشي في مجالس الأوس والخزرج تهجو الرسول (صلى
الله عليه وآله) ، قتلها عمير بن عدي ولم يؤمن من بني خطمة سواه وقد مرّ على
قومها يدفونها فلم يعرض له منهم أحد ، فضرب (صلى الله عليه وآله) المثل :
يضرب لمن لا يدرك به ثأر . انظر القصة^(٢) .

المثل العلوي : « سرّك دمك فلا تجرّينه إلّا في أوداجك »^(٣) .

وروى الشيخ المجلسي عن الصادق (عليه السلام) بلفظ « سرّك دمك
فلا تجرّينه من غير أوداجك »^(٤) .

يضرب للاهتمام بالكتمان له ، والتشدد فيه .

المثل الفاطمي : « ماعشت أراك الدهر عجباً »^(٥) .

أحد الأمثال السائرة الكائنة في خطبة فاطمة الزهراء (عليها السلام)

(١) فراند اللئال في مجمع الأمثال ١٠/١ .

(٢) أعلام الورى ٩٥ - ٩٦ . مجمع الأمثال ٢/٢٢٥ . حرف اللام . الفاخر ٣١٢ - ٣١٣ .

المستقصى ٢/٢٧٧ . الأمثال النبوية ٢/١٢٥ .

(٣) النهج ٢٠/٢٨٥ الحِكْم المنسوبة رقمها ٢٦٦ .

(٤) البحار ٧٥/٧١ نقلاً من الدرّة الباهرة .

(٥) الاحتجاج ١/١٤٨

أمثال وحكم الإمام الكاظم عليه السلام / ج ١ ٢١

التي خطبتها في مسجد الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) للمهاجرين والأنصار وكلّ من حَضَرَ في المسجد . تعرّضنا لشرحها في موضعه . يضرب للمجرّب في الأمور.

المثل الحسيني : « مثلك مثل البعوضة إذ قالت للنخلة : استمسكي ، فإني طائرة عنك ، فقالت النخلة : وهل علمت بك واقعة عليّ ، فأعلم بك طائرة عني »^(١).

نقل ابن أبي الحديد مفاخرة رجالات قريش الأربعة المجتمعة عند خامسها مع الإمام الحسن بن عليّ عليهما السلام ، أحدهم المغيرة بن شعبة وقد أتى جميعهم بما عندهم، فأجابهم الإمام (عليه السلام) إلى أن قال للمغيرة : « وأما أنت يا مغيرة فلم تكن بخليق أن تقع في هذا وشبهه ، وإنما مثلك ... والله ما نشعر بعداوتك إيانا ، ولا اغتمنا إذ علمنا بها ، ولا يشقّ علينا كلامك ... »^(٢) المفاخرة الجديرة بالرجوع إليها .

المثل الحسيني : « لو ترك القطا ليلاً لنام »^(٣).

تمثّل به الإمام الحسين (عليه السلام) عند ما قالت بنته سكينه له : ردّنا إلى حرم جدّنا في قصّة عاشوراء كربلاء المفجعة للقلوب^(٤).

والمثل قد نظمه ناظم مجمع الأمثال ، وأشار إلى قائله بقوله :

لو ترك القطا لنام ليلاً ولم يعان بالعناء ويلا

لفظه : (لو ترك القطا ليلاً لنام) ، عجز بيت جميعه :

(١) شرح النهج ٦/٢٩٣ .

(٢) شرح النهج ٦/٢٨٥ - ٢٩٤ ، والبحار ٤٤/٧٩ . فراجع .

(٣) مجمع الأمثال ٢/١٥٤ ، حرف اللام رقم المثل ٣٢٣١ ، المستقصى ٢/٢٩٦ .

(٤) البحار ٤٥/٤٧ .

أَلَا يَا قَوْمَنَا ارْتَحِلُوا وَسِيرُوا فَلَوْ تَرَك الْقَطَا لَيْلًا لِنَامَا

قيل نزل عمرو بن مامة على قوم من مراد ، فطرقوه ليلاً ، فأثاروا القطا من أماكنها فرأتها امرأة طائفة ، فنبهت زوجها . فقال : إننا هي القطا فقالت : لو تَرَك الْقَطَا لَيْلًا لِنَامَ . يضرب لمن حمل على مكروهٍ من غير إرادة...^(١) .
المثل السجّادي : « يا سوء تاه لمن غلبت إحداته عشراته »^(٢) .

يريد - الإمام السجّاد عليه السلام - : أن السيئة بواحدة والحسنة بعشرة^(٣) .

المثل الباقرى : « صحبة عشرين سنة قرابة »^(٤) .

وقد جاء هذا المثل السائر عن الإمام الرضا عليه السلام بلفظ :
« مودة عشرين سنة قرابة »^(٥) . يضرب لتوكيد العهد والذمام ، وأواصر المودة .

المثل الصادقى : « من ايقظ فتنة فهو أكُلها »^(٦) .

المثل الكاظمي : « من شمخ إلى السقف برأسه شجّه »^(٧) .

ونظيره : « من اقتحم اللجج غرق »^(٨) . يضرب للمتهور فيما يعود ضرره إليه

(١) فرائد الثال في جمع الأمثال ١٤٤/٢ .

(٢) البحار ١٣٩/٧٨ .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) البحار ١٧٢/٧٨ .

(٥) الأمثال والحكم المستخرجة من كلمات الإمام الرضا (ع) ٤٥٨ ، رقم الكلمة ١٦٦ .

(٦) البحار ٢٠٨/٧٨ . وله شرح أنيق في محله وقد عدّه ابن أبي الحديد من الحكم النسوبة إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) ، النهج ٣٠٨/٢٠ ، رقم الحكمة ٥٢٨ . فراجع .

(٧) التحف ٣٩٦ - ٣٩٧ .

(٨) العقد الفريد ٢٥٩/٢ .

ويرى سوء فعله .

المثل الرضوي : « إن الصمت يكسب المحبة »^(١) .

وهو من الأمثال السائرة ، ذكره الميداني بلفظ : (الصمت يكسب أهله

المحبة) أي محبة الناس إياه لسلامتهم منه . يضرب في مدح قلة الكلام^(٢) .

المثل الجوادي : « إذا نزل القضا ضاق القضاء »^(٣) .

أحد الأمثال الجارية على اللسان ، ولفظ الميداني : (إذا حان القضاء

ضاق القضاء)^(٤) . يضرب لعدم نفع الحذر عند مجيء القدر .

المثل الهادوي : « الدنيا سوق ربح فيها قوم ، وخسر آخرون »^(٥) .

المثل العسكري : « من لم يُحسن أن يمنع ، لم يُحسن أن يعطي »^(٦) .

وبإثله ما ذكره الميداني (من لم يُحسن إلى نفسه لم يُحسن إلى

غيره)^(٧) ؛ إذ أن الذي ليس له خبرة بدفع الضر لا خبرة له بجلب النفع .

يضرب للجاهل بالأمور .

المثل المهدي : « كذب الوقتون »^(٨) . يضرب للرجم بالغيب .

(١) أصول الكافي ١١٣/٢ .

(٢) مجمع الأمثال ٤٠٢/١ ، رقم المثل ٢١٢٠ حرف الصاد .

(٣) البحار ٣٦٥/٧٨ .

(٤) مجمع الأمثال ٦٠/١ ، رقم المثل ٢٨٤ ، حرف الهمزة .

(٥) البحار ٣٦٦/٧٨ .

(٦) البحار ٣٨٠/٧٨ .

(٧) مجمع الأمثال ٣٢٩/٢ .

(٨) البحار ٣٨٠/٧٨ . « لا تطلب أثراً بعد عين » قاله الإمام المهدي عجل الله فرجه ، في كلام

له لاحد بن إسحاق : « أنا بقية الله في أرضه ، والمنتقم من أعدائه فلا تطلب أثراً بعد عين يا

أحمد بن إسحاق » . إكمال الدين ٣٨٤/٢ .

المثل القياسي

المثل القياسي : الكلام المتشكّل من أيّ وصف ، أو تصوير من أمر محسوس أو معقول ، يجمع بين حسن الأداء ، وجمال التصوير ، يسمّيه علماء البيان : (التمثيل المركّب) ، المنتزِع وجهه عن أمر أو أمور متعدّدة ، وإن لم يسبق له ذكر ، بل كان مجرد اقتراح أتى به المتكلّم لما أَرادَه من ورائه من أهداف .

وبلفظ آخر هو : ما يخلقه من تصوير ، أو تشبيه يقرب بذلك هدفه ويفترق عن المثل السائر بعدم سبق الذكر : الحالة الأولى لغرض التطبيق على الحالة الثانية ، وليس ذلك شرطاً في القياسي عند الأدباء ومن ثمّ لا يخصّ لغة دون لغة ، لأنّه كجزء من بيان كلّ إنسان بلا توقف على سماع وضبط مسموع ، كما كان شرطاً في كلّ مثل نعم سائر ربّما كان ذلك .
وأرى :

أن أذكر أمثلة للمثل القياسي مأثورة عن أهل البيت (عليهم السلام)
بمثل ما رويناها في المثل السائر السابق الذكر .
والمثل قبل كل شيء يُعطيك صورة من قدسيّة أو عقليّة الممثل ، وما يمتلكه من فكرة أو طاقة يمتاز بها عمّن سواه ، ولا يخفى أنّ المثل القياسي هو التمثيل حتى عند غير علماء البيان الآنف ذكرهم أيضاً وإليك منه ما يلي :

التمثيل النبوي :

« إنّها مثل المرأة الصالحة مثل الغراب الأعصم » . روى الشيخ الطوسي (طاب ثراه) في الصحيح عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر (عليه السلام) قال :

أتى رجل رسول الله (صلى الله عليه وآله) يستأمره في النكاح ، فقال : نعم ،
وعليك بذوات الدين ، تربت يداك . وقال : إنها المرأة الصالحة مثل الغراب
الأعصم الذي لا يكاد يقدر عليه ، وما الغراب الأعصم ؟
قال : الأبيض أحد رجلية^(١) .

التمثيل بالغراب المذكور : لندرة المرأة الصالحة ، لندرة الأعصم من
الغربان .

التمثيل العلوي :

« كأن بين أعينهم رُكَبَ المَعْرَى »^(٢) يصف أصحاب محمد (صلى الله عليه وآله)
وآله (الرُكْعُ السُّجْدُ كما قال تعالى : ﴿ تَرَاهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ
وَرِضْوَانًا سِيَاهُهم فِي وُجُوهِهم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾^(٣) . والرُكْبُ واحدها الرُكْبَةُ
وهي التَّفْنَةُ من كل حيوان قال ابن الأثير : التَّفْنَةُ - بكسر الفاء - ما ولي الأرض
من كل ذات أربع إذا بركت كالركبتين وغيرهما ، ويحصل فيه غلظ من أثر
البروك^(٤) .

ومن أجل أثر كثرة السجود كان من ألقاب الإمام السَّجَّاد « ذو
التفنات »^(٥) .

التمثيل الفاطمي :

« اشتملت شملة الجنين ، وقعدت حجرة الظنين »^(٦) . مخاطبة لأмир

(١) الوسائل ٢١/١٤ - ٢٢ .

(٢) النهج ٧/٧٧ ، كلام ٦٦ .

(٣) الفتح : ٢٩ .

(٤) النهاية ١/٢١٥ - ثفن - تسمى الركبة ثفنة لا أن كل ثفنة تكون ركبة ، فتدبر .

(٥) البحار ٤/٤٦ .

(٦) الاحتجاج ١/١٤٥ .

المؤمنين (عليها السلام) ، ممثلة له بالجنين المحتجب بالمشيمة في بطن أمه :
لاحتجابه في البيت المغلقة الأبواب وقعوده عن حقه وحققها لعدم الأجابة تارة ،
بالقاعد في زاوية الحجرة المثيرة للظنون أخرى لماذا القعود ، لخوف ؟ أو لظلامه
؟ أولترك حق أو أو أو ؟؟؟.

التمثيل الحسيني :

« أنزل الدنيا بمنزلة الميتة ، خذ منها ما يكفيك »^(١) ولا يخصّ جنادة بن
أبي أمية قد دخل عليه وهو يقذف كبده في الطست ، فقال له :عظني ، فوعظه ،
لأنّ الوعظ عامّ .

التمثيل الحسيني :

«تكون الصنيفة مثل وابل المطر تصيب البرّ والفاجر»^(٢).
أي الإحسان كردّ الأمانة الشامل للأخيار والفجار . والوابل من المطر
شديده .

التمثيل السجّادي :

« كأنّ الميتلى بحبّ الدنيا به خبل من سُكر الشراب »^(٣) .
فكما أنّ الخمرة تزيل عقل الخامر، كذلك حبّ الدنيا ذاهب بعقل
صاحبها .

(١) البحار ٤٤/١٣٩ .

(٢) البحار ٧٨/١١٧ .

(٣) البحار ٧٨/١٢٩ .

التمثيل الباقرى :

« أنزل نفسك من الدنيا كمثّل منزل نزلته ساعة ، ثم ارتحلت عنه »^(١) .
ومن المعلوم أنّ نزول ساعة في مكان ، لا يجدر للعاقل العزم على البقاء
للأكثر .

التمثيل الصادقى :

« العامل على غير بصيرة كالسائر على غير طريق »^(٢) .

التمثيل الكاظمي :

« إنّ الزرع ينبت في السهل ، ولا ينبت في الصفا فكذلك الحكمة تعمر
في قلب المتواضع ، ولا تعمر في قلب المتكبر الجبار ... »^(٣) .

التمثيل الرضوي :

« لا يقبل الرجل يد الرجل ؛ فإنّ قبلة يده كالصلاة له »^(٤) . وقد شرحناه
في محله المتاح له ، فراجع^(٥) .

التمثيل الجوادى :

« نعمة لا تشكر كسيئة لا تغفر »^(٦) . ولتنظير النعمة غير المشكورة

(١) البحار ٧٨/١٦٦ .

(٢) البحار ٧٨/٢٤٤ .

(٣) التحف ٣٩٦ .

(٤) التحف ٤٥٠ .

(٥) في أمثال وحكم له (عليه السلام) ٣٥٢ - ٣٥٣ .

(٦) البحار ٧٨/٣٦٥ .

٢٨ المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام

بالسيئة غير المغفورة وجوهٌ مذكورة في موضعها منها في جامع التأثير في الزوال ،
والوبال .

التمثيل الهادوي :

« إنما قلب غيرك كقلبك له »^(١) ويشهد لصحة المقياس المذكور قول أبي

العتاهية :

وللقب على القلب	دليل حين تلقاه
ولناس من الناس	مقاييس وأشباه
يقاس المرء بالمرء	إذا ما هو ماشاه
وللعين غنى للعين	إن تنطق أفواه ^(٢)

التمثيل العسكري :

« رياضة الجاهل وردّ المعتاد عن عادته كالمعجز »^(٣).

التمثيل المهدي :

« آتي أمان لأهل الأرض ، كما أنّ النجوم أمان لأهل السماء »^(٤).

أقول :

قد كتبنا في مقدّمة كلمات الإمام الرضا (عليه السلام) حديث الأصغ

(١) البحار ٣٧٠/٧٨.

(٢) عيون الأخبار لابن قتيبة ١٨٢/٢.

(٣) التحف ٤٨٩ ، البحار ٣٧٤/٧٨.

(٤) البحار ٣٨٠/٧٨.



أمثال وحكم الإمام الكاظم عليه السلام / ج ١ ٢٩

ابن نباتة الذي رواه الشيخ الطوسي بإسناده عنه عن أمير المؤمنين (عليه السلام) إذا أراد أن يوتخ الرجل يقول : والله لأنت أعجز من تارك غسل يوم الجمعة^(١).

وأته من المثل القياسي المرسل له ، ثم صار مثلاً سائراً يضرب في

التوبيخ

تنبيه :

لأظنك أن تجهل الفرق بين القسمين باشتراط سبق الذكر في السائر دون القياسي ، وربما كان له ذكر سابق ولكن ليس السابق شرطاً كما سبق بيانه.

القسم الثالث من الأمثال

قد وعدناك في صدر التقسيم قسماً ثالثاً وحاصله : أن الحكميات من الكلمات أمثال عليها تطلق كلمة المثل من دون أن يكون من المثل السائر ، ولا المثل القياسي أي التمثيل وعليه : فإما أن يقال بالتجوّز ، أو منع الاطلاق والاستعمال ، أو الالتزام بالقسم الثالث بعد إبطال الوجهين أي التجوّز ، ومنع الاستعمال ، وستعرف وجه صحة القسم الثالث ، ومزيد التوضيح : فنقول : من الكتاب العزيز ، ومن الحديث ، ومن الكلمات شواهد.

من الكتاب العزيز :

قال تعالى : ﴿ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا * أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾

(١) الوسائل ٩٤٧/٢ ، باب ٧ من أبواب الأغسال المندوبة ، الحديث ٢ ، علل الشرائع للصدوق

* أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿١﴾ .

فانظر كيف أطلق الله تعالى كلمة ﴿ الأمثال ﴾ على ما اقترحتة كفار قريش على الرسول (صلى الله عليه وآله) من نزول الملك عليه والمعونة معه في الإنذار ، وإلقاء كنز من السماء عليه ^(١) ، أوستان مشمر يأكل منه ، وبالأخير حتى مع إسعافهم يقولون إنه ساحرٌ . ولا ريب أن تلك الاقتراحات ليست من المثل السائر ولا القياسي ، ولا وجه للقول بأن استعمال المثل فيها مجاز ، أو غيره من معانٍ ، فتعين شمول المثل لمثلها .

وقال عز وجل فيما اقتصص عن منكر الحشر : ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ ^(٢) .

جعل تعالى استبعاد حياة العظام الرميمة بعد موتها مثلاً ومعلوم أنه ليس من القسمين يقيناً ، فالمثل أشمل منها يقيناً .

ومن الحديث :

ويشهد له أولاً حديث المعلّى عن أبي عبد الله (عليه السلام) في أجوبة مسائل من رسالة قال روجي فدهاه :

« وأما ما سألت عن القرآن ... وإنما القرآن أمثال لقوم يعلمون ... » ^(٤) .

ولاشك أن الأمثال قسم منه لا كلة ، وهل يصح إطلاق الأمثال على جميع القرآن إلا على المعنى الأشمل وهو كل ما يمثل أهداف الله تعالى ويجسدها ؟ وعليه فجميع الآيات أمثال ، ومن هنا يفسح المجال لتفسير آي بذلك طال ما

(١) الفرقان : ٧ - ٩ .

(٢) لكلمة ﴿ يُلْقَى ﴾ الظاهرة في الإلقاء من العلو ، لأن الكنز الأرضي لا تصح كلمة الإلقاء عليه .

(٣) يس : ٧٨ .

(٤) الوسائل ١٨ / ١٤١ ، الباب ١٣ من أبواب صفات القاضي ، الحديث ٣٨ .

بحث عنها المفسرون وهي قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ﴾^(١) وهي أكثر من آية^(٢) تثير

التساءل : بأننا لانجد تصرفاً فيه من كل مثل من أي نوع من أنواع المثل المضروبة إلا بعضها ، فماذا يريد من ﴿ كُلِّ مَثَلٍ ﴾ ؟ هل هذا من باب التغليب؟ أو المجاز؟ أو غير ذلك ؟ .

والجواب :

أنه ليس ﴿ من كل مثل ﴾ مجازاً ولا غالبياً بل بمعناه الحقيقي ولا يعقله إلا العالمون كما قال تعالى : ﴿ وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ﴾^(٣).

والمثل المعروف لا يفتقر إلى تعقل العلماء لو أريد بمعناه اللغوي ، أو الأدبي ، وإنما الافتقار إليه إذا أريد منه ما يمثل الهدف الأعلى وما لأجله نزل القرآن وجاءت الرسل إلى الناس من التوحيد ، والدين الخالص له تعالى . وهذا المعنى لا يعرفه إلا العقلاء والعلماء .
ويشهد له ثانياً حديث آخر :

وهو ما رواه الشيخ الصدوق بإسناده إلى ابن جريح عن عطا عن أبي ذرّ في (حديث) قال : قلت : يارسول الله فما كانت صحف إبراهيم (عليه السلام) ؟

قال : كانت أمثالاً كلّها : أيها الملك المبتلى المغرور إنّي لم أبعثك لتجمع

(١) الإسراء : ٨٩ .

(٢) انظر الروم : ٥٨ ، الزمر : ٢٧ .

(٣) العنكبوت : ٤٣ .

الدنيا بعضها على بعض ، ولكن بعثتك لتردّ عني دعوة المظلوم ، فإني لأردها وإن كانت من كافر ، وعلى العاقل ما لم يكن مغلوباً أن تكون له ساعات : ساعة يناجي فيها ربه ، وساعة يحاسب فيها نفسه ، وساعة يتفكّر فيها صنع الله إليه ، وساعة يخلو فيها بحظّ نفسه من الحلال ؛ فإنّ هذه الساعة عون لتلك الساعات، واستجمام للقلوب ، وتفريغ لها الحديث^(١) .

يدور الأمر بين ردّ هذا الحديث ، أو حمله على التفسير الشامل للأمثال ، لأنّ الرسول (صلّى الله عليه وآله) صرّح بأنّ صحف إبراهيم كانت أمثالا كلّها أوّلاً ، ويطبّقها على نبذة من الحكميّات ثانياً وهي محتوى هذه الصُحف المباركة الإبراهيميّة :

من خطاب الربّ تعالى إلى ملك^(٢) مبتلى مغرور أنّه لم يبعثه أي لم يخلقه^(٣) لجمع الدنيا بل لعون المظلوم والأخذ بظلامته ، لأنّه لا يردّ دعوته إذا رفع يديه إليه تعالى ثم بين تقسيم ساعات الليل والنهار لكلّ عاقل غير مغلوب على عقله إلى آخره .

وهل تجد في هذه الكلمات من مثل سائر ، أو تمثيل من تشبيه حتى يفسّر كونها أمثالاً بذلك ، فلم يبق إلّا حملها على قسم ثالث من معنى المثل ، وهو : مطلق الكلمات الحكميّة القصار الصالحة للتمثيل ونحن نعتبرها في هذا الكتاب وغيره فتدبرّ حتى لا يلتبس عليك فإنّه مظنة ذلك .

ومّا يدلّ على أنّ محتوى صحف إبراهيم كانت أمثالاً ، قول الصادق

(١) الوسائل ٣٧٨/١١ . الباب ٩٦ من جهاد النفس ، الحديث ٤ .

(٢) لا يمكن أن يكون نبياً .

(٣) إنّنا فسّرنا البعث بالخلق لما قلنا إنّّه ليس بنبي إذ النبي لا يكون مغروراً جامعاً لحظّام الدنيا . ولا يخفى أنّ الحديث موجود أيضاً في الجواهر السنّيّة في الأحاديث القدسيّة ٢٥ للشيخ الحرّ .

(عليه السلام) بعد ذكر قصة هشام بن الحكم مع عمرو بن عبّيد في مسجد البصرة ، واستدلاله على الإمامة بالحواس والقلب : « ياهشام هذا مكتوب في صحف إبراهيم وموسى ».

قصة هشام بن الحكم مع عمرو بن عبّيد :

علي بن إبراهيم عن أبيه عن الحسن بن إبراهيم عن يونس بن يعقوب قال : كان عند أبي عبد الله (عليه السلام) جماعة من أصحابه منهم حُمران بن أعين ومحمد بن النعمان ، وهشام بن سالم والطّيار ، وجماعة فيهم هشام بن الحكم وهو شابٌ فقال أبو عبدالله (عليه السلام) : ياهشام ألا تخبرني كيف صنعت بعمرو بن عبّيد ، وكيف سألته ؟ فقال هشام : يا ابن رسول الله إني أُجلك واستحييك ، ولا يعمل لساني بين يديك ، فقال أبو عبد الله : إذا أمرتكم بشيء فافعلوا .

قال هشام : بلغني ما كان فيه عمرو بن عبّيد وجلوسه في مسجد البصرة فعظم ذلك عليّ ، فخرجت إليه ودخلت البصرة يوم الجمعة ، فأتيت مسجد البصرة ، فإذا أنا بحلقة كبيرة فيها عمرو بن عبّيد ، وعليه شملة سوداء متزّرها من صوف ، وشملة مرتدٍ بها ، والناس يسألونه ، فاستفرجت الناس فأفرجوا لي ، ثم قعدتُ في آخر القوم على ركبتي ، ثم قلتُ : أيها العالم إني رجل غريب تأذن لي في مسألة ؟ فقال لي : نعم ، فقلت له : ألك عين ؟ فقال : يابني أي شيء هذا من السؤال ؟ وشيءٌ تراه كيف تسأل عنه ؟ فقلت : هكذا مسألتي ، فقال : يابني سل وإن كانت مسألتك حمقاء ، قلت : أجبني فيها ، قال لي : سل .

قلت : ألك عين ؟ قال : نعم ، قلت : فما تصنع بها ؟ قال : أرى بها الألوان ، والأشخاص ، قلت : ألك أنف ؟ قال : نعم ، قلت : فما تصنع به ؟ قال : أشمّ به الرائحة ، قلت : ألك فم ؟ قال : نعم ، قلت : فما تصنع به ؟ قال : أذوق به الطعم ، قلت : فلك أذن ؟ قال : نعم ، قلت : فما تصنع بها ؟ قال : أسمع بها الصوت ، قلت : ألك قلب ؟ قال : نعم ، قلت : فما تصنع به ؟ قال : أميّز به كلّ

ما ورد على هذه الجوارح والحواس ، قلت : أو ليس في هذه الجوارح غنى عن القلب ؟ فقال : لا قلت : وكيف ذلك وهي صحيحة سليمة ، قال : يابني إن الجوارح إذا شكّت في شيء شمّته أو رأته ، أو ذاقته ، أو سمعته . ردّته إلى القلب فيستيقن اليقين ، ويبطل الشكّ .

قال هشام : فقلت له : فإنها أقام الله القلب لشكّ الجوارح ؟ قال : نعم ، قلت : لا بدّ من القلب وإلا لم تستيقن الجوارح ؟ قال : نعم .

فقلت له : يا أبا مروان فالله تبارك وتعالى لم يترك جوارحك حتى جعل لها إماماً يصحّح لها الصحيح ، ويتيقن به ما شكّ فيه ويترك هذا الخلق كلّهم في حيرتهم وشكّهم ، واختلافهم ، لا يقيم لهم إماماً يردّون إليه شكّهم وحيرتهم ، ويقيم لك إماماً لجوارحك تردّ إليه حيرتك وشكّك؟! قال : فسكت ، ولم يقل لي شيئاً.

ثم التفت إليّ فقال لي : أنت هشام بن الحكم ؟ فقلت : لا ، قال : أمن جلسائه ؟ قلت : لا ، قال : فمن أين أنت ؟ قال : قلت : من أهل الكوفة ، قال : فأنت إذاً هو ، ثم ضمّني إليه ، وأقعدي في مجلسه ، وزال عن مجلسه ، وما نطق حتى قمت .

قال : فضحك أبو عبدالله (عليه السلام) ، وقال : ياهشام من علمك هذا؟ قلت : شيءٌ أخذته منك وألّفته ، فقال : هذا والله مكتوب في صحف إبراهيم و موسى^(١) .

أقول :

إنها جئت عن آخرها ، لكي يظهر لك وجه كتابتها في صحف إبراهيم ،

(١) أصول الكافي ١/١٦٩ - ١٧١ ، باب الاضطرار الى الحجّة الحديث ٣ ، معجم رجال الحديث

وَأَنَّ الْمَكْتُوبَ فِيهَا أَيُّ شَيْءٍ ؛ إِذْ لَوْ اِكْتَفَى بِقَوْلِهِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) : « هَذَا وَاللَّهِ مَكْتُوبٌ فِي صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى » لَمَا بَانَ الْمَثَلُ الْمَكْتُوبُ فِي تِلْكَ الصُّحُفِ أَيُّ شَيْءٍ .
ولقائل أن يقول : أن هذا من المثل القياسي حيث ضرب هشام المثل بالجوارح والقلب والعلقة القائمة بينها ، وأعمالها وحيرتها التي تردّها إليه ، وطبّق الخلق وحيرتهم التي يردّونها إلى إمامهم المعصوم (عليه السلام) ، ففاس هشام الخلق المتحيرّ بالجوارح المتحيّرة ، والإمام المعصوم بالقلب ، ولانعني من المثل القياسي إلا هذا ، وأين هو من المثل الحديثي الذي ليس بالمثل السائر ، ولا القياسي ؟؟ .

الجواب :

أن تحليل القصّة بما يرجع إلى ما قلت من المثل القياسي لو جاز لجازفي جميع ما في الصُّحُفِ وأمكن تحليله أيضاً إلى ذلك ، على أننا لا نمنع أن يكون في الصُّحُفِ من المثل القياسي أو المثل السائر ، بل نريد من الحديث الصادقي والنبوي استعماله على غيرهما أيضاً أي غير السائر والقياسي من المواعظ ، والحكم التي سمّيناها بالأمثال الروائية .
ومناظرة هشام مع ابن عُبيد داخلة في بعض هذه الأقسام على إخبار الصادق (عليه السلام) .

ويشهد ثالثاً حديث الجمهور :

قد جاء في كتابين موسومين بـ (أمثال الحديث) ما يدلّك على عموم المثل ، مؤلّف أحدهما القاضي أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلّاد الرامهرمزي المتوفّي سنة ٣٦٠ هـ ، قال :

حدّثنا محمد بن عبدالله الحضرمي مطين ، ثنا عبد الله بن براد حدّثني زيد ابن الحباب ، ثنا ابن لهيعة ثنا يزيد بن عمرو والمعارفي إنّه سمع شفيّاً الأصبحي يقول : سمعت عبدالله بن عمرو يقول :

« حفظت عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَلْفَ مِثْلٍ »^(١).

ومؤلف ثانيهما هو :

أبو محمد عبدالله بن محمد بن جعفر بن حيّان المعروف بأبي الشيخ الأصبهاني المتوفى ٣٦٩ هـ. قال : ما حفظ عن رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، فصار مثلاً.

أخبرنا أبو يعلى الموصلي . ثنا كامل بن طلحة ، ثنا ابن لهيعة ، ثنا زيد ابن عمرو عن شفي عن عبد الله بن عمرو أنه قال : « حفظت عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَلْفَ مِثْلٍ »^(٢).

ولم يذكر الرامهرمزي في كتابه (أمثال الحديث) من الألف مَثَلٌ ، إلاّ مائة وأربعين كلمة ، وإذا أسقطنا من العدد أول الأرقام المفتتح به حديثه ؛ لأنّه الحكاية عن المثل لانفسه بقي ١٣٩ مثلاً.

وأما (أمثال الحديث) لأبي الشيخ الأصبهاني فمجموع ما فيه ثلاثمئة وثلاث وسبعون كلمة مثليّة ، وبإسقاط أول أرقامها ، لأنّه كما تقدّم حكاية المثل ، صار عدد أرقام الأمثال فيه ٣٧٢ ، فأين الألف مَثَلٌ .

وعليه فإنّما أن تدفع رواية حفظ ابن عمرو وألف مثل ، أو يدعى ضياعها . وعلى تقدير الصدور ، والسماع ، وعدم الضياع لا يريد من « ألف مَثَلٌ » المثل السائر ، ولا القياسي التمثيلي تمام الألف مثل ، لعدم وجود هذا العدد في الكتب الحديثيّة ، والأدبيّة الموجودة بأيدينا بعد فرض عدم الضياع ، حتى من

(١) أمثال الحديث ٥ - ٦ ، تحقيق الدكتور عبد العلي عبد المجيد الأعظمي الطبعة الأولى

١٤٠٤ هـ الهند ١٣ بومباي ، الدار السلفيّة.

(٢) أمثال الحديث ٢١ - ٢٢ ، تحقيق الدكتور عبد العلي عبد المجيد . الدار السلفيّة ، ١٣ بومباي

الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ.

ابن خلّاد الرامهرمزي وأبي الشيخ الأصبهاني في كتابيهما : (أمثال الحديث) ؛ إذ لو كان ، لكانا أولى من غيرهما ، لاختصاص موضوع الكتابين ، وقرب عصرهما بعصر صدور الحديث ، وللاهتمام لضبطه بصورة عامّة ، وخصوص محتوى الكتابين ، مع أنّ العَلَمين اكتفيا في أوّل الأحاديث فيها بنقل حديث حفظ « ألف مثل ».

ثمرة البحث :

أنّ المثل لا يقصر على القسمين : السائر والقياسي فحسب ، بل يقال على الحِكم ، والمواعظ من الكلمات الموجزة الألفاظ ، وهو القسم الثالث من الأمثال الذي استفدناه من الكتاب العزيز وبعض أحاديث أهل البيت (عليهم السلام) أنّ الحِكم أيضاً تسمّى بالأمثال ، ويستفاد ذلك من بعض كلمات الأدباء التي تعتبر سنداً لصناعة المثل والحكمة ، وقد سبق بيان الاستفادة من الكتاب والحديث ، وبقي ذكر بعض الكلمات الدالّة على إطلاق الأمثال على الحِكم أيضاً.

ومن الكلمات :

من كتاب تاريخ الأدب العربي لكارل برو كلمان^(١) قال عند ذكر ما ألف حول حِكم : الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) قال :
أمثال سيّدنا علي - ١٠٠ حكمة ومثل بالعربيّة ، والفارسيّة مع تفسير لرشيد الدين الطوطا المتوفى (٥٧٨ / ١١٨٢) ... و- أمثال سيّدنا علي .
ينسب جمعها إلى الجاحظ كما روى ذلك ابن قتيبة في عيون الأخبار : كوبر يلي ١٥٦... وطبعت هذه الأمثال في التحفة البهيّة . استانبول ١٣٠٢ ص ١٠٧ -

(١) ترجمه الدكتور عبد الحليم النجار من اللغة الألمانية إلى العربيّة.

فترى إطلاق الأمثال على حكم الإمام (عليه السلام) ، وفيه الشهادة.

الحِكم

الحِكم جمع الحكمة وهي في اللغة : العلم الذي يرفع الإنسان عن فعل القبيح ، مستعار من حَكَمَة اللجام وهي : ما أحاط بحَنك الدابة تمنعها عن الخروج^(٢).

علي بن أبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن بعض أصحابه عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال : « مامن عبد إلا وفي رأسه حَكَمَة وملك يمسكها ، فإذا تكبر قال له : اتضع وضعك الله ، فلا يزال أعظم الناس في نفسه ، وأصغر الناس في أعين الناس ، وإذا تواضع رفعه الله عز وجل ، ثم قال له : انتعش نعشك الله^(٣) فلا يزال أصغر الناس في نفسه ، وأرفع الناس في أعين الناس^(٤) .

قال ابن الأثير :

وفي الحديث : « ما من آدمي إلا وفي رأسه حَكَمَة » ، وفي رواية : « في رأس كل عبد حَكَمَة ، إذا هم بسيئة ، فإن شاء الله أن يقدعه قَدَعَه » . الحكمة حديدة

(١) تاريخ الأدب العربي ١٧٩ ، دار المعارف بمكة ، ١١١٩ ، الطبعة الثانية ، مطابع دار المعارف بمصر ١٩٦٨ .

لا يخفى أنا قد راجعنا عيون الأخبار فلم نجد المائة المثل ، فلعلها كانت في نسخته .

(٢) مجمع البحرين - حكم - .

(٣) الانتعاش : الارتفاع والنهوض . انتعش العائر : إذا نهض من عنثرته ، وبه سمي سرير الميت نعشاً لارتفاعه النهاية ٨١/٥ - نعش - .

(٤) أصول الكافي ٣١٢/٢ ، باب الكبير : الحديث ١٦ .

في اللجام تكون على أنف الفرس وحَنَكه ، تمنعه عن مخالفة راحبه . ولما كانت الحكمة تأخذ بقم الدابة ، وكان الحَنَك متصلاً بالرأس جعلها تمنع من هي في رأسه، كما تمنع الحكمة الدابة^(١).

قوله : « قَدَعَه » من القَدَع : الكفّ والمنع^(٢) .
قال ابن فارس : يقال حكمت السفينة ، وأحكمته : إذا أخذت على يديه .

قال جرير :
أبني حنيفة أحكموا سفهاءكم
إني أخاف عليكم أن أغضبا^(٣)

فالحكمة في الأصل المنع في كلّ مقام بحسبه ، وفي كلّ فنّ يراد بها ما يناسبه كما تأتي الإشارة إليه^(٤) .

الحكمة في الشرع :

فَسّرت الحكمة في عرف الشرع بتفاسير كثيرة : بطاعة الله ، ومعرفة الإمام (عليه السلام) كما في الحديث الباقر^(٥) في تفسير ﴿ يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً ﴾^(٦) .

وبالمعرفة والتفقه في الدين كما في الصادقي: «إن الحكمة المعرفة، والتفقه في الدين ، فمن فقه منكم فهو حكيم ، وما أحد يموت من المؤمنين أحبّ إلى

(١) النهاية ٤٢٠/١ - حكم - .

(٢) النهاية ٢٤/٤ - قدع .

(٣) معجم مقاييس اللغة ٩١/٢ - حكم .

(٤) لماذا صارت الحكمة على الألسن حِكْمَة بكسر الحاء وسكون الكاف ؟ فلعلها كان ذلك طلباً للخفة لكثرة استعمالها في الفنون .

(٥) البحار ٢١٥/١ .

(٦) البقرة : ٢٦٩ .

إبليس من فقيه»^(١).

وبالفضائل ؛ ففي صادقي : «الحكمة : ضياء المعرفة، وميراث التقوى ، وثمره الصدق وما أنعم الله على عبده من عباده نعمةً أنعم وأعظم وأرفع وأجزل وأبهي من الحكمة قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَيُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ - إِلَى - وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾^(٢) أي لا يعلم ما أودعت وهيآت في الحكمة إلا من استخلصته لنفسه وخصَّصته بها ، والحكمة هي الثبات ، وصفة الحكيم : الثبات عند أوائل الأمور ، والوقوف عند عواقبها...»^(٣).

ونبوي : «إنَّ هذه القلوب تملُّ كما تملُّ الأبدان فاهدوا إليها طرائف الحكم»^(٤).

وعلوي : «الحكمة روضة العقلاء ونزهة النبلاء»^(٥).

وآخر : « خذ الحكمة أتى كانت »^(٦).

وآخر : «إنَّ الحكماء ضيعوا الحكمة لما وضعوا عند غير أهلها»^(٧).

وصادقي : «كثرة النظر في الحكمة تلحق العقل»^(٨).

وهادوي : «الحكمة لا تنجع في الطباع الفاسدة»^(٩).

(١) البحار ١/٢١٥.

(٢) البقرة : ٢٦٩.

(٣) البحار ١/٢١٥ - ٢١٦.

(٤) البحار ٧٧/١٦٨.

(٥) غرر الحكم ٤٠ حرف الألف.

(٦) النهج ١٨/٢٢٩ . الحكمة ٧٧.

(٧) البحار ٧٨/٣٤٥.

(٨) البحار ٧٨/٢٤٧.

(٩) البحار ٧٨/٣٧٠.

ونبوي : «الحكمة ضالة المؤمن»^(١).

وأخر : «ما أخلص عبد لله عزَّ وجلَّ أربعين صباحاً إلا جرت ينابيع

الحكمة من قلبه إلى لسانه»^(٢).

هذه نبذة من أحاديث الحكمة، والعلامة المجلسي طاب ثراه بعد ذكر

الأحاديث قال :

بيان :

قيل الحكمة تحقيق العلم وإتقان العمل. وقيل : ما يمنع من الجهل. وقيل : هي

الإصابة في القول . وقيل هي طاعة الله ، ونهي النفس عن غيرها^(٣). وقيل : هي

الفقه في الدين . وقال ابن دُرَيْد : كل ما يؤدي إلى مكربة ، أو يمنع من قبيح .

وقيل : ما يتضمّن صلاح النشأتين . والتفاسير متقاربة ، والظاهر من الأخبار أنها

العلوم الحقّة النافعة مع العمل بمقتضاها ، وقد تطلق على العلوم الفائضة من

جنابه تعالى على العبد بعد العمل بما علم^(٤).

الحكمة في فنّ الفلسفة

المشهور على ألسن القوم أنّها : العلم بحقائق الأشياء على قدر الطاقة

(١) الأمثال النبويّة ٣٧٦/١.

(٢) عيون أخبار الرضا (ع) ٦٨/٢.

وفي حديث المعراج : « يا أحمد إنَّ العبد إذا جاع بطنه ، وحفظه لسانه علّمته الحكمة ،

وإن كان كافراً تكون حكمته حجة عليه ووبالاً ، وإن كان مؤمناً تكون حكمته له نوراً

وبرهاناً ونفاه ورحمة .. » الجواهر السنيّة ٢٠٠.

(٣) وانشد الأودي كما في البيان والتبيين ١٣٥/١ :

ابداً بنفسك فانهبها عن غيرها

فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

فهنالك تعذر إن وعظت ويقتدى

بالقول عنك ويقبل التعليم

(٤) البحار ٢١٥/١.

البشرية ، وفي الحكمة المتعالية للسبزواري قال ناظمها :

نظمتها بالحكمة التي سمت في الذكر بالخير الكثير سميت

أي في القرآن المجيد بالخير الكثير سميت ، قال تعالى وتبارك : ﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً﴾^(١) ؛ لأن الحكمة هي الإبان المشار إليه بقوله تعالى : ﴿والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله﴾^(٢) ، الآية وهي المعرفة ، وبقول الحكماء : الحكمة صيرورة الإنسان عالماً عقلياً مضاهياً للعالم العيني ، ولأن الحكمة كما قالوا : أفضل علم بأفضل معلوم ، أما أنها أفضل علم ، فلأنها علم يقيني لا تقليد فيه أصلاً بخلاف سائر العلوم ، ولأن فضيلة العلم إما بفضيلة موضوعه ، أو بوثاقة دلائله ، أو بشرافة غايته . والكل حق هذا العلم بلا حاجة إلى البيان...^(٣) .

أقول : يريد أن سائر العلوم لا تحصل إلا بالتقليد والتعبد ، أو الواصل إليها من طريق اليقين نادر ، وأما علم الحكمة فليس كذلك ، لأنه علم يقيني دائماً.

إذا حصل اليقين من دراسة الحكمة هل هو اليقين المصيب للواقع لا خطأ فيه أبداً ؟ أو كان الخطأ ولو في بعض الأمور الاعتقادية يحسب أنه عالم وهو جاهل بجهل مركب لا يدري أنه جاهل ؟ وهل إذا وصل الطالب الى مغالطة ابن كمونة عن إلهين اثنين على مبنى أصالة الماهية يضمن له السلامة والأمن عن الانحراف عن الإله الواحد تعالى ما لم يحكم الإبان به وبرسوله وأهل البيت عليهم السلام ؟.

(١) البقرة : ٢٦٩ .

(٢) البقرة : ٢٨٥ .

(٣) المنظومة في الحكمة ٧ .

تساءل من كلِّ ، والجواب عنه من الواحد الذي يملك حوائج السائلين، ويعلم ما في ضمير الصامتين لكلِّ مسألة منه سمع حاضر وجواب عتيد وهو الله تعالى .

الحكمة في فنّ الأدب

الحكمة عند الأديب : ما يحسن من الكلام ولم يسر ، فإذا سار فهو مثل هذا تعريف لها من أبي هلال العسكري قال : جعل كلَّ حكمة سائرة (مثلاً)، وقد يأتي القائل بما يحسن من الكلام أن يتمثل به إلا أنه لا يتفق أن يسير فلا يكون مثلاً^(١).

وتراه لم يشترط في المثل ولا في الحكمة الإيجاز وقصر القول من الكلام والمتبادر من الحكمة هي الكلمة القصيرة الجالبة للنظر ، والتعريف الأجدر: هو أنّها كلُّ ما يجلب المصلحة والنفع العام من الكلمات ويضمن الفائدة العائدة إلى دنيا الإنسان أو دينه فالكلمة الفاقدة لها ليست من الحكمة في شيء ، والأمثال كذلك هي حكم سائرة ولكنك قد عرفت أنّها أحد الأقسام الثلاثة ، وجمع بينهما وقيل الأمثال والحكم فهو من الجمع بين دالّتين ومن باب نسبة العام والخاص من النسب الأربعة^(٢) قال تعالى : ﴿ و ملائكته ورُسُله وجبريل ﴾^(٣) وجبريل أحد الملائكة وداخل فيهم وتخصيصه بالذكر لأمر مقصود وكذلك الأمثال داخلة في الحكم ؛ ومن ثم اكتفينا عن ذكر فوائدها بذكر فوائد الأمثال التي سنتفصلها إن شاء الله.

(١) الجمهرة ٥/١ . وقد سبق ذكره عند تعريف المثل.

(٢) التساوي ، والتباين ، والعموم والخصوص المطلق ، أو من وجه.

(٣) البقرة : ٩٨ .

هنا سؤال :

قلتُم : إنَّ الحكمة ما يجلب النفع لصاحبها العائد إلى دنياه أو دينه . وأيُّ نفع منها عائد إليه فيما يتمثل من الكلمات المستقبح ذكرها ، والتافهة منها ؟ .

والجواب :

لمَّا كان الغرض من النفع العام تختلف ظاهرته بحسب المواضع والأهداف وما يقتضيه ذكر الكلمة المستقبحة الذكر ، فلا إشكال فيه : لأنَّه وفق الحال .

ومنه المثل العلوي : « اسكت يا ابن حمران العجان » .
قيل إنَّ أعجمياً عارضَ عليّاً (عليه السلام) فقال : « اسكت ... » هو سبَّ كان يجري على السنة العرب^(١) يضرب للاستخفاف . والمراد بالأعجمي رجل من الموالي أنَّه عارضه فقال له ذلك . أراد يا ابن أمة .

قال جرير :

إذا ما قلت قافية شرودا تنحلها ابن حمران العجان^(٢)

لم نتحقَّق الحديث .

ومنه المثل الآخر : « من يعذرني من هؤلاء الضباطرة »^(٣) . تعرَّضنا للمثلين

(١) النهاية ١٨٨/٣ - عجن .-

(٢) الفائق ٣١٩/١ - حمر . العجان ككتاب : ما بين الخصية وحلقة الدبر ... مجمع البحرين

- عجن .-

(٣) النهاية ٨٧/٣ - ضطر .-

فراجع^(١).

والمثل العلوي الآخر : « مَنْ يَفْعَلُهُ أَضِيقَ حَلْقَةَ إِسْتِ مِنْكَ »^(٢) ، ضربه (عليه السلام) مثلاً للذي أراد الفتك به في الصلاة في قصة مؤامرة مدبرة من بعض الرجال بأن يقتله وهو في الصلاة ، وبعد انكشاف المؤامرة قال (عليه السلام) له : أو كنت فاعلاً ؟ فقال : إي والله لولا أنه نهاني لوضعت - يعني سيفه الذي كان معه - في أكثرك شعراً ، فقال له (عليه السلام) : كذبت لأمك ، من يفعله أضيق حلقة إست منك ، أما والله الذي فلق الحبة ، وبرء النسمة لولا ما سبق من القضاء لعلمت أي الفريقين شرّ مكاناً وأضعف جنداً....^(٣) لولا الخروج عن الموضوع لسردناها عن آخرها .

وقد ذكرنا في مقدّمة كلمات الإمام الرضا (عليه السلام) حديثاً له علقه بالمقام رواه الشيخ الكليني في مرفوع أبي مريم الأنصاري : أن الحسن بن علي (عليهما السلام) خرج من الحمام ، فلقبه إنسان ، فقال : طاب استحمامك ، فقال : يا لكع^(٤) وما تصنع بالإست ؟ فقال : طاب حميمك ، فقال : أما تعلم أن الحميم : العرق ؟ قال : فطاب حمامك . قال : وإذا طاب حمامي فأني شيء لي ؟ ولكن قل : طهر ما طاب منك ، وطاب ما طهر منك^(٥) .

(١) الأمثال والحكم العلوية مخطوط . والنضباطرة : جمع ضيطار : من لا غناء عنده ، الضخيم .

(٢) البحار ٩٣/٨ ، القديم .

(٣) البحار ٩٣/٨ ، النطعة القديمة الرحلية .

(٤) قال ابن الأثير : اللكع عند العرب العبد . ثم استعمل في الحمق والذم . يقال للرجل لكع ، وللمرأة لكاع ، وأكثر ما يقع في النداء وهو اللثيم ، وقيل الوسخ ... ومنه حديث الحسن « قال لرجل : يا لكع » .

يريد يا صغيراً في العلم والعقل . النهاية ٤/٢٦٨ - ٢٦٩ - لكع .

(٥) الكافي ٥٠٠/٦ . وفي البحار ١١١/٤٤ : ولا يقال : « طاب حمامك » وإنما يقال : طابت حمتك .

قيل : لا مناسبة لحروف الطلب هاهنا أي بعد الخروج من الحمام مع استهجان لفظ الإست

ومنه المثل السائر الصادقي رواه الشيخ الكليني طاب ثراه قال :
 عدّة من أصحابنا عن سهل بن زياد عن الوشا عن منصور بن يونس
 عن عبّاد بن كثير قال : قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) : إني مررت بقاصّ
 يقصّ وهو يقول : هذا المجلس [الذي] لا يشقى به جليس ، قال : فقال أبو
 عبد الله (عليه السلام) : هيهات هيهات أخطأت أستاذهم الحفرة ، إنّ الله ملائكة
 سيّاحين سوى الكرام الكاتبين ، فإذا مرّوا يقوم يذكرون محمداً وآل محمد قالوا
 قفوا ، فقد أصبتم حاجتكم ، فيجلسون ، فيتفقهون [فيتفقون] معهم ، فإذا قاموا ، عادوا
 مرضاهم ، وشهدوا جنائزهم ، وتعاهدوا غائبهم . فذلك المجلس الذي لا يشقى
 به جليس^(١).

قال العلامة المجلسي (طاب ثراه) :

القاصّ راوي القصص ، والمراد هنا القصص الكاذبة الموضوعة ، وظاهر
 أكثر الأصحاب تحريم استماعها كما يدلّ عليه قوله تعالى : ﴿ سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ ﴾^(٢) .
 «أخطأت أستاذهم الحفرة» الخطأ ضدّ الصواب . والإخطاء عند أبي عبيد:
 الذهاب إلى خلاف الصواب مع قصد الصواب . وعند غيره : الذهاب إلى غير
 الصواب مطلقاً عمداً وغير عمد . والأستاذ بفتح الهمزة والهاء أخيراً : جمع
 الإستاذ بالكسر وهي : حلقة الدبر . وأصل الإستاذ سَتته بالتحريك ... ، والمراد
 بالحفرة الكنيف الذي يتغوط فيه ، وكان هذا مثلاً سائراً يضرب لمن استعمل
 كلاماً في غير موضعه ، أو أخطأ خطأً فاحشاً . وقد يقال : شبّهت أفواههم
 بالأستاذ ، تفضيحاً لهم ، وتكرير « هيهات » : أي بُعد هذا القول عن

بمعناه الآخر ... وانظر الأمان والحكم المستخرجة من كلمات الإمام الرضا (عليه السلام) ، ١١ ،

الحديث الحسن في متنه ، وبعض التعليقات الذي نقلناه من هامشه .

(١) أصول الكافي ١٨٦/٢ - ١٨٧ ، باب تذاكر الإخوان ، الحديث ٣ .

(٢) المائدة : ٤١ .

أمثال وحكم الإمام الكاظم عليه السلام / ج ١ ٤٧
الصواب ، للمبالغة في البعد عن الحق^(١) ...

أقول :

قال الميداني (أخطأت استه الحفرة) : يضرب لمن رام شيئاً فلم ينله ، ويروى أن المختار بن عبيد قال وهو بالكوفة : والله لأدخلن البصرة لأرمنى بكتاب^(٢) ، ثم لأملكن السند والهند والبند^(٣) ، أنا والله صاحب الخضراء والبيضاء ، والمسجد الذي ينبع منه الماء ، فلما بلغ هذا القول الحجاج بن يوسف قال : (أخطأت إست ابن عبيد الحفرة) ، أنا والله صاحب ذلك^(٤) .
أراد تخطئة ما ادّعاه خصمه من السيطرة على ما ذكره ، وأنه كمن أخطأت إسته حفرة الغائط تهجيناً له عن أن ينال ما قال وقد عرفت مضرب المثل السائر.

وإنما ذكرنا أمثلة من الأمثال السائرة التي لا تفارق الحكمة لكونها على وفقها لاقتضاءها المقام والبلاغة ، وفي القرآن الكريم الذي يأخذ عنه أدب الكلام ، والبلاغة ، بعض هذه المعاني ، والتصريح لأجل التنزيه ، منه قوله تعالى : ﴿ ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها ﴾^(٥) .

قال السيد الطباطبائي بعد الآية : ثناء عليها على عفتها ، وقد تكرّر في القرآن ذكر ذلك ، ولعلّ ذلك بإزاء ما افتعله اليهود من البهتان عليها كما قال تعالى : ﴿ وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً ﴾ النساء : ١٥٦ ، وفي سورة الأنبياء

(١) مرآة العقول ٨٤/٩ - ٨٥ .

(٢) على وزن رمان : السهم لانصل له ولا ريش . هامش مجمع الأمثال ٢٤٦/١ .

(٣) العلم الكبير ، والبحيرة .

(٤) مجمع الأمثال ٢٤٥/١ - ٢٤٦ ، الرقم ١٣١١ ، حرف الخاء .

(٥) التحريم : ١٢ .

في مثل القصة : ﴿ والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها ﴾ الأنبياء : ٩١^(١) .

وقال الرازي :

﴿ أحصنت ﴾ أي عن الفواحش ؛ لأنها قذفت بالزنا ، والفرج حمل على

حقيقته ، - قال ابن عباس : نفخ جبريل في جيب الدرع...^(٢) .

وللآية تفاسير من أحب راجعها ، وتجد القرآن في موضع لا يختار الآ

التصريح ، وفي آخر تأتي البلاغة فيه أيضاً وتكون بالتلويح ، قال تعالى تكتنية

عن الجماع : ﴿ فالآن باشروهن ﴾^(٣) و ﴿ أو لامستم النساء ﴾^(٤) ، و ﴿ من

قبل أن تمسوهن ﴾^(٥) .

فوائد المثل :

قد اهتمت - الأجيال علماءها وأدباؤها بالأمثال ، وعدوها من

الفنون الأدبية المستقلة ، وحاولوا ضبط ما وصل إليهم من كل جيل

من تمثيل العرب ، وغيرهم ؛ إذ لا يخصّ جيلاً دون جيل ، ولا لغة دون أخرى .

الأمثال من الطاقات والثروات البلاغية ، يبلغ بها الإنسان إلى أهدافه ؛ لكونها

جزءاً لا يتجزء من البيان مما امتنّ الله تعالى به على الإنسان ؛ قال عزّ من قائل :

﴿ خلق الإنسان * علّمه البيان ﴾^(٦) ، والأمثال من أجلى ظاهرة البيان ،

(١) تفسير الميزان ١٩/٣٤٥ .

(٢) التفسير الكبير ٨/١٧٦ .

(٣) البقرة : ١٨٧ .

(٤) المائدة : ٦ .

(٥) البقرة : ٢٣٦ - ٢٣٧ .

(٦) الرحمن : ٣ - ٤ .

وغاية المطاف ، ونهاية الأوصاف ، الأمثال تشفي العليل ، وتروي الغليل ،
وتضمن التكميل ؛ و (لَيْسَ وَرَاءَ عَبَّانَ قَرِيَّةٌ)^(١) .

أرى أن أذكر من كلمات القوم نبذة تمنحك علماً بها للأمثال من فوائد .
قال ابن عبد ربه في كتاب الجوهرية في الأمثال :

ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه في الأمثال ، التي هي وشي الكلام ،
وجوهر اللفظ ، و حلي المعاني ، والتي تحيرتها العرب ، وقدمتها العجم ، ونطق بها
كلّ زمان وعلى كلّ لسان . فهي أبقى من الشعر ، وأشرف من الخطابة ، لم يسر
شيء مسيرها ، ولا عمّ عمومها ، حتى قيل : أسير من مثل . وقال الشاعر :

ما أنت إلا مثل سائر يعرفه الجاهل ، والخابِر

وقد ضرب الله عزّ وجلّ الأمثال في كتابه ، وضربها رسول الله (صلى الله
عليه وسلم) في كلامه . قال الله عزّ وجلّ : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبٌ مِثْلُ
فَاسْتَمِعُوا لَهُ ﴾^(٢) ، وقال : ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ ﴾^(٣) ومثل هذا كثير في
القرآن.....^(٤) .

وقال ناظم مجمع الأمثال :

واجتمعت أربعة في المثل	منها سواه قد خلى كلّ جلي
إيجاز لفظ وإصابة لما	عني وتشبيهه بحسن وسما
رابع هُذي جودة الكناية	بها البليغ أدرك النهاية
وجعلك الكلام يبدو مثلاً	أوضح للمنطق في ما نقلاً

(١) مجمع الأمثال ٢/٢٥٧ ، المولدون ، حرف اللام ، أمثال وحكم ٣/١٣٧٥ .

(٢) الحج : ٧٣ .

(٣) النحل : ٧٦ .

(٤) العقد الفريد ٣/٣ .

ولشعوب ما حكيت أوسع وهو يرى آتق حين يُسمع

قال إبراهيم النخّام: يجتمع في المثل أربعة لا يجتمع في غيره من الكلام: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وجودة الكناية. فهو نهاية البلاغة.

وقال ابن المقفّع: إذا جعل الكلام مثلاً كان أوضح للمنطق، وآتق للسمع، وأوسع لشعوب الحديث^(١).

وأجمع ما رأيت لبيان فوائد التمثيل من كلام الجمهور ثلاثة نذكرها:

قال أبو السعود العمادي:

إنّ التمثيل ليس إلا إبراز المعنى المقصود في معرض الأمر المشهود، وتحلية المعقول بحلية المحسوس، وتصوير أوابد المعاني بهيئة المأنوس، لاستمالة الوهم، واستنزاله عن معارضته للعقل، واستعصائه عليه في إدراك الحقائق الخفية، وفهم الدقائق الأبيّة، كي يتابعه فيما يقتضيه ويشايه إلى ما لا يرتضيه، ولذلك، شاعت الأمثال في الكتب الإلهية، والكلمات النبوية، وذاعت في عبارات البلغاء، وإشارات الحكماء.

إنّ التمثيل ألطف ذريعة إلى تسخير الوهم للعقل، واستنزاله من مقام الاستعصاء عليه، وأقوى وسيلة إلى تفهيم الجاهل الغبيّ، وقمع سورة الجاحم الأبيّ، كيف لا وهو رفع الحجاب عن وجوه المعقولات الخفية، وإبراز لها في معرض المحسوسات الجليّة، وإبداء للمنكر في صورة المعروف، وإظهار الوحشي في هيئة المألوف^(٢).

(١) فراند اللئال في مجمع الأمثال ١١/١.

(٢) تفسير أبي السعود على هامش تفسير الرازي ١٠٦/١ - ١٠٧ و ١٥٣، الطبعة الأولى،

وقال الجرجاني :

اعلم أنّ مما اتَّفَقَ العقلاء عليه أنّ التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني ،
أوبرزت هي باختصار في معرضه ، ونقلت عن صورها الأصيلة إلى صورته ،
كسأها أبهةً ، و [أ] كَسَبَهَا مَنَقَبَةً ، ورفَع من أقدارها ، وشدَّ من نارها ، وضاعَف
قواها في تحريك النفوس لها ، ودعا القلوب إليها ، واستثار من أقاصي الأفئدة
صبايةً وكلفاً ، وقَسَرَ الطباع على أن تُعطيها محبةً وشغفًا .

فإن كان ذمًّا كان مسه أوجع ، وميسمه ألدع ، ووقعه أشدَّ ،
وحده أهدَّ .

وإن كان حجاجاً كان برهانه أنور ، وسلطانه أقهر ، وبيانه
أبهر .

وإن كان افتخاراً كان شأوه أبعَد ، وشرفه أجدَّ^(١) ولسانه ألدَّ .

وإن كان اعتذاراً كان إلى القبول أقرب ، وللقلوب أخلب^(٢)

وللسخائم أسلَّ ، ولغرب الغضب أفلَّ ، وفي

عقد القلوب أنفت ، وحسن الرجوع أبعث .

وإن كان وعظاً كان أشفى للصدور وأدعى للفكر ، وأبلغ في

التنبيه والزجر ، وأجدد أن يجلي الغياية^(٣) ، ويبصر الغاية ، ويبرء العليل ، ويشفي

→ بالمطبعة الخيرية بمصر ، ١٣٠٧هـ ، ثمانية مجلدات .

(١) من الجدَّ : الحظَّ . يقال : هو أجد منك : أي أحظَّ . أو الجدَّ : العظمة . اللسان ١٠٧/٣ -

١٠٨ - جدد - .

(٢) ولعلَّ الأجلب « أجلب » .

(٣) بيانين مشتاتين : كلُّ ما أظلك من فوق رأسك . هامش أسرار البلاغة ٩٥ ، ويحتمل بالباء

الغليل^(١).

وقال عبد الفتاح :

والأمثال قَسَمَات واضحة بيّنة لوجه الأمة التي صدرت عنها ، ووصف
ضمنيّ لوسائل حياتها ، وطرق معيشتها ، وهي فوق ذلك تكشف القناع عن
نفسية الشعوب ، وترفع الحجب عن طبائع الأمم ، فنرى النفس البشرية في
صفاتها وفطرتها الأولى.

وتعتبر الأمثال أصدق الوسائل الأدبية تعبيراً، ولهذا تلقى ترحيباً من الأمة
على اختلاف أفرادها في ثقافتهم ومبادئهم ونزعاتهم ، وطرق معيشتهم بل وتقبلهم
لألوان الحياة...

وكثيراً ما يحزنك أمرٌ ، أو يهبط عليك سرور ، أو تدهش لحادث . فتجد
نفسك لاشعورياً تنطق بالمثل ؛ وكأنها تذكرت طبيعتك الإنسانية أن موقفك هذا
شبيه بموقف صاحبك حين ضرب مثله ، وأن لفظه هذا هو الذي يعبر عنك ،
ويشفي جواك...^(٢)

والأمثال تجارب وعقليّات أجيال غابرة يلمسها الجيل الحاضر ، وينظر
إليها من وراء أستار شفافة ، وهذا عجيب . تطفح بعلوم وأعاجيب أكثر والناس
في غفلة منها . وهذه بعض حسناتها من دون استقصاء ، فنقف معترفين .

نهج الكتاب :

إننا منحناه اسم (أمثال وحكم الإمام الكاظم عليه

→

الموحدة.

(١) أسرار البلاغة ٩٢ - ٩٦.

(٢) التمثيل والمحاضرة ٢٣ ، المقدمة للمعلق.



السلام ، وكلماته المختارة) : لاشتتاله على المثل ، والحكمة ، والكلمة التي ليست بمثل ، ولا حكمة بل هي من كلمات اخترناها ، وأحبينا إيرادها ، وَعَدَدَ لنا عن تنليث الأقسام ، ليختار من شاء التسمية لأية كلمة منها ، فيعتبرها مثلاً ، أو حكمة ، أو مختارة ؛ ولثلاً يبقى في التسمية تشاجر .
وذكرنا للمثل أقسامه الثلاثة : السائر ، والقياسي ، والروائي المعبر عنه بالكلمة الصالحة للمثل وهي في الحقيقة من الحكم المتقدم توضيحها في مقدمة الكتاب ، وسائر كتبنا المثلية . وخذ لكل مثلاً :

المثل السائر : « اتق المرتقى السهل إذا كان منحدره وعراً »^(١) .

المثل القياسي : « المؤمن مثل كفتي الميزان »^(٢) .

المثل الروائي : « أبره يأمير الأمم الظالم »^(٣) .

فإن الكلمة الثالثة صالحة للمثل ، فقال لمن يظلم الناس بلا مبرر ، أو عذر مقبول .

وتأتي الكلمة منظمة الحروف ، والأرقام ، ولا يعتد بلام التعريف ، ثم يعقبها المأثور الكاظمي بكامله ، أو بقدر الحاجة لمناسبة في الجهتين تذكر ، ويعقبه مصدره ومأخذه ، وما كان له من شرح ، أو تعليق لنا ، أو لغيرنا ، وأحياناً نذكر ترجمة الراوي . وليس من عادتنا ردّ الرواية المحتمل صدورها ، لإرسال ، أو جهة أخرى تكون في السند بعد صحة المتن ، إلا ما خالف الأدلة الشرعية ، أو دليل العقل ، فإن الرواية تردّ إلى راويها ، أو يضرب بها عرض الجدار : إذا لم يكن لتأويلها مساع ، ولا من الكتاب العزيز ، أو من الأحاديث شاهد بعد العرض

(١) حرف الهمزة مع التاء .

(٢) حرف الميم مع الهمزة .

(٣) حرف الهمزة مع الباء .

٥٤ المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام

عليهما .

ونسأل الله العون والتوفيق ؛ فإنه تعالى وليّ ذلك ، ونحمده ، ونصليّ على

محمد وآل محمد .



حرف الهمزة

١

الآخرة طالبة ومطلوبة

إن لم تكن هذه الكلمة من الأمثال فهي من الحكمة الصالحة لها ، تقال للترغيب ، والترهيب ، والتلازم بين الطالبية والمطلوبية ، وبين الدنيا والآخرة . قال الشيخ الكليني (طاب ثراه) :

أبو عبد الله الأشعري عن بعض أصحابنا رفعه عن هشام بن الحكم قال: قال لي أبو الحسن موسى بن جعفر (عليهما السلام) : يا هشام إن الله تبارك وتعالى بشر أهل العقل والفهم في كتابه ، فقال : ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾^(١) ، ...

يا هشام إن العقلاء زهدوا في الدنيا ، ورغبوا في الآخرة ؛ لأنهم علموا أن الدنيا طالبة ، مطلوبة ، والآخرة طالبة ومطلوبة ، فمن طلب الآخرة طلبته الدنيا حتى يستوفي منها رزقه ، ومن طلب الدنيا طلبته الآخرة فيأتيه الموت فيفسد عليه دنياه وآخرته^(٢) .

لطالبية الدنيا والآخرة ، ومطلوبيتها بيان ذكره شارحو الحديث ، وكذا حذف العاطف وثبوته .

قال العلامة المجلسي رحمه الله :

قوله (عليه السلام) : « طالبة مطلوبة أي الدنيا طالبة للمرء لأن يوصل

(١) الزمر : ١٧ - ١٨ .

(٢) أصول الكافي ١/ ١٣ ، و ١٨ ، كتاب العقل والجهل ، الحديث ١٢ .

إليه ما عندها من الرزق المقدر ، ومطلوبة يطلبها الحريص ، طلباً للزيادة .
«والآخرة طالبة» تطلبه لتوصل إليه أجله المقدر . «ومطلوبة» يطلبها الطالب
للسعادات الآخروية بالأعمال الصالحة^(١).

وقال الفيض :

طالبيه الدنيا عبارة عن إيصالها الرزق المقدر إلى من هو فيها ليكونوا
فيها إلى الأجل المقرر ؛ ومطلوبيتها عبارة عن سعي أبنائها لها ليكونوا على
أحسن أحوالها . وطالبيه الآخرة عبارة عن بلوغ الأجل وحلول الموت لمن هو
في الدنيا ليكونوا ، ومطلوبيتها عبارة عن سعي أبنائها لها ليكونوا على أحسن
أحوالها.

ولا يخفى أن الدنيا طالبة بالمعنى المذكور . لأن الرزق فيها مقدر مضمون
يصل إلى الإنسان لا محالة ، طلبه أولاً ؛ ﴿ وما من دابة في الأرض إلا على الله
رزقها ﴾^(٢).

وأن الآخرة طالبة أيضاً ؛ لأن الأجل مقدر كالرزق مكتوب ﴿ قل لن
ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذا لا تتمتعون إلا قليلاً ﴾^(٣).
وقال السيد شبر :

إن الطالبيه والمطلوبيه في كل من الدنيا والآخرة تتصور على وجهين :
أحدهما : أن كلّا منها متصفة بهما مع قطع النظر عن الأخرى .
ثانيهما : أن كل واحد منهما طالبة عند كون الأخرى مطلوبة ، ومطلوبة

(١) مرآة العقول ٥٩/١.

(٢) هود : ٦.

(٣) الأحزاب : ١٦ ، الوافي ١٠١/١ ، باب العقل والجهل ، الحديث ١٦ . وهامش أصول الكافي

عند كون الأخرى طالبة، ويرشد إليه قوله (عليه السلام): «فمن طلب الآخرة طلبته الدنيا» أي حتى يستوفي منها رزقه كما قال (صلى الله عليه وآله): «لا تموت نفس حتى تستكمل رزقها»^(١)، وقال الصادق (عليه السلام): «لو كان العبد في جحر لأتاه الله برزقه»^(٢). ومن طلب الدنيا وصرف عمره فيها طلبته الآخرة حتى يستوفي منها أجله، فيأتيه الموت، فيفسد عليه دنياه لانقطاعه عنه، وعدم وفائها له، وآخرته لعدم صرف فكره إليها^(٣). وجه التلازم بهذه الكلمات المذكورة واضح.

بقي بيان السرّ في حذف العاطف في «أن الدنيا طالبة مطلوبة»، وإثباته في «والآخرة طالبة ومطلوبة».

وهل العاطف ثابت في الفقرة الأولى كالثانية، وقد سقط من رواية الراوي، أو أنه أسقطه الإمام الكاظم (عليه السلام) لنكتة تفوت بإثباته؟؟.

والجواب:

أن تصدّي شراح الحديث لبيان وجه الحذف في أحدهما، وسرّ الإثبات في الأخرى يكشف لنا عن إسقاط المعصوم (عليه السلام) له، ولولا ذلك لقلنا إنه من الراوي، وإليك من كلمات الشارحين منهم المجلسي رحمه الله وحاصل ذلك ما يلي:

قال السيد شبر:

ويبقى الكلام في النكتة في ترك العاطف في الأوّل، والإتيان به في الثاني ويمكن أن يكون لوجهين:

(١) الوسائل ٢٨/١٢.

(٢) الوسائل ٢٨/١٢.

(٣) مصابيح الأنوار في مشكلات الأخبار ٣٢٢/١، الحديث التاسع والأربعون.

الأول : أنه للتنبيه على أن الدنيا طالبة موصوفة بالمطلوبية فتكون الطالبية لكونها موصوفة بمنزلة الذات ، فدلّ على أن الدنيا من حقها في ذاتها أن تكون طالبة وتكون المطلوبة لكونها صفة لاحقة بالطالبية من الطواري والعوارض التي ليست من حق الدنيا في ذاتها أن تكون موصوفة بها ، فلو أتى بالعاطف لفاتت تلك الدلالة ...

الوجه الثاني : أن نجعل قوله « طالبة مطلوبة » خبراً بعد خبر كما هو الظاهر وحينئذ ففي ترك العاطف دلالة على عدم ارتباط طالبيتها بمطلوبيتها لوقوع الافتراق بينها باعتبار قلّة طالب الآخرة ، فاحتيج في ربط أحدهما إلى الآخرة ...^(١)

قال المجلسي :

وفي الآخرة فالأمران فيها مرتبطان لا يفارق أحدهما الآخر ، ولذا أتى بالواو الدالة على المقارنة في أصل الثبوت لها^(٢).

أقول : يماثل النكتة في حذف العاطف وإثباته ما قيل في آية ﴿ حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها ﴾ في الكافرين ، و﴿ حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها ﴾^(٣) في المتقين ؛ إن فتح جهنم مسبب عن كفرهم ، وأمّا فتح أبواب الجنة للمتقين ففضل ، لاجزاء ؛ إذ التقوى نعمة^(٤).

(١) مصابيح الانوار ١/ ٣٢١ - ٣٢٢.

(٢) مرآة العقول ١/ ٦٠.

(٣) الزمر : ٧١ - ٧٢ . هذا بعض الآية.

(٤) إذ لا يفضل بين السرط والجزاء بالواو الدال على أن الجزاء محذوف ، وقد فصل به في الثانية دون الأولى.

٢ أمين أمين

قال الشيخ المفيد (طاب ثراه) : روى علي بن أبي حمزة البطائي قال : خرج أبو الحسن موسى (عليه السلام) في بعض الأيام من المدينة إلى ضيعة له خارجة عنها فصحبته أنا وكان (عليه السلام) راكباً بغلة وأنا على حمار لي ، فلما صرنا في بعض الطريق اعترضنا أسد فأحجمتُ خوفاً وأقدم أبو الحسن غير مكترث به فرأيت الأسد يتذلل لأبي الحسن (عليه السلام) وهمهم ، فوقف له أبو الحسن كالمُصْغِي إلى هممته ووضع الأسد يده على كفل بغلته وقد همتني نفسي من ذلك وخفتُ خوفاً عظيماً، ثم تنحى الأسد إلى جانب الطريق ، وحوّل أبو الحسن (عليه السلام) وجهه إلى القبلة ، وجعل يدعو ويحرك شفّيته بما لا أفهمه ، ثم أومى إلى الأسد بيده أن امض ، فهمهم الأسد هممة طويلة وأبو الحسن (عليه السلام) يقول : (أمين أمين) ، وانصرف الأسد حتى غاب عن بين أعيننا ومضى أبو الحسن (عليه السلام) لوجهه واتبعته ، فلما بعدنا عن الموضوع لحقته ، فقلت له : جعلت فداك ما شأن هذا الأسد ولقد خفته والله عليك ، وعجبت من شأنه معك فقال لي أبو الحسن (عليه السلام) : إنه خرج إليّ يشكو عسر الولادة على لبوته ، وسألني أن أسأل الله أن يفرّج عنها ، ففعلت ذلك له ، وألقي في روعي أنها تلد ذكراً فخبّرتّه بذلك ، فقال لي : امض في حفظ الله فلا سلط الله عليك ، ولا على ذريّتك ، ولا على أحد من شيعتك شيئاً من السباع ، فقلت أمين^(١) .

(١) الإرشاد ٢٩٥ - ٢٩٦ ، البحار ٥٧/٤٨ - ٥٨ ، المناقب لابن شهر آشوب ٤ / ٢٩٨ ، الخرائج والجرائج ٦٤٩/٢ - ٦٥٠ .

أقول :

كلمة « آمين » قد فسرها أهل اللغة والأدباء بتفاسير نذكر بعضها .

قال ابن فارس :

قولنا في الدعاء : « آمين » قالوا : تفسيره اللهم افعل ؛ ويقال هو اسم

من أسماء الله تعالى . قال :

تباعد مني فطُحِلُّ وابنِ أمِّه آمين فزاد الله ما بيننا بعداً^(١)

وربما مدوا ، وحجته قوله^(٢) :

ياربِّ لاتسليني حبِّها أبداً ويرحم الله عبداً قال آميناً^(٣)

وقال ابن الأثير :

فيه « آمين خاتم ربِّ العالمين » يقال آمين وأمين بالمد والقصر ، والمد أكثر : أي إنه طابع الله على عباده ، لأن الآفات والبلايا تدفع به ، فكان كخاتم الكتاب الذي يصونه ويمنع من فساده وإظهار ما فيه . وهو اسم مبنى على الفتح ، ومعناه اللهم استجب لي . وقيل معناه كذلك فليكن ، يعني الدعاء . يقال آمن فلان يؤمن تأميناً^(٤) .

وقال ابن منظور :

أمين وأمين : كلمة تقال في إثر الدعاء ، قال الفارسي : هي جملة مركبة من فعل واسم ، معناه اللهم استجب لي ، قال : ودليل ذلك أن موسى (عليه السلام) لما دعا على فرعون وأتباعه فقال : ﴿ رَبَّنَا اطمس على أموالهم واشدد على

(١) أراد زاد الله بيننا بعداً آمين . اللسان ٢٧/١٣ - أمن - .

(٢) أي عمر بن أبي ربيعة . المصدر نفسه .

(٣) معجم مقاييس اللغة ١/١٣٥ - أمن - .

(٤) النهاية ١/٧٢ - أمن - .



قلوبهم ﴿^(١) قال هارون (عليه السلام) : آمين ، فطَبَّقَ الجملة بالجملة . وقيل معنى آمين كذلك يكون ... وقيل ايجابُ ربِّ افعَل ... ^(٢)﴾
في الحديث « آمين درجة في الجنة » أي أنّها كلمة يكتسب بها قائلها درجة في الجنة ^(٣) .

٣

أويت الى ركن شديد

روى السيد ابن طاووس عوذة الإمام الكاظم صلوات الله عليه لما ألقى في بركة السباع :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ وَحْدَهُ ، أَنْجَزَ وَعَدَهُ ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ ، وَأَعَزَّ جُنْدَهُ ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، أَصْبَحْتُ وَأَمْسَيْتُ فِي حِمَى اللَّهِ الَّذِي لَا يَسْتَبَاحُ ، وَسِتْرِهِ الَّذِي لَا تَهْتِكُهُ الرِّيحُ وَلَا تَخْرُقُهُ الرِّمَاحُ ، وَذِمَّةِ اللَّهِ الَّتِي لَا تَخْفَرُ ، وَفِي عِزَّةِ اللَّهِ الَّتِي لَا تَسْتَذِلُّ وَلَا تَقْهَرُ ، وَفِي حَزْبِهِ الَّذِي لَا يَغْلِبُ ، وَفِي جُنْدِهِ الَّذِي لَا يَهْزَمُ ، بِاللَّهِ اسْتَفْتَحْتُ وَاسْتَنْجَحْتُ ، وَتَعَزَّزْتُ وَاسْتَنْصَرْتُ وَتَقَوَّيْتُ وَاسْتَعْنَيْتُ بِاللَّهِ ، وَبِقُوَّةِ اللَّهِ ضَرَبْتُ عَلَى أَعْدَائِي ، وَقَهَرْتُهُمْ بِحَوْلِ اللَّهِ ، وَاسْتَعْنَيْتُ عَلَيْهِمْ بِاللَّهِ ، وَفَوَضْتُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ ، حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿ وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ ^(٤) شَاهَتْ وَجُوهُ أَعْدَائِي فَهُمْ لَا يَبْصُرُونَ ﴿ صَمٌّ بِكُمْ عُمَى فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ ^(٥) ، غَلَبْتُ أَعْدَاءَ

(١) يونس : ٨٨ .

(٢) اللسان ٢٦/١٣ - أمن - .

(٣) النهاية ٧٢/١ - أمن - .

(٤) الأعراف : ١٩٨ .

(٥) البقرة : ١٨ .

الله بكلمة الله ، [أين] من يغلب كلمة الله ؟ ، فلجأتُ حجةً الله على أعداء الله الفاسقين وجنود إبليس أجمعين ، ﴿ لَنْ يَضْرَوْكُمْ إِلَّا أذىً وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُؤَلُّوكُمْ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ ﴾^(١١) ، ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ ﴾^(١٢) ، ﴿ أَيْنَ مَا تَقُفُوا أَخْذُوا وَوَقُّتِلُوا تَقْتِيلًا ﴾^(١٣) ، ﴿ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قَرْيٍ مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴾^(١٤)

تَحَصَّنَتْ مِنْهُمْ بِالْحَصَنِ الْحَصِينِ ﴿ فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴾^(١٥)

فَأَوَيْتُ إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ، وَالتَّجَأْتُ إِلَى الْكَهْفِ الْمُنِيعِ ، وَتَمَسَّكْتُ بِالْحَبْلِ الْمَتِينِ ، وَتَدَرَّعْتُ بِبَيْبِةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَتَعَوَّذْتُ بِعَوْدَةِ سَلِيمَانَ بْنِ دَاوُدَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَاحْتَرَزْتُ بِخَاتَمِهِ ، فَأَنَا أَيْنَ كُنْتُ ، كُنْتُ آمِنًا ، مَطْمَئِنًّا...^(١٦)

وإنما جئنا بهذه العوذة الطويلة - ولها بقية باقية^(١٧) - لاشتغالها على أسماء ونعوت لم يدع بها الداعي إلا عمته بركاتها ، وليس ذكرها أجيباً عن الموضوع ، لأن بيان ذلك موقوف على ذكر الربط من العوذة ، والموضوع هو قوله (عليه السلام) : « أويتُ إلى ركن شديد » المنتزعة من العوذة .

وأصل الكلمة المنتزعة قوله تعالى فيما اقتصه عن لسان لوط النبي (عليه السلام) عندما هرع قومه إلى أضيافه ، لمس كرامتهم : ﴿ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ

(١) آل عمران : ١١١ .

(٢) آل عمران : ١١٢ .

(٣) الأحزاب : ٦١ .

(٤) الحشر : ١٤ .

(٥) الكهف : ٩٧ .

(٦) مهج الدعوات ٢٤٢ - ٢٤٣ ، البحار ٣٢٧/٩٤ - ٣٢٨ .

(٧) نذكرها عند « أن أين كنت ، كنت آمناً » .

قوة أو إوى إلى ركن شديد ﴿١﴾ .

أي ياليت لي قوة دفعتمك بها عن أضيافي .

قال الفيض : شبه القوي العزيز بالركن من الجبل في شدته ومنعته ، في الجوامع قال جبرئيل : إن ركنك لشديد افتح الباب ودعنا وإياهم ... وفي الكافي عن الباقر (عليه السلام) : رحم الله لوطاً لو يدري من معه في الحجرة لعلم أنه منصور حيث يقول : ﴿ لو أن لي بكم قوة أو إوى إلى ركن شديد ﴾ أي ركن أشد من جبرئيل معه في الحجرة ﴿٢﴾ .

ولا ركن أشد من الله تعالى ، وكل ركن لا يكون إلا من ركنه ، ولا شدة إلا من شدته .

فلو درى المؤمن أن معه الله لعرف أنه لمنصور ، والإمام الكاظم (عليه السلام) يريد الله عز وجل بقوله : ﴿ فأويت إلى ركن شديد ﴾ وتعلماً لشيئته ومحبيه .

٤

ابدأ بمن على يمينك

من الميامين البدءة باليمين تصلح الكلمة مثلاً لها إن لم تكنه .

روى الكليني بسنده عن الفضل بن يونس قال : لما تغدئى عندي أبو الحسن (عليه السلام) وجيء بالطست بدء به (عليه السلام) ، وكان في صدر المجلس فقال (عليه السلام) : ابدأ بمن على يمينك ، فلما توضعوا واحداً ، أراد

(١) هود : ٨٠ .

(٢) تفسير الصافي ١/ ٨٠٤ . وأولت بالقائم وأصحابه أيضاً .

الغلام أن يرفع الطست ، فقال له أبو الحسن : دعها واغسلوا أيديكم فيها^(١).

آداب مجلس الطعام أمور :

منها : أن يبدأ صاحب البيت بغسل اليد ، لئلا يجتشم أحد ، فإذا فرغ من الطعام بدأ بمن عن يمين صاحب البيت حراً كان أو عبداً ، ويكون آخر من يغسل يده ربّ البيت ؛ لأنه أولى بالصبر على الغمر ، كما في الصادقي ، وغسل الأيدي في إناء واحد يحسّن الأخلاق ، كما في الآخر^(٢).

ومنها : غسل اليدين قبل الطعام وبعده ، ومن آثاره عافية الجسد ، ورغد العيش ، وزيادة في العمر والرزق ، وجلاء البصر ، ونظافة الثياب ، وذهاب الفقر وكثرة خير البيت ، قد ورد النصّ لكلّ ذلك فراجع^(٣).

واليمين من اليمن والبركة والكمال ومن ثم جاء في الحديث « وكلتا يديه يمين » أي أنّ يديه تبارك وتعالى بصفة الكمال لانقصر في واحدة منها ، لأنّ الشمال تنقص عن اليمين

قال ابن الأثير بعد ذلك : وكلّ ما جاء في القرآن والحديث من إضافة اليد والأيدي وغير ذلك من أسماء الجوارح إلى الله تعالى فإنّها هو على سبيل المجاز والاستعارة والله منزّه عن التشبيه والتجسّم^(٤).

(١) فروع الكافي ٦/٢٩١.

(٢) الفروع ٦/٢٩٠ - ٢٩١.

(٣) الفروع ٦/٢٩٠.

(٤) النهاية ٥/٣٠١ - يمن . واليمن هو البركة وضده الشؤم ومنه التيمن : الابتداء باليد اليمنى ،

والرجل اليمنى والجانب الأيمن . النهاية ٥/٣٠٢ - يمن .

٥

أَبْرُهُ يَا مُبِيرَ الْأُمَمِ الظَّالِمَةَ

كلمة دعاء على الظالم له (عليه السلام) ، وتقال على كل من يظلم ويجور بلا مبرر وهي من قنوت طويل كان الإمام (عليه السلام) يقنت به في صلواته من قنوتات له كما كان لأهل البيت لكل واحد منهم قنوت رواها السيد ابن طاووس رحمه الله ، وإليك ما يربط الكلمة من القنوت :

« وأهلكه يامهلك القرون الخالية ، وأبره يامبير الأمم الظالمة ، واخذله ياخذل الفرق الباغية ، واوتر عمره ، وايتز ملكه ، وعف أثره ، واقطع خبره ، وأطف ناره ، وأظلم نهاره ، وكور شمسه ، وأزهق نفسه ، وأهشم سوقه^(١) ، وجب^(٢) سنامه ، وأرغم أنفه.... ،....^(٣) .

أقول :

في القنوت من التشبيهات والاستعارات العجيبة ما لو رمنا ذكرها وشرحها ، لخلص إلى كتاب مفرد.

قوله (عليه السلام) : « أبره يامبير الأمم الظالمة » من البري : القطع

والنحت .

قال ابن الأثير : وفي حديث حليلة السعدية « أنها خرجت في سنة حمراء

قد برت المال » ، أي هزلت الإبل وأخذت من لحمها من البري : القطع .. والمال

(١) السوق جمع الساق وهشمها كسرهما.

(٢) الجبّ : القطع .

(٣) مهج الدعوات ٥٤ - ٥٨ و نظيرة الكلمة : « أبر به المنافقين » إكمال الدين ٥١٤/٢.

في كلامهم أكثر ما يطلقونه على الإبل .
وفي حديث أبي جحيفة « أبري النبل وأريشها » ، أي أنحتها وأصلحها
وأعمل لها ريشاً لتصير سهاماً يُرمى بها .
ويريد (عليه السلام) أن يقطع الله دابر عدوّه الظالم كما قطع دابر سائر
الظالمين.

٦

أبشر بطول سلامة يا مربع

من بيت شعر أنشده الإمام الكاظم (عليه السلام) لوجه تعرفه. والبيت:

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعاً أبشر بطول سلامة يا مربع

والوجه هو : ما أنبهي إليه من تهديد موسى بن المهدي العباسي إياه
بالقتل ، بعد قتل صاحب فخّ الحسين بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب
(عليه السلام).

ونحن نذكر ما أورده ابن شهر آشوب في المناقب ليتجلّى وجه الإنشاد
أكثر قال (طاب ثراه) :

علي بن يقطين وعبدالله بن أحمد الوضّاح ، قال : لما حمل رأس صاحب
فخّ^(١) إلى موسى بن المهدي ، أنشأ يقول :

(١) النهاية ١٢٣/١ - برا -

(٢) قال ابن منظور « فخّ » : موضع بمكة . وقيل : وادٍ دفن به عبدالله بن عمر وهو ... اللسان

٤٢/٣ . - فخخ - . وتبعد عن مكة بستة أميال أو نحو من فرسخ . مجمع البحرين - فخخ -

بنِي عَمَّنَا لَا تَنْطَقُوا الشَّعْرَ بَعْدَمَا
 فَلَسْنَا كَمَنْ كُنْتُمْ تَصِييُونَ سَلْمَهُ
 وَلَكِنَّ حَدَّ السَّيْفِ فِيكُمْ مَسْلُطٌ
 فَإِنْ قَلْتُمْ إِنَّا ظَلَمْنَا فَلَمْ نَكُنْ
 فَقَدْ سَاءَ فِي مَا جَرَّبَ الْحَرْبَ بَيْنَنَا
 دَفَنْتُمْ بِصَحْرَاءِ الْغَمِيمِ الْقَوَافِيَا
 فَيَقْبَلُ فَيَلَّا أَوْ يَحْكُمُ قَاضِيَا
 فَنَرِضِي إِذَا مَا أَصْبَحَ السَّيْفُ رَاضِيَا
 ظَلَمْنَا وَلَكِنَّا أَسَانَا التَّقَاضِيَا
 بَنِي عَمَّنَا لَوْ كَانَ أَمْرًا مَدَانِيَا

ثم أخذ في ذكر الطالبين وجعل ينال منهم إلى أن ذكر موسى بن جعفر، وحلف الله بقتله، فتكلم فيه القاضي أبو يوسف حتى سكن غضبه، وأنهى الخبر إلى الإمام (عليه السلام) وعنده جماعة من أهل بيته، فقال لهم: ما تشيرون؟ قالوا: نشير عليك بالابتعاد عن هذا الرجل وأن تغيب شخصك عنه فإنه لا يؤمن شره، فتبسّم أبو الحسن (عليه السلام)، وتمثل:

رَزَعَمَتْ سَخِينَةُ أَنْ سَنَقْتُلَ رَجُلًا وَلَيَغْلِبَنَّ مُغْلَبُ الْغَلَّابِ^(١)

قال المعلق على المناقب ٣٠٦/٤: كان خروجه في ذي القعدة سنة ١٦٩، بالمدينة وبايعه جماعة من العلويين بالخلافة، وخرج إلى مكة، فلما كان بفتح لقبته جيوش بني العباس وعليهم العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، وغيره، فالتقوا يوم التروية، فبدلوا الأمان له، فقال: الأمان لا أريد؛ فيقال: إن رجلاً يُسمى بمبارك التركي رشقه بسهم فمات، وحمل رأسه إلى الهادي موسى بن المهدي، وقتلوا جماعة من عسكره، وأهل بيته، فبقي قتلاهم ثلاثة أيام حتى أكلتهم السباع، ولهذا يقال لم تكن مصيبة بعد كربلاء أسد وأقعع من فتح. ولا يخفى أنه ساءه الحسن بن علي... والصحيح الحسين بن علي... كما في المتن انظر المروج ٣٢٦/٣، وفيه أبيات رثاه بها بعض شعراء ذلك العصر أولها:

* فَلأَبِكَيْنَ عَلَى الْحُسَيْنِ بَعُولَةَ وَعَلَى الْحُسَيْنِ *

وفيه مقتله بتفصيل وقد ضربت أعناق جمع من أولاد الحسن بن علي (عليه السلام) صبراً.
 (١) سيأتي شرحه في حرف الزاي مع العين. وفي اللسان ٢٠٦/١٣ - سخن - والسَخِينَةُ لقب
 ←

ثم أنشد :

زعم الفرزدق أن سيقتل مِربَعاً أبشر بطول سلامة يامِربَع^(١)

ثم رفع رأسه إلى السماء وقال : « إلهي كم من عُدُوٍّ شَحَدَ لي ظِبة^(٢) مديته، وأرَهَفَ لي شِباحدَه^(٣) دفع لي قوائل سموه، ولم تنم عني عين ساهرته، فلما رأيت ضعفي عن احتمال الفوادح^(٤)، وعجزني عن مُلَمَّات الجوائح^(٥)، صرفت ذلك بحولك وقوتك...» إلى آخر الدعاء^(٦).

→

قريش . لأنها كانت تعاب يأكل السخينة . - طعام يتخذ من دقيق وسمن ، وقيل : دقيق وقر
أغلظ من الحسا وأرق من العصيدة ، وكانت قريش تكثر من أكلها حتى سموا بها قال كعب
ابن مالك :

رَعَمَت سَخِينَةَ أَنْ سَقَتْلَ رِبَاً وَلِيَغْلِبَنَّ مُغَالِبُ الْغَلَابِ

(١) في اللسان ١١٢/٨ - ربع - أنه اسم رجل . ويأتي ذكره . كما يأتي أن البيت من جرير يهجو
الفرزدق من قصيدته العينية لمنافرة بينها عريقة . وماتت امرأة جرير المسماة حزرة وكان
يرثي لها بقصيدة رائية ذكرها ابن قتيبة :

لولا الحياء لعادني استعبارٌ ولزرتُ قَبْرِكَ والحبيب يزأرُ

- وفي قصيدته العينية قال : - وفيها يقول :

زعم الفرزدق أن سيقتل مِربَعاً أبشر بطول سلامة يا مِربَعُ

الشعر والشعراء ٣٢٤ - ٣٢٥ . وتوهم العبارة أنها من الرناء وقد عرفت أنها الهجاء .

(٢) الظبة : حد السيف ، أو السنان ونحوهما .

(٣) إرهاف السيف ترقيق حدّه ، والشبا من السيف : قدر ما يقطع به .

(٤) الفادحة من الفدح : النقل .

(٥) جمع الجائحة : الآفة المهلكة وكل فتنة مبيرة أو مصيبة جائحة .

(٦) مهج الدعوات ٢٢٠ - ٢٢٧ .



ثم أقبل على أصحابه فقال لهم : يفرخ روعكم^(١) ، فإنه لا يأتي أول كتاب من العراق إلا بموت موسى بن المهدي ، قالوا : وما ذاك أصلحك الله ؟ قال : وحرمة صاحب القبر قد مات من يومه هذا والله ﴿ إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون ﴾^(٢) .

ثم تفرق القوم فما اجتمعوا إلا لقراءة الكتب الواردة بموت موسى بن المهدي ، وقال بعض أهل بيته شعراً :

يمرّ وراء الليل والليل ضاربٌ بجثمانه فيه سميرٌ ، وهاجعٌ
تفتح أبواب السماء ودونها إذا قرع الأبواب منهنّ قارعٌ
إذا وردت لم يردد الله وفدها على أهلها والله راءٍ وسامعٌ
وإني لأرجو الله حتى كأنني أرى بجميل الظنّ ما هو صانعٌ^(٣)

والسيد ابن طاووس ذكر جميع الأبيات سوى الشعر المختار^(٤) .
قوله : (ثم أنشد) أي الإمام (عليه السلام) ، والفرق بين الإنشاد ، والإنشاء هو أن الإنشاد لغيره ، والإنشاء له ، ويريد (عليه السلام) بإنشاده أنه محفوظ من غوائل الفتك في هذه المرّة بإذن الله تعالى وحلف موسى بن المهدي لقتله كحلف الفرزدق بأن يقتل المربع راوية جرير واسمه وعوة^(٥) .
وهو أي بيت الشعر من المثل السائر ، يضرب لحبيبة الغائل الفاتك وأنه

(١) المهج ٢١٩ . يأتي في « يفرخ ... » .

(٢) المناقب ٣٠٦/٤ - ٣٠٨ . الذاريات : ٢٣ .

(٣) المناقب ٣٠٦/٤ - ٣٠٨ .

(٤) المهج ٢١٨ ، وفيه مقالة صاحب الفخ .

(٥) ديوانه ٣٤٨ ، الطبعة الأولى بمطبعة الصاوي ، مصر ١٣٥٤ ، ضبط محمد إسماعيل

عبد الله الصاوي .

كما سبق من قصيدة جرير العينية يهجو بها الفرزدق واسمه همام بن غالب بن صعصعة التميمي والمكنى بأبي فراس^(١) وبعد قوله :

* زَعَمَ الْفَرَزْدَقُ أَنَّ سَيَقْتُلُ مَرِيْعاً.....*

قوله:

إِنَّ الْفَرَزْدَقَ قَدْ تَبَيَّنَ لَوْمُهُ حَيْثُ التَّقْتُ حُشْمَاؤُهُ وَالْأَخْدَعُ^(٢)

ولجميع الأئمة المعصومين (عليهم السلام) إنشاء الأشعار وانشادها لو أردنا جمعها لصار كتاباً ، قد ذكرنا نبذة منها بالمناسبة في مؤلفاتنا المثلية .

والإنشاد بالشعر لا يدل على نقص النُشد، أو كمال الشاعر بل شأنه شأن المثل يتمثل بحال مضربه لما يقتضيه الكلام كتمثل أمير المؤمنين (عليه السلام) بقول الأعشى :

شَتَّانَ مَا يَوْمِي عَلَى كَوْرِهَا وَيَوْمَ حَيَّانَ أَخِي جَابِرِ

وقد بينا وجه التمثل به عند التكلّم عنه^(٣) وبأقي بيان تمثّل الإمام (عليه

السلام) ، أو إنشائه بعض الإشعار :

* وَمِنْ أَوْلَيْتِهِ حَسَنًا فَرَدَّهُ*^(٤).

(١) وله قصيدته اليمية العشاء في مدح الإمام السّجّاد (عليه السلام) توفي ١١٠ هـ ، ومات

صاحبه جرير أيضاً ١١٠ هـ . الكنى والألقاب ٢٧/٣ .

(٢) ديوانه ٣٤٨ .

(٣) الأمثال والحكم المستخرجة من نهج البلاغة ٢٠٠ ، رقم الكلمة ٦٥ .

(٤) المناقب ٤/٣١٩ .



٧

أبغض عدونا في الله ، وأحبّ ولينا في الله

من كلمات الإمام الكاظم (عليه السلام) المختارة الدالة على الاستقامة على الولاية ما رواه الشيخ (طاب ثراه) ، قال :

حدّثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد - رض - قال : حدّثنا محمد ابن الحسن الصفّار عن محمد بن أبي الصهبان عن منصور بن العباس عن مروك ابن عبيد عن درست ابن أبي منصور المواسطي عن أبي الحسن موسى بن جعفر (عليهما السلام) قال : ذكر بين يديه زرارة بن أعين .

فقال : والله إنّني سأستوهبه من ربّي يوم القيامة ، فيهبه لي ، ويحك إنّ زرارة أبغض عدونا في الله ، وأحبّ ولينا في الله .
أقول :

أرسل زرارة ابنه عبيداً الى المدينة بعد وفات الإمام الصادق (عليه السلام) ١٤٨هـ ليتعرّف على الإمام القائم بعده هل هو عبد الله أو الكاظم (عليه السلام) ؟ فذهب ابنه للفحص ، ومات زرارة قبل عوده ، ومن أجله جاء النزاع هل كان : يعرف إمام زمانه ومات على المعرفة ، والروايات الدائمة قسّمها الأستاذ الخوئي إلى ثلاث طوائف :

الأولى كما قال : ما دلّت على أنّ زرارة كان شاكاً في إمامة الكاظم (عليه السلام) وهي ستّ روايات .

ولفظ بعضها في حديث عن محمد بن عبدالله بن زرارة عن أبيه قال :

بعث زرارة عبيداً ابنه يسأل عن خبر أبي الحسن (عليه السلام) ، فجاءه الموت قبل رجوع عبيد إليه ، فأخذ المصحف فأعلاه فوق رأسه ، وقال : إن الإمام بعد جعفر بن محمد من اسمه بين الدفتين في جملة القرآن منصوص عليه من الذين أوجب الله طاعتهم على خلقه ، أنا مؤمن به . قال : فأخبر بذلك أبو الحسن الأول (عليه السلام) ، فقال : والله كان زرارة مهاجراً إلى الله تعالى (١) .

وفي لفظها الآخر : في حديث قال محمد بن أبي عمير : حدثني محمد بن حكيم ، قال : قلت لأبي الحسن الأول (عليه السلام) وذكرت له زرارة وتوجيه ابنه عبيداً إلى المدينة . فقال أبو الحسن : إنِّي لأرجو أن يكون زرارة ممن قال الله تعالى : ﴿ ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يُدركه الموت فقد وقع أجره على الله ﴾ (٢) .

قال السيّد الأستاذ : هذه الروايات لا تدلّ على وهن ومهانة في زرارة ؛ لأنّ الواجب على كلّ مكلف أن يعرف إمام زمانه ، ولا يجب عليه معرفة الإمام من (٣) بعده ، وإذا تُوفي إمام فالواجب عليه الفحص عن الإمام ، فإذا مات في زمان الفحص فهو معذور في أمره ، ويكفيه الالتزام بإمامة من عينه الله تعالى ، وإن لم يعرفه بشخصه . وعلى ذلك فلا حرج على زرارة حيث كان يعرف إمام زمانه وهو الصادق (عليه السلام) ، ولم يكن يجب عليه معرفة الإمام من بعده في زمانه ، فلما تُوفي الصادق (عليه السلام) قام بالفحص فأدركه الموت مهاجراً إلى

(١) معجم رجال الحديث ٧/٢٣٢ .

(٢) المصدر نفسه . النساء : ١٠٠ .

(٣) هذا الرأي لا يتأتى في حق زرارة الفقيه . قال الصدوق : فالصادق (عليه السلام) لا يجوز أن

يقول لزرارة إنه من أحبّ الناس إليه وهو لا يعرف إمامة موسى بن جعفر (عليهما السلام) -

إكمال الدين ٧٦/١ .



الله ورسوله^(١).

وتعرض لذكر الطائفتين الأخرين ، وأجاب عن الجميع بما لا يمَسّ زرارة والعمدة حديث الإمام الرضا (عليه السلام) وبه القول الفصل في هذا المضمار بما لا يبقى على زرارة الغبار وهو مختارنا وفق مختار السيد الأستاذ نذكره إكمالاً للفائدة وإبطالاً لرابع شبه الزيدية : وفي هذه المدة مات فقيهم زرارة بن أعين وهو يقول ، والمصحف على صدره : « اللهم إني أئتم بمن أثبت إمامته هذا المصحف »^(٢) . وإليك الحديث الرضوي القول الفصل :

قال الشيخ الصدوق : حدّثنا أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني - رضي الله عنه - قال : حدّثنا علي بن إبراهيم بن هاشم قال : حدّثني محمد بن عيسى ابن عبيد ، عن إبراهيم بن محمد الهمداني - رضي الله عنه - قال : قلت للرضا (عليه السلام) يا ابن رسول الله أخبرني عن زرارة هل كان يعرف حق أبيك (عليه السلام) ؟ فقال : نعم ، فقلت له : فلم بعث ابنه عبداً ليتعرّف الخبر إلى من أوصى الصادق جعفر بن محمد (عليهما السلام) ؟ فقال : إن زرارة كان يعرف أمر أبي (عليه السلام) ونصّ أبيه عليه ، وإنما بعث ابنه ليتعرّف من أبي (عليه السلام) هل يجوز له أن يرفع التقيّة في إظهار أمره ونصّ أبيه عليه وأنه لما أبطأ ابنه طولب بإظهار قوله في أبي (عليه السلام) فلم يجب أن يتقدّم على ذلك دون أمره ، فرفع المصحف وقال : اللهم إن إمامي من أثبت هذا المصحف إمامته من ولد جعفر بن محمد (عليهما السلام)^(٣).

أقول : من المحتمل أن ما صنعه زرارة لأجل تعليم غيره ليفعلوا كفعله

(١) معجم رجال الحديث ٧/ ٢٣٢ - ٢٣٣ .

(٢) إكمال الدين ٦/ ٧٣ ، مقدّمة المصنّف اعتراض الزيدية .

(٣) إكمال الدين ٦/ ٧٥ ، معجم رجال الحديث ٧/ ٢٣٤ .

إذا اتفق لهم ما اتفق له ، وأن الواجب عليهم التحري ما استطاعوا .

الحب في الله والبغض في الله :

وقبل كل شيء قد تناولها القرآن الكريم بظاهرتها الربانية والطبيعية

فهما الحب والبغض الربانيتان . والحب والبغض الطبيعيان .

أما الأولان فقد قال تعالى : ﴿ والذين آمنوا أشد حبا لله ﴾^(١) .

و ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾^(٢) .

﴿ ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا قال بتسما خلفتموني من

بعدي ﴾^(٣) .

والطبيعيان فمنها قوله تعالى : ﴿ وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود

فتها عن نفسه قد شغفها حبا ﴾^(٤) ، و ﴿ وتحبون المال حبا جما ﴾^(٥) .

﴿ قد بدت البغضاء في أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر ﴾^(٦) .

﴿ وإذا ما غضبوا هم يغفرون ﴾^(٧) .

وقد جاء من صيغ الحب فيه قرابة مائة موضع ، وأما في الحديث فحدث

ولا حرج ، وإن الإيثار هو الحب في الله والبغض في الله تعالى^(٨) .

كيف يكون عدو أهل البيت عدو الله ووليهم وليه ؟

والجواب واضح ، إذ ليس لهم (عليهم السلام) من إرادة وكراهة وحب

(١) البقرة : ١٦٥ .

(٢) آل عمران : ٣١ .

(٣) الأعراف : ١٥٠ .

(٤) يوسف : ٣٠ .

(٥) الفجر : ٢٠ .

(٦) آل عمران : ١١٨ .

(٧) الشورى : ٣٧ .

(٨) الوسائل ١١/٤٣١ - ٤٣٦ . الباب ١٥ وجوب الحب في الله والبغض في الله ، والإعطاء في الله

وبغض إلا منه تعالى وبه وله ﴿ بل عباد مكرمون ﴾ لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ﴿^(١).

وفي زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) : « إرادة الربّ في مقادير أموره تهيّط إليكم وتصدر من بيوتكم ، والصادر عمّا فصل من أحكام العباد... »^(٢) .
ومن عرفهم عرف الله ، ومن عقل عنهم عقل عن الله ، ومن أحبهم أحب الله ، ومن أبغضهم أبغض الله . وإن معرفتهم بالنورانية معرفة الله تعالى ، ولا يعرفهم إلا الله ولا يعرف الله إلاهم ؛ ومن ثمّ جاء الحديث النبوي : « يا علي ما عرف الله حق معرفته غيري وغيرك ، وما عرفك حق معرفتك غير الله وغيري »^(٣) .

ولا أدري - على تقدير الصدور - لم لا يذكر فيه النبي (صلى الله عليه وآله) ، والحديث ذكره ؟ وهل سقط من الراوي ، أو كان الصدور كذلك ؟ لا أدري .

ثم الكلمة المختارة هل هي حكمة ؟

ربّما يقال ليست الكلمة : « أبغض عدونا في الله ، وأحب ولينا في الله » مثلاً ولا حكمة ، وإنّما هي صالحة لذلك ، وإنّها ترغيب إلى الاتّصاف بالأمرين ، وأمرٌ وإن كانت إخباراً .

(١) الأنبياء : ٢٦ - ٢٧ .

(٢) كامل الزيارات ٢٠٠ ، الباب ٧٩ من زيارات الحسين (عليه السلام) .

(٣) المناقب ٢٦٧/٣ - ٢٦٨ ، لابن شهر آشوب .

٨

أبلغ خيراً ، وقل خيراً ، ولا تكن إمعة

قال الحسن بن علي بن شعبة الحرّاني : قال (عليه السلام) لفضل بن يونس : أبلغ خيراً ، وقل خيراً ، ولا تكن إمعة^(١) ، قلت ، وما الإمعة ؟ قال : لا تقل : أنا مع الناس ، وأنا كواحد من الناس ؛ إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال : يا أيها الناس إنّما هما نجدان : نجد خيرٍ ، ونجد شرٍّ ، فلا يكن نجد الشرِّ أحبَّ إليكم من نجد الخير^(٢) .

بيان :

لا يأمر الإمام الكاظم (عليه السلام) الفضل بن يونس ولا غيره إلا وهو قدوة في الخير وقول الخير بل هو أصله ومعدنه ومأواه وهكذا سائر أهل البيت كما في الزيارة الجامعة : « إن ذكر الخير كنتم أوله وأصله وفرعه ومعدنه ومأواه . ومنتهاه »^(٣) .

وقد جاء الأمر بالاستباق إلى الخيرات قال تعالى : ﴿ فاستبقوا الخيرات ﴾^(٤) والسباق المشتق منه الاستباق إذا وقع في حيز الأمر دلّ على البدار المشدّد ، ومزيد الاهتمام بها تعلق به ، ومن اللطف وكلّ قول الله لطف أن وصل الخيرات بالاستباق بلا « إلى » ، ولعلّه للإشارة إلى مباشرة الخير ، وإن كان التسبيب إليه

(١) يأتي في حرف (لا) .

(٢) التحف ٤١٣ ، البحار ٣٢٥/٧٨ .

(٣) عيون أخبار الرضا (ع) ٢٨١/٢ .

(٤) البقرة : ١٤٨ .



أمناءٌ وَتَحْكُمُ الْإِمَامُ الْكَاطِمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ / ج ١ ٧٩

محبوب أيضاً ، فلو جاء بـ ﴿ إلى الخيرات ﴾ لفات ذلك ، وكان على الدلالة أدلّ منه على المباشرة . ولكثرته الخير جاء بالجمع ، « الخير كثير وفاعله قليل »^(١)

الفضل بن يونس :

قال النجاشي : الفضل بن يونس الكاتب البغدادي روى عن أبي الحسن موسى (عليه السلام) ثقة له كتاب^(٢) ... وهو الداعي له للغداء وقال (عليه السلام) : البارء تجال اليد فيه^(٣) .

٩

اتَّخَذُوا الْقِيَانَ ؛ فَإِنَّ هُنَّ فُطْنًا وَعُقُولًا

نسب إلى الإمام الكاظم (عليه السلام) ، والناسب الشيخ المجلسي (طاب ثراه) أنه قال :

وروي عنه (عليه السلام) أنه قال : « اتَّخَذُوا الْقِيَانَ ؛ فَإِنَّ هُنَّ فُطْنًا وَعُقُولًا لَيْسَتْ لكَثِيرٍ مِنَ النِّسَاءِ » .

كأنه أراد النجابة في أولادهن^(٤) .

قلت : القيان جمع قينة وهي الأمة مغنّية كانت أو غير مغنّية . قال أبو عمر : وكلّ عبد هو عند العرب قين ، والأمة قينة ، وبعض الناس يظنّ القينة : المغنّية

(١) الخصال ٣٠/١ ، نبوي .

(٢) رجال النجاشي ١٧٢/٢ .

(٣) البحار ١٠٩/٤٨ ، معجم رجال الحديث ٣١٨/١٣ . وفيه « فلما رفع البارء وجاءوا بالحار ،

فقال أبو الحسن (عليه السلام) : الحار حمى » .

(٤) البحار ٣٢٧/٧٨ .

خاصّة ، وليس بشيء^(١) .

هل القيان أشدّ فُظناً وَعُقُولاً من كثير من النساء ؟

الجواب : إذا صحّ الحديث : ف « رَبِّ امْرَأةَ أَفْقَه من رجل »^(٢) ، وفي

كفارة قتل جرادة « تمرّة خير من جرادة »^(٣) .

فلا نجد الأشدّية في الإمام من عقول الحرائر أحياناً . والفطن : جمع

الفِطْنة كالفهم والفِطنة : ضدّ الغباوة . والفِطْن والفِطِين أي الرجل الفاهم ،

وفاطنه في الحديث : راجعهُ ، قال الراعي :

إذا فاطنتسا في الحديث تهزهزت إليها قلوبٌ دونهنّ الجوانح^(٤)

من مواهب الله تعالى موهبة العقل والفِطنة ، وهي موهبة واكتسابية

يجوزها الإنسان بتجاربه ؛ لأنّ في التجارب علماً مستفاداً ، وربما حصلت

بإخلاص الأعمال لله تعالى ؛ ومن ثم جاء في علوي : « المؤمن كيسّ عاقل »^(٥)

والكيسّ من الكيس كفلس : العقل والفِطنة ، وجودة القريحة^(٦) ، وبصفته مؤمناً

جادت قريحته . والمؤمن ينظر بنور الله ، كما في حديث نبوي « اتقوا فراسة

المؤمن ... »^(٧) .

ولا نعني أنّ المؤمن لا يحصل على الفِطنة المكتسبة بل الغرض بيان

الامتياز

(١) المصدر نفسه.

(٢) الوسائل ٨/١٢٤ - ١٢٥ .

(٣) الوسائل ٩/٢٣٢ ، ٢٣٣ .

(٤) لسان العرب ١٣/٣٢٣ - ٣٢٤ - فطن - .

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم ١٩ ، حرف الألف .

(٦) مجمع البحرين - كيس - .

(٧) الوسائل ٨/٤٢٤ ، الأمثال النبوية ١/٤٩ ، حرف الهمزة مع التاء ، رقم المثل ٢٥ .

١٠

أتق فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله

مثل سائر يضرب لإصابة ظن المؤمن ، ولا ينافيه كونه مثلاً نبوياً وكاظمياً.

روى الشيخ الحرّ عن بصائر الدرجات عن محمد بن عيسى عن سليمان الجعفري قال : كُنَّا عند أبي الحسن (عليه السلام) ، فقال : أتق فراسة المؤمن؛ فإنه ينظر بنور الله الحديث^(١).

أقول :

وروي عن محمد بن الحسين الرضي في نهج البلاغة عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال : أتقوا ظنون المؤمنين ، فإن الله جعل الحق على ألسنتهم^(٢) . وروي عن الباقر (عليه السلام) : في قول الله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾^(٣) قال : هم الأئمة (عليهم السلام) قال رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) : أتقوا فراسة المؤمن ؛ فإنه ينظر بنور الله في قوله : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾^(٤).

هنا أمران : ترجمة سليمان الجعفري ، وشرح الحديث.

(١) الوسائل ٤٢٤/٨ .

(٢) المصدر نفسه ، النهج ٢١٥/١٩ ، الحكمة ٣١٥ .

(٣) الحجر : ٧٥ .

(٤) الوسائل ٤٢٣/٨ - ٤٢٤ ، باب ٢٠ ، استحباب توقّي فراسة المؤمن ، من أحكام العشرة .

الحديث ١ ، ٢ ، ٣ ، كتاب الحجّ .

الأمر الأول سليمان الجعفري :

وإنما تقدّم ترجمته على شرح الحديث دفعاً للقول بأن سليمان الجعفري ليس من أصحاب الكاظم (عليه السلام) وأنه من أصحاب الرضا (عليه السلام) المراد به من أبي الحسن في هذا الحديث.

قال الأستاذ الخوئي : بعد توثيق النجاشي لسليمان بن جعفر بن إبراهيم ابن محمد بن علي بن عبدالله بن جعفر الطيّار :

وقال الشيخ (٣٣٠) : سليمان بن جعفر الجعفري ، ثقة له كتاب ، أخبرنا به جماعة من أبي الفضل عن ابن بطة عن أحمد بن أبي عبدالله عنه . وعدّه في رجاله ، تارة من أصحاب الكاظم (عليه السلام) ، وأخرى من أصحاب الرضا (عليه السلام) ، قائلاً في كلا الموضعين : سليمان بن جعفر الجعفري ثقة .

وعدّه البرقي في أصحاب الرضا (عليه السلام) ، وقال : من أصحاب أبي الحسن موسى بن جعفر (عليه السلام) ، وممن أدركه : سليمان بن جعفر الجعفري .

وقال الكشي (٣٤٥) سليمان بن جعفر الجعفري :

الحسن بن علي عن سليمان بن جعفر الجعفري ، قال : قال العبد الصالح (عليه السلام) لسليمان بن جعفر : يا سلمان ولَدَكَ رسول الله (صلى الله عليه وآله) ؟ قال : نعم . قال : ولَدَكَ عليّ (عليه السلام) مرّتين^(١) ؟ قال : نعم . قال : وأنت ابن جعفر رحمه الله تعالى ؟ قال : نعم . قال : ولولا الذي أنت عليه ما

(١) مرّة لانتهاء نسبه الى جدّ جدّه عليّ الزينبي لأنّ أمّه زينب بنت عليّ (عليه السلام) وأبوه عبدالله ابن جعفر الطيّار زوجها ، ومن ثمّ قد ولده الرسول لأنّ زينب بنت فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) . ومرّة ثانية بوصلة بعض العلويّين . أو بعض العلويات .

انتفعت بهذا^(١).

حول كلمته الأخيرة :

يريد (عليه السلام) بها : لولا تمسّكك بحجزة أهل البيت ، والثبات على ولايتهم ، والطاعة لله تعالى من طريقتهم ، لما نفعك هذا النسب ، كما قال الإمام الرضا (عليه السلام) لأخيه زيد النار : « أنت أخي ما أطعت الله عزّ وجلّ »^(٢) !

الأمر الثاني : شرح الحديث :

ذكرنا في صدر الكلام : أنّه لا ينافي الكلمة كونها مثلاً نبوياً وكاظمياً ، نعم إنّ المثل النبوي جاء بلفظ الجمع : « اتقوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ... ».

والكاظمي بصورة الأفراد : « اتق فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ... » والمادة واحدة مستقاة من عين صافية ومنبع نмир ، فيأض .

الفِرَاسَةُ :

- بكسر الفاء - من الفِرَاسَةُ نوعان .

الأوّل : ما يوقعه الله تعالى في قلوب أوليائه ، فيعلمون به الضائر ، والحالات وما فيه الناس ، وبعض الحوادث المستقبلية هذا في المؤمنين ، وأمّا أئمة المؤمنين المعصومين وأمّ الأئمة فاطمة وفي مقدّمتهم الرسول (صلى الله عليه وعليهم) ، فهم عيبة علم الله عزّ وجلّ ومعادن وحيه ، وأمناؤه على الخلق ، ولهم شأن فوق الشئون .

(١) معجم رجال الحديث ٢٣٨/٨ - ٢٣٩ .

(٢) عيون أخبار الرضا (عليه السلام) ٢٣٦/٢ - ٢٣٧ ، البحار ٤٩/٢٢١ .

أقول وتماه : « فإذا عصيت (فـ) لا إخوان بيني وبينك » . ويشهد له العلوي : « أخوك دينك ، فاحفظ لدينك بما شئت » . الوسائل ١٨/١٢٣ ، باب ١٢ صفات القاضي ، الحديث

الإيمان نور .

إذا صدق الإيمان جاء النور لا يفارق صاحبه ، يتقلب في أنوار خمسة كما في الحديث العلوي : « المؤمن يتقلب في خمسة من النور : مدخله نور ، ومخرجه نور ، وعلمه نور ، وكلامه نور ، ومنظره يوم القيامة إلى النور »^(١).

بيان :

لعل المراد من « ومنظره... » وقوع نظره يوم الحشر إلى نور محمد وآل محمد صلى الله عليهم وسلّم ، ويكسى المؤمن في الدنيا من نور الله يخبر به عما غاب عن الحواس من بعض حالات الناس ، ولا سيما المهتجد بالليل الذي حسن وجهه ؛ لأنه قد خلا بالله فكساه من نوره على ما نصّ به الحديث السجّادي : « ما بال المهتجدين بالليل من أحسن الناس وجهاً؟ قال : لأنهم خلوا بالله ، فكساهم من نوره »^(٢).

ومن كساه الله تعالى من نوره ، فنظر إلى الرجل عرفه بهذا النور ؛ ومن ثم يتقنى من فراسته ، والتفرس كإصابة النظر فيه^(٣) والتعرّف بالباطن ، وهو نوع من الكرامة للمؤمن والتوسّم له أي معرفة الشيء بوسامه وعلائمه فله منها حظ ، وأمّا الكمال فللأئمة المعصومين خاصة ، وقد تقدّم الباقر المفسر آية ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾^(٤) قال : هم الأئمة (عليهم السلام)^(٥).

(١) الخصال ٢٧٧/١ ، باب الخمسة . الحديث ٢٠ .

(٢) علل الشرائع ٣٦٦/٢ ، باب ٨٧ ، الحديث ١ .

(٣) معجم مقاييس اللغة ٤٨٦/٤ - فرس - . هذا من الفراسة بالكسر ، وأمّا الفراسة بالفتح أو الفروسيّة فركوب الخيل وركضها . النهاية ٤٢٨/٣ - فرس - .

(٤) الحجر : ٧٥ .

(٥) انوسائل ٤٢٣/٨ - ٤٢٤ .



النوع الثاني :

قد قَسَمَ ابن الأثير التفرس إلى نوعين قال بعد « اتقوا فِراسة المؤمن ؛ فإنه ينظر بنور الله » : يقال بمعنيين.

أحدهما : ما دلّ ظاهر هذا الحديث عليه وهو ما يوقعه الله تعالى في قلوب أوليائه ، فيعلمون أحوال بعض الناس بنوع من الكرامات وإصابة الظنّ والحُدس .

والثاني : نوع يتعلّم بالدلائل والتجارب والخلق والأخلاق ، فتعرف به أحوال الناس ، وللناس فيه تصانيف قديمة وحديثة^(١) .

قيل للاستدلال باللحظ على الضمير : القائل ابن عبد ربّه :

قالت الحكماء العين باب القلب فما كان في القلب ظهر في العين .

يقال : إني لأعرف في العين إذا عرفت ، وأعرف فيها إذا أنكرت ، وأعرف فيها إذا لم تعرف ولم تنكر . أمّا إذا عرفت فتحوّص^(٢) ، وأمّا إذا أنكرت فتجحف^(٣) ، وأمّا إذا لم تعرف ولم تنكر فتسخو^(٤) .

وقال صريح الغواني :

جعلنا علامات المودّة بيننا مصائد لحظٍ هنّ أخفى من السحر
فأعرف فيها الوصل في لين طرفها وأعرف فيها الهجر في النظر الشرر^(٥)

(١) النهاية ٤٢٨/٣ - فرس ..

(٢) التحوّص من الحوص وهو : ضيق العين.

(٣) تجحظ من جَحَظت العين أي خرجت حدقتها وعظمت.

(٤) تسخو : تسكن.

(٥) الشرر : النظر بطرف مؤخر العين . نقلت هذه اللغات من هامش العقد الفريد ٢٠٤/٢ .

وقال محمود الورّاق :

إنّ العيون على القلوب شواهد
وإذا تلاحظت العيون تفاوضت
ينطقن والأفواه صامتة فما
فبغيضها لك بين وحببيها
وتحدّثت عمّا تجنّ قلوبها
يخفى عليك بريئها ومُريها

وقال ابن أبي حازم :

خذ من العيش ما كفى
عين من لا يحبُّ وصل
ومن الدهر ما صفا
ك تُبدي لك الجفا

ومن قولنا في هذا المعنى

صادقٌ في الحبِّ مكذوب
كلّ ما تطوي جوانحه
دمعه للشوق مسكوب
فهو في العين مكتوب

الإستدلال بالضمير على الضمير

كتب حكيم إلى حكيم : إذا أردت معرفة ما لك عندي فضع يدك على
صدرك فكما تجدني كذلك أجدك.

وقالوا إياكم ومن تبغضه قلوبكم : فإنّ القلوب تجازي القلوب . وقال ذو

الإصبع :

لا أسأل الناس عمّا في ضائرتهم
ما في ضميري لهم من ذاك يكفيني

قال محمود الورّاق :

لا تسألنّ المرء عمّا عنده
واستمل ما في قلبه من قلبكنا

أمنال وحكم الإمام الكاظم عليه السلام / ج ١ ٨٧

إن كان بغضاً كان عندك مثله أو كان حباً فاز منك بحبكما^(١)

وهذا النوع يحصل عند أرباب التجارب فيستدلون على أمور تخفى بها في وجوه وأعضاء وحركات وسكنات « وما أضر أحد شيئاً إلا أظهر في صفحات وجهه وفلتات لسانه »^(٢).

وربّ طرفٍ أفصح من لسانٍ . قال أعرابي :

إن كاتمونا القلى نمت عيونهم والعين تُظهر ما في القلب أو تصف

* *

إذا قلوب أظهرت غير ما تضمّره أنبتك عنها العيون^(٣)

وفي بعض الناس ما يكون من النوعين والأول قليل لقلّة نفوس صافية .

(١) العقد الفريد ٢/٢٠٤ - ٢٠٥ .

(٢) النهج ١٨/١٣٧ ، الحكمة ٢٦ .

(٣) عيون الأخبار لابن قتيبة ٢/١٨١ .

١١

أتق الله ودع الباطل وإن كان فيه نجاتك ؛ فإن فيه هلاكك

من الحكم التي لو وزنت بالأوزان الثقيلة لرجحت عليها ، ولا يعقلها إلا من خرج عن الباطل وعرف الحق ، وهي من كلمات الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) المأثورة ، قد رواها الحسن بن علي بن شعبة قال : قال لبعض شيعته :

« أي فلان أتق الله وقل الحق ، وإن كان فيه هلاكك ؛ فإن فيه نجاتك ، أي فلان أتق الله ودع الباطل ، وإن كان فيه نجاتك ؛ فإن فيه هلاكك »^(١).

هنا سؤال :

كيف صار الهلاك سبباً للنجاة ، أو النجاة سبباً للهلاك ، وهما لا يجتمعان؟؟.

الجواب :

تارة يفرض زمان الهلاك والنجاة أو مكانها واحداً ، وأخرى مختلفاً ، والسؤال إنما يعقل على فرض الاتحاد زماناً أو مكاناً ، ويجاب على تقدير الاختلاف ، والتصوير العقلي أربعة : الهلاك والنجاة إما معاً دنيوية ، والأخرى أخروية ، أو الأول الأولى والثانية الأخرى ، أو على العكس فالصور أربعة . وإن شئت فقل : الهلاك المادي والنجاة المعنوية أو بالعكس ، أو همامادي ، أو معنوي .

ويريد (عليه السلام) من الصور الاثنتين منها المختلفتين أي القائل

بالحق الهالك في الدنيا بقتل ، أو بغيره الناجي في الآخرة ؛ لأنه قد قام بوظيفته الصاعد بها ، والصورة الثانية التارك للباطل الناجي في الدنيا الهالك في الآخرة . وبلفظ آخر لو أتى بالباطل نجا في الدنيا ، هلك في الآخرة ، ولو قال الحق هلك في الدنيا ونجا في الآخرة . فهل يدع الباطل لينجو في الآخرة وإن هلك في الدنيا بتركه ، أو يأتي بالباطل لينجو في الدنيا وإن هلك في الآخرة ؟ وقس الحق على هذا .

ومن المعلوم أن الحق ضامن لك النجاة في الآخرة . فإن الدنيا فانية وهي باقية لاتقابلها الفانية .

ولابد من بيان المراد ، وحمل إطلاق الكلام الكاظمي على المقبولة من الصور دون المردودة منها شرعاً وعقلاً . وبهذا البيان تتجلى الفقرتان المرويتان فتدبر .

١٢

اتق الله وقل الحق ، وإن كان فيه هلاكك ؛ فإن فيه نجاتك

تقدم أن الكلمة من الحكم الراجحة الجديرة بالعمل بها والبناء عليها ، ومن الأحاديث المأثورة عن الإمام الكاظم (عليه السلام) وهي أولى الكلمتين قد رواهما الشيخ ابن شعبة (طاب ثراه) نذكرها أيضاً كما قال الشاعر :

أدر ذكر نعمان لنا إن ذكره هو المسك ماكررته يتضوع^(١)

قال (عليه السلام) لبعض شيعته :

« أي فلان اتق الله ، وقل الحق ، وإن كان فيه هلاكك ؛ فإن فيه نجاتك ... »^(١).

أقول :

سبق السؤال حول اجتماع الهلاك والنجاة ، وافتراقهما ، وكذا الجواب عنه ولا ريب أن السؤال مركز على الشخص الواحد ، إذ الأكثر بأن يكون هلاك إنسان سبباً لنجاة آخرين ، أو نجاته هلاكهم ، فنشاهده بالوجدان والعيان ، وآية ﴿ ولکم فی القصاص حیوة یا أولى الألباب ﴾^(٢) أصدق شاهد. قال بعض المفسرين : وهي - أي الحياة - الحاصلة بالارتداع عن القتل ، لوقوع العلم بالاعتصام من القاتل ؛ لأنه إذا هم بالقتل وعلم أنه يقتص منه سلم صاحبه من القتل^(٣) . بالارتداع عادة ، وإن لم تكن ملازمة بين الأمرين. ثم قول الحق تظهر ظاهرته عند الشهادة وإقامتها لله تعالى وأن يكون المؤمن قوماً بالقسط ولو لزم منه الضرر إذا شهد بالحق على النفس ، قال عز من قائل ﴿ كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم ﴾^(٤) أي كانت الشهادة إذا أقمتم تضررت فإن فيه أي التضرر النفع الأخرى كما قال (عليه السلام) : « وإن كان فيه هلاكك ، فإن فيه نجاتك » والآية تشمله ؛ لقوله تعالى: ﴿ ولو على أنفسكم ﴾ مع تفصيل سبق بيانه .

(١) التحف ٤٠٨ .

(٢) البقرة : ١٧٩ .

(٣) تفسير الكشاف ١/٢٢٣ .

(٤) النساء : ١٣٥ .

١٣

أتق المرتقى السهل إذا كان منحدره وعرأً

من الأمثال السائرة ، يضرب للاحتراز عما لا تحمد عاقبته قاله الإمام الكاظم (عليه السلام) في كلام له رواه الشيخ الكليني رحمه الله تعالى في الكافي قال :

وعن عدة من أصحابنا عن سهل بن زياد عن محمد بن الحسن بن شمون عن عبد الله بن عبد الرحمن الأصم عن عبد الرحمن بن الحجّاج قال : قال لي أبو الحسن (عليه السلام) : أتق المرتقى السهل إذا كان منحدره وعرأً ، قال : وكان (عليه السلام) يقول : لا تدع النفس وهوها ؛ فإن هوها في رداها ، وترك النفس وما تهوى أذاها ، وكفّ النفس عما تهوى دواها^(١) .
أقول :

يحتمل كونه حديثاً واحداً ، وتطبيقاً للمرتقى السهل الوعر الانحدار على النفس ولأجله جاء بها وبين داءها ودواها ، وموضع رداها وهو الهلاك ، وتأمل تعرفه .

ولعل بل من اليقين أن ليس طريقاً أوعر من هوى النفس ولا أشد إهلاكاً لمتبعها . والكلام من التحذير البليغ المضروب له المثل ، وقد جاء هذا المثل في الحكم المنسوبة إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) في الوعد قال : « لا تعدن عدة تحقرها قلة الثقة بنفسك ، ولا يغرّك المرتقى السهل إذا كان المنحدر وعرأً

(١) أصول الكافي ٣٣٦/٢ ، باب اتباع الهوى ، الحديث ٤ من كتاب الإبان والكفر . الوسائل

« ، وجاء في آخر : « لا تعدّن عدة لا تنق من نفسك بإجازها ، ولا يغرنك المرتقى السهل إذا كان المنحدر وَعَرًّا »^(١) .

شأن المثل التطبيق لكل ما اقتضاه المقام وما تناسبه الحال وإن لم يكن من نوع مضربه ، والذي نحن بصدده من التطبيق على سبيل النفس الوعرة الانحدار السهلة الارتقاء ، من أجلى موارده ومضربه ، وإنّ النفس حَرُون تُردي صاحبها إلى أسفل السافلين ، وإنّ « أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك »^(٢) .

قال العلامة المجلسي في شرح الحديث الكاظمي : « اتق المرتقى السهل »

الخ :

المرقى والمرتقى والمرقاة موضع الرقي والصعود ، من رقيت السلم والسطح والجبل علوته ، والمنحدر : الموضع الذي ينحدر منه أي ينزل ، من الانحدار وهو: النزول . والوَعْر ضدّ السهل . قال الجوهري : جبل وَعْر بالتسكين ، ومطلب وَعْر . قال الأصمعي : ولا تقل وَعْر . - بلا موصوف - .

أقول : ولعل المراد به النهي عن طلب الجاه والرئاسة وسائر شهوات الدنيا ومرتفعاتها ؛ فإنها وإن كانت مواتية على اليسر والخفض إلا أنّ عاقبتها سوء ، والتخلّص من غوائلها وتبعاتها في غاية الصعوبة .

والحاصل أنّ متابعة النفس في أهوائها والترقي من بعضها إلى بعض ، وإن كانت كلّ واحدة منها في نظره حقيرة ، وتحصل له بسهولة ، لكن عند الموت يصعب ترك جميعها ، والمحاسبة عليها ، فهو كمن صعد جبلاً بحيل شتى ، فإذا انتهى إلى ذروته تحير في تدبير النزول .

(١) النهج ٢٠/٢٦٠ . الحكم المنسوبة ، الرقم ٤٢ . وص ٣١٠ . رقم الحكمة ٥٥٨ .

(٢) عوالي اللئالي ٤/١١٨ ، كنوز الحقائق ١/٣٢ على هامش الجامع الصغير حرف الهمزة .

وأيضاً تلك المنازل الدنيّة تحصل له في الدنيا بالتدرّج ، وعند الموت لا بدّ من تركها دفعة ، ولذا تشقّ عليه سكرات الموت بقطع تلك العلائق ، فهو كمن صعد سلماً درجةً درجةً ثم سقط في آخر درجة منه دفعة ، فكلّما كانت الدرجات في الصعود أكثر كان السقوط منها أشدّ ضرراً ، وأعظم خطراً ، فلا بدّ للعاقل أن يتفكّر عند الصعود على درجات الدنيا في شدّة النزول عنها ، فلا يرقى كثيراً ويكتفي بقدر الضرورة والحاجة . فهذا التشبيه البليغ على كلّ من الوجهين من أبلغ الاستعارات وأحسن التشبيهات^(١) . يصحّ لنا القول كما تقدّم بأنّ مضرب المثل المراد به النفس وتسويلاتها بدليل ذكرها عقيب المثل مباشرة على ما فهمه الراوي ، وكلّ من كتبه كالكليني ، والشيخ الحرّ : في باب اتباع هوى النفس ؛ دفعاً لاحتمال ذكرها في كلام آخر وحديث ثان . وما قاله العلامة المجلسي (طاب ثراه) : في تطبيقه المثل على النفس وتسويلاتها . لا يتنافى تطبيقه ثانياً على شهوات الدنيا ودرجاتها ورناستها وصعودها ونزولها ؛ لأنّ ذلك كلّه ينتهي بالآخرة إلى النفس .

ولا أظنّ أن يريد رحمه الله غير ذلك ، فتدبّر كلامه السابق الذكر حتى تعرف مساعه .

النفس أصل الشرور والفجور ، والخيرات ، وفي وحدتها كلّ القوى ؛ ﴿ ونفس وما سوّوها ﴾ فألهمها فجورها وتقوها ﴿ قد أفلح من زكّوها ﴾ وقد خاب من دسّها ﴿^(٢) ، وأنها مبدء الإبعاد والإسعاد ، ولغة القرآن أوسع من غيره وهو العرف العام ، لأنّه لا يعرف غير الأمارة ، والقرآن يقسم النفس إلى الأربعة : النفس المطمئنة ، والملهمة ، واللوامّة ، والأمارة . ولكلّ شأن ، وحكم وأثر خاصّ .

(١) مرآة العقول ١٠/٣١٦ - ٣١٧ .

(٢) النمس : ٧ - ١٠ .

ويأتي بعض الكلام عليها عند « لاتدع النفس وهواها »^(١) وعند « الراكب الحرون أسير نفسه »^(٢) ، وبيان العلاج الكائن في الشرع المقدس .
بذكر الله تعالى تكبح النفس :

ولا شيء أقوى لكبحها من ذكر الله الخالص المورث السكون واطمئنان القلب كما قال الله تعالى : ﴿ أَلَا بَدْرُ اللَّهِ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾^(٣) ، ونهى النفس عن هواها يوجب إيواء صاحبها الجنة ﴿ وَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾^(٤) ، وقد جاء النهي عن فتح باب لا يطاق سدّه ، وهكذا الإمساك عن طريق تخاف ضلالتة ؛ ويشهد له الأوّل: الكتاب العلوي إلى عبدالله بن عامر .

قال (عليه السلام) :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبدالله علي أمير المؤمنين إلى عبدالله بن عامر . أما بعد ، فإن خير الناس عند الله عزّ وجلّ أقومهم لله بالطاعة فيما له أو عليه ، وأقولهم بالحق ولو كان مرأاً ؛ فإن الحق به قامت السموات والأرض . ولتكن سريرتك كعلانيتك ، وليكن حكمك واحداً ، وطريقتك مستقيمة ؛ فإنّ البصرة مهبط الشيطان . فلا تفتح على يد أحد منهم باباً لا يُطبق سدّه نحن ولا أنت والسلام»^(٥) .

دلّ بوضوح على نهي فتح باب لا يطاق سدّه وهو ما أعطاه المثل الكاظمي .

(١) حرف (لا) بعده التاء.

(٢) حرف الراء مع الألف.

(٣) الرعد : ٢٨ .

(٤) النزاعات : ٣٩ - ٤٠ .

(٥) وقعة صفين ١٠٦ .



والثاني : وصيته لابنه الإمام الحسن (عليهما السلام) في كلام طويل

وبليغ :

« ودع القول فيما لا تعرف ، والمخاطب فيما لم تكلف ، وأمسك عن طريق

إذا خفت ضلالتك ؛ فإن الكف عند حيرة الضلال خير من ركوب الأهوال »^(١).

والثالث النبوي :

« إذا هممت بأمرٍ فتدبر عاقبته ؛ فإن كان خيراً فأسرع إليه ، وإن كان

شراً فأنته عنه »^(٢).

قد دلّ بكلّ صراحة على لزوم الإمساك ووجوب التريث قبل الولوج في

الأمور ، والكف عمّا يفضي إلى الشرور والوقوع في الأهوال ولا سيما أمر يعلم

الإنسان بدخوله فيه سوء عاقبته.

ولعمري إنّه المقياس المطرد في جميع المجالات والشئون الاجتماعية

والانفرادية والحياة بأسرها وهل جرّت الويلات والفضائع وكلّ كبيرة منها أو

صغيرة إلّا بالتهور وعدم التريث الكافي فيها ، والثبات المعقول والتفكير والتدبر

الذي قد أكثر القرآن الكريم من الأمر به ، ولعلك لا تجد سورة من سوره إلّا

وتصرّح بذلك ، أو تلوح إن تدبرت فيها.

(١) النهج ١٦/٦٣ ، الكتاب ٣١.

(٢) البحار ٧١/٣٤٢.

أتدرون ما مثل هذا؟

قيل لموسى بن جعفر (عليه السلام) : مررنا برجل في السوق وهو ينادي : انا من شيعة محمد وآل محمد الخُلص ، وهو ينادي على ثياب يبيعهها : على من يزيد.

فقال موسى (عليه السلام) :

ما جهل ، ولا ضاع امرؤ عرف قدر نفسه أتدرون مامثل هذا ؟ [مامثل] هذا كمن قال : أنا مثل سلمان وأبي ذرّ والمقداد وعمار ، وهو مع ذلك يباخس في بيعه ويدّلس عيوب المبيع على مشتريه ، ويشترى الشيء بثمن فيزيد الغريب يطلبه فيوجب له ، ثم إذا غاب المشتري قال : لأريده إلاّ بكذا بدون ما كان يطلبه [منه] ، أيكون هذا كسلمان وأبي ذرّ والمقداد وعمار ؟ حاش لله أن يكون هذا كههم ، ولكن لانمنعه من أن يقول : أنا من محبّي محمد وآل محمد ، ومن موالي أوليائهم ومعادي أعدائهم^(١).

على تقدير الصدور إنّ إنساناً كهذا الإنسان يعدّه العقلاء من الحمقى الفاقدين الشعور ، ومن ظاهرة حديث عيسى بن مريم (عليه السلام) « يا روح الله : ما الأحق ؟ قال : المعجب برأيه ونفسه ، الذي يرى الفضل كله له لاعليه ، ويوجب الحقّ كلّهُ لنفسه ، ولا يوجب عليها حقّاً فذلك الأحق الذي لاحيلة في مداواته » وقبله : « إنّ عيسى بن مريم (عليه السلام) قال : داويت المرضى فشفيتهم بإذن الله وأبرأت الأكمه بإذن الله ، وعالجت الموتى فأحييتهم بإذن الله

(١) التفسير المنسوب إلى العسكري (ع) ٣١٢ . البحار ١٥٧/٦٨ . نقلاً عنه.

وعالجت الأحق فلم أقدر على إصلاحه»^(١).

وعلاج الأحق السكوت ففي علوي: «... فوالذي فلق الحبة وبرأ

النسمة ما أرضى المؤمن ربه بمثل الحلم، ولأسخط الشيطان بمثل الصمت،

ولا عوقب الأحق بمثل السكوت»^(٢).

(١) البحار ١٤/٣٢٣ - ٣٢٤.

(٢) البحار ٧٨/٤٢٤.

أقول: في الحمق والأحمق روايات مأثورة تأتي في محلها.

أترك وفيناك بما وعدناك

من كلمات الإمام الكاظم المختارة جاءت في ضمن كلام له مع أبي خالد الزبالي رواه ابن شهر آشوب قال :

أبو خالد الزبالي قال : نزل أبو الحسن (عليه السلام) منزلنا في يوم شديد البرد في سنة مجدية ، ونحن لا نقدر على عود نستوقد به ، فقال : يا أبا خالد اتنا بحطب نستوقد به ، قلت : والله ما أعرف في هذا الموضع عوداً واحداً ، فقال : كلاً يا أبا خالد ، ترى هذا الفجج؟^(١) خذ فيه ، فإنك تلقى أعرابياً معه حملان حطباً فاشترهما منه ولا تماكسه . فركبت حماري وانطلقت نحو الفجج الذي وصف لي ، فإذا أعرابي معه حملان حطباً فاشتريتهما منه وأتيته بها فاستوقدوا منه يومهم ذلك ، وأتيته بطرف^(٢) ما عندنا فطعم منه ، ثم قال : يا أبا خالد انظر خفاف الغلمان ونعالهم فأصلحها حتى تقدم عليك في شهر كذا وكذا .

قال أبو خالد : فكتبت تاريخ ذلك اليوم ، فركبت حماري اليوم^(٣) الموعود حتى جئت إلى لزق^(٤) ميل ، ونزلت فيه فإذا أنا براكب مقبل نحو القطار ، فقصدت إليه ، فإذا هو يهتف بي ، ويقول : يا أبا خالد ، قلت : لبيك جعلت فداك ، قال : أترك وفيناك بما وعدناك.....^(٥)

(١) الطريق بن جبلين .

(٢) جمع طرفة من نفيس الطعام .

(٣) في الأصل « يوم الموعود » والصحيح ما أتيتاه .

(٤) أي اللصوق بالميل .

(٥) المناقب ٤/ ٢٩٤ - ٢٩٥ ، البحار ٤٨/ ٧٧ - ٧٨ .

الوفاء بالوعد

أترى الإمام (عليه السلام) لما وعد أبا خالد قدومه عليه في شهر كذا لم يف له ؟ بلى والله قد وفى له حين وافاه أمام القطار وكان أول مقبل وقادم عليه . وهو من علامت يمتحن به إيمان الرجل مع صدق الحديث ، وأداء الأمانة . ﴿واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبياً﴾^(١) في صادقي : « سمي صادق الوعد لأنه وعد رجلاً في مكان فانتظره في ذلك المكان سنة فسأه الله عز وجل صادق الوعد... »^(٢).

١٦

أترين أنه ليس من مصائد الشيطان ؟

روى الشيخ الحرّ عن الكليني بإسناده عن كلثم بنت مسلم قالت : ذكر الطين عند أبي الحسن (عليه السلام) ، فقال : أترين أنه ليس من مصائد الشيطان، ألا إنه لمن مصائده الكبار ، وأبوابه العظام^(٣).

كيف صار أكل الطين من مصائد الشيطان الكبار ، وأبوابه العظام ؟

سؤال يخلج البال ؟

والجواب : كل ما أفضى الى الهلاك وقتل النفس ، والإعانة عليه ، ذلك من تسويل الشيطان الأعظم ، ذنب يركبه الإنسان ، ومن ثم كان التوصل إليه

(١) مريم : ٥٤ .

(٢) تفسير الصافي ٤٧/٢ .

(٣) الوسائل ٤٨٥/١٦ .

من أيّ طريق ، هو من عظام المحرّمات والآثام المحظور التعاون عليها بنصّ القرآن الكريم قال تعالى : ﴿ ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ﴾^(١) ،
﴿ ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة ﴾^(٢) ، و ﴿ ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ﴾^(٣) .

وفي الباقرى : « إن التمنيّ عمل الوسوسة ، وأكثر مصائد الشيطان أكل الطين ، إن الطين يؤرث السقم في الجسد ، ويهيج الداء ، ومن أكل الطين فضعف عن قوّته التي كانت قبل أن يأكله ، وضعف عن العمل الذي كان يعمل قبل أن يأكله ، حوسب على ما بين ضعفه وقوّته ، وعذب عليه »^(٤) .

وعلوي : « من انهمك في أكل الطين فقد شرك في دم نفسه »^(٥) .

ونبوي : « من أكل الطين فمات فقد أعان على نفسه »^(٦) .

وصادقي : « من أكل طين الكوفة ، فقد أكل لحوم الناس ؛ لأنّ الكوفة كانت أجمة ، ثم كانت مقبرة ما حولها »^(٧) .

ورضوي : « إن أكل الطين حرام مثل الميتة »^(٨) .

(١) الإسراء : ٣٣ .

(٢) البقرة : ١٩٥ .

(٣) المائدة : ٢ .

(٤) الوسائل ١٦/٤٨٣ .

(٥) الوسائل ١٦/٤٨٤ .

(٦) الوسائل ١٦/٤٨٥ .

(٧) الوسائل ١٦/٤٨٧ .

(٨) الوسائل ١٦/٤٨٦ وقامه : « والدم ولحم الخنزير ، فانههنّ عن ذلك » .

أجب دعوته إذا دعاك

من كلمات الإمام الكاظم (عليه السلام) التي أجاب بها عن كتاب علي ابن سويد السائي وهو في الحبس في حديث مطوّل رواه الشيخ الكليني في الروضة إلى أن قال (عليه السلام) :

« إن من واجب حق أخيك أن لا تكتمه شيئاً تنفعه به لأمر دنياه وآخرته، ولا تحقد عليه ، وإن أساء ، وأجب دعوته إذا دعاك ولا تخلّ بينه وبين عدّوه من الناس ، وإن كان أقرب^(١) إليه منك ، وعده في مرضه ، ليس من أخلاق المؤمنين الغشّ ... »^(٢).

أقول :

كلمة مختارة ماثورة حول حقوق المؤمنين بعضهم لبعض لا بد من أدائها وهي ثلاثون حقاً كما في العلوي النبوي :

« للمسلم على أخيه ثلاثون حقاً لا براءة له منها إلا بالأداء ، أو العفو : يغفر زلّته ، ويرحم عبرته ، ويستر عورته ، ويقلل عشرته ، ويقبل معذرتة ، ويردّ غيبته ، ويديم نصيحته ، ويحفظ خلّته ، ويرعى ذمّته ، ويعود مرضته ، ويشهد ميّته ، ويحجب دعوته ، ويقبل هديّته ، ويكافي صلّته ، ويشكر

(١) أي كان عدّوه من اقربائه المعادين له.

(٢) روضة الكافي ١٢٦.

أقول : وإجابة دعوة المؤمن قد جاءت في نبوي : « أجبوا الداعي ، ولا تردّوا الهدية » كنز العمال ٢٥٤/٩ ، رقم الحديث ٢٥٩١٤ . وإطلاقه شامل لغير المؤمن أيضاً فكيف بالمؤمن.

نعمته ، ويُحسّن نصرته ، ويحفظ حليلته ، ويقضي حاجته ، ويشفع مسألته ، ويسمّت عطسته ، ويرشد ضالّته ، ويردّ سلامه ، ويطيب كلامه ، ويرى إنعامه ، ويصدق إقسامه ، ويوالي وليّه ، ولا يعاد [وليّه] ، وينصره ظالماً ومظلوماً ، فأما نصرته ظالماً فيردّه عن ظلمه ، وأما نصرته مظلوماً فيعينه على أخذ حقّه ، ولا يُسلمه ، ولا يخذله ، ويحبّ له من الخير ما يحبّ لنفسه ، ويكره له من الشرّ ما يكره لنفسه .

ثم قال (عليه السلام) : سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول : إنّ أحدكم ليدع من حقوق أخيه شيئاً فيطالبه به يوم القيامة فيقضي له عليه»^(١) .

وسبعون كما في رواية المعلّى بن خنيس قال : سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن حق المؤمن ؟ فقال : سبعون حقاً لأخبرك إلا بسبعة ، فإنّي عليك مشفق أخشى أن لا تحتمل ، قلت : بلى إن شاء الله ، فقال : لا تشبع ويجوع ، ولا تكسى ويعرى ، وتكون دليله ، وقميصه الذي يلبسه ، ولسانه الذي يتكلّم به ، وتحبّ له ما تحبّ لنفسك ، وإن كانت لك جارية بعثتها لتمهّد فراشه ، ويسعى في حوائجه بالليل والنهار ، فإذا فعلت ذلك وصلت ولايتك بولايتنا ، وولايتنا بولاية الله^(٢) .

وإلى أقلّ ، أو أكثر ، ولو لم يكن منه إلا كلمة « ويحبّ له من الخير ما يحبّ لنفسه ، ويكره له من الشرّ ما يكره لنفسه » كما في النبوي الآنف الذكر ، لكفى ؛ لأنّها تجمع له الحقوق كلّها بما لا إحصاء له ولا يضبطه عدد كما لا يخفى

(١) الوسائل ٨/٥٥٠ نقلاً عن كنز الفوائد للكرجكي ونقله الشيخ الأنصاري في المكاسب المحرّمة في خاتمة أحكام الغيبة ٤/٧٢ - ٧٧ من طبع الكلنتر ، وتعرض لفروع الحقوق استدلالاً فراجع .

(٢) الوسائل ٨/٥٤٦ ، باب ١٢٢ من أبواب أحكام العشرة . الحديث ١١ ، وفي الباب ٢٥ حديثاً .

أمثال وحكم الإمام الكاظم عليه السلام / ج ١ ١٠٣

على اللبيب التنبه . وقد كتبت حول الحقوق رسائل وليس المقام مقام حصرها أو إنهاؤها ، وإن حديث الإمام الكاظم لعلي بن سويد السائي مشتمل على أمور: منها بيان بعض حقوق المؤمنين المتقدم الذكر ، من الأحاديث التي اهتم به العلماء، ولكل كلمة كلمة بيان لعلنا نذكره عندها ولا سيّما كلمة « ليس من أخلاق المؤمنين الغش »^(١).

١٨

اجتنب أفنية المساجد ، وشطوط الأنهار ، ومساقط الثمار

كلمة الوقاية لمن أراد أن ينتفع ، قالها الإمام الكاظم (عليه السلام) ، رواها الشيخ الكليني (طاب ثراه) قال :

علي بن إبراهيم رفعه ، قال : خرج أبو حنيفة من عند أبي عبدالله (عليه السلام) وأبو الحسن موسى (عليه السلام) قائم وهو غلام ، فقال له ابوحنيفة: ياغلام أين يضع الغريب ببلدكم ؟ فقال : اجتنب أفنية المساجد ، وشطوط الأنهار ، ومساقط الثمار ، ومنازل النزال ، ولا تستقبل القبلة بغائط ولا بول . وأرفع ثوبك ، وضع حيث شئت^(٢).

أقول : لا يضّر الحديث رفعه بعد ثبوت المضمون بالصحاح والموثقات منها السجّادي : « أين يتوضأ الغرباء ؟ قال : يتقي شطوط الأنهار ، والطرق النافذة ، وتحت الأشجار المثمرة ، ومواضع اللعن فقيل له : وأين مواضع اللعن؟

(١) روضة الكافي ١٢٦ ، وانظر حرف « ليس » مع الميم .

(٢) الكافي ١٦/٣ .

قال : أبواب الدور»^(١) والعلوي : « قال النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) : إذا دخلت المخرج فلا تستقبل القبلة ، ولا تستدبرها ، ولكن شرقوا أو غربوا»^(٢) .
للمخرج أحكام ، وجاء فيه قرابة ثلاثة مائة حديث منها الصادقي قال رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) : من فقه الرجل أن يرتاد موضعاً لبوله^(٣) أي يختار . والآخر : « نهى أن يطمح الرجل ببوله من السطح أو من الشيء المرتفع في الهواء»^(٤) .

من الأحكام التستر ، وتغطية الرأس .

في نبوي : « من أتى الغائط فليستتر»^(٥) ومن حكمة لقمان أنه كما في صادقي : « ولم يره أحد من الناس على بول ولا غائط ، ولا اغتسال لشدة تستره وتحفظه في أمره ... فبذلك أوتي الحكمة ، ومنح القضية»^(٦) ونبوي : « والذي نفسي بيده لأظلل حين أذهب إلى الغائط متقنعاً بثوبي استحياء من الملكين اللذين معي ...»^(٧) .

والصادق (عليه السلام) : إذا دخل الكنيف يقنع راسه ، ويقول - سرّاً في نفسه - بسم الله وبالله ...^(٨) .

و« إذا دخلت الغائط فقل : أعوذ بالله من الرجس النجس الخبيث

(١) الكافي ١٥/٣ .

(٢) الوسائل ٢١٣/١ .

(٣) الكافي ١٥/٣ .

(٤) المصدر .

(٥) الوسائل ٢١٥/١ .

(٦) المصدر نفسه .

(٧) المصدر نفسه .

(٨) الوسائل ٢١٤/١ .

أمثال وحكم الإمام الكاظم عليه السلام / ج ١ ١٠٥

المخبث الشيطان الرجيم ، وإذا فرغت فقل : الحمد لله الذي عافاني من البلاء ،
وأماط عني الأذى»^(١) .

١٩

اجتهدوا في أن يكون زمانكم أربع ساعات

من حِكَم الإمام الكاظم (عليه السلام) ، إن لم تكن من الأمثال الكائنة
في صحف إبراهيم (عليه السلام) التي تسمعتها بعد ذكر حديث الإمام روي
فداه .

قال الحرّاني (طاب ثراه) : وقال (عليه السلام) :

« اجتهدوا في أن يكون زمانكم أربع ساعات : ساعة لمناجاة الله ، وساعة
لأمر المعاش ، وساعة لمعاشرة الإخوان والثقات الذين يعرفونكم عيوبكم ،
ويخلصون لكم في الباطن ، وساعة تخلون فيها للذاتكم في غير محرّم . وهذه
الساعة تقدر على الثلاث ساعات » .

أقول :

وإليك ما وعدناك سماعه من أمثال صحف إبراهيم (عليه السلام) وهو :
ما ذكرناه في مقدّمة الكتاب من رواية الشيخ الحرّاني بإسناده عن أبي ذرّ (في حديث)
قال : قلت : يارسول الله فما كانت صحف إبراهيم ؟

(١) الوسائل ١/١٦ .

(٢) تحف العقول ٤٠٩ - ٤١٠ .

قال : كانت أمثالاً كلّها : « أيتها الملك المبتلى المغرور إنّي لم أبعثك^(١) لتجمع الدنيا بعضّها على بعضٍ ، ولكن بعثتك لتردّ عني^(٢) دعوة المظلوم ؛ فإنّي لأردّها ، وإن كانت من كافرٍ . وعلى العاقل ما لم يكن مغلوباً أن تكون له^(٣) ساعات : ساعة ينجي فيها ربّه ، وساعة يحاسب فيها نفسه ، وساعة يتفكّر فيها صنع الله إليه ، وساعة يخلو فيها بحضّ نفسه من الحلال ؛ فإنّ هذه الساعة عون لتلك الساعات وإستجمام للقلوب ، وتفرّغ لها » الحديث^(٤) .

وإنّا ذكرناها من بدايتها ليتجلّى لك إطلاق كلمة الأمثال على المواعظ والحكم ، ومنها تقسيم الساعات إلى أربع موافق لقول الإمام الكاظم (عليه السلام) ، ولكن في حكمة آل داود التثليث لها ، مخالف له ، وإن وافقه في الجملة وهي رواية الشيخ الحرّ عن الشيخ بإسناده عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال : « إنّ في حكمة آل داود : ينبغي للمسلم العاقل أن لا يرى ظاعناً إلّا في ثلاث : مرّة لمعاشٍ ، أو تزوّد لمعادٍ ، أولدّة في غير ذات محرم .

وينبغي للمسلم العاقل أن يكون له ساعة يُفضي بها إلى علمه فيما بينه وبين الله جلّ وعزّ ، وساعة يلاقي إخوانه الذين يفاوضهم ويفاوضونه في أمر آخرته ، وساعة يُخلي بين نفسه ولذاتها في غير محرم ؛ فإنّها عون على تلك الساعتين »^(٥) .

بيان :

العون للساعتين المذكور هنا مذكور للساعات الثلاثة في تقسيمها

(١) البعث هنا بمعنى الخلق .

(٢) أي لا تجعل المظلوم أن يمدّ يده إليّ فإنّي لأردّها .

(٣) فيه سقط كلمة « أربع » والله العالم .

(٤) الوسائل ٣٧٨/١١ ، وتقديم الكتاب عند تفسير المثل الحديثي من شواهد الحديث فرأجم

(٥) الوسائل ٤٠/١٢ ، الباب ٢١ من مقدّمات التجارة ، الحديث ١ .

التربيعي النبوي ، والكاظمي كما أنّ ساعة لقاء الإخوان جاءت في الكاظمي فقط ، ولعلّ سرّ عدم ذكرها في النبوي لأجل اختصاص ذلك بأمة دون أمة .
وأما سرّ عون الخلوة بالحلال ، فللحصول على فراغ البال كالجانح إذا شبع ، والظامي إذا روي .

التوزيع :

إذا وزّعت ساعات الليل والنهار إلى أربع فيصير لكلّ منها ست ساعات ويضمن لصاحبها ست ساعات لمعاشه ومثلها لما بينه وبين الله ، ومثلها للقاء الإخوان ويأتي بيانه ^(١) ، ومثلها للذة الحلال فيكمل معها النصاب العادل مع تربيع التقسيم .

وأما على التثليث فلا ضمان لمعاش صاحبه ؛ إذ الثلث وهي ثمان ساعات للمناجاة مع ربّه ، والثلث الثاني للقاء إخوة المفاوضة ، والثلث الثالث للذة الحلال . فأين المعاش ؟ إلا أن يقال إنّ صدر الحديث قد صرّح بالظعن لمرمة المعاش فيه ، وبعد ضمّ آخره بأوله لتسام الحديث يحصل ضمان المعاش ، فالأحاديث متوافقة .

(١) رهن بموضعه المناسب .

٢٠

أجد الضراب ؛ فإن القوم فساق

روى الشيخ الكليني بإسناده عن عبدالله بن المفضل مولى عبدالله بن جعفر بن أبي طالب قال : قال : لما خرج الحسين بن علي المقتول بفتح ، واحتوى على المدينة ، دعا موسى بن جعفر إلى البيعة ، فأتاه فقال له : يا ابن عمّ لا تكلفني ما كلف ابن عمك^(١) أبا عبدالله ، فيخرج مني ما لا أريد ، كما خرج من أبي عبدالله ما لم يكن يريد . فقال له الحسين : إنها عرضت لك أمراً ، فإن أردته دخلت فيه ، وإن كرهته لم أحملك عليه والله المستعان .

ثم ودّعه ، فقال له أبو الحسن موسى بن جعفر حين ودّعه : يا ابن عمّ إنك مقتول فأجد الضراب ؛ فإن القوم فساق ، يظهرون إباناً ويسترون شركاً ، وإنا لله وإنا إليه راجعون ، احتسبكم عند الله من عصبه .

ثم خرج الحسين ، وكان من أمره ما كان ، قتلوا كلّهم كما قال (عليه السلام)^(٢) .

أقول :

لا يدلّ قوله (عليه السلام) : « أجد الضراب ؛ فإن القوم فساق » على رضاه لقيام الحسين صاحب فتح وثورته ، ولئن دلّ على شيء فالمراد : إن كان ولا بدّ من القيام ، فإن القوم أعداؤك وأعداء أهل البيت بالخصوص فأجد القتال

(١) وهو ابن علي بن الحسن بن علي من أولاد الحسن مع أولاد الحسين أولاد عمّ والغالب على الثائرين منهم عرض البيعة على الإمام المعاصرهم من الحسن بن محمد بن جعفر ، ومن الحسيني

يحيى بن زيد وغيرهم .

(٢) أصول الكافي ١/٣٦٦ ، البحار ٤٨/١٦٠ - ١٦١ .



معهم؛ لأنهم فساق ، وقد صرح بقتله وامتنع من بيعته وهذا دليل على الكراهة بدل الرضا ولاسيما النهي عن أخذه وتكليفه بها كلف ابن عمه أباه الإمام الصادق (عليه السلام) والتحذير عما يخرج منه ما لا يريد كما خرج من أبيه ما لم يكن يريد.

والحاصل الأمر بإجادة القتال لا دلالة له على الوفاق والرضا لو لم يدلّ على المنع والكراهة كما أعترف بها السيّد الثائر ، حتى أنّ الروايات المادحة لزيد ابن علي الداعي للرضا من آل محمد (صلى الله عليهم وسلّم) ، لعلها أكثر من الدائمة ؛ فإنّ فيها التنصيص على اتقائهم (عليهم السلام) من أولادهم الثائرين في وجوه الطغاة، ومع ذلك فقد جاء عنهم ما ظاهره الرضا بقيامهم .
نعم لاسبيل لنا للتدخل في شئونهم ، وإنّا حسب أولاد الأئمة عليهم كما جاء في المهدي : « وأما سبيل عمي جعفر وولده فسبيل إخوة يوسف (عليه السلام)»^(١).

صاحب الفتح

تقدّم الموجز من ترجمته بأنّه الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (عليهما السلام) ، وأمّه زينب بنت عبدالله بن الحسن ، خرج في أيام موسى الهادي ابن محمد المهدي ابن أبي جعفر المنصور ، وخرج معه جماعة كثيرة من العلويين ، وكان خروجه بالمدينة في ذي القعدة سنة تسع وستين ومائة بعد موت المهدي بمكة وخلافة الهادي ابنه^(٢) . وخروجه للكتّاب تفاصيل

(١) إكمال الدين ٢/٤٨٣ - ٤٨٤ ، باب ٤٥ ذكر التوقيعات ، غيبة الشيخ الطوسي ١٧٦ .

(٢) مرآة العقول ٤/١٥١ ، وقال فيه الفتح بفتح الفاء وتشديد الحاء : بئر بين التنعيم وبين مكة فرسخ تقريباً .

أقول : سبق بعض الكلام حوله في

أبشر بطول سلامة يامربع

مذكورة في كتبهم .

وإليك بعض التفصيل نقلاً من شرح الشيخ المجلسي للحديث المتقدم الذكر ، وسبب الخروج .

قال :

روى أبو الفرج الأصبهاني في كتاب مقاتل الطالبين بأسانيده عن عبدالله بن إبراهيم الجعفري وغيره أنهم قالوا : كان سبب خروج الحسين بن علي بن الحسن أن موسى الهادي ولي المدينة إسحاق بن عيسى بن علي ، فاستخلف عليها رجلاً من ولد عمر بن الخطاب يعرف بعبد العزيز بن عبدالله ، فحمل على الطالبين ، وأساء إليهم وأفرط في التحامل عليهم ، وطالبهم بالعرض في كل يوم ، فكانوا يعرضون في المقصورة ، وأخذ كل واحد منهم بكفالة قريبه ونسيبه ، فضمن الحسين بن علي يحيى بن عبدالله بن الحسن والحسن بن محمد بن عبدالله بن الحسن ، ووافى أوائل الحج .

وقدم من الشيعة نحو من سبعين رجلاً فنزلوا دار ابن أفلح بالبقيع ، وأقاموا بها ولقوا حسيناً وغيره ، فبلغ ذلك العمري ، وأنكره وغلظ أمر العرض ، وولّى على الطالبين رجلاً يعرف بأبي بكر بن عيسى الحائك مولى الأنصار ، فعرضهم يوم الجمعة ، فلم يأذن لهم في الانصراف حتى بدأ أوائل الناس يجيئون إلى المسجد ثم أذن لهم ، فكان قصارى أحدهم أن يغدو ويتوضأ للصلاة ويروح إلى المسجد ، فلما صلوا حبسهم في المقصورة إلى العصر ، ثم عرضهم فدعا باسم حسن بن محمد فلم يحضر ، فقال ليحيى وحسين بن علي لتأتياني به أو لأحبسكما فإن له ثلاثة أيام لم يحضر العرض ، ولقد خرج أو تغيب .

وجرى بينها وبينه في ذلك كلام طويل وأغلظا له القول إلى أن حلف العمري على الحسين بطلاق إمرأته ، وحرية ماله أنه لا يخلي عنه ، أو يجيئه به باقي يومه وليلته ، وإنه إن لم يجيء به ليركبني إلى سويقة فيخربها أو يحرقها

وليضربنَّ الحسين ألف سوط ، وحلف بهذه اليمين أنّ عينه إن وقعت على الحسن ليقتلته من ساعته ، فوثب يحيى مغضباً فقال له : أنا أعطى الله عهداً وكلّ مملوك لي حرّاً إن ذقت الليلة يوماً حتى آتيك بحسن بن محمد ، أو لأجده فأضرب عليك بابك حتى تعلم أنّي قد جئتكَ وخرجا من عنده وهما مغضبان وهو مغضب .

فقال حسين ليحيى : بشس لعمر الله ما صنعت حين تحلف لتأتيته به ، وأين تجد حسناً ؟ قال : لم أرد أن آتية بحسن والله وإلا فأنا نفي من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إن دخل عيني نوم حتى أضرب عليه بابه ومعى السيف إن قدرت عليه قتلته ، فقال له حسين : بشس ما تصنع تكسر علينا أمرنا . قال له يحيى : وكيف أكسر عليك أمرك إنّما بيني وبين ذلك عشرة أيام حتى تسير إلى مكة .

فوجه الحسين إلى الحسن بن محمد فقال : يابن عمّ قد بلغك ما كان بيني وبين هذا الفاسق فامض حيث أحببت ، قال الحسن : لا والله يابن عمّ بل أجيء معك الساعة حتى أضع يدي في يده ، فقال له الحسين : ما كان الله ليطلع عليّ وأنا جاء إلى محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو خصمي وحجيجي في أمرك ، ولكن أفديك بنفسى لعلّ الله أن يقيني من النار .

قال : ثم وجهه فجاء يحيى وسليمان وإدريس بنو عبدالله بن الحسن وعبدالله بن الحسن الأفطس ، وإبراهيم بن إسماعيل طباطبا ، وعمر بن الحسن ابن علي الحسن بن الحسن علي ، وعبدالله بن إسحاق بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن ، وعبد الله بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، ووجهوا إلى فتیان من فتیانهم ومواليهم ، فاجتمعوا ستة وعشرين رجلاً من ولد عليّ (عليه السلام) . وعشرة من الحاجّ ، ونفر من الموالي ، فلما أذن المؤذن بالصبح دخلوا المسجد ، ثم نادوا أحداً أحداً ، وصعد عبدالله بن الحسن الأفطس المنارة التي عند رأس النبي (صلى الله عليه وآله) عند موضع الجنائز ، فقال للمؤذن :

أذن بحَيٍّ على خير العمل ، فلما نظر إلى السيف في يده أذن بها وسمعه العُمري فأحسَّ بالشرِّ ، ودهش وصاح : (اغلقوا البغلة بالباب ، وأطعموني حَبِّي ماءً)^(١).

قالوا : ثم اقتحم إلى دار عمر بن الخطَّاب ، وخرج في الزقاق المعروف بزقاق عاصم بن عمر ، ثم مضى هارباً على وجهه يسعى ويضطر حتى نجا ، فصلى الحسين بالناس الصبح ، ودعا بالشهود العدول الذين كان العُمري أشهدهم عليه أن يأتي بالحسن إليه ، ودعا بالحسن ، وقال للشهود : هذا الحسن قد جئتُ به ، فهاتوا العُمري ، وإلا والله خرجت من يميني ، ومأ عليّ ، ولم يتخلف عنه أحدٌ من الطالبين إلا الحسن بن جعفر بن الحسن بن الحسن ، فإنه استعفاه ولم يكرهه ، وموسى بن جعفر بن محمد (عليهم السلام) .

وروى بإسناد آخر عن عنبرة العقباتي قال :

رأيت موسى بن جعفر بعد عتمة وقد جاء إلى الحسين صاحب الفتح ، فانكبَّ عليه شبه الركوع ، وقال : أحبُّ أن تجعلني في سعة وحلٍّ من تخلفي عنك ، فأطرق الحسين طويلاً لا يجيبه ، ثم رفع رأسه إليه ، فقال : أنت في سعة^(٢) .

قال :

وخطب الحسين بعد فراغه من الصلاة فحمد الله وأثنى عليه وقال : أنا ابن رسول الله على منبر رسول الله ، وفي حرم رسول الله ، أدعوكم إلى سنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) أيها الناس أنطلبون آثار رسول الله في الحجر والعود ، تمسحون بذلك وتضيِّعون بضعة منه ، قالوا : فأقبل حماد البربري ، وكان

(١) لعل هذه الكلمة من الأمثال السائرة تقال عند إحساس الشرِّ.

(٢) من دلائل اتقاء الإمام (عليه السلام) من السيد النائر هذه الفقرة كفقرة الحديث المصدر به .
البحث.

مسلحة للسلطان بالمدينة في السلاح ومعه أصحابه حتى وافوا باب المسجد الذي يقال له باب جبرئيل ، فنظرت إلى يحيى بن عبد الله قد قصده وفي يده السيف، فأراد أن ينزل فبدره يحيى فضربه على جبينه ، وعلى البيضة والمغفر والقلنسوة ، فقطع ذلك كله وأطار قحف رأسه وسقط عن دابته وحمل على أصحابه فتفرقوا وانهمزوا. وحجّ في تلك السنة المبارك التركي ، فبدأ بالمدينة ، فبلغه خبر الحسين فبعث إليه من الليل : إني والله ما أحب أن تبتي بي ولا أبتي بك فأبعث الليلة إليّ نفرًا من أصحابك ولو عشرة يبيتون عسكري حتى أنهمزم وأعتلّ بالبيات ، ففعل ذلك حسين ووجه عشرة من أصحابه فجعجعوا بمبرك ، وسيحوا في نواحي عسكريه ، فطلب دليلاً يأخذ به غير الطريق ، فوجده فمضى به حتى انتهى إلى مكة .

وحجّ في تلك السنة العباس بن محمد وسليمان بن أبي جعفر وموسى بن عيسى فصار مبرك معهم وأعتلّ عليهم بالبيات .

وخرج الحسين قاصداً إلى مكة ومعه ومن تبعه من أهله ومواليه وأصحابه وهم زهاء ثلاثة مائة وأستخلف رجلاً على المدينة فلما صاروا بفتح تلقتهم الجيوش ، فعرض العباس على الحسين الأمان والعفو والصلة فأبى ذلك أشدّ الإباء .

وعن سليمان بن عباد قال :

لما أن لقي الحسين المسودة أقعد رجلاً على جمل معه سيف يلوح به والحسين يمي عليه حرفاً حرفاً يقول : ناد ، فنادى : يا معشر الناس يامعشر المسودة هذا حسين بن رسول الله ، وابن^(١) عمه يدعوكم إلى كتاب الله وسنة

(١) أي ابن عم حسين وهو عيسى بن زيد حابسه بأمر محمد بن عبد الله انظر أصول الكافي

٣٦٣/١ . القائل له : لو تكلمت لكسرت فمك . فقال (عليه السلام) : يا أكسف يا أزرق ...

رسول الله ...

أبايعكم على كتاب الله وسنة رسول الله وعلى أن يطاع الله ولا يعصى وأدعوكم إلى الرضا من آل محمد ، وعلى أن نعمل فيكم بكتاب الله وسنة نبيه (صلى الله عليه وآله) ، والعدل في الرعية ، والقسم بالسوية ، وعلى أن تقيموا معنا وتجاهدوا عدونا ، فإن نحن وفينا لكم وفيتم لنا ، وإن نحن لم نف لكم ، فلا بيعة لنا عليكم .

قال : ولقيته الجيوش بفتح ، وقادتها العباس بن محمد ، وموسى بن عيسى ، وجعفر ومحمد ابنا سليمان ، ومبرك التركي ، والحسن الحاجب ، وحسين بن يقطين .
فالتقوا في يوم التروية وقت صلاة الصبح ، فأمر موسى بن عيسى بالتعبئة فصار محمد بن سليمان في الميمنة ، وموسى في الميسرة ، وسليمان بن أبي جعفر ، والعباس بن محمد في القلب . فكان أول من بدأهم موسى في الميسرة ، فحملوا عليه ، فاستطرد لهم شيئاً حتى أنحدروا في الوادي ، وحمل عليهم محمد ابن سليمان من خلفهم ، فطحنهم طحنة واحدة حتى قتل أكثر أصحاب الحسين ، وجعلت المسودة تصيح لحسين يا حسين لك الأمان ، فيقول : لا أمان أريد ، ويحمل عليهم حتى قتل وقتل معه سليمان بن عبدالله بن الحسن ، وعبدالله بن إسحاق بن إبراهيم بن الحسن ، وأصاب الحسن بن محمد نشابة في عينه فتركها في عينه وجعل يقاتل أشد القتال ، فناداه محمد بن سليمان : يا ابن خال اتق الله في نفسك لك الأمان ، فقال : والله مالكم أمان ، ولكن أقتل منكم ثم كسر سيفاً هندياً كان في يده ، ودخل إليهم فصاح العباس بابنه عبدالله قتلك الله إن لم تقتله ، أبعده تسع جراحت تنتظر هذا ؟ فقال له موسى بن عيسى : أي والله عاجلوه فحمل عليه عبدالله فطعنه فضرب العباس عنقه بيده صبراً ، ونشبت الحرب بين العباس بن محمد ومحمد بن سليمان وقال : أمنت ابن خالي فقتلتموه ؟ فقالوا نعطيك رجلاً من العشيرة تقتله مكانه .

قالوا : وجاء الجند بالرؤوس إلى موسى والعباس وعندهما جماعة من ولد الحسن والحسين ، فلم يسألاً أحداً منهم إلا موسى بن جعفر (عليه السلام) ، فقالا : هذا رأس الحسين ؟ قال : نعم ، إنا لله وإنا إليه راجعون مضى والله مسلماً صالحاً صواماً آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر ، ما كان في أهل بيته مثله ، فلم يجيبوه بشيء ، وحملت الأسرى إلى موسى الهادي ...^(١)

٢١

اجلس بارك الله فيك

كلمة البركة تقال في كل امر ذي بال وستسمع في « بارك الله لك »^(٢) ما يربطك بها ، وقد جاءت الكلمة في قصة جديرة بالسباع ، وإليك نصّها :
قال ابن شهر آشوب :

وحكي أن المنصور تقدّم إلى موسى بن جعفر بالجلوس للتهنئة في يوم النيروز ، وقبض ما يحمل إليه ، فقال (عليه السلام) : إني قد فتّشت الأخبار عن جدّي رسول الله (صلى الله عليه وآله) فلم أجد لهذا العيد خبراً ، وأنه سنّة للفرس ، ومحأها الإسلام ، ومعاذ الله أن نحبي ما محأه الإسلام ، فقال المنصور : إننا نفعل هذا سياسة للجند ، فسألتك بالله العظيم إلا جلست ، فجلس ، ودخل عليه الملوك والأمراء ، والأجناد يهنّونه ، ويحملون إليه الهدايا والتحف ، وعلى رأسه خادم المنصور ، يحصى ما يحمل ، فدخل في آخر الناس رجل شيخ كبير

(١) مرآة العقول ٤/١٥٦ - ١٥٨ ، باب ما يفصل به بين المحق والمبطل ، الحديث ١٨ .

(٢) حرف الباء مع الألف .

السن فقال له : يا أبن بنت رسول الله إني رجل صعلوك^(١) لامال لي ، أتحنك بثلاث أبيات قالها جدي في جدك الحسين بن علي (عليهما السلام) :

عجبتُ لمصقول علاك فرنده يوم الهياج وقد علاك غبارُ
ولأسهم نفذتك دون حرائر يدعون جدك والدموع غزارُ
ألا تفضقت السهام وعاقها عن جسمك الإجلال ، والإكبارُ

قال : قبلت هديتك اجلس بارك الله فيك ، ورفع رأسه إلى الخادم ، وقال : امض إلى أمير المؤمنين ، وعرفه بهذا المال فما يصنع به ؟ فمضى الخادم ، وعاد وهو يقول : كلها هبة مني له يفعل به ما أراد ، فقال موسى للشيخ : اقبض جميع هذا المال ، فهو هبة مني لك^(٢) .

أقول :

إنها واضحة لا تفتقر إلى بيان ، ويأثل المثل المثل النبوي : « بارك الله في صفقة يمينك » « بارك » من بَرَكَ البعير إذا أناخ في موضع فلزمه ، وهي الزيادة والأصل^(٣) .

(١) الصعلوك الفقير الذي لامال له ، والجمع الصعاليك مجمع البحرين - صعلك - .

(٢) المناقب ٤ / ٣١٨ - ٣١٩ ، البحار ٤٨ / ١٠٨ - ١٠٩ ، المستدرک ١٠ / ٣٨٦ - ٣٨٧ .

(٣) الأمثال النبوية ١ / ٢٩١ ، الرقم / ١٩٤ .

اجلس مكان السائل من المسؤول

من الأمثال السائرة ، يضرب في أدب السؤال والتعلم . من كلمات الإمام الكاظم في قصة طواف هارون العباسي معه (عليه السلام) نذكرها بأسرها : لاشتمالها على فوائد وعوائد : ومنها المثل النبوي^(١) .

روى ابن شهر آشوب كلام الفضل بن الربيع ، ورجل آخر قالاً : حجّ هارون الرشيد ، وابتدأ بالطواف ، ومنعت العامة من ذلك لينفرد وحده ، فبينما هو في ذلك إذ أنتدر أعرابي البيت ، وجعل يطوف معه ، وقال الحاجب [الحجاب] : تنحّ يا هذا عن وجه الخليفة ، فأنتهرهم الأعرابي وقال : إن الله ساوى بين الناس في هذا الموضع ، فقال : ﴿ سواء العاكف فيه والباد ﴾^(٢) .

فأمر الحاجب بالكف عنه ، فكلّمها طاف الرشيد ، طاف الأعرابي أمامه ، فنهض إلى الحجر الأسود ليقبّله ، فسبّقه الأعرابي إليه والتثمه ، صار الرشيد إلى المقام ليصلي فيه ، فصلّ الأعرابي أمامه ، فلما فرغ الرشيد من صلاته استدعى الأعرابي ، فقال الحجاب : أجب أمير المؤمنين ، فقال : مالي إليه حاجة فأقوم إليه ، بل إن كانت الحاجة له فهو أولى بالقيام إليّ ، قال : صدق ، فمشى إليه ،

(١) « من ولي أقواماً وهب له من العقل كعقولهم » . الأمثال النبوية ٢/٢٩١ ، رقم المثل ٥٨٥ ، حرف الميم مع النون ، جامع الأحاديث للبروجردي ١/٤٨٢ ، الباب ٢٠ المقدمات ، رقم

الحديث ٤٣ .

(٢) الحجّ : ٢٥ .

وسلّم عليه ، فردّ عليه السلام ، فقال هارون : أجلسُ يا أعرابي ؟ فقال : ما
الموضع لي فتستأذني فيه بالجلوس ، إنّها هو بيت الله نصبه لعباده ، فإن أحببت
أن تجلس فاجلس ، وإن أحببت أن تنصرف فانصرف .

فجلس هارون ، وقال : ويحك يا أعرابي من يراحم الملوك ! قال :
نعم ، وفيّ مستمع^(١) ، قال : فأني سائلك فإن عجزت آذيتك ، قال : سؤالك هذا
سؤال متعلّم ، أو سؤال متعنّت ؟ قال : بل متعلّم ! قال : اجلس مكان السائل
من المسؤول ، وسل وأنت مسؤول . فقال : أخبرني ما فرضك ؟ قال : إن الفرض
رحمك الله واحد ، وخمسة ، وسبعة عشر ، وأربع وثلاثون ، وأربع وتسعون ، ومائة
وثلاثة وخمسون ، على سبعة عشر ، ومن أثنى عشر واحد ، ومن أربعين واحد ،
ومن مأتين خمس ، ومن الدهر كلّ واحد ، وواحد بواحد^(٢) .

قال : فضحك الرشيد ، وقال : ويحك أسألك عن فرضك ، وأنت تعدّ عليّ
الحساب ؟!

قال : أما علمت أنّ الدين كلّ حساب^(٣) ، ولو لم يكن الدين حساباً ،
لما أتخذ الله للخلائق حساباً^(٤) ، ثم قرأ : ﴿ وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ
أْتَيْنَا بِهَا وَكُفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴾^(٥) ، قال : فبيّن لي ما قلت ، وإلاّ أمرت بقتلك
بين الصفا والمروة ، فقال الحاجب تهبه الله ، ولهذا المقام .

قال : فضحك الأعرابي من قوله ، فقال الرشيد : ممّا ضحكت يا أعرابي ؟
قال : تعجباً منكما : إذ لا أدري من الأجهل منكما ؟ الذي يستوهب أجلاً

(١) من الحكم إن لم تكن من أمثال المولدين ، انظر حرف الفاء مع الياء .

(٢) الكلمة من الأمثال السائرة حرف الواو مع الألف .

(٣) من المثل السائر حرف « أما » .

(٤) من المثل السائر حرف اللام مع الواو .

(٥) الأنبياء : ٤٧ .

أعمال وحكم الإمام الكاظم عليه السلام / ج ١ ١١٩

قد حضره ؟ أو الذي استعجل أجلاً لم يحضره ؟! فقال الرشيد : فسّر ما قلت .

قال : أمّا قولي : الفرض واحد : فدين الإسلام كلّ واحد . وعليه خمس صلوات وهي : سبع عشرة ركعة وأربع وثلاثون سجدة ، وأربع وتسعون تكبيرة ، ومائة وثلاث وخمسون تسيحة .

وأما قولي : من اثني عشر واحد : فصيام شهر رمضان من اثني عشر شهراً .

وأما قولي من الأربعين واحد : فمن ملك أربعين ديناراً ، أوجب الله عليه ديناراً .

وأما قولي : من مأتين خمسة : فمن ملك مائتي درهم ، أوجب الله عليه خمسة دراهم .

وأما قولي : فمن الدهر كلّ واحد : فحجّة الإسلام .

وأما قولي : واحد بواحد : فمن أهرق دمًا من غير حق ، وجب إهراق دمه ؛ قال الله تعالى : ﴿ النفس بالنفس ﴾^(١) .

فقال الرشيد : لله درك^(٢) ، وأعطاه بَدْرَة^(٣) .

فقال : فبم استوجب منك هذه البَدْرَة يا هارون : بالكلام ، أو بالمسألة ؟ قال بل بالكلام^(٤) . قال : فإني مسألك عن مسألة فإن أنت أتيت بها ، كانت

(١) المائدة : ٤٥ .

(٢) قال أهل اللغة في قولهم (لله درّه) : الأصل فيه أنّ الرجل إذا كثر خيره وعطاؤه وإنالته الناس قيل : لله درّه ، أي عطاؤه وما يؤخذ منه . فسبّهوا عطاءه بَدْرَة الناقة ... اللسان ٢٧٩/٤ - درر ..

(٣) قال الطريحي : البَدْرَة من المال هي - بالفتح فالسكون - : عشرة آلاف درهم ؛ سمّيت بَدْرَة لتنامها بجمع البحرين - بدر - .

(٤) أي الجواب .

البَدْرَةَ لك تصدَّق بها في هذا الموضع الشريف ، فإن لم تجبني عنها أضفت إلى البَدْرَةَ بَدْرَةَ أُخْرَى ، لأتصدَّق بها ، على فقراء الحيِّ من قومي ، فأمر بإيراد أُخْرَى . وقال : سل عمًّا بدالك .

فقال : أخبرني عن الخنفساء تَزَق ، أم ترضع ولدها ؟ فَخَرَدَ^(١) هارون ، وقال : ويحك يا أعرابي مثلي من يسأل عن هذه المسألة !.

فقال : سمعت مَن سمع من رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) يقول : « مَنْ وَلِيَ أَقْوَاماً وَهُبَّ لَهُ مِنَ الْعَقْلِ كَعُقُولِهِمْ »^(٢) ، وأنت إمام هذه الأمة يجب أن لا تسأل عن شيءٍ من أمر دينك ، ومن الفرائض إلّا وأجبت عنها فهل عندك له الجواب ؟ قال هارون : رحمك الله لا ، فبيّن لي ما قلته وخذ البَدْرَتَيْنِ . فقال : إنَّ الله تعالى لما خلق الأرض ، خلق دَبَابَاتِ الأَرْضِ من غير فرث ولام خلقها من التراب ، وجَعَلَ رزقها وعيشها منه ، فإذا فارق الجنين أمّه لم تَزَقّه ولم ترضعه ، وكان عيشها من التراب ، فقال هارون : والله ما ابتلى أحدٌ بمثل هذه المسألة . وأخذ الأعرابي البَدْرَتَيْنِ ، وخرج ، فتبعه بعض الناس ، وسأله عن اسمه؟ فإذا هو موسى بن جعفر بن محمد (عليهم السلام) . فأخبر هارون بذلك ، فقال : والله لقد ركنت أن تكون هذه الورقة من تلك الشجرة^(٣) .

بيان :

قوله (عليه السلام) : « سمعت مَن سمع من رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) » وجهه عليه سؤال : أن الإمام الكاظم (عليه السلام) ولد ١٢٨ هـ ، وآخر

(١) خَرَدَ الرجل : طال سكوته . استحيى من ذل .

(٢) الأمثال النبوية ٢/٢٩١ ، رقم المثل ٥٨٥ . حرف الميم مع النون .

(٣) المناقب ٤/٣١٢ - ٣١٣ ، البحار ٤٨/١٤١ - ١٤٣ ، باب مناظراته (عليه السلام) ... جامع أحاديث الشيعة ١/٤٨٠ - ٤٨٢ ، الباب ٢٠ المقدمات .

من رأى النبي (صلى الله عليه وآله) أبو الطفيل عامر بن وائل الصحابي المتوفى ١١٠ ، صرح بذلك الكشي ، والذهبي . والمعروف أنه توفي على رأس المائة ، فكيف يمكن السماع ولا تساعده الطبقة ؟ .

والجواب :

على تقدير المناظرة باب التأويل والتوجيه مفتوح
أولاً : إيمان حذف الوسائط للقرائن .

وثانياً : المراد من « ممن سمع ... » آباؤه المعصومون كابر عن كابر .
وثالثاً : قد جاءت صحة النسبة من المتأخر منهم إلى المتقدم بالقياس إلى غيرهم فضلاً عن أنفسهم وفيما بينهم (عليهم السلام) ، ومنه الصادقي : نسمع الحديث منك ، فلا أدري منك سماعه ، أو من أبيك ؟ فقال : ما سمعته مني ، فاروه عن أبي ، وما سمعته مني فاروه عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) (١) ، وقد تقدم البحث حوله (٢) .

ورابعاً : أن المعصوم (عليه السلام) له شأن غير شئون السائرين من الناس وهو مشيع في محله . وعليه فالسؤال مندفع بحذافيره ، وذكر الوجوه في الأمثال النبوية (٣) .

ثم لقوله (عليه السلام) : « اجلس مكان السائل من المسؤول » نظائر من أمثال العرب المولدين .

منها قولهم : (اجلس حيث تجلس) ، وقولهم : (اجلس حيث يؤخذ بيدك ، وتبرئ ، لا حيث يؤخذ برجلك وتجر) (٤) . يضرب لوقوف الإنسان على حده ،

(١) المصدر ص ١٢٨ ، الباب ٤ ، الحديث ٤ .

(٢) مقدمة الكتاب .

(٣) الجزء الثاني ٢٩١ ، رقم المثل ٥٨٥ ، كلمة « من ولي أقولاً وهب له من العقل كقولهم » .

(٤) مجمع الأمثال ١/١٩١ ، حرف الجيم .

والتحذير عن التعدي عنه ؛ إذ ليس المعلم كالمتعلم ، ولا المسؤول كالسائل ، ولا العالم كالجاهل.

ثم قال (عليه السلام) : « وسل وأنت مسؤول » يسأله الله تعالى عن الغاية من السؤال، وعن العمل بعد وضوح الجواب ، وما إلى ذلك من شئون يسأل المرء عنها يوم الحساب ، وعند وجدان كل إنسان كتابه وحسابه.
إن للسؤال أحكاماً إسلامية: اجتماعية وغيرها.

منها : التحذير عنه قال تعالى : ﴿ لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم ﴾^(١) ، فعلى السائل التفكير أولاً قبل السؤال ؛ لئلا يواجهه سوء ، وربّ سؤال أعقبه بلاء ووبال ، وكمن سلب السلام عن متكلم ومستمع ، وغيرهما من أناس آخرين.

ومنها الترغيب عليه لقوله عزّ وجلّ: ﴿ فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون ﴾ .

والسؤال كما وجب في حال الجهل ، حرم فيمن توفرت لديه وسائل وإمكانات يفقدها غيره.

والسؤال ممنوع أشد المنع إذا كان السائل متعنّياً يُوقع المسؤول في عنت ومشقة ، أو فيما لا يحمد ، في حال السؤال ، أو المستقبل ، أو أيّ وقت إلى يوم القيامة ، أو يوقع من جرّاء السؤال شخصاً آخر غير المسؤول كذلك أي في حال ، أو مستقبل ، وهلمّ جرّاً ، والوجه فيه لزوم رعاية الحق أو الحقوق في أيّ زمان ، أو عند إنسان كان ، ولعلّ من تدبّر عرف غير ذلك من وجوه.

يلقى الإمام الكاظم (عليه السلام) بكلامه المتقدم دروساً وآداباً

(١) المائدة: ١٠١.

(٢) النحل: ٤٣ ، الأنبياء: ٧.

على كل متعلم .

منها : أن يكون السؤال للتفقه ، دون التعمت .

ومنها : الخضوع للعالم ، لأجل علمه ، وأن لا يترفع بسؤاله على معلمه .

ومنها : أن السائل الجاهل أن لا تكون مهمته إلا زوال جهله ، ولا يكون

إلا بالتعلم .

ومنها : الإحساس بالمسؤولية عند السؤال حيث قال (عليه السلام) :

«سل وأنت مسؤول» ، وأن يعلم أنه بمحضر من العلم وحامله ولا سيما إذا كان

إماماً معصوماً مفترض الطاعة ، فليأخذ حذره ، وعليه من فرض التأدب كما قال

تعالى فيما اقتص من أدب التبادل بين موسى والخضر (عليهما السلام) : ﴿ قال

له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشداً ﴾^(١) .

استئذان ، واعتراف ، وعقيدة بفضيلة المعلم ومكانته ، وفي الآية من الأدب

الرفيع حيث دلت على فقدان العلم من السائل ، ووجوده عند المسؤول ،

ومقتضى فقدان السؤال ، والواجد العطاء ، وعلى الجاهل التعلم ، والمعلم التعليم

، وهذا القدر من بيان أدب التعلم ، لمن كان له قلب ، أو ألقى السمع كاف ،

والحمد لله .

وفي الحديث فوائد :

الأولى : من أحكام بيت الله الحرام كما قال الإمام (عليه السلام)

التسوية بين الناس فيه كما نصت آية ﴿ سواء العاكف فيه والباد ﴾^(٢) .

الثانية : أن الوالي مسؤول عن كل ما يسأله السائل لما في النبوي المذكور

في كلام الإمام روجي فداه : « من ولي أقواماً وهب له من العقل كعقولهم » .

(١) الكهف : ٦٧ .

(٢) الحج : ٢٥ .

الثالثة : الترغيب في تعلم فرائض الدين أصولها وفروعها كما عدّها جملة وتفصيلاً.

الرابعة : الحثّ على معرفة الأشياء وأدائها الخنفساء وفي السؤال من الوالي عنها تلويح إلى لزوم المعرفة بكلّ شيء ، ولا سيّما من مثله.

الخامسة : الاهتمام بإعلاء كلمة الله بالمناظرة العادلة في أشرف البقاع وأفضلها كبيت الله ومع الكلّ حتى من مثل هارون ، ولا يخشى المناظر السطوة، وليعلم أنّه بمحضر الله تعالى .

٢٣

أحبّ العباد إلى الله المفتنون التوّابون

روى الشيخ الكليني بإسناده في حديث قال : محمد بن فضيل : سألت أبا الحسن (عليه السلام) عن قوله عزّ وجلّ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾^(١) ، فقال : يتوب من الذنب ، ثم لا يعود فيه . وأحبّ العباد إلى الله المفتنون التوّابون^(٢) .

أقول : هذه الكلمة من حكم الإمام الكاظم (عليه السلام) ، قالها تفسيراً للآية.

(١) التحريم : ٨ .

(٢) الوسائل ١١/٣٥٧ .

سبع طوائف يحبهم الله تعالى قد صرح بهم في القرآن الكريم ، منهم التوَّابون :

- ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ التَّوَّابِينَ ﴾^(١).
- ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾^(٢).
- ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾^(٣).
- ﴿ وَاللَّهُ يَحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾^(٤).
- ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾^(٥).
- ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾^(٦).
- ﴿ وَاللَّهُ يَحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴾^(٧).

يحبّ الله تعالى هذه الخصال : التوبة . الإحسان . التقوى . الصبر . التوكّل . الإقساط . التطهّر . وليس معنى ذلك القصر عليها ، فغير سبع الطوائف : المصلّون والمزكّون والمخمسّون ، والصائمون ، والطائفون ، والرُكّع ، السجود...ممن يحبهم الله أيضاً.

وكل خصال الخير يحبها الله ، ولعل وجه التنصيص على تلك ، لأنها الأساس وأصل الخير كلّه وأجمعه ، ولا سيما التقوى وهي وصية الله التي ابتعث أنبياءه لها بعد دعوة التوحيد.

(١) البقرة : ١٢٢.

(٢) البقرة : ١٩٥.

(٣) آل عمران : ٧٦.

(٤) آل عمران : ١٤٦.

(٥) آل عمران : ١٥٩.

(٦) المائدة : ٤٢.

(٧) التوبة : ١٠٨.

التوبة النصوح :

في نبوي : « هو الندم على الذنب حين يفرط منك ، فتستغفر بندامتك عند الحافر^(١) ، لاتعود إليه أبداً^(٢) .

وعلوي : « ندم بالقلب ، واستغفار باللسان ، والقصد على أن لاتعود^(٣) .
وصادقي : « هو أن يتوب الرجل من ذنب ، وينوي أن لايعود إليه أبداً^(٤) .

وهادوي : « أن يكون الباطن كالظاهر ، وأفضل منه^(٥) .
ويقال : إن رجلاً اسمه نصوح كان له وجه كوجه المرأة لا شعر عليه ، ولحبت طويته اتخذ شغلاً يربطه بالنساء الغافلات يلبس عليهن أنه منهن ، حتى ما إذا كاد أن يفتضح ، ويتضح كل شيء تاب الى الله تعالى في السر ، وتضرع إليه ، وناجاه بكل وجوده أن لو نجاه من فضيحته لم يعد إلى ما كان فيه من خيانة وتمرد ، كاد أن يخيم عليه الافتضاح ، فلما عزم عزم إرادة وتاب توبة صدق من الذنب الذي كان فيه ولم يعد إليه أبداً ، نزلت عليه الرحمة ، وانكشفت عنه الغمة^(٦) .

(١) من الأمثال النبوية ٣٠٥/١ ، رقم المثل : « ندامتك عند الحافر » ٥٩٧ ، حرف النون مع الدال ،

الفائق ٢٩٣/١ - ٢٩٤ - حفر -

(٢) كنز العمال ٢٦٠/٤ ، رقم الحديث ١٠٤٢٧ .

(٣) البحار ٤٨/٧٨ .

(٤) معاني الأخبار ١٧٤ .

(٥) معاني الأخبار ١٧٤ - ١٧٥ ، البحار ٢٢/٦ .

(٦) من قصص كتاب المنوي للمولوي الرومي ، الدفتر الخامس ٥٧ - ٥٩ بعد التعريب لمحتوى

القصة المطولة التي تشبه الرومان والاقتصاص الخيالي : إن رجلاً اسمه النصوح له وجه كوجه النساء ومهنته تحصهن وكان بصفته دلالاً وقد ضلّت ضالّة في الحماة لبعض النسوة الخطوات ،

أقول :

صدقت قصة النصوص أم كذبت إن التائب بالتوبة
النصوص على ما فسرتها الأحاديث المتقدم ذكرها لا بد أن تصدق توبته ، وصدقها
عدم العود إلى الذنب أبداً .

خلق الخلق أطواراً :

إن النفوس ليست على طور واحد .

منها : ما إذا عزمت على أمر تزول الجبال ولم تزل عن عزمها الراسخ وهي
النفوس العارفة بالله تعالى ، فخامرتها الخشية والحياء ، وذاقت حلاوة حبه ، فلم
ترم منه بدلاً ، وتقول بلسان الحال على كل حالة :

« إلهي من ذا الذي ذاق حلاوة محبتك فرام منك بدلاً ، ومن ذا الذي أنس
بقربك فابتغى عنك حولاً ، إلهي فاجعلنا ممن أصطفيتهم لقربك وولايتك ،
وأخلصتهم لودك ومحبتك ، وشوقته إلى لقائك ... »^(١)

ومنها : ما إذا عزمت على ترك الذنوب ، دامت عليه زماناً ، ثم لضعف
إيمانها عادت إلى ما كانت عليه ، وأصبحت طعمة لإبليس ، وإلى مزاولته خصلة
أو خصال لا تحمد من ركوب ذنب ، أو هجر طاعة ، وصاحب هذه النفس يذنب

→ فقامت إحداهن للتحسس والفحص الكامل من كل من كان فيه ، ومن هنا خاف النصوص
الخائن ، المبتعد من السرفة ، وتاب في باطن ضميره ، وسويداء قلبه توبة صادقة وأن لا يعود
إلى هذه الجريمة النكراء فلما فعل ذلك ، وجدت الضالّة وترك النصوص ما كان فيه من المهنة
المهانة الخبيثة ، حتى لو لم تصدق القصة فإن من صدق نجا كما جاء هذا المثل أي : « من صدق
نجا » في الأمثال النبوية ٢/ ٢٧٩ ، الرقة ٥٧٤ ، كلمة « من » .

آونة ويتوب آونة أخرى وهو المفتتن التوّاب المذكور في الحديث الجاري.
ومن النفوس على ضدّ الأولى الراسخ العزم إذا عرضت عن الطاعة ربّما
عادت إليها بعد فترة طويلة ، ثم تعرض عنها كذلك أي بعد فترة طويلة وتعود
إليها ، ويخشى عليها أن تُردّي بصاحبها الإساءة وتتغلب إلى حدّ التكذيب بآيات
الله ، نعوذ بالله تعالى من أن تكون النفس مكذّبة من جرّاء السوء ، وقد قال عزّ
وجلّ : ﴿ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السَّوْءَ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا
يَسْتَهْزِءُونَ ﴾^(١).

فالنفس الأولى عارفة بالله مطيعة له تائبة من كلّ ذنب راسخة في الإيمان.
والثانية المفتتنة التوّابة المحبوبة عند الله.

والثالثة نعوذ بالله تكاد أن تفضي بصاحبها لكثرة ركوبها الذنوب إلى
التكذيب.

قوله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) المتقدّم : « فتستغفر الله بندامتك عند الحافر»
له بيان كما يلي .

قال ابن الأثير: قيل :

كانوا لكرامة الفرس عندهم ، ونفاستهم بها ، لا يبيعونها إلا بالنقد ،
فقالوا : النقد عند الحافر : أي عند بيع ذات الحافر ، وسيروه مثلاً . ومن قال :
« عند الحافرة » : فإنه لما جعل الحافر في الدابة نفسها ، وكثر استعماله من غير ذكر
الذات ، ألحقت به علامة التأنيث : إشعاراً بتسمية الذات بها ، أوهي فاعلة من
الحفر ؛ لأنّ الفرس بشدّة دوسها تحفر الأرض . هذا هو الأصل ثم كثر حتى
استعمل في كلّ أوليّة ، فقيل : رجع إلى حافر وحافرته .

والمعنى تنجيز الندامة ، والاستغفار عند واقعة الذنب من غير تأخير :



لأن التأخير من الإصرار .

والباء في « بندامتك » بمعنى مع ، أو للاستعانة : أي تطلب مغفرة الله بأن تتدم . والواو في « وتستغفر » للحال ، أو للعطف على الندم^(١) .

والزَمْخَشَرِي :

شَرَحَ المَثَلَ مع اختلاف بعض ألفاظ : مثلاً قال : لا يبيعونها بالنساء^(٢) بدل (إلا بالنقد) . وقال : وسيروه مثلاً ، أي عند بيع الحافر في أول وهلة العقد من غير تأخير ، والمراد بالحافر ذات الحافر وهي الفرس ، ومن قال : عند الحافرة فله وجهان :

أحدهما لما جعل الحافر ... فقليل : أقتنى فلان الحفّ والحافر أي ذواتهما الحقت .

والثاني : أن يكون فاعلة من الحفر ؛ لأن الفرس بشدة دوسها تحفر الأرض ، كما سميت فرساً لأنها تفرسها : أي تدقّها هذا أصل الكلمة ، ثم كثرت حتى استعملت في كل أوليّة ...
والواو في « وتستغفر »^(٣) ... ويحتمل أن يعطف على الندم على أن أصله وأن تستغفر ، فحذف . كقوله :

(١) النهاية ٤٠٦/١ - حفر -

وَمُ تَكُن الوَاوُ فِي « وَتَسْتَغْفِرُ » عَلَى نَسْخَةِ الكَنْزِ وَإِنَّمَا هِيَ نَسْخَةُ النِّهَايَةِ .

(٢) النِّسَاءُ : التَّأخِيرُ هَامِشُ الفَائِقِ ٢٩٣/١ - حفر -

وَلَا يَخْفَى أَنَّ المَثَلَ النِّبَوِيَّ قَدْ تَقَدَّمَ ذَكَرَهُ فِي الهَامِشِ السَّالِفِ وَمُصَدَّرُهُ الأَمْثَالُ النِّبَوِيَّةُ ٣٠٥/٢ . رَقْمُ المَثَلِ ٥٩٧ ، حُرُوفُ التَّوْنِ مَعَ الدَّالِ ، وَنَظَرُ المِصْدَرِ فَإِنَّ فِيهِ مَا يَطَّلِعُكَ عَلَى مَا هَاهُنَا .

(٣) هَذَا كَابِنُ الأَثِيرِ فِي نَسْخَةِ الوَاوِ .

* ألا أيهذا اللاتمي أحضَرَ الوغى *^(١)

النصوح : هي التي ينصح فيها الإنسان نفسه مبالغاً ، فجعل الفعل لها كأنها هي التي تبلغ في النصيحة^(٢) .

وإنما ذكرنا موضع اختلاف الفاظ الرجلين حرصاً على أمانة النقل .
ولعمري أن التوبة أمرها مشدّد ، تجب على جميع الناس حتى الأنبياء عليهم السلام ؛ لأن معنى التوبة الرجوع إلى الله ، ومن تاب إلى الله تاب الله عليه ، فرجوع العبد إلى الطاعة ، ورجوع الله إلى المغفرة والرحمة والقبول ، ولكل كما تقدّم توبة فالأنبياء توبتهم من الطاعات التي يحسّون بأنها لا تليق بمقام ربهم وعظمتهم وأنهم لا يستطيعون^(٣) بالقيام بها هو تعالى أهله وكما يستحقّه ، ولا يقدر القادرون قدر الله حقّ قدره ومن يقدر أداء شكر أصغر نعمة من النعم؟ ليس شكر الشاكر هي نعمة يجب عليه شكرها ؟ والطاعة مهما كان القائم بها لا تفي بعظمة الله عزّ وجلّ ، وأمام جبروته وكبريائه .

هذا حال الأنبياء والأئمة المعصومين وعباده المكرمين الذين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ، فكيف بمن سواهم من الناس الغرقين في الآثام والتمرد ، والجهل والطغيان ، والعصيان ، فلو أطاعوه مدى الدهر ، لم يجبروا هتك ستر الحياء .

فتوبة العباد من الذنوب ، وتوبة المعصومين من الإحساس بالقصور عن القيام بها يليق بمقام الربّ تعالى ، يخافون أن يكونوا مقصّرين وليسوا بمقصّرين ، وإنّما ذلك من خشية العظمة والجلال ، والحبّ المفرط البالغ

(١) لطفة بن عبد البكري وهو من شعراء الجاهلية هاشم الفائق ٢٩٤/١ .

(٢) الفائق ٢٩٣/١ - ٢٩٤ - حفر - .

(٣) « حسنات الأبرار سيئات المقربين » المحجّة البيضاء ٨٩/٧ . يرويه عن الصادق (عليه

السلام) . وهو من الأمثال . أمثال وحكم ٦٩٥/٢ .

إحدى الجهالتين أهون من الأخرى

أبو علي الأشعري عن محمد بن عبد الجبار ؛ ومحمد بن إساعيل عن الفضل بن شاذان جميعاً عن صفوان عن عبد الرحمن بن الحجاج عن أبي إبراهيم (عليه السلام) قال : سألته عن الرجل يتزوج المرأة في عدتها بجهالة : أهي ممن لا تحل له أبداً ؟

فقال : لا ، أما إذا كان بجهالة فليتزوّجها بعد ما تنقضي عدتها ؛ وقد يعذر الناس في الجهالة بما هو أعظم من ذلك . فقلت : بأي الجهالتين يعذر : بجهالته أن يعلم أنّ ذلك محرّم عليه أم بجهالته أنّها في عدّة ؟

فقال : إحدى الجهالتين أهون من الأخرى : الجهالة بأنّ الله حرّم ذلك عليه ؛ وذلك بأنّه لا يقدر على الاحتياط معها . فقلت : فهو في الأخرى معذور؟ قال : نعم ، إذا انقضت عدتها فهو معذور في أن يتزوّجها ، فقلت : فإن كان أحدهما متعمداً والأخرى بجهل ، فقال : الذي تعمّد لا يحلّ له أن يرجع إلى صاحبه أبداً^(١).

الجهالة قسمان : جهالة بحكم الله تعالى ، وجهالة بالموضوع وبالتطبيق ، وللجهالتين أحكام شرعية تناوّلها الفقه الإسلامي لاجمال لذكرها في المقام . ثم وجه أهوية إحدى الجهالتين وهي الجهالة بحكم الله عزّ وجلّ من

(١) الكافي ٥/٤٢٧ ، كتاب النكاح ، باب المرأة التي تحرم على الرجل ... الحديث ٣.

الأخرى التي هي التطبيق بأن المرأة قد انقضت عدتها أم لا ؟ هو أن الكلام على القاصر المعذور لا المتعمد المقصر؛ فإنه لا يعذر كما صرح (عليه السلام) بذلك فلاحظ^(١).

٢٥

احذر أن تكون سبب بليّة على الأوصياء ، أو حارشا عليهم

كلمة مختارة تحذر عن أذى الأوصياء مباشرة أو تسبيهاً ، وبكلّ ألوانه مأثورة عن الإمام الكاظم (عليه السلام) في جواب كتاب علي بن سويد ، وهو في الحبس قد سبق منه عند « أجب دعوته^(٢) إذا دعاك^(٣) » ، و « إذا انكسفت الشمس فارفع بصرك إلى السماء^(٤) » ، و « إذا رأيت المشوّه الأعرابي ... فانتظر فرجك^(٥) » ، و « استمسك بعروة الدين : آل محمد^(٦) » .

ولانذكر من الحديث إلامايلى :

« رأيت أن أفسر لك ما سألتني عنه مخافة أن يدخل الحيرة على ضعفاء شيعتنا من قبل جهالتهم ، فاتق الله عزّ ذكره ، وخصّ بذلك الأمر أهله ، واحذر أن تكون سبب بليّة على الأوصياء ، أو حارشا عليهم ... »^(٧).

(١) والكلمة المختارة صالحة لضربها مثلاً في بعض المواطن ولها تفاصيل مذكورة في المظان.

(٢) أخاه المؤمن.

(٣) حرف الهمزة مع الجيم.

(٤) حرف (إذا).

(٥) حرف (إذا).

(٦) حرف الهمزة مع السين.

(٧) روضة الكافي ١٢٤.

أقول :

إنما تجرّى الطغاة ، وفراغنة العصور عليهم (عليهم السلام) لعاملين أساسيين : العامل الأول : تجنّبهم لحبّ الملك . والثاني إذاعة سرّهم ، وعدم حفظ لسان المنتمي إليهم ؛ ومن ثم تشدّد النصوص على وجوب الكتان ، قال الشيخ الكليني :

محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن ابن محبوب عن مالك بن عطية عن أبي حمزة عن علي بن الحسين (عليهما السلام) قال : ودّدت والله أنّي افتديتُ خصلتين في الشيعة لنا ببعض لحم ساعدي : النزق ، وقلة الكتان^(١).

ومنها الصادقي :

« أمر الناس بخصلتين ، فضيّعوهما فصاروا منها على غير شيء : الصبر والكتان ».

والآخر : « ياسليمان إنكم على دين من كنمه أعزه الله ، ومن أذاعه أذله الله ».

والآخر : عن عمّار قال : قال لي أبو عبدالله (عليه السلام) : أخبرت بما أخبرتك به أحداً ؟ قلت : لا إلا سليمان بن خالد ، قال : أحسنت ، أما سمعت قول الشاعر :

فلا يعدون سرّي وسرّك ثالثاً
ألا كلّ سرّ جاوز الاثنين شاع^(٢)

(١) أصول الكافي ٢/٢٢١ - ٢٢٢.

(٢) المصدر ٢٢ ، و٢٢٤ . (كلّ سرّ جاوز الاثنين شاع) أمثال وحكم ٣/١٢٢٦.

احذر ردّ المتكبرين

من الأدب الرفيع في الحكمة ما رواه ابن شعبة الحرّاني (طاب ثراه) من كلمات الإمام الكاظم (عليه السلام) لهشام بن الحكم قال :

« وإياك أن تغلب الحكمة ، وتضعها في الجهالة [الجهال] ، قال هشام : فقلت له : فإن وجدت رجلاً طالباً له ، غير أن عقله لا يتسع لضبط ما ألقى إليه؟ قال (عليه السلام) : فتلطف له في النصيحة ، فإن ضاق عليه [ف] لا تعرض نفسك للفتنة ، واحذر ردّ المتكبرين ؛ فإن العلم يذلّ على من يميل على من لا يفيق... »^(١).

الدراسة وأدائها :

الأول : الحفاظ على العلم أن لا يأخذه الجاهل قهراً ، فيغلب عليه .
الثاني : عرضه على طالبه؛ فإنه تلبية لأول شروط الأهلية أي الطلب.
الثالث : نصيحة من يقلّ ضبطه من طلبة العلم ، ولا يتسع له.
الرابع : التحذّر من إذلال العلم ، فلا يبذله لمن لا يعرف نفاسته ، إذا عرض عليه أعرض عنه بقلبه ، وحمل على حامله تكبراً ، إذ في العرض دلالة على الإحساس بالفقد ، وهو يرى في زعمه واجداً له ، فيصدّي للردّ قضاءً لما فات من كرامة وشرف يعتقدونها ، فيجب الحذر عمّا يسبّب الردّ والوقوع في الفتنة التي لا يدري وجه الخلاص منها ، وقد جاء عن الإمام (عليه السلام) :

(١) تحف العقول ٣٩٨ ، البحار ٧٨ / ٣١٤.

« ياهشام لا تمنحوا الجهال الحكمة فتظلموها ، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم »^(١).

٢٧

احذرك الله ونفسي

من كتاب الإمام الكاظم (عليه السلام) جواباً عما كتب إليه يحيى بن عبدالله بن الحسن.

نذكر الكتاب والجواب ليكون الأصل لما نبي عليه فيما تأتي من كلمات.

قال الشيخ الكليني (طاب ثراه) :

وهذا الإسناد^(٢) ، عن عبدالله بن إبراهيم الجعفري قال : كتب يحيى بن عبدالله بن الحسن إلى موسى بن جعفر (عليهما السلام) : أما بعد فإني أوصي نفسي بتقوى الله ومها أوصيك ؛ فإنها وصية الله في الأولين ، ووصيته في الآخرين .

خبرني من ورد علي من أعوان الله على دينه ، ونشر طاعته بما كان من تحننك مع خذلانك ، وقد شاورت في الدعوة للرضا من آل محمد (صلى الله عليه وآله) ، وقد احتجبتها واحتجبتها أبوك من قبلك ، وقديماً أدعيتم ما ليس لكم ، وبسطتم آمالكم إلى ما لم يعطكم الله ، فاستهويتهم وأظلمتم وأنا محذرك ما حذرك الله من نفسه .

(١) البحار ٣٠٣/٧٨ نقلًا من التحف.

(٢) بسند له يذكره في أصول الكافي ٣٥٨/١ . الحديث ١٧ . باب ما يفصل به بين دعوى الحق والمبطل في أمر الامامة.

فكتب إليه أبو الحسن موسى بن جعفر (عليه السلام) :

من موسى بن عبد الله جعفر وعليّ مشتركين في التذلل لله إلى يحيى بن عبد الله بن حسن . أما بعد فإني أحذرك الله ونفسي ، وأعلمك أليم عذابه وشديد عقابه ، وتكامل نقامته ، وأوصيك ونفسي بتقوى الله ؛ فإنها زين الكلام ، وتثبيت النعم ، أتاني كتابك تذكر فيه أتي مدعٍ وأبي من قبل ، وما سمعت^(١) ذلك مني ، وستكتب شهادتهم ويسألون ، ولم يدع حرص الدنيا ومطالبها لأهلها مطلباً لآخرتهم ، حتى يفسد عليهم مطلب آخرتهم في دنياهم . وذكرت أني تبطتُ الناس عنك لرغبتني فيما في يدك ، وما منعتني من مدخلك الذي أنت فيه لو كنت راغباً ضعفاً عن سنة ، ولا قلة بصيرة بحجة ، ولكن الله تبارك وتعالى خلق الناس أمشاجاً ، وغرائب ، وغرائز . فأخبرني عن حرفين أسألك عنهما : ما العترف في بدنك ؟ وما الصهلج في الإنسان ؟ ثم اكتب إليّ بخبر ذلك . وأنا متقدم إليك أحذرك معصية الخليفة ، وأحثك على برّه وطاعته ، وأن تطلب لنفسك اماناً قبل أن تأخذك الأظفار ، ويلزمك الخناق من كل مكان ، فتروّح إلى النفس من كل مكان ولا تجده ، حتى يمن الله عليك بمنه وفضله ، ورقة الخليفة أبقاه الله ، فيؤمنك ويرحمك ، ويحفظ فيك أرحام رسول الله ﷺ **والسلام على من اتبع الهدى** * **إنّا قد أوحى إلينا أن العذاب على من كذب وتولى** ﴿١٣١﴾ .

قال الجعفري :

فلبغني أن كتاب موسى بن جعفر (عليه السلام) وقع في يدي هارون ،

(١) أي لا بد من السماع مني ، لا بإخبار مخبر ، أو شهادة الشاهدين في الأمر ؛ لأن شهادتهم ليست إلا جلب رضاك لا حقيقة لها .

(٢) طه : ٤٧ - ٤٨ . أصول الكافي ١/٣٦٦ - ٣٦٧ . الحديث ١٩ . باب ما يفصل به بين **يحيى** الحق والمبطل في أمر الإمامة . كتاب الحجّة . البحار ٤٨/١٦٥ - ١٦٧ .

فلما قرأه قال : الناس يحملوني على موسى بن جعفر وهو بريء مما يرمى به^(١) .
أقول :

لانذكر من الكتاب والجواب هنا سوى أمرين : التحذير . وترجمة يحيى
ابن عبد الله ؛ إذ لكل كلمة كلمة من الجواب شرح يطول ، والأنسب التّعرض لها في
محلّ متاح ، ورهن الوفاء به .

التحذير :

من الحذر : التحرّز والتيقّظ . ومنه ﴿ وإنا لجميع حاذرون ﴾^(٢) قالوا :
متأهبون .

قال ابن فارس : و ﴿ حذرون ﴾ خائفون . حذر يحذر حذاراً . ورجل
حذرٌ وحذورٌ وحذريان : متيقّظ متحرّزٌ . وحذار بمعنى احذر . قال^(٣) :
* حذارٍ من أرماحنا حذارٍ *^(٤)

من الحذر إحدى وعشرون كلمة في القرآن الكريم ، منها قوله تعالى
﴿ ويحذركم نفسه وإلى الله المصير ﴾^(٥) ، و ﴿ ويحذركم نفسه والله رؤف
بالعباد ﴾^(٦) .

قال الفيض في الأولى : فلا تتعرضوا لسخطه بمخالفة أحكامه ، وموالاته
أعدائه . وهذا تهديد عظيم ووعيد شديد^(٧) .

(١) أصول الكافي ١/٣٦٧ ، المصدر نفسه .

(٢) الشعراء : ٥٦ . القراءة المعروفة ، وقرأ ﴿ حذرون ﴾ . ذكرها ابن فارس وغيره .

(٣) القائل أبو النجم العجلي كما في هامش معجم مقاييس اللغة ٢/٣٧ - حذر -

(٤) المصدر نفسه متناً .

(٥) آل عمران : ٢٨ .

(٦) آل عمران : ٣٠ .

(٧) تفسير الصافي ١/٢٥٣ .

وقال في الثانية : إشارة إلى أنه تعالى إننا نهاهم وحذرهم ، رافةً بهم ، ومراعاةً لصلاحهم ، وأنه لذو مغفرة ، وذو عقاب ، يرجى رحمته ، ويخشى عذابه^(١) .
ونسبة التحذير إلى نفسه المراد بها الذات ، للدلالة على أنه المحذّر ، لا سواه .

ولو أن المؤمن أتى بأعمال الثقيلين وفي مقدّماتهم الأنبياء والأئمة الطاهرون (عليهم السلام) لكان خائفاً ، ولو ركب كلّ ذنب ، لكان راجياً فالخوف والرجاء له ككفتي الميزان إلا في حالة النزاع المطلوب غلبة الرجاء بأن تعمّه رحمته الواسعة .

والغرض من التحذير في الآية والرواية أن يكفّ المتمرد عن تمرّده ، وعلى عامّة الناس ترك الذنب ، والرجوع إلى الطاعة .

نعم في الحديث الكاظمي الخطاب إلى يحيى المدّعي الإمامة مورده الخاصّ ؛ وخصوص المورد لا يخصّص عموم الحكم لما تقرّر في محله . ولعلّ أكثر الآيات والروايات كذلك ، إذ الحكم يتبع سببه وعلة الحكم تستدعي الاطراد أينما حلّت وهو واضح غايته .

وتحصّل من بحث التحذير من القرآن والحديث ، وجوب ترك الذنوب ، والرجوع إلى الطاعة^(٢) .

ترجمة يحيى بن عبدالله .

قال الأستاذ الخوئي : يحيى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) الهاشمي المدني . من أصحاب الصادق (عليه السلام) .

(١) تفسير الصافي ٢٥٤/١ .

(٢) ومقتضى الرافة أن لو ركب العبد الذنب ثم تاب إلى الله قبول توبته .

رجال الشيخ ...

وقال السيد بن المهنا في عمدة الطالب : يحيى صاحب الديلم ، ابن عبدالله المحض بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، ويقال له الأتلي^(١) ، وكان يحيى قد هرب إلى بلاد الديلم ، فظهر هناك ، واجتمع عليه الناس ، وباعه أهل تلك الأعمال ، عظم أمره ، وقلق الرشيد بذلك وأهمه وانزعج منه غاية الانزعاج ، فكتب إلى الفضل بن يحيى البرمكي : أن يحيى بن عبدالله قذاة في عيني ، فأعطه ما شاء ، واكفني أمره . فسار إليه الفضل في جيش كثيف ، وأرسل إليه بالرفق والتحذير والترغيب والترحيب ، فرغب يحيى في الأمان فكتب له الفضل أماناً مؤكداً ، وأخذ يحيى ، وجاء به إلى الرشيد - إلى أن قال :- ومضى يحيى إلى المدينة ، فأقام بها إلى أن سعى به عبدالله بن مصعب بن ثابت ابن عبدالله بن الزبير إلى الرشيد فقال له : يحيى بن عبدالله أرادني على البيعة: له ، فجمع الرشيد بينها بعد أن استقدم يحيى من المدينة - إلى أن قال :- ثم إنَّ الرشيد صبر أياماً وطلب يحيى واعتقل عليه ، فأحضر يحيى أمانه^(٢) ، فأخذه الرشيد ، وسلّمه إلى أبي يوسف القاضي ، فقرأه ، وقال : هذا الأمان صحيح لا حيلة فيه ، فأخذه أبو البخترى من يده ، وقرأه ، ثم قال : هذا أمان فاسد من جهة كذا وكذا ، وأخذ يذكر شُبهاً ، فقال له الرشيد فخرّقه ، ويده ترعد حتى جعله ثوراً ، وأمر بيحيى إلى السجن فمكث فيه أياماً ، ثم أحضره ، وأحضر القضاة والشهود ليشهدوا على أنه صحيح لا بأس به ، ويحيى ساكت لا يتكلم ، فقال له بعضهم: مالك لا تتكلم ، فأمومي إلى فيه إنه لا يُطبق الكلام ، فأخرج لسانه وقد

(١) سمّي بالأتلي ، لأنه الولد الثالث للحسن بن علي (عليهما السلام).

(٢) في الأصل « أمانة » ، والصحيح ما ذكرناه من دون التأنيث فراجع معجم رجال الحديث

اسودّ ، فقال الرشيد : هو ذا يُوهبكم أنه مسموم ، ثم أعاده إلى السجن ، فلم يعرف بعد ذلك خبره الخ . عمدة الطالب : ص ١٣١ ، المقصد الثاني من الفصل الأوّل من الأصل الثالث في عقب الحسن المثني .
ثم نقل الأستاذ الخوئي :

نبذة من روايات المدح ، ورواية الكليني الذمّة المتقدّم ذكرها ، وقال : ولكنّ هذه الرواية غير صحيحة ، فلا يمكن الاعتماد عليها ؛ فإنّ روايتها ضعفاء جداً ... إلّا عبدالله بن إبراهيم بن محمد الجعفري ، فالصحيح أنّ الرجل من المدوحين^(١) .

قال المرحوم الشيخ المامقاني (طاب ثراه) بعد الترجمة بتفصيل ، وحسبه ، وقتله سنة خمس وسبعين ومائة بالسّم ، أو جوعاً ، أو بردم الباب عليه ... :
أقول : كنت أحدث نفسي لهذا الخبر^(٢) ، ولشهادة ابن داود أنّه كان عالماً ، ومظلوميّته وشهادته . أن أعدّ الرجل في الحسان ، لكنّي وقفت على خبر في الكافي ، تبين لي ضعف الرجل إلى الغاية . روى الكليني (رحمه الله) في باب مايفصل بين دعوى المحق والمبطل عن بعض أصحابنا عن محمد بن حسان عن محمد بن رنجويه عن عبدالله بن الحكم الأرميني عن عبدالله بن إبراهيم الجعفري ، قال : كتب يحيى بن عبدالله بن الحسن ، إلى موسى بن جعفر (عليه السلام) : « أمّا بعد وقدبياً أدعيتم ما ليس لكم »^(٣) .

فإنّ قوله في الخبر المزبور : « أدعيتم ما ليس لكم » إنكار منه لإمامة الصادق والكاظم (عليهما السلام) وذلك يسقط الرجل عن الاعتبار بالمرّة ،

(١) معجم رجال الحديث ٦٢/٢٠ - ٦٥ .

(٢) انظر تنقيح المقال له ٣/٣١٨ ، معجم رجال الحديث ٦٤/٢٠ . وهو خبر صحيح عن الكليني

(٣) أصول الكافي ١/٣٦٦ - ٣٦٧ ، البحار ٤٨/١٦٥ - ١٦٧ .

ويثبت ضعفه بلا مرية ، ولكن ذلك خلاف ما يعهد من الرجل ؛ فإنّ أبا الفرج في المقاتل ذكره ، وقال : إنه كان حسن المذهب ، والهدي ، مقدّماً في أهل بيته ، بعيداً ممّا يعاب به مثله . وقد روى الحديث ، وأكثر الرواية عن جعفر بن محمد ، وعن أبيه ، وأخيه ، وعن أبان بن تغلب ، وروى عنه جماعة ذكرهم ، ثم روى بأسانيد أنّه كان أحد اوصياء جعفر بن محمد ، وروى أيضاً عنهم أنّ جعفر بن محمد (عليهما السلام) ربّى يحيى بن عبدالله بن الحسن ، فكان يحيى يسمّيه حبيبي ، وكان إذا حدّث عنه ، قال : حدّثني جعفر بن محمد هذا ، ولكنّ الخبر المتقدّم ذكره المتضمّن لذمّه مروى في الكافي ولا مطعن في رجال سنده ، والله العالم بحقيقة أمره^(١) .

قد تقدم من الأستاذ الخوئي الطعن في رجال الحديث إلاّ عبدالله بن إبراهيم بن محمد الجعفري الراوي الأخير ، إلاّ أن يقال : رواية الكليني له وذكره في الكافي كافية في التوثيق ، وهو موضع نقاش .

ولولا أنّا منعنا عن الكلام على أبناء الأئمة المعصومين (عليهم السلام) ، كما سبقت الإشارة إليه عند ترجمة حسين بن علي صاحب الفخ ، لذهبنا إلى مذهب صاحب التنقيح بأن الرجل من المذمومين ، ولكنّا نكفّ عن الرأي فيه ، وفي غيره من أولاد الأئمة (عليهم السلام) ؛ والوجه فيه التوقيع الصادر عن الناحية المقدّسة : « وأما سبيل عمّي جعفر وولده فسبيل يوسف (عليه السلام) وإخوته »^(٢) وغيره مما يستدلّ به على الكلام حولهم .

(١) تنقيح المقال في علم الرجال ٣/ ٣١٨ - ٣١٩ .

(٢) إكمال الدين ٢/ ٤٨٣ - ٤٨٤ ، باب ٤٥ ذكر التوقيعات ، غيبة الشيخ الطوسي ١٧٦ . وتقدّم ذكره في « أجد الضراب ... » .

احذر هذه الدنيا ، واحذر أهلها

من كلمات الإمام الكاظم (عليه السلام) الحكيمية ، وفيها من تصنيف الناس إلى أصناف أربعة قال (عليه السلام) :

«يا هشام احذر هذه الدنيا ، واحذر أهلها : فإن الناس فيها على أربعة أصناف :

رجل متردّي معانق لهواه .

ومتعلّمٍ مقريءٍ كلّما ازداد علماً ازداد كبراً ، يستعلي بقراءته وعلمه على من دونه .

وعابدٍ جاهلٍ يستصغر من دونه في عبادته يحبّ أن يعظّم ويوقّر .
وذي بصيرة عالم عارف بطريق الحق ، يحبّ القيام به ، فهو عاجز ، أو مغلوب ، ولا يقدر على القيام بما يعرف [هـ] . فهو محزون مغموم بذلك ، فهو أمثل أهل زمانه »^(١) .

يا أخي انظر من أيّ الأصناف أنت ؟ أرجو ان تكون من رابعها ، وأن تتوفّر فيك شروط القيام بالحق الناجي ، لا المتردّي الهالك ، ولا المتعلّم المستعلي ، ولا العابد الجاهل المستصغر من دونه ؛ فإنّه ليس بعد الحق غير الضلال ، كما قال تعالى : ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنْتَى تُصْرَفُونَ ﴾^(٢) .
يعني أن الحق والضلال لا واسطة بينهما ، فمن تحطّى الحق وقع في الضلال .

(١) تحف العقول ٤٠٠ .

(٢) يونس : ٣٢ .

أما حكم الإمام الكاظم عليه السلام / ج ١ ١٤٣

﴿فَأَنى تُصَرَّفُونَ﴾ عن الحق إلى الضلال ، وعن التوحيد إلى الشرك ، وعن
السعادة إلى الشقاء^(١) .

وليس تصنيف الإمام (عليه السلام) الناس إلى أربعة أصناف إلا تفصيلاً
وتطبيقاً للآية ، ولو كانت صنوف أخرى ، فلا تشذ عنها لمن تدبرها وتلاها حق
تلاوتها .

٢٩

احذري أن تفعلين كما فعلت

جاءت الكلمة التحذيرية في امرأة يصفها حديث الإمام الكاظم (عليه
السلام) وإليك الحديث :

روى العياشي عن سليمان بن عبدالله قال : كنت عند أبي الحسن موسى
(عليه السلام) قاعداً ، فأتي بامرأة قد صار وجهها قفاها ، فوضع يده اليمنى في
جبينها ، ويده اليسرى من خلف ذلك ، ثم عصر وجهها عن اليمين ، ثم قال :
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾^(٢) .

فقال : احذري أن تفعلين كما فعلت ، قالوا : يا ابن رسول الله وما
فعلت ؟ فقال : ذلك مستور ، إلا أن تتكلم به ، فسألوها ، فقالت : كانت لي
ضرة^(٣) ، فقممت أصلي فظننت أن زوجي معها ، فالتفت إليها فرأيتها قاعداً
وليس هو معها ، فرجع وجهها على ما كان^(٤) .

(١) تفسير الصافي ٧٥١/١ ، تفسير الكشاف ٣٤٥/٢ .

(٢) الرعد : ١١ .

(٣) الضرة امرأة زوجها .

(٤) تفسير العياشي ٢٠٥/٢ - ٢٠٦ ، البحار ٣٩/٤٨ ، تفسير البرهان ٢٨٤/٢ .

أقول:

إن آية التغيير لتَهْدُ الركن ، وقد جاء في باقري : «...أفما يخاف من يصلي من غير وضوء أن تأخذه الأرض خَسْفًا»^(١) ، ونبوي : « ما يؤمن أحدكم إذا رفع رأسه في صلاته قبل الإمام أن يحوّل الله رأسه رأس كلب »^(٢) ، « أما يخاف المصلي الملتفت يمّنة أو يسرة أن يحوّل وجهه وجه حمار »^(٣) .
 ويأرّب ذنب يسرع في المكافأة ، ويُعجل العقوبة لصاحبه في الدنيا قبل الآخرة ، ويظلم الهواء ، ويمنع قطر السماء ، ويغيّر النعم ، وينزل النقم .
 والمتقي إذا ركب ذنباً ، وسوّلت له نفسه ، وطاف عليه طائف من الشيطان تذكر ، فإذا هو مبصر كما في الآية ؛ لأنّ المؤمن لا يلدغ من حجر مرتين كما في النبوي^(٤) .

٣٠

أحسن ظنك برّبك

إحسان الظن بالله تعالى من حُسن النية به ، وإساءته إساءتها التي تعقبها الضلالة . وقد جاءت الكلمة في كلام الإمام الكاظم (عليه السلام) لشقيق البلخي المسائر له في طريق الحجّ إلى بيت الله الحرام الآتية قصّته عند :

(١) الوسائل ٢٥٨/١ .

(٢) كنز العمال ٦١١/٧ ، الرقم ٢٠٥٠٥ .

(٣) كنز العمال ٦٠٧/٧ ، الرقم ٢٠٤٧٩ .

(٤) الأمانات النبوية ١٢٢/٢ : « لا يلدغ المؤمن من حجر مرتين » رقم المثل ٤٣٧ ، حرف « لا » .
 والآية : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾
 الأعراف: ٢٠١ .

أنت ربِّي إذا ظمئتُ إلى الماء وقوتي إذا أردتُ الطعاماً^(١)

قد رواها جمع منهم صاحب كشف الغمّة، وفيها :

«ياستقيقلم تزل نعمة الله علينا ظاهرة وباطنة ، فأحسن الظنّ بربك»^(٢).

روى الشيخ الطوسي بسنده إلى رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) قال:
« لا يموتن أحدكم حتى يحسن الظنّ بالله عزّ وجلّ ؛ فإنّ حسن الظنّ بالله
ثمن الجنّة^(٣) ويقابل ذلك ظنّ السوء قال تعالى : ﴿ الظّانّين بالله ظنّ السوء
عليهم دائرة السوء ﴾^(٤).

عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : وجدنا في كتاب علي (عليه السلام)
إنّ رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) قال وهو على منبره : « والذي لا إله إلا هو
ما أعطي مؤمن قطّ خير الدنيا والآخرة إلا بحسن ظنّه بالله تعالى ، ورجائه له
، وحسن خلقه ، والكفّ عن اغتياب المؤمنين ... »^(٥) ، وكما ذكرنا ذلك في بعض
كتبنا أنّ في الرضوي قال : « أحسن الظنّ بالله ؛ فإنّ الله عزّ وجلّ يقول : « أنا
عند حسن ظنّ عبدي المؤمن بي إن خيراً فخييراً ، وإنّ شراً فشرّاً »^(٦) . وقال
القائل :

وأحسن الظنّ برّبّ ذي المنن فإنّه في ظنّ عبده الحسن^(٧)

(١) حرف الهمة مع النون.

(٢) كشف الغمّة ٢٤٢ ، البحار ٨٠/٤٨ - ٨٢ .

(٣) الوسائل ٦٥٩/٢ .

(٤) الفتح : ٦ .

(٥) أصول الكافي ٧١/٢ - ٧٢ ، باب حسن الظنّ بالله عزّ وجلّ ، الحديث ٢ .

(٦) اصول الكافي ٧٢/٢ ، الحديث ٣ ، الأمانال النبويّة ٣٦٧/١ ، الرقم ٢٣٤ .

(٧) المصدر نفسه .

ومن هنا يتجلّى بوضوح الحديث : لأنه تعالى سبقت رحمته غضبه ، وكيف يحترق العبد بالنار ، ويتقلقل بين أطباقتها وهو يرجو رحمته ؛ أم يحرقه لهيبتها وهو يناجيه بلسان أهل توحيده ، ما هكذا الظنّ به ، ولا المعروف من فعّاله ، وهو أرحم بعبده من نفسه ؛ ربّ إن رحمت فأنت أولى بالرحمة ، وإن عذبت ، فأنا أولى بالعذاب فارحمني .

٣١

أحسنهم استجابة أحسنهم معرفة

ثلاث كلمات حكمية هذه إحداهنّ ، لو وزنت بأوزان ثقيلة لرجحت عليها للإمام الكاظم (عليه السلام) ، وهي :

«يا هشام ما بعث الله أنبياءه ورسله إلى عباده إلا ليعقلوا عن الله ، فأحسنهم استجابة أحسنهم معرفة ، وأعلمهم بأمر الله أحسنهم عقلا ، وأكملهم عقلاً أرفعهم درجةً ، في الدنيا والآخرة»^(١) .

يأتي بيان ما عدا الكلمة الأولى في محلّه المتاح له إن شاء الله تعالى .

قوله (عليه السلام) : «أحسنهم استجابة أحسنهم معرفة» يتجلّى الغرض منه بعد التعقل عن الله تعالى ، فلا بدّ من إدراك العُلقة بين الأحسنيّة معرفةً المستتبعة للاستجابة الأحسن ، وبين التعقل عن الله عزّ وجلّ .

هنا سؤال :

هل العقل يقضي بإمكان التعقل عن الله تعالى ؟



وليس معنى التعقل عن الشيء إلا حصول العلم بكنهه ، واكتناه الله محال ، فما المراد من قوله (عليه السلام) : « إلا ليعقلوا عن الله » ؟ وقد حارت في كبرياء هيئته دقائق لطائف الأوهام ، والعقول .

الجواب :

أنه قال : « ليعقلوا عن الله » . وتعقل الله محال دون التعقل عن الله الحاصل بالله .

لأن معرفة الله عز وجل والعلم به لا تكون إلا بالله ، وليست المعرفة إلا افاضة من عالم النور على قلب العارف ، ويكشف الغطاء عن وجه المعرفة الحديث المأثور عن الإمام الصادق (عليه السلام) : « ... فكيف يوحد من زعم أنه عرفه غيره ، وإنما عرف الله من عرفه بالله ، فمن لم يعرفه به ، فليس يعرفه ، إنما يعرف غيره ، ليس بين الخالق والمخلوق شيء ؛ والله خالق الأشياء لا من شيء كان ، والله يسمي بأسمائه ، وهو غير أسمائه ، والأسماء غيره^(١) .
وحديثه الآخر :

قال : قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : اعرفوا الله بالله ، والرسول بالرسالة ، وأولي الأمر بالأمر بالمعروف والعدل والإحسان^(٢) .

وهذا الحديث له شرح قد تعرض له بعض المحققين^(٣) وللشيخ الكليني (طاب ثراه) بعد ذكر الحديث بيان . قال :

ومعنى قوله (عليه السلام) :

« اعرفوا الله بالله » يعني أن الله خلق الأشخاص والأنوار والجواهر

(١) أصول الكافي ١/١١٤ .

(٢) أصول الكافي ١/٨٥ .

(٣) كالشيخ الصدوق والمجلسي (ره) .

١٤٨ المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام

والأعيان ، فالأعيان : الأبدان . والجواهر : الأرواح ، وهو جلّ وعزّ لا يشبه جسماً ، ولا روحاً ، وليس لأحد في خلق الروح الحساس الدراك أمرٌ ولا سببٌ . هو المتفرّد بخلق الأرواح والأجسام ، فإذا نفى عنه الشبهين : شبه الأبدان ، وشبه الأرواح ، فقد عرف الله بالله ، وإذا شبهه بالروح ، أو البدن ، أو النور ، فلم يعرف الله بالله^(١) .

يطول بذكر الشروح المقام ، وكلام الإمام مستقى من عين المعرفة الربوبية يردّها المرتاد وعنها يصدر رتياً رويّاً لاظهار بعده أبدأ ، وليست المعرفة من صنع العباد كما في حديث ابن أبي عمير عن محمد بن حكيم قال : قلت لأبي عبدالله (عليه السلام) : المعرفة من صنع من هي ؟ قال : من صنع الله ، « ليس للعباد فيها صنع »^(٢) .

نعم تزداد بهجةً وضياءً بنور الطاعة وعبادة الله وبلطفه تعالى وتوفيقه وهو المراد من « أحسنهم استجابة ، أحسنهم معرفة » : ولا تكون الأحسنيّة استجابة ومعرفة إلا بالله وتوفيقه لا بأمر آخر .

٣٢

احفظ لسانك تُعزّ

من حكم الإمام الكاظم (عليه السلام) الصالحة لضرب المثل بها لحسن الصمت إن لم يكنه ، وإليك ما يربطها بالحديث .

(١) أصول الكافي ٨٥/١ .

(٢) أصول الكافي ١٦٣/١ .

روى الكليني بإسناده عن عثمان بن عيسى عن أبي الحسن صلوات الله عليه قال : إن كان في يدك هذه شيء ، فإن استطعت أن لا تعلم هذه فافعل ، قال ، وكان عنده إنسان فتذاكروا الإذاعة ، فقال : احفظ لسانك تعزّ ، ولا تتمكّن الناس من قيادك ، فتذلل^(١).

بيان :

اشتمل الحديث على لزوم الكتمان وهو قوله (عليه السلام) «إن كان في يدك هذه شيء ، فإن استطعت أن لا تعلم هذه فافعل» وهذا من الأمثال السائرة : (يده اليمنى لا تدري ما في يده اليسرى) وسيأتي الكلام عليه^(٢). واشتمل على الحزم والعزم والاعتقاد على النفس وهو قوله روعي فداه : و « لا تتمكّن الناس من قيادك ، فتذلل »^(٣).

واشتمل على حسن الصمت وهي الكلمة التي نحن في صددها ، ولاريب في أن حفظ اللسان يضمن سلامة الإنسان ، والصمت يورث المحبة ، ويجعل صاحبه عزيزاً على خلاف المكثار المهين له ، وإنّ للسان آفاتٍ لا يسلم منها إلاّ من حفظه .

من أمثال في الصمت :

* الصمت حكمٌ وقليل فاعله^(٤) *

عني صامت خير من عني ناطق . الصمت يكسب أهله المحبة . استكثر من الهيبة الصموت . الندم على السكوت خير من الندم على الكلام . السكوت

(١) اصول الكافي ٢/ ٢٢٥ - ٢٢٦ ، الوسائل ١١/ ٤٩٣.

(٢) حرف (إن) مع الكاف.

(٣) حرف «لا» مع التاء.

(٤) وقامه: * يُسَعَدُ بالقول ويشقى قائله *

سلام^(١).

وقولهم : من أخافه الكلام أجاره الصمت . وعاء الخطايا بالصمت يختم .
الصمت ينفع الناس والطير.

أربع كلمات صدرت عن أربعة ملوك ؛ كأنها رميت عن قوس واحدة :
قال كسرى : لم أندم على ما لم أقل ، وقد ندمت على ما قلت مراراً .
وقال قيصر : أنا على ردّ ما لم أقل أقدر منّي على ردّ ما قلت .
وقال ملك الصين : إذا تكلمت بالكلمة ، ملكتني ، وإذا لم أتكلّم بها
ملكته.

وقال ملك الهند : عجبت لمن يتكلّم بالكلمة ، إن رُفِعَ ضرّته ، وإن لم
تُرْفَعْ لم تنفعه^(٢).

وقد جاء في أحاديث أهل البيت (عليهم السلام) في الصمت والسكوت
ما هو الأصل للأمثال السائرة وغيرها : منها قول أمير المؤمنين (عليه السلام) :
« الكلام في وثاقك ما لم تتكلّم به ، فإذا تكلمت به صرت في وثاقه »^(٣).
ونبوي : « عليك بطول الصمت ؛ فإنه مطردة الشيطان ، وعون لك على
أمر دينك »^(٤) ، وعلوي : « بكثرة الصمت تكون الهيبة »^(٥) ، وآخر : « لا حافظ
أحفظ من الصمت »^(٦) ، وحسني « نعم العون الصمت في مواطن كثيرة ، وإن

(١) العقد الفريد ١٧/٣.

(٢) التمثيل والمحاضرة ٤٢٥ - ٤٢٦.

(٣) النهج ٣٢٢/١٩ ، الحكمة ٣٨٧.

(٤) البحار ٢٧٩/٧١.

(٥) البحار ٤١٠/٦٩.

(٦) البحار ٢٧٥/٧١.

كنت فصيحاً»^(١) ، ونبوي : « إذا رأيتم المؤمن صموتاً فادنوا منه ؛ فإنه يلقى الحكمة »^(٢) ، وكاظمي : « دليل العاقل التفكر ، ودليل التفكر الصمت »^(٣) ، ورضوي : « إن الصمت باب من أبواب الحكمة ، إن الصمت يكسب المحبة ، إنه دليل على كل خير »^(٤) .

٣٣

أحمد العلم عاقبة ما زاد في عملك العاجل

روى الحسن بن أبي الحسن الديلمي حديث الإمام الكاظم (عليه السلام) المشتمل على أربع كلمات حكمية هي :

« أولى العلم بك ما لا يصلح لك العمل إلا به . وأوجب العمل عليك ما أنت مسؤول عن العمل به . وألزم العلم لك ما ذلك على صلاح قلبك ، وأظهر لك فسادَه . وأحمد العلم عاقبة ما زاد في عملك العاجل . فلا تشتغلن بعلم ما لا يضرّك جهله ، ولا تغفلن عن علم ما يزيد في جهلك تركه »^(٥) .

يأتي بيان للكلمات الثلاث^(٦) ، والرابعة وهي قوله (عليه السلام) : « وأحمد العلم عاقبة ما زاد في عملك العاجل » في نسخة البحار المطبوعة « ... في علمك العاجل » بدل « ... عملك العاجل » ولعلّ نسخة العمل أصحّ من العلم .

(١) البحار ٧١ / ٢٨٠ .

(٢) البحار ٧٨ / ٣١٢ .

(٣) البحار ٧٨ / ٣٠٠ .

(٤) البحار ٧١ / ٢٩٤ .

(٥) أعلام الدين ٣٠٥ ، البحار ٧٨ / ٣٣٣ .

(٦) حرف الهمزة مع الواو ، وحرف الهمزة مع اللام .

أمور تجب معرفتها :

الأول : العلم بما يتوقف تصحيح العمل عليه قبل العمل ، وقبوله وهي العقائد .

الثاني : علم الأحكام من الحلال والحرام ...

الثالث : علم الأخلاق ، وتهذيب النفوس ، وتحليها بالفضائل ، وتخليها عن الرذائل .

الرابع : علم الآداب ، والخبرة النافعة له وللمجتمع ، والمعرفة بأهل زمانه .
والمقياس المطرد الجامع للعلوم النافعة الحديث النبوي الذي رواه الإمام الكاظم (عليه السلام) الدال على حصر العلوم في ثلاثة نذكره ؛ لأنه الأصل .
وهي رواية الكليني قال :

محمد بن الحسن وعلي بن محمد عن سهل بن زياد عن محمد بن عيسى عن عبيدالله بن عبدالله الدهقان عن دُرست الواسطي عن إبراهيم بن عبد الحميد عن أبي الحسن موسى (عليه السلام) قال : دخل رسول الله (صلى الله عليه وآله) المسجد ، فإذا جماعة قد أطافوا برجل ، فقال : ما هذا ؟ فقيل : علامة ، فقال : وما العلامة ؟ فقالوا له : أعلم الناس بأنساب العرب ، ووقائعها ، وأيام الجاهلية ، والأشعار العربية . قال : فقال النبي (صلى الله عليه وآله) : ذلك علم لا يضر من جهله ، ولا ينفع من علمه ، ثم قال النبي (صلى الله عليه وآله) : إنها العلم ثلاثة : آية محكمة ، أو فريضة عادلة ، أو سنة قائمة . وما خلاهن فهو فضل^(١) .

بيان :

الآية المحكمة : العقائد العقلية التي لا تحمل ريباً . والفريضة العادلة : الأحكام الشرعية الفرعية . والسنة القائمة : الآداب والأخلاق . وفيها الكفاءة إذا أحكمها الطالب ، لأنها تضمن له ما يفتقر إليه في دينه ودنياه وقد حواها الكتاب العزيز والسنة المحمدية لا يشقى المتمسك بهما أي بالقرآن والعترة الطاهرة سلام الله عليهم أجمعين .

وللمجلسي رحمه الله حول الحديث بيان قال :

قوله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : « ما هذا ؟ » لم يقل من هذا ، تحقيراً ، أو إهانةً ، وتأديباً له ...

قوله صلوات الله عليه : « إنما العلم - النافع - ثلاثة » « آية محكمة » أي واضحة الدلالة ، أو غير منسوخة ؛ فإن المتشابه والمنسوخ لا ينتفع بهما كثيراً من حيث المعنى . « أو فريضة عادلة » قال في النهاية : أراد العدل في القسمة أي معدلة على السهام المذكورة في الكتاب والسنة من غير جور ... والأظهر أن المراد مطلق الفرائض ... ووصفها بالعدالة ، لأنها متوسطة بين الإفراط والتفريط .. وقيل : المراد بها ما اتفق عليه المسلمون ولا يخفى بعده . والمراد بالسنة المستحبات...^(١)

كلام الإمام الكاظم (عليه السلام) المصوغ في بيان نوع العلم والعمل تفسير في الحقيقة لما دلّ عليه الكتاب والسنة في هذا الشأن وإنما للكتاب الهيمنة على سائر الكتب لتجمع جميع العلوم فيه قد حازها بأطرافها ، وليس تقسيم العلم في الحديث النبوي وحديث أهل البيت (عليهم السلام) إلى ثلاثة أو أربعة ، أو أقلّ من ذلك ، أو أكثر إلّا في كتاب مبين ، وقد مرّ غير مرّة

(١) مرآة العقول ١/١٠٢ - ١٠٣ .

أن الأحاديث الماثورة لأي أنواع العلوم ، أو أي أمر كان ليست إلا بيانا للقرآن ، وتفسيرا لآياته . ولقد أحسن القائل في نظمه في فضل العلم ، وشرف الكتاب العزيز ، والسنة الغراء :

إن العلوم وإن جلّت محاسنها هو الكتاب العزيز الله يحفظه
فذاك فاعلم حديث المصطفى فيه وبعد هذا علوم لا انتهاء لها
والعلم كنز نجده في معادنه واتل بفهم كتاب الله أتت
واقراً هديت حديث المصطفى وسلن من ذاق طعم العلم سر به

فتأجها ما به الإيمان قد وجبا وبعد علم فرج الكربا
نور النبوة سن الشرع والأدبا فاختر لنفسك يا من أثر الطلبا
يا أيها الطالب أبحث وانظر الكنبا كل العلوم تدبره تر العجبا
مولاك ماتشتهي يقضي لك الأربا إذا تزيد منه قال : واطربا^(١)

من الكتب الطافحة بالعلم الآتية أكلها كل حين بإذن ربها (نهج البلاغة)

نهج البلاغة نهج العلم والعمل ألفاظه درر أغنت بحليتها
ومن معانيه أنوار الهدى سطعت وكيف لا وهو نهج طاب منهجه

فاسلكه ياصاح تبلغ غاية الأمل أهل الفضائل من حلي ومن حلل
فانجاب عنها ظلام الزيف والزلل أهدى إليه أمير المؤمنين علي

وما قاله المرتضى كلام علي كلام علي^(٢)

(١) تفسير القرطبي ٤١/١ .

(٢) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ٥/١ ، ماعدا البيت الأخير .

٣٤

أخبرني عن حرفين أسالك عنهما : ما العترف في بدنك وما الصهلج

في الإنسان ؟؟

كلمة تعجيز ليحيى بن عبد الله بن الحسن المدعي

للإمامة على الخلق ، والقيومة عليهم ، جاءت في كلام الإمام الكاظم (عليه

السلام) جواباً عن كتاب له . وإليك ما يربط الحرفين من الجواب :

« أتاني كتابك تذكر فيه أنني مدّعٍ وأبي من قبل ، وما سمعت ذلك

مني^(١) ، وستكتب شهادتهم ويسألون ، ولم يدع حرص الدنيا ومطالبها لأهلها

مطلباً لآخرتهم ، حتى يفسد عليهم مطلب آخرتهم في دنياهم ، وذكرت أنني ثبتتُ

الناس عنك لرغبتني فيما في يدك ، وما منعتني من مدخلك الذي أنت فيه لو كنتُ

راغباً ، ضعفُ عن سنة ، ولا قلة بصيرة بحجة ، ولكن الله تبارك وتعالى خلق

الناس أمشاجاً ، وغرائب ، وغرائز ، فأخبرني عن حرفين أسالك عنهما : ما

العترف في بدنك ؟ وما الصهلج في الإنسان ؟ ثم اكتب إلي بآخر ذلك ... »^(٢).

استوفينا الجواب ، والكتاب ، وترجمة يحيى بن عبد الله ، فراجع^(٣).

والعلامة المجلسي تعرض لتفسير الحرفين بعد شرح مفردات الجواب

- وأليك التفسير والشرح - : قال (طاب ثراه) في الشرح :

والحاصل أن حرص الدنيا صار سبباً لأن لا يخلص لهم شيء للآخرة ،

(١) أي يجب عليك أن لاتقول في ما لم تسمعه مني .

(٢) أصول الكافي ١/٣٦٧ ، البحار ٤٨/١٦٦ .

(٣) انظر « أحذرک الله ونفسی » حرف الهمزة مع الحاء . وفيه بعض الشرح .

فإذا أرادوا عملاً من أعمال الآخرة خلطوه بالأغراض الدنيوية ، والأعمال الباطلة كالأمر بالمعروف الذي أردت خلطته بإنكار حق أهل الحق معارضتهم، والافتراء عليهم ، فيحتمل أن يكون (في) سبباً أيضاً . وقيل : يعني أن حرصك على الدنيا ومطالبها صار سبباً لفساد آخرتك في دنياك . والتشبيط : التعويق والتأخير .

« فيما في يدك » : أي ادعاء الإمامة . « ضعف عن سنة » : أي عجز عن معرفتها ، بل صار علمي سبباً لعدم إظهار الأمر قبل أوانه .

« أمساجاً » : أي أخلاقاً شتى . « وغرائب » : أي ذوي عجائب : فإنك تدعي هذا الأمر مع جهلك وضلالتك ، وأنا لا أدعيه مع وفور علمي وهداي . وأي غريبة أغرب من ذلك ، وأي أعجوبة أعجب منه . « وغرائز » : أي طبائع مختلفة أو جعل للإنسان أجزاء وأعضاء مختلفة - ثم قال رحمه الله:-

قال في الجوامع في قوله تعالى : ﴿ من نطفة أمشاج ﴾ ^(١) مشجحه: مَرَجَه: يعني نطفة قد امتزج فيها الماءان : ماء الرجل ، وماء المرأة ، أو أطواراً : طوراً نطفة وطوراً علقه ، وطوراً مضغة ، وطوراً عظماً ، إلى أن صار إنساناً انتهى ^(٢) .

- وقال لتفسير الحرفين الاسمين لعضوين في البدن والإنسان :-

فأخبرني عن هذين العضوين إن كنت صادقاً في ادعاء الإمامة : فإن الإمام لا يخفى عليه شيء ^(٣) .

وقال بعض شراح الحديث :

الاعتراف والصهلج كأنهما عضوان غير معروفين عند الأطباء ، ولعل

(١) الإنسان : ٢ .

(٢) مرآة العقول ٤/١٦١ .

(٣) المصدر نفسه .

السؤال عنهما من باب التعجيز .

وقال المحقق المازنداني : قوله : « ما العترف » كأن الصهلج عرق .
والعترف : داء عظيم خبيث يحرك صاحبه فيما لا ينبغي . والغرض من السؤال هو
التنبيه على أن الجاهل بشيء ما لا يكون إماماً أبداً^(١) .
وقد تقدّم أن الغالب على الظن أن السؤال لمجرد التعجيز ، وأن الحرفين
من أسرار الإمامة بعد فرض الصدور وصدق الخبر كما هو كذلك .
هنا يتّجه سؤال :

لقائل القول : بأن السؤال عن الحرفين يشبه الأحجية والألغاز التي
لا يليق بالإمام المعصوم (عليه السلام) .

يقال له : إن التحدي والتعجيز لا يكون من الأحجية والألغاز في شيء ؛
لأنها فن يعرفه أربابه ، وذو الفطن ، وأما التحدي فإن صاحبه على علم من عجز
الخصم من الإتيان بما تحدّاه . ومن أجلى مصداق ذلك القرآن الكريم ، قال تعالى :
﴿ قُلْ لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون
بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴾^(٢) .

ما أعظم هذا التحدي ، وما تحدّى به ؛ لعلمه تعالى بأن الثقلين يعجزان
عن الإتيان به وهكذا أنبياء الله كانوا يتحدّون خصومهم وكانت الغلبة لهم عليهم
بما مكّنه الله عزّ وجلّ بسلاح المعجزات والانتصار ؛ كما قال عزّ من قائل :
﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ﴾^(٣) .

وكذا الأئمة المعصومون إن فسح لهم المجال للتحدي على المناوئين لهم

(١) هامش أصول الكافي ١/٣٦٧ .

(٢) الإسراء : ٨٨ .

(٣) المجادلة : ٢١ .

في العصور التي كانوا يعيشونها ، وإنهم حجج الله على عباده ، والحجة البالغة ، ولأنهم (عليهم السلام) على الحق ؛ والحق منتصرٌ ، يقذف بهم الله على الباطل فيدمغه ، قال تعالى : ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾ ^(١) .

وهذه الغلبة على الخصم والقضاء على الأباطيل من القول نجدها عند المؤمنين الخالص ، فما ظنك بأئمتهم ، والأنبياء (عليهم السلام) .
وفرق آخر بين التعجيز والألغاز أن الأول في مقام الخصومة ، والثاني في فهم الكلام ، بدون إضمار عداء وخصومة.

٣٥

أخبرني ما اسم أم مريم

كلمة اختبار ، وتعجيز ، سارت على اللسان ، واختبر بها الإمام الكاظم (عليه السلام) الرجل النصراني ، في حديث رواه الشيخ الكليني بإسناده إلى يعقوب بن جعفر بن إبراهيم قال :

« كنت عند أبي الحسن (عليه السلام) إذا أتاه رجل نصراني ونحن معه بالعريض ^(٢) ، فقال له النصراني أتيتك من بلد بعيد ، وسفر شاق ، وسألت ربي منذ ثلاثين سنة أن يرشدني إلى خير الأديان ، وإلى خير العباد ، وأعلمهم ، وأتاني

(١) الأنبياء : ١٨ .

(٢) كزبير وإد بالمدينة معجم البلدان ٤/١١٤ .

آتٍ في النوم ، فوصف لي رجلاً بعلياً^(١) دمشق ، فانطلقت حتى أتيتهُ ، فذهب
النصراني الى الرجل الدمشقي فأرشدته إلى الكاظم (عليه السلام) ، وقال له : -
فأرشدك إليه ، فأتته ولو مشياً على رجلك ، فإن لم تقدر فحبواً^(٢) على
ركبتك ، فإن لم تقدر فزحفاً على إسنك ، فإن لم تقدر فعلى وجهك .
فقلت : لا ، بل أنا أفدر على المسير في البدن والمال .
- إلى أن حُظي بشرف اللقاء ، وتبادل الحديث بينهما وفي الحديث
طول.... -

فقال له أبو إبراهيم (عليه السلام) : أعجلك أيضاً خيراً لا يعرفه إلا قليل
مَنْ قرأ الكتب : أخبرني ما اسم أم مريم ؟ وأي يوم نفخت فيه مريم ؟ ولَكُمْ
من ساعة من النهار ؟ وأي يوم وَضَعَتْ مريم فيه عيسى (عليه السلام) ؟ ولَكُمْ
من ساعة من النهار ؟

فقال النصراني : لا أدري .

فقال أبو إبراهيم (عليه السلام) :

أما أم مريم فاسمها مَرثاً وهي : وهيبة بالعربية .

وأما اليوم الذي حملت فيه مريم فهو يوم الجمعة للزوال : وهو اليوم الذي
هبط فيه الروح الأمين ، وليس للمسلمين عيد كان أولى منه ، عَظَّمَهُ اللهُ تبارك
وتعالى ، وعَظَّمَهُ محمد (صلى الله عليه وآله) ، فأمر أن يجعله عيداً فهو يوم الجمعة .

وأما اليوم الذي ولدت فيه مريم فهو يوم الثلاثاء ، لأربع ساعات

ونصف من النهار .

(١) علياً دمشق بالضم والمد أعلاها البحار ٤٨/٨٩ .

(٢) في بعض النسخ كما في هامش أصول الكافي ٤٧٨/١ : [ولو حبواً] .

والنهر الذي ولدت عليه مريم عيسى (عليه السلام) هل تعرفه؟ قال :
قال : هو الفرات ...^(١)

ولولا خروجنا عن الموضوع بذكره لجئنا عن آخره ، ولعمري إنه ليزيد
السامع إيماناً إذا ذكر هذا الحديث بتمامه . وتدبر فيه جيداً .

وكما أشرنا أنه يختبر الإنسان بهذا السؤال : بأن اسم أم مريم ماهو؟ ولو
كان الاختبار بمثل ذلك لا يليق به لما اختبر الإمام عليه السلام الرجل النصراني
وإنما يقع الاختبار باسم أم مريم ، لغرابة ذلك عند الناس ، وعدم معرفتهم
الكافية به ، أو اسم أم نوح (عليه السلام) ، أو ما شاكل ذلك مثل أم موسى
(بو خابد)^(٢) .

وللسؤال علم لا يعلمه إلا من تعلمه . ولا بد أن ينتفع به في دين ، أو دنيا ،
وإلا فلا يليق بالعاقل السؤال عما لا يعني : ومن ثم جاء في الحديث النبوي :
«من حُسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه» رواه الشيخ المفيد^(٣) والنيسابوري قائلًا:
هذا المثل يروى عن النبي (صلى الله عليه وآله) ويروى عن لقمان الحكيم
أنه سئل أي عملك أوثق؟ فقال : تركي ما لا يعنيني^(٤) .

والإمام الكاظم (عليه السلام) إنما اختبر الرجل تمهيداً للإيمان به وأن
الاسم المذكور لا يعلمه إلا من قرأ الكتب السماوية ، وهو بالفعل العلم به عنده
من الدلائل والآيات ، والكلام سواء أكان سؤالاً ، أو جواباً ، أو غير ذلك لا بد
أن يأتي المتكلم به على طبق المقام ويعتبر من البلاغة والقول النافع للدين

(١) أصول الكافي ١/٤٧٨ - ٤٨٠ .

(٢) قال المحقق الشيخ أحمد التراقي : في اسم أم موسى روايات أشهرها «بو خابد» الخزان ١٢٢ .

انتشارات مكتبة (علمية إسلامية) تحقيق حسن حسن زاده آملی . وعلى أكبر غفاري ١٣٨٠ .

(٣) الأمالي ٢٦ .

(٤) مجمع الأمثال ١/٣١٧ . في الميم .

والدنيا ، على أنه (عليه السلام) يعلم ما للسامع وما يُضمره من شيءٍ يريد ، فترى الكلام المروي عن أهل البيت (عليهم السلام) في المناظرات مع أهل المقالات ليس على نسق واحد بل يكلمون الناس على قدر عقولهم ، ومنازلهم وما يألفونه . فترى ابنه الإمام الرضا (عليه السلام) والمناظرات التي دارت بينه وبين أهل الأديان والمقالات يأتي بما يؤمن به صاحبه ، وعلى وفق عقله ، وتفكيره . وهي تسع مناظرات فيها العلوم الجمة الجديرة بالنظر ، والبناء^(١) عليها والحمد لله .

٣٦

أخذت منه عامرة ، ولا يأخذها إلا معمورة

روى الشيخ المفيد عن عبدالله بن محمد السائي عن الحسن بن موسى عن عبدالله بن محمد النهيكي عن محمد بن سابق بن طلحة الأنصاري قال : كان مما قال هارون لأبي الحسن (عليه السلام) حين أدخل عليه : ما هذه الدار ؟ فقال : هذه دار الفاسقين ، قال : ﴿ سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيلا الرشد لا يتخذوه سبيلاً وإن يروا سبيلا الغي يتخذوه سبيلاً ﴾ الآية^(٢) .

فقال له هارون : فدار من هي ؟ قال : لشيعتنا فترة ، ولغيرهم فتنة ، قال فما بال صاحب الدار لا يأخذها ؟ فقال : أخذت منه عامرة ، ولا يأخذها إلا

(١) عيون أخبار الرضا وقد نقلنا ذلك في كتابنا أسماول وحكم الإمام الرضا في جلدتين طبع بيروت ، دار الزهراء .

(٢) الأعراف : ١٤٦ .

معمورة . قال : فأين شيعتك ؟ فقرأ أبو الحسن (عليه السلام) : ﴿لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة﴾^(١) قال : فقال له : فنحن كفار ؟ قال : لا ولكن كما قال الله : ﴿الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار﴾^(٢) . فغضب عند ذلك عليه^(٣) .

قال المفيد (طاب ثراه) :

فقد لقيه أبو الحسن (عليه السلام) بمثل هذه المقالة ، وما رهبه ، وهذا خلاف قول من زعم أنه هرب منه من الخوف^(٤) .

أقول :

قول هارون : « فما بال صاحب الدار لا يأخذها؟ » يريد به الشيعة ؛ يشهد لذلك قوله (عليه السلام) : « هي لشيعتنا » .

وأما المراد من قوله روجي فداه : « أخذت منه عامرة » أي من صاحب الدار ، فهم الشيعة ، والغرض من كلمة « فلا يأخذها إلا معمورة » أن حقوق الشيعة ومنها صدّهم عن ساداتهم في هذه الدنيا ، والجور عليهم بكلّ ألوانه ، ونعمة الأمان منهم ، قد غصبت وهي سالمة عامرة ولا تردّ عليهم إلا معمورة لاخراب فيها أبداً .

ويمكن أن يراد بالصاحب نفسه (عليه السلام) ، وبالمغضوب حقوقه وأعظمها مناصب أهل البيت الموهوبة من قبل الله عزّ وجلّ ، أو يراد بالصاحب الله تعالى . فليستعد هارون وأضرابه من غاصبي حقوق أهل البيت (عليهم

(١) البينة : ٨ .

(٢) إبراهيم : ٢٨ .

(٣) الاختصاص ٢٦٢ ، تفسير العياشي ٢/٢٢٩ - ٢٣٠ .

(٤) الاختصاص ٢٦٢ - ٢٦٣ .

(السلام) وشيعتهم للجواب والوقوف أمام الله للحساب يوم الحشر .
ومن ثم تلا (عليه السلام) بعض الآيات المشددة ، والدالة على كفر
هارون . ولا تخص هذا الطاغى بمفرده بل تعم كل غاصب وظالم إلى يوم القيامة
كما أن كلام المعصوم (عليه السلام) كذلك عام كعموم الآيات ، وقد مرّ تحقيق
ذلك مراراً^(١) .

ثم إن الحديث الجاري لمكان حكم الإمام (عليه السلام) فيه من وجوب
ردّ الحق إلى صاحبه ، يعتبر من الحكم التي تجري مجاريها ؛ ومن أجل ذلك ناسب
ذكره ، وفيه من الدلالة زيادة على ردّ المغصوب ذاته أن أوصافه الفائتة ومنها
السلامة لا بدّ من تداركها ويدلّ عليه صحيح أبي ولاد الحنّاط المذكور في الفقه
الجعفري ، والكتب الاستدلالية الفقهية .^(٢) المعروف عند أهله .

٣٧

أخلع نعليك ؛ إنك بالوادي المقدّس

روى الشيخ أبو الحسن سعيد قطب الدين الراوندي حديث علي بن
أبي حمزة قال (طاب ثراه) :
فقال علي بن أبي حمزة : كنت مع موسى (عليه السلام) بمنى إذ
أتى^(٣) رسوله .

(١) انظر «أحدرك الله ونفسي» .

(٢) الوسائل ١٣/٢٥٥ - ٢٥٧ .

(٣) نسخة البحار ٤٨/٦٩ : «أتاني» .

فقال : إلهي الحق بي بالثعلبية^(١) ، فلحقت به ومعه عياله ، وعمران خادمه .
فقال : إيها أحب إليك : المقام هاهنا أو تلحق بمكة ؟ قلت : أحبهما إليّ
ما أحببت . قال : مكة خير لك .

ثم سبقتني إلى داره بمكة ، وأتيته وقد صلى المغرب ، فدخلت عليه ، قال :
اخلع نعليك إنك بالوادي المقدس ، فخلعت نعلي ، وجلست معه ، فأتيت بخوان
فيه خبيص^(٢) ، فأكلت أنا وهو ، ثم رفع الخوان ، وكنت أحدثه ، ثم غشيني
النعاس ، فقال لي : قم فم ، حتى أقوم أنا لصلاة الليل ، فحملني النوم إلى
أن فرغ من صلاة الليل [صلاته] . ثم جاءني فنبهني ، فقال : قم فتوضأ ، وصل
صلاة الليل وخفف ، فلما فرغت من الصلاة ، صلينا^(٣) الفجر ، ثم قال لي : يا علي
إن أم ولدي ضربها الطلق ، فحملتها إلى الثعلبية مخافة أن يسمع الناس صوتها ،
فولدت هناك الغلام الذي ذكرت لك كرمه وسخاءه وشجاعته . قال عليّ :
فوالله لقد أدركت الغلام فكان كما وصف^(٤) .

أقول :

هل الإمام (عليه السلام) نوى الاقتباس بقوله : « اخلع نعليك ... » من
آية ﴿ فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى ﴾^(٥) وتضمن الكلام ؟ أو نوى
إنشاء ما طابق من الكلام محتواها ؟ تساءل يتأتى في نظائرها أيضاً من الكلام
المشترك نظمه ومادته المتوافق مع بعض آي القرآن نظير قول (الحمد لله ربّ

(١) الثعلبية من منازل طريق مكة قد كانت قرية فخرت هامش المصدر.

(٢) الخبيص والخبيصة هو : طعام معمول من التمر والزيت والسمن . ويجمع على أخبصة ومنه «ربما
أطعمنا أبو عبدالله (ع) الأخبصة» مجمع البحرين - خبص - .

(٣) في البحار «صليت» .

(٤) الخرائج والجرائح ١/٣١١ - ٣١٢ . البحار ٢٨/٦٩ ، والمولود إبراهيم .

(٥) طه : ١٢ .

العالمين) الموافق لآية فاتحة الكتاب ، وقد تناوله الفقهاء بالبحث عنه وأنَّ البسملة مثلا المشتركة بين السور لا بدَّ من تعيينها لسورة تخصَّها وقصدها لها ، وإليك بعض كلماتهم في لزوم قصد البسملة المشتركة وهو قول أكثرهم وقد قوَّاه الشيخ المرتضى (رحمه الله) .

بها ملخصه :

أنَّ كل سورة من السور القرآنيَّة في حدِّ ذاتها قطعة من كلام الله المنزل على النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، والبسملة جزء من كلِّ منها فكلَّ منها مع بسملتها موجود مغائر لما عداه ، ومعنى قراءة كلِّ سورة هو التكلُّم بألفاظها النوعيَّة بقصد حكاية ذلك الكلام الشخصي ، فقراءة بسملة كلِّ سورة هو التلقُّظ بها بقصد حكاية خصوص البسملة النازلة معها . فلو قرأ البسملة التي قصد بها حكاية بسملة الإخلاص لا يصدق عليها قراءة جزء سورة الجحد ، أو العزيمة . فلو بدا له أن يقرأ سورة الجحد لا يجديه ضمُّ بقية السورة في صيرورة البسملة التي قرأها بقصد الإخلاص مصداقاً لقراءة بسملة الجحد ، ألا ترى أنَّه لوقال في أثناء الصلاة : ﴿ وجاء رجل من أقصى المدينة ﴾^(١) قاصداً به حكاية كلام الله النازل في سورة يس صدق عليه قراءة القرآن . وأمَّا لو قصَّده بالإخبار أو حكاية كلام شخص آخر ، اندرج في كلام الآدميين المبطل لصلاته ، ولا يجديه ضمُّ ما يمحصه للقرآنيَّة في انقلاب هذا الجزء وصيرورته حكاية كلام الله بعد إن لم يكن كذلك حين صدوره...^(٢) .

أقول :

هذه نبذة من بحوث القراءة القرآنيَّة ، ومشاركاتها التي تعتبر قرآناً إذا

(١) يس : ٢٠ .

(٢) كتاب الصلاة من مصباح الفقيه ٣٢٠ - ٣٢١ ، للإحاج أفاضل الهدائي ، المتوفى سنة ١٣٢٢ هـ ،

انتشارات مكتبة النجاح ، طهران - إيران .

نوى الحكاية وإلا فهي من الكلام الآدمي ، نعم من الآي بنظمها وأسلوبها الخاص لها الدلالة على كونها قرآناً ، وإن لم يعلم قصد المتلفظ أي شيء كآية ﴿ أَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْكُتُبُ الْأُولَىٰ يُرِيهَا وَيَكْتُبُ فِيهَا مِمَّا يُبَيِّنُ لِقَوْمٍ كَانُوا يُضِلُّونَ ﴾ (١) ، فإنها مما لا ريب في الدلالة على أنها قرآن ، قصده المتكلم أم لا .

وعليه فقول : الإمام الكاظم (عليه السلام) لابن أبي حمزة : « اخلع نعليك إنك بالوادي المقدس » يحتمل قوياً أنه إنشاء موافق للقرآن لا حكاية له ، ويشهد له حذف فاء « اخلع » في أوله ، و« طوى » من آخره فإن الآية : ﴿ فَأَخْلَعَ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ . ومن أجل ذلك كتبنا هذه الكلمة .

علي بن أبي حمزة

هل الراوي المكنى به هو البطائني المقدوح ؟ أو الثمالي المدوح ؟ فعلى الأول السند ضعيف ، وعلى الثاني يعتبر من الصحاح .

الجواب : أن الثمالي قد أدرك الإمام الكاظم (عليه السلام) لأنه مات سنة خمسين ومائة^(٢) وولادة الإمام موسى روهي فداه كانت في سنة ثمان وعشرين ومائة بالأبواء على ما صرح به الشيخ الكليني (طاب ثراه)^(٣) .

بل مات الثمالي وللرضا (عليه السلام) من العمر سنتان ؛ لأنه روهي فداه ولد سنة ثمان وأربعين ومائة^(٤) وقد عرفت أن المولود في الثعلبية هو إبراهيم ابن موسى (عليه السلام) . ومن ثم يصبح سند الحديث لا ضعف فيه . ولولا إطالة

(١) البقرة : ١ - ٢ .

(٢) الكنى والألقاب ٢/١٣٢ .

(٣) أصول الكافي ١/٤٧٦ .

(٤) المصدر ص ٤٨٦ .

المقام لجننا على تفسير الآية وتأويلها : « إن موسى ناجى ربه بالواد المقدس ، فقال : ياربّ إنّي قد أخلصت لك المحبّة مني ، وغسلت قلبي عن سواك ، وكان شديد الحبّ لأهله ، فقال الله تعالى : اخلع نعليك ، أي انزع حبّ أهلِكَ من قلبك إن كانت محبّتك لي خالصة ، وقلبك من الميل إلى من سواي مغسول^(١) .

٣٨

أداء الأمانة ، والصدق يجلبان الرزق

في كلام للإمام الكاظم (عليه السلام) : « ...وأداء الأمانة ، والصدق يجلبان الرزق ، والخيانة والكذب يجلبان الفقر والنفاق^(٢) .
تأتي الكلمة الثانية في محلّها المتاح . وأمّا الأولى فإليك من القرآن ، والحديث .

أداء الأمانة ، والصدق في القرآن :

لأريد ذكر كلّ ما جاء لها فيه ، بل أريد الإشارة إلى آية منه قال تعالى : ﴿ إن الله يأمركم أن تؤدّوا الأمانات إلى أهلها ﴾^(٣) .
وما جاء في عدّة أحاديث أنّ الخطاب إلى الأئمة من إمام إلى إمام بعده هو من أعظم مصداق الأداء .

قال الفيض : في الكافي وغيره في عدّة روايات أنّ الخطاب إلى الأئمة

(١) تفسير الصافي ٦٢/٢ .

(٢) التحف ٤٠٣ .

(٣) النساء : ٥٨ .

عليهم السلام) ، أمر كلّ منهم أن يؤدّي إلى الإمام الذي بعده ، ويوصّي إليه ، ثم هي جارية في سائر الأمانات . وفي العياشي عن الباقر (عليه الصلاة والسلام) إيانا عنى أن يؤدّي الإمام الأوّل إلى الذي بعده العلم والكتب والسلاح^(١) .
أقول : ردّ الأمانة :

لو لم تكن إلّا هذه الآية في القرآن في وجوب ردّ الأمانة لكفّت لأهل التالم ولبنى آدم إلى يوم القيامة ، والعقل يقضي به أيضاً على أن فيه آياً تدلّ عليه بالصرحة ، أو ضمناً .
الصدق :

وللصدق فيه آيات منها قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾^(٢) وهذه كسابقتها لا ينافي تفسيرها بالأئمة ، لأنّ خصوص المورد يجامع عموم الخطاب وليس التطبيق عليهم إلّا لكونهم من أجلى مظاهره .

وتقرير الأشكال بأنّ الصادقين فيها هم المعصومون (عليهم السلام) صدقهم في القول والفعل والقصد و كلّ حركة وسكون ؛ إذ لو لم يكن المراد بالصدق الشامل لم يصحّ الأمر بالصحة المطلقة معهم عقلاً ؛ لأنّه لا يجوز عليه تعالى ان يأمر باتّباع الكاذب ولو في أمر ما ، فالآية لا تعمّ غيرهم ، وليس المراد فيها مطلق الصدق موضوعاً للصحة .

والجواب :

أولاً الآية مطلقة بظاهرها وإنّما الأئمة من أظهر مصاديق الإطلاق للصدق ؛ لأنّهم سادات أهل الصدق .

(١) تفسير الصافي ١/٣٦٣ - ٣٦٤ .

(٢) التوبة : ١١٩ .

وثانياً أنّ الحكم يتبع الموضوع وهو مطلق الصدق وإنّ الاتّباع والصحة تتبع ذلك العنوان الذي هو بمثابة علّة الحكم ، والحكم يدور مدار علته وجوداً وعمداً والعنوان في الآية الصدق الموضوع للحكم فينتفي إذا لم يكن ثمّ صدق قولاً أو فعلاً ، أو أيّ سكون ، أو حركة يفقد معها الصدق وهذا واضح إذا تدبّره متدبّر.

أداء الأمانة ، والصدق في الحديث.

ولو أراد الناظر إلى أحاديثهما الإنهاء المخلص إلى أفراد كتاب في موضوعها ، ونشير إلى شيء من الأمرين بلا تعرّض إلى شرحه وتفسيره. في الصحيح الصادقي : « إنّ الله عزّ وجلّ لم يبعث نبياً إلّا بصدق الحديث، وأداء الأمانة إلى البرّ والفاجر »^(١).

والآخر : « لا تغتروا بصلاتهم ، ولا بصيامهم : فإنّ الرجل ربّما لهج بالصلاة والصوم حتى لو تركه استوحش ، ولكن اختبروهم عند صدق الحديث وأداء الأمانة »^(٢).

والآخر : « قلت لأبي عبدالله (عليه السلام) : عبدالله بن يعفور يقرئك السلام ، قال : عليك وعليه السلام ، إذا أتيت عبدالله فاقرأه السلام ، وقل له : إنّ جعفر بن محمد يقول لك : انظر ما بلغ به عليّ (عليه السلام) عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) فالزمه : فإنّ عليّاً (عليه السلام) إنّما بلغ ما بلغ به عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) بصدق الحديث ، وأداء الأمانة »^(٣).

والآخر : « إنّها في كلّ من ائتمن أمانة من الأمانات أمانات الله أو امره

(١) أصول الكافي ١٠٤/٢.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

ونواهيه ، وأمانات عبادته فيما يأتمن بعضهم بعضاً من المال وغيره . رواه الفيض ، وقال أيضاً : وفي الكافي عن الصادق (عليه السلام) :
« إن ضارب عليّ بالسيف وقاتله لو ائتمني ، واستنصحتني ، واستشارني
ثم قبلت ذلك منه لأديتُ إليه الأمانة »^(١) .
أقول :

أداء الأمانة والصدق في الأمثال ، والكلمات الحكيمية:
من الأمثال وأختها :

هذا جنائي وخياره فيه إذ كلّ جانٍ يده إلى فيه

قال الميداني : وأول من تكلم بهذا المثل عمرو بن عدّي ابن أخت جذيمة ، وذلك أن جذيمة خرج مبتدياً بأهله وولده في سنة مُكَلَّنة^(٢) وضربت له أبنية في زهر وروضة ، فأقبل ولدهُ يجتنون الكمأة ، فإذا أصاب بعضهم كمأة جيّدة أكلها ، وإذا أصابها عمرو خبأها في حُجزته ، فأقبلوا يتعادون إلى جذيمة وعمرو يقول وهو صغير :

هذا جنائي وخياره فيه إذ كلّ جانٍ يده إلى فيه

فضمه جذيمة إليه والتزمه ، وسرّ بقوله وفعله ، وأمر أن يصاغ له طوق ، فكان أول عربيّ طوّق وكان يقال له : « عمرو ذو الطوق » ...^(٣) .
وقال ابن الأثير وفي حديث علي رضي الله عنه : - وذكر المثل وقصته إلى

(١) تفسير الصافي ١/٣٦٤ .

(٢) مُكَلَّنة : كثير الكلاء أي العشب .

(٣) مجمع الأمثال ٢/٢٩٧ ، حرف الهاء ، ومع الجمهرة ٢/٢٥٧ ، المستقصى ٢/٣٨٦ .

أن قال : - وأراد عليّ رضي الله عنه بقولها - أي الكلمة - أنه لم يتلَطَّحْ بشيء من فيء المسلمين بل وضعه مواضعه ...^(١).

يضرب في الأمانة ، وترك الخيانة ومن مثل أمير المؤمنين (عليه السلام) أشدّ أمانة ؟ .

الصدق

من صدقت لهجته ظهرت حجّته. من قلّ صدقه قلّ صديقه . الصدوق بين المهابة والمحبة . من عرف بالصدق جاز كذبه ، ومن عرف بالكذب لم يجز صدقه . الصدق يُنجي ، والكذب يُشجي . الصدق ميزان الله الذي يدور عليه [العدل^(٢)] ، والكذب مكيال الشيطان الذي يدور عليه [الجور. من عدم فضيلة الصدق من منطقته فقد لحع^(٣) بأكرم أخلاقه . الصدق دليل التقوى ، وجمال النجوى ، وكمال الدين والدنيا.

تمام الصدق الإخبار بما تحتمله العقول . أصدق الخبر ما حقّقه الأثر ، وأفضل القول ما كان عليه دليل من العقل^(٤).

ابن عبد ربّه :

صدق الحديث منه قولهم : مَنْ صَدَقَ اللَّهُ نَجَا^(٥) . ومنه قولهم : سُبِّي

(١) النهاية ٣٠٩/١ - ٣١٠ - جنى - . عبون الاخبار لابن قتيبة ٥٣/١ ، شرح النهج للمعتزلي ٢٠٠/٢ .

١٢٦/١٩ . وسائل الشيعة ٨٧/١١ - ٨٨ . الفارات ٥٢/١ - ٥٣ ، ٥٧ .

اقول : كثيراً ما كان أمير المؤمنين (عليه السلام) يتمثل بهذا المثل إثباتاً لأمانته ، وكذلك أهل بيته ، وهي خصلة المؤمنين فضلاً عن أنعمتهم (عليهم السلام).

(٢) كذا في التمثيل والمحاضرة ٤١٢ .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) التمثيل والمحاضرة للثعالبي ٤١٢/٤١٣ .

(٥) ذكرناه في الامثال النبوية ٢٧٩/٢ ، رقم المثل ٥٧٤ . حرف الميم مع النون .

وأصدق . وقالوا : الكذب داءٌ ، والصدق شفاء . وقولهم : لا يكذب الرائد أهله^(١) معناه أن الذي يرتاد لأهله منزلاً لا يكذبهم فيه .

وقولهم : صدقني سنّ بكره^(٢) . أصله أن رجلاً ابتاع من رجل بغيراً ، فسأله عن سنّه ؟ فقال له : إنه بازل^(٣) ، فقال له : أنخه . فلما أناخه قال : هدع هدع . وهذه لفظة تسكن بها الصغار من الإبل . فلما سمع المشتري هذه الكلمة قال : صدقني سنّ بكره .

ومنه قولهم : القول ما قالت حذام ، وهي امرأة لجُيم بن صعب والد حنيفة وعجل ، ابني لجُيم وفيها قال :
إذا قالت حذام فصدّقوها فإن القول ما قالت حذام^(٤)

(١) مثل نبوي أيضاً ، الأمثال النبوية ٤٣٣/١ ، رقم ٢٧٦ ، حرف الراء مع الألف .

(٢) مثل علوي أيضاً ، الامثال والحكم العلوية مخطوط .

(٣) ومنه المثل العلوي : بازل عامين حديث سني وهو البعير الذي تمت له عشر سنين ودخل في الحادية عشرة فبلغ نهايته مخطوط . المستقصى ١٧٢/١ - ١٧٣ ، البحار ٨١/٤١ . والمثل موجود في الأمثال مخطوط .

(٤) العقد الفريد ١٨/٣ . والحكم العلوية .

أدر لسانك في فيك

قال الشيخ الحرّ العاملي :

وعن الفضل بن يونس أن أبا الحسن (عليه السلام) جلس في صدر المجلس وقال : صاحب المجلس أحقّ بهذا المجلس ، إلّا لرجل واحد ، وكانت لفضل^(١) دعوة يومئذٍ ، فقال أبو الحسن : هات طعامك ، فإنهم يزعمون أنا لاناكل طعام الفجأة ، فأقي بالطشت ، فبدء هو ، ثم قال : أدر لسانك في فيك ، فما تبلع لسانك فكله إن شئت ، وما استكرهته بالخلال فالفظه^(٢) .
أقول :

جاء في علم الدراية أن أبا الحسن المطلق عن الوصف هو الإمام الكاظم (عليه السلام) إلّا مع القرينة الصارفة إلى المكنى بأبي الحسن من الأئمة كالإمام الرضا ، أو الهادي ، وفي مقدّمتهم أمير المؤمنين (عليهم السلام) . وعليه أثبتناه ، على أن قبل الحديث حديث الفضل نفسه قد صرّح فيه اسمه (عليه السلام) في موضوع دعوة الطعام .
بيان :

من أولى من المعصوم (عليه السلام) بصدر المجلس عند الجلوس في المجلس ؟ وبعده الأمثل فالأمثل ؟ وفي الأحاديث منها الكاظمي : « ياهشام إن

(١) قد صرّح بهذه الدعوة في الوسائل ١٦/٦٥٠ - ٦٥١ الباب ١١٢ من ابواب آداب المائدة الحديث ٩ .

(٢) الوسائل ١٦/٦٥١ ، الحديث ١٠ ، الباب السابق الفجأة : المواجهة من غير ميعاد والامام (عليه السلام) أتى الفضل وكان من الصدقة له دعوة طعام ، فراجع المصدر .

أمير المؤمنين (عليه السلام) كان يقول : لا يجلس في صدر المجلس إلا رجل فيه ثلاث خصال : يجب إذا سُئل ، وينطق إذا عجز القوم عن الكلام ، ويشير إلى الرأي الذي فيه صلاح أهله. فمن لم يكن فيه شيءٌ منهنّ فجلس فهو أحمق»^(١).
قوله (عليه السلام) : « أدر لسانك في فيك ».

من إدارة الشيء : إذا جعله يدور وهي الإحاطة من كلّ الجوانب .
ولولا أنّ الإمام (عليه السلام) أراد من « أدر لسانك في فيك » استجابة الطعام الباقي في الفم والأسنان ، لقلنا إنّ هذه الكلمة كناية عن الصمت وحبس اللسان في فيه حتى لا ينطق الإنسان بكلّ ما يجري على لسانه فيصلت إلّا عن الخير ، وهي صالحة لضرب المثل لحسن الصمت بالصميم ، وحفظ اللسان .
قال الشاعر :

وقد يُرجى لجرح السيف بُرءٌ ولا بُرءٌ لما جرح اللسان^(٢)

الفضل بن يونس :

قال السيد الأستاذ : قال النجاشي : الفضل بن يونس الكاتب البغدادي، روى عن أبي الحسن موسى (عليه السلام) ، ثقة له كتاب ... وقال الشيخ : الفضل بن يونس الكاتب .. وعدّه في رجاله من أصحاب الكاظم (عليه السلام) قائلاً: الفضل بن يونس الكاتب أصله كوفي تحوّل إلى بغداد ، مولى ، واقفيّ ...
وقال الكشي في ترجمة هشام بن إبراهيم العبّاسي : وجدت بخطّ محمد ابن الحسن بن بندار القمي في كتابه ، حدّثني علي بن إبراهيم بن هاشم عن محمد

(١) البحار ٤/٧٨.

(٢) العقد الفريد ١٦/٣ ، في حفظ اللسان . قال مؤلّفه فيه : اجتلبنا هذا البيت ، لأنّه قد صار مثلاً سائراً للعامّة . وجعلنا لأمثال الشعراء في آخر كتابنا هذا باباً ، فراجعه.

ابن سالم ، قال : لما حمل سيدي موسى بن جعفر (عليها السلام) إلى هارون جاء إليه هشام بن إبراهيم العبّاسي ، فقال له : ياسيدي قد كتب لي صكّ إلى الفضل بن يونس ، فتسألُه أن يروِّحَ أمرِي . قال : فركب إليه أبو الحسن (عليه السلام) ، فدخل عليه حاجبه ، فقال : ياسيدي أبو الحسن موسى (عليه السلام) بالباب ، فقال : فإن كنت صادقاً فأنت حرّ ، ولك كذا وكذا ، فخرج الفضل بن يونس حافياً يعدو حتى خرج إليه ، فوقع على قدميه يقبلها ، ثم سأله أن يدخل فدخل ، فقال له : اقض حاجة هشام بن إبراهيم ، فقضاها ، ثم قال : ياسيدي قد حضر الغداء فتكرمني أن تتغدى عندي ، فقال : هات ، فجاء بالمائدة وعليها البوارد ، فأجال (عليه السلام) يده في البوارد ، ثم قال : البارد تجال اليد فيه ^(١) ، فلما رفع البارد ، وجاءوا بالحرّ ، فقال أبو الحسن (عليه السلام) : الحرّ حمي ^(٢) .
أقول :

هشام بن إبراهيم العبّاسي هو الزنديق على لسان الإمام الكاظم (عليه السلام) عندما نسب جواز الغناء إليه ^(٣) .

بيان :

انظر يا أخي كيف يتقدّم الإمام (عليه السلام) لأن يشفع لتنجيز الصكّ لزنديق من الزنادقة الجاحد فضله المتقدّم إليه بالتهمة ، ولا تمنعه ذلك من قضاء الحاجة والشفاعة في إنجازها ، فالإحسان من أهمّ أبواب البرّ إلى البرّ والفاجر وهذه من الصفات الربانيّة حيث يرزق الله تعالى المؤمنين والكفّار، والفجار والأبرار.

(١) حرف الباء مع الألف.

(٢) حرف الهاء مع الألف، وانظر معجم رجال الحديث ١٣/٣١٧ - ٣١٨ ، اختيار معرفة الرجال ٥٠٠ ، الرقم ٩٥٦ .

(٣) اختيار معرفة الرجال ٥٠٦ .

والمستفاد من هذه الأحاديث أيضاً الانتهاج نهج الوفاء ، والمصافاة مع من صافاك من المؤمنين حتى الاستجابة إلى طعام قد طلبها صاحبه وتلبية الدعوة من دون وعد مسبق وهذا من الخلق الرفيع أي النزول على رغبة أخيه المؤمن ولا يمنع الإمام (عليه السلام) من الاستجابة فوراً بل وطلب طعام صاحب الدار عند دخولها برغبة منه وبكل رحابة صدر ، وكيف لا وهو ابن من خاطبه الله تعالى بما لم يخاطب أحداً من المرسلين : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾^(١) وهل هناك أمرٌ أعظم مما سمّاه الله عظيماً وهو أعظم من كلّ عظيم.

٤٠

ادفعوا البلاء بالدعاء

روى السيد ابن طاووس بإسناده إلى أبي الوضّاح محمد بن عبدالله بن زيد النهشلي قال : أخبرني أبي قال : سمعت الإمام أبا الحسن موسى بن جعفر (عليه السلام) يقول :

« التحدّث بنعم الله شكر ، وترك ذلك كفر ، فارتبطوا نعم ربكم تعالى بالشكر ، وحصّنوا أموالكم بالزكاة ، وادفعوا البلاء بالدعاء ؛ فإنّ الدعاء جنة منجية تردّ البلاء وقد أبرم إبراهيم^(٢) ».

اشتمل الحديث على كلمات يأتي بيان كلّ كلمة في محلّها المتاح إن شاء

الله .

قوله (عليه السلام) : « ادفعوا البلاء بالدعا » :

(١) القلم : ٤ .

(٢) مهج الدعوات ٢١٨ .

قد سبق الترغيب به الكتاب العزيز قال تعالى : ﴿ ادعوني استجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ﴾^(١) . سمي الدعاء عبادة ، وهدد المترفع عنها بدخول النار ، وإنه لترغيب مشدد : والوجه في كون الدعاء من العبادة : لأنه الخضوع المحض ، والقيام بوظيفة العبودية الغاية من خلق الجن والإنس لقوله عز من قائل : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾^(٢) على أن في دعاء العبد مع ربه تبادل في الحب والشكر والشكوى ، ولنعم من قال :

أشكو وأشكر فضله فاعجب لشاك منه شاكر^(٣)

ويتفاوت رفعة وسناء لتفاوت معرفة الداعي بجلال المدعو ، وجماله ، والعظمة ، ولربما أفضى به الانصراف عما دعا من أجله ، والاشتغال بذكره تعالى ؛ إذ ماذا فقد من وجدّه ؟ وما الذي وجد من فقدّه ؟ ، ولعمري إن من أشدّ البلاء فقد حلاوة الدعاء .

(١) غافر : ٦٠ .

(٢) الذاريات : ٥٦ .

(٣) ديوان ابن الفارض ٩٤ .

٤١

ادفعوا ما تحذرون علينا وعليكم منه بالدعاء

كلمة رغبة لداع إذا دعا أن يدعو للعموم حتى للإمام المعصوم (عليه السلام) ، وسندها مايلي :

روى الشيخ المجلسي (رحمه الله) من كتاب فلاح السائل من المشيخة للحسن بن محبوب في حديث أبي ولّاد حفص بن سالم الخياط ، قال : دخلت على أبي الحسن موسى (عليه السلام) بالمدينة ، وكان معي شيء فأوصلته إليه ، فقال : أبلغ أصحابك ، وقل لهم : اتقوا الله عزّ وجلّ ، فإنكم في إمارة جبار - يعني أبا الدوانيق - ، فأمسكوا ألسنتكم ، وتوقّوا على أنفسكم ودينكم ، وادفعوا ما تحذرون علينا وعليكم منه بالدعاء ، فإنّ الدعاء والطلب إلى الله يردّ البلاء وقد قدر وقضى ، ولم يبق إلا امضاؤه ، فإذا دعى الله وسئل صرف البلاء صرفاً فألحوا في الدعاء أن يكفيكموه الله^(١)

أقول :

في الحديث تصريح بأنّ الدعاء للعموم نافع حتى المعصوم وكلمة «علينا» تشمل أهل البيت (عليهم السلام) جميعاً بل في الأحاديث تنصيص على أنّ الدعاء لأخيه المؤمن عن ظهر الغيب مستجاب وللداعي أضعافه ، ففي باقري : «أسرع الدعاء نجحاً للإجابة دعاء الأخ لأخيه بظهر الغيب يبدء بالدعاء

لأخيه ، فيقول له الملك موكل به : آمين ولك مثلاه»^(١) ، وكاظمي روى الكليني عن عليّ عن أبيه قال : رأيت عبداً لله بن جُنْدَب في الموقف ، فلم أر موقفاً كان أحسن من موقفه ، مازال ماداً يديه إلى السماء ، ودموعه تسيل على خديه حتى تبلغ الأرض ، فلما صدر الناس قلت له : يا أبا محمد ما رأيت موقفاً قط أحسن من موقفك ، قال : والله ما دعوت إلا لإخواني ، وذلك أن أبا الحسن موسى (عليه السلام) أخبرني أن من دعا لأخيه بظهر الغيب نودي ومن العرش ولك مائة ألف ضعف ، فكرهت أن أدع ألف مضمونة لواحدة لأدري تستجاب أم لا^(٢) .
لو لم يكن إلا كهذا الحديث لكان فيه الغنى عن سائر النصوص لمريد إجابة الدعاء إذا دعا.

٤٢

ادفعوا معالجة الأطباء ما اندفع الداء عنكم

قال الشيخ الصدوق : أبي (رحمه الله) قال : حدّثنا سعد بن عبدالله عن أحمد بن محمد عن بكر بن صالح الجعفري قال : سمعت موسى بن جعفر (عليهما السلام) وهو يقول : ادفعوا معالجة الأطباء ما اندفع الداء عنكم ؛ فإنه بمنزلة البناء قليله يجرّ إلى كثيره^(٣) .
أقول :

قوله (عليه السلام) : « بمنزلة البناء قليله يجرّ إلى كثيره » يأتي بيانه^(٤) .

(١) أصول الكافي ٥٠٧/٢ ، باب الدعاء للإخوان ... ، حديث.

(٢) المصدر نفسه ، ص ٥٠٨ ح ٦.

(٣) علل الشرائع ٤٦٥/٢ ، الباب ٢٢٢ ، النوادر.

(٤) حرف الباء مع النون.

والغرض من منع مراجعة الطبيب التريث إلى ثلاثة أيام على الأقل مثلاً،
وجاء التصريح في بعض الأمراض كالزكام أنه لا يتداوى منه :
في صادقي : « كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) لا يتداوى من الزكام ،
ويقول : ما من أحد إلا وبه عرق من الجذام ، فإذا أصابه الزكام قمعه .»
ونبوي : « لا تكرهوا أربعة ؛ فإنها لأربعة : لا تكرهوا الزكام ؛ فإنه أمان
من الجذام ، ولا تكرهوا الدماميل ؛ فإنها أمان من البرص ، ولا تكرهوا الرمذ ؛
فإنه أمان من العمى ، ولا تكرهوا السعال ؛ فإنه أمان من الفالج »^(١) .
وآخر : « ما من أحد من ولد آدم إلا وفيه عرقان : عرق في رأسه يهيج الجذام ،
وعرق في بدنه يهيج البرص . فإذا هاج العرق في الرأس سلط الله عز وجل
عليه الزكام حتى يسيل مافيه من الداء ، وإذا هاج العرق الذي في الجسد سلط
الله عز وجل عليه الدماميل حتى يسيل مافيه من الداء ، فإذا رأى أحدكم به
زكاماً ، أو دماميل فليحمد الله عز وجل على العافية . وقال : الزكام فضول في
الرأس »^(٢) .

وفي التداوي ما يلي :

في علوي : « ربما كان الدواء داءً ، والداء دواءً »^(٣) .

وآخر : « امش بدائك ما مشى بك »^(٤) .

والمقصود ترك السرعة إلى مراجعة الأطباء ، ومدافعة العلاج معناها
الحفاظ على عدم ولوج الداء من بداية الأمر وهو معنى الدفع ، والفرق بينه وبين
الرفع أن الدفع المنع من دخول الداء البدن ، والرفع إخراجه من البدن بعد

(١) الوسائل ١٧/١٨٣ - ١٨٤ . الباب ١٣٨ من أبواب الأطعمة المباحة . الحديث ٢ ، ٤ .

(٢) الوسائل ١٧/١٨٤ . الحديث ٣ .

(٣) النهج ١٦/٩٧ . الكتاب ٣١ . البحار ٧٥/٥١ .

(٤) الوسائل ٢/٦٣٠ . باب ٤ ، الاختصار ، الحديث ٨ . النهج ١٨/١٣٨ . الحكمة ٢٧ .

دخوله فيه ومن هنا تعرف نكتة كلام الإمام الكاظم (عليه السلام) حيث قال :
 « ادفعوا معالجة الأطباء ما أندفع الداء عنكم » ، كما عرفت أن ليس كل داء
 داخل يلزم رفعه فوراً كالزكام ، فإن الزكام جند من جنود الله يسلّطه عليه ليُذِيب
 عرق الجذام.

الحمية :

في نبوي : « المعدة بيت الداء ، والحمية رأس الدواء ، وأعط كل بدن
 ماعودته »^(١).

قال الشيخ الطبرسي عند تفسير آية ﴿ كلوا واشربوا ولا تسرفوا ﴾^(٢) .
 وقد حكى أن الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق ، فقال ذات يوم لعلي
 ابن الحسين بن واقد : ليس في كتابكم من علم الطب شيء والعلم علمان : علم
 الأديان ، وعلم الأبدان . فقال له عليّ : قد جمع الله الطب كلّه في نصف آية
 من كتابه وهو قوله : ﴿ كلوا واشربوا ولا تسرفوا ﴾ . وجمع نبينا (ص) الطب
 في قوله : « المعدة بيت الداء ، والحمية رأس كل دواء ، وأعط كل بدن ماعودته » .
 فقال الطبيب : ما ترك كتابكم ، ولا نبيكم مجالينوس طباً^(٣) .

وإليك من أحاديث الحمية :

محمد بن الفيض قال : قلت لأبي عبدالله (عليه السلام) : يمرض منا
 المريض ، فيأمره المعالجون بالحمية . فقال : لكننا أهل بيت لانحتمي إلا من
 التمر ، وتداوى بالثفاح ، والماء البارد ، قلت : ولم تحتمون من التمر ؟ قال : لأن
 رسول الله (صلى الله عليه وآله) حمى علينا (عليه السلام) منه في مرضه .

(١) عوالي اللئالي ٢/٣٠ .

(٢) الأعراف : ٣١ .

(٣) تفسير مجمع البيان ٤/٤١٣ .

وصادقي : « لا تنفع الحمية للمريض بعد سبعة أيام » .
 وكاظمي : « ليس الحمية أن تدع الشيء أصلاً ، ولكن الحمية أن تأكل
 من الشيء وتخفف »^(١) .
 أقول :

ليس هنا مقياس مطّرد لكلّ مريض ، ومرض بل كما قال تعالى : ﴿ بل
 الإنسان على نفسه بصيرة ﴾^(٢) ولا ريب أنّ الضرورة تتقدّر بقدرها^(٣) فربّ داء
 لا يفتقر إلى معالجة ، إمّا لسرعة برئه ، أو لو عولج ازداد داءً ، أو تأخر برؤه .
 وربّ داء آخر لو لم يُسرّع في علاجه اتسع وانتشر إلى بقية الأعضاء وسائر
 الجسد كالأمراض المسريّة كالجدام والبرص ، وقد جاء في المثل النبوي : « فرّ من
 المجذوم فرارك من الأسد »^(٤) .

ولعل المراد بدفع العلاج خاصّ بالأمراض البدائيّة ، أو السريعة الزوال ، على
 أنّ في الحديث العلوي : « امش بدائك ما مشى بك »^(٥) شرط دفع العلاج وجود
 المقاومة والقوّة الموهوبة للإنسان ، وعند فقدانها لا بدّ من العلاج .
 وليعلم أنّ الشفاء من الله ، ولكلّ داء دواء ، ولا يكون ذلك إلا بإذن
 الله تعالى .

(١) الوسائل ١٧/١٨٢ - ١٨٣ .

(٢) القيامة : ١٤ .

(٣) كلمة جارية على الألسن .

(٤) الوسائل ٨/٤٣١ ، الأمثال النبويّة ٢/١٨ ، رقم المثل ٣٥٠ حرف الفاء مع الراء .

(٥) الوسائل ٢/٦٣٠ باب ٤ من أبواب الاحتضار ، الحديث ٨ ، النهج ١٨/١٣٨ ، الحكمة ٧٧ .

٤٣

إذا أتاكم آتٍ ، فأسمع أحدكم في الأذن اليمنى مكروها ، ثم تحوّل
إلى الأذن اليسرى فاعتذر ... فاقبلوا عذره

ما أئمنها من كلمة ، لو طبقت ، لاجتثت شجرة البغضاء ، وقويت وشائج
الإخاء ، وعاش الناس بسلام . والكلمة من الحديث المروي عن الإمام الكاظم
(عليه السلام) نقلاً عن الفصول المهمة قال :

روى أن موسى بن جعفر الكاظم (عليه السلام) أحضر ولده يوماً فقال :
يا بني إني موصيكم بوصية من حفظها انتفع بها : إذا أتاكم آتٍ فأسمع
أحدكم في الأذن اليمنى مكروهاً ، ثم تحلّ إلى الأذن اليسرى فاعتذر ، وقال :
لم أقل شيئاً ، فاقبلوا عذره^(١).

أقول :

الأذن اليمنى ، واليسرى من المثل المضروب لقرب موضع الإساءة
والاعتذار ، ومن الكناية عن الإسماع ، فلو كانت الإساءة لصاحبه بالمكاتبة ،
أو في غيابه ، شملته الأذن اليمنى واليسرى . وليس المراد بذلك العضو يقيناً .
الإمام (عليه السلام) قدوة لكل خير :

فلو أمر بقبول العذر من المسيء المعتذر ، فقد عرف بذلك وبالتجاوز
عن المخاطيء .

روى الشيخ المفيد (طاب ثراه) عن الشريف أبي محمد الحسن بن محمد

عن محمد عن جدّه عن غير واحد: أنّ رجلاً من ولد عمر بن الخطّاب كان بالمدينة يؤذي أبا الحسن موسى (عليه السلام)، ويسبّه إذا رآه، ويشتم عليّاً (عليه السلام)، فقال له بعض جلسائه يوماً: دعنا نقتل هذا الفاجر، فنهاهم عن ذلك أشدّ النهي وزجرهم أشدّ الزجر، فسأل عن العمري؟ فذكر أنّه يزرع بناحية من نواحي المدينة، فركب إليه فوجده في مزرعة له، فدخل المزرعة بحماره، فصاح به العمري لا توطأ زرعتنا، فتوطأ أبو الحسن (عليه السلام) بالحمار حتى وصل إليه فنزل، وجلس عنده، وباسطه وضاحكه، وقال له: كم غرمت في زرعك هذا؟ فقال له مائة دينار، قال: وكم ترجو أن تُصيب؟ قال: لست أعلم الغيب؟ قال له: إنّما قلت لك إنّكم ترجو أن يجيئك فيه؟ قال: أرجو أن يجيئني فيه مائتا دينار، قال: فأخرج أبو الحسن (عليه السلام) صرةً فيها ثلاث مائة دينار، وقال: هذا زرعك على حاله والله يرزقك فيه ما ترجو، قال: فقام العمري فقبل رأسه، وسأل أن يصفح عن فارطه، فتبسّم إليه أبو الحسن (عليه السلام)، وانصرف، قال: وراح إلى المسجد فوجد العمري جالساً، فلمّا نظر إليه قال: الله أعلم حيث يجعل رسالته، قال: فوثب أصحابه إليه، فقالوا له: ما قصّتك قد كنت تقول غير هذا، قال: فقال لهم: قد سمعتم ما قلت الآن وجعل يدعو لأبي الحسن (عليه السلام)، فخاصموه وخاصمهم، فلمّا رجع أبو الحسن إلى داره قال لجلسائه الذين سألوه في قتل العمري: أيّما كان خيراً: ما أردتم، أو ما أردت؟؟ إنّني أصلحت أمره بالمقدار الذي عرفتم، وكفيت به شرّه^(١).

الخلق الرفيع

قد سمعت قصة العمري وهي تعطيك صورة من خلقه الرفيع، وبصراربه

تضرب المثل :

قال الشيخ المفيد (رحمه الله) : وذكر جماعة من أهل العلم أن أبا الحسن (عليه السلام) كان يصل بالمأقي دينار إلى ثلاث مائة دينار ، وكانت صرار موسى (عليه السلام) مثلاً^(١) . وهذه عادة أهل البيت الإحسان إلى المسيء^(٢) وفي السجّاد (عليه السلام) .

قال البحراني : المفيد في إرشاده قال : أخبرني أبو محمد الحسن بن محمد قال : حدّثني جدّي ، قال : حدّثني محمد بن جعفر وغيره ، قالوا : وقَفَ علي علي ابن الحسين رجلٌ من أهل بيته ، فأسمعه وشتّمه ، فلم يكلمه ، فلما انصرف ، قال لجلسائه : قد سمعتم ما قال هذا الرجل وأنا أحبُّ أن تبلغوا معي إليه حتى تسمعوا ردّي عليه ، قال : فقالوا له : نفعل ، ولقد كنّا نحبُّ أن نقول له ونقول ، قال : وأخذ نعليه ومشى وهو يقول : ﴿ وَالكَاطِمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾^(٣) ، فعلمنا أنّه لا يقول شيئاً ، قال : فخرج حتى أتى منزل الرجل ، فصرخ به ، قال : قولوا : هذا علي بن الحسين ، فخرج إلينا متوتّباً للشرّ وهو لا يشكّ أنّه إنّما جاء مكافياً عنه ، فقال له علي بن الحسين (عليه السلام) : يا أخي إنّك كنت وقفت عليّ أنفأً ، وقلت ، فإن كنت قلت ما فيّ ، فأبّي أستغفر الله منه ، وإن كنت قلت ما ليس فيّ ، فغفر الله لك . قال : فقبّل الرجل بين عينيه ، وقال : بلى قلتُ فيك ما ليس فيك ، وأنا أحقُّ به .

قال راوي الحديث : والرجل هو الحسن بن الحسن (رضى الله عنه)^(٤) .

(١) إرشاد المفيد ٢٩٧ .

(٢) في الزيارة الجامعة : «وعادتكم الإحسان ، وسجيتكم الكرم» عيون الأخبار ٢/٢٨١ .

(٣) آل عمران : ١٣٤ .

(٤) إرشاد ٢٥٧ ، تفسير البرهان ١/٣١٥ .

أقول :

وكم نال منهم (عليهم السلام) الأقرباء فضلاً عن البُعداء ، وإليك في
تجرّع الغيظ بعض الأحاديث :

في سجادي : « ما أحبّ أن لي بذلّ نفسي حُمر النعم ، وما تجرّعت جرعة
أحبّ إليّ من جرعة غيظ لا أكافي بها صاحبها »^(١).

وباقري : « من كظم غيظاً وهو يقدر على إمضائه حشا الله قلبه أمناً ،
وإيماناً يوم القيامة »^(٢). وقبل كلّ شيء القرآن يأمر بالعفو والصفح :

﴿ وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم ﴾^(٣) ﴿ فاصفح
الصفح الجميل ﴾^(٤).

وهل هذا الاهتمام إلا لتحكيم أوامر الأخوة ، والصفاء ؟ وهل بعده شيء؟.

٤٤

إذا احتاج الإنسان إلى شيءٍ عرفت أعضاؤه ذلك

كلمة الإمام الكاظم (عليه السلام) الكاشفة عن نية الإنسان رواها أبو
جعفر ابن شهر اشوب في المناقب في غضون كلام له ، قال :

(١) أصول الكافي ١١١/٢ أي لا أسأومه بحمر النعم.

(٢) المصدر : ١١٠.

(٣) النور : ٢٢.

(٤) الحجر : ٨٥.



دخل موسى بن جعفر (عليه السلام) بعض قرى الشام هارباً فوقع في غار فيه راهب يعظ في كل سنة يوماً ، فلما رآه الراهب دخله منه هيبة ، فقال : يا هذا أنت غريب ؟ قال : نعم ، قال : منا أو علينا ؟ قال : لست منكم ، قال : أنت من الأمة المرحومة ؟ قال : نعم ، قال : أفمن علمائهم أنت أم من جهّالهم ؟ قال : لست من جهّالهم .

فقال : كيف طوبى أصلها في دار عيسى ، وعندكم في دار محمد ، وأغصانها في كل دار ؟ فقال (عليه السلام) الشمس قد وصل ضوؤها إلى كل مكان ، وكلّ موضع وهي في السماء ، قال : وفي الجنة لا ينفد طعامها وإن أكلوا منه ولا ينقص منه شيء ؟ قال : السراج في الدنيا يقتبس منه ولا ينقص منه شيء . قال : في الجنة ظلّ ممدود ؟ فقال (عليه السلام) : الوقت الذي قبل طلوع الشمس كلّها ظلّ ممدود ؛ قوله : ﴿ ألم تر إلى ربك كيف مدّ الظلّ ﴾^(١) . قال : ما يؤكل ويشرب لا يكون بولاً ولا غائطاً ؟ قال : الجنين في بطن أمه ؛ قال : أهل الجنة لهم خدم يأتونهم بما أرادوا بلا أمر ؟ فقال (عليه السلام) : إذا احتاج الإنسان إلى شيء عرفت أعضاؤه ذلك ويفعلون بمراده من غير أمر . قال : مفاتيح الجنة من ذهب أو فضة ؟ قال : مفاتيح الجنة لسان العبد لا إله إلا الله . قال : صدقت وأسلم والجماعه معه^(٢) .

أقول :

لعلّ القصة للباقر مع ابنه الصادق (عليهما السلام) ، حملها هشام بن عبد الملك إلى الشام واجتماعه مع الراهب والمناظرة المشهورة^(٣)

(١) الفرقان : ٤٥ .

(٢) المناقب ٤/٣١١ - ٣١٢ .

(٣) البحار ١٠/١٤٩ - ١٥١ .

ولا سبيل إلى ردّ الحديث الكاظمي أيضاً .
ثم الذي دعاني إلى سرد القصة عن آخرها هو المزيد إتمام الربط بالكلمة
الكاظمية .

٤٥

إذا أراد استنارة ما فيها نضحها بالحكمة ، وزرعها بالعلم

من كلمات الإمام الكاظم (عليه السلام) يصف قلوب المؤمنين ، وإليك
ما يربطها من رواية الشيخ الكليني قال :

محمد بن يحيى عن العمركي عن علي بن جعفر عن أبي الحسن موسى
(عليه السلام) قال : إن الله خلق قلوب المؤمنين مطويةً مبهمة على الإيمان ، فإذا
أراد استنارة ما فيها نضحها بالحكمة ، وزرعها بالعلم ، وزارعها والقيّم عليها
ربّ العالمين^(١) .

أقول :

هذا الحديث من غرر الصحاح المأثورة ، قد اشتمل على
أبداع تشبيه ، وأروع تمثيل وهو من المثل القياسي السابق بيانه^(٢) ، وإنه من
محاسن الكلام في وصف قلب المؤمنين ، وقد تصدّى بعض العلماء لشرحه .

قال المحقق المازندراني :

قوله : « قال : إن الله خلق قلوب المؤمنين مطويةً مبهمة على الإيمان » .

قبل الآخرة .

(١) أصول الكافي ٢/٤٢١ ، باب سهو القلب ، الحديث ٣ .

(٢) في مقدّمة الكتاب ، وبيان أقسام الأمثال تناسرة ، والمثل القياسي فراجع .



خلق قلوبهم مطوية على سبيل التشبيه بما يقبل الطي كالتياب والكتاب.
 المراد بالمبهمة المغلقة والمقفلة على سبيل التشبيه بالبيت .
 فلا يعلم ما فيها إلا هو . من أيهم التياب فهو مبهم : إذا أغلقه وأقفله ،
 أو المعضلة التي لا يعلم حالها ووصفها إلا هو . من أيهم الأمر فهو مبهم إذا لم
 يجعل عليه دليلاً . أو الخالصة الصحيحة التي ليس فيها شيء من العاهات
 والأمراض . ومنه فرس بهيم . وهو الذي له لون واحد لا يخالطه لون سواه .
 قوله : « على الإيمان » متعلق بـ « مطوية » . أو « مبهمة » ، أو بهما على
 التنازع ، أو حال عن القلوب ، أي خلقها كائنة على الإيمان . وفي ذكر المطوية
 والمبهمة إشعار بأن إيمانها مغفول عنه ، وهو عبارة عن سهو القلب .
 ولما كان الخلق تابعاً للعلم . وكان علم الله عز وجل بالشيء قبل خلقه
 كعلمه به بعده ، وكان قلب المؤمن متصفاً بالإيمان باختياره إياه ، صدق أنه تعالى
 خلقه على هذا الوصف ، فلا يلزم الجبر .

« فإذا أراد استشارة ما فيها نضحها بالحكمة ، وزرعها بالعلم . »

الاستشارة بالشيخين المعجمة : استخراج العسل من موضعه . يقال : شار
 العسل شوراً من باب (قال) ، وأشار . واستشاره : إذا استخراج من الوقبة
 وهي نفرة في صخرة يجتمع فيها الماء والعسل . وفيه نوع تخيل وتشبيه ما في قلوب
 المؤمنين بالعسل في الترغيب وميل الطبع .

والنضح : الرش ، نضحه كمنعه : إذا رشه ، وإنما شبه الحكمة وهي دين
 الحق المانع للقلب عن الصلابة ، والغلظة ، والباعث للرخوة واللين بالماء ، لأنها
 تلين القلب وتصلحها كالماء للأرض وشبهه بالبذر لأنه ينمو ويحصل منه اليانع
 الكثير كالبذر ... « وزارعها والقيم عليها رب العالمين » .

الزرع في الأصل : الإنبات يقال : زرع الله الحرث : أي أنبته وأناه ،
 وهو فعله تعالى دون البشر ، ولذلك قال : ﴿ أفأرأيتم ما تحرثون ﴾ * أنتم تزرعونوه

أم نحن الزارعون ﴿١﴾

نسب الحرث إليهم ، لكونه فعلاً لهم . وسبباً للزرع . ونسب الزرع إلى ذاته المقدسة ، لكونه فعلاً له . ثم قيل : زرع الله العلم على سبيل الاستعارة بتشبيه إلقاء العلوم والأسرار إلى القلوب بالزرع في التزيين والحياة والثمرة . فكما أن الزرع يزين الأرض ، ويوجب حياتها ، ويشمر ثمرة توجب حياة الأبدان ونموها وقيامها بأفعالها كذلك الإلقاء المذكور يزين القلوب ، ويوجب حياتها الأبدية ، وثمرته أقوى ، وأتم من ثمرة الزرع ، لأن ثمرة الزرع هي الحياة الدنيوية ، وثمره الإلقاء المذكور هي الحياة الأخروية الأبدية التي لا انقطاع لها والفضل بينهما كفضل الآخرة على الدنيا .

والحاصل أن الذي ينبت في القلوب النبات الحسن من العقائد الصحيحة، والحقائق الربوبية والأسرار الحكيمية لحسن استعادها وكمال حفظها للقوة الفطرية . والذي يقوم بأمرها ، ويدبر فيها ، ويراقب جميع أفعالها هو رب العالمين الذي بيده إيجاد العالم على الأنواع المختلفة ...^(٢).

العلامة المجلسي (طاب ثراه) .

قد شرح الكلمة الشيخ المجلسي ، أشير إلى بعض ماذهب إليه ، إنه اختار في قوله (عليه السلام) : « فإذا أراد إثارة ما فيها ... » من الإثارة ، وجعل نسخة الاستشارة بالشين المعجمة قولاً وشرحها بما قدمناه^(٣) ، وأمّا نسخة الاستشارة فهي من متن الكافي الموجود عندنا . فأصبحت النسخ ثلاثاً . والكل له تفسيره المناسب وكيف كانت النسخة فإن الحقيقة سافرة يراها أهلها بآية

(١) الواقعة : ٦٣ - ٦٤ .

(٢) شرح الكافي ١٠ / ١٢٦ - ١٢٧ .

(٣) مرآة العقول ١١ / ٢٥٢ - ٢٥٣ .

مراياها ومعانيها ، وأن الكلمة الصادرة من المعصوم نور يجده المؤمن ، لأنه ينظر بنور الله تعالى وفي أنوار خمسة .

في علوي : « المؤمن يتقلب في خمسة من النور : مدخله نور ، ومخرجه نور ، وعلمه نور ، وكلامه نور ، ومنظره يوم القيامة الى النور » .

قوله (عليه السلام) : « إذا أراد استنارة ما فيها نضحها بالحكمة ... » .
ماهذه الإرادة ؟ سواء أكان المراد المستنار على نسخة ، أو المنار على نسخة ، أو المستشار على رأي المازندراني ، وهل هي الإرادة التكوينية ؟ أو موهبة ربوبية تفاض على المحل القابل والقلب السليم ؟ أو نور لا يعلم حقيقته إلا الله كما تلوح إليه فقرة « وزارعها والقيم عليها رب العالمين » ؟؟؟ .

وهل القلب المنضوح بالحكمة . والعلم المزروع فيه لكل المؤمنين ؟ أو قسم منهم ؟ والذي ذاق حلاوة هذه الحكمة ، والعلم المثمر الرباني يوشك أن يدخل في المؤمنين الموصوفين بها في حديث الإمام الكاظم (عليه السلام) الذي هو من الحديث السرّ المقنع غير المكشوف إلا عند أهله العالمين به .

وليس العلم به الصورة المنتقشة عن الشيء في النفس على ما يفسره البعض ، بل هو نور يقذفه في من أراد أن يهديه كما في حديث عنوان البصري بل ومن سنخ التوحيد المحيط بكل وجوده ، ومن جميع جوانبه ، والحواس العشرة فيتقد نور المعرفة وشعاعها حتى إلى جيوبه وقميصه وهو نور الإمام المعصوم الموجود في كل زمان ، قال الإمام الرضا (عليه السلام) يصف الإمام المهدي (عجل الله فرجه) :

« ... بأبي وأمي سمّي جدّي ، وشيبي ، وشبيه موسى بن عمران (عليه

السلام) عليه جيوب النور تتوقّد بشعاع ضياء القدس ... «^(١).
وللحديث شرح تعرّضنا له في أمثال وحكم الإمام الرضا (عليه السلام)^(٢)
فارجع إلى قلبك قبل الرجوع إلى الكتاب ، وأنت الكتاب والعلم ، والقلم
والحاكم .

٤٦

إذا أراد أمراً قلل الكثير ، وكثر القليل

من الأمثال السائرة وأصلها كلام الإمام الكاظم (عليه السلام).
روى العياشي بإسناده عن ابن بكير قال : سألت أبا الحسن (عليه
السلام) عن قوله : ﴿وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً﴾^(٣) ؟
قال : أنزلت في القائم (عليه السلام) إذا خرج باليهود ، والنصارى ،
والصابئين ، والزنادقة ، وأهل الردّة ، والكفار في شرق الأرض وغربها ، فعرض
عليهم الإسلام ، فمن أسلم طوعاً أمره بالصلاة والزكاة وما يؤمر به المسلم ،
ويجب لله عليه . ومن لم يُسلم ضرب عنقه حتى لا يبقى في المشارق والمغرب أحد
إلا وحّد الله . قلت له : جعلت فداك إن الخلق أكثر من ذلك ، فقال : إن الله
إذا أراد أمراً قلل الكثير ، وكثر القليل^(٤).

(١) إكمال الدين ٣٧١/٢ ، الباب ٣٥ ، ما أخبر الرضا (عليه السلام) ، الحديث ٣ ، عيون الأخبار
٦/٢ .

(٢) ٤٣٠-١ / ٤٣٣ ، الرقم ١٠٦ .

(٣) آل عمران : ٨٣ .

(٤) تفسير العياشي ١٨٣/١ - ١٨٤ ، تفسير انبرهان ٢٩٦/١ ، البحار ٥٢/٣٤٠ .

أقول :

في القرآن الكريم آية تجمع كلّ تقليل الكثير ، وتكثير القليل ، وتقديم المتأخر وتأخير المتقدم ، ومحو كلّ مثبت ، وإثبات كلّ مُمحى . وهي قوله تعالى :

﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾^(١)

وقد شاء تعالى في حرب بدر أن يقلل الكفار في أعين المسلمين ، ويقلل المسلمين في أعين الكافرين ليقضي ما يريد من الغلبة للمسلمين عليهم ، وذلك قوله عزّ من قائل :

﴿ إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرٰنٰكُهُمْ كَثِيرًا لَفَٰسَلْتُمْ وَلَتَنٰزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلٰكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ * وإذ يُرِيكُمُوهُمْ إِذَا التَّقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلِكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾^(٢) وقوله عزّ وجلّ في آية أخرى :

﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِتْنَةِ التَّقَاتِ فَنَّهُ تَقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلِهِمْ رَأَى الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾^(٣)

التفسير :

الآيات الثلاث تخصّ قصة حرب بدر ، وشاء تعالى أن ينصر المسلمين وعددهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً ، وكان جيش المشركين قريباً من ألف ، وأظهر

(١) الرعد : ٣٩ .

في علوي : « لولا آية في كتاب الله لأخبرتكم بها كان وبها يكون ، وما هو كائن إلى يوم القيامة وهي هذه الآية : ﴿ يَمْحُو اللَّهُ ... ﴾ التوحيد ٣٠٥ .

(٢) الأنفال : ٤٣ - ٤٤ .

(٣) آل عمران : ١٣ .

الله من آياته العجيبة في هذه الحرب من تقليل الكفار في أعين المسلمين ، لتكون لهم الجرأة عليهم حتى يقتحموهم ، وتقليل المسلمين في أعين المشركين لنفس العلة والغاية .

وعن ابن مسعود لقد قللوا في أعيننا حتى قلت لرجل إلى جنبي أترأهم سبعين؟ قال : أراهم مائة ، فأسرنا رجلاً منهم ، فقلنا : كم كنتم ؟ قال : ألفاً . ﴿ وَيَقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ ﴾ حتى قال قائل منهم : إننا هم أكلة جزور ، وقال أبو جهل : ما هم إلا أكلة رأس ، لو بعثنا عليهم عبيدنا لأخذوهم أخذاً باليد ، كما مرَّ قللهم في أعينهم ليجترءوا عليهم قبل اللقاء . ثم كثروهم فيها ليفجأهم الكثرة فيها فيها بوا وتقل شوكتهم حين يرون ... ما قد يرى الكثير قليلاً ، والقليل كثيراً لم يكن في حسابهم^(١) .

﴿ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ . وهو النصر والغلبة للمسلمين في هذه الحرب .

في الكافي عن الباقر (عليه السلام) : كان إبليس يوم بدر يقلل المسلمين في أعين الكفار ، ويكثر الكفار في أعين الناس ، فسدَّ عليه جبرئيل بالسيف ، فهرب منه وهو يقول : يا جبرئيل إنِّي مؤجَّل حتى وقع في البحر . قيل لأيِّ شيء يخاف وهو مؤجَّل ؟ قال : يقطع بعض أطرافه^(٢) .

وللسيد القاضي الطباطبائي كلام قال :

قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي

الْأَبْصَارِ ﴾ .

التأييد من الأيد وهو القوة . والمراد بالأبصار قيل : هو العيون الظاهرة

(١) تفسير الصافي ١/٦٧٠ .

(٢) تفسير الصافي ١/٦٧٠ .

لكون الآية مشتملة على التصرف في رؤية العيون . وقيل : هو البصائر ؛ لأن العبرة إننا تكون بالبصيرة القلبية ... إلى آخر كلامه فراجع^(١) .

هنا سؤال :

عن حقيقة تقليل الكثير وتكثير القليل ، وهل هذه العملية واقعية بأن انقلب الكثير وصار قليلاً ؟ وتحول القليل إلى الكثير حقيقة ؟ أو إننا هو مجرد تصرف في الرؤية وفي الأبصار بأن يرى الرائي الكثير قليلاً مع أنه ليس بقليل يقيناً ، والقليل كثيراً كذلك ؟؟

الجواب :

إن هذا الأمر كما قال تعالى هو من الآيات وأنها لا بد منها ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِتْنِيتِنَا ... ﴾ ، و ﴿ ... وَقَلَّلْنَا فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضَى اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾ ولا ندري بواقع الأمر ، وأنه من أي السنخين التقليل والتكثير ، ومع ذلك ذكرناه له وجوها :

الوجه الأول : قال الفخر الرازي : فإن قيل : رؤية الكثير قليلاً غلط فكيف يجوز من الله تعالى أن يفعل ذلك ؟ قلنا : مذهبنا أنه تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد .

الثاني : ما أشار إليه الفخر الرازي بقوله : وأيضاً لعلّه تعالى أراه البعض دون البعض فحكم الرسول على أولئك الذين رآهم بأنهم قليلون^(٢) وكانت الرؤية في اليقظة وفقاً لمنام النبي أي أراه الله الكفار قليلين في منامه وكانت اليقظة طبقاً لرؤياه (صلى الله عليه وآله) فيقولون : إن رؤياه حق وهي أحد علل الظفر بالأعداء . وثانيها تقليل الكثرة في اليقظة وقد تقدمت آية الرؤيا

(١) تفسير الميزان ٩٤/٣ - ٩٥ .

(٢) تفسير الكبير للفخر ٣٧٠/٤ .

وهي : ﴿ إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا ﴾ لتخبر به أصحابك فيكون تشبيهاً لهم وتشجيعاً على عدوهم ﴿ وَلَوْ أَرَأَيْكُهُمْ كَثِيرًا لَفَسلتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ أمر القتال ، وتفرقت أراؤكم بين النبات والفرار ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ ﴾ أنعم بالسلامة من الفسل والتنازع ﴿ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ يعلم ما سيكون فيها ، وما يغير أحوالها من الجراءة والجبن .

الثالث : قال الفخر الرازي أيضاً : فإن قيل : كيف يجوز أن يريهم الكثير قليلاً؟ قلنا : أما على ما قلنا فذاك جائز . لأن الله تعالى خلق الإدراك في حق البعض دون البعض . وأما المعتزلة فقالوا : لعل العين منعت من إدراك الكل ، أو لعل الكثير منهم كانوا في غاية البعد ، فما حصلت رؤيتهم .^(١)

الرابع : ما ذكره الزمخشري بقوله : فإن قلت : بأيّ طريق يبصرون الكثير قليلاً؟ قلت : بأن يستر الله عنهم بعضه بسائر ، أو يحدث في عيونهم ما يستقلون الكثير ...^(٢)

أقول :

وإنما أطيل المقام بذكر أي التقليل والتكثير ، وتعرضنا لبعض التفاسير ، ليتجلى معنى كلام الإمام الكاظم (عليه السلام) : « إذا أراد أمراً قلل الكثير ، وكثر القليل » كما في حرب بدر .

(١) تفسير الصافي ١/٦٧٠ .

(٢) تفسير الكبير للفخر ٤/٣٧٠ .

(٣) تفسير الكساف ٢/٢٢٥ - ٢٢٦ . وفي هامشه ٢٢٥ : قال محمود : « إن قلت : بأيّ طريق

يبصرون الكثير قليلاً ... الخ » قال أحمد : وفي هذا دليل بين على أن الله تعالى هو المنبوع بخلق الإدراك في لحاسه غير موقوف على سبب من مقابلة أو قرب ، أو ارتفاع حجب .

٤٧

إذا أراد الله بالذرة شراً أنبت لها جناحين فطارت فأكلها الطير

قال الحسن بن علي بن شعبة : ومن حكمه (عليه السلام) :
 « إذا أراد الله بالذرة^(١) شراً أنبت لها جناحين فطارت . فأكلها الطير »^(٢) .
 من الأمثال السائرة . قد صرح به بعض الكتاب بلفظ (إذا أراد الله
 هلاك نملة أنبت لها جناحين) . ومنهم الميداني^(٣) .
 وكنتى عنه ابن شعبة بالحكمة : لأن كلَّ مثل حكمة على ما عرف المثل
 أبو هلال العسكري : (جعل كلَّ حكمة سائرة (مثلاً) . وقد يأتي القائل بها
 يحسن من الكلام أن يتممَّ إلا أنه لا يتفق أن يسير فلا يكون مثلاً)^(٤) .
 أي : تكون الكلمة حينئذٍ حكمة إن لم تسر ، وإن سرت فحكمة ومثلاً
 سائراً .

ويها من حكمة بالغة لمن أراد البنوع إلى الذكر ، فيزداد ، ثباتاً ، أو أراد
 العود إلى الطريق ، ليتدارك عمًا فات منه ، أو أراد الكفَّ عمًا أوقع في الهلاك .

سؤال :

هل على النملة وهي الذرة شيء أوجب لها الهلاك بتركه ؟
 وهل عليها الطاعة كما على غيرها ؟

(١) في نسخة « بالنملة » كما في هامس التحف ٤٠٣ .

(٢) التحف ٤٠٣ .

(٣) مجمع الأمثال ٨٨/١ . المولدون ، حرف الهمزة ، أمثال وحكمه ٨٩/١ .

(٤) الجمهرة على مجمع الأمثال ٥/١ .

الجواب أمران :

الأمر الأول : أن للكائنات ومنها الطيور والسباع والأنعام حتى الحشرات وما خلق الله من شيء تسبيحاً وصلوةً وذكرًا ، وربما غفلت عن ذلك فيعاقبها الله تعالى بتركها لها ؛ ويدل عليه من الكتاب والأحاديث .

أما الكتاب فقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَاتٍ كُلِّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ .

وقال عز من قائل : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ .

أقول :

هل الحلم إلا عن سفه ؟ وهل الغفران إلا عن ذنب ؟ ففيه إشعار بأن ترك فقه تسبيح الكائنات ، من السفه ، ومن الذنب ، ولكن الله ﴿ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ فيدل على بشارة إمكان فقه تسبيحها ، ونذارة تركه ، بل أنه من الوظائف اليومية ، وأنه من العقل ، والمأمور به ، والترك سفاهة وذنب ، ولو لم يكن مقدرًا لما وقع موقع البشارة والنذارة ، فتدبر الآية حق التدبر وفي نظائرها تعرف إن شاء الله .

والآيتان المذكورتان قد دللتا على تسبيح وصلاة كل ذي حياة ، وكل ما خلق الله من شيء بكل وضوح وصراحة ، فإذا غفلت عما وظفت فتركت

(١) النور : ٤١ .

(٢) الإسراء : ٤٤ .

التسييح والصلاة عوقبت.

والأحاديث منها :

الصادقي : « ماضع مال في برّ ، أو بحر إلا بتضييع الزكاة ، ولا يصاد من الطير إلا ماضيع تسييحه ».

والصادقي الآخر : « مامن صيد يصاد إلا بتركه التسييح ، ومامن مال يصاب إلا بترك الزكاة^(١) ».

فالجزاء شراً ، أو خيراً ثابت لكلّ ذي روح ، وغير ذي روح ، كلُّ على حسابه.

والنملة ذات حياة وروح تجازى بالشرّ عند تركها التسييح والذكر الموظف لها فينبت الله لها جناحين ، فتطير فتاكلها الطير في الجوّ . فسبحان الله العليم العظيم . وفي ذلك موعظة وعبرة لمن كان له قلب . أو ألقى السمع وهو شهيد.

الأمر الثاني :

من السنّة التكوينيّة تفدية الأدي للأعلى ، والمفضول للأفضل ، والإنسان من أفضل مخلوق وأكرمه قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾^(٢) . ويعلم من الآية أن خلقاً آخر في قبال الكثير لا يكون ابن آدم أفضل وفيه تفصيل مرهون بوقته.

ومراتب الفضل بين المخلوقات محفوظة حيث أن النبات أفضل من الجماد ،

(١) الوسائل ٦/ ١٥ ، ٣ من أبواب الزكاة . الحديث ١٩ ، ٢٠ .

دلّ الحديثان على ثبوت المكافأة . وذكر الصيد منال فيعم غيره .

(٢) الإسراء : ٧٠ .

والحيوان افضل من النبات ، والإنسان أفضل من الحيوان فيفدى الأول للثاني، والثاني للثالث ، والثالث للرابع وهو الإنسان ، بأيّ نحو من التفدية مثلاً تجد الأنعام الثلاثة تذبح ويأكلها الإنسان ، لأنّها سخّرت وخلقّت له بل خلق من أجله ما في الأرض جمعاً قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَنَافِيَ الْأَرْضِ جَمِيعاً ﴾^(١) . أي : لنعف الإنسان كلّ ما خلقه الله تعالى إلا ما استتناه النقل والعقل المحرّر في محله .

ومن المحتمل قريباً أنّ من فوائد تسييح الكائنات لله عزّ وجلّ ومنها النملة أن إذا تركت التسييح والذكر عوقبت ، ليأخذ الإنسان حذره بأن عقاب الترك له أشدّ.

ولعلّ من أسرار العقاب هي الموعظة لبني آدم وان يكون ذلك من باب فداء الأدنى للأعلى ، وأسرار أخرى لا نعرفها.

وفي المقام كلام رفيع:

وهو أنّ من أسمى حديث من أحاديث قدسيّة جارٍ على اللسان ما خاطب الله الإنسان بقوله تعالى : « خلقتك من أجلي ، وخلقّت الأشياء من أجلك »^(٢) .

ومن ثم يحقّ له الفداء ، ومن أجل ذلك كانت التفدية من أشرف من في الكون وهو المعصوم (عليه السلام) : يقتل في سبيل الله ويحقّ له القتل فيه والفداء فداء المخلوق للمخالق الأعلى الذي لا أعلى فوقه ، قتل الإمام الحسين وولده وأصحابه وكلّ من كان معه من رجال في الطّف في سبيل الله وبعين الله ولأجل إحياء كلمة الله ، ودين الله عزّ وجلّ .

(١) البقرة : ٢٩ .

(٢) المنهج القويم ٥/٥١٦ . الجواهر السنية في الأحاديث القدسية ٣٦١ .

٤٨

إذا أردت أن تعلم مالك عندي فانظر مالي عندك

من الأمثال السائرة ، يضرب في تبادل المحبة ، والكراهة .

قال الشيخ الكليني (طاب ثراه) :

عدّة من أصحابنا عن سهل بن زياد عن علي بن أسباط عن الحسن بن الجهم قال : قلت لأبي الحسن (عليه السلام) : لاتسني من الدعاء . قال : [أ] و تعلم إني أنساك ؟ قال : فتفكرت في نفسي ، وقلت : هو يدعو لشيئته وأنا من شيئته ، قلت : لا ، لاتساني . قال : وكيف علمت ذلك ؟ قلت : إني من شيئتك ؛ وإنسك لتدعو لهم . فقال : هل علمت بشيء غير هذا ؟ قال : قلت : لا ، قال : إذا أردت أن تعلم مالك عندي فانظر مالي عندك^(١) .

الحسن بن الجهم الثقة من أصحاب الإمام الكاظم والرضا (عليهما السلام) . وأخذاً بقاعدة تقديم كنية الوالد على الولد ، فنأ تقدم ذكره جئنا به ، ولمجرد الاحتمال والله العالم بالحال .

ثم إن القلوب شواهد تقضي قضاء عدلاً على ما يحمل الإنسان لصاحبه من رضا وكراهة تظهر ظاهرتها على الوجنات ، وفلتات اللسان ، والعيون . يقال : ربّ طرف أفصح من لسان . قال أعرابي :

إن كاتمونا القلى نمت عيونهم والعين تظهر ما في القلب أو تصف

وقال آخر:

إذا قلوب أظهرت غير ما تضره أنبتك عنها العيون^(١)

والعلوي: « ما أضر أحد شيئاً إلا أظهر في فلتات لسانه، وصفحات وجهه »^(٢)

والنبي: « إذا أردتم أن تعلموا ما للعبد عند الله فانظروا ماذا يتبعه من الثناء »^(٣).

إذا أراد أن يعلم أن الله عنه راضٍ فلينظر هل هو عن الله راضٍ؟ وبدل على الملازمة قوله تعالى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾^(٤)، و﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾^(٥)، و﴿ارجعني إلى ربك راضيةً مرضيةً فادخلني في عبادي وأدخلني جنتي﴾^(٦).

وعلاوة رضا العبد خشية الربّ تعالى كما دلّت الآية الثانية، وعدم الاعتراض بما قدر تعالى له من الرزق وما لحياته من الشئون، والبهجة بكلّ ما قضاه له من الأمور، قال السبزواري:

وهجةً بما قضى الله رضا وذو الرضا بما قضى ما اعترضاً

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة ١٨١/٢.

(٢) النهج ١٨/١٣٧، الحكمة ٢٦.

ومن المثل السائر: (غشّ القلوب يظهر في فلتات الألسن، وصفحات الوجوه) مجمع

الأمثال ٦٧/٢.

(٣) عيون الأخبار لابن قتيبة ١٥٨/٣.

(٤) المائدة: ١١٩.

(٥) البينة: ٨.

(٦) الفجر: ٢٨.

أعمالهم الإمام الكاظم عليه السلام ج/١ ٢٠٣

أعظم باب الله في الرضا وُعي
فقرأ على الغنى صبور ارتضى
عن عارف عمّر سبعين سنة
ياليت لم تقع ، ولا لما ارتفع

وخازن الجنة رضواناً دُعي
وذا ن سِيان لصاحب الرضا
أن لم يقل راساً لأشيا كائنة
مما هو المرغوب ليته وَقَعَ^(١)

وليس الكلام هنا عن الرضا ، فإن للرضا بحدوثاً لها موضعها ، وإنما تطرّفنا إليه لبيان أفضل التبادل في الرضا وأرفعه وهو : الرضا بين الخالق والمخلوق والمحبة التي هي آمال المحبين .

وحديث الإمام الكاظم (عليه السلام) ينظر إلى تبادل الحبّ والرضا بينه وبين الحسن بن الجهم ، واستدلّاه على أنه عليه السلام لا ينساه من الدعاء ، لكونه من شيعته ، والإمام أعطاه مقياساً مطّرداً لمعرفة المنزلة المرضية عنده وعدمها ولا يخصّه ، بل هو جارٍ في غير المعصوم وغير شيعته من سائر الناس .

٤٩

إذا أعجبه شيء فلا يكتر ذكره

روى الشيخ المجلسي عن خالد أنه قال : خرجت وأنا أريد أبا الحسن (عليه السلام) فدخلت عليه ، وهو في عرصة داره جالس ، فسلمت عليه ، وجلست ، وقد كنت أتيت لأسأله عن رجل من أصحابنا كنت سألته حاجة فلم يفعل . فالتفت إليّ وقال : ينبغي لأحدكم إذا لبس الثوب الجديد أن يمرّ يده عليه ويقول : الحمد لله الذي كساني ما أوارى به عورتي ، وأتجمل به بين الناس

(١) أفرائد المنظومة المقصد السابع : فريدة في الرضا ٣٥٧ - ٣٥٨ .

وإذا أعجبه شيء فلا يكثر ذكره ؛ فإن ذلك مما يهده^(١) . وإذا كانت لأحدكم إلى أخيه حاجة ووسيلة لا يمكنه قضاؤها فلا يذكره إلا بخير ؛ فإن الله يوقع ذلك في صدره فيقضي حاجته .

قال : فرفعت رأسي وأنا أقول : لا إله إلا الله . فالتفت إلي ، فقال : يا خالد اعمل ما أمرتك^(٢) .

أقول : تعتبر الكلمة من الحكم إن لم تكن من الأمثال المخصصة لعموم (من أحب شيئاً أكثر من ذكره) كما يأتي .

من هو الخالد راوي الحديث ؟ .

الجواب : أن المسمى بهذا الاسم جمع كلهم من أصحاب الإمام الكاظم (عليه السلام) :

منهم : خالد بن نجیح الخزاز ابن سعيد ، أبو سعيد القمّاط الثقة .

ومنهم : القلانسي^(٣) ، ومنهم غيرهما فراجع^(٤) .

واشتمل الحديث على آداب .

منها : التحرّز من الوقوع فيمن لم يستطع على قضاء الحاجة المعروضة عليه وإساعفها مانع أو عذر لا يعلم صاحبها وجهه ، ولا يذكره إلا بخير لعل الله تعالى يجري قضاءها على يده ولو بعد حين .

ومنها أدب لبس الثوب الجديد بأن يمرر اللابس يده عليه بعده ويقول : « الحمد لله الذي كساني ما أوارني به عورتي ، وأتجمل به بين الناس » . فإن لبس الثوب الجديد نعمة جديدة تستدعي شكراً جديداً ، ولا يشغل فكره

(١) أي : كثرة ذكر الثوب تهدركن الأذكار وتفصله عنه بموت وغيره .

(٢) البحار ٤٨/٣١ .

(٣) معجم رجال الحديث ٧/٢٠ ، و ٢٦ ، وغيره .

(٤) المصدر نفسه .

ذكره، والإعجاب به وكثرة الحديث حوله .

ومنها وجوب القيام بما أمر به الإمام (عليه السلام) حيث قال في آخر الحديث : « ياخالد : اعمل ما أمرتك » : إذ لا يخص وجوب العمل بما أمر به (عليه السلام) بخالد راوي الحديث وإن كان هو المورد له : فإن المورد لا يخص عموم الوارد كما قرر في علم الأصول ، وقد مر غير مرة .
بقي هنا شيء :

ماهو الغرض من منع الإكثار من ذكر الشيء المعجب به ؟ وهل المراد به الثوب الجديد المذكور في الحديث ؟ أليس التحدث عن النعمة شكرها ، والإكثار منه إكثار من الشكر ؟ وقد قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾^(١) .
أو المراد به ترك الشكوى لأن خالدًا دخل على الإمام (عليه السلام) شاكيًا عن رجل لم يسعف حاجته ، فأعجبه سوء ذكره فنهاه عن الإكثار منه ورغبه إلى حسن الذكر له الذي ربما صار سبباً لقضاء الحاجة ؟
والوجه الأخير أوجه من الاحتمال الأول ، ولاسيما صوغ الكلام من البداية يشهد لذلك .

ويمكن أن تكون الكلمة إشارة إلى أمر معهود لخالد ، والإمام (عليه السلام) أراد انتباهه ؛ ومن ثم ابتدأه من دون سبق سؤال بالخالد فيه من شتون ، ولذلك رفع رأسه بعد سماعها قائلاً تعجباً : لا إله إلا الله . والتفت (عليه السلام) إليه فقال : « ياخالد اعمل ما أمرتك » ، وكثيراً ما كان أهل البيت (عليهم السلام) يتسألون السائلين قبل سؤالهم إعظماً للأمر ، وتثبيتاً لما عليه السائلون من أمر الولاية والطاعة ويكون الحديث تقييداً لإطلاق المثل السائر : (من أحب شيئاً أكثر من ذكره)^(٢) .

(١) الضحى : ١١ .

(٢) البيان والتبيين ١١٠/٣ مجمع الأمثال ٢/٣٢٩ . حرف المبه .

٥٠

إذا أنت اعتصمت بالله فقد هديت إلى صراط مستقيم

في كلام للإمام الكاظم (عليه السلام) لهشام بن الحكم يأمره بالمجاهدة مع النفس وإبليس ، قال (عليه السلام) :

« قال هشام : فقلت له : فأَيُّ الأعداء أوجبهم مجاهدة ؟ قال (عليه السلام) : أقربهم إليك وأعداهم لك ، وأضرهم بك ، وأعظمهم لك عداوة ، وأخفاهم لك شخصاً مع دنوّه منك ، ومن يحرّض أعداءك عليك وهو [فهو] إبليس الموكل بوسواس [من] القلوب ، فله فلتشتدّ عداوتك ، ولا يكوننّ أصبر على مجاهدتك لهلكتك منك على صبرك لمجاهدته ، فإنه أضعف منك ركناً في قوّته ، وأقلّ منك ضرراً في كثرة شرّه . إذا أنت اعتصمت بالله فقد هديت إلى صراط مستقيم »^(١).

أقول :

إنّنا أتينا قطعة من الكلام الكاظمي ، لتربط الكلمة الحكيمية به وأصلها قوله تعالى : ﴿ ومن يعتصم بالله فقد هُدي إلى صراط مستقيم ﴾^(٢) .
إنّ المجاهدة والصبر عليها لكبح أعدى عدوّ الإنسان : النفس ، وإبليس ، من أظهر ظاهرة الاعتصام المذكور في الآية والرواية ، ولا نجاة له منها إلاّ بذلك .

(١) التحف ٤٠٠ ، البحار ٣١٥/٧٨ - ٣١٦ .

(٢) آل عمران : ١٠١ .

واعتماد المؤمن من وسائل الدخول في الرحمة والفضل منه تعالى ، وسبب الهداية إلى الصراط المستقيم ، وتشهد لهذه الأمور آية ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَقَضِيلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا ﴾^(١) فدلّت على أن الاعتصام بالله بعد الايمان به تعالى سبب دخول الرحمة والفضل ، والهداية إلى الصراط المستقيم يطابقها الكلام الكاظمي الذي عليه شاهد من القرآن الكريم.

الاعتصام :

في اللغة الاعتصام : الامتناع ، وأصله العصمة : المنع ، فهو مطاوعتها وبمعنى الالتجاء ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا ﴾^(٢) أي : التجئوا إلى الله بطاعته ، وحبل الله هو القرآن ، وقيل : بعهد الله ، وفي الحديث « ما اعتصم عبد من عبادي بأحد من خلقي إلاّ قطعت أسباب السموات من يديه ، وأسكنت الأرض من تحته » قال بعض الشارحين : هاتان الفقرتان كناية عن الخيبة والخسران^(٣).

والاعتصام به تعالى عن كلّ ما سواه بأن يجعله الحماية والكهف المنيع له من الهلكة.

قال ابن الأثير في « مَنْ كَانَتْ عَصْمَتُهُ شَهَادَةً أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » : أي ما يعصمه من المهالك يوم القيامة : المنعة والحماية ...^(٤) حُجِّي .
ومن أهم وسائل الاعتصام الانتهاج لمنهج الأئمة الكرام وفي

(١) النساء : ١٧٥ .

(٢) آل عمران : ١٠٣ .

(٣) مجمع البحرين - عصم - .

(٤) النهاية ٢٤٩/٣ - عصم - .

مقدّماتهم الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلّم) وبالسير على ضوء سيرتهم ، وفي الحقيقة الاعتصام بهم اعتصام بالله عزّ وجل ليس غيره ؛ وقد جاء ذلك في الزيارة الجامعة : « ومن اعتصم بكم فقد اعتصم بالله ... »^(١) .
كما أنّ بإشراق الأرض بنور الربّ إشراق نورهم ؛ لأنّ النور هو النور
قال تعالى : ﴿ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾^(٢) وفي الزيارة الجامعة :
« وأشرفت الأرض بنوركم »^(٣) ، ومعرفتهم بالنورانية معرفة الله تعالى كما في الحديث^(٤) .

٥١

إذا انكسفت الشمس فارفع بصرك إلى السماء

من كلمات الإمام الكاظم (عليه السلام) المختارة أجاب بها وهو في الحبس عن كتاب علي بن سويد قال (عليه السلام):
« وإذا انكسفت الشمس فارفع بصرك إلى السماء ، وانظر ما فعل الله عزّ وجلّ بالمجرمين »^(٥) .

(١) عيون أخبار الرضا (ع) ٢/٢٧٩ .

(٢) الزمر : ٦٩ .

(٣) عيون الأخبار ٢/٢٨١ .

(٤) البحار ١/٢٦ - ١٧ . وفيه شرح مسطّ وأحاديث نفسّر الحديث المذكور .

(٥) روضة الكافي ١٢٦ ، البحار ٤٨/٢٤٤ .

هل انكساف الشمس في هذا الحديث ناظر إلى انكسافها المعدود من
 علائم ظهور الإمام المهدي (عليه السلام) كما رواه الشيخ الصدوق طاب ثراه
 بإسناده إلى الإمام الباقر (عليه السلام) قال : «اثنان بين يدي هذا الأمر :
 خسوف القمر لخمس ، وكسوف الشمس لخمس عشرة [و] لم يكن ذلك منذ هبط
 آدم (عليه السلام) إلى الأرض ، وعند ذلك يسقط حساب المنجمين»^(١).
 وحديثه الآخر بإسناده إلى الصادق (عليه السلام) قال : تنكسف
 الشمس لخمس مضي من شهر رمضان قبل قيام القائم (عليه السلام)^(٢).
 ويشهد لكونه من العلائم ما قبل الكلمة : «إذا رأيت المشوه الأعرابي في
 جحل جرّار فانتظر فرجك ولشيعتك المؤمنين»^(٣).

والأعرابي المشوه السفياي على ما ذكر في محله أنه مشوه الخلقه ؟؟
 أو كلام الإمام (عليه السلام) في الانكساف المطلق ، لأنه آية ساءوة
 فلينظر الإنسان إليها ، وأنها بلاء للمجرمين ؛ ومن ثم جاء الأمر بالصلاة والفرع
 إلى المساجد والدعاء لكشفها؟ وليبان علل الانكساف أو الانخساف موضع آخر
 لا مجال لذكرها هنا.

والكلمة من الآداب الموظفة التوجيهية التي تعتبر من العبر والعظات
 وكل شيء تراه عينك فيه العبرة والموعظة لأهلها.

(١) إكمال الدين ٦٥٥/٢ . الباب ٥٧ . علامات خروج القائم (عليه السلام).

إن الحساب النجومى كما هو المتواجد في الخارج وقوع الخسوف في أواسط الشهر ،
 والكسوف أواخره ، فلو انعكس ذلك بأن كسفت الشمس في أواسطه ، وخسف القمر في أواخره
 بطل الحساب ، وحكم تقدير الله تعالى على أهله ﴿ ذلك تقدير العزيز العليم ﴾ يس : ٣٨ .

(٢) إكمال الدين ٦٥٥/٢ .

(٣) روضة الكافي ١٢٦ .

إذا حكم عدل

من كلمات الإمام الكاظم عليه السلام رواها الشيخ الكليني بإسناده إلى العباس بن هلال الشامي مولى أبي الحسن عليه السلام قال : قلت : جعلت فداك ما أعجب إلى الناس من يأكل الجشب ، ويلبس الخشن ، ويتخشع . فقال : أما علمت أن يوسف عليه السلام نبيّ ابن نبيّ كان يلبس أقبية الديباج مزرورة بالذهب ، ويجلس في مجالس آل فرعون^(١) يحكم ، فلم يحتاج الناس إلى لباسه ، وإنّا احتاجوا إلى قسطه ، وإنّا يحتاج من الإمام في أن إذا قال صدق ، وإذا وعد أنجز ، وإذا حكم عدل : إن الله لا يحرم طعاماً ، ولا شراباً من حلال ، وإنّا حرم الحرام قلّ أو كثر ، وقد قال الله عز وجلّ : ﴿ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده من الطيبات من الرزق ﴾^(٢) .
أقول :

قوله عليه السلام : « إذا حكم عدل » يضاهيه المثل السائر : (إذا تولى عقّد شيء أحكمه) يضرب للرجل الحازم الجادّ في الأمور^(٣) .

(١) لم يكن يوسف معاصراً لفرعون بل من باب (لكل نبيّ فرعون) أو لكل موسى فرعون . أمثال وحكم ١٣٦٩/٣ .

(٢) الأعراف : ٣٢ . فروع الكافي ٤٥٣/٦ - ٤٥٤ .

(٣) المستقصى ١٢٣/١ . وفيه :

وما عليك أن يكون أزرقا إذا تولى عقّد شيء أوثقا
يوافق البيت محتوى الحديث الجاري والكلمة المختارة : « إذا حكم عدل » وإن شئت قلت :
الحكمة . أو المثلية .

وإحكام كل شيء بحسبه ، وهكذا العدل فإنه في القضاء والحكم بأن لا يجوز في ذلك وفي القول أن لا يحيف ، وفي الشهادة أن يجتنب من قول الزور ، ومن أم قوماً صافاهم وصدقهم في عشرتهم ومعاملتهم ، وإذا لم يعدل في الحكم ، وجار في القضاء ، وقال قول الزور ، ولم يصدق أخاه فيما تولاه وعاشره فلا يصلح للإمامة ، ولا لغيرها . والغرض أن الرجل لا بأس عليه في الحلال إذا اتقى الله .

قصة ذي الخويصرة:

لما قسم رسول الله صلى الله عليه وآله غنائم حنين أقبل رجل طويل ادم بين عينيه أثر السجود فسلم ولم يخص النبي صلى الله عليه وآله ، ثم قال : قد رأيتك وما صنعت في هذه الغنائم ، فقال صلى الله عليه وآله : وكيف رأيت؟ قال : لم أرك عدلت ، فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقال : ويلك إذا لم يكن العدل عندي فعند من يكون ؟ فقال المسلمون : ألا نقتله ؟ فقال : دعوه ؛ فإنه سيكون له أتباع يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، يقتلهم الله على يد أحب الخلق إليه من بعدي .

فقتله أمير المؤمنين عليه السلام فيمن قتل يوم النهروان من الخوارج^(١) .
وفي لفظ : « إذا لم أعدل فمن يعدل... »^(٢) .

وفي القصة تنصيب على إحدى فضائل أمير المؤمنين عليه السلام بأنه أحب الخلق إلى الله من بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ، وفيها إخبار بوقعة النهروان وقتل الخوارج المارقين عن الدين .

والعدل عدلان : العدل المطلق ، والعدل في الحكم والقضاء . وكلاهما لازمان واجبان .

(١) السفينة ١/٣٨٣ - خرج - البحار ٢١/١٧٣ - ١٧٤ يختلف لفظه .

(٢) كنز العمال ١١/١٩٨ ، الرقم ٣١٢١٥ .

ومن القسم المطلق حديث الإمام الصادق عليه السلام : « العدل أحلى من الماء يصيبه الظمئآن ، ما أوسع العدل إذا عدل فيه وإن قلَّ »^(١) .
والآخر : « اتقوا الله واعدلوا ؛ فإنكم تعيبون على قوم لا يعدلون » .
والآخر : « العدل أحلى من الشهد ، وألين من الزبد ، وأطيب من المسك »^(٢) .

ومن القسم الثاني :

قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾^(٣) .
وفي الآية والرواية - لمن أراد أن يعدل - الكفاية ، وإن لم تكفياه فلا يكفيه شيءٌ وهو من الحائدين .

٥٣

إذا ذكرت مقدرتك على الناس فاذكر مقدرة الله عليك غداً

كلمة لو وزنت بالأوزان الثقيلة لرجحت عليها ، ولا يقدر قدرها إلا من عرف قدرة الله المطلقة في العالم كله ، والعارف لا يرى لنفسه قدرة ، وهي كلمة مثلية وحكيمة بالصميم ، من كلمات الإمام الكاظم عليه السلام .
قال الشيخ الكليني طاب ثراه :

الحسين بن الحسن الهاشمي عن صالح بن أبي حماد عن محمد بن خالد عن زياد بن أبي سلمة قال : دخلت على أبي الحسن موسى عليه السلام فقال

(١) أصول الكافي ٢/١٤٦ .

(٢) المصدر نفسه ١٤٧ .

(٣) النساء : ٥٧ .

لي : يا زياد إنك لتعمل عمل السلطان ؟ قال : قلت : أجل ، قال لي : ولم ؟ قلت :
أنا رجل لي مروءة^(١) ، وعليّ عيال ، وليس لي وراء ظهري شيء.

فقال لي : يا زياد لئن أسقط من جالقي^(٢) فأنقطع قطعة قطعة أحبّ إليّ
من أن أتولى لأحد منهم عملاً ، أو أطأ بساط أحدهم إلا لماذا ؟ قلت : لا أدري
جعلت فداك ، فقال : إلا لتفريج كربة عن مؤمن ، أو فك أسره ، أو قضاء دينه ،
يا زياد إن أهون ما يصنع الله بمن تولى لهم عملاً أن يضرب عليه سرادق من
نار إلى أن يفرغ الله من حساب الخلائق.

يا زياد فإن وليت شيئاً من أعمالهم فأحسن إلى إخوانك فواحدة
بواحدة^(٣) والله من ذلك ، يا زياد أيّ رجل منكم تولى منهم عملاً ثم ساوى بينكم ،
فقولوا له أنت منتحل كذاب.

يا زياد إذا ذكرت مقدرتك على الناس فاذكر مقدره الله عليك غداً ، ونفاد
ما أتيت إليهم عنهم ، وبقاء ما أتيت إليهم عليك^(٤) .
أقول :

لكل كلمة كلمة من الحديث شرح وبيان لا مجال لذكره ، وإنّا أتينا عن
آخره ؛ لاحتوائه على مهامّ الأمور الاجتماعية قد اختيرت منها كلمات يأتي
موضعها ، ولا سيّما كلمة « بقاء ما أتيت إليهم عليك » أي اذكر ذلك .
قوله عليه السلام : « إذا ذكرت مقدرتك على الناس فاذكر مقدره الله

(١) أي ذو إحسان عوّدت الناس بها لا يمكنني تركه.

(٢) الجائق : الجبل المرتفع . والظاهر الخالق.

(٣) حرف الواو مع الألف.

(٤) فروع الكافي ١٠٩/٥ - ١١٠ ، باب شرط من أذن له في أعماله ، البحار ٤٨/١٧٣.

(٥) حرف الباء مع القاف.

عليك غداً» ما أردعه من قول لمن أراد انتبهاً وكبحاً للنفس الشريرة لكي ترعوي عن غيها وطعواها ، وتحتوي على تقواها ، وتثوب إلى مولاها .

تقتضي المقدرة التجاوز والظلم إلا من عصمه الله وقد علم أن شكر نعمة الاقتدار العفو عمّن قدر عليه ، إذ من الجميل العفو مع القدرة ، وقد جاء في المثل : (إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكراً)^(١).

وإن أكثر ذوي القدرة تذهب الحفيظة منهم إلا إذا كان كريم الذات. قالت العرب : المقدرة تذهب الحفيظة ، قال بعض عطاء قريش لعدو قد ظفر به : لولا أن المقدرة تذهب الحفيظة لانتقمت منك ثم تركه . والمعنى أن تتمكن من العدو يزيل غضبك عليه إذا كنت كريم الظفر . يضرب في وجوب العفو عند المقدرة^(٢).

ومن الأمثال : (إن أمكنتك القدرة على المخلوق فاذكر قدرة الخالق عليك)^(٣).

ومنها : (أيام القدرة وإن طالت قصيرة ، والمتعة بها وإن كثرت قليلة)^(٤).
ومن الأحاديث المثلية:

العلوي : « اذكر عند الظلم عدل الله فيك ، وعند القدرة قدرة الله عليك »^(٥).

والآخر : « إذا حدثك القدرة على ظلم الناس فاذكر قدرة الله سبحانه

(١) أمثال وحكم ٩٣/١.

(٢) المستقصى ٣٤٩/١.

(٣) العقد الفريد ٣٩/١.

(٤) عيون الأخبار لابن قتيبة ١٦٣/٣.

(٥) البحار ٣٢٢/٧٥.

على عقوبتك»^(١).

وحديث لقمان : « وإذا دعيتك القدرة إلى ظلم الناس فاذكر قدرة الله عليك»^(٢).

لو تفكّر في القدرة الموهوبة له هل امتلكها بكّد اليمين وعرق الجبين ؟ أو ورثها عن أب أو جدّ ؟ أو وجدها عند نعومة أظفاره أو رضاعه ؟ أو عند ما كان في بطن أمّه جنيناً ؟ أو نطفة ؟ أو علقة ؟ أو مضغة ؟ أو من قبل ذلك كان في الصلب والترائب ؟ أو نباتاً يؤكل أو شراباً يشرب ؟؟

أليس الله القادر المعطي للقدرات قد أعطاكها من بعد أن خلقك وقدّرك ، ثم السبيل يسّرك للدخول إلى هذا العالم من بطن أمك ؟ ثم إذا شاء أمتاك فأقبرك ؟ وللموقف والحساب لو شاء انشرك ؟ فمن أيّ وقت أو حالة امتلكتها ؟ وهل تستطيع إذا سلبتها تستردّها من سالبها ؟ أو ليست القدرة كسائر النعم يلزم شكرها بالعفو والصفح عمّن قدرت عليه ؟ وما هي إلاّ عارية أو أمانة يجب ردّها إلى أهلها وإلاّ فيأخذها على رغم معطسك قهراً رضيت أو كرهت.

فانتبه أيّها المغرور بقدرتك اليوم واذكر قدرة الله عليك غداً وقبل غدٍ ، فلا تظلم أحداً واجعل عوضها الشكر والعفو عمّن أفرط ، أو فرط فيك ، وتزوّد بها لآخرتك بعون الضعيف ومؤنة المحتاج ، وخدمة الدين وأهله بما تستطيع.

وأفق يا موهوب القدرة عن سكرتها والغفلة عمّا يراد بها لعلك تدرك ما فات منك وتزوّد بكلّ ما لديك من قوّة قبل سلبها ، ولا تعملها على فاقدها ، فتفقدتها ويأخذها منك واهبها ، فيعطيه الفاقدها أمس ، ويقتصّ منك أيّها

(١) غرر الحكم ١٤١ «إذا».

(٢) البحار ٤٢٦/١٣ ، أقول : وفي الباب أحاديث وكلمات كثيرة تستدعي مجالاً أوسع لا ضيق

فيه ، وما جاء هنا منها قصيرة من طويلة.

٢١٦ المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام

الواجد لها اليوم ، وكم من قويّ قد ضعف ، وضعيف قد قويّ ، ووليّ الحالتين هو الله تعالى.

ثم القدرة كما تكون جسميّة وامتلاك الآت الدفاع تكون ماليّة وحتى قدرة الجاه والاعتبار.

٥٤

إذا رأيت المشوّه الأعرابي فانتظر فرجك

من حديث الإمام الكاظم عليه السلام لعلي بن سويد أجاب وهو في الحبس عن كتابه تقدّم بعضه عند « إذا انكسفت الشمس فارفع بصرك إلى السماء »^(١).

قال عليه السلام :

« فإذا رأيت المشوّه الأعرابي في جحفل جرّار فانتظر فرجك ، ولشيعتك من المؤمنين »^(٢).

من هذا الأعرابي المشوّه ؟

يحتمل أنه السفيفاني ، لأنّه مشوّه الوجه كما في صحيح الصدوق عن الصادق عليه السلام عن أبيه عن أمير المؤمنين عليهم السلام قال : « يخرج ابن آكلة الأكباد من الوادي اليابس وهو : رجل ربعة وحش الوجه ضخم الهامة بوجهه أثر جدري ، إذا رأيت حسبته أعور اسمه عشان بن عنيسة وهو من ولد أبي سفيفان ، لرأيت أخبت الناس ، أشقر ، أحمر ، أزرق ، يقول : يا ربّ تاري

(١) (إذا) مع الهمة والنون.

(٢) روضة الكافي ١٢٦.

ثاري ، ثم النار . وقد بلغ خبثه أنه يدفن أم ولد له حية مخافة أن تدل عليه»^(١).

أقول :

وهو الذي يملك الكور الخمس ، ويجيش الجيوش : جيشاً إلى العراق ، وجيشاً إلى الحجاز وإليك بعض النصوص :

منها صحيح الصدوق عن الصادق عليه السلام وهو حديث عبد الله بن أبي منصور البجلي قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن اسم السفياي ؟ فقال : وما تصنع باسمه ؟ إذا ملك كور الشام الخمس : دمشق ، وحمص ، وفلسطين ، والأردن ، وقنسرين . فتوقعوا عند ذلك الفرج^(٢) قلت : يملك تسعة أشهر ؟ قال : لا ، ولكن يملك ثمانية أشهر لا يزيد يوماً^(٣).

وأما تجيش الجيش الجرار ففي العلوي وهو حديث طويل إلى أن قال (عليه السلام) : « فيجيش جيشاً إلى المدينة ، وجيشاً إلى المشرق ، فيقتل بالزوراء سبعين ألفاً ، ويبقر بطون ثلثائة امرأة حامل ، ويخرج الجيش إلى كوفانكم هذه ، فكم من باكٍ وباكية ، فيقتل بها خلق كثير .
وأما جيش المدينة فإنه إذا توسط البيداء صاح به جبرئيل صيحة عظيمة فلا يبقى منهم أحد إلا وخسف الله به الأرض ، ويكون في أثر الجيش رجلان أحدهما بشير ، والآخر نذير ... »^(٤).

ويحتمل أن يكون المشوه الأعرابي الدجال ، ولكنه لم يعهد له الجيوش المذكورة وكلمة « المشوه » وإن كانت جائزة التطبيق عليه إلا أن السفياي أكثر

(١) إكمال الدين ٦٥١/٢ ، الباب ٥٧ .

(٢) هذا شاهد آخر لكونه السفياي وأنه الأعرابي المشوه صاحب الاسم وتؤكدته كلمة «الفرج».

(٣) إكمال الدين ٦٥١/٢ - ٦٥٢ ، الباب ٥٧ .

(٤) إلزام الناصب ١٩٩ .

تطبيقاً عليه.

والدجال هو كما في الحديث العلوي الذي رواه الشيخ الصدوق قال : قال (عليه السلام) : « ألا إنَّ الدَّجَالَ صائد بن الصيد ، فالشقي من صدقه ، والسعيد من كذَّبه ، يخرج من بلدة يقال لها : إصفهان من قرية تعرف باليهوديَّة ، عينه اليمنى ممسوحة ، والعين الأخرى في جبهته تُضيء كأنَّها كوكب الصبح ، فيها علقه كأنَّها ممزوجة بالدم ، بين عينيه مكتوب كافر يقرؤه كلَّ كاتب وأمِّي ، يخوض البحار ، وتسير معه الشمس ، بين يديه جبل من دخان ، وخلفه جبل أبيض يُري الناس أنه طعام ، يخرج حين يخرج في قحط شديد ، تحته حمار أقرم خطوة حماره ميل ...»^(١).

ليس الغرض من هذه الأحاديث ذكر علائم الخروج ، بل لتقريب الاحتمالين وهنا احتمال ثالث وهو : أن يخرج رجل أعرابي آخر مشوّه الوجه غير السفياي يبيِّس الجيوش ، ويكون عندها الفرج للمؤمنين ، ولكن لا يد من الوصفين : كونه أعرابياً ، مشوّه الحلقة المتطابقين على السفياي ، أو الدجال ، والغالب على الظنّ أن الدجال من العرب ، لأنّ الدجال مبالغة الدجل أي الخدعة واللبس .

وكيف كان :

إنَّ الكلمة حكمة إن لم تكن من المثل لكونها تنفع المؤمنين ، والحكمة هي الكلمة الموجزة النافعة فتكون من الحكم والعظات النافعة التي يأخذون معها التأهب والإعداد ، وإن أبيت ذلك كله فهي من الكلمات المختارة المأثورة عنه (عليه السلام).

(١) إكمال الدين ٢/ ٥٢٦ - ٥٢٧ ، الباب ٤٧ ، حديث الدجال . وفي الدجال أحاديث فراجعا

علي بن سويد :

عدّة أشخاص يعرفون بـ علي بن سويد ولكنّ راوي الحديث هو الملقّب بالسائي نسبة إلى قرية قريبة إلى المدينة يقال لها : الساية ، وقيل السائي ، والتّمار ، والشيباني متّحد وهو من أصحاب الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) راوي حديثه (عليه السلام) وهو في الحبس وقد وثّقه الشيخ الطوسي ونقل الأستاذ الخوئي رواية الشيخ الكليني في روضة الكافي التي أخذنا منها بعض الكلمات ومنها الكلمة الجارية ، وتعرّض للمعروفين بهذا الاسم واختار الاتّحاد للمسمّى به في أكثرهم وهو بين مضعف لهم وبين توثيق ويذهب بالأخير إلى وثاقة علي بن سويد السائي وأنّ طريق الشيخ الصدوق إليه صحيح دون شيخ الطائفة^(١).

ولنا في توثيق رواة الأحاديث طريق مشابه للقدماء ، وأنّ ذكرهم في كتبهم والرواية عنهم من أسباب الوثاقة إن لم يعارضها أمر أقوى من ذلك ، والتفصيل في محلّه ، ولاريب في وثاقة علي بن سويد السائي التّمار راوي الحديث.

(١) معجم رجاله الحديث ١٢/٥٢ - ٥٦ ، محضله.

إذا سمعت فعه ، وإذا وعيت فاعمل

قال الحسن بن أبي الحسن الديلمي :

روى عن أبي حنيفة إنه قال : أتيت الصادق عليه السلام لأسأله عن مسائل ، فقبل لي إنه نائم ، فجلست انتظر انتباهه ، فرأيت غلاماً - خماسياً أو سداسياً - جميل المنظر ، ذا هيبة ، وحسن سمت ، فسألت عنه ؟ فقالوا : هذا موسى بن جعفر ، فسلمت عليه ، وقلت له : يا ابن رسول الله ما تقول في أفعال العباد ، ممن هي ؟

فجلس ، ثم تربّع وجعل كمّه الأيمن على الأيسر ، وقال : يا نعمان قد سألت فاسمع ، وإذا سمعت فعه ، وإذا وعيت فاعمل : إن أفعال العباد لا تعدو من ثلاث خصال :

إمّا من الله على انفراده ، أو من الله والعبد شركة ، أو من العبد بانفراده فإن كانت من الله على انفراده فما باله - سبحانه - يعذب عبده على ما لم يفعله ، مع عدله ورحمته وحكمته ! وإن كانت من الله والعبد شركة ، فما بال الشريك القوي يعذب شريكه على ما قد شركه فيه وأعانه عليه ؟
ثم قال : استحال الوجهان يانعمان ؟ فقال : نعم .

قال له : فلم يبق إلا أن يكون من العبد على انفراده ، ثم أنشأ يقول :
لم تخل أفعالنا الآلاتي نذم بها إحدى ثلاث خصال حين نبديها^(١)

(١) أعلام الدين ٣١٨ ، البحار ٤٨/١٧٥ - ١٧٦ ، نقلًا من أعلام الدين .

الآيات التي تمرّ في قصّة أبي حنيفة بشككين آخرين الأوّل : عند « إن كانت أفاعيل العباد من الله دون خلقه فإله أعلى وأعزّ »^(١) ، والثاني : عند « إنّ المعصية لا بدّ أن تكون من العبد ، أو من ربه ، أو منها جميعاً »^(٢) فلا تتعرّض هنا للبحث عن الجبر والتفويض ، والحديث الكاظمي الدالّ على صدور المعاصي عن العباد . بل المناسب ذكر أدب سماع العلم ، وحفظه ثم العمل به كما دلّ على ذلك الحديث الجاري ، وحقوق المعلم ، والمتعلّم كثيرة ، ومنها التواضع ، وفي أحاديث ما يرشدك إلى ذلك كلّه .

ففي حديث « يا رسول الله ما العلم ؟ قال : الإنصات . قال : ثم مه ؟ قال : الاستماع ، قال : ثم مه ؟ قال : الحفظ ، قال : ثم مه ، قال : العمل به ، قال : ثم مه يا رسول الله ؟ قال : نشره »^(٣) .

وسؤال العالم عن المسائل من مفاتيح العلم ، وحسن السؤال نصفه . في علوي : « العلم خزائن ، ومفتاحها السؤال ، فاسألوا يرحمكم الله ، فإنّه يؤجر فيه أربعة : السائل ، والمعلّم ، والمستمع ، والمحّب لهم »^(٤) . ونبوي « حسن المسألة نصف العلم ، والرفق نصف العيش »^(٥) . وعلوي : « إنّ من حق معلّمك عليك التعظيم له ، والتوقير لمجلسه ، وحسن الاستماع ، والإقبال عليه ، وأن لا ترفع صوتك عليه ، ولا تجيب أحداً

(١) حرف (إن) المخففة.

(٢) حرف (إنّ) المشددة.

(٣) أصول الكافي ٤٨/١ .

(٤) كنز العمال ١٠/١٣٣ ، الرقم ٢٨٦٦٢ .

(٥) البحار ٧٧/١٦٢ .

يسأله حتى يكون هو المجيب...»^(١).

وعلوي آخر : « إذا سألت فسل تفقهاً ، ولا تسأل تعنتاً ؛ فإنّ الجاهل المتعلّم شبيهه بالعالم ، وإنّ العالم المتعسف شبيهه بالجاهل »^(٢).

ونبوي : « لينوا لمن تعلمون ، ولن تتعلمون منه »^(٣).
وعلوي : « خذوا من كلّ علم أحسنه ، فإنّ النحل يأكل من كلّ زهر أزيته فيتولّد منه جوهرا نقيسان أحدهما فيه شفاء للناس ، والآخر يستضاء به »^(٤).

أقول :

لو لم يكن إلّا قوله تعالى : ﴿الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب﴾^(٥).

ففيها الإشارة إلى موضوع الاستماع أولاً ، والوعي بعد الاستماع ثانياً ، لأنّ اتباع أحسن القول لا يتيسر بدون الوعي والتمييز بين غثّ القول وسمينه ومن المعلوم أنّ اتباع الأحسن من القول لا يكون إلّا لغرض العمل وعليه أنّه شاهد صدق لقوله عليه السلام : « قد سألت فاسمع ، وإذا سمعت فعه... ».

(١) أعلام الدين ٩١.

(٢) النهج ٢٣٢/١٩ ، الحكمة ٣٢٦.

(٣) البحار ٦٢/٢.

(٤) تصنيف غرر الحكم ٤٦.

(٥) الزمر : ١٨.

إذا قال صدق

من نعوت الإمام الذي يأتّم به أن يكون صادقاً إذا قال ، وعادلاً إذا حكم كما تقدّم بيانه ، من كلمات الإمام الكاظم عليه السلام المختارة قال روي فداه في حديث رواه الشيخ الكليني طاب ثراه : « وإنا يحتاج من الإمام في أن إذا قال صدق ، وإذا وعدّ أنجز ، وإذا حكم عدل ... »^(١) .
أقول :

هل الصدق أو الكذب من صفة القول خاصّة كما قاله جمع منهم ابن الأثير الجزري قال عند حديث « صدق الله وكذب بطن أخيك » : استعمل الكذب هاهنا مجازاً ، حيث هو ضدّ الصدق ، والكذب مختصّ بالأقوال ، فجعل بطن أخيه حيث لم ينجح فيه العسل كذباً ، لأنّ الله قال : ﴿ فيه شفاء للناس ﴾^(٢) . والذي اخترناه فيما سبق أنّ الصدق يوصف به القول ، والفعل ، والنيّة وغيرها جميعاً كما في الخطبة النبويّة في فضل شهر رمضان : « فاسئلوا الله ربكم بنيات صادقة »^(٣) .

فهل تجد من نفسك مجازاً في توصيف النيّة بالصدق ؟ وإنّ أصدق شاهد بأنّ الصدق أو الكذب يوصف على الإطلاق قولاً ، أو فعلاً ، أو أيّ سكون وحركة ظهور قوله تعالى : ﴿ والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتّقون ﴾^(٤) .

(١) فروع الكافي ٦/٤٥٣ - ٤٥٤ .

(٢) النحل : ٦٩ . النهاية ٤/١٥٩ - كذب - .

(٣) الإقبال ٢ .

(٤) الزمر : ٣٣ .

حيث جاء تعالى بكلمة ﴿ والذي جاء بالصدق ... ﴾ ، ولا يصدق ذلك إلا إذا كان صاحبه صادقاً في القول والفعل والنية وغيرها ، والوجدان يشهد ، بالفرق بين كلمة (صدق الرجل) وبين (جاء بالصدق) ، وما وراء الوجدان برهان أو بيان .

والمهم بيان ظاهرة الصدق في دنيا الإنسان ودينه ، وعلل العدول عنه إلى ضده وهو الكذب ، وهل للكذب من أثر جميل كما للصدق ؟ أو هل النجاة توجد في غير الصدق ، وقد قالوا : (النجاة في الصدق)^(١) ، و (الهلاك في الكذب)^(٢) ، إلا في إصلاح ذات البين ، أو إنجاء نفس محترمة ؛ فإن قبح الكذب يتبدل إلى الحسن ، وحسن الصدق إلى القبح من باب تقديم الأهم على المهم إذا تزاخما على ما قرّر في علم الأصول .

وقد جاء في صفة العاقل في العلوي : « ليس العاقل من يعرف الخير من الشرّ ، ولكنّ العاقل من يعرف خير الشرّين »^(٣) .

ففي الكذب شرّ ، وهلاك النفس المحترمة شرّ وخير الشرّين ارتكاب الكذب لنجاتها ؛ والنجاة أهم من حرمة الكذب فتدبر وطبق .
فهنا أمران في الصدق والكذب .

الأول في الصدق :

في الكاظمي : « ياهشام من صدق لسانه زكى عمله »^(٤) .

والباقري : « تعلّموا الصدق قبل الحديث »^(٥) .

(١) أمثال وحكم ٢٧٧/١ .

(٢) أمثال وحكم ٢٨١/١ .

(٣) البحار ٦/٧٨ .

(٤) التحف ٣٨٨ .

(٥) أصول الكافي ١٠٤/٢ .

والصادقي : « يافضيل إن الصادق أول من يصدقه الله عز وجل يعلم أنه صادق ، وتصدقه نفسه تعلم أنه صادق »^(١).

والصادقي الآخر : « كونوا دعاة للناس بالخير بغير ألسنتكم ، ليروا منكم الاجتهاد ، والصدق ، والورع »^(٢).

هذا الحديث شاهد على أن الصدق لا يخص القول فحسب بدليل بغير ألسنتكم فتطابق الرواية الآتية الآنف الذكر ، ومن الصدق وحسنه يعرف الكذب وقبحه ؛ لأنه ضده ، وفي المثل : (تعرف الأشياء باضدادها)^(٣).

الأمر الثاني في الكذب :

نقتنع منه على نبوي : « يا علي إياك والكذب ، فإن الكذب يسود الوجه ، ثم يكتب عند الله كذاباً ، وإن الصدق يبيض الوجه ، ويكتب عند الله صادقاً ، واعلم أن الصدق مبارك ، والكذب مشؤوم »^(٤).

لو وزن قوله صلى الله عليه وآله : « إن الصدق مبارك ، والكذب مشؤوم » بالأوزان والمقائيس لرجح عليها.

والحديث الجاري ضامن لشروط الإمام القائد من إنجاز الوعد ، والعدل في الحكم ، وصدق القول ، وأما لبسه وبرزته فلا يحتاج الناس إليها : كما قال الإمام الكاظم عليه السلام : « فلم يحتج الناس إلى لباسه ، وإنما احتاجوا إلى قسطه ، وإنما يحتاج من الإمام في أن إذا قال صدق ، وإذا وعد أنجز ، وإذا حكّم عدل ».

وهذه الشروط تلزم كل مؤمن ، فضلاً عمّن كان قدوة للناس وجعل نفسه

(١) أصول الكافي ٢/١٠٤.

(٢) أصول الكافي ٢/١٠٥.

(٣) أمثال وحكم ١/٥٤٨.

(٤) البحار ٧٧/٦٩.

٢٢٦ المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام

إماماً لهم . فالكلام لا يخصّ إماماً دون إمام ، وأموماً دون مأموم ، وإنما جرى الكلام في الإمام وشروطه ، لأجل سؤال السائل وهو العباس بن هلال الشامي مولى أبي الحسن حيث قال :

« ما أعجب إلى الناس من يأكل الجشب ، ويلبس الخشن ويتخشع ».

فأجاب (عليه السلام) بما تقدّم ذكره وبآية ﴿ قل من حرم زينة

الله ﴾^(١).

٥٧

إِذَا كَادَ الْعَدُوُّ فَلَا تَكْذِبْهُ

من معالي الأمور المعدودة من الحكم ، والمضروبة بها الأمثال المؤاجزة الشعرية بين الإمامين الصادق والكاظم (عليهما السلام) ، رواها ابن شهر آشوب وصورتها كما يلي :

« موسى بن جعفر (عليه السلام) قال : دخلت ذات يوم من المكتب

ومعي لوحى ، قال : فأجلسني أبي بين يديه ، وقال : يا بني اكتب :

* تنع عن القبيح ، ولا ترده *

(١) الأعراف : ٣٢ .

(٢) هل يفتقر المعصوم (عليه السلام) إلى ذهاب المكتب ؟ الذهاب إليه تنسيق إلى تحصيل العلم وتسجيع ، أو اختفاء أنفسهم عليهم السلام بهذا الأمر راجع المظان .

(٣) قال المعلق : الإجازة أن تتمّ مصراع غيرك (صاح) . هامش المناقب ٣١٩/٤ .

ثم قال : آجزه ^(٣) ، فقلت :

* وَمَنْ أَوْلَيْتَهُ حُسْنًا فَزَدَهُ *

ثم قال :

* سَتَلْقَى مِنْ عَدُوِّكَ كُلِّ كَيْدٍ *

فقلت :

* إِذَا كَاذَ الْعَدُوِّ فَلَا تَكْذِبْ *

قال : فقال :

﴿ ذُرِيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ ﴾

المؤاجزة :

المؤاجزة والإجازة : أن يأتي بمصرع من البيت شخص ، والمصرع الآخر آخر ^(١) . كما شاهدت ذلك الأول من الإمام الصادق ، والثاني من الكاظم (عليهما السلام) .

واشتمل البيتان على معالي الخصال ، وبدائع الأقوال ففيها أمران ، ونهي ، وإخبار : أمرٌ بالتنحي عن القبيح ، وزيادة الحُسن للموئلي له به . ونهي عن مكافأة المكيدة بالمكيدة ، ويقابلها بالإحسان على حد قولهم : (صِلْ مَنْ قَطَعَكَ) .

وإخبارٌ عن شأن العدو من إيصال كل كيد إليك ما استطاع . فهذه ثلاث خصال محمودة ، وواحدة تصدر من الأردال وهي إنالة كل كيد .

(١) آل عمران : ٣٤ . وآخر الآية ﴿ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ .

(٢) انظر المناقب ٤/٣١٩ - ٣٢٠ . البحار ٤٨/١٠٩ .

وإن دلّ البيتان على شيءٍ فإننا يدلّان على ابتعاد القبائح ، ومزيد الإحسان ، والمكافأة الجميلة ، وترغيب التحليّ بالفضائل ، والتخليّ عن الرذائل ، وإيصال الخير .
وأرى أن أقدم شمساً من منبت النبوة والولاية ومن أهل بيت التطهير (عليهم السلام) .

قال ابن شهر آشوب : فصل في أحواله وتواريخه (عليه السلام) :
موسى بن جعفر الكاظم الإمام العالم ، كنيته : أبو الحسن الأول ، وأبو الحسن الماضي ، وأبو إبراهيم ، وأبو علي : ويعرف بالعبد الصالح ، والنفس الزكية ، وزين المجتهدين ، والوفي ، والصابر ، والأمين ، والزاهر ، وسُمّي بذلك : لأنه زهر بأخلاقه الشريفة ، وكرمه المضيّ التام .

وسُمّي الكاظم لما كظمه من الغيظ ، وغضّ بصره عمّا فعله الظالمون به حتى مضى قتيلاً في حبسهم . والكاظم : الممتلي خوفاً وحزناً ، ومنه كظم قرنته : إذا شدّ رأسها . والكاظمة : البئر الضيقة . والسقاية المملوءة .

وقال الربيع بن عبد الرحمن : كان والله من المتوسّمين فيعلم من يقف عليه بعد موته ، ويكظم غيظه عليهم ، ولا يُبدي لهم ما يعرفه منهم ، فلذلك سُمّي الكاظم .

وكان (عليه السلام) أزهراً إلا في الغيظ^(١) لحرارة مزاجه ، ربع ، تمام ، خضر ، حالك ، كتّ اللحية .

وكان أفقه أهل زمانه ، وأحفظهم لكتاب الله ، وأحسنهم صوتاً بالقرآن ، فكان إذا قرأ يحزن وبكى ، وبكى السامعون لتلاوته .

وكان أجلّ الناس شأناً : وأعلاهم في الدين مكاناً ، وأسخاهم بناناً ،

(١) كذا بالغين ، ويحمل القاف أيضاً فتدبر .

وأفصحهم لساناً وأشجعهم جناناً ، قد خصّ بشرف الولاية ، وحاز أرت النبوة ،
وبوأ محلّ الخلافة سليل النبوة ، وعقيد الخلافة .
أمه حميدة المصفاة ابنة صاعد البربري ، ويقال : إنهما أندلسية أم ولد ،
تكنى لؤلؤة .

ولد (عليه السلام) بالأبواء^(١) : موضع بين مكة والمدينة يوم الأحد لسبع
خلون من صفر ، سنة ثمان وعشرين ومائة .
وكان في سني إمامته بقية ملك المنصور ، ثم ملك المهدي عشر سنين شهر ،
أو أيام ثم ملك الهادي سنة وخمسة عشر يوماً ، ثم ملك الرشيد ثلاث وعشرين
سنة وشهرين وسبعة عشر يوماً ، وبعد مضي خمس عشر سنة من ملك الرشيد
استشهد مسموماً في حبس الرشيد ، على يدي السندي بن شاهك يوم الجمعة
لست بقين من رجب ، وقيل : لخمس خلون من رجب ، سنة ثلاث وثمانين
ومائة . وقيل : سنة ست وثمانين .

وكان مقامه مع أبيه عشرين سنة ، ويقال تسع عشرة سنة . وبعد أبيه
أيام إمامته خمس وثلاثين سنة . وقام بالأمر وله عشرون سنة . ودفن ببغداد
بالجانب الغربي في المقبرة المعروفة بمقابر قريش ، من باب التين ، فصارت باب
الحوائج ، وعاش أربعاً وخمسين سنة .

أولاده ثلاثون فقط . ويقال : سبعة وثلاثون . فابناؤه ثمانية عشر : علي
الإمام ، وإبراهيم ، والعبّاس ، والقاسم ، وعبدالله ، وإسحاق ، وعبيدالله ، وزيد ،
والحسن ، والفضل من أمهات أولاد . وإسماعيل ، وجعفر ، وهارون ، والحسن

(١) سميت بالأبواء لتبوء السيول بها وهي قرية من أعمال الفرع من نذبة بينها وبين الحنفية بما
يلي المدينة ثلاثة وعشرون ميلاً معجم البلدان ٧٩/١ .

من أم ولد. وأحمد ، ومحمد ، وحمزة من أم ولد . ويحيى ، عبد ، وعبد الرحمن^(١) .
المعقبون منهم ثلاثة عشر : علي الرضا (عليه السلام) ، وإبراهيم ،
والعبّاس ، وإساعيل ، ومحمد ، وعبدالله ، والحسن ، وجعفر ، وإسحاق ، وحمزة .
وبناته تسع عشرة : خديجة ، وأم فروة ، وأم أبيها ، وعلية ، وفاطمة
الكبرى ، وفاطمة الصغرى ، ونزبهة ، وكلثوم ، وزينب ، وأم القاسم ، وحكيمة ،
ورقية الصغرى ، وأم حوية ، وأم سلمة ، وأم جعفر ، ولبابة ، وأمومة ، وميمونة من
أمهات أولاد.

وكان تولّى خبسه عيسى بن جعفر ، ثم الفضل بن الربيع ، ثم الفضل
ابن يحيى البرمكي ، ثم السندي بن شاهك سقاه سماً في رطب أو طعام آخر ،
ولبت ثلاثاً بعده موعوكاً^(٢) ، ثم مات في اليوم الثالث .

وكان وفاته في مسجد هارون وهو المعروف بمسجد المسيّب^(٣) .

وكان بين وفاة موسى (عليه السلام) إلى وقت حرق مقابر قريش مائتان
وستون سنة^(٤) .

(١) قال المعلق : لا يخفى عدم تطابق العدد والمعدود . والظاهر أن منشأ أغلاط النسخ واختلافها
وتصرّف النسخ كما وقع ذلك كثيراً في الكتاب وغيره . فلعلّ بعض هذه الأسماء المذكوراً في
حاشية نسخة بدلاً عما هو مذكور في المتن . ثم تبين أنّ النسخ ونقلوه في المتن جهلاً هامش
المناقب ٣٢٤/٤ .

(٢) الموعوك : المحموم من الوعك وهو الحمى . وقيل إنها النهاية ٢٠٧/٥ - وعك ..

(٣) يتأفاه وفاته في الحبس فندبر .

(٤) المناقب ٣٢٣/٤ - ٣٢٤ .

إذا كان الإمام عادلاً كان له الأجر ، وعليك الشكر

من كلمات الإمام الكاظم الحكيمية ما رواه الشيخ حسن بن علي بن شعبة الحرّاني.

« إذا كان الإمام عادلاً كان له الأجر ، وعليك الشكر ، وإذا كان جائراً كان عليه الوزر ، وعليك الصبر »^(١).
أقول :

وهل يخلو زمان من هذا ، أو ذاك ، والغالب على الزمان وأهله الثاني ، والإمام المعصوم في الغيبين الصغرى والكبرى مختلف عن الأنظار مستور عن أعين الظالمين والأشرار ، وعصرنا عصر الغيبة التامة ؛ ومن ثم أئمة الجور لهم الدور ، قد ساد فيهم التناطح ، والتناحر ، والتكالب على الجيف وهم أئمة النار التي قالها الله تعالى : ﴿ وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون ﴾^(٢).

نعم في قبال هؤلاء أئمة صابرون على كوارث الدهر والمضض ، يهدون بأمر الله لما صبروا قال عزّ وجلّ : ﴿ وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكوة وكانوا لنا عابدين ﴾^(٣) ، و ﴿ وجعلنا

(١) التحف ٤١١ ، البحار ١٠/٢٤٧.

(٢) القصص : ٤١.

(٣) الأنبياء : ٧٣.

منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا ... ﴿١﴾

تعطي هذه الآيات أقيسة أئمة العدل للناس ولا توجد بكلمته الجامعة إلا عند الأئمة المعصومين القائمين مقام الرسول (صلى الله عليهم وسلم) ومن هذا حذوهم القذة بالقذة ، لا يحددون عن سيرتهم ومنهجهم قيد شعرة اللآحقون بهم ، وأما المتقدمون عليهم ، أو المتأخرون عنهم فزاهقون ، مارقون كما في دعاء شعبان : «اللهم صل على محمد وآل محمد الفلك الجارية في اللجج الغامرة يأمن من ركبها ، ويغرق من تركها ، المتقدم لهم مارق ، والمتأخر عنهم زاهق ، واللازم لهم لاحق»^(١) .

قوله (عليه السلام) : «إذا كان الإمام عادلاً كان له الأجر ، وعليك الشكر» ؛ لأنه من أعظم نعم الله التي يجب شكرها ، وأما الإمام الجائر فهو من البلاء المبرم الذي لا بد من الصبر أمامه حتى تنقضي أيامه ، وتأتي أيام المهدي الزاهرة (عجل الله فرجه) .

٥٩

إذا كان الجور أغلب من الحق لم يحل لأحد أن يظن بأحد خيراً

ومن حكم الإمام الكاظم عليه السلام في أدب العشرة والحذر عما لا يحمد منها .

روى الشيخ الكليني عن سهل بن زياد عن محمد بن الحسن بن شتّون عن محمد بن هارون الجلاب قال : « سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول :

(١) السجدة : ٢٤ .

(٢) الإقبال ٦٨٧ . فرى التقسيم البلاغي ، النجفي من ذلك واحد والباقي المنحرفون .

إذا كان الجور أغلب من الحق لم يحل لأحد أن يظن بأحد خيراً حتى يعرف ذلك منه»^(١).

وأصل الكلام لأمر المؤمنين عليه السلام: «إذا استولى الصلاح على الزمان وأهله، ثم أساء رجل الظنّ برجل لم تظهر منه حوبة، فقد ظلم، وإذا استولى الفساد على الزمان وأهله، فأحسن رجل الظنّ برجل فقد غرر»^(٢).

قال ابن أبي حديد:

يريد أنه يتعين على العاقل سوء الظنّ حيث الزمان فاسد، ولا ينبغي له سوء الظنّ حيث الزمان صالح؛ وقد جاء في المرفوع النهي عن أن يظنّ المسلم بالمسلم ظنّ السوء، وذلك محمود على المسلم الذي لم تظهر منه حوبة كما أشار إليه عليّ عليه السلام.

والحوبة: المعصية؛ والخبر هو ما رواه جابر قال: نظر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الكعبة فقال: «مرحباً بك من بيت! ما أعظمك وأعظم حرمتك! والله إن المؤمن أعظم حرمة منك عند الله عزّ وجلّ؛ لأنّ الله حرّم منك واحدة، ومن المؤمن ثلاثة: دمه، وماله، وأن يظنّ به ظنّ السوء».

... شاعر:

أسأت إذا أحسنت ظنني بكم والحزم سوء الظنّ بالناس

قيل لعالم: من أسوأ الناس حالاً؟ قال: من لا يثق بأحد، لسوء ظنه، ولا يثق به أحد لسوء فعله.

شاعر:

وقد كان حسن الظنّ بعض مذاهبي فأدبني هذا الزمان وأهله

(١) فروع الكافي ٥/٢٩٨، باب نادر من كتاب نعيمة، الحديث ٢.

(٢) النهج ١٨/٢٧٨، الحكمة ١١٠.

... ابن المعتز :

تفقد مساقط لحظ المريب فإن العيون وجوه القلوب
وطالع بواده في الكلام فإنك تجني ثمار العيوب^(١)
هل قاعدة حسن الظن ، أو قبحة مطردة على كل شخص ، وفي كل
وقت ؟؟

الجواب : لا ؛ وإنما هي ناظرة إلى المجتمع من حيث هو ، أو الفرد غير
معلوم الحال والمؤمن ينظر بنور الله ، عارف بأهل زمانه ، مستوحش من أوثق
إخوانه لكي لا يقع فيها يسخط الله تعالى . وليس المقصود من هذه الأحاديث
أن يرتب الآثار السيئة ، بل الغرض وجوب التحفظ والتحرز عن الوقوع فيها
لا يحمد عقباه .

وروايات العزلة تنص على لزومها عن الناس عند فساد عقائدهم ،
وأخلاقهم ، ولم يستطع الإنسان تبديلها ، ولم يطع إذا أراد الإصلاح ، ولم يسمع
إلى قوله إذا قال ، وقد نطق القرآن الكريم بذلك قال :

﴿ وإذ اعتزلتموهم وما يعبدن إلا الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم
ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقاً ﴾^(٢) .

حيث كان دقيانوس الملك طاغوت يعبد من دون الله ، وما كان لأصحاب
الكهف قدرة التبديل ومن ثم تعين عليهم الاعتزال ، واتخاذ الكهف حجاباً لهم ،
وبالها من قصة عبرة لمن أراد الله ، والأنس به دون الناس .

وقوله تعالى : ﴿ واعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعوا ربّي عسى
أن لا أكون بدعاء ربّي شقيّاً ﴾^(٣) . وقد اعتزل إبراهيم (عليه السلام) عبدة

(١) شرح النهج ٢٧٨/١٨ - ٢٧٩ .

(٢) الكهف : ١٦ .

(٣) مريم : ٤٨ - ٤٩ .

الأصنام قومه كلهم بالهجرة إلى الشام ، وقد يكون الاعتزال بالهجر عمن اعتزل عنه وهو في البلد ، وقد يكون بالسفر إلى بلد آخر ، وإن إبراهيم عليه السلام قام بالأمرين إنكاراً ورفضاً للباطل ولم يكن في زمانه من يوحد الله تعالى سواه ، والناس معتكفون على عبادة الأصنام ، وكلّ زمان كذلك لو كان الناس قد كفروا فلا بدّ من الهجرة والاعتزال ، ولا تكون العشرة والاجتماعات بها هي محمودة إن لم يبين صرحها على الإيذان أو التواصل والتراحم والتوادد ؛ فإن ذلك ممّا يحبه الله وقد مدح قومًا يجتمعون يأمرون بالصدقة أو المعروف ، أو للإصلاح .

قال تعالى : ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مِنْ أَمْرٍ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (١) .

والآية تسمح بالاجتماع لهذه الغايات الخيرية المأتي بها لوجه الله عز وجلّ ، ولا خير فيما سواها ممّا يفقد تلك الخصال وتربط الحديث الجاري بالكشف عن غلبة الزمان وأهله على الصلاح ، أو الفساد بوجدان الخصال فهو القسم الأول ، وبفقدتها فالثاني ، فليس لرجل سوء الظنّ برجل إذا كانت الخصال موجودة بين الناس ، وبالعكس العكس ، فهي مقياس قرآني مطّرد في كلّ الأزمان وكلّ مكان . وإن لم تكن فالعزلة والتفرّد أحمد من العشرة والاجتماع ، والمخالطة تعطي الخبرة ، ففي صادقي : « خالط الناس تخبرهم ومتى تخبرهم تقلهم » . قيل لجعفر بن محمد عليهما السلام : اعتزلت الناس ؟! فقال : فسّد الزمان ، وتغيّر الإخوان ، فرأيت الانفراد أسكن للفؤاد (٢) .

(١) النساء : ١١٤ .

(٢) البحار ٧٠/١١١ .

(٣) البحار ٤٧/٦٠ . ثم قال :

ذهب الوفاء ذهاب الأمس الذاهب	والناس بين محاتل ومؤارب
يفشون بينهم المودة والصفاء	وقلوبهم محسوة بعقارب

٦٠

إذا كان الرجل حاضراً فكنته

يوافق الكلمة بعض الأمثال السائرة الآتي ذكره ، وهي من الحكم إن لم تكن مثلاً قد رواها الشيخ الكليني طاب ثراه قال :

محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن معمر بن خلّاد عن أبي الحسن عليه السلام قال : إذا كان الرجل حاضراً فكنته ، وإذا كان غائباً فسّمه^(١) .

إنما عددناه من حديث الإمام الكاظم عليه السلام تحكيماً لما أشتهر عند أهل الدراية من حمل كنية أبي الحسن المطلق على موسى الكاظم روجي فداء لا الإمام الرضا أو الهادي عليهما السلام إلا لقرينة مفقودة في المقام ، ولكن بما أن معمر بن خلّاد من أصحاب أبي الحسن الأوّل كما عدّه البرقي ، أو الثاني لتصريح الشيخ الطوسي ، فالأمران محتملان ، واختر أنت ما شئت منهما .

التكنية والتسمية :

لم يختلف اثنان في أن التكنية منبّهة للأوصاف إطلاقاً ، والتسمية ربّما كانت تنقيصاً ، ومن ثم قيل في المثل : (الكنى منبّهة والأسامي منقصة)^(٢) . ولكننا نمنع الاطراد في كلّ مقام ، ولعلّ ضاربه يريد ما أراده الحديث من التكني في الحضور ، والتسمية في الغيبة ، وهذا من الأدب الرفيع صوتاً لكرامة الشخص ، إذا حضر ورفعاً لتوهم التهمة عنه إذا غاب ، فإذا حضر فلا يفتقر بعد العيان إلى البيان

(١) أصول الكافي ٢/٦٧١ ، الوسائل ٨/٤٠٦ .

(٢) مجمع الأمثال ٢/١٧٣ ، حرف الكاف .

من ذكر اسمه الذي هو بمنزلة العلامة والأثر وقديماً قالوا : « لا تطلبوا أثراً بعد عين »^(١) . وليست الكنية لمعرفة المكنى عنه دائماً ، بل ربّما كان لمجرد التعظيم وجلب الالتفات أو لأمور أخرى تدلّ على الرفعة والجلال ، أو الاسترحام وعطف المخاطب كقول القائل (يا أبا الأضياف) لمن يريد النزول عليه ، أو (يا أبا الفضل) لمن يطلب الفضل منه .

أحاديث الكنية :

محمد بن يعقوب عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن صالح بن السندي عن جعفر بشير عن سعيد بن خثيم عن معمر بن خثيم قال : قال لي أبو جعفر (عليه السلام) : ما تُكنّى ؟ قال : ما اكنّيت بعدُ ، ومالي من ولد ، ولا امرأة ، ولا جارية . قال : فما يمنعك من ذلك ؟ قال : قلت : حديث بلغنا عن علي (عليه السلام) قال : من اكنن وليس له أهل فهو أبو جعفر^(٢) . فقال أبو جعفر (عليه السلام) : شوه^(٣) ليس هذا من حديث علي (عليه السلام) ، إنّنا لنكنّى أولادنا في صغرهم مخافة النبز أن يلحق بهم .

دلّ الحديث على محبوبية تكنية الأولاد .

وعنه عن أبيه عن النوفلي عن السكوني عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال : من السنّة والبرّ أن يكنّى الرجل باسم ابنه^(٤) .
إنّ الكنية ترفيع لصاحبها إذا كانت من الكنى الجميلة المستحسنة وأن

(١) عقد الفريد ٤٢/١ ، وهو مثل علوي وجاء في مهدي بلفظ « لا تطلب أثراً بعد عين » ، تبحر ٢٤/٥٢ .

(٢) الجعفر : نجو السبع ، وأبو جعار وآء جعار كنية الضبع لكثرة تقوطه والنسخة « أبو جعفر » .

(٣) من شوه الخلقه قبحها شوه أي قبيح ناس عن تهمة (عليه السلام) بالحديث المتفعل عليه .

(٤) الوسائل ١٢٩/١٥ - ١٣٠ .

لا تكون مما يَنْبِزُ به كَأبي اللحم ، وأبي البطن ونظائرهما ، وهي من السِّنَّةِ والبرِّ إذا لم تكن كذلك ، وإلا فقد جاء النهي عن التلَفُظِ به فضلاً عن كونها مسنونة ، فمن الكنى المنهية أبو مرّة :

محمد بن يعقوب عن محمد بن يحيى عن محمد بن الحسين عن جعفر بن بشير عن ابن بكير عن زرارة قال : سمعت أبا جعفر (عليه السلام) يقول : إن رجلاً كان يغشى علي بن الحسين (عليه السلام) ، وكان يكتنى أبا مرّة ، فكان إذا استأذن عليه يقول أبو مرّة بالباب ، فقال له علي بن الحسين عليها السلام : بالله إذا جئت إليّ ثانياً فلا تقولنّ أبو مرّة^(١) .

أقول : أبو مرّة من الكنى الممقوتة إمّا لمبدء اشتقاقها وهو المرّ ضدّ الحلو ، أو اسم الدواء .

قال ابن الأثير : وفي قصّة مولد المسيح عليه السلام « خرج قوم ومعهم المرّ ، قالوا : نجبر به الكسر ، والجرح » المرّ : دواء كالصبر سميّ به لمرارته^(٢) . وإمّا لكونها كنية إبليس لعنه الله على ما جاء التصريح في الحديث الآتي : فقد روى الشيخ الكليني طاب ثراه بإسناده عن الإمام أبي الحسن الكاظم عليه السلام : « إذا أمسيت فنظرت إلى الشمس في غروب وإدبار فقل : بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ، الحمد لله الذي يصف ولا يوصف ، ويعلم ولا يعلم ، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، أعوذ بوجه الله الكريم ، وباسم الله العظيم من شرّ ما ذرأ ، وبرّاً ، ومن شرّ ما تحت الثرى ، ومن شرّ ما ظهر وما بطن ، ومن شرّ ما كان في

(١) الوسائل ١٣١/١٥ ، الباب ٢٩ ، من أبواب أحكام الأولاد ، الحديث ١ .

(٢) النهاية ٣١٦/٤ - مرر - .

الليل والنهار ، ومن شرَّ أبي مرّة وما ولد ، ومن شرَّ الرّئيس^(١) ، ومن شرَّ ما وصفتُ وما لم أصف فالحمد لله ربّ العالمين^(٢).

قال الشيخ المجلسي رحمه الله بعد :

« ومن شرَّ أبي مرّة » : أقول : في نسخ الحديث هنا اختلاف كثير ففي أكثر نسخ الكتاب « أبي مرّة » وهو أظهر وهو بضم الميم وتشديد الراء : كنية إبليس لعنه الله ذكره الجوهري وغيره . وفي أكثر نسخ المحاسن « أبي قتره » قال الفيروزآبادي : « أبو قتره » إبليس لعنه الله...

قال السيد بن طاووس (ر ه) : في فلاح السائل : قال صاحب الصحاح : « ابن قتره » بكسر القاف حيّة خبيثة . فيمكن أن يكون المراد التّعوذ منها ، ويمكن أن يكون المراد إبليس وذريته شبهه بالحية المذكورة . وفي بعض النسخ « أبي مرّة » وهو أقرب إلى الصواب ؛ لأن هذا الدعاء عوذة من الشيطان...^(٣).

ومن الكنى المنهية ما يلي :

روى الشيخ الكليني عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن النوفلي عن السكوني عن أبي عبدالله (عليه السلام) إن النبي (صلى الله عليه وآله) نهى عن أربع كنى : عن أبي عيسى ، وعن أبي الحكم ، وعن أبي مالك ، وعن أبي القاسم إذا كان الاسم محمداً^(٤).

(١) لعنه تعوذ من الفساد والموت ، أو العشق الباطل ، أو الحمى أو المفسد ... مرآة العقول

٢٨١/١٢

(٢) أصول الكافي ٥٣٢/٢ .

(٣) مرآة العقول ٢٨٠/١٢ - ٢٨١ .

أقول : وكنية فرعون أبو مرّة كما جاءت في تفسير ﴿ وقولا له قولاً لينا ﴾ طه : ٤٤ :

(٤) تفسير الكشاف ٦٥/٣ .

أقول : لعل وجه النهي عن « أبي عيسى » أن عيسى (عليه السلام) ليس له أب ؛ لأن الكنى كما سبق في المثل^(١) منبّهة إلى أصلها الذي اتخذت عنه فدلّت كنية أبي عيسى على ما لا واقع ولا حقيقة له ، فدفعاً للتوهم نهى التكنّي به .
وأما أبو الحكم فلأنّ الله تعالى هو الحَكَمَ العدل الذي لا يبور ، وقد جاء التصريح بهذا الوجه في حديث نبوي طويل : « ولا تسمّوا أولادكم بالحكم ، ولا بأب الحكم ؛ فإنّ الله هو الحَكَمَ »^(٢) .

وآخر : لما وفد هانئ بن يزيد إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) مع قومه فسمعهم يكتونه « أبا الحكم » فدعاه رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال : إنّ الله هو الحكم ، وإليه الحكم ، فلم تكنّي أبا الحكم ؟ فقال : إنّ قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمت بينهم فرضي كلا الفريقين^(٣) .
وأما أبو مالك فإنّه عزّ وجلّ هو المالك وحده فكيف يكون غيره مالكا ، فضلاً أن يكون أبا مالك .

وأما الجمع بين الاسم محمد ، والتكنّي بأبي القاسم فممنوع للرواية والإجماع بيننا أما الرواية فقد سبقت من الكليني . وأما الإجماع فمن راجع كلمات فقهاءنا وجده .

وهل النهي الوارد فيها نهى تحريم ، أو كراهة ؟ فمن أراد التحقيق نظر ما كتبه السيد الجليل الجلاي^(٤) . وظاهر النهى التحريم وصرفه إلى غيره لا بدّ من قرينة موجودة في فتاوى الأصحاب كما لا يخفى على راجعها .

(١) مجمع الأمثال ١٧٣/٢ حرف تكاف .

(٢) التوسائل ٥٧٢/٣ ، الباب ١٠ من نسك . خذبت ٦٦٦٥ .

(٣) الإصباة ٢٧٨/٦ - ٢٧٩ .

(٤) مجلة «تران» العدد الرابع ١٧/السنّة أربعة سؤال ١٤٠٩ هـ ص ٤١ - ٤٨ ، وانظر اطلاقاً

وحول الكنية والاسم بحوث هامة :

منها : ما تقدّم من النهي.

ومنها : ما يدلّ من أحاديث الكنية استحباب التكنّي والتسمية كما في

باقري قال لابن صغير ما اسمك ؟

قال : محمد.

قال : بم تكنّي ؟

قال : بعلي.

قال أبو جعفر عليه السلام : لقد احتضرت من الشيطان احتضاراً شديداً، إن الشيطان إذا سمع منادياً ينادي « يا محمد » أو « يا علي » ذاب كما يذوب الرصاص ، حتى إذا سمع منادياً ينادي باسم عدوّ من أعدائنا اهتزّ واختال^(١). وكما في صادقي في حديث عنوان البصري قال له الصادق عليه السلام: ما كنيّتك ؟

قال : أبو عبد الله.

قال عليه السلام : ثبتك الله على كنيّتك^(٢).

بقي أمر :

قد جاء في الجمع بين الكنية والاسم الأمر ببعض التبديل قراراً عن

تطابق بعض الأسماء.

(١) الوسائل ١٥/١٣١ عن الكافي.

(٢) البحار ١/٢٢٥ ، الحديث ١٧.

أقول : الاسم المصدر بالأب ، أو الابن ، أو الأم يعرف بالكنية ، واللقب الحالي من ذلك ،

والاسم معروف.

فقد روى الشيخ الطوسي طاب ثراه في ترجمة عثمان بن سعيد أول النواب الأربعة للإمام المهدي عجل الله فرجه ، ما يدل على نوع من تبديل . قال : وقد قال قوم من الشيعة : إن أبا محمد الحسن بن علي (عليه السلام) قال: «لا يجمع على امرئ بين - عثمان - و- أبي عُمرَ-». وأمر بكسر كنيته فقيلاً : العُمري^(١) .

أقول :

المراد بكسر الكنية تبديلها المطلق وتغييرها إمّا بأن يقال : « أبو عَمْرُو » فراراً من الحركة الكائنة في عُمر ، أو يقال : « أبي عِمْرُ » بكسر العين إذا فسّر الكسر في الحديث بالإعراب الأدبي أو يقال : « العُمري » بحمل الكسر فيه على تغيير الكنية إلى اللقب والنسبة كما هو صريح قوله : « فقيلاً : العُمري » . يبقى سؤال : بأن لعثمان بن سعيد الكنية و اللقب معاً أي أبو عَمْرُو العُمري ؟

والجواب عنه أن الحديث مع التفريع المذكور في كلام الشيخ الطوسي صريح في التغيير إلى اللقب : « العُمري » . وقد حكى المرحوم المامقاني ترجمة الرجل من العلامة الحليّ عثمان بن سعيد العُمري بفتح العين المهملة و سكون الميم ، وكسر الراء المهملة - وقال :-

قال في الخلاصة : اختلف في تسمية العُمري فقيلاً : إنه ابن بنت أبي جعفر العُمري رحمه الله فنسب إلى جدّه فقيلاً : العُمري . وقيل : إن أبا محمد العسكري (عليه السلام) قال : - إلى آخر الحديث - وعن السمعاني : العُمري بفتح العين وسكون الميم وكسر الراء نسبة إلى بني عمرو بن عامر بن

(١) غيبة الشيخ الطوسي ٢١٤ ، باب السفراء المدوحين ، الحديث الأول .

ربيعة ، وعمرو بن حريث ، وغيرهما....^(١).

أقول : يصح إطلاق الكنية على اللقب ، كما يصح إطلاقه على الكنية كالحديث الآتي من استدلال الإمام (عليه السلام) بأية الألقاب ، على الكنية لأبي العتاهية.

ومن أحاديث التسمية :

قد جاءت طائفة كبيرة منها نذكر ما يلي :

محمد بن علي بن الحسين في (عيون الأخبار) عن الحسين بن أحمد البيهقي عن محمد بن يحيى الصولي عن محمد بن يحيى بن أبي عباد عن عمه عن الرضا (عليه السلام) أنه أنشد ثلاث أبيات من الشعر ، وذكرها ، قال : وقليلاً ما كان ينشد الشعر . فقلت : لمن هذا ؟ قال : لعراقي لكم ، قلت : أنشدني أبو العتاهية لنفسه ، فقال : هات اسمه ، ودع عنك هذا ؛ إن الله عز وجل يقول : ﴿ ولا تنازروا في الألقاب ﴾^(٢) . ولعل الرجل يكره هذا^(٣) .

يريد (عليه السلام) بقوله : « ودع عنك هذا ... » أي الكنية المنقصة ؛ لأن (العتاهية) بالتخفيف من العته : المولع بالأيذاء ، وقال ابن الأثير : وفيه^(٤) : « رفع القلم عن ثلاثة : عن الصبي والنائم والمعتوه » هو المجنون المصاب بعقله . وقد عته فهو معتوه^(٥) .

فكلمة « أبي العتاهية » تلوح للسامع هذا المعنى الذي لعله يكرهه ؛ ومن

(١) تنقيح المقال ٢/٢٤٥ .

(٢) الحجرات : ١١ .

(٣) الوسائل ١٥/١٣٢ ، الباب ٣٠ من أبواب أحكام الأولاد ، الحديث ١ .

(٤) أي الحديث النبوي .

(٥) النهاية ٣/١٨١ - عته - .

ثم قال (عليه السلام) : « ولعلَّ الرجل يكره هذا » بعد الاستدلال بآية ﴿ ولا تنابزوا بالألقاب ﴾ ولا يخفى عليك صحّة إطلاق الألقاب على الكنى بها . ومن الأدب الرفيع ترك النّبز وهو الذمّ ، وبالتحرّيك « النّبز » : اللقب الدالّ على الذمّ . وقال (عليه السلام) : « هات اسمه » وهو إسماعيل بن القاسم بن العيني المتوفّى ٢١١ هـ ببغداد وقبره على نهر عيسى ، وأوصى أن يكتب على قبره :
 إنّ عيشاً يكون آخره الموت لعيش معجّل التنغيص^(١)

والأبيات الثلاثة التي أنشدها روعي فدها :

كلنا نأمل مدّاً في الأجل	والمنايا هنّ آفات الأمل
لاتغرّنك أباطيل المنى	والزّم الصمت ودع عنك العلل
إنّما الدنيا كظلّ زائل	حلّ فيه راكبٌ ثم ارتحل ^(٢)

وقد ذكرنا الأبيات في كتابنا حول الكلمات الرضويّة الحكميّة فراجعها^(٣).

وكيف كان فإنّ الحديث الكاظمي ، والرضوي ، وما أسلفناه من أحاديث تدلّنا على نبذة آداب سامية إسلاميّة حول الكنى والأسماء ، والإنسان مأمور بأن يقول للناس حسناً قال تعالى : ﴿ وقولوا للناس حسناً ﴾^(٤) فليختر من

(١) الكنى والألقاب للمحدث القمي ١/١٢١ - ١٢٣ . يكتنى أي إسحاق أيضا انظر المصدر.

(٢) عيون أخبار الرضا (ع) ٢/١٧٥ . الباب ٤٣ ، الحديث ٧.

(٣) (أمثال وحكم الإمام الرضا أو كلماته المختارة) ١/٢١٤ ، طبع بيروت دار الزهراء ، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ.

(٤) البقرة : ٨٣.

الكنى أحسنها عند التخاطب وعند التسمية والاسم الجميل ، كما يحبّ بايكتنى ، أو يدعى به فليحبّ لغيره ، ولا يناز بالألقاب .

التسمية

نوّهت الأحاديث باسم محمد وعلي وفاطمة ... من بين الأسماء واهتمت بذلك.

١- قال الكليني : محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن محمد بن سنان عن أبي هارون مولى آل جعدة قال : « كنت جليساً لأبي عبدالله (عليه السلام) بالمدينة ، ففقدني أياماً ثم إنّي جئت إليه ، فقال لي : لم أرك منذ أيام يا أبا هارون ، فقلت ولد لي غلام ، فقال : بارك الله فيه فما سمّيته ؟ قلت : سمّيته محمداً ، قال : فأقبل بخدّه نحو الأرض وهو يقول : محمد محمد محمد حتى كاد يلصق خدّه بالأرض ، ثم قال : بنفسى وبولدي وبأهلي وبأبويّ وبأهل الأرض كلّهم جميعاً الفداء لرسول الله (صلى الله عليه وآله) ، لا تسبّه ، ولا تضربه ، ولا تسيء إليه .

واعلم أنه ليس في الأرض دار فيها اسم محمد إلا وهي تقدّس كلّ يوم ... »^(١).

وفيه الترغيب البالغ في التسمية باسم محمد ، بشرط أن لا يكتنى معه بأبي القاسم كما سبق^(٢).

٢- علي بن إبراهيم عن أبيه عن إسماعيل بن مرار عن يونس عن إسحاق بن عمّار عن أبي عبدالله (عليه السلام) أنّه قال : مامن رجل يحمل له حمل فينوي أن يسمّيه محمداً إلا كان ذكراً إن شاء الله . وقال : ههنا ثلاثة كلّهم

(١) الكافي ٦/٣٩.

(٢) في الكنى المنهية من الكافي ٦/٢١ ، الوسائل ١٥/١٣١ ، الخصال ١/٢٥٠.

محمد محمد محمد...^(١)

٣- الحديث الرضوي : «فقال له ابن غيلان : أصلحك الله بلغني أنه من كان له حمل فنوى أن يسميه محمداً ولد له غلام ؟ فقال : من كان له حمل فنوى أن يسميه علياً ولد له غلام ، ثم قال : علي محمد ومحمد علي شيئاً واحداً قال : أصلحك الله إني خلّفت امرأتي وبها حمل فادع الله أن يجعله غلاماً . فأطرق إلى الأرض طويلاً، ثم رفع رأسه فقال له : سمّه علياً ؛ فإنه أطول لعمره . فدخلنا مكة ، فوافانا كتاب من المدائن أنه قد ولد له غلام^(٢) .

٤ - الحديث النبوي : « من كان له حمل فنوى أن يسميه محمداً أو علياً ولد له غلام^(٣) .

دلّ بكلّ صراحة على سببىة الاسمين في ولادة الذكر إذا نواهما بإذن الله تعالى.

٥ - الصادقي: علي بن محمد عن ابن جمهور عن أبيه عن فضالة بن أيوب عن السكوني قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام وأنا مغموم مكروب ، فقال لي : يا سكوني ممّا غمّك ؟ قلت : ولدت لي ابنة ، فقال : يا سكوني : على الأرض ثقلها ، وعلى الله رزقها ، تعيش في غير أجلك ، وتأكل من غير رزقك . فسرى والله عنى ، فقال لي : ما سميتها؟ قلت : فاطمة ، قال : آه آه^(٤) ، ثم وضع يده على جبهته فقال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : حق الولد على والده إذا كان ذكراً أن يستفره أمّه^(٥) ، ويستحسن اسمه ، ويعلمه كتاب الله ، ويظّهره ،

(١) الكافي ١١/٦ . يحتمل أن يكون المراد من «ههنا ثلاثة كلهم محمد محمد محمد» هم الحاضرون في المجلس ، أو الباقر والجواد والمهدي عليهم السلام . والله العالم.

(٢) الكافي ١١/٦ .

(٣) الكافي ١٢/٦ .

(٤) قاله (عليه السلام) لتذكّره جدّته فاطمة المظلومة عليها السلام وما أصابها من المصائب

(٥) يسفره أمّه أي يستكرمها ولا يدعوا بالسب واللعن والفحش هامش الكافي ٤٩/٦ .

أمثال الإمام الكاظم عليه السلام ج/١ ٢٤٧

ويعلمه السباحة . وإذا كانت أنثى أن يستفره أمها ، ويستحسن اسمها ، ويعلمها سورة النور ، ولا يعلمها سورة يوسف ، ولا ينزلها الغُرف ، ويعجل سراحها إلى بيت زوجها ، أما إذا سميتها فاطمة فلا تسبها ، ولا تلغنها ولا تضربها^(١).

أقول : تكرم الأسماء لكرامة مسمياتها الأصيلية؛ ومن ثم عند سماع اسم محمد تذكّر الإمام الصادق عليه السلام الرسول صلى الله عليه وآله ويقول : محمد محمد محمد ، وبخراً خضوعاً حتى كاد يلصق خده بالأرض ، وهكذا عند سماع اسم فاطمة عليها السلام قد هاج به الحزن ويتأوه قائلاً : آه آه ، وإنما منع الوالد من سبّ البنت المسماة بفاطمة ولغنها ، وضربها ، ولزوم احترامها لكرامة صاحبة الاسم وهكذا بقية الأسماء الطيبة.

٦١

إذا كان زهواً واستبان البُسر من الشيص حلّ

كلمة صالحة التمثّل لاستبانة الجيد من الردي قد رواها علي بن جعفر من أخيه الإمام الكاظم عليه السلام وان لم تضرب مثلاً لموردها بل كانت بياناً منه روي فدها لحكم بيع النخل وجواباً لأحد أسئلته الكثيرة.

قال علي بن جعفر :

سألته عن بيع النخل ؟ قال : إذا كان زهواً واستبان البُسر من الشيص

(١) الكافي ٦/٤٨ - ٤٩ ، باب حق الأولاد.

حلّ شراؤه وبيعه^(١).

أقول :

وطالب البُسر لا يريد شيصاً ، ومريد البُسط لا يبغى قميصاً .
والشيص يقال : لأردأ التمر كما يأتي ، قال ابن الأثير : فيه « نهى قوماً
عن تأبير^(٢) نخلمهم فصارت شيصاً » الشيص : التمر الذي لا يشتد نواه ويقوى .
وقد لا يكون له نوى أصلاً^(٣) . والبُسط جمع البساط ما ينشر أي الفراش : يعني
من يريد ما نواه لا يريد سواه .

قال ابن منظور :

الشيص والشيصاء : ردئي التمر . وقيل : هو فارسي معرب واحدته شيصة
وشيصاءة ممدود ، وقد أشاص النخل وأشاصت وشيَّص النخل ؛ الأخيرة عن
كراع ؛ الفراء : يقال للتمر الذي لا يشتد نواه - وذكر ما تقدّم - والشيشاء هو
الشيص ، وإنما يشيَّص إذا لم يلقح ؛ قال الأموي : هي في لغة بلحرت بن كعب
الصيص . الأصمعي : صأصأت النخلة إذا صارت شيصاً ، وأهل المدينة يسمون
الشيص السخل ، وأشاص النخل إشاصة إذا فسَدَ وصار حمله الشيص ... وفي
نوادير الإعراب : شَيَّصَ فلانُ الناسَ : إذا عَذَّبهم بالأذى ، قال : وبينهم مشايصة
أي منافرة ويقال : أشاصَ به إذا رفع أمره إلى السلطان ؛ قال مقاس العائذي :
أشاصت بنا كلبٌ شصوصاً وواجهت علي رافديننا بالجزيرة تغلب^(٤)

(١) الوسائل ٦/١٣ ، الباب ١ من أبواب بيع الثمار ، الحديث ١٧ وفيه «أيجل إذا كان زهواً» .

مسائل علي بن جعفر ١٢١ - ١٢٢ ، الحديث ٧٤ من ٨٦٤ حديثاً . والزهو : تلون بفساد النخل
بالحمرة والصفرة هاشم المصدر .

(٢) تأبير النخل تلقيحه وإصلاحه على ما هو معروف بين غراس النخيل . مجمع البحرين - أبر - .

(٣) النهاية ٥١٨/٢ - شيص - .

(٤) لسان العرب ٥٠/٧ - ٥١ - شيص - .

البُسر :

قال ابن منظور :

والبُسر : الغضّ من كلّ شيء ، والبُسر : التمر قبل أن يُرطب لغضاضته واحدته بُسرة. قال سيبويه : ولا تكسر البُسرة إلا أن تجمع بالألف والتاء....
والبُسر : ما لَوّن ولم ينضج وإذا نضج فقد أرطب : الأصمعي إذا اخضرَّ حبّه واستدار فهو خلال ، فإذا عظم فهو البسر ، فإذا احمرّت فهي سِقحة.
الجوهري : البُسر : أوله طلع ، خلال ، ثم بلح ، ثم بُسر ، ثم رطب ، ثم تمر....^(١)

أقول :

يريد الإمام (عليه السلام) أنّ النخل له مراتب وقبل البلوغ إلى مرتبة البُسر فهي شيص وقبل الشيص زهو فما لم تصل إلى المرتبة البالغة لايجلّ شراؤها.

(١) لسان العرب ٥٨/٤ - بسر -

إذا كان لك يا سماعة إلى الله عزّ وجلّ حاجة فقل

روى الشيخ الكليني (طاب ثراه) بإسناده إلى سماعة قال : قال لي أبو الحسن عليه السلام :

« إذا كان لك يا سماعة إلى الله عزّ وجلّ حاجة فقل : اللهم أسألك بحق محمد وعلي ، فإنّ لها عندك شأنًا من الشأن وقدراً من القدر ، فبحق ذلك الشأن ، وبحق ذلك القدر أن تصلي على محمد وآل محمد ، وأن تفعل بي كذا وكذا ، فإنّه إذا كان يوم القيامة لم يبق ملك مقرب ولا نبيّ مرسل ، ولا مؤمن ممتحن إلّا وهو يحتاج إليهما في ذلك اليوم »^(١).

أقول :

يماثل الكلمة المثل السائر : (إذا دخلت قرية فاحلف بآلها) ^(٢) ؛ لأنّ ربّ القرية هو الذي يسمح للدخول إليها ، ولأنّ الله هو القاضي للحاجات يسعد به أربابها ولا تقضى عند غيره إن لم يقضها فيشقى به الأشقياء ، وقد جاء في المثل : (أمر الله بُلُغُ يسعد به السعداء ، وشقى به الأشقياء)^(٣).

وأعزّ الخلق إلى الخالق تعالى هم أهل البيت عليهم السلام ، فإذا قدّم طالب الحاجة عند من يقضيها أعزّ الناس إليه وأقسمهم عليه فلا محالة الحاجة تقضى ، لأنّ الصلاة عليهم والقسم بشأنهم مستجابة مقبولة ولا يمكن قبول

(١) أصول الكافي ٥٦٢/٢.

(٢) مجمع الأمثال ٨٨/١ ، حرف الهمزة ، المولدون.

(٣) مجمع الأمثال ٦٥/١ ، حرف الهمزة ، الرقم ٣٢٣.

بعض الدعاء وردّ بعضه وتبعّض الصّفقة يفتقر الى الدليل ، ولعلّ السرّ في الإتيان بلفظ الجمع في ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾^(١) أنّ عبادة بعض العباد مقبولة عند الله وكذلك استعانة بعض المستعنين صادقة وخالصة وان كان القائل فيها غير صادق ولكنه تعالى إذا قبل البعض قبل الكل ولا يردّ الكريم الوافدين عليه وإن كان في ضمنهم الكاذب في الوفود وكذلك الدعاء المصدر أو المحفوف بالقسم بحق أهل البيت عليهم السلام وبالصلاة عليهم مستجاب ؛ لأنّه محتفّ بالمستجاب وهي الصلاة على محمد وآل محمد صلّى الله عليهم وسلّم.

قال أمير المؤمنين عليه السلام : « إذا كانت لك إلى الله سبحانه حاجة فابدأ بمسألة الصلاة على رسول الله صلّى الله عليه وآله ، ثم سل حاجتك ، فإنّ الله أكرم من أن يسأل حاجتين فيقضي إحداهما ويمنع الأخرى »^(٢).

وفي موثّق الكليني قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : « لا تجعلوني كقدح الراكب ، فإنّ الراكب يملأ قدحه فيشربه إذا شاء ، اجعلوني في أوّل الدعاء ، وفي آخره ، وفي وسطه »^(٣).

القَدْح بالفتح والتحرك : إناء واسع يسع ما يروي رجلين وثلاثة ، والجمع أقداح قال ابن الأثير بعد الحديث : أي لا تؤخروني في الذكر ، لأنّ الراكب يعلّق قدحه في آخر رحله عند فراغه من ترحاله ويجعله خلفه ، قال حسن :

* كما نيط خلف الراكب القدح الفرد *^(٤)

(١) الفاتحة : ٥ .

(٢) النهج ٢٧٩/١٩ ، الحكمة ٣٦٧ .

(٣) الوسائل ١١٣٦/٤ .

(٤) النهاية ١٩/٤ - ٢٠ ، قدح - وفي هامش ٢٠ صدره :

وفي صحيح الصدوق عن أمير المؤمنين عليه السلام : «كَلَّ دعاء محبوب عن السماء حتى يُصَلَّى على محمد وآل محمد»^(١).

والعقل قاضٍ بتقديم الأعرَّ لذي من إليه الحاجة ، وأَيَّ خلقٍ أعرَّ على الله من محمد وعلي وأهل المعصومين عليهم السلام .؟

وقد أشبعنا القول عند المثل النبوي في كتابنا بهذا الصدد^(٢) وعليه فالحديث الكاظمي هو من أحاديث الترغيب إلى ما رَغَبْتَهُ الروايات الآتفة الذكر ومن تقديم الشفيع بالأعرَّ عند المشفوع إليه ، وأَيَّ شفيعٍ أرفع شأنًا وقدرًا عند الله تعالى من محمد وعلي وأهل بيتها (عليهم السلام) ، وإنهم الوسيلة التي أمر الله بابتغائهم إليه ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴾^(٣).

ولهم الشفاعة الكبرى يوم المحشر ولا تكون الشفاعة إلا من بعد إذنه تعالى ، وقد تناوها القرآن الكريم في ستة وعشرين موضعاً مصرحاً بشرطة الإذن الإلهي ، أو ملوحاً إليه ، وقد أذن سبحانه أن يكون محمد وآله شفعاء الخلق حتى الأنبياء وأوصيائهم (عليهم السلام) والسرّ لذلك أقربتهم إلى الله وأحببتهم لديه تعالى ، وفي الجامعة الكبيرة : « اللهم إني لو وجدت شفعاء أقرب إليك من محمد وأهل بيته الأخيار الأئمة الأبرار جعلتهم شفعايني »^(٤).

أحاديث الشفاعة :

منها النبوي : « أما شفعايتي ففي أصحاب الكبائر ما خلا أهل الشرك

(١) الوسائل ٤/ ١١٣٨ ، وفيه من صحاح أحاديث الباب.

(٢) الأمثال النبوية ٢/ ٨٧ ، الرقم / ٤٠٥.

(٣) المائدة : ٣٥.

(٤) عيون أخبار الرضا (ع) ٢/ ٢٨٢.

والظلم»^(١).

والآخر : « لا ينال شفاعتي من استخفَّ بصلاته ، ولا يرد عليَّ الحوض
لا والله »^(٢).

ومنها الموثق من رواية الكليني قال : قال أبو الحسن الأول (عليه السلام) :
« إنّه لما حَضَرَ أبي الوفاة قال لي : يا بني إنّه لا ينال شفاعتنا من استخفَّ
بالصلاة »^(٣).

٦٣

إذا كنتُ لا أحسنُ أجيبك فما فضلي عليك ؟!

في موثق أبي بصير عن أبي الحسن الماضي (عليه السلام) قال : دخلت
عليه ، فقلت له : جعلت فداك بم يعرف الإمام ؟
فقال : بخصال أما أولهنّ فشيء تقدّم عن أبيه فيه ، وعرفه الناس ، ونصبه
لهم علماً ، حتى يكون حجّة عليهم ، لأنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) نصب
عليّاً (عليه السلام) علماً وعرفه الناس ، وكذلك الأئمة يعرفونهم الناس
وينصبونهم لهم حتى يعرفوه ، ويسأل فيجيب ، ويسكت عنه فيبتدي ويخبر الناس
بما في غد ويكلم الناس بكلّ لسان ، فقال لي : يا أبا محمد الساعة قبل أن تقوم
أعطيك علامةً تطمئنّ إليها.

(١) البحار ٣٩/٨.

(٢) البحار ٢٤١/٨٤.

(٣) فروغ الكافي ٢٧٠/٣ ، كتاب الصلاة ، باب من حافظ على صلته أو ضيعها ، الحديث ١٥ ،
وموضوع الشفاعة مدغم بالأدلة.

فوالله ما لبثت أن دخل علينا رجل من أهل خراسان فتكلم الخراساني بالعربية ، فأجابه هو بالفارسية ، فقال له الخراساني : أصلحك الله ما منعي أن أكلمك بكلامي إلا أنني ظننت أنك لا تحسن ، فقال : سبحان الله إذا كنت لا أحسن أجيبك ؛ فما فضلي عليك ؟!

ثم قال : يا أبا محمد إن الإمام لا يخفى عليه كلام أحد من الناس ، ولا طير ، ولا بهيمة ، ولا شيء فيه روح ، بهذا يعرف الإمام ، فإن لم تكن فيه هذه الخصال فليس هو بإمام^(١).

أقول :

هذه الكلمة من حكم الإمام الكاظم عليه السلام الصالحة للتمثيل بها وضربها لمنع التفاضل بدون سبب ولا موجب ، ولها الدلالة على استباق الفضائل ، وحسن الجواب عن المسائل العقلية والإسلامية ممن له الأهلية ، وتقديم العالم بها على من ليس كذلك ، وتدلل أيضاً على تحكيم المقياس العقلي والعلمي والتفاضل بذلك دون المقاييس الأخرى . فإن تكن كذلك فهي من الكلمات المختارة لذلك فتدبر جيداً حتى تعرف.

٦٤

إذا لم تستحي فاعمل ما شئت

من الأمثال السائرة الباقي من الأنبياء لما رواه الشيخ الصدوق طاب ثراه بسنده الموثق عن الحسن بن الجهم عن أبي الحسن الأوّل عليه السلام قال :

« ما بقي من أمثال الأنبياء إلّا كلمة : إذا لم تستحي فاعمل ما شئت .
وقال : أما أنّها في بني أميّة »^(١).

هذا من شواهد صحّة استعمال المثل لكل كلمة نافعة للناس وإن لم تجر على اللسان وقد سبق الحديث النبوي عن أبي ذرّ قال : قلت : يارسول الله فما كانت صحف إبراهيم^(٢)؟

قال : كانت أمثالا كلّها : أيّها الملك المبتلى المغرور إنّي لم أبعثك^(٣) لتجمع الدنيا بعضها على بعض ، ولكن بعثتك ، لتردّ عني دعوة المظلوم ؛ فإنّي لا أردّها وإن كانت من كافر ، وعلى العاقل ما لم يكن مغلوباً أن تكن له ساعات : ساعة يناجي فيها ربّه ، وساعة يحاسب فيها نفسه.....^(٤)

وكلام الإمام الكاظم (عليه السلام) : « اجتهدوا في أن يكون زمانكم

(١) الخصال ٢٠/١ ، باب الواحد ، الرقم ٦٩ ، الأمالي ٤٥٧ .

(٢) يريد آية ﴿ صحف إبراهيم وموسى ﴾ الأعلى : ١٩ .

(٣) البعث هنا بمعنى الخلق لهذا الملك المغرور ، والنبى لا يكون مغروراً .

(٤) الوسائل ٣٧٨/١١ . الباب ٩٦ من أبواب جهاد النفس ؛ الحديث ٤ .

أربع ساعات...»^(١) ، وفيها شاهد آخر بأن المثل يقال على الكلمة النافعة من الموعظة وغيرها ، ولا يبقى لمن تدبر في هذه الأحاديث الثلاثة شك في ذلك أبداً ، وهو القسم الثالث من مصطلح المثل ، وإن لم يكن سائراً أو قياسياً
تمثل الإمام الكاظم (عليه السلام) بالكلمة المثلية وطبقها على بني أمية المسلوب عنهم الحياء ؛ ولأجله عملوا بما شاءوا من إراقة دماء أبناء الأنبياء وقتل سيد الشهداء وهتك حرم الرسول وسبي نسائه وألف جناية أخرى لاتقوم لها الجبال الرواسي ، وإني لأجل الكتاب ومحتواه من ترجمة بني أمية وذكر فضائحهم ، وسمع كل إنسان يعيش على وجه الأرض ، ولقد تحققت الكلمة المثلية فيهم ، وحق عليهم كلمة العذاب ، ونار الله الموقدة ، واللعنة الأبدية في الدارين .
الحياء .

في الحياء أحاديث وكلمات وقبل ذلك كله قوله تعالى : ﴿ إِنْ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِ مِنْكُمْ ﴾^(٢) .

لما تزوج رسول الله (صلى الله عليه وآله) بزینب بنت جحش وكان يجبهها فأولم ودعا أصحابه وكان أصحابه إذا أكلوا يجبون أن يتحدثوا عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكان يحب أن يخلو مع زينب ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بِيُوتِ النَّبِيِّ - إِلَى - فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مَسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثِ إِنْ ذَلِكَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِ مِنْكُمْ... ﴾^(٣) .

وكان يمنعه الحياء من أن يقول لهم اخرجوا من البيت وأنه (صلى الله عليه وآله) كان حياً ولنا فيه الأسوة الحسنة . وأما الحديث فحدت ولا حرج فإن

(١) حرف الهمزة مع الجيم .

(٢) الأحزاب : ٥٣ .

(٣) تفسير القمي ٢/١٩٥ ، تفسير الصافي ٢/٣٦٢ .

الحياء من الإيمان.

إليك من الأحاديث :

النبوي : « استحيوا من الله حق الحياء ، قالوا : وما نفعنا يا رسول الله ؟ قال : فإن كنتم فاعلين فلا يبيتن أحدكم إلا وأجله بين عينيه ، وليحفظ الرأس وما حوى ، والبطن وما وعى ، وليذكروا البلى ، ومن أراد الآخرة فليدع زينة الحياة الدنيا»^(١).

والآخر : « الحياء على وجهين : فمنه الضعف ، ومنه قوّة وإسلام »^(٢).
والآخر : « الحياء والإيمان في قرن واحد ، فإذا سلب أحدهما أتبعه الآخر »^(٣).

والعلوي : « من كساه الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه »^(٤).
والسجّادي : « خف الله تعالى لقدرته عليك ، واستحي منه لقربه منك »^(٥).

والصادقي : الحياء نور جوهره صدر الإيمان ... قال النبي (صلى الله عليه وآله) « الحياء من الإيمان » فقيّد الحياء بالإيمان ، والإيمان بالحياء . وصاحب الحياء خير كلّ ، ومن حرم الحياء فهو شرّ كلّ وإن تعبد وتورّع .. إذا لم تستح فافعل ما شئت .

أي إذا فارقت الحياء فكلّ ما عملت من خير وشرّ فانت به معاقب ...

(١) الخصال ٢٥٣/١ ، البحار ٣٣٣/٧١ .

(٢) البحار ٣٣٤/٧١ .

(٣) البحار ٣٣٦/٧١ .

(٤) النهج ٤٥/١٩ ، الحكمة ٢١٩ ، البحار ٣٣٧/٧١ .

(٥) البحار ٣٣٦/٧١ .

والحياء خمسة أنواع : حياء ذنب ، وحياء تقصير ، وحياء كرامة ، وحياء حبّ ، وحياء هيبة . ولكلّ واحد من ذلك أهل ، ولأهله مرتبة على حدة^(١) .
قيل للنبي صلى الله عليه وآله : « أوصني ، قال : استحي من الله كما تستحي من الرجل الصالح من قومك »^(٢) .

من الكلمات ، والأشعار : الحياء شعبة من الإيمان^(٣) الحياء خير كله .
الحياء سبب إلى كلّ جميل . أحيوا الحياء ، بمجاورة من يستحي منه^(٤) . أحيى
الناس من كان الذمّ أشدّ عليه من الفقر . خلاؤك أفنى لحيائك^(٥) .

ذكر أعرابي رجلاً فقال : لا تراه الدهر إلّا وكأنّه لا غنى به عنك ، وإن
كنت إليه أحوج ، فإن أذنت غفّر وكأنّه المذنب ، وإن أسأت إليه أحسن وكأنّه
المسيء . وقالت ليلي الأخيلىة :

ومقدّرٍ عنه القميص تخالُهُ وسط البيوت من الحياء سقيما
حتى إذا رفع اللواء رأيتَه تحت اللواء على الخميس زعيما

ونحوه قول الآخر إلّا أنّه في التواضع :

يبدو ، فيبدو ضعيفاً من تواضعه ويكفهرّ فيُلقي الأسود اللُحما

(١) البحار ٣٣٦/٧١ .

(٢) البحار ٣٣٦/٧١ ، نقلاً من الروضة ، والتشبيه بيان لأدنى مرتبة الحياء .

(٣) عيون الأخبار لابن قتيبة ٢٧٨/١ .

(٤) المصدر نفسه .

(٥) التمثيل والمحاضرة ٤١٣ - ٤١٤ .

وقال أبو ذهبل الجُمَحِيّ^(١) :

إِنَّ الْبَيْوتَ مَعَادِنَ فَجَارُهُ
مَتَهَلَّلُ بِنَعَمٍ ، لِإِلَاءِ مُجَانِبُ
نَزَرُ الْكَلَامِ مِنَ الْحَيَاءِ تَخَالُهُ
عُقْمَ النِّسَاءِ فَلَا يُلِدْنَ شَبِيهَهُ
ذَهَبٌ وَكُلُّ جُدُودِهِ ضَخْمٌ
سَيَّانٌ مِنْهُ الْوَفْرُ وَالْعُدْمُ
ضَمِنَاً وَلَيْسَ بِجِسْمِهِ سُقْمٌ
إِنَّ النِّسَاءَ بِمِثْلِهِ عُقْمٌ

آخر ما لفظ من كلام النبوة « إذا لم تستحي فاصنع ما شئت » قال

الشاعر :

تَخَالُهُمْ لِلْحَلْمِ صُمٌّ عَنِ الْخَنَا
وَمَرْضَى إِذَا لَوْقُوا حَيَاءً وَعَقَّةً
خُرْسَاءً عَنِ الْفَحْشَاءِ عِنْدَ التَّهَاجِرِ
وَعِنْدَ الْحِفَاطِ كَاللِّيُوثِ الْخَوَادِرِ^(٢)

يعجبني أن أُلْحِقَ بالكلام ما رواه السيد المرتضى عن أبي مسعود البدرى
عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنَّهُ قَالَ: « مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسَ مِنْ كَلَامِ النَّبِوَّةِ الْأُولَى :
إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعِ مَا شِئْتَ ».

وفي هذا الخبر وجوه من التأويل ثلاثة :

أحدها : أن يكون معناه : إذا عملت العمل لله جلَّ وَعَزَّ وَأَنْتِ لَا تَسْتَحْيِ
مِنَ النَّاطِرِينَ إِلَيْكَ ، وَلَا تَتَخَوَّفُهُمْ أَنْ يَنْسُبُوكَ فِيهِ إِلَى الرِّيَاءِ صَنَعْتَ مَا شِئْتَ ؛
لأنَّ فِكْرَكَ فِيهِمْ ، وَمَرَاقِبَتَكَ لَهُمْ يَقْطَعَانِكَ عَنِ اسْتِيفَاءِ شُرُوطِ عَمَلِكَ ، وَيَمْنَعَانِكَ
مِنَ الْقِيَامِ بِحُدُودِهِ وَحَقُوقِهِ ، وَإِذَا اطَّرَحْتَ الْفِكْرَ تَوَفَّرْتَ عَلَى اسْتِيفَاءِ عَمَلِكَ .

الوجه الثاني : أن من لم يستحي من المعابر والمخازي والفضائح صنع ما

(١) يمدح النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ .

(٢) عيون الأخبار ١/٢٧٨ - ٢٧٩ . لابن قتيبة .

شاء ، والظاهر ظاهر أمر ، والمعنى معنى تغليظ وإنكار ؛ مثل قوله تعالى : ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت : ٤٠] ، وقوله عز وجل : ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [الكهف : ٢٩] ؛ وهذا نهاية التغليظ والزجر ، والإخبار عن كِبَر الذنب في أطراح الحياء ؛ ويجري مجرى قولهم : بعد أن فعل فلان كذا فليفعل ما يشاء ، وبعد أن أقدم على كذا فليقدم على ما شاء ؛ والمعنى المبالغة في عظم ما ارتكبه ، وقبح ما اقترفه.

الوجه الثالث : أن يكون معنى الخبر إذا لم تفعل ما تستحي منه فافعل

ما شئت.

فكان معنى الخبر إذا لم تفعل قبيحاً فافعل ما شئت ، لأنه لا قبيح من ضروب القبائح إلا والحياء يصاحبه ، ومن شأن فاعله إذا قرع به أن يستحي منه ، فمتى جانب الإنسان ما يستحي منه من أفعاله فقد جانب سائر القبائح ، وما عدا القبيح من الأفعال فهو حسن.

ويجري هذا مجرى خبر يروى فيما أظنّ عن نبيّنا عليه السلام أنّ رجلاً جاءه فاسترّشه إلى خصلة يكون فيها جماع الخير ، فقال له عليه السلام : «أشترط عليك أن لا تكذّبي ، ولن أسألك ما وراء ذلك» ، فهان على الرجل ترك الكذب خاصّة والمعاهدة على اجتنابه دون سائر القبائح ، وشرط على نفسه ذلك ، فلمّا انصرف جعل كلّها همّ بقبيح يفكّر ويقول : رأيت لو سألتني عنه النبي صلى الله عليه وآله ما كنت قائلاً له ، لأنّني إن صدقته افتضحت ، وإن كذّبه نقضت العهد بيني وبينه ؛ فكان ذلك سبباً لاجتنابه لسائر القبائح ، وهكذا معنى الخبر الذي تأولنا ؛ لأنّ في اجتناب ما يستحي منه اجتناباً لسائر القبائح^(١).

إذا مات المؤمن بكت عليه الملائكة ، وبقاع الأرض

من كلمات الإمام الكاظم عليه السلام المختارة من حديث له رواه الشيخ الكليني طاب ثراه قال :

محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن ابن محبوب عن علي بن أبي حمزة قال : سمعت أبا الحسن موسى بن جعفر عليه السلام يقول : إذا مات المؤمن بكت عليه الملائكة وبقاع الأرض التي كان يعبد الله عليها ، وأبواب السماء التي كان يصعد فيها بأعماله ، وتلم في الإسلام تلمة لا يسدها شيء : لأن المؤمنين الفقهاء حصون الإسلام كحصن سور المدينة لها^(١).
أقول :

المراد من المؤمن الفقيه المؤمن ، ويشهد له آخره : « لأن المؤمنين الفقهاء حصون الإسلام ... » ، والصادقي : « إذا مات المؤمن الفقيه تلم في الإسلام تلمة لا يسدها شيء »^(٢).

يفرح إبليس بموت العالم ؛ لأنه الحصن الحصين الذي لا يدخله الشيطان فإذا مات فرح ودخل ، فكما أن حصار البلد وهو سور المحيط به حافظ له عن دخول من لا يحمده دخوله ، كذلك العالم سور الدين وحصاره المانع عن دخول الشيطان فيه ، يزيل الشبه ، والوساوس عن القلوب ، وإنما تبكي بموته الملائكة والسماء والبقاع ، وغيرها مما كان له علاقة من قول ، أو عمل ، أو عبادة ، أو

(١) الكافي ١/٣٨ ، ٣/٢٥٤ .

(٢) الكافي ١/٣٨ .

توجيه انقطع عنه ؛ لأنَّ كلَّ ذلك من الخير المستبق إليه المأمور به ، قال تعالى : ﴿ فاستبقوا الخيرات ﴾^(١) ، وقد انتهى أمدُه بموته ، وحلَّ محلَّ الخير الشرِّ والشيطان .

الثَّلمة :

هي : تشرُّمٌ يقع في طرف الشيء كالثلثة تكون في طرف الإناء وقد يسمَّى الخَلَلُ أيضاً ثلثة وإن لم يكن في الطرف^(٢) والثلثة موضع الكسر من القدح ، وبموت العالم يقع في الدين الكسر .

٦٦

إذا مرَّ بك أمران... فانظر أيَّهما أقرب إلى هواك فخالفه

من كلام الإمام الكاظم عليه السلام لهشام بن الحكم :
« وإذا مرَّ بك أمران لا تدري أيَّهما خير وأصوب ، فانظر أيَّهما أقرب إلى هواك فخالفه ؛ فإنَّ كثير الصواب في مخالفة هواك... »^(٣) .

إذا كان في خلاف هوى النفس الصواب ففي وفاقها الخطأ الكثير ، فالواجب على صاحبه الاجتناب ونهيها ، قال تعالى : ﴿ وأما من خاف مقام ربِّه ونهى النفس عن الهوى فإنَّ الجنةَ هي المأوى ﴾^(٤) .

قال الفيض :

في الكافي عن الصادق (عليه السلام) قال : من علم أنَّ الله يراه ويسمع

(١) المائدة : ٤٨ .

(٢) معجم مقاييس اللغة ١/٣٨٤ - ثم .-

(٣) تحف العقول ٣٩٨ .

(٤) النزاعات : ٤٠ .

ما يقول ، ويفعل ، ويعلم ما يعمله من خير وشرّ فيحجزه ذلك عن القبيح من الأعمال فذلك الذي خاف مقام ربّه ونهى النفس عن الهوى^(١).

طاعة الهوى عصيان ، وعصيان الهوى طاعة تنور صاحبها قال القائل :

إنارة العقل مكسوف بطوع هوى وعقل عاصي الهوى يزداد تنويراً^(٢)

قال ابن عباس : ما ذكر الله الهوى في شيء إلا ذمّه . والهوى يهوي بصاحبه^(٣).

فإذا فاجأك أمران فإن أقرب المرشد إليك هواك فاعرضها عليها ثم خذ بها خالف ، ودع ماوافق فإن الرشد في الخلاف.

وقد جاء نظير ذلك في أخبار العلاج للخبرين المتعارضين كما في مقبولة عمر بن حنظلة : « قلت جعلت فداك إن رأيت إن كان الفقيهان عرفا حكمه من الكتاب والسنة ووجدنا أحد الخبرين موافقاً والآخر مخالفاً لهم بأيّ الخبرين يؤخذ ؟ فقال : ماخالف ... ففيه الرشاد »^(٤).

ويماثل المقام الباقرى : يصف علياً (عليه السلام) : « وماورد عليه أمران كلاهما لله رضا إلا أخذ بأشدهما على بدنه »^(٥).

(١) تفسير الصافي ٧٨٦/٢.

(٢) كتاب الصمدية ٣١٠ ، في باب الإضافة من جامع المقدمات ، جامع الشواهد ٢٢٧/١ ، باب الألف بعده النون.

(٣) العقد الفريد ٥٠/٣.

(٤) الوسائل ٧٦/١٨ ، باب ٩ من أبواب صفات القاضي ، الحديث ١.

(٥) الوسائل ٦٦/١ ، باب ٢٠ من أبواب مقدّمة العبادات ، الحديث ١٢.

إذا ملكت هذا الأمر فأحسن إلى ولدي

إخبار بالمغيّب من الإمام الكاظم (عليه السلام) للمأمون العباسي من انتقال الملك إليه ، ويريد بالولد الإمام الرضا (عليه السلام) ، ولفظ حديثه مطوّل رواه الشيخ الطبرسي قال : قال المأمون :

إنّه دخل موسى بن جعفر (عليهما السلام) على الرشيد يوماً فقام إليه ، واستقبله ، وأجلسه في الصدر ، وقعد بين يديه ، وجرى بينها أشياء ، ثم قال موسى بن جعفر (عليه السلام) لأبي ، يا أمير المؤمنين إن الله عزّ وجلّ قد فرض على الولاة عهده : أن ينعشوا فقراء هذه الأمة ، ويقضوا عن الغارمين ، ويؤدّوا عن المثقل ، ويكسوا العاري ، ويحسنوا إلى العاني ، وأنت أولى من يفعل ذلك.

فقال : أفعل يا أبا الحسن ، ثم قام فقام الرشيد لقيامه ، وقبّل بين عينيه ووجهه ، أقبل عليّ ، وعلى الأمين والمؤمن فقال : يا عبد الله ! ويا محمد ! ويا إبراهيم ! امشوا بين يدي ابن عمكم ، وسيّدكم ، وخذوا بركابه ، وسوّوا عليه ثيابه ، وشيّعوه إلى منزله . فأقبل إليّ أبو الحسن موسى بن جعفر (عليه السلام) شراً بيني وبينه ، فبشّرني بالخلافة ، وقال لي :

« إذا ملكت هذا الأمر فأحسن إلى ولدي »^(١).

الخطاب في كلامه (عليه السلام) إلى المأمون راوي الحديث المبشّر بالخلافة وكان أجر البشارة ، والأمر بالإحسان إلى ولده أن قتله . ويأتي بعض

(١) الاحتجاج ٢/١٦٥ - ١٦٦ ، البحار ٤٨/١٣١.

الحديث الآخر عند « أنا إمام القلوب ، وأنت إمام الجسوم »^(١) .
ثم كلمة « إذا ملكت هذا الأمر فأحسن إلى ولدي » تصلح مثلاً كما
يقال : (إذا ملكت فلا تنسني) ، أو (إذا ملكت فاجعلنا من بالك) ، ونظائر
ذلك^(٢) .

٦٨

إذا نزل البلاء فعليكم بالدعاء

من كلام الإمام الكاظم (عليه السلام) رواه الشيخ المجلسي من كتاب
فلاح السائل من كتاب المشيخة للحسن بن محبوب في حديث أبي ولاد حفص
ابن سالم الحياط قال : دخلت على أبي الحسن موسى (عليه السلام) بالمدينة
وكان معي شيء فأوصله إليه ، فقال :

« أبلغ أصحابك وقل لهم : اتقوا الله عز وجل ؛ فإنكم في إمارة جبار يعني
أبا الدوانيق ، فأمسكوا ألسنتكم ، وتوقوا على أنفسكم ودينكم ، وادفعوا ما
تحذرون علينا وعليكم منه بالدعاء ، فإن الدعاء لله والطلب إلى الله يردّ البلاء ،
وقد قدر وقضى ، ولم يبق إلا إمضاؤه ، فإذا دعي الله وسئل صرف البلاء صرفاً ،

(١) إحقاق الحق ١٩/٥٤٣ ، كلمة (أنا).

(٢) ومنها المنل السائر : (ملكت فاسجع) من قول عائشة لعلي (عليه السلام) يوم الجمل ، أي
قدرت فاعف فجهّرها عند ذلك وبعث معها أربعين ، وقليل : سبعين امرأة حتى قدمت المدينة
قال محمد بن غالب :

* ملكت فاسجع وزع بالزمام *

* أمعشر تيه قد ملكتم فاسجعوا *

المستقصى ٢/٣٤٨ ، مقتطف.

فألحوا في الدعاء أن يكفيكموه الله .

قال أبو ولّاد : فلما بلغت أصحابي مقالة أبي الحسن (عليه السلام) قال : ففعلوا ودعوا عليه ، وكان ذلك في السنة التي خرج فيها أبو الدوانيق إلى مكة فمات عند بئر ميمون قبل أن يقضي نسكته ، وأراحنا الله منه .

قال أبو ولّاد : وكنت تلك السنة حاجاً فدخلت على أبي الحسن (عليه السلام) فقال : يا أبا ولّاد كيف رأيتم نجاح ما أمرتكم به وحشتكم عليه من الدعاء على أبي الدوانيق ؟ يا أبا ولّاد ما من بلاء ينزل على عبد مؤمن فيلهمه الله الدعاء إلاّ كان كشف ذلك البلاء وشيكا ، وما من بلاء ينزل على عبد مؤمن فيمسك عن الدعاء إلاّ كان ذلك البلاء طويلاً ، فإذا نزل البلاء فعليكم بالدعاء «^(١)» .

أقول : تعتبر الكلمة من الحكم إن لم تكن من الأمثال السائرة على اللسان .

أفاد الحديث أن السبب لكشف البلاء النازل الدعاء ، وأن طول البلاء ، أو قصره مسبب عن إلهام الدعاء ، أو نسيانه فمن ألهم الدعاء فله بشارة قصر البلاء وارتفاعه ، وإن كانت الأخرى أعني نسيان الدعاء فالبلاء تطول مدته فلا يأمن الناسي من البلية واشتدادها كما دلّ عليه قوله (عليه السلام) : وما من بلاء ينزل على عبد مؤمن فيمسك عن الدعاء إلاّ كان ذلك البلاء طويلاً ، وعلى الأخرى أي الملهم : « ما من بلاء ينزل على عبد مؤمن فيلهمه الله الدعاء إلاّ كان كشف ذلك البلاء وشيكا » .

وهل تجد من الحثّ على الدعاء والترغيب كهذا الحثّ والترغيب ولم يقنع (عليه السلام) بذلك بل قال في آخر كلامه : « فإذا نزل البلاء فعليكم بالدعاء » .

ولعلَّ السرَّ في ابتلاء العباد ، أو استمراره إثارة خضوعهم وتضرُّعهم إلى الله عزَّ وجلَّ والتذلل الذي هو حقيقة العبودية قال تعالى : ﴿ فَأَخَذْنَا هُمْ بِالْبِئْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴾^(١) ، و ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبِئْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ ﴾^(٢) .

لكي يتضرَّعوا ويتوبوا ويتذللوا^(٣) وصريح الآيتين أنَّ ابتلاء العباد بالبؤس والضَّرَّ لأجل حصول التضرُّع ، أوجانه.

ووجه آخر يصلح علَّة لعروض البلاء هو دفع الطغيان والإعجاب بالنفس ، أو استغنائها المسبَّب لطغواها فيبتلى ببلاء لا يستطيع عنها ذهاباً إلا بالتذلل لله تعالى والدعاء والطلب منه الكشف عمَّا هو فيه فإذا فعل ذلك ذهب البلاء بأسره.

٦٩

إِذَا وَعَدَ أَنْجَزَ

كلمة يباثلها المثل الجاري على الألسن : (الْمُؤْمِنُ إِذَا وَعَدَ وَفَى) . وهي من كلام الإمام الكاظم (عليه السلام) قد رواه الشيخ الكليني (طاب ثراه) بإسناده إلى العباس بن هلال الشامى مولى أبي الحسن (عليه السلام) من حديث قال فيه :

« وَإِنَّمَا يَحْتَاجُ مِنَ الْإِمَامِ فِي أَنْ إِذَا قَالَ صَدَقَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَنْجَزَ ، وَإِذَا حَكَمَ عَدَلَ ؛ إِنَّ اللَّهَ لَا يَحْرِمُ طَعَاماً ، وَلَا شَرَاباً مِنْ حَلَالٍ ، وَإِنَّمَا حَرَّمَ الْحَرَامَ قَلّاً ، أَوْ

(١) الأنعام : ٤٢ .

(٢) الأعراف : ٩٤ .

(٣) تفسير الصافي ١/٥٩٨ .

كثُر ، وقد قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ قَلَّ مِنْ حَرَمٍ زِينَةٌ اللَّهُ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ... ﴾^(١) «^(٢)» .

تقدّم الكلام حول « إذا قال صدق »^(٣) ، و « إذا حَكَمَ عدلٌ »^(٤) ، وذكرنا للأول المثل السائر : (النجاة في الصدق)^(٥) و (الهلاك في الكذب)^(٦) . وللثاني : (إذا تولّى عقْدَ شيءٍ أحكمه)^(٧) .

قوله (عليه السلام) : « إذا وعدَ أنجز » ثالث كلمات الحديث .

إنجاز الوعد :

الإنجاز : الوفاء من غير بطل ، قال ابن فارس : التون والجيم والزاي أصل صحيح يدلّ على كمال شيءٍ من غير بطل . يقال : نجز الوعد ينجز ، وأنجزته أنا : أعجلته وأعطيته ما عندي حتى نجز آخره أي وصل إليه آخره . وبعه ناجزاً بناجز ، كقولهم : يداً بيد : تعجلاً بتعجيل . والمناجزة في الحرب : أن يتبارز الفارسان : أي يعجلان القتال لا يتوقّفان^(٨) .

الوعد :

إن الوعد الغالب على استعماله في الخير إذا جاء مطلقاً ، والوعيد في الشرّ . قال ابن الأثير : قد تكرر ذكر « الوعد والوعيد » فالوعد يستعمل في الخير والشرّ . يقال : وعدته خيراً ووعدته شرّاً ، فإذا أسقطوا الخير والشرّ قالوا

(١) الأعراف : ٣٢ .

(٢) الكافي ٦ / ٤٥٣ - ٤٥٤ .

(٣) حرف إذا مع القاف .

(٤) حرف إذا مع الحاء .

(٥) أمثال وحكم ١ / ٢٧٧ .

(٦) أمثال وحكم ١ / ٢٨١ .

(٧) المستقصى ١ / ١٢٣ . يضرب للرجل الحازم الجادّ في الأمور راجع المصدر نفسه .

(٨) معجم مقاييس اللغة ٥ / ٣٩٣ نجز .

في الخير : الوعد والعدة ، وفي الشرّ الإيعاد والوعيد^(١).

أقول :

قد جاء من الوعد والوعيد في القرآن والحديث ما لا يخفى على المتدبر الشيء الكثير.

قال تعالى : ﴿ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾^(٢) ، ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَهُ ﴾^(٣) . ﴿ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُمْ إِلَيَّ بِالْوَعِيدِ ﴾^(٤) . وجاء من لفظها المشتق أكثر من موضع من القرآن الكريم ، وأمّا الحديث وغيره فحدّث ولا حرج ، وليس غرضنا سوى الإشارة . وإنجاز الوعد من الكرم ، ومن علائم الإيثار وأحد الخصال الثلاث التي يتمتع بها المؤمن : صدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وإنجاز الوعد ، وأن « من عامل الناس فلم يظلمهم ، وحدّثهم فلم يكذبهم ، ووعدهم فلم يخلفهم فهو ممن كملت مروءته ، وظهرت عدالته ووجبت أخوته وحرمت غيبته » النبوي^(٥) ، والباقري : « من عرف من عبد من عبيد الله كذباً إذا حدّث ، وخلفاً إذا وعد ، وخيانة إذا اتّمن ، ثم اتّمنه على أمانة كان حقاً على الله أن يبتليه فيها ، ثم لا يخلف عليه ولا بأجره »^(٦) .

والأحاديث في لزوم الوفاء بالوعد كثيرة ، والوعد هو العهد الخاص الذي أمر العباد بإيفائه في الكتاب والسنة.

(١) النهاية ٢٠٦/٥ - وعد ..

(٢) يونس : ٥٥ .

(٣) الزمر : ٧٤ .

(٤) ق : ٢٨ .

(٥) الوسائل ٢٩٣/١٨ ، باب ٤١ من أبواب الشهادات . الحديث ١٥ .

(٦) الوسائل ٢٣٤/١٣ ، باب ٩ من أحكام الودعة ، الحديث ٥ . وفي الكافي ٦ ، ٩ في دعاء صادقي : « حتى تبغني منها في صدق الحديث ، وأداء الأمانة . ووفاء بالعهد » .

٧٠

إذا وعدتم الصبيان ففوا لهم

من حِكْم الإمام الكاظم عليه السلام ما رواه الشيخ الكليني طاب ثراه بإسناده إلى كليب الصيداوي قال : قال لي أبو الحسن عليه السلام :
« إذا وعدتم الصبيان ففوا لهم ؛ فإنهم يرون أنكم الذين ترزقونهم ؛ إن الله عزّ وجلّ ليس يغضب لشيءٍ كغضبه للنساء والصبيان »^(١).

أقول :

في الأولاد خصال مذكورة في الأحاديث.
منها الصادقي « قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله : نعم الولد البنات ملطفات ، مجّهّزات ، مؤنسات ، مباركات مقلّيات »^(٢).
« ملطّفات » من اللطف . « مجّهّزات » أي مهينّات لأموال الوالدين . ويمكن أن يقرأ على بناء المفعول : أي : يجهّزهنّ الوالد ويرسلهنّ إلى أزواجهنّ... « المقلّيات » في أكثر النسخ بالقاء... فلي رأسه : بحثه ، وفي بعض النسخ بالقاف والباء الموحّدة أي مقلّبات عند المرض من جانب إلى جانب^(٣).
والآخر : « البنات حسنات ، والبنون نعمة ، فإنما يثاب على الحسنات ، ويسأل عن النعمة »^(٤).

(١) الكافي ٥٠/٦ الوسائل ٢٠٢/١٥.

(٢) الكافي ٥/٦ ، باب فضل البنات ، الحديث ٥.

(٣) مرآة العقول ١٢/٢١.

(٤) الكافي ٦/٦ ، و ٧.

قوله عليه السلام : « إذا وعدتم الصبيان ففوا لهم » قد سبقه حديث الصادق عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أحبوا الصبيان ، وارحموهم وإذا وعدتموهم شيئاً ففوا لهم ؛ فإنهم لا يدرون إلا أنكم ترزقونهم»^(١) .
 إذا ترعرع الولد في أحضان الآداب السامية ومنها الوفاء بالوعد ، وصدق العهد ، وافتتح الحياة بالتربية الوضّاء رسخت فيه المثل العالية التي لايسهل ذهابها عنه ، وراح يواكب أدواره المتلاحقة ملؤها الوفاء والصدق ، وأن قلب الحدث كالأرض لخالية كلّ ما ألقى فيها قبلته ، وقد تمرّ على الولد سنواته الستّ إمهالاً ثم السبع بعدها للتأديب كما في الصادقي .

« أمهل صبيك حتى يأتي له ستّ سنين ثم ضمّه إليك سبع سنين فأدبه بأدبك ، فإن قبل وصلاح وإلا فخلّ عنه »^(٢) .

والآخر : « الغلام يلعب سبع سنين ، ويتعلّم الكتاب سبع سنين ، ويتعلّم الحلال والحرام سبع سنين »^(٣) .

والعلوي : « يشبّ الصبيّ كلّ سنة أربع أصابع بأصابع نفسه »^(٤) .
 والصادقي قال : « كان أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول : إذا كان الغلام ملتاث الأذرة^(٥) .صغير الذكر ، ساكن النظر فهو ممّن يُرجى خيره ، ويؤمن شرّه ، قال : وإذا كان الغلام شديد الأذرة ، كبير الذكر حادّ النظر فهو ممّن لا يرجى خيره ، ولا يؤمن شرّه »^(٦) .

(١) الكافي ٤٩/٦ ، باب الأولاد ، الحديث ٣ .

(٢) الكافي ٤٧/٦ .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) الكافي ٤٦/٦ .

(٥) الأذرة : الحصية . والالتيات الاسترخاء .

(٦) الكافي ٥١/٦ .

قال الشيخ الكليني : وروي أن أكيس الصبيان أشدهم بغضاً للكتاب^(١) .
ولعلّ البغض لسعة روح الصبي ، وطبع الصبا ، وفيه خصال أخرى
لا مجال لذكرها.

٧١

إذا وقع في نفسك شيء فتصدق على أول مسكين ثم امض

من كلمات الإمام الكاظم (عليه السلام) المختارة رواها الشيخ الحرّ عن
الفقيه بإسناده عن ابن أبي عمير أنه قال : كنت أنظر في النجوم وأعرفها وأعرف
الطالع فيدخلني من ذلك شيء فشكوت ذلك إلى أبي الحسن موسى بن جعفر
(عليهما السلام) ، فقال : إذا وقع في نفسك شيء فتصدق على أول مسكين ،
ثم امض : فإن الله يدفع عنك^(٢) .

الأول وظاهرته :

الأول وظاهرته في كلّ شيءٍ وسابقته المتميّزة به عن سائر وحداته
المتعاقبة في عمود الأزمنة والزمانيات ، وجميع الأمور النافعة أو الضارة فيمتاز
الأول منها بما تمنحها حقائقها ، أو تمنعها فيختصّ به الأكثر أثراً بعد اشتراكه
مع الوحدات الأخرى في الأسهم فمثلاً كالبسملة الكائنة في أول كل كتاب .
في باقري : « أول كل كتاب نزل من السماء بسم الله الرحمن الرحيم ،
فإذا قرأت بسم الله الرحمن الرحيم فلا تبالي إلاّ تستعيز ، وإذا قرأت بسم الله
الرحمن الرحيم سترتك فيما بين السماء والأرض »^(٣) .

(١) الكافي ٥٢/٦ .

(٢) الوسائل ٢٧٣/٨ .

(٣) الكافي ٣/٣١٣ .

ففي الابتداء بها المتحققة به الأولية لكلامه تعالى آثار وأسرار أبان الحديث عن بعضها بما سمعت من خيرات ، ومن جانب الشرور في المثل : «البادي أظلم»^(١) وفي الزيارة : «اللهم العن أول ظالم ظلم حق محمد وآل محمد...»^(٢)، ومن الحقائق الأخرى قال تعالى : ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾^(٣).

والكاظمي : « أول من كفر إبليس »^(٤) .
والصادقي : « لا تقس ، فإن أول من قاس إبليس »^(٥) وإليك من ألوان
وصور :

في نبوي : « أول من لَوّن إبراهيم ، وأول من هشم الثريد هاشم »^(٦) .
وصادقي : « قيل له : إنهم يزعمون أن أبا طالب كان كافراً ؟ فقال عليه
السلام : كذبوا كيف يكون كافراً وهو يقول :
ألم تعلموا أننا وجدنا محمداً نبياً كموسى خطّ في أول الكتب^(٧)

(١) مجمع الأمثال ٤٠١/٢ حرف الهاء.

(٢) كامل الزيارات ١٧٨ .

(٣) آل عمران : ٩٦ .

(٤) البحار ٣٢٤/٧٨ .

(٥) أصول الكافي ٥٨/١ .

(٦) الكافي ٣١٧/٦ . والمراد من التلوين الأكل الملون انظر المصدر باب الثريد .

(٧) أصول الكافي ٤٤٨/١ - ٤٤٩ .

٧٢

اذهب ، واطلب المعرفة

طلب المعرفة فريضة على كل مسلم ، والنفر للتعفّف في الدين ، والذهاب له ممّا أمر الله تعالى به كما هو محتوى الآية^(١)، وأوليأوه المعصومون (عليهم السلام) في روايات كثيرة منها كالآتي :

روى أبو جعفر محمد بن الحسن بن فروخ الصفار ، قال : حدّثنا إبراهيم بن إسحاق عن محمد بن فلان الرافي قال : كان لي ابن عمّ يقال له الحسن بن عبدالله ، وكان من أعبد أهل زمانه ، وكان يلقاه السلطان ، وربّما استقبل السلطان بالكلام الصعب يعظه ، ويأمر المعروف ، وكان السلطان يحتمل له ذلك لصلاحه ، فلم يزل هذه حاله حتى كان يوماً دخل أبو الحسن موسى (عليه السلام) المسجد ، فرآه فأدنى إليه ، ثم قال له : يا أبا علي ما أنا أحبّ إلى^(٢) ما أنت فيه ، وأسرّني بك إلاّ أنّه ليست لك معرفة ، فاذهب فاطلب المعرفة ، قال : جعلت فداك وما المعرفة ؟ فقال له : اذهب وتفقّه واطلب الحديث ، قال : عمّن ؟ قال : عن أنس بن مالك ، وعن فقهاء أهل المدينة ، ثم اعرض الحديث عليّ قال : فذهب وتكلّم معهم ، ثم جاءه فقراء عليه ، فأسقطه كلّهم ، ثم قال له : اذهب واطلب المعرفة ، وكان الرجل معنياً بدينه ، فلم يزل مترصداً أبا الحسن (عليه السلام) حتى خرج إلى ضيعة له فتبعه ولحقه في الطريق ، فقال له : جعلت فداك إنّي احتجّ عليك بين يدي الله ، فدلّني على المعرفة ، قال :

(١) التوبة : ١٢٢ : ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ ﴾ .

(٢) في نسخة «ما أحبّ إليّ ما أنت فيه» انظر البحار ٥٢/٤٨ .

فأخبره بأمر المؤمنين (عليه السلام) ، وقال : كان أمير المؤمنين (عليه السلام) بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأخبره بأمر أبي بكر وعمر ، فتقبل منه ، ثم قال : فمن كان بعد أمير المؤمنين (عليه السلام) قال : الحسن (عليه السلام) ، ثم الحسين ، حتى انتهى إلى نفسه ، ثم سكت ، قال جعلت فداك فمن هو اليوم؟ قال : إن أخبرتك تقبل ؟ قال : بلى جعلت فداك ، قال : أنا هو ، قال : جعلت فداك فشيء استدّل به ؟ قال : اذهب إلى تلك الشجرة ، وأشار إلى أمّ غيلان ، فقل لها : يقول لك موسى بن جعفر أقبلي ، قال : فأتيتها ، قال : فرأيتها والله تجبّ الأرض جبوباً حتى وقفت بين يديه ، ثم أشار إليها ، فرجعت ، قال : فأقرّ به ، ثم لزم السكوت ، فكان لا يراه أحد يتكلم بعد ذلك ، وكان من قبل ذلك يرى الرؤيا الحسنة ، ويُرَى له ، ثم انقطعت عنه الرؤيا ، فرأى ليلة أبا عبد الله (عليه السلام) فيما يرى النائم فشكى إليه انقطاع الرؤيا ، فقال : لا تغتم ، فإنّ المؤمن إذا رسخ في الإيـمان رفع عنه الرؤيا^(١).

لا يمتري اثنان أنّ في القرآن قصصاً عن رؤيا الأنبياء (عليهم السلام) كإبراهيم ويوسف ، والرسول (صلى الله عليه وآله وعليهم) ، فهل ترى أنّهم لم يرسخوا في الإيـمان ؟ فقال رفعت عنهم الرؤيا لرسوخهم في الإيـمان ، أو أنّ للرؤيا تفسيراً آخر لا ينافي الرؤيا مع الرسوخ فيه ؟ اختر ماشئت ، ولعلها المراد بها البعض ، وإلّا فكيف رأى الإمام الصادق (عليه السلام) فيما يراه النائم ، ولاريب أنّ الخطاب لا يشمل مورده للزوم ذلك من سلب المورد أيضاً فهذا دليل على أنّ الغرض منه بعض أقسام الرؤيا.

قوله (عليه السلام) : « اذهب ، واطلب المعرفة » يريد بها العقائد الصحيحة من النبوة والإمامة التي كان يفقدها الرجل ، وقد أدركه اللطف

(١) بصائر الدرجات ٢٧٤ - ٢٧٥ ، الجزء الخامس ، الباب ١٢ ، الحديث ٦ ، البحار ٤٨ / ٥٢ -

الرباني حيث أقرّ بالحق من إمامة الأئمة المعصومين ومنهم الإمام الكاظم (عليهم السلام) ، ولولاها لم تقبل الأعمال مهما كان نوعها ؛ لأنّ طاعة الإمام المعصوم والإقرار بإمامته هي طاعة الله تعالى ، والإقرار به بعد الرسول ، قال عزّ وجلّ : ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾^(١) ، و ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٢) . هم الأئمة المعصومون (عليهم السلام) لا غير ، ورواياتنا تفسرها بهم^(٣) فحسب.

ثم طلب العلم فريضة على كلّ مسلم مروى عنهم^(٤) وآية النفر ترغّب الطوائف من كلّ الفرق إلى الذهاب للتفقه في الدين ، وإنذار أقوامهم بعد الرجوع إليهم ليحذروا عن مخالفة الله تعالى ، والرسول ، وكلّ من تجب عليهم طاعته .

ومن المعلوم أنّ التفقه في الدين هو المعرفة بأصوله وفروعه ، وآدابه وسننه كما أنّ المراد بطلب العلم هو ذلك ، ويشهد له الحديث النبوي «إنما العلم ثلاثة : آية محكمة ، أو فريضة عادلة ، أو سنة قائمة . وما خلاهنّ فهو فضل»^(٥) .

الآية المحكمة : العقائد العقلية التي لا تحمل ريباً ، والفريضة العادلة : الأحكام الشرعية الفرعية ، والسنة القائمة : الآداب والأخلاق ، وقد فصلنا ذلك عند «أحمد العلم عاقبة ...»^(٦) .

(١) النساء : ٨٠ .

(٢) النساء : ٥٩ .

(٣) تفسير نور الثقلين ١/٤١٢ - ٤٢٦ ، وفيه ٢٥ حديثاً ، تفسير البرهان ١/٣٨١ - ٣٨٦ ، الغدير ١/١٦٥ ، ١٦٦ ، ج ٣/١٦٥ .

(٤) أصول الكافي ١/٣٠ .

(٥) المصدر ٣٢ .

(٦) الهزمة مع الحاء .

٧٣

اربطوا نعم ربكم تعالى بالشكر

روى السيد ابن طاووس بإسناده إلى أبي الوضاح محمد بن عبد الله النهسلي عن أبيه قال : سمعت الإمام ابا الحسن موسى بن جعفر عليها السلام يقول :

« التحدّث بنعم الله شكر ، وترك ذلك كفر ؛ فارتبطوا نعم ربكم تعالى بالشكر »^(١).

النعم وشكرها.

ما من شيء إلا وإلى جنبه حق مضيع ، ونعمة مكفورة ، وكم من نعمة لله تعالى على الإنسان لم يشكرها ، ولم يؤدّ أدنى حقها ، ألم يجعل الله له عينين ولساناً وشفقتين ، وهدهد النجدين : نجد الخير ونجد الشر ، والرشد والغى وسائر نعمه عزّ وجلّ عليه ظاهرة وباطنة ، فلو تغيّر أو تبدّل شيء منها في خارج جسده ، أو داخله لاختل نظام وجوده ، فضلاً عن الآلاء الكونية المسخرة له من سماء وأرض وماء وهواء ، ومن شجر ومدر ، وما خلق الله من شيء مما يرى وما لا يرى فإنّها كلّها نعم والآء في جنبها حقوق مضيّعة.

قوله عليه السلام : « التحدّث بنعم الله شكر ... » يأتي بيانه^(٢).

« فارتبطوا نعم ربكم بالشكر » تماثله الكلمة الرضوية : « إنّ النعم كالإبل المعقولة في عطّنها على القوم »^(٣) ، والصادقية : « أحسنوا جوار النعم . قيل : وما

(١) مهج الدعوات ٢١٨ ، البحار ٤٨/١٥٠ ، ٩٤/٣١٨.

(٢) حرف التاء مع الحاء.

(٣) عيون أخبار الرضا ١١/٢ ، وحرف الهمزة مع النون . والعطن مناخ الإبل.

جوار النعم؟ قال: الشكر لمن أنعم بها وأداء حقوقها»^(١).

أدنى الشكر:

« أدنى الشكر رؤية النعمة من الله من غير علة يتعلق القلب بها دون الله ، والرضا بها إعطاه ، وأن لا تعصيه بنعمته وتخالفه بشيء من أمره ونهيه بسبب نعمته»^(٢) ، مروى عن الإمام الصادق عليه السلام.

ما كان لله تعالى ، وما كان للناس :

في سجادي : «إن الله يحب كل قلب حزين ، ويحب كل عبد شكور ، يقول الله تبارك وتعالى لعبده من عبده يوم القيامة : أشكر فلاناً ؟ فيقول : بل شكرتك يا رب ، فيقول : لم تشكرني ؛ إذا لم تشكره ، ثم قال : أشكركم الله أشكركم للناس»^(٣) . برواية المرحوم الكليني طاب ثراه.

وصادقي رواه الشيخ الكليني أيضاً قال : «فما أوحى الله عز وجل إلى موسى عليه السلام : يا موسى اشكرني حق شكري ، فقال : يا رب وكيف أشكرك حق شكرك وليس من شكر أشكرك به إلا وأنت أنعمت به عليّ ؟ قال : يا موسى الآن شكرتني حين علمت أن ذلك مني»^(٤) .

بعض ما يناسب الشكر :

من الأدعية والأذكار الواردة وأن من قالها فقد شكر الله عز وجل وهي

كثيرة.

منها الصادقي : إذا أصبحت وأمسيت فقل عشر مرات : « اللهم ما

(١) البحار ٧٨/٥٤.

وهي توافق الكلام الكاظمي ، إذ أداء الحقوق ربط النعم بشكرها.

(٢) البحار ٧٨/٥٢.

(٣) أصول الكافي ٢/٩٩.

(٤) أصول الكافي ٢/٩٨.

أصبحت بي من نعمة أو عافية من دين أو دنيا فمنك وحدك لا شريك لك لك الحمد ولك الشكر بها عليّ يا ربّ حتى ترضى وبعد الرضا». فإنك اذا قلت ذلك كنت قد أدّيت شكر ما أنعم الله به عليك في ذلك اليوم وفي تلك الليلة^(١).

الشكر:

في الشكر أبحاث : حقيقته ، ووجوبه ، وأدناه ، وما كان لله تعالى ، وما كان للناس ، وبعض مناسباته . ونبذة من كلمات حول الشكر.

حقيقة الشكر :

في صادقي : « شكر النعمة اجتناب المحارم ، وقام الشكر قول الرجل : الحمد لله ربّ العالمين »^(٢).

وعلوي : « شكر كل نعمة الورع عما حرّم الله »^(٣).

وصادقي : « من أنعم الله عليه بنعمة فعرفها بقلبه فقد أدى شكرها »^(٤).

وأخر : « هل للشكر حدّ إذا فعله العبد كان شاكرًا ؟ قال : نعم ، قلت : وما هو ؟ قال : يحمد الله على كل نعمة عليه في أهل ومال ، وإن كان في ماله حق أدّاه ، ومنه قوله عزّ وجلّ : ﴿ سبحان الذي سخّر لنا هذا وما كنّا مقرّنين ﴾ »^(٥).

وجوب الشكر :

في علوي : « لو لم يتوعّد الله سبحانه على معصيته ، لكان يجب أن لا

(١) أصول الكافي ١/٩٩.

(٢) أصول الكافي ٢/٩٥.

(٣) البحار ٧١/٤٢.

(٤) أصول الكافي ٢/٩٦.

(٥) الزخرف : ١٣ ، أصول الكافي ٢/٩٦.

يعصى شكراً لنعمه»^(١).

وآخر: «أقل ما يلزمكم لله ألا تستعينوا بنعمه على معاصيه»^(٢).
وصادقي: «في كل نفس من أنفاسك شكر لازم لك بل ألف شكر
وأكثر»^(٣).

وآخر: «ما من عبد إلا والله عليه حجة إما في ذنب اقترفه، وإما في نعمة
قصر في شكرها»^(٤).

نبذة من الكلمات حول الشكر المثلية الحكيمية:
النعمة وحشية، إن شكرت قرّت، وإن كُفرت فرّت.
الشكر قيد النعمة، ومفتاح الزيادة، وثمر الجنة.
من كنت طليق برّه فلتكن أسير شكره.
النعمة كالروضة، والشكر كالزهرة.
شكر المولى هو الأولى.
الشكر صوان النعمة ومادة الزيادة.
الشكر ترجمان النية، ولسان الطوبة.
الشكر هو السبب إلى الزيادة، والطريق إلى السعادة.
الشكر لمن أنعم عليك، وأنعم على من شكرك.
من شكر قليلاً استحق جزيلاً.
النعمة عروس مهرها الشكر.
إذا نزلت بك النعمة ضيفاً، فاجعل قراها الشكر.

(١) النهج ١٩/١٩١، الحكمة ٢٩٦.

(٢) البحار ٧٣/٣٦٤.

(٣) البحار ٧١/٥٢.

(٤) البحار ٧١/٤٦، أمالي الشيخ الطوسي ١/٢١٥.

كلّ من أولى نعمة فهو عبدها حتى يعتقه شكرها ، ومن شكرها فقد استوجب مزيدها .

الشكر ازكى [مقال ، ولشوارد النعمة أوثق عقال] .

موقع الشكر من النعمة موقع القرى من الضيف ، إن وجدته لم يرم ، وإن فقدته لم يقم .

الشكر قيمة لتنام النعمة .

إن قصرت يدك عن المكافأة فليطل لسانك بالشكر^(١) .

٧٤

أربعة من الوسواس : أكل الطين، وفّت الطين...

من الكلمات المختارة المأثورة عن سابع الأئمة الأطهار عليهم السلام لمن رام النبيل .

من النبيل الارتفاع عن خسائس الأمور التي ألفت الإمام الكاظم عليه السلام النظر إليها حيث قال :

« أربعة من الوسواس : أكل الطين ، وفّت الطين ، وتقليم الأظفار بالأسنان ، وأكل اللحية »^(٢) .

كما أنّ من الجمال منح الكريمتين ثلاثاً أشار إليها بقوله عليه السلام :
« وثلاث يجلين البصر : النظر إلى الخضرة ، والنظر إلى الماء الجاري ،

(١) التمثيل والمحاضرة ٤١٦ - ٤١٧ .

(٢) الخصال ٢٢١/١ . وفي الوسائل ٤٣٥/١ . النبوي .

والنظر إلى الوجه الحسن»^(١).

خلق الإنسان ، لينبل ؛ لا ليخس ، وإنه لا يعدّ من النبلاء من لم يختص
بخصالهم ، ولا يخرج من زمر الأخساء من لا يفارق مكتسباتهم ، وما لا يحمد
عقباه ، ومنه أكل الطين ، وإليك بعض ما جاء فيه من أحاديث :

في نبوي : « من أكل الطين فمات فقد أعان على نفسه ».

وفي علوي : « ... لا تأكله ، فإن أكلته ومّت فقد أعنت على نفسك ».

وباقري : « إن التمني عمل الوسوسة ، وأكثر مصائد الشيطان أكل

الطين ، وهو يورث السقم في الجسم ، ويهيج الداء ، ومن أكل طيناً فضعف عن
قوّته ، التي كانت قبل أن يأكله ، وضعف عن العمل الذي كان يعمل قبل أن
يأكله حوسب على ما بين قوّته وضعفه ، وعدّب عليه ».

« ... إلا طين قبر الحسين (عليه السلام) ؛ فإن فيه شفاءً من كلّ داء ،

وأمناً من كلّ خوف »^(٢).

وللحسين تربة فيها الشفا	تشفي الذي على الحمام أشرفا
ها دعاءً ان فيدعو الداعي	في وقتي الأخذ ، والابتلاع
حدّ لها الشارع حدّاً خصّصه	تحريمه ما كان فوق الحُصّة ^(٣)

والوسواس : اضطراب في النفس يصطحبه الارتباب تذهب بتلاوة القرآن،

(١) البحار ٧٨/٣٢٠.

ثلاثة يذهب عن قلب الحزن الماء ، والخضراء ، والوجه الحسن

أمثال وحكم ٥٧٣/٢.

(٢) الكافي ٦/٢٦٥ - ٢٦٦.

(٣) السفينة ٢/١٢١ - ترب - . الأمثال النبوية ٢/٢٣٩ ، عند «ممل هذه النطفة كمثل

القمر ...» ٥٣٩.

أمنال وكم الإمام الكاظم عليه السلام ج/١ ٢٨٣

وذكر الله تعالى : ﴿ لا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾^(١) ، ولا تجد عاقلاً وسواسياً مطيعاً للشيطان أبداً^(٢) .

٧٥

استحيوا من الله في سرائركم كما تستحيون من الناس في علانيتكم

ما أسأها من كلمة مثلية حكيمة لو صادفت قلباً حياً والله محباً شائقاً ، فهيناً للأنبياء والأوصياء والمقربين من عباد الله ، فإنهم منعمون بهذه النعمة والموهبة : موهبة الحياء ، وموهبة الحب والوفاء وهي من النعم العظمى لا أعظم منها نعمة ولا تنفك عن أسمى مراتب العلم بالله ومعرفته المثمرة للحياء .

وهي كلمة كاظمية قد قالها الإمام عليه السلام في كلام له لهشام بن الحكم تقتصر عليها قال روجي فداه :

« استحيوا من الله في سرائركم كما تسحيون من الناس في علانيتكم »^(٣) .

أقول :

خلق الله تعالى النفوس أطواراً منها : نفس لا تفارق الحياء منذ رأت النور ، وخرجت من ظلمات ثلاث ظلمة الصلب ، ظلمة الرحم ، ظلمة البطن . ومنها نفس علمت : فخشعت ، واستحييت من خالقها وقد راقبته في السر والعلانية ، وفي أفكارها الخافية والأخفى ، ورفضت اللذات إلا لذة الحياء والوفاء وحبّ الجمال الإلهي ، قد هجرت غمضها ، وسهرت ليلها ، وأضمرت نهارها ،

(١) الرعد : ٢٨ .

(٢) الوسائل ١/٤٦ ، الباب ١٠ من أبواب مقدمة العبادات . الحديث ١ في صادقي : « وأني عقل

له ... » .

(٣) التحف ٣٩٤ .

وَأَثَرَتْ هَوَى مَوْلَاهَا عَلَى هَوَاهَا فَطَوَّبَى لَهَا مِنْ نَفْسٍ نَفِيسَةٍ فَدَتَهَا نَفُوسٌ ؛ لِأَنَّهَا مِنْ خَيْرِ نَفُوسٍ وَأَوْفَاهَا ذِمَّةً تَنْفَعُ النَّاسَ مَا مَكَّنَهَا اللَّهُ فِي الْأَرْضِ ، وَتَمَكَّتْ فِيهَا ، وَليست هي بالأزباد الذاهبة بجفوتها جفاءً ؛ شَأْنُ كُلِّ بَاطِلٍ ﴿ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴾^(١).

ومنها نفوس جافية جاحدة للحقيقة وإن كانت مستيقنة ، أشار إليها القرآن الكريم^(٢) أيضاً.

ومنها التي قارفت الذنوب، وسحقت كل شيء جهلاً ، ولو علمت لما فعلت؛ إنها قد عاشت جاهلة كل شيء جاحدة له ، تموت ضالّة مضلّة نعوذ بالله منها. ومنها نفوس أخرى متوسطات في الهداية والضلالة ، والرشد والغواية ، وباستطاعة الجميع الوصول إلى أيّ طور منها ، والانتهاج على وفقها. وإليك من قصّة العابدة اليمينية التي ذكرها أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي المتوفى ٥٩٧ هـ بإسناده إلى محمد بن سليمان القرشي :

قال : بينا أنا أسير في طريق اليمن إذا أنا بـغلام واقف في الطريق في أذنيه قرطان في كل قرط جوهرة يضيء وجهه من ضوء تلك الجوهرة وهو يمجّد ربّه بثناء بأبيات من الشعر فسمعتة يقول :

ملك في السماء به افتخاري عزيز القدر ليس به خفاء

فدنوت منه فسلمت عليه ، فقال : ما أنا برادّ عليك حتى تؤدّي من حقي الذي يجب لي عليك ، قلت : وما حقك ؟ قال : أنا غلام على مذهب إبراهيم الخليل (صلى الله عليه) لا أتعدّي ولا أتعشى كل يوم حتى أسير الليل والليلتين

(١) الرعد : ١٧.

(٢) ﴿ وَجَعَدُوا بِهَا وَأَسْتَيْقَنَتَهَا أَنْفُسَهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ النمل : ١٤.

في طلب الضيف ، فأجبتة إلى ذلك ، فرحّب بي ، وسرت معه ، وقربنا من خيمة شعر ، فلما قربنا من الخيمة صاح : يا أختاه ، فأجابته جارية من الخيمة : يالبيكاه ، قال : قومي إلى ضيفنا ، فقالت الجارية ، حتى أبدأ بشكر المولى الذي سبّب لنا هذا الضيف ، وقامت ، فصلّت ركعتين شكراً لله ، فأدخلني الخيمة ، وأجلسني ، وأخذ الغلام الشفرة وأخذ عناقاً فذبحها ، فلما جلست في الخيمة نظرت إلى أحسن الناس وجهاً ، فكنت أسارقها النظر ، ففطنت لبعض لحظاتي ، فقالت لي : مه أما علمت أنّه قد نقل إلينا عن صاحب يثرب أنّ زناء العينين النظر ، أما إني (ما أردت)^(١) بهذا أن أوتخك ، ولكن أردت أن أؤدّبك ، لكي لا تعود لمثل هذا . فلما كان وقت النوم بُتّ أنا والغلام خارجاً ، وباتت الجارية في الخيمة ، فكنت أسمع دويّ القرآن الليل كلّه بأحسن صوت يكون وأرقه ، فلما أن أصبحت فقلت للغلام : صوت من كان ذلك؟ قال^(٢) : تلك أختي تحمي الليل كلّه الى الصباح ، فقلت : يا غلام أنت أحق بهذا العمل من أختك أنت رجل وهي امرأة ، قال : فتبسّم ، ثم قال لي : ويحك يافتى أما علمت أنّه موفق ، ومخدول^(٣).

أقول :

إن صدقت قصة العابدة اليمينية المتوفّاة في سنة ٢٦٧هـ ، كما ذكرها ابن الجوزي في كتابه المنتظم ، فقد دلّت على تألّها وعفتها ، والضيافة التي كانت من كرائم الخصال ، والنبات الذي يخرج من التربة الطيبة بإذن الله وهو الغلام الطاهر الطيب اللين ﴿ والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث

(١) في هامش المنتظم ٦٣/٥ : من صفوة الصفوة ج - ٢ .

(٢) في الأصل : «قالت» والصحيح ما كتبناه .

(٣) المنتظم ٦٢/٥ - ٦٣ ، الطبعة الأولى بمطبعة حيدرآباد الدكن ١٣٥٧هـ .

لا يخرج إلا نكدًا ﴿^(١)﴾ والحصل موروثه بالظنر . واللبن يُعدي .

ولا بأس بالإشارة الى حديث الإمام الباقر (عليه السلام) قال :
« لاتسترضعوا الحمقاء ؛ فإنّ اللبن يُعدي ، وإنّ الغلام ينزع إلى اللبن
- يعني إلى الظنر في الرعونة والحمق - .»

والعلوي : « لاتسترضعوا الحمقاء ؛ فإنّ اللبن يغلب الطباع ، قال : قال
رسول الله (صلى الله عليه وآله) لاتسترضعوا الحمقاء فإنّ اللبن يشبّ عليه »^(٢) .
قوله (عليه السلام) : « استحيوا من الله في سرائركم كما تستحيون من
الناس في علانيتكم »^(٣) . بيان لأدنى درجات الحياء ، وإلّا فأين الحياء من الله ،
والحياء من الناس وفي الدعاء « ربّ استغفرك استغفار حياء » المروي ذكره
بعد زيارة الإمام الرضا (عليه السلام)^(٤) .

٧٦

استمسك بعروة الدين آل محمد

من الكلمات المختارة المروية التي عروتها من أوثق العرى لمن رام الهدى
جاء ذلك في كتاب جوايي للإمام الكاظم عليه السلام وهو في الحبس عن أسئلة
علي بن سويد تقدّم بعضها في غضون الأبحاث . ولبيان ربط الكلمة المختارة ما
يلي :

« إنّ أوّل ما أنهي اليك أنّي أنعى إليك نفسي في ليالي هذه غير جازع

(١) الأعراف : ٥٨ .

(٢) الوسائل ١٥/١٨٨ ، الباب ٧٨ من أبواب أحكام الأولاد ، الحديث ٢ ، ٣ .

(٣) هي الكلمة المصدرة التي نحن بصددتها .

(٤) البحار ١٠٢/٥٦ .

ولا نادم ، ولا شاك فيما هو كائن مما قد قضى الله جلّ وعزّه وحتم ، فاستمسك بعروة الدين آل محمد والعروة الوثقى الوصي بعد الوصي والمسألة والرضا بما قالوا ، ولا تلمسنّ دين من ليس من شيعتك ، وتحبّنّ دينهم ؛ فإنهم الخائنون الذين خانوا الله ورسوله وخانوا أماناتهم...»^(١).

قال الشيخ الكليني (طاب ثراه) :

قبض (عليه السلام) لسّت خلون^(٢) من رجب سنة ثلاث وثمانين ومائة وهو ابن أربع أو خمس وخمسين سنة وقبض ببغداد في حبس السندي بن شاهك ، وكان هارون حمله من المدينة لعشر ليال بقين من شوال سنة تسع وسبعين ومائة وقد قدم هارون المدينة من عمرة شهر رمضان ، ثم شخص هارون إلى الحجّ وحمله معه ، ثم انصرف على طريق البصرة فحبسه عند عيسى بن جعفر ، ثم أشخصه إلى بغداد ، فحبسه عند السندي بن شاهك ، فتوفي في حبسه ودفن ببغداد في مقبرة قريش...^(٣) قوله (عليه السلام) : « فاستمسك بعروة الدين آل محمد » بيان للتلازم بين الأمرين وعدم انفكاكها ولعل في آية ﴿ لا إكراه في الدين - إلى - فقد استمسك بالعروة الوثقى لانفصامها... ﴾ في الآية^(٤) : إشارة إلى التلازم بعد ورود حديث استمسك العروة ، وتفسيره بآل محمد (عليهم السلام) ؛ لأنّه قد جمع بين الأمرين : الدين ، والاستمسك بالعروة في آية واحدة . نظير حديث الثقلين : الكتاب والعترة وأنها لن يفترقا حتى يردا على النبي (صلى الله عليه وآله) الحوض ، ولن يضلّ المتمسك بهما أبداً^(٥) فهو

(١) روضة الكافي ١٢٤ - ١٢٥ ، البحار ٤٨/٢٤٣ .

(٢) وفي كشف الغمّة أنّه مات لحمس بقين من رجب . وكانت ولادته سنة ثمان وعشرين وقيل تسع ... ص ٢٤٣ .

(٣) أصول الكافي ٤٧٦ ، وفيه أنّه ولد عليه السلام بالأبواء سنة ثمان وعشرين ومائة .

(٤) البقرة : ٢٥٦ .

(٥) أحد أجزاء (عبقات الأنوار) خاصّ به .

والحديث شيء واحد.

ثم الخطاب عامّ شامل لغير علي بن سويد أيضاً لعموم الحكم غير المختصّ به.

والاستمسك بالأخذ بشدّة ، وتمثيل الدين بذي العروة وهي كيدٍ للشيء ضرب له لتقريب الذهن للمعلوم اليقيني بالمشاهد المحسوس ، وفي القرآن الكريم آيتان الأولى ﴿ ومن يُسلم وجهه إلى الله وهو محسنٌ فقد استمسك بالعروة الوثقى ﴾^(١) والثانية : ﴿ فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى ﴾^(٢) تماثلها الكلمة الجارية . وليس الغرض من التمثيل هنا أو هناك إلاّ العمل بالكتاب وأهل البيت (عليهم السلام) والسير على ضوء نهجها ، والأخذ بالأمر الثابت الراسخ . وفي المجمع : « لاتشدّ العرى إلاّ إلى ثلاث » هي جمع عروة يريد عرى الأحمال والرواحل^(٣).

والمثل بذلك ليس كما تقدّم سوى التقريب وقد جاء في نبوي : « من أحبّ أن يتمسك بالعروة الوثقى فليتمسك بحبّ علي بن أبي طالب (عليه السلام) »^(٤) وفي آخر قال (صلى الله عليه وآله) لعلي « أنت العروة الوثقى »^(٥) وإذا ثبتت فضيلة لأحدهم فهي ثابتة لجميعهم (عليهم السلام) إلاّ الخصائص وفي الحديث « أولنا محمد وأوسطنا محمد وآخرنا محمد »^(٦) دلالة على ذلك.

(١) لقمان : ٢٢ .

(٢) البقرة : ٢٥٦ .

(٣) مجمع البحرين - عرا - .

(٤) البحار ١٧/٣٦ .

(٥) البحار ٢٠/٣٦ .

(٦) مصابيح الانوار ٣٩٩/٢ .

وهم فلك نوح خاب عنه المخلف
وعروته الوثقى توارى وتكنف

هم السوجه وجه الله والجنب جنبه
هم الباب باب الله والجبل حبله

٧٧

اسجدي لربك

كلمة مختارة لتعليم الصغار ، والكبار ، وهي كلمة حكمة بالغة لمن أراد الاعتبار ، قالها الإمام الكاظم (عليه السلام) وهو صبي يدرج ، قد رواها الشيخ الكليني قال :

الحسين بن محمد عن معلى بن محمد عن الوشاء عن علي بن الحسن عن صفوان الجمال قال : سألت أبا عبدالله (عليه السلام) عن صاحب هذا الأمر ، فقال : إن صاحب هذا الأمر لا يلهو ، ولا يلعب .

وأقبل أبو الحسن موسى ، وهو صغير ، ومعه عنق مكيّة وهو يقول لها : اسجدي لربك ، فأخذ أبو عبدالله (عليه السلام) ، وضّمه إليه ، وقال : بأبي وأمي من لا يلهو ، ولا يلعب^(١) .

قال العلامة المجلسي :

« لا يلهو » أي لا يغفل عن ذكر الله . « ولا يلعب » أي لا يفعل ما لا فائدة فيه ، لافي صغره ، ولا في كبره ، وإن صدر منه شيء يشبه ظاهراً فعل الصبيان ففي الواقع مبني على أعراض صحيحة ، ولا يغفل عند ذلك عن ذكره سبحانه ، كما أنه (عليه السلام) في حالة اللعب الظاهري كان يأمر العنق بالسجود لربه تعالى^(٢) .

(١) أصول الكافي ١/٣١١ ، إرشاد المفيد ٢٩٠ ، مناقب ابن شهر آشوب ٤/٣١٧ - ٣١٨ ، البحار

.١٩/٤٨

(٢) مرآة العقول ٣/٣٣٨ - ٣٣٩ .

العناق : الأنتى من أولاد المعز ما لم يتم لها سنة^(١).
إذا كان عيسى يقول كما اقتصر الله تعالى عنه : ﴿ فأشارت إليه قالوا
كيف نكلّم من كان في المهدي صبياً * قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني
نبياً * وجعلني مباركاً أين ما كنت وأوصاني بالصلوة والزكوة ما دُمْتُ
حيّاً ﴾^(٢). فلم يبق كلام حول تكلم الإمام المعصوم وهو صبيّ ويقول للعناق
« اسجدى لربك »، ومن عرف شروط الإمامة عند الإمامية فلا يصعب عليه
القبول.

٧٨

أسرع الخير ثواباً البرّ

كلمة تحثّ على فعل الخير من كلام الإمام الكاظم عليه السلام لهشام بن
الحكم ، وهي من الحكم قال :
« يا هشام بنس العبد عبد ذا وجهين ، وذا لسانين يطري أخاه إذا شاهده
ويأكله إذا غاب عنه إن أعطي حسده ، وإذا ابتلي خذله . إن أسرع الخير ثواباً
البرّ ، وأسرع الشرّ عقوبة البغي »^(٣).
أقول :

الإسراع في الأمر خيراً أو شراً خلاف البطء والمصارعة : المبادرة وعدم

(١) المصدر ٣٣٨.

(٢) مريم : ٢٩ - ٣١ وللحديث زيادة في البحار ١١٧/٤٨ نقلاً عن غيبة النعماني ولفظه يختلف لما
هنا فراجع.

(٣) تحف العقول ٣٩٥.

التأخير والغالب على الكلمة تعقب آثارها مباشرة ، وقد جاء التمثيل بالأسرعية في أشياء تعتبر من الأمثال السائرة المضروبة للسرعة فيما يلي :

أسرع من البرق.

أسرع من الريح.

أسرع من السيل إلى الحدور.

أسرع من الطرف : هو تحريك الجفون في النظر.

أسرع من الماء إلى قراره.

أسرع من حلب شاة.

أسرع من قول قطاقطاً ويمثل بها في الصدق... لأن صوتها قطا كاسمها

تسميها العرب الصدوق^(١).

أسرع من الملح.

أسرع من لفت رداء المرتدي^(٢).

والبر اسم لكل خير بهاله من صنوف والخير يعرفه الجميع.

٧٩

أسرع الشرّ عقوبة البغي

كلمة تحذير تقال للكف عن الظلم والتجاوز ، على ضدّ السابقة المضروبة للترغيب. والكلمة ملتحقة بالأولى ، وفيها يلي رابطة الالتحاق قال عليه السلام قال :

(١) المستقصى ٢٠٦/١.

(٢) المستقصى ١٦٠/١ - ١٦٦.

« إنَّ أسرع الخَيْرِ ثواباً البرّ ، وأسرع الشرِّ عقوبة البغي »^(١) .
وكما عرفت في الفقرة المتقدّمة الذكر عدداً من ضرب الأمثال السائرة
للسرعة ، فخذ عدداً آخر منها وهو قولهم :
أسرع غدراً من الذئب . قال الفرزدق :
[الطويل] :

وأنت امرءٌ يا ذئب والغدر كنتما أخيين كانا أرضعا بلبان
أسرع غضباً من الإشارة .
أسرع من البين .
أسرع من النار في يبس العرفج^(٢) .
أسرع من الخذروف : هو حجر أو عود أو قصبه مشقوقة يفرض في
وسطها ثم تشدّ بخيط ، فإذا مدّ ، دارت وسمع لها حفيف ، يلعب بها الصبيان ،
وتُسمّى (الحرّارة) . والخذروف السريع من هذا . وخذروف يقوائمه قال امرؤ
القيس :

[الطويل] :

دريراً كخذروف الوليد أمره تتابع كفيه بخيط موصل

أسرع من السّم الوحيّ : هو السريع القتل .
أسرع من الشفرة إلى سنام البعير .
أسرع من النار تدنّي من الحلفاء .
أسرع من رجع العطاس .

(١) التحف ٣٩٥ .

(٢) العرفج بفتح فسكون : شجر معروف ينبت في السهل الواحدة عرفجة . مجمع البحرين -
عرفج .

أسرع من شرارة في قصباء.

أسرع من طرف العين ، ويروى من طرف الموق قال :

[الرجز]

أسرع من طرف الموق وطائر وذئ فوق

أي السهم :

أسرع من فريق الخيل : هو السابق ؛ لأنه يتجرّد عنها ويفارقها.

أسرع من المهثثة : هي النّامة . ويروى بالتاء ، وقيل هي التي تقول

في كلامها : هت هت.

أسرع من لمع وميض البرق^(١).

إنما ذكرنا هذه الأمثال لأدنى علقه بالأسرعيّة من بعض الأشياء ، ولم يذكر في الكلمة التي نحن في صدها من أسرعية العقوبة متعلّقها الآخر غير البغي ، يريد (عليه السلام) بقوله : «أسرع الشرّ عقوبة البغي» أن لكلّ شرّ عقوبة ولكنّ البغي وهو الظلم أسرعها ، وأفضعها عقوبة وهو كذلك ؛ للنبي المروي : «إنّ أعجل الشرّ عقوبة البغي»^(٢).

ومن ثم جاء التحذير المشدّد من الابتداء بالقتال ، وأنّ البادي أظلم ، أو أنّ البادي باغٍ وكان أمير المؤمنين (عليه السلام) يحذّر أصحابه من ذلك وأهل البيت (عليهم السلام) كانوا كذلك ، والمنع من طلب المبارزة . وإذا طلبت أجاب. وإليك المثل السائر : البادي أظلم ؛ أي من بدأ بالظلم فهو أظلم من المجازي به ؛ لأنّه سبّب تهيّجه^(٣).

(١) المستقصى ١/١٦٠ - ١٦٦.

(٢) الوسائل ١١/٣٣٤.

(٣) المستقصى ١/٣٠٤.

والحديث النبوي : « لو بغى جبل على جبل لهلك الباغي »^(١) ،
والعلوي : « لا تقاتلوا القوم حتى يبدؤكم... »^(٢) .

٨٠

الأسير عيال الرجل

جاءت هذه الكلمة المختارة في ضمن كلام الإمام الكاظم عليه السلام تطبيقاً للأسير المذكور في آية الإطعام على العيال وأنهم من المصاديق له ، ولربطها به ما يلي من رواية الشيخ الكليني طاب ثراه .

محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن عيسى عن معمر بن خلاد عن أبي الحسن عليه السلام قال : ينبغي للرجل أن يوسع على عياله كيلا يتمنوا موته ، وتلا هذه الآية : ﴿ وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مَسْكِينًا وَيتِيًّا وَأَسِيرًا ﴾^(٣) ، قال : الأسير عيال الرجل ، ينبغي للرجل إذا زيد في النعمة أن يزيد أسراه في السعة عليهم . ثم قال : إن فلاناً أنعم الله عليه بنعمة فمنعها أسراه ، وجعلها عند فلان ، فذهب الله بها . قال معمر : وكان فلان حاضراً^(٤) .
أقول :

وله عليه السلام حديث آخر يرمي مرماه ، قال : « عيال الرجل أسراؤه ، فمن أنعم الله عليه بنعمة فليوسع على أسرائه ، فإن لم يفعل أوشك أن

(١) الوسائل ١١/٣٣٤ ، وفيه الآخر : «... لجعل الله الباغي منها دكاً» .

(٢) الوسائل ١١/٦٩ .

(٣) الإنسان : ٨ .

(٤) الكافي ٤/١١ ، الوسائل ١٥/٢٤٨ .

تزول تلك النعمة»^(١).

والأصل فيه قول الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : « عيال الرجل اسراؤه ، وأحبّ العباد إلى الله عزّ وجلّ أحسنهم صنعا إلى أسرائه »^(٢).

قال الشيخ الطريحي :

الأسير الأخيذ ، أخذاً من الإِسار بالكسر وهو القد ، كانوا يشدّون الأسير بالقد^(٣) ، فسَمِيَ كلُّ أخِيذ أسيراً ، وإن لم يؤسر به ، يقال : أسرت الرجل أسيراً وإساراً من باب ضرب فهو أسير ومأسور ، وامرأة أسير أيضاً ، والجمع أسرى وأسارى كسكرى وسكارى ، وفي الحديث : « الأسير عيال الرجل ينبغي إذا زيد في النعمة.... » .

يريد بالحديث هو الذي نحن في صده . وعيال الرجل زوجته وولده ، وكلّ من يعوله وفي كفالاته في الإنفاق . وليس المقصود بالأسير الأخيذ في ساحة الحرب ، ولا من غيرها ، ولعلّ وجه مشابهة العيال بالأسير عدم الاستقلال ، وأنهم لا يملكون أمرهم كالأسير ؛ لأنّه ليس للزوجة أن تتخذ زوجاً آخر وهي تحته ، ولا الخروج من البيت من غير إذنه ، ويجب عليها التمكين متى أرادها الزوج والاستمتاع بأسرها وفي إزاء ذلك على الرجل النفقة وحق القسم في أربعة أشهر ، وغير ما ذكرنا من شئون الزوجية من القيمومة والكفالة التي تسكن إليها الزوجة وصون كرامتها ، ولبقاء النسل شرّعت هذه الأمور ، ولولا ذلك ، لما ساغ التعبير بأسر العيال في العقول ، فإنّ الناس أحرار لم يجعل الله لأحد على أحد

(١) الوسائل ١٤/١٢٢ و ١٥/٢٤٥.

(٢) الوسائل ١٤/١٢٢.

(٣) القد كفلس : جلد السخلة الماعزة . وسير يقد من جلد غير مدبوغ . مجمع البحري - قدد - .

(٤) مجمع البحرين - أسر - .

سبباً إلا بأسباب مفقودة للتعبيد بعد عصر النبوة على تفصيل مذكور في الفقه، ومن هنا جاء في كلام امير المؤمنين لابنه الحسن (عليهما السلام) : « ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً »^(١) وإنا العبودية لله عز وجل ، وأما غيره تعالى فلا يكون إنسان عبداً لمثله أو أسيراً له ، نعم إذا أمر الله بذلك وجب أن يكون كذلك . وكيف كان فقد بان الغرض من الأسير في الحديث.

٨١

اشتد مؤونة الدنيا والدين

من كلمات الإمام الكاظم (عليه السلام) الحكيمية التي تعطي المقارنة بين الدنيا والآخرة بأروع بيان بأن قال :

« اشتد مؤونة الدنيا والدين ، فأما مؤونة الدنيا فإنك لا تمد يدك إلى شيءٍ منها إلا وجدت فاجراً قد سبقك إليه ، وأما مؤونة الآخرة فإنك لا تجد أعواناً يعينوك عليه »^(٢).

أقول : .

ظاهرة المؤونتين من الطائفتين ظاهرة ؛ فإن من الأمم السابقة كفرعون وهامان وقارون وقرون قبل ذلك وبين ذلك كثيرة ، ومن اللأخقة طواغيت العصور إلى يومنا الحاضر تجدهم يعيشون في الفسوق ، وأنواع الفجور ، ومن ثم جاء التشدد للدخول في دواوينهم وإعانتهم حتى قط القلم لهم ، لأنهم الظلمة الخاضعون لأموال العباد ، العاثون في كل البلاد ، من تقتيل أهلها وتذليل أعزتها ، وإباحة الحرمات ، وركوب العظائم وسحق الحقوق ، والحقائق الذين

(١) النهج ٩٣/١٦ . الكتاب ٣١ .

(٢) التحف ٤٠٩ . البحار ٢٤٦/٧٨ . ٣٢٠ .

قامت الدنيا القانية بهم قيام فضائح وفجائع ، وانحراف قال تعالى : ﴿وَأَلَوْ
استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماءً غدقاً﴾^(١).

« وأما مؤونة الآخرة فإنك لا تجد أعواناً يعينونك عليه » ، إذ أن أهل
الآخرة وهم المؤمنون قليلون ، والذي يراعي الذمم والحقوق ، ويقوم بها أقل
قليل ، بل لا يوجدون كما قال عليه السلام ، وهل ذلك في زمانه ، أو كافة الأزمنة .
قال أمير المؤمنين عليه السلام : « أيها الناس لا تستوحشوا في طريق
الهدى لقلّة أهله ؛ فإنّ الناس اجتمعوا على مائدة شبعها قصير ، وجوعها
طويل »^(٢).

فهل تختلف إعانة الهدى وترغيب الآخرة بالقياس إلى العصور ؟
الجواب : نعم ، فإنّ الكلام العلوي دالّ على القلّة ، والكاظمي على العدم
إلا أن يقال : كلّ ينظر إلى ما لا ينظر الآخر .

٨٢

أصبحتُ وأمسيْتُ في حمى الله الذي لا يستباح

كلمة تعويد ولجوء إلى حصن الله الحصين ، والإيماء والإصباح فيه ،
وتقال في كل مساء وصباح ، وتقام ساعات العمر ، ولا غناء لأحد عنه أبداً ، وتنفع
لدفع شرّ كلّ ذي شرّ .

قال السيد ابن طاووس طاب ثراه :

ومن ذلك^(٣) عوذة مولانا الكاظم صلوات الله عليه لما ألقى في بركة

(١) الجَنّ : ١٦ .

(٢) النهج ١٠/٢٦١ ، الخطبة ١٩٤/١٠

(٣) لأنّه رحمه الله تقدّم منه رواية الأدعية والعوذات .

السباع:

بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله وحده وحده أنجز وعده ، ونصر عبده ، وأعزَّ جنده ، وهزم الأحزاب وحده ، والحمد لله ربَّ العالمين . أصبحت وأمسيّت في حمى الله الذي لا يستباح ، وستره الذي لا تهتكه الرياح ، ولا تُخرقه الرماح ، وذمّة الله التي لا تخفر ، وفي عزة الله التي لا تستذلّ ولا تقهر ، وفي حزبه الذي لا يغلب ، وفي جنده الذي لا يهزم ، بالله استفتحت...^(١).
أقول :

لطول العوذة اكتفيننا بهذا القدر ، ومن شاء نظر إلى تمامها فإنها جديرة بذلك ، ونأتي على بعضها الآخر في موضعه المتاح^(٢) إن شاء الله .

حمى الله .

قد جاء مارواه الطريحي من الحديث : « لاهمى إلا الله ولسوله » قال : هو ردّ لما كان يصنع في الجاهليّة ، وذلك أنّ الشريف منهم كان إذا نزل أرضاً حماها ورعاها من غير أن يشرك فيها غيره ، وهو يشارك القوم في سائر ما يرعون فيه ، فجاء النهي عن ذلك ، وأضافه إلى الله ورسوله أي إلا ما يحمى للخيل التي ترصد للجهاد والإبل التي يحمل عليها في سبيل الله ، وإبل الزكاة ومنه «حمى السلطان» وهو كالمرعى الذي حماه فمُنِع منه ، فإذا سبّب^(٣) الإنسان ماشية هناك لم يؤمن عليها أن ترتع في حماه ، فيصيبه من بطشه ما لا قبل له به .. ومنه الحديث : «الأ وإن لكلّ ملك حمى ، ألا وإنّ حمى الله محارمه ، فمن رتع حول الحمى أوشك أن يقع فيه» أي قرب أن يدخله ، ومثله : « والمعاصي حمى الله عزّ

(١) مهج الدعوات ومنهج العبادات ٢٤٢ - ٢٤٥ .

(٢) ومنه : «أنا أين كنت كنت آمناً» المهج ٢٤٣ . و «تمسكت بالجلب المتين وتدرّعت بهيبة أمير

المؤمنين» المهج ٢٤٣ ، و «كانهم حمراً مستنفرة فوّت من قسورة» مثله .

(٣) سبّب الدابة تركها ترعى حيث شاءت مجمع البحرين - سبّب - .

وجلّ فمن يرتع حولها يوشك أن يدخلها» وفي قوله (عليه السلام): «إن حمى الله محارمه» إعلام بأن التجنّب عن مقارنة حدود الله والحذر من الخوض في حماه أحق وأجدر من مجانبة كلّ ملكٍ، فإنّ النفس الأمارّة بالسوء إذا أخطأتها السياسة في ذلك الموطن كانت أسوء عاقبة من كلّ بهيمة خليع العذار...^(١).

قوله (عليه السلام): «... في حمى الله الذي لا يستباح» فيه وجهان: الوجه الأوّل: بيان أمر عقليّ تكويني بأنّ حماه تعالى لا يمكن أن يناله غيره والخلق أعجز من استطاعة استباحته.

الوجه الثاني: بيان أمر تشريعي بمعنى أنه يجب على الجميع الحذر منه، وقد تقدّم ما يفصح عنه من لزوم التجنّب عن مقارنة حدود الله تعالى ووجوب الحذر منه. ولكنّ الوجه الأوّل أولى بصوغ الحديث الكاظمي وعودته (عليه السلام)، وقد تعرضنا للثاني في بعض مؤلّفاتنا^(٢) لمكان كلمة «حمى الله». والمقصود أنّ المصباح والمُسي في حمى الله عزّ وجلّ مصون عن الأخطار ومن طوارق الليل والنهار. وكيف لا يكون كذلك وقد دخل في حصن الله الحصين، المنيع ولجأ إلى ركن شديد لا يناله أحدٌ بشيء وإن عظم مراسه، وقوي أساسه ولا حمى أحمى من حمى الله، ولا حصن ولا ركن أحصن وأشدّ من حصن الله وركن الله تعالى.

(١) المجمع - حمار -.

(٢) الأمثال النبويّة ١/٢٣٣، «إنّ لكلّ ملك حمى» حرف (إنّ) رقم المثل ١٥٢.

اصبر على أعداء النعم

كلمة صالحة للمثل إن لم تكنه قد رواها الشيخ الكليني بإسناده إلى أبي الحسن الأول (عليه السلام) قال :

« اصبر على أعداء النعم ، فإنك لن تكافيء من عصى الله فيك بأفضل من أن تطيع الله فيه »^(١).

مقارنة بين عصيان العاصي ، وطاعة المطيع ؛ ولا ريب أن طاعة الله من نعم الله ، وأعداؤها العصاة ، ولا يكون صبر المطيع على الطاعة إلا صبراً أمام عدو هذه النعمة وهو العاصي الذي بعصيانته قد عاداها ، وإن المطيع بطاعته لله تعالى قد كافأ من عصى الله بصبره على الطاعة ، وصبره أفضل من صاحب العصيان عدو النعمة ، فترى الحديث قد قارن بين عصيان العاصي ، وطاعة المطيع التي هي كمكافأة لما فات من العاصي بعصيانته ألا وهي نعمة الطاعة وهذه المكافأة أفضل مما أقدم عليه العاصي من تركه الطاعة وركوب العصيان ، فمن جانب العاصي فوت نعمة الطاعة ، وعداوة لها بسبب عصيانه . ومن جانب المطيع نعمة وصبر ، ومكافأة، ولا شك أن المطيع أفضل من العاصي لمكافأته ما فات من صاحبه ، ولصبره على عدو نعمة الطاعة.

والغرض من هذه المقارنة ترفيع المطيع ، وبيان عداوة العاصي لنعم الله علم بها أم لم يعلم ، فإنه من أعداء النعم ، والشاكر لها هو المطيع لله تعالى الحائز لفضل المكافأة . فالكلمة الكاظمية ترمي المقارنة بين العاصي والمطيع ، وبين الصابر على الطاعة التي تعتبر من النعم ، وبين أعدائها الذين يعصون الله تعالى

(١) أصول الكافي ٢/١٠٩ ، باب كظم الغيظ . كتاب الكفر والإيمان ، الحديث ٣.

بها وبسبب تركها وأنهم يأكلون رزقه ويعبدون الشيطان وإبليس .

الطاعة والعصيان

قد تناول الكتاب العزيز الطاعة في مائة وأربعة عشر موضعاً بمشتقاتها.

قال ابن فارس :

الطاء والواو والعين أصل صحيح واحد يدل على الإصحاب والانتقياد .
يقال : طاعه يطوعه : إذا انقاد معه ومضى لأمره وأطاعه بمعنى طاع له . ويقال
لمن وافق غيره : قد طاعوه . والاستطاعة مشتقة من الطوع كأنها كانت في
الأصل الاستطواع فلما أسقطت الواو جعلت الهاء بدلاً منها ، مثل قياس
الاستعانة والاستعاذة . و العرب تقول : (تطواع لهذا الامر حتى تستطيعه) ثم
يقولون : تطوَّع أي تكلف استطاعته - إلى أن قال - : ويقال للمجاهدة الذين
يتطوَّعون بالجهاد : المتطوَّعة بتشديد الطاء والواو ، وأصله المتطوَّعة ثم ادغمت
التاء في الطاء . قال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾^(١) .
أراد - والله أعلم - : المتطوَّعين^(٢) .

والعصيان :

قد تساوله القرآن الكريم في أربعة وأربعين موطناً بها هذه الكلمة من
مشتق ، ولها في اللغة معنيان : التجمُّع ، والفرقة .

قال ابن فارس : أمّا الأوّل فمنه العصا ، ومن ثم كنى عنها جماعة
المسلمين ، ومن خالفهم قيل شقّ عصا المسلمين ، أو قيل العصا ولا عقل له ولا
قود فيه ، والجمع عِصَى ، ومن الباب عصوت الجرح أعصوه : أي داويته وهو
القياس ، لأنه يتلأم : أي يتجمّع . وفي أمثالهم : «ألقي فلان عصاه» ؛ وذلك إذا
انتهى المسافر إلى عشب وأزمع المقام ألقى عصاه ، قال :

(١) التوبة : ٧٩ .

(٢) معجم مقاييس اللغة ٣/٤٣١ - ٤٣٢ ، - طوع - .

فألقت عصاها واستقرت بها النوى كما قرَّ عيناً بالإياب المسافرُ

ومن الباب قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « لا ترفع عصاك عن أهلك »^(١) لا يريد العصا التي يضرب بها ، ولا أمرَ أحداً بذلك ، ولكنه أراد الأدب . قال أبو عبيد : وأصل العصا الاجتماع والاتلاف ، وهذا تصحيح ما قلنا في قياس هذا البناء .

وأما الثاني فالفرقة العصيان والمعصية ، يقال : عصى وهو عاص ، والجمع عصاة وعاصون . والعاصي الفصيل إذا عصى أمه في أتباعها^(٢) .
العاصي والمطيع :

إنَّ العاصي : المفارِق لأمر سيِّده التارك لاتباعه فيما أراد ، وكان عليه من الجدير الأتباع والانقياد ، حتى يقع عليه اسم المطيع ، ولم نقصد من وراء تحقيق معنى الطاعة والعصيان إلاَّ العلم بمن وقع عليه الإسهان المذكوران في القرآن والأحاديث .

وقد عرفت المراد بقوله عليه السلام : « اصبر على أعداء النعم ... » ، ولم يرد بالصبر ترك الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وعدم ردع العاصي عن عصيانه ، وتجاه عصيان العصاة ، بل المراد إنك كن مثل العاصي في إصراره على العصيان مصراً على الطاعة . ومكافأة العصيان القيام بالطاعة الداعية العملية إلى الترك له بغير لسان ، وقد جاء الصادقي : « كونوا دعاة إلى الله بغير ألسنتكم ليروا منكم الورع والاجتهاد ، والصلاة ، والخير ، فإن ذلك داعية »^(٣) ، والآخر : « ... وكونوا زيناً ولا تكونوا شيناً »^(٤) .

(١) الأمثال النبوية ٢/٩٠ ، الرقم ٤٠٨ .

(٢) معجم مقاييس اللغة ٤/٣٣٤ - ٣٣٥ .

(٣) الوسائل ١/٥٦ . الباب ١٦ من أبواب مقدّمة العبادات ، الحديث ٢ .

(٤) المصدر نفسه ، الحديث ١ .

٨٤

اصبر على طاعة الله ، واصبر عن معاصي الله

أقسام الصبر ثلاثة صبر على المصيبة ، وصبر على الطاعة ، وصبر عن المعصية . الثاني أعلى درجة من الأول ، وأدناها من الثالث فالثالث أرفع الأقسام الثلاثة كما دلّ على ذلك الحديث الآتي.

جاءت الكلمة في كلام الإمام الكاظم عليه السلام لهشام بن الحكم ، رواه ابن شعبة.

قال :

« يا هشام اصبر على طاعة الله ، واصبر عن معاصي الله ؛ فإنما الدنيا ساعة : فما مضى منها فليس تجد له سروراً ، ولا حزناً . وما لم يأت منها فليس تعرفه ، فاصبر على تلك الساعة التي أنت فيها ، فكأنك قد اغشيت »^(١).

كلمة أفرغت عن منطق الإمامة والنبوة ، لأن قائلها الإمام الكاظم عليه السلام.

وإليك حديث أقسام الصبر :

في علوي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : الصبر ثلاثة صبر عند المصيبة ، وصبر على الطاعة ، وصبر عن المعصية .
فمن صبر على المصيبة حتى يردّها بحسن عزائها كتب الله له ثلاثمائة درجة ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين السماء إلى الأرض .

ومن صبر على الطاعة كتب الله له ستمائة درجة ما بين الدرجة كما بين تخوم الأرض إلى العرش .
ومن صبر عن المعصية كتب الله له تسعمائة درجة ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين تخوم الأرض إلى منتهى العرش^(١) .

أقول :

ليس بعد هذا الشرح شرح ، ولا نعرف معنى الدرجة ما لم نشاهدها رزقنا الله ذلك .

وقد قدّمنا نبذة من أحاديث الصبر عند « اصبر على أعداء النعم »^(٢) ، كما ذكرنا بياناً حول الطاعة والعصيان هناك . ولعمرك إن قول الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾^(٣) مع أن التدبر في سورة ﴿ والعصر... ﴾ كافٍ .

(١) أصول الكافي ٩١/٢ باب الصبر . الحديث ١٥ .

(٢) حرف الهمزة مع الصاد .

(٣) الزمر : ١٠ . والتدبر في هذه الآية يخلق في قلب المتدبر نوراً مُجرباً .

أصلح أيامك هو الذي أمامك

تصلح هذه الكلمة الذهبية للمثل إن لم تكنه للإمام الكاظم عليه السلام ، جاءت في كلام طويل له مع هشام بن الحكم قال :
« يا هشام أصلح أيامك هو الذي أمامك ، فانظر أيّ يوم هو ؟ وأعدّ له الجواب : فإنك موقوف مسؤول »^(١).
أقول :

يريد عليه السلام أنّ أيام الإنسان يومان : يوم العمل وهو الدنيا ، ويوم الجزاء وهو الآخرة ، والجزاء الغاية التي يعمل من أجلها العاملون من عمل وهي أشرف اليومين ، وأصلحهما لابن آدم ، ويوشك أن يرد عليه ويلقى أمامه نتاج ما عمله ، وغبّ ما قدّمه يوم الحشر الأكبر ، يوم الحسرة ، يوم التغابن ، يوم ذهول المرضعات فيه ، يوم الزلزلة العظيمة ، يوم ﴿ لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ﴾^(٢) ، يوم الطامة الكبرى ، يوم الصاخة ، يوم الواقعة ، يوم تبلى فيه السرائر ، يوم تطاير الكتب ، يوم التناد ، يوم الحساب وهو يوم القيامة الذي يرد الإنسان عليه بعد الموت والبرزخ الكائن قبل يوم البعث كما قال تعالى : ﴿ ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون ﴾^(٣).

قوله عليه السلام : « وأعدّ له الجواب ، فإنك موقوف مسؤول ». إشارة

(١) تحف العقول ٣٩١.

(٢) الشعراء : ٨٩.

(٣) المؤمنون : ١٠٠.

إلى قوله تعالى : ﴿ وقفوههم إنهم مسئولون ﴾^(١) وهو من أشدّ المواقف موقف السؤال عن كل شيء كان يزاوله العباد في دار الدنيا ﴿ ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً ﴾^(٢).

وهل يكون موقف كموقف للإنسان يخاطبه ربه ويعاقبه ، ويقول له : ﴿ يأيها الإنسان ما غرّك بربك الكريم * الذي خلقك فسواك فعدلك ﴾^(٣) ؟ فوا حياءً ، أفهل له أن نقول : غرّنا يا ربّ كرمك ؟ أو نقول : يا إلهنا جهلنا وغفلتنا وشقوتنا ؟ ما ندرى ما نقول ؟ وماذا نعتذر ؟ هل يؤذن لنا ذلك ؟ أو يقال : ﴿ ولا يؤذن لهم فيعتذرون ﴾^(٤) ، أفيكون لنا جواب موجّه حتى نعدّه لذلك اليوم ؟ أو هل ينجو أحد إن جاء بأعذار وجوارحه حتى الجلود تشهد عليه : ﴿ ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون * حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون * وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرّة وإليه ترجعون ﴾^(٥).

أم تنفعه شفاعة الشافعين ، أو صداقة صديق حميم ؟ كلا : ﴿ فما تنفعهم شفاعة الشافعين * ولا صديق حميم ﴾^(٦).

نعم الوسيلة المبتغاة وشفعاؤنا يوم المحشر المأذون لهم بالشفاعة هم أهل

(١) الصافات : ٢٤ . ويحتمل إنّه (عليه السلام) يريد بالوقوف والسؤال التحذير من صرف الأيام بالمعاصي ، ومن الذي هو أمام الإنسان مستقبل أيام العمر لا يوم الجزاء فقط على التفسير المذكور في المتن.

(٢) الكهف : ٤٩ .

(٣) الانفطار : ٦ - ٧ .

(٤) المرسلات : ٣٦ .

(٥) فصلت : ١٩ - ٢١ .

(٦) الشعراء : ١٠٠ - ١٠١ .

البيت عليهم السلام وإمامنا موسى بن جعفر روجي فده :

وسيلتي يوم المحشر مولاي موسى بن جعفر
وجده وأبوه والسيدان وحيدر^(١)

٨٦

اصنع ما أنت صانع

كلمة مثلية تقال للتهديد بياتلها قوله تعالى : ﴿ اِعْمَلُوا مَا سِئْتُمْ ﴾^(٢)
و﴿ فَاَقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ ﴾^(٣) ، وقول بنت أمير المؤمنين زينب عليها السلام
ليزيد لعنه الله : « ثم كِدْ كَيْدَكَ ، وَأَجْهَدْ جَهْدَكَ..... »^(٤) .
والكلمة المثلية يربطها ما يلي :

من كلام الإمام الكاظم عليه السلام ما رواه قطب الدين الراوندي بسند
له إلى إسحاق بن منصور [قال : [سمعت أبي يقول : سمعت موسى بن جعفر
عليه السلام يقول : ناعياً إلى رجل من الشيعة نفسه ، فقلت في نفسي : وإنه
ليعلم متى يموت الرجل من شيعته !! فالتفت إليّ ، فقال : اصنع ما انت صانع
، فإن عمرك قد فنى ، وقد بقي منه دون سنتين ، وكذلك أخوك ، ولا يمكث
بعدك إلا شهراً واحداً حتى يموت ، وكذلك عامة أهل بيتك وتتشتت كلمتهم ،
ويتفرق جمعهم ، ويشمت بهم أعداؤهم و [هم [يصيرون رحمة لإخوانهم . أكان

(١) مناقب ابن شهر آشوب ٤/٣١٧ .

(٢) فصلت : ٤٠ .

(٣) طه : ٧٢ . خطاب إلى فرعون ، وتهديد له : معناه اصنع ما أنت صانع .

(٤) البحار ٤٥/١٦٠ .

هذا في صدرك؟ قال: استغفر الله مما عرض في صدري، فلم يستكمل منصور سنتين حتى مات، ومات بعده بشهر أخوه، ومات عامة أهل بيته، وأفلس بقيتهم، وتفرقوا حتى احتاج من بقي منهم إلى الصدقة^(١).
إسحاق بن منصور:

لم يتعرّض السيد الأستاذ لترجمة إسحاق بن منصور دون أن قال بعد الاسم: إنه العرزمي من أصحاب الصادق عليه السلام - رجال الشيخ (١٣٩)^(٢) - واعتمد القطب عليه حيث اسند الحديث إليه وكيف كان.
ما معنى الحديث؟

نقول: كل من عرف الإمام المعصوم لا يستعظم هذا النوع من الإخبار بالآجال وقد قال: إن رُشيد الهجري كان يعلم ذلك فكيف بالمعصوم^(٣)، عيبة علم الله، وخازن أسراره موسى بن جعفر عليه السلام إذا أخبر بموت رجل من شيعته وموت والد إسحاق منصور، وأخيه، وعامة أهل بيته وتفرّق جمعهم، وشماتة أعدائهم، وقد ورث العلم كابراً عن كابر، واختزنه كما يخترن أحدنا الذهب والفضة^(٤)، وفي صادقي: «إن علياً كان عالماً، والعلم يتوارث، ولن يهلك عالم إلا بقي من بعده من يعلم علمه أو ما شاء الله»^(٥)، وآخر: «أعطيت خصلاً ما سبقني إليها أحد من قبلي علّمت المنايا والبلايا وفصل

(١) الخرائج، والجرائح ١/٣١٠، البحار ٤٨/٦٨.

(٢) معجم رجال الحديث ٣/٧٦.

(٣) أصول الكافي ١/٤٨٤.

(٤) جامع أحاديث الشيعة ١/١٣٠.

(٥) أصول الكافي ١/٢٢١ - ٢٢٢.

أمثال حكم الإمام الكاظم عليه السلام / ج ١ ٣٠٩

الخطاب...»^(١) ومثله الباقر والسجادي^(٢) ، والرضوي : « أما بعد فإن محمداً صلى الله عليه وآله كان أمين الله في خلقه ، فلما قبض كنا أهل البيت ورتته فنحن أمناء الله في أرضه عندنا علم المنايا والبلايا وأنساب العرب ومولد الإسلام »^(٣) .
أقول :

الأحاديث الصحيحة الصريحة في ذلك بكثرة ولذكريها محل آخر وفيها قول أمير المؤمنين عليه السلام : « سلوني قبل أن تفقدوني »^(٤) ما لو حاول كاتب أن يكتبها لخلص إلى كتاب كبير ، وفيها ذكرناه كفاية لأهله والله الحمد .

٨٧

أضبا إلى إضباء السبع لطريدته

روى الشيخ المجلسي عن أبي الوضاح قال : فحدثني أبي قال : كان جماعة من خاصة أبي الحسن عليه السلام من أهل بيته وشيعته يحضرون مجلسه ، ومعهم في أكمامهم ألواح آبنوس^(٥) لطاف وأميال ، فإذا نطق أبو الحسن عليه السلام بكلمة ، أو أفتى في نازلة أثبت القوم ما سمعوا منه في ذلك ، قال : فسمعناه وهو يقول في دعائه شكراً لله جلّت عظمته الدعاء ...

(١) بصائر الدرجات ٢٨٦ والمراد من « ما سبقني إليها أحد من قبلي » الناس لا من سبقه من آياته عليهم السلام .

(٢) بصائر الدرجات ٢٨٦ - ٢٨٨ .

(٣) أصول الكافي ١ / ٢٢٣ .

(٤) بصائر الدرجات ٢٨٦ - ٢٨٨ ، وفيه من نصوص تنص على أصالة علومهم عليهم السلام .

(٥) الآبنوس - الآبنوس : شجرتين في الحبشة والهند ، خشبُهُ ثمين أسود صلب للغاية ، ويصنع منه بعض الأدوات والأواني والأثاث «د» يونانية معجم الميسر الوسط ، لعبد الحسين البقال - الآبنوس - .

والدعاء طويل لا يسع المقام ذكره ، وإليك بعض كلماته :
 « إلهي وكم من باغٍ بغاني بمكانته ، ونصب لي أشراك مصائدة ، ووكل
 بي تفقد رعايته ، وأضبا إليّ إضباء السبع لطريدته ^(١) ؛ انتظارا لانتهاز فرصته ،
 وهو يظهر لي بشاشة الملق ، ويبسط لي وجهاً غير طلق ... » ^(٢).
 يعجز اللسان عن بيان حقائق هذا الدعاء ، وعمّا اشتمل على تمثيل رائع
 وبدائع ؛ حيث شبه اختباء العدو الباغي الكائد الذي ينبغي الفتك بسبع مختلف
 ليكرّ على فريسته واللصوق بها حتى لا تفرّ منه ، وأعدى عدو الإمام عليه
 السلام طاغية زمانه هارون وأذنا به ، وبالأخير قتلوه بالسّم مضى بالحبس
 مضطهداً صابراً محتسباً كما مضى عليه آباؤه عليهم السلام ، فعلى قاتليه اللعن
 والعذاب.

٨٨

أضح لمن أحرمت له

كلمة أمرٍ بالإبراز في الشمس للمحرم ، والتفاني في الله قد قالها الإمام
 الكاظم عليه السلام رواها الشيخ الكليني طاب ثراه قال :

علي بن إبراهيم عن أبيه عن عبدالله بن المغيرة قال : سألت أبا الحسن
 عليه السلام عن الظلال للمحرم ؟ فقال : أضح لمن أحرمت له ، قلت : إني
 محرور ، وإن الحرّ يشدّ عليّ ؟ قال : أما علمت أنّ الشمس تغرب بذنوب

(١) الطريدة : الفريسة سمّيت بها للمطاردة بينها والسبع للاقتراس ، ومن جانبها للخلاص .
 (٢) البحار ٣٢٠/٩٤ - ٣٢١ ، والدعاء جدير بالنظر إليه ، والبناء عليه . والإضباء : الإيْتِيَار
 والاستخفاء «فضباً الى ناقته» أي لزق بالارض يستتر بها النهاية ٦٩/٣ - ضباً - .

المحرمين^(١).

بيان :

الإضحاء : الإبراز والظهور للشمس قال ابن فارس : فالضحاء امتداد النهار ، وذلك هو الوقت البارز المنكشف.... قال :

* ترى الثور يمشي راجعاً من ضحاياه *

ويقال : ضحى الرجل يضحى إذا تعرّض للشمس ، ويقال : أضح يا زيد أي ابرز للشمس والضحية معروفة ... وإنما سميت بذلك ، لأن في ذلك اليوم لا تكون إلا في وقت إشراق الشمس...^(٢).

وقد قسم الله بالضحي قال تعالى: ﴿والضحى والليل إذا سجى﴾^(٣) أي وقت ارتفاع النهار ، وخصه لقوة النهار فيه ، أو لتكليم موسى (عليه السلام) فيه...^(٤)

ولتحقيق الكلمة مقام آخر ، وأما محتواها فأحد الواجبات على المحرم كشف الرأس وهو غير حرمة التظليل له فإنه أمر آخر ، وتروك المحرم أمور وهي محرّمات منها تغطية الرأس ، ومنها التظليل كما تقدّم ، وإلى ما هناك مما هو محرّر في المناسك والرسائل العملية .

ثم إن الكلمة قد يقال إنها ليست بمثل وهو واضح ، ولا حكمة ، نعم هي صالحة لذلك .

(١) الكافي ٤/٣٥٠.

(٢) معجم مقاييس اللغة ٣/٣٩١ - ٣٩٢ - ضحى -

(٣) الضحى : ١ - ٢.

(٤) مجمع البحرين - ضحى - وفي «أضح» قيل : يجب كسر الهمزة وفتح الحاء أيضاً. ثم لا يخفى إن الحديث قد جاء ذكره أيضاً عند «أما علمت أن الشمس تغرب بذنوب المحرمين».

اضمن لي أن لا تلقى أحداً من أوليائك إلا قضيت حاجته ،
وأضمن لك أن لا يظلك سقف سجن أبداً

كلمة الوفاء بالذمام، تقال في نظائر المقام قد قالها الإمام الكاظم (عليه السلام) لعلي بن يقطين، رواها العلامة المجلسي من كتاب حقوق المؤمنين لأبي علي بن طاهر ، قال :

استأذن علي بن يقطين مولاي الكاظم (عليه السلام) في ترك عمل السلطان، فلم يأذن له ، وقال : لا تفعل ، فإن لنا بك أنساً ، وإخوانك بك عزاً ، وعسى ان يجبر بك كسيراً ، ويكسر بك نائرة المخالفين عن أوليائه.
يا عليّ كفارة أعمالكم الإحسان إلى إخوانكم.

اضمن لي واحدة واضمن لك ثلاثاً، اضمن لي أن لا تلقى أحداً من أوليائك إلا قضيت حاجته وأكرمته ، وأضمن لك أن لا يظلك سقف سجن أبداً ، ولا ينالك حدّ سيف أبداً ، ولا يدخل الفقر بيتك أبداً.
يا عليّ من سرّ مؤمناً فبالله بدأ ، وبالنبيّ صلّى الله عليه وآله ثنّى ، وبنا ثلث^(١).

بيان :

تضمين المعصوم حتميّ الوجود، وقد ضمن لابن يقطين أجمل ضمان، لأنه أهل لذلك، ولكن له قصّة زلّة مغفورة مع إبراهيم الجمال توافيك في محلّها المتاح، ويا لها من عظة لكلّ موالٍ لآل البيت عليهم السلام ، ولزام عليك إسعاف حاجة

(١) البحار ٤٨/١٣٦ ، وللحديث شرح يطول في المقام بيانه ، والمتدبّر لا يعدم نفعه.

أخيك المؤمن إذا وهبت الاقتدار كما وهب لابن يقطين ذلك، وإن كانت الأخرى بأن لم تسعف، أو لم تعبأ بالمؤمن وحاجته فلك أضداد ما قاله في ابن يقطين. وهذه الكلمة وهي: « فبالله بدأ ، وبالنبى تنى ، وبنا نلث » علو شأن لا يعرفه إلا الله تعالى.

٩٠

اطرقه ببليّة لا أخت لها

كلمة تقال للدعاء على الخصم العاتي، والأصل فيها ما قاله الشيخ الكليني طاب ثراه بها لفظه: وروي عن أبي الحسن (عليه السلام) قال: « إذا دعا أحدكم على أحد قال: اللهم اطرقه ببليّة لا أخت لها، وأبح حريمه »^(١).

أقول:

قد جاء بيان المواطن التي يدعى فيها على من يستحقّه في أحاديثهم عليهم السلام.

منها: الجار المشهّر جاره ، ومنه قصّة إسحاق بن عمّار مع جاره وشكواه إلى الصادق (عليه السلام) وقوله له: بأن يدعو عليه إذا أدير ، وأقبل^(٢).

ومنها: قصّة يونس بن عمّار مع جاره له، بأن يدعو عليه في السجدة الأخيرة - وكان الرجل من قريش من آل مُحَرَز - من صلاة الليل الأوتنين يقول فيها: اللهم اضربه بسهم عاجل... وبالأخير هلك وقصص أخرى^(٣).

(١) أصول الكافي ٥١٢/٢.

(٢) المصدر ٥١١.

(٣) المصدر ٥١٢.

قوله (عليه السلام): «اللهم اطرفه ببليّة...» الطّرق بالبليّة نزولها بالليل : لأنّ الطارق يخصّ الآتي داره بالليل ومنه ﴿وَالسَّمَاءَ وَالطَّارِقَ﴾^(١).
 وقوله (عليه السلام): « لا أخت لها » يريد لا مثيل لها وبليّة لا نظيرة لها من حيث الكَمّ والكيف ، وإذا كان الداعي مظلوماً فلا تردّ دعوته وهي هلاك العدو وإبادته خاصّة عند إذن الإمام المعصوم له كما سمعت.
 وفي الحديث القدسي : « أيها الملك المغرور إنّي لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض ، ولكن بعثتك لتردّ عني دعوة المظلوم ؛ فإنّي لا أردّها وإن كانت من كافر ... »^(٢).

٩١

أطيب ريحاً من قضيب الآس حين يؤخذ من شجره في طيبه
 وريحه وطراوته

الأصل فيه ما رواه الشيخ الحرّ بإسناده عن محمد بن أحمد بن يحيى عن محمد بن الحسين عن الحسن بن محبوب عن سعد بن خلف عن أبي الحسن موسى (عليه السلام) قال :

« الصلوات المفروضات في أوّل وقتها إذا أقيم حدودها أطيب ريحاً من قضيب الآس حين يؤخذ من شجره ، وريحه وطراوته ، و عليكم بالوقت الأوّل»^(٣).

أقول :

(١) الطارق : ٨ .

(٢) الوسائل ١١/٣٧٨ ، الباب ٩٦ من جهاد النفس ، الحديث ٤ .

(٣) الوسائل ٣/٨٦ - ٨٧ ، أبواب الأعمال ٥٨ .

يأتي الكلام حول « عليكم بالوقت الأوّل »^(١).

في كلام الإمام (عليه السلام) : « الصلوات المفروضات في أوّل وقتها إذا أقيم حدودها » تقديم وتأخير ، يريد « إذا أقيم حدودها في أوّل وقتها » كانت كذا وكذا وهو واضح وهل الأُطبيبة المذكورة تخصّ إتيان الصلاة المفروضة في أوّل وقتها فحسب ؟ أو هو مع إقامة حدودها معاً يعني تكون أطيّب من قضيب الآس إذا اجتمع الأمران : إتيانها أوّل وقتها مع إقامة حدودها ؟.

ظاهره اجتماع الأمرين لا كلّ واحد ، وعليه فلو صلى العبد الفريضة في أوّل وقتها فاقدة لحدودها الواجبة والمندوبة ، أو صلاحها واجدة لها في غير أوّل وقتها ، لم تكن أطيّب من قضيب الآس كأكثر الصلوات المأني بها ، وقلّ ما كانت واجدة للأمرين ، فالقول مركّز على فرض الوجدان لها بأنّ الفريضة المؤدّاة كذلك تكون أطيّب ربحاً من قضيب الآس الطري الذي لم يفقد نشره وشذاه وطرأوته.

قوله (عليه السلام) : « أطيّب ربحاً من قضيب الآس حين يؤخذ من شجره في طيبه وريحه وطرأوته » تمثيل بديع يتذوّقه الأديب ، والمؤمن الطري الفكر ، الغضّ الروح الذي يخشع قلبه في الصلوات المفروضة ، يجد نشرها وطيبها.

الآس وشجره :

الآس : شجر دائم الخضرة بيضيّ الورق أبيض الزّهر ، أو وردية عطريّ ؛ وثاره لبيّة سودّ تؤكل غصّة ، وتحفّف فتكون من التوابل ، وهو من فصيلة الآسيّات . ويعرف حبّه عند العامّة : « الحنبلاس »^(٢) حبّ الآس .

(١) حرف العين مع اللام.

(٢) لغة أهل لبنان.

والبرّي : نبات تسمّيه العامّة : « شراية الراعي »^(١).

إذا دريت ذلك.

فهل يشمّ طيب الصلاة المفروضة المؤدّاة كطيب الآس أو أطيب منه حين أخذه من شجره ؟ وهل للصلاة نشرٌ ، وطيب يفوح ، يشمه المصلّي ؟ وهل الشّم خاصّ بالخواصّ ، أو كل من أداها من الناس ؟ ؟ يتساءله الكلّ.

والجواب مثبت.

وذلك إذا صلّأها العبد في أوّل وقتها مقبياً حدودها ، يجد طيبها وطراوتها ونشرها فيعرج إلى سماء المعرفة ويتجلى نورها في آفاق سرّه.

ومن ثم كانت معراج المؤمن^(٢) ، وقربان كلّ تقي^(٣) ، ومرقاة عالم النور والرفعة ؛ لارتفاع الحجب والوصول إلى الله كما جاء في النصّ المعتمد^(٤).

(١) المعجم الميسر الوسيط - الآس - .

(٢) مرآة العقول ٤٧٧/١٥ . السلام في القرآن والحديث ٢٠٨ .

(٣) الخصال ٦٢٠/٢ ، الأربعائة ، النهج ٣٣٢/١٨ ، الحكمة ١٣٢ ، البحار ٦٠/٧٨ .

(٤) الوسائل ٦٧٩/٤ وفيه صلاة المعراج «... الآن وصلت إلى» .

اعرف العقل وجنده ، والجهل وجنده تكن من المهتدين

كلمة نافعة لمن عقلها ، وعرف الفضائل والغوائل ، ومضادة العقل والجهل ، ولا يعرف أحدهما إلا بمعرفة ضده ؛ وفي المثل السائر : (تعرف الأشياء بأضدادها)^(١).

وقد جاءت الكلمة في غرضون حديث الإمام الكاظم (عليه السلام) مع هشام بن الحكم ، تقدم بعضه بلفظ «احذر هذه الدنيا ، واحذر أهلها»^(٢) و« أحسنهم استجابة أحسنهم معرفة »^(٣) ، قال (عليه السلام) :

« يا هشام اعرف العقل وجنده ، والجهل وجنده تكن من المهتدين . قال هشام : جعلت فداك لا نعرف إلا ما عرفتنا »^(٤).

أقول :

لمن أراد معرفة العقل وجنده ، والجهل وجنده طريقان : الطريق الأول : النظر إلى متن الحديث المذكور فيه عدد جنودها الخمسة والسبعون. والثاني المراجعة إلى كتاب التكوين وهو الأصل ؛ لأن التدوين تمهيد لمعرفة ما في

(١) أمثال وحكم ٥٤٨/١.

(٢) حرف الهمزة مع الحاء.

(٣) المصدر.

(٤) التحف ٤٠١.

النفس ، وعالم الكون ، والإنسان هو الكتاب التكويني كما نسب إلى أمير المؤمنين عليه السلام الشعر :

وأنت الكتاب المبين الذي بأحرفه يظهر المضمّر^(١) .

وليست جنود العقل والجهل سوى الفضائل الإنسانية وذرائلها التي لا تنفك معرفة أحدهما عن الأخرى ؛ إذ كيف يعرف العلم والعقل ولا يعرف ضده ، كمن عرف النور وهو جاهل بالظلمة ، ومن هنا قيل تعرف الأشياء بأضدادها كما تقدم في المثل وهذا أمر عقلي وأهل العرف لا يجهلون ؛ وهو ملاك الفجور والتقوى في الآية^(٢) .

فقال (عليه السلام) : يا هشام إن الله خلق العقل وهو أول خلق خلقه الله من الروحانيين^(٣) عن يمين من نوره فقال له : أدبر فأدبر ، ثم قال له : أقبل فأقبل - إلى أن قال : - جنود العقل والجهل :

الإيمان ، الكفر . التصديق ، التكذيب . الإخلاص ، النفاق .
الرجاء ، القنوط . العدل ، الجور . الرضا ، السخط . الشكر ، الكفران .
اليأس ، الطمع . التوكل ، الحرص . الرأفة ، الغلظة . العلم ، الجهل . العفة ،
التهتك . الزهد ، الرغبة . الرفق ، الخرق . الرهبة ، الجرأة . التواضع ، الكبر .
التوعدة ، العجلة . الحلم ، السفه . الصمت ، الهذر . الاستسلام ، الاستكبار .
التسليم ، التجبر . العفو ، الحقد . الرحمة ، القسوة . اليقين ، الشك . الصبر
الجزع . الصفح ، الانتقام . الغنى ، الفقر . التفكر ، السهور . الحفظ ، النسيان

(١) الديوان المنسوب إليه (عليه السلام).

(٢) وهي قوله تعالى : ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿

الشمس : ٨ - ١٠ .

(٣) المنسوبون إلى الروح .

التواصل ، القطيعة . القناعة ، الشره . المؤاساة ، المنع . المودة ، العداوة .
 الوفاء ، الغدر . الطاعة ، المعصية . الخشوع ، التطاول . السلامة ، البلاء . الفهم ،
 الغباوة . المعرفة ، الإنكار . المداراة ، المكاشفة . سلامة الغيب ، المماكرة .
 الكتمان ، الافشاء . البر ، العقوق . الحقيقة ، التسوييف . المعروف ، المنكر .
 التقية ، الإذاعة . الإنصاف ، الظلم . التقى ، الحسد . النظافة ، القذر . الحياء ،
 القحة^(١) . القصد ، الإسراف . الراحة ، التعب . السهولة ، الصعوبة . العافية ،
 البلوى . القوام ، المكاثرة . الحكمة ، الهوى . الوقار ، الخفة . السعادة ، الشقاء .
 التوبة ، الإصرار . المحافظة ، التهاون . الدعة ، الاستنكاف . النشاط ،
 الكسل . الفرح ، الحزن . الألفة ، الفرقة . السخاء ، البخل . الخشوع ، العجب .
 صون الحديث^(٢) ، النميمة . الاستغفار ، الاغترار . الكياسة ، الحمق^(٣) .

بما أن كلمات الحديث قبل الجنود وبعدها متوافقة مع حديث الشيخ
 الكليني الآتي ، تركناها إليه .

ثم إن حديث جند العقل والجهل ونسبه ابن شعبة إلى الإمام الكاظم
 (عليه السلام) كما سمعت وأما الشيخ الكليني طاب ثراه فقد رواه عن الصادق
 (عليه السلام) ولا مانع من التعدد . قال رحمه الله :

عدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد بن علي بن حديد عن سباعة بن
 مهران قال : كنت عند أبي عبد الله (عليه السلام) وعنده جماعة من مواليه
 فجرى ذكر العقل والجهل . فقال أبو عبد الله (عليه السلام) :
 اعرفوا العقل وجنده ، والجهل وجنده تهتدوا ، قال سباعة : فقلت :

(١) الجاني أو القحة كعدة قلة الحياء .

(٢) [صدق الحديث] خ .

(٣) تحف العقول ٤٠٠ - ٤٠٢ . ويأتي من المقارنة بين هذا الحديث الكاظمي وبين الصادقي .

جعلت فداك لا نعرف إلا ما عرفتنا ، فقال أبو عبد الله (عليه السلام) : إن الله عز وجل خلق العقل وهو أول خلق من الروحانيين^(١) عن يمين العرش من نوره فقال له : أدير فأدير؛ ثم قال له : أقبل فأقبل ؛ فقال الله تبارك وتعالى : خلقتك خلقاً عظيماً ، وكرمتك على جميع خلقي ، قال : ثم خلق الجهل من البحر الأجاج ظلهانياً ، فقال له : أدير فأدير ؛ ثم قال له : أقبل فلم يُقبل ، فقال له : أستكبرت فلعله ، ثم جعل للعقل خمسة وسبعين جنداً ، فلما رأى الجهل ما أكرم الله به العقل وما أعطاه ، أضمر له العداوة ، فقال الجهل : يارب هذا خلق مثلي خلقتهم وكرمتهم وقويتهم وأنا ضده ولا قوة لي به فأعطني من الجند مثل ما أعطيتهم ، فقال : نعم ، فإن عصيت بعد ذلك أخرجتك ، وجندك من رحمتي ، قال : قد رضيت ، فأعطاه خمسة وسبعين جنداً ، فكان مما أعطى العقل من الخمسة والسبعين الجند^(٢) :

الخير وهو وزير العقل ، وجعل ضده الشر وهو وزير الجهل ؛ والإيمان وضده الكفر ؛ والتصديق وضده الجحود ؛ والرجاء وضده القنوط ؛ والعدل وضده الجور ؛ والرضا وضده السخط ؛ والشكر وضده الكفران ؛ والطمع وضده اليأس ؛ والتوكل وضده الحرص ؛ والرافقة وضدها القسوة ؛ والرحمة وضدها الغضب ؛ والعلم وضده الجهل^(٣) ؛ والفهم وضده الحمق ؛ والعفة^(٤) وضدها التهلك ؛ والزهد وضده الرغبة ؛ والرفق^(٥) وضده الخرق ؛ والرغبة وضده الجرأة ؛ والتواضع وضده

(١) يطلق الروحاني على الأجسام اللطيفة ، وعلى الجواهر المجردة إن قيل بها . مرآة العقول

(٢) في هامش أصول الكافي ٢١/١ : المذكور فيها يلي ثمانية وسبعون ، ولكنه قد تكرر ذكر بعض الجنود فانهم .

(٣) كذا .

(٤) منع البطن والفرج عن المحرمات والشبهات مرآة المعقول ٦٩/١ .

(٥) هو حسن الصنعة والملائمة المصدر .

الكبر؛ والتوعدة^(١) وضدها التسرع؛ والحلم وضده السفه؛ والصمت وضده الهذر؛ والاستسلام وضده الاستكبار؛ والتسليم وضده الشك؛ والصبر وضده الجزع؛ والصفح وضده الانتقام؛ والغنى وضده الفقر؛ والتذكر وضده السهو؛ والحفظ وضده النسيان؛ والتعطف وضده القطيعة؛ والقنوع وضده الحرص؛ والمؤاساة وضدها المنع؛ والمودة وضدها العداوة؛ والوفاء وضده الغدر؛ والطاعة وضدها المعصية؛ والخضوع وضده التطاول^(٢)؛ والسلامة وضدها البلاء؛ والحب وضده البغض؛ والصدق وضده الكذب؛ والحق وضده الباطل؛ والأمانة وضدها الخيانة؛ والإخلاص وضده الشوب؛ والشهامة وضدها البلادة؛ والفهم وضده الغباوة؛ والمعرفة وضدها الإنكار؛ والمداراة وضدها المكاشفة؛ وسلامة الغيب وضدها المماكره؛ والكتمان وضده الإفشاء؛ والصلاة وضدها الإضاعة؛ والصوم وضده الإفطار؛ والجهاد وضده النكول؛ والحج وضده نبذ الميثاق؛ وصون الحديث وضده النسيمة؛ وبرّ الوالدين وضده العقوق؛ والحقيقة وضدها الرياء؛ والمعروف وضده المنكر؛ والستر وضده التبرج^(٣)؛ والتقية وضدها الإذاعة؛ والإنصاف وضده الحمية؛ والتهئية^(٤) وضدها البغي؛ والنظافة وضدها القذر؛ والحياء وضدها الجلع^(٥)؛ والقصد وضده العدوان؛ والراحة وضدها التعب؛ والسهولة وضدها الصعوبة؛ والبركة وضدها المحق^(٦)؛ والعافية وضدها البلاء؛ والقوام^(٧) وضده

(١) الرزاة والتأني أي عدم المبادرة في الأمور المصدر.

(٢) وهو الترفع.

(٣) أي إظهار الزينة .. المصدر ٧٣.

(٤) هي الموافقة والمصالحة بين الجماعة .. المصدر.

(٥) الجلع هو قلة الحياء، وفي بعض النسخ بالخاء المعجمة وهو بمعنى النزاع مرآة العقول ٧٣/١ معناه.

(٦) النقص أو الإبطال.

(٧) كسحاب؛ العدل وما يعاش به مرآة العقول ٧٤/١.

المكاثرة ؛ والحكمة وضدها الهوى ؛ والوقار وضده الحفة ؛ والسعادة وضدها الشقاوة ؛ والتوبة وضدها الإصرار ؛ والاستغفار وضده الاغترار ؛ والمحافظة وضدها التهاون ؛ والدعاء وضده الاستنكاف ؛ والنشاط وضده الكسل ؛ والفرح وضده الحزن ؛ والألفة وضدها الفرقة ؛ والسخاء وضده البخل.

فلا تجتمع هذه الخصال كلها من أجناد العقل إلا في نبيّ أو وصيّ نبيّ ، أو مؤمن قد امتحن الله قلبه للإيمان ، وأما سائر ذلك من موالينا فإن أحدهم لا يخلو من أن يكون فيه بعض هذه الجنود حتى يستكمل ، وينتقى من جنود الجهل ، فعند ذلك يكون في الدرجة العليا مع الأنبياء والأوصياء ، وإنما يُدرك ذلك بمعرفة العقل وجنوده ، وبمجانبة الجهل وجنوده ، وفقنا الله وإياكم لطاعته ومرضاته^(١).

أقول :

لولا اهتمام الموضوع ، والمقارنة بين الحديث الصادقي ، والكاظمي ، لما عددنا الجنود ، والكلّ يرمي إلى بيان الفضائل ، والرذائل ، وكان من الجدير إفراد كتاب يضمن الجوانب وحقائقها والفروق بين الأجناد والأضداد ، وتفسير إدبار ، وإقبال العقل والجهل ، والمقارنة بينهما .

ولعلّ السرّ في تقديم الأمر بالإدبار فيهما على الإقبال أن في ابتداء الخلق كان مقبلاً ؛ إذ لو لم يكن مقبلاً ابتداءً لم يكن يؤمر بالإدبار ، فكان في البدء الإقبال ، ثم بالاكتساب كان الإدبار ، وهما رمز الطاعة والعصيان والله أولى بالأولى ، والعبء بالثاني «أني أولى بحسناتك منك ، وأنت أولى بسيئاتك مني»^(٢).

(١) أصول الكافي ١/٢٠ - ٢٣.

(٢) الجواهر السنوية ٣٢٠ ، لعل حديث الجنود من باب التمثيل ؛ إذ لا جند للعقل والجهل

أعظم الله لك أجرک

كلمة دعاء وسلوان للمتفجع ، وهي من الكلمات السائرة التي قد قالها الإمام الكاظم (عليه السلام) لرجل مات أخ له ، وهو لا يدري وإليك الحديث: روى الشيخ المجلسي طاب ثراه عن الخرائج أن علي بن أبي حمزة قال: كنت عند موسى بن جعفر (عليه السلام)، إذ أتاه رجل من أهل الريّ يقال له : جُنْدَب ، فسَلَّمَ عليه وجلس ، وسأَلَهُ أبو الحسن (عليه السلام) وأَحَسَّن السؤال به ، ثم قال له : يا جُنْدَب ما فَعَلَ أخوك ؟ قال له : بخير وهو يقرئك السلام ، فقال : يا جُنْدَب أعْظَمَ اللهُ لَكَ أَجْرَكَ في أخيك ، فقال : ورد كتابه من الكوفة لثلاثة عشر يوماً بالسلامة ، فقال : إنّه والله مات بعد كتابه بيومين ، ودفع إلى امرأته مالا وقال : ليكن هذا المال عندك ، فإذا قدم أخي فادفعيه إليه ، وقد أودعته الأرض في البيت الذي كان يكون فيه ، فإذا أنت أتيتها فتلطّف لها ، وأطعمها في نفسك فإنّها ستدفعه إليك .

قال علي بن أبي حمزة : وكان جُنْدَب رجلاً [كبيراً] جميلاً ، قال : فلقيت جُنْدَباً بعد ما فقد أبو الحسن (عليه السلام) فسألته عمّا قال له ؟

فقال: صدق والله وسيدي مازاد ، ولا نقص ، لا في الكتاب ، ولا في

المال^(١).

أقول :

نسخة الخرائج عندي : « عظم الله أجرك في أخيك »^(١) ، والإخبار بالموت أو موضع دفن المال مما يهّم الناس في إيمانهم أو يزيد فيه ، وأمّا الخواصّ منهم فيزيدهم يقيناً وثباتاً ، وبصورة عامّة إنّ الإخبار بالغيب يعدّ إحدى المعجزات التي هي من أسباب الإيثار وسكون النفس كائناً من كان إلاّ المعاند الالذّ .
ثمّ الكلمة كما عرفت تقال في العزاء وغيرها من حوادث الدهر ، وعزائم الأمور .

٩٤

اعقل عن الله

ما أتمنّها من كلمة لمن عقلها ، وأتتمر بأمرها ، جاءت في ضمن كلام للإمام الكاظم (عليه السلام) مع هشام بن الحكم :
« واعقل عن الله ، وانظر في تصرف الدهر وأحواله ، فإنّ ما هو آت من الدنيا كما ولّى منها ، فاعتبر بها... »^(٢) .

(١) الخرائج والجرائح ٣١٧/١ ، في معجزات الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) .

(٢) التحف ٣٩١ .

أقول:

قد أشير إلى التعقل عن الله في مواضع منها : كلمته الأخرى (عليه السلام) لهشام نفسه : «يا هشام ما بعث الله أنبياءه ورسله إلى عباده إلا ليعقلوا عن الله...»^(١) ، والأخرى : «يا هشام الصبر على الوحدة علامة قوة العقل ، فمن عقل عن الله اعتزل أهل الدنيا والراغبين فيها...»^(٢) ، والأخرى : «إنه لم يخف الله من لم يعقل عن الله ، ومن لم يعقل عن الله لم يعقد قلبه على معرفة ثابتة يبصرها ويجد حقيقتها في قلبه ، ولا يكون أحد كذلك إلا من كان قوله لفعله مصدقاً ، وسره لعلانيته موافقاً ، لأن الله تبارك اسمه لم يدل على الباطن الخفي من العقل إلا بظاهر منه ، وناطق عنه»^(٣).

بيان :

فرق بين عقل الشيء ، وعقل عن الشيء ، والثاني يقصد به غير الشيء وأنه وصل إليه من طريق ذلك الشيء ، ومحال في العقول أن تتعقل الله ، وكيف بنال الله ما هو مبدعه ! وعليه ، فالمراد معرفة الله بالله ومخلوقاته عن طريقه عز وجل . وعلامة التعقل عن الله ما ذكر في نفس الحديث من عدم معرفة ثابتة في قلب من لم يخف الله ، والاعتزال عن أهل الدنيا ، والراغبين فيها وألف علامة أخرى .

(١) أصول الكافي ١/١٦.

(٢) المصدر نفسه ١٧.

(٣) المصدر نفسه ٨٠.

اعمل كأنك ترى ثواب عملك

كلمة تقال لترغيب الحصول على اليقين لفاقده ، وأما الواجد له فأعلا درجاته ما كان لأهل البيت عليهم السلام فالعلوي : « لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً»^(١) عامّ لهم وإن كان خاصاً بأمر المؤمنين (عليه السلام) أولاً ويشهد لما ذكرنا من العموم أنّ الإمام الكاظم (عليه السلام) لم يكن يقول : « فاعمل كأنك ترى ثواب عملك ، لتكون أطمع في ذلك»^(٢) . إلاّ وهو واجد لأعلا مراتب اليقين المتطابق لواقع الأمر بحيث لو كشف له الغطاء لما ازداد يقيناً ، وليست هذه الصفة من خصائص جدّه دون باقي المعصومين عليهم السلام فتدبّر تعرف إن شاء الله تعالى .

وكلمة « فاعمل كأنك...» تسمّى بفاء النتيجة وقبلها : « وخذ موعظتك من الدهر وأهله : فإنّ الدهر طويلة قصيرة » ثم قال (عليه السلام) : « فاعمل...»؛ لأنّ الإنسان إذا أخذ عظته ، وعلم بزوال الدهر وأهله ؛ وأنّ ذلك مهما كان طويلاً قصير الأمد ؛ لكونه زائلاً فانياً ، ولا يبقى إلاّ وجهه تعالى وتقدّس ، فلا محالة قام بالعمل ليوم لقاء الله تعالى ، ولا يحصل التفكير العملي إلاّ بمحاسبة النفس ؛ ومن ثم جاء في الحديث الكاظمي : « ليس منّا من لم يحاسب نفسه في كلّ يوم»^(٣) !

(١) المائة كلمة ١ . ص ٣ . البحار ٤٦/٣٥ ، الذريعة إلى مكارم الشريعة ٩١ .

(٢) التحف ٣٩١ .

(٣) الوسائل ١١/٣٧٧ ، ويؤيّد العلوي : « وإنّ اليوم عمل ولا حساب ...» النهج ٢/٣١٨ ، الحاشية

وهي من أهم الأمور المغفول عنها وكان المؤمنون فيما مضى محاسبين لأنفسهم محاسبة الشريك لشريكه ، بل أشد من ذلك ، والعمل الصادر عن اليقين لا تتأتى إلا مع المحاسبة الخالصة في كل آن : وكلمة اليوم محمولة على المثال .

٩٦

أعلمهم بأمر الله أحسنهم عقلاً

أحسنيّة التعقل نلازمها الأعلميّة ، فالكلمة مطردة فمن كان أعلم بأمر الله ، لا بدّ ان يكون أعقل من غيره بل أحسنهم عقلاً ، جاء ذلك في ضمن كلام الإمام الكاظم (عليه السلام) لهشام بن الحكم قال :

« يا هشام ما بعث الله أنبياءه ورسله إلى عباده إلا ليعقلوا عن الله ^(١) فأحسنهم استجابة أحسنهم معرفة ، وأعلمهم بأمر الله احسنهم عقلاً...» ^(٢) .

أقول :

يريد (عليه السلام) أن غاية البعثة النبويّة العقل عن الله المتقدّم شرحه ^(٣) ، وأنّ الأحسن معرفة الأحسن استجابة للدعوة ، كما أنّ الأحسن عقلاً الأحسن علماً بأمر الله وأكثره .

سؤال :

حول الأحسنيّة عقلاً الملازمة للأعلميّة بأمر الله تعالى هل هذه الملازمة

(١) انظر : «اعقل عن الله» .

(٢) أصول الكافي ١/١٦ .

(٣) انظر : «اعقل عن الله» .

من جانب واحد أو من جانبين ؟ أي تلازم الأعلمية العقلية وبالعكس ، أو الملازمة من جانب واحد .

والجواب : أن الملازمة من الجانبين يعني الأحسنية عقلاً تلازم الأعلمية أيضاً والدليل على التلازم قوله تعالى : ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون﴾^(١).

وإنما قالها تعالى في قبال الفاقد للعلم والعقل معاً ففي الآية إشارة إلى التلازم بين العالم بالأمثال والذي يعقلها ، والحديث الكاظمي دلّ على أن الأعلمية تلازم الأعلمية ، والآية قائلة : بأنّ التعقل تابع للعلم على عكس الحديث ولاتنافي بينهما في نفس الأمر : لأنّ كلاً دالّ على جانب بلا نفي للجانب الآخر والجميع يُعطي مجموع الجانبين على حدّ المثل السائر : (إثبات الشيء لا ينفي ما عداه)^(٢).

٩٧

أعيدك بالله أن تبوء باثمي وإثمك

المبأة من اثنين إرجاع القصاص في الدم من أحدهما إلى الآخر ، تقال الكلمة في التحذير عن إراقة دم ، وغيرها.

قال الشيخ الصدوق :

حدّثنا أبو أحمد بن هانئ محمد بن محمود العبدي قال : حدّثنا محمد بن

(١) العنكبوت : ٤٣ .

(٢) أمثال وحكم ٨٣/١ . (إثبات شيء نفي ما عدا نفي كند).

محمود بإسناده رفعه إلى موسى بن جعفر (عليهما السلام) إنه قال : « لما دخلت على الرشيد سلّمت عليه ، فردّ عليّ السلام ، ثم قال : يا موسى بن جعفر خليفتي^(١) يجبني إليهما الخراج ؟!

فقلت : يا أمير المؤمنين أعينك بالله أن تبوء بإثمي وإثمك ، وتقبل الباطل من أعدائنا علينا ، فقد علمت أنه قد كذب علينا منذ قبض رسول الله (صلى الله عليه وآله) بما علم ذلك عندك »^(٢) .
أقول :

الحديث ذو شجون^(٣) طويل لا غرض لنا في شرح كلماته إلا كلمة المباءة ومصدرها القرآن ، واللغة.

أما القرآن فقد اقتصّ الله تعالى من قصّة قابيل القاتل هابيل المقتول ابني آدم (عليه السلام) ، القائل :

﴿ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمَكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴾^(٤) .
وليس يريد هابيل أن يراق دمه ؛ ليجمع الإثمان على رقبة قابيل بكلامه هذا.

قال الفيض : لعلّ غرضه بالذات أن لا يكون ذلك له ، لا أن يكون لأخيه... « من قتل مؤمناً أثبت الله على قاتله جميع الذنوب ، وبرئ المقتول منها ، وذلك قول الله عزّ وجلّ : ﴿ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمَكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴾^(٥) .

(١) كذا في الأصل «خليفتان».

(٢) عيون أخبار الرضا ١/٦٦ ، الباب ٧ ، البحار ٤٨/٢٥ ، الاحتجاج ٢/١٦١ .

(٣) من الأمثال السائرة مجمع الأمثال ١/١٩٧ ، الرقم ١٠٤٤ ، حرف الهاء .

(٤) المائدة : ٢٩ .

(٥) تفسير الصافي ١/٤٣٦ .

من حديث الإمام الباقر (عليه السلام)^(١).

وأما اللغة فكما يلي :

قال ابن فارس : الباء والواو والهمزة أصلان : أحدهما الرجوع إلى الشيء . والآخر تساوي الشئين.

فالأول الباء والمباءة وهي : منزلة القوم . ويقال : قد تبوءوا ، وبوءهم الله تعالى منزل صدق ، قال طرفة :

طَبَّيُوا الْبَاءَةَ سَهْلٌ وَلَهُمْ سُبُلٌ إِنْ شِئْتُ فِي وَحْشٍ وَعَر

وقال ابن هرمة :

وَبُوتَ فِي صَمِيمٍ مَعِشَرُهَا فَتَمَّ فِي قَوْمِهَا مَبُوءُهَا

والمباءة أيضاً : منزل الإبل حيث تناخ في الموارد يقال أبانا الإبل...
قال :

خَلِيْطَانِ بَيْنَهُمَا مِثْرَةٌ يُبَيْتَانِ فِي مَعْطِنٍ ضَيْقِ

وقال :

* لَهُمْ مَنْزَلٌ رَحَبُ الْمَبَاءَةِ أَهْلٌ *

ومن هذا الباب قولهم : باء فلان بذنبه كأنه عاد الى مباءته محتملاً لذنبه، وقد بُوتَ بالذنب ، وباءت اليهود بغضب الله تعالى .

والأصل الآخر قول العرب : إِنْ فُلَانًا لَبِوَاءُ بِفُلَانٍ ، أي إن قتل به كان

أمثال وحكم الإمام الكاظم عليه السلام / ج ١ ٣٣١
كفواً. بَاءَ فُلَانٍ بِفُلَانٍ إِذَا قَتَلَ بِهِ قَالَ :
أَلَا تَنْتَهِي عَنَّا الْمُلُوكَ وَتَتَّقِي مَحَارِمَنَا لَا يَبِئُوءُ الدَّمُ بِالدَّمِ

وفي الحديث : « أَنَّهُ أَمَرَهُمْ أَنْ يَتَبَاءَؤُوا » أَي يَتَبَاءَؤُونَ فِي الْقِصَاصِ ...^(١)
يقول الإمام الكاظم (عليه السلام) : يَا هَارُونَ أَحْذَرِكْ أَنْ تَحْمَلَ إِثْمِي
وَإِثْمَكَ عَلَى ظَهْرِكَ إِنْ أَحْذَرْتَ بِقَوْلِ السَّعَاءِ ، أَوْ اتَّخَذْتَهَا كَمَنْزَلٍ لَكَ ، وَتَحْتَمِلُ
الْكَلِمَةَ الْمَعْنِيَيْنِ لِلْمَبَاءَةِ.

٩٨

اغتنم جهله عن السؤال حتى تسلم من فتنة القول

من الكلمات المختارة الماثورة عن سابع الأئمة المعصومين (عليهم السلام)
لتعديل الأقيسة منها: بعض الجهل رحمة ، كما أن بعض العلم عذاب : إن هذه الكلمة صالحة
للمثل ، وإلا فحكمة قد قالها (عليه السلام) هشام بن الحكم :
« وَإِيَّاكَ أَنْ تَغْلِبَ الْحِكْمَةَ ، وَتَضَعَهَا فِي الْجَهَالَةِ [لِلْجَهَالِ] ، قَالَ هِشَامُ :
فَقُلْتُ لَهُ : فَإِنْ وَجَدْتُ رَجُلًا طَالِبًا غَيْرَ أَنْ عَقْلَهُ لَا يَتَّسِعُ لَضَبِّطِ مَا أَلْقَى إِلَيْهِ ؟
قَالَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) : فَتَلَطَّفْ لَهُ فِي النَّصِيحَةِ ؛ فَإِنْ ضَاقَ قَلْبُهُ فَلَا تَعْرِضَنَّ
نَفْسَكَ لِلْفِتْنَةِ ، وَاحْذَرِ رَدَّ الْمُتَكَبِّرِينَ^(٢) ، فَإِنَّ الْعِلْمَ يَذَلُّ عَلَى أَنْ يُمْلَى عَلَيْهِ مِنْ لَا
يُفِيقُ ، قُلْتُ : فَإِنْ لَمْ أَجِدْ مِنْ يَعْقِلُ السُّؤَالَ عَنْهَا ؟

(١) معجم مقاييس اللغة ١/٣١٢ - ٣١٤ - بؤا -

(٢) حرف الهمزة مع الحاء.

قال (عليه السلام) : فاغتنم جهله عن السؤال حتى تسلم من فتنة القول،
وعظيم الردّ»^(١).

بيان :

جوهر العلم لا يُعطاه الجاهل الضالّ ، فُيهلك ومهلك ، وإلى السجادة (عليه
السلام) يعزى :

إني لأكتم من علمي جواهره كي لا يرى الحق ذو جهل فيفتتنا
وقد تقدّم في هذا أبو حسن إلى الحسين ، ووصّى قبله الحسنًا
ياربّ جوهر علم لو أبوح به لقليل لي أنت ممن يعبد الوثنًا
ولاستحلّ رجال مسلمون دمي يرون أقبح ما يأتونه حسنا^(٢)

قوله (عليه السلام) : « فاغتنم جهله عن السؤال حتى تسلم من فتنة
القول » آخره يفسّر أوله بأنه ممن لا يصلح تعليمه ؛ لفقد الأهلية ؛ ومن ثم جاء
في الحديث النبوي في الحكمة : « لا تؤتوا الحكمة غير أهلها فتظلموها ،
ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم »^(٣) فجعل الجاهل المذكور رحمة وبياتله « بعض
الجدب أمرأ للهزيل »^(٤).

(١) التحف ٣٩٨ - ٣٩٩.

(٢) تفسير روح المعاني ١٦٩/٦ - ١٧٠.

(٣) غوالي اللثالي ٨٠/٤ - ٨١ ، البحار ٧٨/٢ - ٧٩.

(٤) مجمع الأمثال ١٠٥/١ ، حرف الباء.

اغد إلى عزك

كلمة ترغيب إلى الاكتساب في كلّ غدوة ، وروحة تضمن لصاحبه العزة والغنى عن الناس .

روى الشيخ الكليني بإسناده إلى هشام بن أحمد قال : كان أبو الحسن (عليه السلام) يقول لمصادف : اغد إلى عزك - يعنى السوق -^(١).

أقول : لا يخصّ الترغيب مصادفاً وإن خصّه الإمام (عليه السلام) بالخطاب ؛ فإنّ ذلك لا يخصّ عموم الحكم المعلّل وحاصل معناه امض إلى السوق للكسب لأنّه يجلب العزّ والغنى عن الناس ، قال أمير المؤمنين (عليه السلام) كما في الصادقي الصحيح :

« تعرّضوا للتجارة ؛ فإنّ فيها غنى لكم عمّا في أيدي الناس »^(٢).

وإليك نبذة من أحاديث التجارة :

في صادقي :

« ترك التجارة ينقص العقل ».

وآخر : « التجارة تزيد العقل ».

وآخر : « من طلب التجارة استغنى عن الناس ... إنّ تسعة أعشار

الرزق في التجارة ».

وآخر : « اسع على عيالك ، وإياك أن يكون هم السعاة عليك ».

(١) الكافي ٥ / ١٤٩ ، باب فضل التجارة .. من كتاب المعيشة ، الحديث ٧.

(٢) المصدر نفسه ، الحديث ٩.

وآخر: « لاتدعوا التجارة فتهونوا ، اتجروا بارك الله لكم ».

وآخر: اشترؤا وان كان غالباً ؛ فإن الرزق ينزل مع الشراء »^(١).

بيان :

كلمة « اغد إلى عزك » من الغدو ، قال الشيخ الطريحي : وقولهم : « يغدو بآناء و يروح به » أي يحلب بكرة وعشياً . وغدا غدواً من باب قعد : ذهب غدوة ، هذا أصله ، ثم كثر حتى استعمل في الذهاب والانطلاق أي وقت كان . ومنه قوله (عليه السلام) : « اغد يا أنس » أي انطلق . وفي حديث يوم الفطر : « اغدوا إلى جوائزكم » أي اذهبوا إليها^(٢) . والأمر أوضح من ذلك .

١٠٠

أفترى هذا الذي يأخذ بمنقاره ينقص من البحر؟

كلمة تمثيل لعلمه (عليه السلام) ، وما ظهرت ظاهرتة للناس بطائر يأخذ من البحر بمنقاره ، وهل ينقص به من البحر شيء ؟

روى القطب الراوندي قال : ومنها - أي من معجزات الإمام الكاظم (عليه السلام) - ماروي عن ابن أبي حمزة قال : كنت عند أبي الحسن موسى (عليه السلام) إذ دخل عليه ثلاثون مملوكاً من الحبشة اشترؤا له ، فتكلم غلام منهم فكان جميلاً بكلام ، فأجابه موسى (عليه السلام) بلغته ، فتعجب الغلام و

(١) المصدر نفسه ١٤٨ - ١٥٠ ، الحديث ١ ، ٢ ، ٣ ، ٦ ، ٨ ، ١٣ .

(٢) مجمع البحرين - غدا - .

ومصادف مشترك ، وطريق الشيخ الصدوق إليه صحيح معجم رجال الحديث ١٨/١٣٤ .

تَعَجَّبُوا جَمِيعاً!! وَظَنُّوا أَنَّهُ لَا يَفْهَمُ كَلَامَهُمْ ، فَقَالَ لَهُ مُوسَى : إِنِّي لِأَدْفَعُ إِلَيْكَ مَا لَمْ ، فَادْفَعْ إِلَى كُلِّ مِنْهُمْ ثَلَاثِينَ دِرْهَمًا ، فَخَرَجُوا وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ لِبَعْضٍ : إِنَّهُ أَفْصَحُ مِنَّا بَلْغَاتِنَا ، وَهَذِهِ نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ عَلَيْنَا .

قال علي بن أبي حمزة : فَلَمَّا خَرَجُوا قُلْتُ : يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ رَأَيْتُكَ تُكَلِّمُ هَؤُلَاءِ الْحَبَشِيِّينَ بَلْغَاتِهِمْ ! قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : أَمَرْتُ ذَلِكَ الْغُلَامَ مِنْ بَيْنِهِمْ بِشَيْءٍ دُونِهِمْ ؟ قَالَ : نَعَمْ أَمَرْتَهُ أَنْ يَسْتَوْصِيَ بِأَصْحَابِهِ خَيْرًا ، وَإِنْ يُعْطِي كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فِي كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثِينَ دِرْهَمًا ، لِأَنَّهُ لَمَّا تَكَلَّمَ كَانَ أَعْلَمُهُمْ فَانَّهُ مِنْ أَبْنَاءِ مَلُوكِهِمْ ، فَجَعَلْتُهُ عَلَيْهِمْ ، وَأَوْصَيْتُهُ بِمَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ ، وَهُوَ مَعَ هَذَا غُلَامٌ صَدَقَ .

ثم قال : لَعَلَّكَ عَجِبْتَ مِنْ كَلَامِي إِيَّاهُمْ بِالْحَبَشَةِ ؟ قُلْتُ : إِي وَاللَّهِ ، قَالَ : لَا تَعْجَبْ فَمَا خَفِيَ مِنْ أَمْرِي أَعْجَبُ^(١) ، وَمَا الَّذِي سَمِعْتَهُ مِنِّي إِلَّا كَطَائِرٍ أَخَذَ بِمَنْقَارِهِ مِنَ الْبَحْرِ قَطْرَةً^(٢) ، أَفْتَرَى هَذَا الَّذِي يَأْخُذُ بِمَنْقَارِهِ يَنْقُصُ مِنَ الْبَحْرِ ؟ وَالْإِمَامُ بِمَنْزِلَةِ الْبَحْرِ لَا يَنْفَدُ مَا عِنْدَهُ^(٣) ، وَعَجَائِبُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَجَائِبِ الْبَحْرِ^(٤) .

أقول : إِنَّمَا مِثْلُ الْعِلْمِ بِالْبَحْرِ ، لِأَنَّ عَجَائِبَهُ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِ كَمَا جَاءَ فِي الدُّعَاءِ « يَا مَنْ فِي الْبِحَارِ عَجَائِبُهُ »^(٥) ؛ وَمَنْ ثُمَّ قَالَ تَعَالَى : ﴿ لَنْفَذَ الْبَحْرِ قَبْلَ أَنْ تَنْفَذَ كَلِمَاتِ رَبِّي ﴾^(٦) .

(١) حرف (لا) .

(٢) حرف الكاف مع الطاء .

(٣) حرف الهمزة مع الميم .

(٤) الخرائج والجرائح ١/ ٣١٢ - ٣١٣ ، البحار ٤٨ / ٧٠ ، ١٠١ .

(٥) البلد الأمين الجوشن الكبير ٤٠٧ .

(٦) الكهف : ١٠٩ . وقيله : ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلَّمْتُ رَبِّي ... ﴾ .

١٠١

أفضل العبادة بعد المعرفة انتظار الفرج

كلمة مختارة يباثلها الحديث النبوي الذي رواه الشيخ الصدوق : «أفضل أعمال أمتي انتظار الفرج من الله عزّ وجلّ»^(١).

ولفظ الكاظمي المروي في غضون كلام الإمام الكاظم (عليه السلام) :
«أفضل العبادة بعد المعرفة انتظار الفرج»^(٢) متطابق له مع اختلاف يسير ، ويشهد لصدق المضمون الصادقي :

من سرّ أن يكون من أصحاب القوائم فليتنظر ، وليعمل بالورع ومحاسن الأخلاق وهو منتظر ، فإن مات وقام القوائم بعده كان له من الأجر مثل أجر من أدركه ، فجدّوا وانتظروا»^(٣).

والآخر : « من مات منتظراً لهذا الأمر كان كمن كان مع القوائم في فسطاطه ، لا بل كان كالضارب بين يدي رسول الله »^(٤).

والرضوي :

« ما أحسن الصبر وانتظار الفرج ، أما سمعت قول الله عزّ وجلّ :
﴿وارتقبوا إني معكم رقيب﴾^(٥) ﴿فانتظروا إني معكم من المنتظرين﴾^(٦)

(١) إكمال الدين ٢/ ٦٤٤ ، الباب ٥٥ ، الحديث ٣.

(٢) التحف ٤٠٣.

(٣) منتخب الأثر ٤٩٥ ، الحديث ٩.

(٤) إكمال الدين ٢/ ٣٣٨ ، الباب ٣٣ ، و ٦٤٤ ، الباب ٥٥ ، الحديث ١.

(٥) هود : ٩٣.

(٦) الأعراف : ٧١.

فعلیکم بالصبر ؛ فإنه إنما یجیء الفرج علی الیأس ، وقد کان الذین من قبلکم أصبر منکم»^(١).

أقول: ترى هذه الأحادیث توافق محتوی الکاظمی علی أن هنا نبویاً متوافقاً لبعض ألفاظه:

روی الشیخ الصدوق بإسناده إلى أمير المؤمنين (علیه السلام) قال : «قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أفضل العبادة انتظار الفرج»^(٢) ، وهو قريب مما سبق .

الانتظار کیفیة نفسانیة ینبعث منها التهیؤ لما ینتظره المنتظر ، أو قل : هو طلب إدراك ما یأتی من الأمر كأنه ینظر متى یشاء ، أو ترقب حصول الأمر المنتظر یتبعه بالتهیؤ المطلوب .

١٠٢

أفضل ما يتقرب به العبد إلى الله بعد المعرفة الصلاة

الصلاة صلة بین الله وعبده فلو کان سواها شیء ، لأوجبه تعالى علیه فی کلّ یوم وليلة ، وطوال الحياة ، قد جاء ذکرها فی کلام الإمام الکاظم (علیه السلام) لهشام بن الحکم:

« یا هشام أفضل ما يتقرب به العبد إلى الله بعد المعرفة الصلاة ، وبرّ الوالدين ، وترك الحسد ، والفخر»^(٣).

(١) إكمال الدين ٢/٦٤٥ ، الباب ٥٥ ، الحديث ٥ .

(٢) إكمال الدين ١/٢٨٧ ، الباب ٢٥ .

(٣) التحف ٣٩١ ، البحار ٧٨/٣٠٦ .

أقول :

قد جمع (عليه السلام) برّ الوالدين ، وترك الحسد ، والفخر مع الصلاة التي يتقرب بها إلى الله تعالى ، وبالإمكان أن يقال : إن هذه الأمور لا تنفك عن الصلاة المقربة ، وهل يتقرب العبد بها وهو عاقّ الوالدين ، أو مع الحسد ، أو الفخر ، أو مع أيّ فحشاء ومنكر ، أو محرّم من المحرّمات ، وقد قال تعالى : ﴿ إِن الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ﴾^(١) .؟؟

فالمذكور في الحديث وغيره لا تفقده الصلاة المطلوبة وإليك بعض ما جاء

فيها :

روى الشيخ الكليني رواية معاوية بن وهب قال : سألت أبا عبدالله عن أفضل ما يتقرب به العباد إلى الله ، وأحبّ ذلك إلى الله عزّ وجلّ ما هو ؟ فقال : ما أعلم شيئاً بعد المعرفة أفضل من هذه الصلاة ، ألا ترى أنّ العبد الصالح عيسى بن مريم (عليه السلام) قال : ﴿ وأوصاني بالصلوة والزكوة ما دمت حياً ﴾^(٢) .

وصحيح زيد الشحام عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال : سمعته يقول : أحب الأعمال إلى الله عزّ وجلّ الصلاة وهي آخر وصايا الأنبياء (عليهم السلام) ، فما أحسن الرجل يغتسل ، أو يتوضأ فيسبغ^(٣) الوضوء ، ثم يتنحّى حيث لا يراه أنيس فيشرف عليه وهو راكع أو ساجد ، إنّ العبد إذا سجد فأطال

(١) العنكبوت : ٤٥ .

(٢) مريم : ٣١ .

(٣) إسباغ الوضوء إتمامه وإكماله ، وذلك في وجهين : إتمامه على ما فرض الله تعالى ، وإكماله على ما سنّه رسول الله صلى الله عليه وآله مجمع البحرين - سبغ --

السجود نادى إبليس : ياويلاه أطاع وعصيت ، وسجد وأبيت^(١) .

روى السيد ابن طاووس عن الكراچكي في كتاب كنز الفوائد ، قال :
جاء في الحديث أن أبا جعفر المنصور خرج في يوم جمعة متوكئاً على يد الصادق
جعفر بن محمد (عليه السلام) ، فقال رجل يقال له رزام مولى خادم بن عبدالله :
من هذا الذي بلغ من خطره ما يعتمد أمير المؤمنين على يده ؟ فقيل له : هذا
جعفر بن محمد الصادق (صلى الله عليه) ، فقال : إني والله ما علمت لوددت
أن خدّ أبي جعفر نعل لجعفر .

ثم قال : فوقف بين يدي المنصور ، فقال له : أسأل يا أمير المؤمنين ؟
فقال المنصور: سل هذا . فالتفت رزام إلى الإمام جعفر بن محمد (عليه
السلام) فقال : أخبرني عن الصلاة وحدودها ، فقال له الصادق (عليه السلام):
للصلاة أربعة آلاف حدّ لست تؤاخذ بها ، فقال : أخبرني بما لا يحلّ تركه ولا تتم
الصلاة إلاّ به .

فقال : أبو عبدالله (عليه السلام) : لا تتم الصلاة إلاّ لذي طهر سابغ ،
وقام بالغ ، غير نازع ، ولا زائغ ، عرف فوقف ، وأخبت فثبت ، فهو واقف بين
اليأس والطمع ، والصبر والجزع ، كأنّ الوعد له صنع ، والوعيد به وقع ، بذل
عرضه^(٢) ، تمثّل عرضه^(٣) ، وبذّل في الله المهجة ، وتنكّب إليه المحجّة ، غير مرتعم^(٤)
بارتعام ، يقطع علائق الاهتمام ، بعين^(٥) من له قصد ، وإليه وفد ، ومنه استتردد

(١) الكافي ٢٦٤/٣ .

(٢) بذل شوقه وعليه تعليق في هامش فلاح السائل ٢٣ .

(٣) أي عرضه على الله يوم المحشر .

(٤) غير حادّ نظره بنوع من حدّة النظر الهامش الآنف الذكر ٢٤ .

(٥) أي بعين الله الذي قصده المضليّ .

، فإذا أتى بذلك كانت هي الصلاة التي بها أمر ، وعنها أخبر ؛ فإنها هي الصلاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر.

فالتفت المنصور إلى أبي عبدالله (عليه السلام) ، فقال : يا أبا عبدالله لانزال من بحرك نغترف ، وإليك نذلف ، تبصّر من العمى ، وتجلو بنورك الطخياء^(١) فنحن نعوم في سباحات قدسك ، وطامي بحرك^(٢).

١٠٣

إِقرأ ، وَارُقْ

تقال هذه الكلمة يوم القيامة لحافظ القرآن الكريم : « إقرأ ، وَارُقْ » ، وأصلها مايلي :

علي بن إبراهيم عن أبيه عن القاسم بن محمد عن سليمان بن داود المنقري عن حفص قال : سمعت موسى بن جعفر (عليهما السلام) يقول : لرجل أتجّب البقاء في الدنيا ؟ فقال : نعم ، فقال : ولم ؟ قال : لقراءة ﴿ قل هو الله أحد ﴾ ، فسكت عنه ، فقال له بعد ساعة : يا حفص من مات من أوليائنا وشيعتنا ولم يُحسن القرآن علّم في قبره ليرفع الله به من درجته ، فإن درجات الجنة على قدر آيات القرآن ، يقال له : إقرأ وَارُقْ ، فيقرأ ثم يرقى.

قال حفص : فهأريت أحداً أشدّ خوفاً على نفسه من موسى بن جعفر (عليهما السلام) ، ولا أرجأ الناس منه وكانت قراءته حزناً ، فإذا قرأ فكأنه

(١) الليلة الظلماء بنور كلامك تنكشف الظلمة.

(٢) فلاح السائل ٢٣.

يخاطب إنساناً^(١).

أقول :

يا لها من قراءة تضمن لقارئها الرقي في درجات الأخرى ، بل وفي الدنيا
السيادة والسعادة وهذا الرجل يحبّ البقاء في الدنيا لقراءة سورة الإخلاص
وهي نسب الله عزّ وجلّ.

أليس حفص قد وقع موضع القبول عنده (عليه السلام) ، وسكت
ساعة^(٢) ثم تكلم بما يدلّ على إسعاده في الدارين ، والأصل لنسيئة ﴿ قل هو
الله ﴾ لله تعالى ما رواه الشيخ الصدوق (طاب ثراه) فيها ويعجبني ذكره ،
لمكان الربط الذي دعا الرجل على حبّ البقاء في الدنيا وان كان التعرّض له
نوع ابتعاد عن الموضوع.

قال : حدّثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد قال : حدّثنا محمد بن
الحسن الصفّار عن إبراهيم بن هاشم ، وأحمد بن محمد بن عيسى جميعاً عن علي
ابن الحكم عن أبيه عن سعد بن طريف الأسكاف عن الأصبغ عن أمير المؤمنين
(عليه السلام) أنّه قال : من أحبّ أن يخرج من الدنيا وقد خلص من الذنوب
كما يخلص الذهب الذي لا كدر فيه ، وليس أحد يطالبه بمظلمة ، فليقرأ في دبر
الصلاة الخمس نسبة الله عزّ وجلّ : ﴿ قل هو الله أحد ﴾ اثني عشرة مرّة ، ثم
يبسط يديه ويقول :

« اللهم إني أسألك باسمك المكنون المخزون الطاهر الطاهر المبارك ،
وأسألك باسمك العظيم ، وسلطانك القديم ، يا واهب العطايا ، يا مطلق

(١) أصول الكافي ٢ / ٦٠٦ . باب فضل حامل القرآن . الحديث ١٠ ، ونبويّ : «اقرأ واصعد في

درج الجنة وغرفها» . كنز العيال ١ / ٥٥٢ ، الرقم ٢٤٧٥ .

(٢) غير محدّدة بستين دقيقة بل المراد الوقت والجزء من الزمان وقطعة منه وإن لم يكن قدرها ستين
دقيقة بل أقل أو أكثر منها مع الصدق العرفي .

الأسارى ، يافكك الرقاب من النار ، صلّ على محمد وآل محمد ، وفكّ رقبتى من النار ، واخرجني من الدنيا آمناً ، وأدخلني الجنة سالماً ، واجعل دعائي أوله فلاحاً ، وأوسطه نجاحاً ، وآخره صلاحاً إنك أنت علام الغيوب».

ثم قال (عليه السلام) : هذا من المخبات مما علّمني رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وأمرني أن أعلمه الحسن والحسين^(١) .
 نعود إلى « اقرأ وأرق » :

القراءة فيه لا تخصّ ﴿قل هو الله أحد﴾ المذكور في موردها ؛ لأنّ عموم الأمر بها هو المعتبر لا خصوص المورد . والقراءة كما تقدمت الإشارة إليها توجب الرقى في الدارين ، وتضمن سعادتها لصاحبها . والكلمة في نفس الوقت من المثل السائر تضرب للترغيب في تلاوة القرآن الكريم ، وأنها من الإمثال الروائية المروية عن الإمام أبي إبراهيم موسى (عليه السلام) سارت على ألسن شيعته في كلّ دور ، ولتكن لنا كلمة نشاط تنشطنا من عقال ، وتدعونا على أفضل الأعمال التي منها تلاوة كتاب الله آناء الليل وأطراف النهار ، والعمل بمحتواه .

(١) معاني الأخبار ١٣٩ - ١٤٠ ، باب معنى المخبات ، الحديث ١ ، فلاح السائل ١٦٦ - ١٦٧ .
 أقول : لم نفسّر كلمة «أارق» هي من رقى ، وله أصول ثلاثة : الصعود ومنه ﴿ أوترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك ﴾ الإسراء : ٩٣ . والعودة ، رقيت الإنسان من الرقية . والرقوة فوق الدعص من الرمل ، معجم مقاييس اللغة ٤٢٦/٢ - رقى - .

١٠٤

اقرؤوا كما تعلمتم

الأصل في الأمر بالقراءة القرآن الأمر بها : ﴿ اقرأ باسم ربك الذى خلق ﴾ * خلق الإنسان من علقٍ * اقرأ وربك الأكرم * الذى علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم ﴿^(١).

للآي المذكورة تفسيرها المروي عن أهل البيت (عليهم السلام) ، والكاظمي : « قال : قلت له : جعلت فداك إننا نسمع الآيات في القرآن ليس هي عندنا كما نسمعها ، ولأنحس أن نقرأها كما بلغنا عنكم ، فهل نأتم ؟ فقال : لا ، اقرؤوا كما تعلمتم ، فسيجيئكم ، من يعلمكم »^(٢).

وهل علينا قراءة القرآن كما أنزل ، أو على وفق ما يقرأه الناس ؟

قد جاء الأمر بقراءة ما يقرأه الناس ، وذلك قبل قيام الإمام المهدي (عجل الله فرجه) كما في آخر الحديث المتقدم الذكر نحن موظفون بها وأحكام الله الواقعية لا يطبقها إلا خاتم المعصومين (عليهم السلام) وإنها العباد عليهم بالظاهر منها دون الحقائق وإليك الحديث الدال على لزوم القراءة طبق قراءة الناس :

محمد بن يحيى عن محمد بن الحسين عن عبد الرحمن بن أبي هشام عن سالم بن سلمة قال : قرأ رجل على أبي عبدالله (عليه السلام) وأنا أستمع حروفاً من القرآن ليس على ما يقرؤها الناس ، فقال أبو عبدالله (عليه السلام) : كَفَّ

(١) العلق : ١ - ٥ .

(٢) أصول الكافي ٦٦٩/٢ ، باب أن القرآن يرفع كما أنزل ، الحديث ٢ ، الوسائل ٨٢١/٤ ، الباب ٧٤ من أبواب القراءة في الصلاة ، الحديث ٢ .

عن هذه القراءة ، اقرأ كما يقرأ الناس حتى يقوم القائم ، فإذا قام القائم (عليه السلام) قرأ كتاب الله عز وجل على حده ، وأخرج المصحف الذي كتبه علي (عليه السلام) : وقال : أخرجه علي (عليه السلام) إلى الناس حين فرغ منه وكتبه فقال لهم : هذا كتاب الله عز وجل كما أنزله [الله] على محمد (صلى الله عليه وآله) وقد جمعته من اللوحين ، فقالوا : هو ذا عندنا مصحف جامع فيه القرآن ، لا حاجة لنا فيه ، فقال : أما والله ما ترونه بعد يومكم هذا أبداً ، إنما كان عليّ أن أخبركم حين جمعته لتقرؤوه^(١).

وعليه استعرض الفقهاء القراءة في الصلاة إذا اختلف القراء أن المصلي ماذا يصنع وبأي القراءات يقرأ ، ففي فصل القراءة جاء في (مسألة ٥٠) الأحوط القراءة بإحدى القراءات السبع ، وإن كان الأقوى عدم وجوبها ، بل يكفي القراءة على النهج العربي ، وإن كانت مخالفة لهم في حركة بنية أو إعراب^(٢).

وعلق عليها ما يلي : القراءة السبعة هم :

- ١ - نافع بن أبي نعيم المدني
 - ٢ - عبد الله بن كثير المكي
 - ٣ - أبو عمر وابن العلاء البصري
 - ٤ - عبد الله بن عامر الدمشقي
 - ٥ - عاصم بن أبي النجود
 - ٦ - حمزة بن حبيب الزيات
 - ٧ - علي بن حمزة النحوي
- و— ١٦٩/٠٠ ت .
- و— ١٢٠/٤٥ ت .
- و— ١٥٤/٦٨ ت .
- و— ١١٨/٨ ت .
- و— ١٢٧/.. ، أو ١٢٨ ت .
- و— ١٥٦/٨٠ ت .
- و— ١٨٩/٠٠ ت .

(١) اصول الكافي ٢/٦٣٣ ، باب النوادر ، الحديث ٢٣ ، الوسائل ٤/٨٢١.

(٢) متن مستمسك العروة الوثقى ٦/٢٤٢.

الكوفيون فإذا أضيف إلى قراءة هؤلاء قراءة أبي جعفر يزيد بن القعقاع ، ويعقوب بن إسحاق الحضرمي ، وخلف بن هشام البرّاز . كانت القراءات العشر . هذا والمنسوب إلى أكثر علمائنا وجوب القراءة بإحدى السبع ، واستدلّ له بأنّ اليقين بالفراغ موقوف عليها ، لاتّفاق المسلمين على جواز الأخذ بها إلاّ ما علم رفضه وشذوذه ، وغيرها مختلف فيه . وبخبر سالم بن أبي سملة...^(١) .

أقول : يريد بالخبر ما قدّمنا ذكره ، فانظره ، وإشباع الكلام مقام آخر ، من شاء التمسّه^(٢) .

١٠٥

أقم الشهادة لله عزّ وجلّ ولو على نفسك

إقامة الشهادة إذا طلبت وجبت ، وتقام لله تعالى ، ولو على نفس المقيم ، والأصل في الإقامة القرآن : ﴿ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ﴾^(٣) ، و ﴿ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ ﴾^(٤) ، و ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ ﴾^(٥) .

وأما الكلمة فقد جاءت في ضمن حديث الإمام الكاظم (عليه السلام) أجاب به عن كتاب علي بن سويد وهو في الحبس تقدّم منه مرّة عند

(١) المصدر شرح المتن.

(٢) من الكتب المصدر نفسه.

(٣) الطلاق : ٢ .

(٤) البقرة : ٢٨٣ .

(٥) النساء : ١٣٥ .

أجب دعوته إذا دعاك»^(١) وعند «إذا انكسفت الشمس فارفع بصرَكَ إلى السماء»^(٢) ، وعند «إذا رأيت المشوّه الأعرابي فانتظر فَرَجَكَ»^(٣) ، وعند «استمسك بعروة الدين آل محمد»^(٤).

ومن أجله لا نذكر من حديث الكتاب وجوابه إلّا قوله (عليه السلام) :
«وسألت عن الشهادات لهم فأقم الشهادة لله عزّ وجلّ ولو على نفسك ...»^(٥).

بيان : في إقامة الشهادة شروط :

منها : أن تكون عن حسّ صحيح ، لا عن حدس ؛ ويشهد لذلك المثل النبوي : «هل ترى الشمس على مثلها فاشهد أودع»^(٦). استعرضناه في كتابنا بهذا الصدد^(٧).

ومنها : ما تقدّم من وجوب إقامتها لله تعالى.
ومنها : العدد المعتبر شرعاً المختلف إعتباره في القضايا والمواضع المتنازع فيها من اعتبار شاهدين اثنين ، أو أربعة ، مع أحكام وشروط في الشهداء ، وعند الأداء ، والمشهود عليه ، ويطلب كلّ ذلك من المظانّ .

(١) حرف الهمزة مع الجيم.

(٢) حرف إذا مع الهمزة.

(٣) حرف إذا مع الراء.

(٤) حرف الهمزة مع السين.

(٥) روضة الكافي ١٢٥.

(٦) الوسائل ١٨/٢٥٠ - ٢٥١.

(٧) الأمثال النبويّة ٣٤٣/٢ ، رقم المثل ٦٣١ ، حرف (هل) ، ولقد أودعنا فيه من كلام ما لا

يستغنى عنه ، وطبع في بيروت - الأعلمي - ١٤٠١ هـ.

١٠٦

أكثر الصواب في خلاف الهوى

جاءت الكلمة في كلام الإمام الكاظم (عليه السلام) لهشام بن الحكم رواه ابن شعبة وصورته :

« يا هشام إن العاقل اللبيب من ترك ما لا طاقة له به . وأكثر الصواب في خلاف الهوى . ومن طال أمله ساء عمله »^(١).

ثلاثة كلمات سبقت أولها^(٢)، وتأتي ثالثها في موضعها المتاح^(٣) إن شاء الله .

قوله (عليه السلام) : « وأكثر الصواب في خلاف الهوى » يدل على أن بعض وفاق الهوى لا يفقد الصواب دون أكثرها ، كالأكل والشرب ، وما يقيم الصلب ، ولا غنى عنه النفس في استمرار حياتها من أمور توافق طبعها ففي ذلك كله يتوافق الشرع والهوى ما لم تحد عما حظره عليها ، وإنما كان أكثر الصواب في خلافها، لأنها تتبع الشهوات ، والمحرّمات وتطغى على مولاها وتؤثر الحياة على رضاه ، ولم تكف عما نهاها فليس إلا الجحيم مأواها . قال تعالى :

﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى * وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى * وَأَمَّا مَنْ خَفَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾^(٤) . ففي الآيتين قبل الأخيرة شواهد جلية على أن المراد بوفاق الهوى المنهى الطغيان

(١) التحف ٣٩٩ ، البحار ٣١٥/٧٨ .

(٢) حرف (إن).

(٣) حرف الميم مع النون .

(٤) النازعات : ٣٧ - ٤١ .

على الله وإيثار الحياة الدنيا على رضاه وأن نهي النفس عن الهوى الكف عن ذلك؛ فإنه الصواب والجنة، والأمر أبين من الشمس لمن فتح البصر وأبصر، نعم إذا خلص العقل عن طوع الهوى استنار، وإلا فشمسه مكسوفة كما قال الشاعر إنارة العقل مكسوف بطوع هوى وعقل عاصي الهوى يزداد تنويراً^(١)

وللنفس تسويلات تخفى على أكبر مجاهد فضلاً عن قاعد؛ ومن ثم جاء الأمر بالورع وهو أرقى من التقوى؛ لأنه الكف المطلق حتى عما لا يتقى؛ مخافة أن يقع في المحظور، والتقوى هي الوقاية عن المحرمات وفي نبوي من أروع مثلٍ يمثل لك الورع التأم قال صلى الله عليه وآله :

«إن لكل ملك حمى، وإن حمى الله حلاله، وحرامه والمتشابهات بين ذلك، كما أن راعياً رعى جانب الحمى لم تثبت غنمه أن تقع في وسطه، فدعوا الشبهات...»^(٢)، وفي المثل السائر: «الشبهة أخت الحرام»^(٣)، ومن لم يجتنب الشبهة وقع فيها من حيث لا يعلم، وفي الكف عنها النجاة من الحرام الواقعي.

(١) جامع الشواهد ٢٢٧/٨.

(٢) أمالي الشيخ الطوسي ٣٩٠/٨.

(٣) مجمع الأمثال ٣٦٨/٨، الرقم، ١٩٨٤.

١٠٧

أكثر من أن تقول : اللهم لا تجعلني من المعارين

كلمة التماس واستعاذة من العطب، وسوء العاقبة، والتغيير، والتبدل قد
 قالها الإمام الكاظم (عليه السلام) ، رواها الشيخ الكليني قائلاً:
 أبو علي الأشعري عن عيسى بن أيوب عن علي بن مهزيار عن الفضل
 ابن يونس عن أبي الحسن (عليه السلام) قال : قال :

« أكثر من أن تقول : اللهم لا تجعلني من المعارين ، ولا تخرجني من
 التقصير ، قال : قلت : أما المعارون فقد عرفت أن الرجل يعار الدين ، ثم يخرج
 منه ، فما معنى لا تخرجني من التقصير ؟ فقال : كل عمل تريد به الله عز وجل
 فكن فيه مقصراً في نفسك ؛ فإن الناس في أفعالهم فيما بينهم وبين الله مقصرون
 إلا من عصمه الله عز وجل »^(١).

أقول :

جمع من الرواة كانوا من المعارين يتحدث عنهم بعض النصوص .
 منهم أبو الخطاب محمد بن أبي زينب البرآد الأجدع الأسدي وهو من
 الكذابين على الصادق (عليه السلام) وهم الخطايبة المؤخرون صلاة المغرب حتى
 تستبين النجوم ففي كاظمي تقسيم الأقوام « واستودع قوماً إيماناً فإن شاء
 أتمهم لهم ، وإن شاء سلبهم إياه ، وإن أبا الخطاب كان ممن أعاره الله الإيـان ، فلما
 كذب على أبي سلبه الله الإيـان »^(٢).

(١) أصول الكافي ٧٣/٢ ، باب الاعتراف والتقصير ، الحديث ٤ .

(٢) معجم رجال الحديث ٢٤٩/١٤ .

وممنهم غيره ، ولاتهمنا ترجمته فإن لقوله تعالى: ﴿فمستقرّ ومستودع﴾^(١) مصاديق قد طبّق ، وعدّد منها علي بن أبي حمزة البطائني^(٢) ، وإنا المهمّ السؤال منه تعالى حسن الخاتمه ، والثبات على الإيمان ، والولاية ، وكم من إنسان أصبح كافراً بعد مسائه أو أمسى كافراً بعد صباحه ، وإن تلاوة القرآن والتدبّر في آياته عامل ربّاني يدعو على الاستقامة ، إذا تلا قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٣) و ﴿رَبَّنَا لَا تَزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾^(٤) و ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا ...﴾^(٥).

١٠٨

إلهي في أعلى عليين اغفر لعليّ بن يقطين

دعاء دعا به الإمام الكاظم (عليه السلام) لابن يقطين ، جاء ذلك في كلام له رواه شيخ الطائفة قال :

طاهر بن عيسى قال: حدّثني أبو جعفر محمد بن القاسم بن حمزة بن موسى العلوي قال : سمعت إسماعيل بن موسى عمّي قال : رأيت العبد الصالح (عليه السلام) يقول : إلهي في أعلى عليين اغفر لعليّ بن يقطين^(٦).

(١) الأنعام : ٩٨ .

(٢) معجم رجال الحديث ١١ / ٢٢٠ فيه تلويح إلى التعديد.

(٣) الأحقاف : ١٣ .

(٤) آل عمران : ٨ .

(٥) آل عمران : ١٤٧ . دعاء القرآن من خير الأدعية .

(٦) اختيار معرفة الرجال ٤٣٧ ، الرقم ٨٢٣ . معجم رجال الحديث ١٢ / ٢٢٣ .

ترجمة علي بن يقطين.

اتفقت كلمة أرباب التراجم على جلالة الرجل ، وأعلى مراتب الوثاقة ، وعظم منزلته عند موسى الكاظم (عليه السلام) ، وأنه استوهبه من الله ^(١) وضمن له الجنة ^(٢) ؛ ومن ثم نكتفي ببندة من ترجمته ، قال النجاشي :

علي بن يقطين بن موسى البغدادي ، سكنها وهو كوفي الأصل ، مولى بني أسد ، أبو الحسن ، وكان أبوه : يقطين بن موسى ^(٣) ، داعية طلبه مروان ، فهرب . وولد علي بالكوفة ، سنة أربع وعشرين ومائة ، وكانت أمه هربت به ، وبأخيه: عبيد إلى المدينة ، حتى ظهرت الدولة ، ورجعت .

مات سنة اثنتين وثمانين ومائة ، في أيام موسى بن جعفر (عليه السلام) ببغداد ، وهو محبوب في سجن هارون ، بقي فيه أربع سنين ^(٤) .

وقال الشيخ : علي بن يقطين رحمة الله عليه ثقة ، جليل القدر ، له منزلة عظيمة عند أبي الحسن موسى (عليه السلام) ، عظيم المكان في الطائفة... ^(٥) .

قوله (عليه السلام) : «إلهي في أعلى عليين اغفر لعلّي بن يقطين» كلمة «عليين» فيها أقوال تسمعها ، وقد جاءت في آية ﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلِيّين * وما أدراك ما عَلِيّون * كتاب مرقوم ﴾ ^(٦) .

قوله تعالى : ﴿ كتاب مرقوم ﴾ أحد تفاسيرها ولكن لا يعرفها إلا المقرّب

(١) المصدر الأخير ٢٣٦ .

(٢) المصدر الأخير ٢٢٨ .

(٣) انظر كلمة «إننا المؤمن» .

(٤) رجال النجاشي ١٠٧/٢ - ١٠٨ ، الرقم ٧١٣ .

(٥) معجم رجال الحديث ٢٢٧/١٢ .

(٦) المطففين : ١٨ - ٢٠ .

عند الله كما قال عز وجل : ﴿ يشهده المقربون ﴾^(١) .

قال الشيخ الطبرسي :

﴿ عليّون ﴾ : علّو على علّو مضاعف ، ولهذا جمع بالواو والنون ، تفخيماً لشأنه ، وتشبيهاً بما يعقل في عظم الشأن وهي مراتب عالية محفوفة بالجلالة قال الشاعر :

فأصبحت المذاهب قد أذاعت به الإعصار بعد الوابلينا

يريد قطراً بعد قطر غير محدود العدد...

وفي تفسير آية ﴿ إن كتاب الأبرار ﴾ قال : أي المطيعين لله ﴿ لفي عليّين ﴾ : أي مراتب عالية محفوفة بالجلالة.

وقيل في السماء السابعة وفيها أرواح المؤمنين عن قتادة ومجاهد والضحاك وكعب.

وقيل في سدرة المنتهى وهي التي ينتهي إليها كلّ شيء من أمر الله تعالى...

وقيل العليّون الجنة عن ابن عباس ، قال الفراء : في ارتفاع بعد ارتفاع لا غاية له.

وقيل هو لوح من زبرجدة خضراء معلق تحت العرش أعماهم مكتوبة فيها عن ابن عباس

وعن براء بن عازب عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال : في عليّين في السماء السابعة تحت العرش^(٢) . وجاء ذكر الأقوال في كلام الشيخ الطريحي

(١) المطففين : ٢٦ .

(٢) تفسير مجمع البيان ٤٥٥/١٠ .

فراجع^(١).

أقول :

هذه الأقوال مفسرة للكتاب المرقوم المفسر لكلمة ﴿ عَلِيَّيْن ﴾ ، فهي تكون شارحة لها للاحالة ، فعليّون هي الكتاب المرقوم وهو: هي أيضاً ، ومع ذلك لاعلم لنا بحقيقة الحال ، نعم نعرف ربط طلب الإمام الكاظم (عليه السلام) المغفرة من الله في عليّين لعلي بن يقطين من قول مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) « لقائل قال بحضرته : استغفر الله : ثكلتك أمك أتدري ما الاستغفار؟ إنّ الاستغفار دَرَجَة العليّين ، وهو أسم ... »^(٢) .

قال المعتزلي : أي أنّ لصاحب الاستغفار دَرَجَة العليّين وهو هاهنا جمع على « فَعِيل » كضليل وخمير ، تقول : هذا رجل عليّ ؛ أي كثير العلوّ ، ومنه العلية للُغرفة .. ولايجوز أن يفسر بما فسر به الراوندي من قوله أنّه اسم السماء السابعة ، ونحو قوله : هو « سدرة المنتهى » ، ونحو قوله « هو موضع تحت قائمة العرش اليمنى » ، لأنّه لو كان كذلك لكان علماً...^(٣) . وكيف كان إنّ كلمة «عليّين» قيل أنها مبالغة في العلوّ لاغير ، وفيه ما تقدّم.

(١) مجمع البحرين - علا - .

(٢) النهج ٥٦/٢٠ ، الحكمة ٤٢٥ .

(٣) شرح النهج ٥٦/٢٠ .

١٠٩

أَلْحُوا فِي الدَّعَاءِ أَنْ يَكْفِيَكُمْوَهُ اللهُ

للإلحاح في الدعاء والتلبّث ثمّ حلّوً يجده الداعي ، ونجح الحاجة وقمع العدو اللدود ؛ ويشهد له صحيح أبي ولّاد المتقدم الذكر^(١) ، نعيده ؛ لأنّه كما قال عبدالله بن نمير الثقفي :

تَضَوَّعَ مِسْكَ بَطْنُ نَعْمَانَ أَنْ مَشَتْ بِهِ زَيْنَبُ فِي نَسْوَةِ عَطْرَاتٍ^(٢)

وقال آخر :

أَعِدُّ ذِكْرَ نَعْمَانَ لَنَا إِنْ ذَكَرَهُ هُوَ الْمِسْكَ مَا كَرَّرْتَهُ يَتَضَوَّعُ^(٣)

من كتاب المشيخة للحسن بن محبوب في حديث أبي ولّاد حفص بن سالم الخياط قال : دخلت على أبي الحسن موسى (عليه السلام) بالمدينة ، وكان معي شيء فأوصلته إليه ، فقال : أبلغ أصحابك وقل لهم : اتقوا الله عزّ وجلّ ؛ فإنكم في إمارة جبّار - يعني أبا الدوانيق - ، فأمسكوا ألسنتكم ، وتوقّوا على أنفسكم ودينكم ، وادفعوا ما تحذرون علينا وعليكم منه بالدعاء ؛ فإنّ الدعاء والطلب إلى الله يردّ البلاء وقد قدر وقضي ، ولم يبق إلّا إمضاؤه ، فإذا دُعي الله ، وسُئل صرف البلاء صرفاً ، فألحوا في الدعاء أن يكفيكموه الله ...

(١) انظر «ادفعوا ما تحذرون ...».

(٢) لسان العرب ٢٢٩/٨ - ضوع -.

(٣) تاج العروس - ضوع -.

قال أبو ولّاد : فلما بلغت أصحابي مقالة أبي الحسن (عليه السلام) ، قال : ففعلوا ودعوا عليه ، وكان ذلك في السنة التي خرج فيها أبو الدوانيق إلى مكة فمات عند بئر ميمون ، قبل أن يقضى نسكه ، وأراحنا الله منه ، قال أبو ولّاد : وكنت تلك السنة حاجاً فدخلت على أبي الحسن (عليه السلام) ، فقال : يا أبا ولّاد كيف رأيتم نجاح ما أمرتكم به وحتتكم عليه من الدعاء على أبي الدوانيق؟ يا أبا ولّاد مامن بلاء ينزل على عبد مؤمن فيلهمه الله الدعاء إلاّ كان كشف ذلك البلاء وشيكاً ، ومامن بلاء ينزل على عبد مؤمن فيمسك عن الدعاء إلاّ كان ذلك البلاء طويلاً ، فإذا نزل البلاء فعليكم بالدعاء^(١) .

أقول :

لا أشرح كلمات الحديث ، فإنّ ذلك خروج عن الموضوع عدا كلمة : « ألحوا في الدعاء ... »

الإلحاح في الدعاء ، والأحاديث

روى الشيخ الكليني بإسناده إلى الوليد بن عقبة الهجري قال : سمعت أبا جعفر (عليه السلام) يقول : والله لا يُلحّ عبد مؤمن على الله عزّ وجلّ في حاجته إلاّ قضاها له .

ومنها الباقرى الآخر : « لا والله لا يُلحّ عبد على الله عزّ وجلّ إلاّ استجاب الله له » .

ومنها صحيح أبي الصباح عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال : إنّ الله عزّ وجلّ كره إلحاح الناس بعضهم على بعض في المسألة ، وأحبّ ذلك لنفسه ، إنّ الله يحبّ أن يسأل ويطلب .

ومنها الصادقي الآخر قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : رحم

الله عبداً طلب من الله عزّ وجلّ حاجة ، فألحّ في الدعاء ، استجيب له أو لم يستجيب [له] وتلا هذه الآية : ﴿ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴾^(١) .

أقول :

أو يدعو العبد الفقير الله الغني ، فيحرمه الإجابة فلا تقضى حاجته ؟ كلاً وحشاً ثم حاشاً .

فما معنى استجيب له ، أو لم يستجب ؟ وما المراد من تعقيب آية ﴿ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴾؟! .

والجواب : إنّ الحديث يرمي مرمىً أسمى من قضاء حاجة الداعي ، وما تمنّاه بالدعاء ، ألا وهو إسعاده بالقرب ، والقبول ، والوصول إلى لذة المناجاة ، ومعرفة المدعو ، والفوز باللقاء ، وقد جاء ذكر لقاء الله في عشرين موضعاً من القرآن الكريم ، وفسّرت بتفاسير مختلفة عن أهل البيت (عليهم السلام) ، ليس حلاوة المناجاة مع الله تعالى من أسمى الطلبات ، وأرفع الغايات ، وإذا حصل الداعي على ذلك ، ولم يستجب له ما تمنّاه من الفانيات فقد سعد بدعاء ربه ولم يكن به شقيماً ، وهل يستبدل الخير بالأدنى ، أو الباقي بالفاني؟؟ قال الله عزّ وجلّ : ﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾^(٢) .

(١) أصول الكافي ٤٧/٢ ، باب الإلحاح في الدعاء والتلبيث ، الحديث ٣ - ٦ . والآية من سورة

مريم : ٤٨ .

(٢) النحل : ٩٦ .

١١٠

ألزم العلم لك ما دلّك على صلاح قلبك

من الحكميّات الصالحة لضرب المثل لتارك الأهمّ إلى المهمّ ، وهي من حديث الإمام الكاظم (عليه السلام) المشتمل على أربع كلمات موزّعة على الحروف قد سبقت الكلمات عند «أحمد العلم عاقبة ما زاد في عمك العاجل»^(١) .
ولا بأس بذكر ما يربط الكلمة الجارية ، قال روحى فداه :
أولى العلم بك ما لا يصلح لك العمل إلّا به ، وأوجب العمل عليك ما أنت مسؤول عن العمل به ، وألزم العلم لك ما دلّك على صلاح قلبك . وأظهر لك فساده ...»^(٢) .

أقول :

وللحديث تتمّة كما يلي : « فلا تشغلنّ بعلم ما لا يضرك جهله ، ولا تغفلنّ عن علم ما يزيد في جهلك تركه » .

لو زدنا على الأربع الكلمات هاتين الكلمتين كانت ستاً ، وعلى كلّ عاقل ذي فكرة التفكير في اصطفاء العلوم الألزم منها فالألزم : فإنّ أيام الحياة لاتفي للحصول على جميعها إلّا للأوحدى من الناس ؛ ليصبح جامعاً لجميع العلوم ؛ ومن المعلوم لا يكون ذلك إلّا بالقياس إلى الفاقد للكلّ ؛ فيصح القول بأنّه جامع لها .

والوجب على كلّ بالغ عاقل طلب علم الدين أصوله وفروعه ؛ ومن ثم

(١) حرف الهمزة مع الحاء .

(٢) أعلام الدين ٣٠٥ ، البحار ٣٣٣/٧٨ .

جاء الأمر بالتفقه في آية النفر : ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾^(١) .
 دلّت على لزوم التفقه في الدين على الجميع إلّا أنّ على البعض منهم التعلّم والتعليم معاً ، وعلى البعض الباقي التعلّم فقط ، فأصل التفقه على الجميع واجب ، والوصف يختلف . وفي الصحيح النبوي : « طلب العلم فريضة على كل مسلم إلّا إن الله يحبّ بغاة العلم » ، والصادقي : « طلب العلم فريضة » ، والآخر : « لوددت أنّ أصحابي ضربت رؤوسهم بالسياط حتى يتفقّهاوا »^(٢) . (إذا جاء نهر الله بطل نهر معقل)^(٣) .

١١١

الزموهم من ذلك ما ألزموه أنفسهم

من الأمثال السائرة الفقهيّة : (ألزموهم بما ألزموا به أنفسهم) عند الفقهاء .

والأصل له الأحاديث منها ما رواه الشيخ الحرّ عن الشيخ الطوسي بإسناده عن عبدالله بن جبلة عن غير واحد عن علي بن أبي حمزة أنّه سأل أبا الحسن (عليه السلام) عن المطلقة على غير السنّة ، أيتزوجها الرجل ؟ فقال : « ألزموهم من ذلك ما ألزموه أنفسهم ، وتزوجوهنّ فلا بأس بذلك »^(٤) .

(١) التوبة : ١٢٢ .

(٢) أصول الكافي ١/٣٠ - ٣١ ، كتاب فضل العلم ، الحديث ١ و٢ و٨ .

(٣) شرح النهج للمعتزلي ٦/٤٢٥ ، مجمع الأمثال ١/٨٨ ، المولّدون .

(٤) الوسائل ١٥/٣٢١ ، الباب ٢٠ من أبواب مقدّماته وشرائطه ، الحديث ٥ .

أقول :

قاعدة الإلزام معتبرة عند فقهاءنا الإمامية ، واستدلوا على اعتبارها بالأحاديث.

منها : الكاظمي المتقدم الذكر.

ومنها: عن جعفر بن سباعة أنه سئل عن امرأة طَلقت على غير السنة ، ألي أن أتزوجها ؟ فقال : نعم ، فقلت له : ألسنت تعلم أن علي بن حنظلة روى : إياكم والمطلقات ثلاثاً على غير السنة ؛ فإنهن ذوات أزواج ؟ فقال : يا بني رواية علي بن أبي حمزة أوسع على الناس ، روي عن أبي الحسن (عليه السلام) أنه قال : ألزموهم من ذلك ما ألزموه أنفسهم ، وتزوجوهن فلا بأس بذلك^(١).

ومنها الرضوي : « إن طلاقكم [الثلاث] لا يحلّ لغيركم ، وطلاقهم يحلّ لكم؛ لأنكم لاترون الثلاث شيئاً وهم يوجبونها»^(٢).

ومنها الآخر : « ... قلت : أليس قد روي عن أبي عبدالله (عليه السلام) أنه قال : إياكم والمطلقات ثلاثاً في مجلس فإنهن ذوات الأزواج ؟ فقال : ذلك من إخوانكم لامن هؤلاء ، إنه من دان بدين قوم لزمته أحكامهم»^(٣).

عندنا للطلاق شروط حتى تبين المطلقة : وقوعه في طهر غير مواقع ، وحضور عدلين ، وتعدّد المجالس المتخلّلة بعدة الطلاق ، فلو طَلقت ثلاثاً في مجلس واحد ، عدّ واحداً، أو هو باطل ، على خلاف بيننا وهو الطلاق السنة ، فلو فقدت الشروط كان الطلاق بدعة إلا أن القاعدة تصحّحه على تفصيل في الفقه ،

(١) المصدر نفسه ، الحديث ٦ الحدائق ٢٥/٢٤٢.

(٢) الوسائل ١٥/٣٢٢ ، الحديث ٩ ، الحدائق ٢٥/٢٤٣.

(٣) الوسائل ١٥/٣٢٢ ، الحديث ١١.

٣٦٠ المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام

والمسألة محرّرة وذات أهميّة ؛ لأنّها الفروج التي يجب الاحتياط فيها كالدماء ،
والأموال وهي أخفّها ، وقد بنان الغرض من الكاظمي إن شاء الله تعالى .

١١٢

أليس معي من يملك الدنيا والآخرة ؟

كلمة تملك القلوب : لأنّها خرجت عن قلب إمام القلوب فهي واقفة أمامه
خاشعة ، خاضعة إجلالاً وإكباراً ، ومن الأمثال الرفيعة الرافعة للمستوى
الإنساني إلى أرفع درجات الإنسانيّة ، تعرج به إلى سماء العظمة حتى تربه
الهدف من خلق السموات والأرض ، والدنيا والآخرة ، وعلى شفّيته كلمة من
ربّه : ﴿ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾^(١) ، ويقول من كلّ قلبه « أليس معي من
يملك الدنيا والآخرة » هذه كلمة موسى بن جعفر ، وتلك من موسى بن عمران
(عليهما السلام). قد صدرت عن قلب معصوم ، ولقلوب المؤمنين فيه أسوة حسنة.
وقد قالها الإمام الكاظم (عليه السلام) في قصّته مع طاغية زمانه هارون
، رواها الشيخ الصدوق (طاب ثراه) وهي مطوّلة نذكرها عن آخرها ، لاشتغالها
على قسوة هارون ، وموقفه ، وأمور أخرى :

قال : حدّثنا أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني (رضي الله عنه) . قال :
حدّثنا علي بن إبراهيم بن هاشم ، قال : حدّثني محمد بن الحسن المدني عن أبي
عبدالله بن الفضل عن أبيه الفضل قال : كنت أحجب^(٢) الرشيد ، فأقبل عليّ
يوماً غضباناً وبیده سيف يقلّبه ، فقال لي : يا فضل بقرابتي من رسول الله (صلّى

(١) الشعراء : ٦٢ .

(٢) أي بواباً أحجب عنه الناس الآ من أرادوه .

الله عليه وآله) لئن لم تأتني بآبِنِ عَمِّي الْآنَ لَأَخْذَنَّ الَّذِي فِيهِ عَيْنَاكَ ، فقلت : بمن أجبتك ؟ فقال : بهذا الحجازي فقلت : وأبي الحجازيين ؟ قال : موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب .

قال الفضل : فخفت من الله عز وجل أن أجيء به إليه ، ثم فكرت في النقمة ، فقلت له : أفعَل ، فقال : أتتني بسوطين ، وهسارين^(١) وجلادين ، قال : فأتيته بذلك ، ومضيت إلى منزل أبي إبراهيم موسى بن جعفر (عليه السلام) فأتيت إلى خربة فيها كوخ من جرائد النخل ، فإذا أنا بغلام أسود ، فقلت له : استأذن لي على مولاك يرحمك الله ، فقال لي : لج فليس له حاجب ولا بواب ، فولجت إليه فإذا أنا بغلام أسود بيده مقص يأخذ اللحم من جبينه وعرنين أنفه من كثرة سجوده ، فقلت له : السلام عليك يا بن رسول الله ، أجب الرشيد ، فقال : ما للرشيد ومالي ؟ أما تشغله نعمته عني ؟ ثم وثب مسرعاً وهو يقول : لولا أني سمعت في خبر عن جدِّي رسول الله صلى الله عليه وآله : إن طاعة السلطان للتقية واجبة ، إذا ما أجبتك ، فقلت له : استعد للعبوة يا أبا إبراهيم رحمك الله فقال : (عليه السلام) : أليس معي من يملك الدنيا والآخرة ؟ ولن يقدر اليوم على السوء بي إن شاء الله تعالى .

قال فضل بن ربيع : فرايته وقد أدار بيده (عليه السلام) يلوح بها على رأسه (عليه السلام) ثلاث مرّات ، فدخلت على الرشيد ، فإذا هو كأنه امرأة ثكلى قائم حيران ، فلما رأيي قال لي : يا فضل ، فقلت : لبيك ، فقال جثتي بآبِنِ عَمِّي ؟ قلت نعم ، قال : لا تكون أزعجتك ؟ فقلت : لا . قال : لا تكون أعلمته أنني عليه غضبان ؟ فإني قد هيّجت على نفسي ما لم أرد ، انذن له بالدخول ،

(١) في نسخة البحار ١٥/٤٨ . «بسواطين ، وهبنارين» ، وفي التعليق عليه : نسخة في هامش مطبوعة الكمباني «هسارين» «هسارين» هامش المصدر نفسه . ولعل الكلمة معربة (هست أستا) عراف . ساحر المعجم الذهبي ٦٠٤ .

فأذنت له ، فلما رآه وثب إليه قائماً وعانقه ، وقال له : مرحباً يا ابن عمي وأخي ووارث نعمتي ، ثم أجلسه على فخذه ، فقال له : ما الذي قطعك عن زيارتنا ؟ فقال : سعة ملكك ، وحبك للدينا ، فقال : ائتوني بحُقة الغالية فأتي بها فغلفه بيده ، ثم أمر أن يحمل بين يديه خلعٌ وبدرتان دنانير ، فقال موسى بن جعفر (عليه السلام) والله لولا أنني أرى أن أزوج بها من عزّاب بني أبي طالب ؛ لثلاً ينقطع نسله أبداً ما قبلتها ، ثم تولى (عليه السلام) وهو يقول : الحمد لله رب العالمين .

فقال الفضل : يا أمير المؤمنين أردت أن تعاقبه فخلعت عليه وأكرمته ، فقال لي : يا فضل إنك لما مضيت لتجيء به رأيت أقواماً قد أحدقوا بداري بأيديهم حراب قد غرسوها في أصل الدار يقولون : إن آذى ابن رسول الله خسفنا به وبيداره الأرض^(١) ، وإن أحسن إليه انصرفنا عنه وتركناه ، فتبعته (عليه السلام) فقلت له : ما الذي قلت حتى كُفيت أمر الرشيد ؟ فقال : دعاء جدّي علي بن أبي طالب كان إذا دعا به ، ما برز إلى عسكر إلا هزمه ، ولا إلى فارس إلا قهره ، وهو دعاء كفاية البلاء ، قلت : وما هو ؟ قال : قلت :

«اللهم بك أساور ، وبك أحاول ، وبك أجاور ، وبك أصول ، وبك انتصر ، وبك أموت ، وبك أحيا ، أسلمت نفسي إليك ، وفوضت أمري إليك ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم ، اللهم إنك خلقتني ورزقتني ، وسترتني عن العباد بلطفك ما خولتني ، وأغنيتني ، وإذا هويتُ رددتني ، وإذا عثرتُ قومتي ، وإذا مرضتُ شفيتني ، وإذا دعوتُ أجبتني ، يا سيدي ارض عني فقد أرضيتني»^(٢) .

(١) هذا ما لم يأت القدر المحتوم ، فإذا جاء خلي بينه وبينه ، ففي علوي : «إن علي من الله جنة حصينة ، فإذا جاء يومي أسلمتني فحينئذ لا يطيش السهم ، ولا يبرء الكلم» شرح النهج للمعتزلي ٢١٢/١٩ .

(٢) عيون أخبار الرضا ١/٦٢ - ٦٤ ، باب ٧ ، الحديث ٥ ، البحار ٤٨/٢١٥ - ٢١٧ . وقه : بيان الكوخ بالضم بيت من قصب بلا كوة . ولوح الرجل بثوبه وبسيفه لمع به وحركه .

بيان :

قوله (عليه السلام) : «أليس معي من يملك الدنيا والآخرة؟» استفهام تقرير للفضل بن ربيع ، ليقرّ بذلك ؛ لأنّه كان يخشى من عقوبة هارون ، وأمّا هو (عليه السلام) فكان يعلم بأنّ يومه لم يأت ؛ ومن ثم قال :

«ولن يقدر اليوم على السوء بي إن شاء الله تعالى» وعلم الإمام إرادتي إن شاء علم بشيء علمه ، أو إنّه نظر إلى اللوح ، فأخبر بالبقاء ، أو أنّه ألقى في روعه عدم إيصال السوء به ، أو لأجل اتصال قلبه الشريف بالمبدأ الأعلى ، أو الرسول ، أو بوجوده الذي هو نسخة الملكوت ، أو للاسم الأعظم . الكائن عنده ، أو هو نفسه ، أو لغير ذلك ممّا لا علم لغير المعصوم (عليه السلام) به . ومن هذا الاستفهام التقريري يعلم جهل الناس ومنهم الفضل بحقيقة معية الله تعالى لهم ، وقد قال تعالى : ﴿وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير﴾^(١) .

وإنّ من أعظم الأمور غفلتنا بمعية الله غير المنفكة عنّا ، وجهلنا بذلك ، وإنّ الإمام الكاظم وسائر المعصومين (عليهم السلام) لا يغفلون ، ولا يجهلون ، وكيف يجهل من هو عيبة علم الله ، وسرّ الله ، وأمين الله ، «والتّأمين في محبة الله»^(٢) .

وهل يغفل المحبّ عن حبيبه ، كالإمام موسى بن جعفر الذي كان يحيى الليل بالسهر إلى السحر بمواصلة الاستغفار ، ولكثرة مناجاته ، وعباداته سمّي بالعبد الصالح .

(١) الحديد : ٤ .

(٢) الزيارة الجامعة ، عيون أخبار الرضا ٢/٢٧٨ .

٣٦٤ المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام

ثم ذكر اسم المالك للدنيا والآخرة لعل وجهه مناسبة المواجهة مع الملوك وطواغيت الزمان ، وأن كل اسم له تعالى أثر خاص ، واسم «المالك» يؤثر في الملوك ، ولأجله ذكره.

١١٣

إِلَى إِلِي ، لا إلى المرجئه ، ولا إلى القدرة ، ولا إلى المعتزلة

تدل كلمة «إِلِي» على الدنو ، إذا لم ينضمّ معها النفي ، وإلا فبمعنى الإقبال أي : أقبل إِلِي ، لا إلى هؤلاء الفِرَق :

قد جاءت الكلمة في غضون كلام الإمام الكاظم (عليه السلام) مخاطباً بها هشام بن سالم ويلي من قصته :

قال ابن شهر آشوب :

اجتمع الناس على عبدالله بن جعفر - الأفتح - بعد وفاة الصادق (عليه السلام) ، فدخل عليه هشام بن سالم ومحمد بن النعمان صاحب الطاق ، فسألاه عن الزكاة في كم تجب ؟ قال : في مأتي درهم خمسة دراهم ، فقالا : ففي مائة ؟ قال : درهمين ونصف .

فخرجوا يقولان : إلى المرجئة ، إلى القدرة ، إلى المعتزلة ، إلى الزيدية ؟
فأرأيا شيخاً يؤمي إليهما ، فاتبعاه خائفين أن يكون عيناً من عيون أبي جعفر المنصور .

فلما ورد هشام على باب موسى ، فإذا خادم بالباب ، فقال له : ادخل رحمك الله ، فلما دخل قال :

«إلَيَّ إِلَيَّ ، لا إلى المرجئة ، ولا إلى القدرية ، ولا إلى المعتزلة ، ولا إلى الزيدية ، فقال هشام : مضى أبوك موتاً ؟ قال : نعم^(١) ، قال : فمن لنا بعده ؟ قال : إن شاء الله أن يهديك هداك ، قال : إن عبد الله يزعم أنه إمام ، قال : عبد الله يريد أن لا يعبد الله^(٢) ، قال : فمن لنا بعده ؟ قال : إن شاء الله أن يهديك هداك ، قال : فأنت هو ؟ قال : وما أقول ذلك^(٣) ، قال : عليك إمام ؟ قال : لا ، قال : أسألك كما كنت أسأل أباك ؟ قال : سل تخبر ، ولا تُدع ، فإن أذعت فهو الذبح^(٤) .
أقول :

المرجئة: اختلف فيها إلى معتقد بعدم ضرر العصيان بالإيمان ، أو أنه قول بلا عمل ، أو المجبرة ، أو أن تارك الطاعات هو كجبريثل ، أو ما عدا الشيعة المقدمين لعليّ (عليه السلام) لأنهم أرجئوه وجعلوه رابعاً ، أو مطلق المنحرفين^(٥) .
القدرية : هم الذين يقولون : ما يكون ما شاء الله ، ويكون ما شاء إبليس ، أو أن كلّ عبد خالق فعله^(٦) .
المعتزلة : المسندون أفعالهم إلى قدرتهم أو هم القدرية . واليوم كلهم أشعريون ليس إلا .

(١) يريد لم يغيب .

(٢) حرف العين مع الياء .

(٣) بل الله والرسول يقولان .

(٤) المناقب ٤/٢٩٠ - ٢٩١ أصول الكافي ١/٣٥٢ ، إرساد الفيد ٢٩١ ، البحار ٤٨/٥٠ - ٥١ .

(٥) مجمع البحرين - رجا - .

(٦) مجمع البحرين - قدر - .

ولا يخفى أن قطب الدين نقل الحديث مع اختلاف ما ، الخرائج ١/٣٣١ - ٣٣٣ .

١١٤

أما إنَّ أبدانكم ليس لها ثمن إلاَّ الجنة فلا تبيعوها بغيرها

ما أثنىها من كلمة ، إذا وزنت بالأوزان الثقيلة لرجحت عليها ، إذ لا تحصل جنة الله ، ولا تشتري إلاَّ بالأنفس المؤمنة ، قالها الإمام الكاظم (عليه السلام) ، ورواها الشيخ الكليني (طاب ثراه) من كلام له مع هشام بن الحكم ومنه :

«يا هشام لادين لمن لامروءة له ، ولا مروءة لمن لاعقل له ، وإنَّ أعظم الناس قدراً الذي لا يرى الدنيا لنفسه خطراً^(١). أما إنَّ أبدانكم ليس لها ثمن إلاَّ الجنة فلا تبيعوها بغيرها»^(٢).

أقول :

إنَّها أتينا به لبيان الكلمة التي نُنشدها وهي قوله (عليه السلام) : « أما إنَّ أبدانكم ... »

وقبل كلِّ شيءٍ قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِمْ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾^(٣).

(١) القدر ، والمنزلة.

(٢) أصول الكافي ١/١٩.

(٣) التوبة : ١١١.

التفسير :

لا أرى في الآية إبهاماً حتى تفتقر إلى كشف القناع عنه وإبها من أروع البلاغة وأرفعها حيث اعتبر نفسه تعالى مشترياً والمؤمنين بياعين مالكين يملكون أنفسهم لكي يتسنى لهم المبايعة ؛ إذ « لا يبيع إلا في ملك »^(١) ، مع أنهم لا يملكون لأنفسهم نفعاً ، ولا ضرراً ، ولا موتاً ولا حياة ، ولا نشوراً ، ولا غير ذلك ، وهل هذا إلا التكرم والحنان من مالك الملك الذي له ملك السموات والأرض ، والأشياء كلها ، وفي سواه كما قال عز وجل : ﴿ لا يملكون مثقالَ ذرةٍ في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ﴾^(٢) .

أي ليس للآلهة المزعومة ، ولا غيرها ملك ثقل ذرة من السماوات والأرض ، ولا هم شركاؤه فيها ولا يفتقر الله إلى عونهم في خلقها ، ولا في غير ذلك ؛ لأنه الغني الكبير المتعال المالك لكل شيء .

ونعود إلى الكلمة :

التي تثبتها الكلمة العلوية : « ألا حرّ يدع هذه اللباظة لأهلها ! إنه ليس لأنفسكم ثمناً إلا الجنة فلا تبيعوها إلا بها »^(٣) وهي كما قلنا في الآية معناها ، والمراد منها واضح ، لا يحتاج إلى بيان .

(١) حتى صار من المثل السائر .

(٢) سبأ : ٢٢ .

(٣) النهج ١٧٣/٢٠ ، الحكمة ٤٦٥ . ولها شرح لا مجال لذكره .

أما أنك في شيعتنا أبين من البرق في الليلة الظلماء

كلمة امتداح وتمثيل لمحمد بن سنان بالبرق البارق في ظلمة الليل وأنه لأبين منه ، وشهادة من الإمام الكاظم (عليه السلام) له بالولاية والثبات عليها ، رواها الشيخ الصدوق قال :

حدثنا أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني (رضي الله عنه) قال : حدثنا علي بن إبراهيم بن هاشم عن أبيه عن محمد بن سنان قال : دخلت على أبي الحسن (عليه السلام) قبل أن يحمل إلى العراق بسنة ، وعليّ ابنه (عليه السلام) بين يديه ، فقال لي : يا محمد ، فقلت : لبيك قال : إنه سيكون في هذه السنة حركة ، فلا تجزع منها . ثم أطرق ونكت بيده في الأرض ، ورفع رأسه إليّ وهو يقول : ﴿ ويضلّ الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء ﴾^١ قلت : وما ذاك جعلت فداك ؟ قال : من ظلم ابني هذا حقه ، وجحد إمامته من بعدي كان كمن ظلم علي بن أبي طالب (عليه السلام) حقه ، وجحد إمامته من بعد محمد (صلى الله عليه وآله) ، فعلمت أنه قد نعى إليّ نفسه ، ودلّ على ابنه فقلت : والله لئن مدّ الله في عمري لأسلمنّ إليه حقه ، ولأقرنّ له بالإمامة ، وأشهد أنه من بعدك حجة الله على خلقه ، والداعي إلى دينه ، فقال لي : يا محمد يمدّ الله في عمرك ، وتدعو إلى إمامته ، وإمامة من يقوم مقامه من بعده ، فقلت : من ذاك جعلت فداك ؟ قال : محمد ابنه ، قال : قلت : فالرضا والتسليم ، قال : نعم كذلك وجدتكم في كتاب أمير المؤمنين (عليه السلام) أما إنك في شيعتنا أبين من البرق في الليلة الظلماء ،

أما وحكم الإمام الكاظم عليه السلام /ج ١ ٣٦٩

ثم قال يا محمد إنَّ المفضَّل كان هو مؤنسي ومستراحي، وأنت آسنها ومستراحها، حرام على النار أن تمسك أبداً^(١).

أقول : محمد بن سنان مختلف فيه والمشهور أنه ضعيف لا يعتمدون عليه وقد مدحه جمع من العلماء ، وإنَّما نحن نروي حديثه لاحتمال صدوره من المعصوم (عليه السلام).

١١٦

أما تخافن أن تنزل به نقمة فتصيبكم جميعاً ؟

كلمة تخويف من تعريض النفس معرض النعمة السماوية فتعم مقارف الذنب ، ومقاربه واللفظ للإمام الكاظم (عليه السلام) كما يلي :

قال الشيخ المفيد رحمه الله : أخبرني أبو القاسم جعفر بن محمد عن أبيه عن سعد بن عبدالله عن أحمد بن أبي عبدالله البرقي قال : حدَّثني بكر بن صالح الرازي عن سليمان بن جعفر الجعفري قال : سمعت أبا الحسن (عليه السلام) يقول لأبي :

ما لي رأيتك عند عبد الرحمن بن يعقوب ؟ قال : إنه خالي ، فقال له أبو الحسن (عليه السلام) : إنه يقول في الله قولاً عظيماً ، يصف الله تعالى ، ويحدِّه ، والله لا يوصف ، فأما جلست معه وتركتنا ، وإما جلست معنا وتركته . فقال : إنَّ هو يقول ما شاء ، أي شيءٍ عليّ منه إذا لم أقل ما يقول ؟ فقال له أبو الحسن (عليه السلام) : أما تخافن أن تنزل به نقمة فتصيبكم جميعاً ؟ أما علمت الذي كان من أصحاب موسى ، وكان أبوه من أصحاب فرعون ، فلما لحقت خيل

(١) عيون أخبار الرضا ١/٢٦ - ٢٧ ، الباب ٤ ، الحديث ٢٩ ، معجم رجال الحديث ١٦/١٥٦.

٣٧٠ المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام

فرعون موسى (عليه السلام) تخلف عنه ليعظه ، وأدركه موسى وأبوه يراغمه^(١) حتى بلغا طرف البحر ، فغرقا جميعاً ، فأقي موسى الخبر ، فسأل جبرئيل عن حاله ؟ فقال : غرق رحمه الله . ولم يكن^(٢) على رأي أبيه ، لكنّ النعمة إذا نزلت لم يكن لها عمّن قارب المذنب دفاع!^(٣)
أقول :

آخر القصة شاهد على مشاركة مقارب الذنب مع مقارفه في النعمة حيث لحقه الغرق كصاحبه ، ومجرد نية النصح لا يكفي إذا ظهرت أمانة العذاب لم ينج منه ، ومن هنا جاءت الإشارة إلى إصابة النعمة والعذاب الشامل في آية ﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار﴾^(٤) ، وآية ﴿واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة﴾^(٥) .

١١٧

أما رأيت الرجل يحفظ ولا يحفظ ما معه ، ويسلم ولا يسلم ما معه ؟

من الكلمات المختارة الماثورة عن الإمام الكاظم (عليه السلام) تفريق المجتمع ، وتجميع المفترق دليل على التدبير ، والحكمة البالغة : وذلك هو الله المدبر الحكيم تعالى .

(١) المراغمة الهجران والتباعد .. أراد إبطال مذهبه .

(٢) ظاهره كلام الإمام (عليه السلام) .

(٣) الامالي ١١٢ .

(٤) هود : ١١٣ .

(٥) الأنفال : ٢٥ .

بقي ترجمة عبد الرحمن بن يعقوب وشرح بعض كلمات الحديث ، نتعرض لذلك عند «إيما علمت بالذي كان من أصحاب موسى» .

روى الشيخ الكليني (طاب ثراه) ، وقال : عدّة من أصحابنا عن أحمد ابن محمد ، عن موسى بن القاسم عن صباح الحدّاء قال : قال أبو الحسن (عليه السلام) : إذا أردت السفر فقف على باب دارك ، واقرأ فاتحة الكتاب أمامك ، وعن يمينك ، وعن شمالك ﴿ قل أعوذ بربّ الفلق ﴾ أمامك ، وعن يمينك ، وعن شمالك ، ثم قل : « اللهم احفظني ، واحفظ ما معي ، وسلّمني ، وسلّم ما معي ، وبلّغني وبلّغ ما معي بلاغاً حسناً » ، ثم قال : أما رأيت الرجل يحفظ ، ولا يحفظ ما معه ، ويسلم ولا يسلم ما معه ، ويبلغ ، ولا يبلغ ما معه ؟^(١) .
أقول :

صور الحفظ ، والسلامة أربع ، إذ الرجل وما معه إمّا يحفظان ويسلمان معاً وإمّا لا يحفظان ولا يسلمان معاً ، وإمّا يحفظ الرجل ويسلم ، ولا يحفظ ما معه ، ولا يسلم ، وإمّا لا يحفظ الرجل ولا يسلم ، ويحفظ ما معه ويسلم . فهذه صور أربع . والحديث ناظر الى صورة واحدة وهي حفظ الرجل دون ما معه وسلامته دون مامعه ، وبلوغه دون ما معه ، والسّرّ في ذكر هذه الصورة دون بقيّتها هو أنّ الحادث النازل على الرجل وما معه ، أو على الرجل دون ما معه ، إذا قيس إلى النازل على ما معه دونه كان أضعف وهي أقرب الصور الثلاث حفظاً ، وأقلّه حدوثاً ، وإنّ ذلك من فوائد العمل بالدستور المأثور وخاصّة إذا تصدّق بشيء أمام سفره بعد الدعاء ، أو قبله ، ولا ارتياب أنّ قراءة الحمد أمامه ، وعن يمينه وعن شماله ، والفلق كذلك مع الدعاء المأثور المشفوع بالتصدق لها التأثير عاجلاً وآجلاً ، والأهم من ذلك كلّ أنّ العبد يجب عليه ذكر مولاه في السفر والحضر جميعاً حتى يحفظ قلبه من وساوس الجنّ والإنس ويسكن دائماً إليه تعالى .

(١) أصول الكافي ٥٤٣/٢ . وفي المصدر نفسه حديث آخر مثله مع اختلاف يسير جداً . الوسائل

أما علمت أن الدين كله حساب

محاسبة النفس تُورثُ المعرفة بيوم الحساب؛ للعلقة الموجودة بين الحسابين ، تدعو الكلمة للمحاسبة الدينية المطبقة على موردها من الإمام الكاظم (عليه السلام) ، قد سبق حديثه مع هارون، والمناظرة في بيت الله الحرام ، ومن أجله لانعيد إلاّ بقدر ما يربط هذه الكلمة الكائنة في الحديث الذي ذكرناه بطوله عند « اجلس مكان السائل من المسؤول »^(١).

قال الراوي :

« قال - أي هارون - : فيأتي سائلك ، فإن عجزت آذيتك ، قال : سؤالك هذا سؤال متعلم ، أو سؤال متعنت ؟ قال : بل متعلم ؛ قال : اجلس مكان السائل من المسؤول ، وسل وأنت مسؤول . فقال : أخبرني ما فرضك ؟ قال : إن الفرض رحمك الله واحد ، وخمسة ، وسبعة عشر ، وأربع وثلاثون ، وأربع وتسعون ، ومائة وثلاثة وخمسون ، على سبعة عشر ، ومن اثني عشر واحد ، ومن أربعين واحد ، ومن مائتين خمس ، ومن الدهر كله واحد ، وواحد بواحد^(٢) .

قال : فضحك الرشيد ، وقال : ويحك أسألك عن فرضك ، وأنت تعدّ عليّ

الحساب !؟

قال : أما علمت أن الدين كله حساب ، ولو لم يكن الدين حساباً ، لما اتَّخذ الله للخلائق حساباً^(٣) ، ثم قرأ : ﴿ وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا

(١) حرف الهمزة مع الجيم .

(٢) حرف الواو مع الألف .

(٣) حرف اللام مع الواو .

أمنال وحكم الإمام الكاظم عليه السلام / ج ١ ٣٧٣

بها وكفى بنا حاسبين ﴿^(١)﴾ ، قال : فيبين لي ما قلت ، وإلا أمرت بقتلك بين الصفا والمروة »^(٢) .

أقول :

انظر لزماً المصدر لتكون على بصيرة من جوابات الأعداد ، ولاتكن جاهلاً كهارون ، والكلمة من الأمثال ، ومن ظاهرة المثل : (لكل شيء حساب ، ولكل عمل ثواب)^(٣) .

١١٩

أما علمت أن الشمس تغرب بذنوب المحرمين ؟

كلمة الأمل لمن احتمل الأذى في الله في الحجّ قد قالها الإمام الكاظم (عليه السلام) لعبد الله بن المغيرة (طاب ثراه) ، رواه الشيخ الكليني قال :
علي بن إبراهيم عن أبيه عن عبدالله بن المغيرة قال : سألت أبا الحسن (عليه السلام) عن المحرم ؟ فقال : أضح لمن أحرمت له^(٤) ، قلت : إني محرور ، وإنّ الحرّ يشتدّ عليّ ؟ قال : أما علمت أنّ الشمس تغرب بذنوب المحرمين ؟^(٥) .
أقول :

وإن كان مورد الكلمة المحرم في الحجّ ، إلا أنّ كلّ متحمّل الأذى في الله لا يحرم الغفران فيذهب يوم التحمّل في الله بذنوبه ، نعم للمشاهد المشرفة شرفها ،

(١) الأنبياء : ٤٧ .

(٢) مناقب ابن شهر آشوب ٤/٣١٢ ، البحار ٤٨/١٤٢ .

(٣) أمنال وحكم ٣/١٣٦٨ . ولم يذكر الفقرة الأولى .

(٤) حرف الهمزة مع الضاد .

(٥) الكافي ٤/٣٥٠ ، باب الظلال للمحرم ، الحديث ٢ .

ولالأزمة كرامتها ، ولا تمنع من ضاهاه في الأمر الجامع وهو الاحتمال لله تعالى مغفرته للذنوب .

عبدالله بن المغيرة :

كل من ترجمه منحه من أسمى الوثاقه حتى قال بعض المترجمين إنه ثقة ثقة لا يعدل به أحد من جلالته ودينه وورعه . وقيل إنه صنّف ثلاثين كتاباً ... ولهم كلمات أخرى ، وأنه من أصحاب الإجماع ، من شاء راجعها ^(١) .
الكلمة الكاظمية :

والضيافة والولوج في حرم الله في أي وقت ، ومكان ؛ لأن الله موجود في كل مكان وزمان ومسجود سجدت له الأمكنة والأزمنة وما احتوته من شعاع الشمس ، ودويّ الماء وحفيف الشجر ونور القمر وظلمة الليل وضوء النهار وخفقان الطير وكلّ ذي روح ، وهل أبواب الرحمة ، وموجبات المغفرة مفتوحة ومهيأة إلا للإنسان كائناً من كان ؟ ألم يقل تعالى : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ ^(٢) .
وهل تكون رحمة الأمهات للأولاد ، والعباد بعضهم لبعض ، أو ما كان منها في أيّ مكان إلا من رحمة الله الواسعة ، وأثر من آثارها وقطرة من بحارها؟.

(١) معجم رجال الحديث ١٠/٣٣٦ - ٣٥٠ .

(٢) الزمر : ٥٣ .

١٢٠

أما علمت بالذي كان من أصحاب موسى ؟

كلمة تحذير من التعرّض لمواقع النقم السماوية فإنها إذا نزلت عمّت الجميع، وقد سبقَتْ نظيرتها بلفظ «أما تخافن أن تنزل به نقمة فتصيبكم جميعاً»^(١). كما ذكرنا الحديث عن الإمام الكاظم عليه السلام بهذا الشأن عن آخره، فلا نذكر منه إلا ما يربط الكلمة من قصة سليمان الجعفري مع خاله فاسد الاعتقاد والقائل في الله قولاً عظيماً :

« فإمّا جلست معه وتركتنا ، وإمّا جلست معنا وتركته . فقال : إن هو يقول : ما شاء ، أي شيءٍ عليّ منه إذا لم أقل ما يقول ؟ فقال له أبو الحسن (عليه السلام): أما تخافن أن تنزل به نقمة فتصيبكم جميعاً ؟ أما علمت بالذي كان من أصحاب موسى ، وكان أبوه من أصحاب فرعون ، فلمّا لحقت خيل فرعون موسى (عليه السلام) تخلف عنه ليعظه ، وأردكه موسى وأبوه يراغمه^(٢) حتى بلغا طرف البحر ففرقا جميعاً ، فأتي موسى الخبر ، فسأل جبرئيل عن حاله ؟ فقال له : غرق رحمه الله . ولم يكن على رأي أبيه ، لكنّ النقمة إذا نزلت لم يكن لها عمّن قارب المذنب دفاع »^(٣).

واعدنا ترجمة خال الجعفري ، وشرح بعض كلمات الحديث وهو قوله (عليه السلام) : « أما علمت بالذي كان من أصحاب موسى ؟ ».

(١) حرف (أما).

(٢) من الرّغام وهو التراب هذا الأصل ثم استعمل في ... والانتقاد على كره . النهاية ٢/٢٣٨

- رغم -

(٣) أصول الكافي ٢/٣٧٤ - ٣٧٥ . أمالي المفيد ١١٢.

ترجمة الخال :

قال السيد الأستاذ الخوئي : عبد الرحمن بن يعقوب هو : خال الجعفري ، وكان يقول قولاً عظيماً ، يصف الله ، ولا يوصف ، نهى أبو الحسن (عليه السلام) الجعفري عن مجالسته ، روى ذلك بكر بن محمد عن الجعفري . الكافي : الجزء ٢ ، كتاب الإيمان والكفر ، باب مجالسة أهل المعاصي ١٦٣ ، الحديث ٢^(١) .
أقول : لم يذكر الأستاذ سوى المذكور في حديث الكافي المتقدم ، فلو كان غيره لذكره .

ثم تمثيل مجالسة الجعفري مع خاله المنحرف بصاحب موسى مع صاحب فرعون والصاحبان الوالد والولد إن دلّ على شيء ، فإنما يدلّ على الرعاية المشدّدة في المجالسة وفيها الكلام المشيع في محلّه .

١٢١

الإمام بمنزلة البحر لا ينفد ما عنده ، وعجائبه أكثر من عجائب البحر

ينفد البحر قبل أن ينفد ما عند الإمام ، وتنتهي عجائبه ، ولا تنتهي عجائب الإمام ؛ وذلك أن المعصوم سواء أكان نبياً أو إماماً ، من أرفع كلمات الله ، وأجمعها كما نصّت النصوص بأنهم (عليهم السلام) كلمات الله تعالى التي لا تنفد ، وسيأتي ذكر بعضها .

ثم الكلمة التمثيلية من كلام الإمام الكاظم (عليه السلام) قد سبق التكلّم عنه عند « أفترى هذا الذي يأخذ بمنقاره ينقص من البحر ؟ »^(٢) .

(١) معجم رجال الحديث ٣٥٤/٩ .

(٢) حرف الهمزة مع الفاء .

حيث قال عندما تعجب علي بن أبي حمزة من تكلمه (عليه السلام) بلغة الحبشة :

« لعلك عجبت من كلامي إياهم بالحبشة ؟ قلت: إبي والله ، قال : لاتعجب فما خفي من أمري أعجب ، وما الذي سمعته مني إلا كطائر أخذ بمنقاره من البحر قطرة ، أفترى هذا الذي يأخذه بمنقاره ينقص من البحر؟ والإمام بمنزلة البحر لا ينفذ ما عنده، وعجائبه أكثر من عجائب البحر»^(١).
أقول :

لأنه (عليه السلام) من كلمات الله التي ينفذ البحر قبل أن تنفذ ، قال تعالى : ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَذَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾^(٢) . ﴿ وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفَدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾^(٣) .

« سأل يحيى بن أكنم أبا الحسن العالم عن قوله - تعالى - : ﴿ سبعة أبحر مانفذت كلمات الله ﴾ فقال : هي عين الكبريت ، وعين اليمن ، وعين البرهوت ، وعين الطبرية ، وحة ما سيدان^(٤) ، وحة إفريقية^(٥) وعين باحوران^(٦)

(١) الخرائج والجرائح ١/٣١٢ - ٣١٣ ، البحار ٤٨/٧٠ .

(٢) الكهف : ١٠٩ .

(٣) لقمان : ٢٧ .

(٤) الحمة : عين ماء فيها ماء حار يستشفى بال غسل منه اللسان ١٢/١٥٤ - حم - .

في المناقب على ما حكاه المعلق على الحديث : وحة ما سيدان تدعى لسان ، وفي التحف [ما سيدان] وفي معجم البلدان ما سيدان وأصله ما سيدان مضاف إلى اسم القمر وهو بناحية إسفرايين .

(٥) تدعى سيلان .

(٦) أوباجوران ... قرب شروان وعندها عين الحياة هاشم البحار ٢٤/١٧٤ .

ونحن الكلمات التي لاتدرك فضائلها ولا تستقصى»^(١) .
ولفظ القرآن ﴿أبحر﴾ لاعيون وحمّات.

١٢٢

أما والله إنّ المؤمن لقليل ، وإنّ أهل الكفر لكثير

قلّة المؤمن لعزّة الإيمان ، وكثرة الكافر لكثرة الكفر ، وذلك لكثرة شروط الأول وقد قيل : (كلّ ما كثرت شروطه عزّ وجوده)^(٢) ، وقلّتها ، أو عدمها في الثاني .

والكلمة إن لم تكن من الأمثال تكن من حقائق الحكم ، قد قالها الإمام الكاظم (عليه السلام) في كلام له مع سعادة بن مهران ، رواه الشيخ الكليني بإسناده إليه .

« قال^(٣) : قال لي عبد صالح^(٤) صلوات الله عليه : يا سعادة أمنوا على فرُشهم ، وأخافوني^(٥) أما والله لقد كانت الدنيا ، وما فيها إلّا واحد يعبد الله ، فلو كان معه غيره لأضافه الله عزّ وجلّ إليه ، حيث يقول : ﴿إنّ إبراهيم كان أمّةً قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين﴾^(٦) فغَبَرَ^(٧) بذلك ما شاء الله .

(١) البحار ٢٤/١٧٤ .

(٢) مثل مشهور ، لم أجد له مصدراً مذكوراً .

(٣) القائل سعادة بن مهران .

(٤) بالمعرف : «العبد الصالح» لعله الأولى .

(٥) بترك التقيّة .

(٦) النحل : ١٢٠ .

(٧) في أكثر النسخ بالعين المعجمة ، والباء الموحّدة أي : مكث ، أو مضى ، أو ذهب هامش أصول

ثم إن الله آنسه بإسماعيل وإسحاق ، فصاروا ثلاثة ، أما والله إن المؤمن لقليل ، وإن أهل الكفر لكثير ، أتدري لم ذاك ؟ فقلت : لا أدري جعلت فداك ، فقال : صيروا أنساً للمؤمنين ، يبتون إليهم ما في صدورهم فيستريحون إلى ذلك ، ويسكنون إليه ^(١) .

أقول :

تصديق قوله قول الله تعالى: ﴿وقليل ما هم﴾ ^(٢) ، وقول الإمام الصادق عليه السلام : روى الشيخ الكليني بإسناده إلى قتيبة الأعشى قال : سمعت أبا عبد الله يقول : المؤمنة أعز من المؤمن ، والمؤمن أعز من الكبريت الأحمر ، فمن رأى منكم الكبريت الأحمر ؟ ^(٣) أي الإكسير ، الجوهر .

والباقري : « الناس كلهم بهائم - ثلاثا - إلا قليل من المؤمنين ، والمؤمن غريب - ثلاث مرّات ^(٤) - » .

١٢٣

أما والله لقد كانت الدنيا ، وما فيها إلا واحد يعبد الله

مماثلة بين الإمام الكاظم نفسه الطاهرة وبين إبراهيم الخليل (عليهما السلام) في أنّهما لم يكن في زمانهما من يعبد الله تعالى غيرها ، ويوحده ، وحديث المماثلة رواه الشيخ الكليني كما يلي :

محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن عيسى عن محمد بن سنان عن عمّار

(١) أصول الكافي ٢/٢٤٣ - ٢٤٤ .

(٢) ص : ٢٤ .

(٣) أصول الكافي ٢/٢٤٢ .

(٤) المصدر نفسه .

ابن مروان عن سماعة بن مهران قال : قال لي عبد^(١) صالح صلوات الله عليه :
 « يا سماعة أمنوا على فرشهم ، وأخافوني^(٢) ، أما والله لقد كانت الدنيا ،
 وما فيها إلا واحد يعبد الله ، ولو كان معه غيره لأضافه الله عز وجل إليه حيث
 يقول : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾^(٣) فغبر
 بذلك ما شاء الله ، ثم إن الله آتسه بإسماعيل وإسحاق فصاروا ثلاثة ،
 أما والله... »^(٤)

أقول :

ذكرنا الحديث كَمَلًا عند « أما والله إن المؤمن لقليل ، وإن أهل الكفر
 لكثير »^(٥) . من دون الإسناد ، وهنا جننا به معه ، ولكن لم نأت عن آخر الحديث
 حذراً عن التكرار ، ومن شاء النظر إلى المتبقي نظر إلى تلك الكلمة .
 والغرض من الكلام الكاظمي التأكيد على المماثلة بينه (عليه السلام)
 نفسه وإبراهيم (عليه السلام) كما صَدَرْنَا الكلمة بذلك ، ويريد بالمماثلة التحذير
 لأصحابه من ترك التقيّة ، والنهي عن الإذاعة بالذات ، ولغيرهم بالملازمة ، وقد
 جاء بالمثل ، وأنه وحده في زمانه من يعبد الله ويوحده : لأنّه المعصوم العارف بالله
 والمبلّغ عنه إلى عباده ، وكذلك في كلّ زمان إنّما يعبد الله حق العبادة إمام ذلك
 الزمان دون غيره كما أنّ في زمان إبراهيم لم يكن من يعبد الله تعالى سواه ، ولو
 كان غيره لأضافه الله إليه ، كذلك زمان الإمام الكاظم لم يكن يعبد الله حق
 عبادته غيره ، اعرف ما ضربه لك من المثل ، والهدف من ورائه .

(١) «العبد الصالح» هو الصحيح .

(٢) بترك التقيّة .

(٣) النحل : ١٢٠ .

(٤) ، (٥) أصول الكافي ٢/ ٢٤٣ - ٢٤٤ .

١٢٤

امتحن قلبك فإن كنت تحبه فاحلف ، وإلا فلا

وفي المثل: (إن القلوب شواهد)^(١) ، وهو محتوى كلام الإمام الكاظم (عليه السلام) 'وصورته كما يلي :

روى الشيخ البرقي عن بعض أصحابنا عن عبيد الله بن إسحاق المدائني قال : قلت لأبي الحسن موسى بن جعفر (عليه السلام) : إن الرجل من عرض^(٢) الناس يلقاني ، فيحلف بالله أنه يحبني ، فأحلف بالله أنه لصادق ؟ فقال : امتحن قلبك ، فإن كنت تحبه فاحلف ، وإلا فلا^(٣).

بيان :

للمحبة آيات تشهد لها القلوب ، وليس شيء أرجح وأصح ، وأصدق حكماً منها.

ومن تلك الآيات أنها تتهيج إذا جاءت ، وتبرزت ظاهرتها على الحواس ، يحس بها ، ولا تخفى على أحد إذا نظر إلى صاحبها ، نعم ربما لا يدري لعل من يهّمه ذلك فعليه إعلامه كما جاء الأمر به في بعض الأحاديث :

منها ما رواه البرقي عن يحيى بن إبراهيم بن أبي البلاد عن أبيه عن جدّه قال : مرّ رجل في المسجد وأبو جعفر جالس وأبو عبدالله (عليهما السلام) فقال له بعض جلسائه : والله إنني لأحبّ هذا الرجل ، قال له أبو جعفر : ألافأعلمه؛

(١) روضة الكافي ٢٢ ، علوي.

(٢) يراد به هنا بين الناس .

(٣) المحاسن ٢٦٧/١ ، الحديث ٣٥١.

فإنه أبقى لمودّة ، وخير للألفة^(١) .

ومنها النبوي : « إذا أحبّ أحدكم صاحبه ، أو أخاه فليعلمه »^(٢) .
ومنها حديث صالح بن الحكم قال : سمعت رجلاً يسأل أبا عبد الله (عليه السلام) عن الرجل يقول : إنّي أودّك ، فكيف أعلم أنّه يودّني ؟ قال : امتحن قلبك ، فإن كنت تودّه فإنّه يودك^(٣) .
أقول : الأخير شاهد آخر على (أنّ القلوب شواهد) ، وتصديق للكلام الكاظمي . وقد سبق كلام ينفع المقام عند « اتق فراسة المؤمن ، فإنه ينظر بنور الله »^(٤) .

١٢٥

أمت الطمع من المخلوقين

في إماتة الطمع إحياء للغنى ، والعزّ ، وصون العرض ، والمروءة ، وإكمال للعقل ، والعلم . أشار إليها الإمام الكاظم (عليه السلام) بذكر أضدادها وهي :
« يا هشام : إياك والطمع ، وعليك باليأس ممّا في أيدي الناس ، وأمت الطمع من المخلوقين : فإنّ الطمع مفتاح الذلّ ، واختلاس العقل ، واختلاف المروءات ، وتدنيس العرض ، والذهاب بالعلم »^(٥) .

(١) المحاسن ٢٦٦/١ . الحديث ٣٤٧ .

(٢) المحاسن ٢٦٦/١ . الحديث ٣٤٩ .

(٣) المحاسن ٢٦٦ - ٢٦٧ . الحديث ٣٥٠ .

(٤) حرف الهمزة مع التاء ، الوسائل ٤٢٤/٨ .

(٥) أصول الكافي ١٣/٢ . التحف ٣٩٩ ، البحار ٣١٥/٧٨ .

أقول :

في الطمع أحاديث ، وكلمات تحجز عن الاختصال به ، والاقتراب إليه .
الأحاديث :

في باقري قال : « بئس العبد عبد له طمع يقوده ، وبئس العبد عبد له
رغبة تُذله ».

وسجادي : « رأيت الخير قد اجتمع في قطع الطمع عمّا في أيدي الناس ».

وصادقي : « ما أقبح بالمؤمن أن يكون له رغبة تُذله ».

وصادقي آخر : « قال : قلت : ما [الذي] يُثبت الإيثار في العبد ؟ قال :

الورع ، والذي يخرج منه ؟ قال : الطمع »^(١).

الكلمات :

الحرص وعاء حشوه الذلّ والمتالف.

* أذلّ الحرصُ أعناقَ الرجال *

الحرص ينقص قدر الإنسان . كلمتان مقولتان لم ير على التجربة أصحّ

منها : الحرص محروم ، والاستقصاء سُوم . ربّما شرق شارب الماء قبل رية^(٢) .

ربّ طمع يهدي إلى طبع . الطامع في وثاق الذلّ . لا تطمع في كلّ ما تسمع .

أقل ما في الطمع الذلّ . الحرص ذلّ عاجل ، والطمع فقر حاضر . ما أغفل

النفس السطامعة عن العقبي الفاجعة . الطمع الكاذب يدقّ الرقبة . أخرج

الطمع من قلبك يحلّ القيد من رجلك^(٣) .

(١) أصول الكافي ٢/٣٢٠ .

(٢) التمثيل والمحاضرة ٤٤٥ .

(٣) التمثيل والمحاضرة ٤٤٦ .

هذه نبذة من الكلمات ، وما لم تذكره أكثر .

١٢٦

أما الآن ... فليتم للمرأة شرطها ، فإن رسول الله قال : المسلمون عند شروطهم

من علامة المسلم الوفاء بالشرط . كلمة الإمام الكاظم (عليه السلام) تطبيق منه للأصل النبوي على موضع السؤال ، على ما رواه الشيخ الكليني (طاب ثراه) حيث قال :

محمد بن يحيى عن محمد بن الحسين عن محمد بن إسماعيل بن بزيع عن منصور بن بزرج قال : قلت لأبي الحسن موسى (عليه السلام) وأنا قائم : جعلني الله فداك إن شريكاً لي كانت تحته امرأة فطلقها ، فبانت منه ، فأراد مراجعتها وقالت المرأة : لا والله لا أتزوجك أبداً حتى تجعل الله لي عليك ألا تطلقني ، ولا تتزوج عليّ . قال :^(١) وفعل ؟ قلت : نعم قد فعل جعلني الله فداك ، قال : بس ما صنع وما كان يدريه ما وقع في قلبه في جوف الليل أو النهار ، ثم قال له : أما الآن فقل له : فليتم للمرأة شرطها : فإن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال : «المسلمون عند شروطهم» ، قلت : جعلت فداك إنني أشك في حرف ، فقال : هو عمران يمرّ بك ، أليس هو معك بالمدينة فقلت : بلى ، قال : فقال له : فليكتبها وليبعث بها إليّ ، فجاءنا عمران بعد ذلك فكتبناها له ولم يكن فيها زيادة ولا نقصان ، فرجع بعد ذلك ، فلقيني في سوق الحنّاطين فحكّ منكبه بمنكبتي فقال : يقرئك السلام ، ويقول لك : قل للرجل : يفي بشرطه^(٢) .

(١) القائل الكاظم (عليه السلام).

(٢) فروع الكافي ٥/٤٠٤ الشرط في النكاح ، الحديث ٨.

أقول :

ربّما يسبق الذهن أنّ شرط عدم الطلاق ، أو التزويج ينافي مقتضى عقد النكاح ، والكتاب ، وكلّ شرط ردّ إليه فما وافق أخذ ، وما خالف ضرب به عرض الجدار ، فما المخرج ؟.

والجواب : إنّ التطبيق الكاظمي حجة كاشفة عن عدم المنافاة ، وأنّه واجب الوفاء تحكيماً للأصل النبوي ، ولولاه لكان موضع النقاش المذكور ولكنّ تمام الكلام في الفقه.

والحديث يحتمّ التشدّد على الكتابة والحفاظ على حكم الله عمّا يزيد ، أو ينقص فلا بدّ من الرجوع والمقابلة صوتاً له عن ذلك ، وعن التحريف ولو بحرف زائد أو ناقص .

قوله (عليه السلام) : « بشئ ما صنع وما كان يدره ما وقع في قلبه » يأتي في محله . كما أنّ كلمة «المسلمون عند شروطهم » لها موضع تخصّصه . وباقي الحديث واضح.

١٢٧

أما الإثم فإنها الخمرة بعينها

قال الشاعر :

شربت الإثم حتى ضلّ عقلي كذاك الإثم يفعل بالعقول^(١)

جاءت الكلمة في غضون جواب الإمام الكاظم (عليه السلام) عن سؤال المهدي العباسي ، قال الشيخ الكليني طاب ثراه :

أبو علي الأشعري عن بعض أصحابنا ، وعلي بن إبراهيم عن أبيه جميعاً عن الحسن بن علي بن أبي حمزة عن أبيه عن علي بن يقطين ، قال : سألت المهدي أبا الحسن (عليه السلام) عن الخمر هل هي محرّمة في كتاب الله عزّ وجلّ ، فإنّ الناس إنّما يعرفون النهي عنها ، ولا يعرفون التحريم لها ؟ فقال له أبو الحسن (عليه السلام) :

بل هي محرّمة في كتاب الله عزّ وجلّ يا أمير المؤمنين ، فقال له : في أيّ موضع هي محرّمة في كتاب الله جلّ اسمه يا أبا الحسن ؟ فقال : قول الله عزّ وجلّ : ﴿ قل إنّما حرّم ربّي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغى بغير الحقّ ﴾^(٢) .

فأمّا قوله : ﴿ ما ظهر منها ﴾ يعني^(٣) الزنا المعلن ونصب الرايات التي كانت ترفعها الفواجر للفواحش في الجاهليّة.

(١) معجم مقاييس اللغة ٦١/١ - أنه ..

(٢) الأعراف : ٣٣ .

(٣) والقرآن يحتم «فيعني» جواب «فأمّا».

وأما قوله عز وجل : ﴿ وما بطن ﴾ يعني^(١) ما نكح من الآباء ؛ لأنّ الناس كانوا قبل أن يبعث النبيّ صلى الله عليه وآله إذا كان للرجل زوجة ومات عنها تزوّجها ابنه من بعده إذا لم تكن أمّه ، فحرّم الله عز وجل ذلك .

وأما الإثم فإنّها الخمرة بعينها ، وقد قال الله عز وجل في موضع آخر :

﴿ يستلونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس ﴾^(٢) .

فأما الإثم في كتاب الله فهي الخمرة والميسر ، وإثمه أكبر كما قال الله تعالى ، قال : فقال المهدي : يا علي بن يقطين هذه والله فتوى هاشمية ، قال : قلت له : صدقت والله يا أمير المؤمنين الحمد لله الذي لم يخرج هذا العلم منكم أهل البيت ، قال : فوالله ما صبر المهدي أن قال لي : صدقت يارافضي^(٣) .

١٢٨

أما البلغم فإنّه خصم جدل ، إن سدد من جانب انفتح من آخر

وهو أحد الطبائع الأربع التي مثل لكل منها الإمام الكاظم (عليه السلام) بها له من أثر في جواب سؤال هارون عنها من رواية الشيخ المفيد إليك نصّها المشتمل على عددها من مثل .

قال طاب ثراه :

حدّثنا أبو أحمد هاني بن محمد بن محمود العبدي (رضي الله عنه) قال :

(١) والفرن يحتم « فيعني » .

(٢) البقرة : ٢١٩ .

(٣) الكافي ٤٠٦/٦ ، البحار ١٤٩/٤٨ ، ٥/٧٩ . تفسير العياشي ١٧/٢ . مع اختلاف يسير

في البحار . والتفسير .

والمهدي بن المنصور اسمه محمد وكنيته أبو عبدالله المتوفى ١٦٩ هـ وهو أبو الهادي موسى

المتوفى ١٧٠ هـ .

حدّثني أبي بإسناده رفعه أن موسى بن جعفر (عليهما السلام) دخل على الرشيد ، فقال : يا ابن رسول الله أخبرني عن الطبائع الأربع ، فقال موسى (عليه السلام) : أمّا الريح فإنّه مَلِكٌ يدارني ؛ وأمّا الدم فإنّه عبد عارم^(١) ، وربّما قتل العبد مولاة ؛ وأمّا البلغم فإنّه خصمٌ جدلٌ ، إن سدّد من جانب انفتح من آخر ، وأمّا المرّة فإنّها أرض إذا اهتزت رجعت بما فوقها.

فقال له هارون : يا ابن رسول الله تنفق على الناس من كنوز الله تعالى ورسوله (صلى الله عليه وآله)^(٢).

قوله : « أمّا البلغم فإنّه خصمٌ جدلٌ ... » تمثيل له بالخصم الجدلي الذي لا يمكن في المناظرة سدّ الأبواب في وجهه قيل كناية عن بقاء علاجه ، وعدم اندفاعه بسهولة^(٣).

وإن شئت شبّهته بثوب خلق كلّما خيط من جانب انتهك آخر لاتنفعه الخياطة ، كما لا علاج لدفع البلغم ، والجامع بينهما عدم النفع في دفع الغائلة ولكن في المجمع في الحديث « السواك يذهب بالبلغم » قال : البلغم طبيعة من طبائع الإنسان الأربع ، وهو بارد ورطب ، وفيه « دواء البلغم الحّمّ »^(٤).

وتجد علاج البلغم في نبذة أحاديث أهل البيت (عليهم السلام) : فإنّهم أطباء الأرواح والأجسام ، والعارفون بالداء ، والدواء^(٥).

(١) من العُرام : السدّة والقوّة والشراسة ، والعارم الخبيث الشّرير النّهاية ٢٢٣/٣ - عرم - .

(٢) الاختصاص ١٩٧ - ١٩٨ ، عيون أخبار الرضا ١/٦٦ ، الباب ٧ ، الحديث ٨ .

(٣) هامش الاختصاص ١٩٨ .

(٤) مجمع البحرين - بلغم - .

(٥) الوسائل ١/٣٤٧ ، ٣٤٩ ، ٤٣٠ ، وغيرها .

١٢٩

أما الدم فإنه عبد عارم ، وربما قتل العبد مولاه

من الأمثال الأربعة المضروبة للطبائع الأربعة في جواب الإمام الكاظم (عليه السلام) لهارون الدم ، في الحديث المتقدم بتأمله عند «أما البلغم فإنه خصم جدل ، إن سدد من جانب انفتح من آخر»^(١).

لولا الدم لما كان آدم ، ولا ذو روح ، إلا الملك المتكون من غير علق ، وما خلق الله من شيء لا نعلمه ، فاقراً قوله تعالى : ﴿ اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾^(٢).

قال بعض المفسرين :

أي من دم ، جمع علقة ، والعلقة الدم الجامد ، وإذا جرى فهو المسفوح . وقال : ﴿ مِنْ عَلَقٍ ﴾ فذكره بلفظ الجمع ، لأنه أراد بالإنسان^(٣) الجمع ، وكلهم خلقوا من علق بعد النطفة . والعلقة : قطعة من دم رطب^(٤) ، سميت بذلك ، لأنها تعلق رطوبتها بما تمر عليه ، فإذا جفت لم تكن علقة . قال الشاعر :

تركناه يجرُّ على يديه يمَجُّ عليهما علق الوتين^(٥)

العلقة الدم المستمسك لصيرورة النطفة إليها بعد مرور أربعين يوماً

(١) حرف (أما).

(٢) العلق : ١ - ٢ .

(٣) يراد به الجنس الذي لا يأباه الجمع .

(٤) كيف تجتمع الرطوبة مع الجمود فتأمل .

(٥) تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن ١١٩/٢٠ .

عليها ثم تصير العلقه مضغه كذلك ، ثم هي تتحوّل بعد الأربعين الثالث عظاماً فتكسى لحماً ، فتكون عند تمام المائة والعشرين يوماً مصوراً ذكراً ، أو أنثى ، ومن هنا جاء الأمر بالدعاء قبل تمام العدد حتى يرزق الوالدان ذكراً ، أو ما أحبّاه ، وإلى هذه الأدوار تنظر آيات القرآن : ﴿ هو الذى خلقكم من ترابٍ ثم من نطفة ثم من علقه ﴾^(١) . و﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالةٍ من طينٍ * ثم جعلناه نطفةً فى قرارٍ مكينٍ * ثم خلقنا النطفةَ علقةً فخلقنا العلقةَ مضغةً فخلقنا المضغةَ عظاماً فكسونا العظامَ لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسنُ الخالقينَ ﴾^(٢) .

فللدم دور كبير في تكوّن الإنسان وهو الآن عبد قن له إذا انتظم عمله ، وأمّا إذا اختلّ فلربّما أودى بحياة سيّده فيموت بذبحه في صدره ، أو سكتة في أحد أركانه ، أو أعضائه ، ولا بدّ من المعرفة الكافية بانتظام عمله ، واختلاله حتى لا تذهب حياته إلاّ طيبة مرضية .

١٣٠

أمّا الريح فإنّه ملكٌ يُدارى

يقوم الروح بالريح قيام الرعية بسلطانها ، ولولاه لاختلّ نظامه في الجسد ، فهو ملكٌ يُدارى ، ومن الطبائع الأربعة المضروبة لها الأمثال في جواب الإمام الكاظم (عليه السلام) لسؤال هارون عنها ، قد ذكرناه بأكمله عند « أمّا البلغم فإنّه خصمٌ جدلٌ إن سُدّد من جانب انفتح من آخر »^(٣) .

(١) غافر : ٦٧ .

(٢) المؤمنون : ١٢ - ١٤ . وأي أخرى قد جاءت كلمة العلقه فيها لم نذكرها .

(٣) حرف (أمّا) ، الاختصاص ١٩٨ .

الريح في اللغة والحديث :

الريح هو الروح ، قال ابن فارس : الرء والواو والحاء أصل كبير مطرد، يدل على سعة وفسحة واطراد . وأصل [ذلك] كَلَهَ الريح . وأصل الباء في الريح الواو ، وإنما قلبت ياءً لكسرة ما قبلها . فالروح روح الإنسان ، وإنما هو مشتق من الريح وكذلك الباب كَلَهَ . والروح نسيم الريح . ويقال أراح الإنسان : إذا تنفس . وهو في شعر امرئ القيس^(١) . ويقال أروحَ الماء وغيره : تغيرت رائحته . والروح جبرئيل^(٢) (عليه السلام) . قال الله جل ثناؤه : ﴿ نزل به الروح الأمين * على قلبك ﴾^(٣) ... والمروحة : الموضع تحترق فيه الريح قيل : كأن راكبها غُصن بمروحةٍ إذا تدلّت به ، أو شارب تملُّ الراح : الخمر قال الأعشى :

وقد أشرب الراح قد تعلمي ن يوم المقام ويوم الظعن^(٤)

قال ابن منظور : والروح ، بالضم في كلام العرب : النفخ سَمِيَ رُوْحاً لأنه ريح يخرج من الروح ... قال الجوهري : الريح واحدة الرياح وقد تجمع على أرواح .. في الحديث : كان يقول إذا هاجت الريح : « اللهم اجعلها رياحاً ، ولا تجعلها ريحاً » يريد اجعلها لقاحاً للسحاب ، ولا تجعلها عذاباً ، ويحقق ذلك

(١) يعني قوله في ديوانه ١٥ ، واللسان ٢٨٨/٣ .

لهامنخر كوجار السباع فمنه تريح إذا تبهر
انظر هامش معجم مقاييس اللغة ٢/٤٥٤ - روح - .

(٢) في المصدر فيه أربع عشرة لغة .

(٣) الشعراء : ١٩٣ .

(٤) معجم مقاييس اللغة ٢/٤٥٤ - ٤٥٧ - روح - .

مجئياً لجمع في آيات الرحمة ، والواحد في قصص العذاب كالريح العقيم ؛ وريحاً صَراً ، وفي الحديث : « الريح من روح الله » أي من رحمته بعباده^(١) .

فالريح يأتي للرحمة كما يأتي للعذاب فتدبر .

على هذه الكلمات بأنّ الريح هو الروح يمكن أن يراد به ذلك إلا أن جعله من الطبائع الأربعة يأباه . والروح بفتح أوله : الراحة والحياة الدائمة ، وبضمّه : الرحمة كالروح للمرحوم^(٢) .

الريح في الحديث :

قال الشيخ الطريحي : في الحديث عن الصادق (عليه السلام) في قوله : ﴿ ونفخت فيه من روحي ﴾^(٣) قال : إنّ الروح متحرّكة كالريح ، وإنّما سمّي روحاً ؛ لأنّه اشتقّ اسمه من الريح ، وإنّما أخرجه على لفظ الريح ؛ لأنّ الروح مجانسٌ للريح ، وإنّما أضافه إلى نفسه ، لأنّه اصطفاه على سائر الأرواح ، كما قال لبيت من البيوت : بيتي ، وقال لرسول من الرسل : خليلي ، وأشبه ذلك ، وكلّ ذلك مخلوق مصنوع محدث^(٤) .

قال بعض الأفاضل : قوله : « الروح متحرّكة كالريح » إنّها يصحّ في الجسم البخاري الذي يتكوّن من لطافة الأخلاط وبخاريتها ، لاني الروح المجرد^(٥) .

للإنسان روح مجرد ، وروح بخاري .

(١) اللسان ٤٥٥/٢ - ٤٦٨ - روح - .

(٢) مجمع البحرين - روح - .

(٣) الحجر : ٢٩ ، ص : ٧٢ .

(٤) مجمع البحرين - روح - ، تفسير البرهان ٣١١/٤ محتوى الباقرى والصادقى .

(٥) مجمع البحرين - روح - .

أما الثاني فالجسماني اللطيف الذي هو حامل قوة الحسّ والحركة التي تنبعث من القلب ، وتنتشر في جملة البدن في تجويف العروق الضواري ، فيفيض منها نور حسّ البصر على العين ، ونور السمع على الأذن ، وكذلك سائر القوى والحركات والحواسّ ، كما يفيض من السراج نور على حيطان البيت إذا أُدير في جوانبه ؛ فإنّ هذه الروح تتشارك البهائم فيها ، وتمحق بالموت ؛ لأنّه بخار اعتدل نضجه عند اعتدال المزاج والأخلاق ، فإذا انحلّ المزاج بطل ، كما يبطل النور الفائض من السراج عند انطفاء السراج بانقطاع الدهن عنه أو بالنفخ فيه ، وانقطاع الغذاء عن الحيوان يفسد هذه الروح ، لأنّ الغذاء له كالدهن للسراج ، والقتل له كالنفخ في السراج ، وهذه الروح هي التي يتصرّف في تقويمها وتعديلها علم الطبّ ، ولا تحمل هذه الروح المعرفة والأمانة بل الحامل^(١) للأمانة الروح الخاصّة للإنسان ، ونعني بالأمانة تقلّد عهدة التكليف ، بأن تعرض لخطر الثواب والعقاب بالطاعة والمعصية وهذه الروح لا تفنى ولا تموت ، بل تبقى بعد الموت إمّا في نعيم وسعادة ، أو في جحيم وشقاوة ، فإنّه محلّ المعرفة ، والتراب لا يأكل محلّ المعرفة والإيمان أصلاً وقد نطقت به الأخبار وشهدت له شواهد الاستبصار ولم يأذن الشارع في تحقيق صفته ...

والقبر في حقها إمّا روضة من رياض الجنّة ، أو حفرة من حُفر النار ، إذ لم يكن لها مع البدن علاقة سوى استعمالها للبدن واقتناسها أوائل المعرفة بواسطة شبكة الحواسّ ، فالبدن آلتها ومركبها وشبكته ؛ وبطلان الآلة والشبكة والمركب لا يوجد بطلان الصائد ، نعم إن بطلت الشبكة بعد الفراغ من الصيد فبطلانه غنيمة ؛ إذ يتخلّص من حملة وثقله ، ولذلك قال (عليه السلام) : « تحفة المؤمن الموت » ، وإن بطلت الشبكة قبل الصيد عظم فيه الحسرة والندامة

(١) شروع بالروح المجرد.

والألم^(١).

وفي الحديث : « الأرواح خمسة : روح القدس ، وروح الإيمان ، وروح القوة ، وروح الشهوة ، وروح البدن . فمن الناس من تجتمع فيه الخمسة الأرواح وهم الأنبياء السابقون . ومنهم من تجتمع فيهم أربعة أرواح وهم ممن عداهم من المؤمنين . ومنهم من يجتمع فيه ثلاثة أرواح وهم اليهود والنصارى ، ومن يجذو جذوهم »^(٢) . وله شرح مبسوط لاجمال لذكره هنا .

وتحصّل من ذلك كلّ أنّ الريح المذكور في الكاظمي الروح البخاري ، وإن كان له علقه ما بالمجرد أيضاً حين يقظته ونومه الذي يفارقه الروح مع بقاء الشعاع في البدن فإن أذن له الدخول فيه ، وإلا فكما قال تعالى : ﴿ فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلَ الْأُخْرَىٰ ﴾^(٣) وحقيقة الريح الشيء المتحرّك في الجسد ، ولا بدّ من رعايته ، وفي المثل هو مَلِكٌ يُدَارِي كما جاء في كلام الإمام الكاظم (عليه السلام) .

(١) مجمع البحرين نقلا من كتاب الأربعين للغزالي ، انظر - روح - .

(٢) السفينة ١/٥٣٧ - روح - وفيه «أما البهائم فروح الشهوة وروح البدن البخاري» مجمع

البحرين - روح - .

(٣) الزمر : ٤٢ .

١٣١

أما صاحبكم هذا فقد نخل من الذنوب نخلاً

من كلام الإمام الكاظم (عليه السلام) رواه الشيخ الصدوق (طاب ثراه)

قال :

حدّثنا محمد بن القاسم المفسّر قال : حدّثنا أحمد بن الحسن الحسيني عن الحسن بن علي عن أبيه عن محمد بن علي عن أبيه (عليه السلام) قال : دخل موسى بن جعفر (عليهما السلام) على رجل قد غرق في سكرات الموت ، وهو لايجب داعياً ، فقالوا له : يا ابن رسول الله وددنا لو عرفنا كيف الموت ، وكيف حال صاحبنا؟

فقال : الموت هو المصفاة يصفّي المؤمنين من ذنوبهم فيكون آخر ألم يصيبهم كفارة آخر وزر بقي عليهم ، ويصفّي الكافرين من حسناتهم فيكون آخر لذة أو راحة تلحقهم ، وهو آخر ثواب حسنة تكون لهم.

وأما صاحبكم هذا فقد نُخِلَ من الذنوب نخلاً ، وُصِّفِي من الآثام تصفية وخلص حتى نُقِيَ كما ينقى الثوب من الوسخ ، وصلح لمعاشرتنا أهل البيت في درنا دار الأبد^(١).

أقول :

من الكلمات المختارة التي تصلح مثلاً أو تمثيلاً لمكان كلمة « النخل »

الآتي بيانها.

ولعل المراد من محمد بن علي عن أبيه هو الجواد الراوي عن أبيه الرضا

الراوي قصة دخول الكاظم (عليهم السلام) على رجل كان في حالة النزاع وسكرة الموت ، أما من هو الرجل فلا ندري ، وكيف كان ، إنها اشتملت على موت المؤمن ، والكافر ، وموت الرجل النقي من الآثام به كالثوب المزال عنه الوسخ بعد غسله فالموت غاسل الذنوب عن المؤمنين ، ومصفيهم تصفية كاملة ، وناخلة لهم كنخل الدقيق بالمنخل .

قال ابن فارس : كلمة تدل على انتفاء الشيء واختياره... نخلك الدقيق بالمنخل وما سقط منه فهو نخالة^(١) وهو الغربال قال الجوهري وهو أي المنخل أحد ما جاء من الأدوات على مُفْعَل بالضم . والنخل بالفتح معروف ومنه ﴿والنخل باسقات لها طلع نضيد﴾^(٢) والمراد هنا الغربال والموت غربال الذنوب ومصفاها ، وفي رضوي : « إنما الناس رجلان : مستريح بالموت ، ومستراح به منه »^(٣) والمؤمن من النوع الأول يلقي به الله والرسول والأنمة ، والروح والريحان وجنة نعيم .

(١) معجم مقاييس اللغة ٤٠٧/٥ - نخل -

(٢) ق : ١٠ .

(٣) معاني اخبار ٢٩٠ .

أَمَّا الْمِرَّةُ فَإِنَّهَا أَرْضٌ إِذَا اهْتَزَتْ رَجَعَتْ بِهَا فَوْقَهَا

إذا زلزلت الأرض زلزالها فهل يستقر ما عليها دون أن ينهار ، وكذا المِرَّةُ هنة لازقة بالكبد فيها ماء أخضر مرّ ، إذا اهتزّت وانتهكت اختلّ الجسد فأمرّ بالمرارة وجعلت عاليه سافله ، أو زادت ، أو نقصت ، أو أيّ عارض عرض عليها أوجب ذلك.

أحد الأمثال المضروبة للطبائع الأربع ، ضربها الإمام الكاظم (عليه السلام) لهارون لسؤاله عنها، سبق حديثه بتامه عند «أما البلغم فإنه خصم جدل، إن سدّد من جانب انفتح من آخر»^(١) ، المذكور في آخر الحديث ، وجعلناه هنا أولها حسب ترتيب الحروف.

المِرَّةُ في اللغة والحديث :

المِرَّةُ في اللغة هي : المرارة التي في جوف الشاة وغيرها ، يكون فيها ماء أخضر مرّ . قيل : هي لكل حيوان إلاّ الجمل^(٢) .

قال ابن منظور : والمرارة : هنة لازقة بالكبد ، وهي التي تُمرّي الطعام تكون لكلّ ذي روح إلاّ النعام ، والإبل ، فإنّها لا مرارة لها....

وقال : المرارة : التي فيها المِرَّةُ ، والمِرَّةُ : إحدى الطبائع الأربع : ابن سيدة : والمِرَّةُ مزاج من أمزجة البدن والممرور : الذي غلبت عليه المِرَّةُ . والمِرَّةُ اللقوة ، وشدة العقل أيضاً . ورجل مرير : أي قويّ ذو مِرَّة . والحديث : « لا تحلّ الصدقة

(١) حرف (أما).

(٢) النهاية ٤/٣١٦ - مرر -

٣٩٨ المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام

لغنيّ ، ولا لذي مرّة سويّ « المرّة : القوّة والشدّة والسويّ : الصحيح الأعضاء...^(١) .

وقال الشيخ الطريحي : والمرّة : خلط من أخلاط البدن غير الدم ، والجمع مرار بالكسر. وفيه « لم يبعث نبياً قطّ إلاّ صاحب مرّة سوداء صافية » .. والمرارة: التي تجمع المرّة الصفراء معلقة مع الكبد كال كيس فيها ماء أخضر وهي لكلّ حيوان إلاّ البعير^(٢) .

المرّة في الحديث :

« نعم الإدام الخلل يكسر المرّة ، ويحيي القلب »^(٣) و « السويق يسجرد والمرّة »^(٤) .

١٣٣

أمّا وأنتم ترحلون عنّا فلا

من أدب الضيافة العون عند النزول ، دون الرحيل ؛ والأوّل من النبل والكرم ، وفي الثاني إشعار بضدّهما ؛ ومن ثمّ قعد عن الأضياف غلمان الإمام الكاظم (عليه السلام) في حديث رواه الشيخ الحرّ قال :
محمد بن إدريس في آخر - السرائر - نقلاً من كتاب أبي عبدالله السيارى ، قال : نزل بأبي الحسن موسى (عليه السلام) أضياف ، فلما أرادوا الرحيل قعد

(١) اللسان ١٦٨/٥ - مرر..

(٢) مجمع البحرين - مرر..

(٣) الوسائل ٦٦/١٧ ، علوي.

(٤) الوسائل ٦/١٧ ، صادقي.

عنهم غلمانه ، فقالوا له : يا بن رسول الله لو أمرت الغلمان فأعانونا على رحلتنا؟ فقال لهم : أما وأنتم ترحلون عنا فلا^(١).

أين شرع الوصال من شرع الفصال ، ومن هنا قال (عليه السلام) عند رحيل الأضياف : « أما وأنتم ترحلون عنا فلا» جرياً على حبّ الوصل وكره الفصل ، ولأنّ الضيافة إكرام للضيف كائناً من كان وفي المثل السائر (أكرموا الضيف ، ولو كان كافراً)^(٢) ، ومن خُلق إبراهيم (عليه السلام) ، وأسلفنا قصة العابدة اليمينية والغلام أخيها القائل : (أنا غلام على مذهب إبراهيم الخليل (صلى الله عليه) لا أتعدنى ، ولا اتعشى كل يوم حتى أسير الليل والليلتين في طلب الضيف)^(٣).

ثم الحديث الكاظمي يباثله الصادقي في معناه الدالّ على أنّهم (عليهم السلام) على هذه الوتيرة الكائنة أسوة لجميع الناس كما كان الرسول أسوة حسنة لجميع الناس لمضمون الآية^(٤) وهو كما يلي :

« نزل على أبي عبدالله (عليه السلام) قوم من جهينة فأضافهم ، فلما أرادوا الرحلة زدّهم ووصلهم ، وأعطاهم ، ثم قال لغلمانه : تنحوا عنهم لاتعينونهم، فلما فرغوا جاؤوا ليوذّعوه ، فقالوا : يا بن رسول الله لقد أضفت فأحسنت الضيافة ثم أمرت غلمانك أن لايعينونا على الرحلة ، فقال : إنا أهل بيت لانعين أضيافنا على الرحلة عنا^(٥).

(١) الوسائل ٨/ ٣٣٤ - ٣٣٥.

(٢) أمثال وحكم ١/ ١٩٠.

(٣) انظر «استحيوا من الله في سرائركم...» حرف الهمة مع السين.

(٤) الأحزاب : ٢٦.

(٥) الوسائل ٨/ ٣٣٥ . لبعض أحيائنا :

١٣٤

أميران ، وليساً بأميرين

إذا تعدّد الموضوع - ولو اعتباراً - تعدّد حكمه ، فليس الإثبات نفيّاً ، ولا النفي إثباتاً ، ولا تناقض في القول ؛ على أنّ الإمام الكاظم عليه السلام قد بين وجه الإثبات ، والنفي ، روى الشيخ الحرّ ذلك نقلاً من الشيخ الطوسي .
قال :

محمد بن الحسن بإسناده عن الحسين بن سعيد عن ابن أبي عمير عن موسى بن عامر عن العبد الصالح (عليه السلام) قال : أميران وليساً بأميرين : صاحب الجنّاة ليس لمن يتبعها أن يرجع حتى يؤذن له ، وامرأة حجّت مع قوم ، فاعتلت بالحيض ، فليس لهم أن يرجعوا ويدعوها حتى تأذن لهم^(١) .
والحديث مروى عن النبيّ (صلى الله عليه وآله) مع اختلاف ما في لفظه وذكرناه في الأمثال النبويّة وإليك ما كتبناه وعلّقناه هناك :
في مرفوع الصدوق قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : « أميران وليساً بأميرين : ليس لمن تبع جنازة أن يرجع حتى يدفن ، أو يأذن له . ورجل حجّ مع امرأة فليس له أن ينفر حتى تقضي نسكها »^(٢) .

* كلّ ذنب لك مغفور سوى الإعراض عني *

(١) الوسائل ٣٠٥/٨ ، الباب ٣٦ من أبواب آداب السفر ... الحديث ٨ .

(٢) الخصال ٤٩/١ ، باب الاتّين ، الرقم ٥٨ .

أقول :

تجهيز أموات المؤمنين واجب كفائي على الجميع ، إن قام به أحد من الجميع سقط عن الباقيين ، وإلا فالكل آثم وهو معنى الواجب الكفائي ووجوب التجهيز يخصّ المؤمن ؛ لأنّ حرمة ميتا كحرمة حياً^١ .

وأما حجّ المرأة فلا بدّ لها من رجل محرم معها من بعل ، أو أب ، أو جدّ ، أو أخ يقوم بأمرها فيما تحتاج إليه ، ولئلاّ يمسّ كرامتها من لا يؤمن منه ، وربّ امرأة ذاهبة إلى بيت الله والله بريء منها ، وأخرى لابثة في بيتها قد جمعت بين ثواب الحجّ وكرامتها إذا كان الحجّ ذاهباً بها ، فالإسلام يريدُها جميعاً على تفصيل يطلب في الفقه من أبواب الحجّ .

ثمّ الذي صاحبها يجب عليه أن لا ينفر حتى تقضي هي مناسكها الواجبة ، فإنّ ما بقي عليها من واجبات لا بدّ من فعلها مع صاحب ، كما كان معها في ابتداء ، فالمعيّة واجبة حدوثاً وبقاءً ؛ إذا الغرض من المعيّة صون كرامتها على الإطلاق .

قوله (عليه السلام) :

« أميران وليسا بأميرين » يريد أن الميت أمير، والمرأة الحاجّة أميرة ؛ لأنّ الأوّل كأنه يأمر المشيّع لجنائزته باتباعها إلى أن تدفن ، أو يؤذن له قبل الدفن . والثانية تأمر مصاحبها بالبقاء إلى انقضاء المناسك أمراً شرعياً بحكم الشرع ، وليس له التخلف من العمل به فهي تصبح أميرة . أمّا أنّها ليسا بأميرين ، لأنّ الميت لا يأمر ، ولا ينهى ، وكذا المرأة ليس لها من الأمر شيء ،

(١) الوسائل ٢/٧٦٠ ، الباب ٣٣ من أبواب الكفن ، الحديث ١ .

وإنما الإسلام أمره بذلك ، فهي ليست بأميرة^(١) .
والحديث واضح المقصود ، والكلمة الكاظمية ، كالنبوة صالحة للمثل إن لم تكنه .

ويمكن لحوق الصبي بها لتكون الأمراء ثلاثة وليسوا بأمراء ؛ لأنه يأمر وليه بما أراد وليس هو بأمر ، وقد جاء التعبير عنه بالسيد في النبوي في سبع سنين :

قال الطبرسي : قال النبي (صلى الله عليه وآله) : « الولد سيد سبع سنين ، وعبد سبع سنين ، ووزير سبع سنين ، فإن رضيت خلانقه لإحدى وعشرين ، وإلا ضرب على جنبيه ، فقد أعذرت لله »^(٢) .

١٣٥

إن أعطاك أعطاك ما ليس لك ، وإن منعك منعك ما ليس لك

الملكية المطلقة لله ، والفاقد المطلق هو العبد المخلوق الفاني . وما أغلاها من كلمة تفسر الجواد الخالق ، والمخلوق ، والمفسر هو الإمام الكاظم (عليه السلام) ، قال ابن شعبه طاب ثراه :

وسأله رجل عن الجواد ؟ فقال : « إن لكلامك وجهين : فإن كنت تسأل عن المخلوق ؟ فإن الجواد : الذي يؤدي ما افترض الله عليه ، والبخيل من بخل بما افترض الله عليه . وإن كنت تعني الخالق ؟ فهو الجواد إن أعطى ، وهو الجواد

(١) الأمثال النبوية ١/١٧٥ - ١٧٦ ، رقم المثل ١١٠ . حرف الهمة مع الميم .

(٢) الوسائل ١٥/١٩٥ ، الباب ٨٣ من أبواب أحكام الأولاد ، الحديث ٧ ، وفي هامشه أن في

إن منع ؛ لأنه إن أعطاك أعطاك ما ليس لك ، وإن منعك منعك ما ليس لك»^(١) .
أقول :

كَلَّ الحسن والجمال في الذات والصفات والفعال ذاتيَّ الله بتام معنى الكلمة ، وليس لسواه من ذلك من شيءٍ إلا أن يُعطيه ، فإليه الإِعطاء والمنع ؛ ومن أجله كان الأمر كَلَّهُ له ، وإليه ، وبه ، ولا يملك المخلوق عطاءً ، ولا منعاً ؛ ومن هنا تنوعت المعاني للكلمات الجارية على اللسان من كلمة الكرم والجود ، والرحمة، والرضا والسخط ، حتى كلمة الوجود التي هي مطرح الأنظار ، وقد حارت العقول في معناها الحقيقي الأصيل وأنها هل هي من قبيل الشيء والفيء؟ أو أنها النور المنبسط ووجهه الباقي كما قال تعالى : ﴿ فَأَيْنَمَا تَوَلَّوْا فَتَمَّ وَجْهَ اللَّهِ ﴾^(٢) ؟ ولا يعرف وجه الله إلا بالله كما في الحديث العلوي : « اعرفوا الله بالله ، والرسول بالرسالة ، وأولي الأمر بالأمر بالمعروف ، والعدل بالإحسان »^(٣) .
فلنعد إلى معنى الجواد في المخلوق بأداء الفرض المالي ، ولعلَّ وجه الاختصاص وإن لم يكن مختصاً بالفرض وأنه عند الله جواد ، وإن كان الناس لا يقولون به . وأمَّا الخالق تعالى فعطاؤه ومنعه معاً جود ؛ لأنَّ العبد وما في يديه كان لمولاه^(٤) لا يملك شيئاً ليقال أنه منعه .

(١) الكافي ٣٩/٤ ، التحف ٤٠٨ ، البحار ٢٤٦/١٠ .

(٢) البقرة : ١١٥ .

(٣) أصول الكافي ٨٥/١ .

(٤) أمثال وحكم ٢٥٨/١ . ﴿ ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا يملكون موتاً ولا حياة

ولا نشوراً ﴾ الفرقان : ٣ .

١٣٦

أنا ابن منى والمشعرين وزمزم

من أشعارٍ ، نفى الشيخ المجلسي البُعدَ عن كونها للإمام الكاظم (عليه السلام) : وهي من كتاب المقتضب لابن عيَّاش :

عن صالح بن الحسين النوفلي عن ذي النون المصري قال : خرجت في بعض سياحتي حتى كنت ببطن السِماوة^(١) فأفضي لي المسير إلى تَدْمُر^(٢) ، فرأيت بقرها أبنية عادية قديمة ، فساورتها فإذا هي من حجارة منقورة فيها بيوت وغرف من حجارة ، وأبوابها كذلك ، بغير ملاط^(٣) وأرضها كذلك حجارة صلدة^(٤) ، فبينما أجول فيها إذ بصرت بكتابة غريبة على حائط منها ، فقرأته ، فإذا هو :

أنا ابن منى والمشعرين وزمزم	ومكّة والبيت العتيق المعظم
وجدي النبي المصطفى وأبي الذي	ولايته فرض على كل مسلم
وأمي البتول المستضاء بنورها	إذا ما عددناها عديلة مريم
وسبطا رسول الله عمي والدي	وأولاده الأطهار تسعة أنجم
متى تعلق منهم بحبل ولاية	تُفَزُّ يوم يجزي الفائزون ، وتُنعم

(١) قال الحموي : السِماوة قال أبو المنذر : إنها سميت السِماوة لأنها أرض مستوية لاجتر بها .
والسِماوة ماء البادية ... وبادية السِماوة : التي هي بين الكوفة والشام قفري أظنها مسماة بهذا
الماء . معجم البلدان ٢٤٥/٣ .

(٢) تدمر : مدينة قديمة مشهورة في برية الشام بينها وبين حلب خمسة أيام معجم البلدان ١٧/٢ .

(٣) الملاط : الطين الذي يجعل بين ساقى البناء مجمع البحرين - ملط - .

(٤) صلب أملس المجمع - صلدة - .

أثمة هذا الخلق بعد نبئهم
 أنا العلويّ الفاطميّ الذي ارتقى
 فضقت بي الأرض الفضاء برحبها
 فألمت بالدار التي أنا كاتب
 وسلّم لأمر الله في كلّ حالة

فإن كنت لم تعلم بذلك فاعلم
 به الخوف والأيام بالمرء ترتقي
 ولم أستطع نيل السماء بسلم
 عليها بشعري فاقراً إن شئت والمم
 فليس أخو الإسلام من لم يسلم

قال ذو النون : فعلمت أنه علويّ قد هرب ، وذلك في خلافة هارون ووقع
 إلى ما هناك ، فسألت من ثم من سكان هذه الدار ، وكانوا من بقايا القبط الأوّل:
 هل تعرفون من كتب هذا الكتاب ؟ قالوا : لا والله ما عرفناه إلا يوماً واحداً ،
 فإنه نزل بنا فأنزلناه ، فلما كان صبيحة ليلته غدا ، فكتب هذا الكتاب ومضى .
 قلت : أي رجل كان ؟ قالوا : رجل عليه أطمار رثة تعلوه هيبة وجلالة ، وبين
 عينيه نورٌ شديدٌ لم يزل ليلته قائماً وراكعاً وساجداً إلى أن انبلج الفجر ، فكتب
 وانصرف^(١).

أقول : لا يبعد كونه الكاظم (عليه السلام) ذهب وكتب لإتمام الحجّة
 عليهم^(٢) إلى هنا انتهى كلام الشيخ المجلسي.

من المحتمل كما قاله رحمه الله أن يكون الكاتب هو الإمام الكاظم (عليه
 السلام) ولا يتعاضمه الحضور في برية الشام المدينة المسماة بتدمر في قريها أبنية
 قديمة قد كتب على حائط منها الكتاب ، وللمعصوم (عليه السلام) الاستطاعة
 على التجوال في البلدان النائية وعنده الاسم الأعظم ، بل هو نفسه ، يذهب
 إليها بطي الأرض كما في قصة شطيطة النيسابورية وحضور الإمام الكاظم

(١) مقتضب الأثر ٥٥ . طبع المطبعة العلوية في النجف الأشرف ١٣٤٦ هـ.

(٢) البحار ٤٨/١٨١ - ١٨٢.

٤٠٦ المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام

لتجهيزها والصلاة عليها ودفنها وقبرها الآن خارج بلدة نيسابور وقبرها^(١) ،
والقصة مروية في المناقب^(٢) . والإمام يفعل ما هو أعجب من ذلك ، ولا عجب
في هذا الأمر وكيف لا وهو حجة الله في أرضه وسائته .
وإنما ذكرنا ذلك اعتمادا على ما نفى الشيخ المجلسي (طاب ثراه) البعد
عنه أي أنه من الإمام الكاظم (عليه السلام) .

وابن عيَّاش هو أحمد بن محمد بن عبدالله بن الحسن بن عيَّاش
الجوهري المعاصر للشيخ الصدوق توفي سنة ٤٠١ هـ^(٣) .
وذو النون المصري أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم العارف المتصوِّف
المعروف بأحد رجال الطريقة أصله من النوبة من قرية يقال لها أخميم فنزل مصر
وتوفي بها سنة ٢٤٦ هـ^(٤) .

١٣٧

أنا إمام القلوب ، وأنت إمام الجسوم

كلمة مروية عن الإمام الكاظم (عليه السلام) ، وصورتها على ما في إحقاق
الحق :

قيل : إنه لقيه الرشيد عند الكعبة فلم يقم له حتى وقف الرشيد على
رأسه ، فقال : أنت الذي يبايعك الناس : قال : نعم أنا أمام القلوب ، وأنت إمام

(١) وقد زرتها في عام ١٤٠٩ .

(٢) المناقب لابن شهر آشوب ٤/٢٩١ - ٢٩٢ . البحار ٤٨/٧٣ - ٧٥ .

(٣) الكنى والألقاب المحدث القمي ١/٣٦٩ - ٣٧٠ .

(٤) الكنى والألقاب ٢/٢٥٨ .

الجسوم^(١).

أقول :

في الحوار الدائر بين هارون والمأمون ابنه ما يشهد للكلمة المذكورة، وقد
واعدناك ذكر حديثه عند « إذا ملكت هذا الأمر فأحسن إلى ولدي »^(٢).

قال المأمون :

« ثم انصرفنا وكنت أجراً ولد أبي عليه ، فلما خلا المجلس قلت : يا أمير
المؤمنين ومن هذا الرجل الذي أعظمته ، وأجللته ، وقمت من مجلسك إليه ،
فاستقبلته ، وأقعده في صدر المجلس ، وجلست دونه ، ثم أمرتنا بأخذ الركاب
له ؟؟؟

قال : هذا إمام الناس ، وحيجة الله على خلقه ، وخليفته على عباده .

فقلت : يا أمير المؤمنين أو ليست هذه الصفات كلها لك وفيك ؟؟

فقال : أنا إمام الجماعة في الظاهر بالعلبة والقهر ، وموسى بن جعفر إمام
حق ، والله يا بني إنه لأحق بمقام رسول الله مني ومن الخلق جميعاً ، والله لو
نازعتني في هذا الأمر لأخذت الذي فيه عيناك ؛ لأن (الملك عقيم)^(٣).

ترى التصريح الواضح في كلام هارون وهو كما قال تعالى : ﴿ فَاَعْتَرَفُوا
بِذَنبِهِمْ فَسَحَقاً لأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾^(٤) ، ولكن حبّ الجاه والإمارة والدنيا أعمت
قلبه ، و « حبك للشيء يُعمي ويصم »^(٥).

وكلمة « أنا إمام القلوب وأنت إمام الجسوم » يشمل كل إمام معصوم

(١) إحقاق الحق ١٩/٥٤٣.

(٢) الاحتجاج ٢/١٦٦ . وحرف (إذا).

(٣) مجمع الأمثال ٢/٣١١ ، الرقم ٤٠٦٦ ، حرف الميم.

(٤) الملك : ١١ .

(٥) المجازات النبوية ١٣٥ ، الرقم ١٣٦ ، الأمثال النبوية ١/٣٤٨.

٤٠٨ المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام

صدرها ، والإمام الجائر عجزها ؛ والحكم يتبع الملاك القطعي ؛ ومن ثم تصلح مثلاً
للأمرين .

١٣٨

أنا أين كنت كنت آمناً مطمئناً

من عوذة الإمام الكاظم (عليه السلام) لما ألقى في بركة السباع أولها :
« بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله وحده وحده أنجز وعده ، ونصر عبده ،
وأعزّ جنده^(١) ».

أقول :

ذكرنا العوذة من ابتدائها إلى « أنا أين كنت كنت آمناً مطمئناً » عند
كلمة « آويت إلى ركن شديد »^(٢) ، ومن أجله لانعيدها ، ولم نكمل العوذة هناك ،
ولانريد إكمالها هنا أيضاً للخروج به عن صلب الموضوع ، ومن أحبّ نظر .
سؤال : كيف كان الإمام (عليه السلام) آمناً على الإطلاق ، وقد روى
عنه أنه .

قال : « أمنوا على فرشهم ، واخافوني ، أما والله لقد كانت الدنيا ، و
ما فيها إلا واحد يعبد الله ولو كان معه غيره لأضافه الله عزّ وجلّ إليه ... »^(٣) ؟
وقد روى أيضاً عن جميع المعصومين (عليهم السلام) ما يدلّ على
خوفهم وسلب الأمن و الأمان منهم من قبل طواغيت زمانهم ؟ لو أردنا الإحصاء
لخرجنا عما نحن بصدده ؟

(١) مهج الدعوات ٢٤٢ - ٢٤٣ .

(٢) حرف الهمزة مع الألف .

(٣) أصول الكافي ٢/٢٤٣ ، وانظر «أما والله لقد ...» حرف (أما) .

الجواب :

إنَّ الله تعالى قال : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴾^(١) والمعصومون هم أئمة المتقين ، فإذا كان المتقون آمنين ، فما ظنك بأئمتهم ، وإنما الكلام في بيان المراد من الأمن في الآية والرواية : أما الآية فما بعدها يفسرها وهو : ﴿ فِي جَنَّاتٍ وَعِيُونَ ﴾^(٢) فهم آمنون من الآفات والعقوبات الأخروية وعليها تحمل الروايات عنهم بهذا الصدد. أو المراد بأمنهم من ركوب الذنوب وترك الطاعة أين ما كانوا ؛ لأنهم معصومون لا يخافون صدورها عنهم وهذا التفسير حق ثابت لا يتخلف أبداً . أو المراد بأمنهم طمأنينتهم بالله وبذكر الله تعالى لا يخافون ضيماً ، لأنهم بمرأى ومسمع من الله وبعين الله وقد جاء ﴿ وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾^(٣) ، وقول الإمام الحسين (عليه السلام) : « هُوَ عَلَيَّ مَا نَزَلَ بِي أَنَّهُ بَعِينُ اللَّهِ »^(٤) وهو في أشدِّ وأمضِّ ما كان فيه من يوم عاشورا ، ويثبت لباقي الأئمة أيضاً.

(١) الدخان : ٥٤ .

(٢) الدخان : ٥٥ .

(٣) الطور : ٤٨ .

(٤) البحار ٤٥ / ٤٦ .

١٣٩

أنت إذا تمني هلاك الأبد

كلمة خيبة لمن سلك سبيل الهلاك ، تقال للتحذير عنه من كلام الإمام الكاظم عليه السلام ، رواه العلامة المجلسي عن الآبي في كتاب نثر الدرر :
« سمع موسى عليه السلام رجلاً يتمنى الموت ، فقال له : هل بينك وبين الله قرابة يحاميك لها ؟ قال : لا ، قال : فهل لك حسنات قدّمتها تزيد على سيئاتك ؟ قال : لا ، قال : فأنت إذا تمني هلاك الأبد »^(١).
أقول :

قد يصدر التمني للموت عن حبّ لقاء الله كما عن أمير المؤمنين (عليه السلام) : « والله لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي أمّة »^(٢).
ومن ثمّ قال لما ضربه ابن ملجم لعنه الله : « فزت وربّ الكعبة »^(٣). لأنّه (عليه السلام) يلاقي ربّه وقد قضى ما عليه من أحكام وفاز بها أعدّه الله تعالى له ممّا لا يعرفه إلاّ المعصوم ، وقد تمّنى الموت عند مصرع عمّار في صفين بقوله عليه السلام :

ألا يا أيّها الموت الذي ليس تاركي
أراك بصيراً بالذين أحبّهم
أرحني فقد أفنيت كلّ خليلي
كأنّك تنحو نحوهم بدليل^(٤)

(١) البحار ٧٨/٣٢٧.

(٢) النج ١/٢١٣ . الخطبة ٥.

(٣) البحار ٤٢/٢٣٩.

(٤) البحار ، الطبع القديم ٤٨٧.

وفي آية ﴿وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه﴾^(١) التصريح بدعوى اليهود والنصارى القرابة مع الله وأنهم أولياؤه فأبطل الله دعواهم في آية ﴿قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين﴾^(٢).

معناها أن مقتضى القرابة التلاقي معها بالتمني للموت ، إن كنتم صادقين ولم يتمنوه أبداً ، على عكس الرجل المذكور في الحديث المتمني للموت ولم يدع القرابة مع الله تعالى ، والمستفاد من الآية أن التمني للموت يتناسب مع القرابة المزعومة المدعاة ، وأما الذي لا يزعم ، ولا يدعيها فلا يناسب التمني له فالرجل ليس له حسنات تزيد على سيئاته ، ولا قرابة له مع الله تعالى ، فما معنى تمنيه له ؟.

١٤٠

أنت أعلم وما قلت

كلمة سارت على اللسان ، تقال لردّ الخصم تأديباً ، قد قالها الإمام الكاظم (عليه السلام) في كلام له مع ابن هياج ادّعى عليه البغلة ، رواه الشيخ الكليني (طاب ثراه) قال :

وعنه^(٣) عن أحمد عن البرقي عن محمد بن يحيى عن حماد بن عثمان ، قال : بينا موسى بن عيسى^(٤) في داره التي في المسعى يُشرف على المسعى ، إذ

(١) المائدة : ١٨ .

(٢) الجمعة : ٦ ، وللاية نوع علقه بالموضوع .

(٣) «وعنه» يعني محمد بن يحيى العطار المصّرح به في المعطوف عليه .

(٤) العباسي المعروف .

رأى أبا الحسن موسى (عليه السلام) مقبلاً من المروة على بغلة ، فأمر ابن هياج رجلاً من همدان أن يتعلّق بلجامه ، ويدّعي البغلة ، فأتاه فتعلّق باللجام ، وأدّعي البغلة ، فشّنى أبو الحسن (عليه السلام) رجله فنزل عنها ، وقال لغلمانه : خذوا سرجها ، وادفعوها إليه ، فقال : والسرج أيضاً لي ، فقال أبو الحسن (عليه السلام) : كذبت ، عندنا البيّنة بأنّه سرج محمد بن علي ، وأمّا البغلة فإنّا اشتريناها منذ قريب ، وأنت أعلم وما قلت^(١) .

« وأمّا البغلة » فعلّله (عليه السلام) سلّمها مع علمه بكذب المدّعي ، إمّا صوتاً لعرضه عن الترافع إلى الوالي ، أو دفعاً لليمين ، أو تعليماً ليتأسّي به الناس فيما لم يعلموا كذب المدّعي احتياطاً ، واستحجاباً^(٢) .

ولعلّ « محمد بن علي » هو الإمام الباقر (عليه السلام) ، بل المتيقن أنّه المقصود ، وأنّ السرج وصل إليه وراثته وأنّه ثابت بالبيّنة الشرعيّة .

قوله (عليه السلام) : « وأنت أعلم وما قلت » يمثله قول الفقهاء : « هو أعلم بما قال »^(٣) و« المعنى في بطن الشاعر »^(٤) والكلمة الكاظميّة يعني أنت مسؤول عمّا تقول من حق ، أو باطل ، والإمام يعلم ما يريد من وراء قوله ، وأنّه يدّعي ما ليس له ، كما ادّعى السرج مع أنّه لمحمد بن علي المعلوم أنّه الباقر عليه السلام كما تقدّم .

قد تناول الحديث الفقهاء في فروع تعارض الدعوى: منهم صاحب المستند في نفس العنوان^(٥) .

(١) روضة الكافي ٨٦ - ٨٧ ، الوسائل ٢١٤/١٨ ، الباب ٢٤ من أبواب كيفيّة الحكم وأحكام

(٢) الدعوى الحديث ١ .

مرآة العقول ١٩٧/٢٥ .

(٣) مشهور .

(٤) أمثال وحكم ٢٧٢/١ .

(٥) ص ٥٨٧/٢ .

١٤١

أنت ربّي إذا ظممت إلى الماء وقوتي إذا أردت الطعاما

نظمٌ صادرٌ عن قلب نظام الدين والدنيا الإمام الكاظم عليه السلام ، جاء ذلك في خبر شقيق البلخي المروي عن محمد بن طلحة قال : قال خشنام ابن حاتم الاصب قال : قال لي أبي^(١) حاتم : قال لي شقيق البلخي : خرجت حاجاً في سنة تسع وأربعين ومائة فنزلت القادسيّة^(٢) . فبينما أنا أنظر إلى الناس في زينتهم وكثرتهم ، فنظرت إلى فتى حسن الوجه شديد السمرة ضعيف ، فوق ثيابه ثوب من صوف ، مشتمل بشملة ، في رجليه نعلان ، وقد جلس منفرداً ، فقلت في نفسي : هذا الفتى من الصوفيّة يريد أن يكون كلاً على الناس في طريقهم ، والله لأمضين إليه ، ولا ويخنه ، فدنوت منه ، فلما رأيته مقبلاً قال : يا شقيق ﴿ اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾^(٣) ، ثم تركني ومضى ، فقلت في نفسي : إن هذا الأمر عظيم ، قد تكلم بها في نفسي ، ونطق

(١) فاعل (قال) أبو خشنام.

(٢) قرية قرب الكوفة من جهة البرّ بينها وبين الكوفة خمسة عشر فرسخاً ، وبينها وبين عذيب أربعة أميال عندها كانت الوقعة العظمى بين المسلمين وفارس سنة ١٦ وتعرف اليوم بنفس الاسم قرب قضاء أبي صخير في لواء الديوانيّة . هامش البحار ٤٨ / ٨٠ . وفي معجم البلدان ٢٩١ / ٤ - ٢٩٣ تفاصيل.

(٣) الحجرات : ١٢ .

باسمي ، وما هذا إلا عبد صالح ، لألحقه ، ولأسأله أن يحللي ، فأسرعت في أثره ، فلم ألحقه ، وغاب من عيني ، فلما نزلنا واقصة^(١) وإذا به يصلي ، وأعضاؤه تضطرب ، ودموعه تجري ، فقلت : هذا صاحبي أمضي إليه ، واستحلّه ، فصبرت حتى جلس ، وأقبلت نحوه ، فلما رأي قال : يا شقيق اتل : ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴾^(٢) ، تركني ومضى ، فقلت : إن هذا الفتى لمن الأبدال ، لقد تكلم على سرّي مرتين ، فلما نزلنا زباله^(٣) إذا بالفتى قائم على البئر ، وبيده ركوة^(٤) يريد أن يستقي ماءً فسقطت الركوة من يده في البئر ، وأنا أنظر إليه ، فرأيتَه قد رمق السماء وسمعته يقول :

أنت ربّي إذا ظمئتُ إلى الماء وقوتي إذا أردتُ الطعاما

« اللهم سيدي ما لي غيرها فلا تُعدّمنيها » ، قال شقيق : فوالله رأيت البئر وقد ارتفع ماؤها ، فمدّ يده ، واخذ الركوة ، وملؤها ماء ، فتوضّأ وصلّى أربع ركعات ، ثم مال إلى كتيب^(٥) رمل فجعل يقبض بيده ويطرحه في الركوة ، ويحركه ويشرب ، فأقبلت إليه وسلّمت عليه ، فردّ عليّ السلام ، فقلت : أطعمني من فضل ما أنعم الله عليك ، فقال : يا شقيق لم تزل نعمة الله علينا ظاهرة وباطنة ، فأحسن^(٦) ظنك بربّك ، ثم ناولني الركوة فشربت منها فإذا هو سويق وسكر ،

(١) منزل يطريق مكة بعد القرعاء ، وقيل العقبة دون زباله بمرحلتين . وواقصة أيضاً بأرض اليمامة ، معجم البلدان ٣٥٣/٥ - ٣٥٤ .

(٢) طه : ٨٢ .

(٣) بضم أوله : منزل معروف بطريق مكة من الكوفة وهي : قرية عامرة بها أسواق بين واقصة والتعلبية معجم البلدان ١٢٩/٣ .

(٤) مثلثة : إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء جمع ركاء ، النهاية ٢٦١/٢ - ركاء .

(٥) التلّ من الرمل .

(٦) انظر حرف الهمزة مع الحاء .

فوالله ما شربت قطّ الذّمّه ، ولا أطيب ربحاً ، فشبت ورويت وبقيت أياماً لا أشتهي طعاماً ولا شراباً.

ثم لم أره حتى دخلنا مكّة ، فرأيتُه ليلة إلى جنب قُبّة الشراب^(١) في نصف الليل قائماً يصليّ بخشوع وأتّين وبكاء ، فلم يزل كذلك حتى ذهب الليل ، فلما رأى الفجر جلس في مصلاه يسبح ، ثم قام فصلّى الغداة ، وطاف بالبيت أسبوعاً وخرج فتبعته ، وإذا له غاشية^(٢) وموال وهو على خلاف ما رأيتُه في الطريق ، ودار به الناس من حوله يسلمون عليه ، فقلت لبعض رأيتُه يقرب منه : من هذا الفتى ؟ فقال : هذا موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام) .

فقلت : قد عجبت أن تكون هذه العجائب إلاّ لمثل هذا السيّد . ولقد نظم بعض المتقدّمين واقعة شقيق معه في أبيات طويلة اقتصرت على ذكر بعضها فقال :

سل شقيق البلخي وما عاين	منه وما الذي كان أبصر؟!
قال : لما حججت عاينت شخصاً	شاحب اللون ناحل الجسم أسمر
سائراً وحده ليس له زادٌ	فما زلت دائماً ، أتفكر
وتوهّمت أنه يسأل الناس	ولم أدر أنه الحجّ الأكبر
ثم عاينته ونحّنت نزولُ	دون فيد ^(٣) على الكتيب الأحمر
يضع الرمل في الإناء ويشربه	فناديته وعقلي محير
اسقني شربة فناولني منه	فعاينته سويقاً وسُكر

(١) لعله يريد زمزم.

(٢) أي الذين أحاطوا به.

(٣) منزل بطريق مكّة ، وبليدة بنجد على طريق الحاج العراقي مجمع البحرين - فيد ..

فسألت الحجيج من يك هذا قيل هذا الإمام موسى بن جعفر^(١)

قال العلامة المجلسي : رأيت هذه القصة في أصل كتاب محمد بن طلحة مطالب السؤل^(٢) . وفي الفصول المهمة^(٣) ، وأوردها ابن شهر آشوب أيضاً مع اختصار^(٤) ، وقال صاحب كشف الغمة ، وصاحب الفصول المهمة : هذه الحكاية رواها جماعة من أهل التأليف : رواها ابن الجوزي في كتابه (إثارة العزم الساكن إلى أشرف الأماكن) ، وكتاب (صفة الصفوة)^(٥) ، والحافظ عبد العزيز بن الأخضر الجنازدي في كتاب (كرامات الأولياء)^(٦) .
قوله (عليه السلام) :

أنت ربِّي إذا ظمئت إلى الماء وقوتي إذا أردت الطعاما

قد صرّح بالأمرين في دعاء أول شهر رمضان المروي عن الصادق (عليه السلام) ومنه :

« سيّدي أنا من حبّك جائع لا أشبع ، أنا من حبّك ظمآن لا أروى ، واشوقاه إلى من يراني ولا أراه »^(٧) .

وإنّ الرسول (صلّى الله عليه وآله) كان يقول : « يا أبا ذرّ إنّ الله تعالى

(١) كشف الغمة ٢٤٢ . البحار ٤٨/٨٠ - ٨٢ ، إحقاق الحق ١٢/٣١٥ .

(٢) ٨٣

(٣) ٢١٩ .

(٤) المناقب ٤/٣٠٢ - ٣٠٣ .

(٥) ١٠٤/٢ .

(٦) جامع كرامات الأولياء ٢/٢٢٩ . المصادر الأربعة في هامش البحار ٤٨/٨٠ - ٨٣ . ولم تكن

موجودة عندي .

(٧) الإقبال ٥٦ .

جعل قرّة عيني في الصلاة ، وحبّتها إليّ كما حبّب إلى الجائع الطعام ، وإلى الظمآن الماء ؛ فإنّ الجائع إذا أكل شبع ، وإذا شرب رُوي ، وأنا لا أشبع من الصلاة»^(١).

١٤٢

أنت شاكّ والشاكّ لاخير فيه

كلمة حكمة تحضّ على اليقين الذي فيه الخبر ، وأنّ الشكّ لاخير فيه قالها الإمام الكاظم (عليه السلام) للحسين بن الحكم ، رواها الشيخ الكليني قال (طاب ثراه) :

علي بن إبراهيم عن محمد بن عيسى عن يونس عن الحسين بن الحكم قال : كتبت إلى العبد الصالح أخبره أنّي شاكّ ، وقد قال إبراهيم (عليه السلام): ﴿ ربّ أرني كيف تحيي الموتى ﴾^(٢) ، وإنّي أحبّ أن تريني شيئاً . فكتب (عليه السلام) أنّ إبراهيم كان مؤمناً ، وأحبّ أن يزداد إيماناً ، وأنت شاكّ ، والشاكّ لاخير فيه - إلى أن قال :-

وكتب أنّ الله عزّ وجلّ يقول : ﴿ وما وجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين ﴾^(٣) ، قال : نزلت في الشاكّ^(٤).

(١) أمالي الشيخ الطوسي ١٤١/٢ . البحار ٧٧/٧٩ - ٨٠ . الأمتال النبويّة ١/٣٤٩ الرقم ٢٢٤

حرف الحاء مع الباء

(٢) البقرة : ٢٦ .

(٣) الأعراف : ١٠٢ .

(٤) أصول الكافي ٣٩٩/٢ .

أقول :

ما لم يكن يقين فهو شكّ فيشمل المتساويين ، والراجح لأحد الطرفين فلعلّ المراد من قول الحسين بن الحكم : « إني شاكّ » عدم اليقين سواء أكان ظاناً بالتوحيد ، أو النبوة ، أو الإمامة ، أو الشكّ المتساوي الطرفين ؛ ويشهد للعموم قوله (عليه السلام) إبطالاً لقياسه بإبراهيم لرؤية إحياء الموتى وأنه طلب لزيادة الإيـان وحبّه للزيادة وأين هذا من شكّ ابن الحكم الذي لم يجتمع مع أصل الإيـان فلا يقاس واجد الإيـان بفاقده كابن الحكم ، ومن ثم قال (عليه السلام) له : « أنت شاكّ ، والشاكّ لاخير فيه » ، والخير في إبراهيم لأنه مؤمن يحبّ أن يزيد الله إيماناً مع إيمانه . فالقياس باطل ؛ لأنه قياس مع الفارق بين الواجد للإيـان والفاقد له .

ويفضي الشك إلى الكفر إذا جحد صاحبه ، كما في صحيح محمد بن مسلم قال : كنت عند أبي عبدالله جالساً عن يساره ، ووزارة عن يمينه ، فدخل عليه أبو بصير ، فقال : يا أبا عبدالله ما تقول فيمن شكّ في الله ؟ فقال : كافر يا أبا محمد ، قال : فشكّ في رسول الله فقال : كافر ، قال : ثم التفت إليّ فقال : إننا يكفر إذا جحد .

(١) أصول الكافي ٢/٣٩٩ .

أقول : لا ينتفع غير المقرّ لأهل البيت عليهم السلام ففي باقري أو صادقي : «إنما مثل أهل البيت مثل أهل بيت كانوا ...» أصول الكافي ٢/٤٠٠ .

١٤٣

إن تصبر تغتبط ، وإلا ينفذ الله مقاديره راضياً كنت أم كارهاً

من الحصن الحصين ، والركن الركين الصبر الذي هو والصلاة كبيرة إلا على الخاشعين^(١) ، قد جاءت الكلمة في جواب الإمام الكاظم (عليه السلام) عن اعتذار سعاة بن مهران ، رواها الشيخ الكليني قال :

محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن عيسى عن علي بن الحكم عن سعاة بن مهران عن أبي الحسن (عليه السلام) قال : قال لي : ما حبسك عن الحجّ ؟ قال : قلت : جعلت فداك وقع عليّ دين كثير ، وذهب مالي ، وديني الذي لزمني هو أعظم من ذهاب مالي . فلولا^(٢) أن رجلاً من أصحابنا أخرجني ما قدرت أن أخرج . فقال لي : إن تصبر تغتبط ، وإلا تصبر ينفذ الله مقاديره ، راضياً كنت ، أم كارهاً^(٣) .

أقول :

في الصبر أحاديث ، وكلمات ، نشير من الأولى إلى بعضها ، وكذلك

الثانية.

الأولى :

وقبل ذكرها نلفت نظرک إلى الآية المومي إليها : ﴿ واستعينوا بالصبر والصلوة وإنما لكبيرة إلا على الخاشعين ﴾^(٤) . وتفسير الصبر فيها بالصوم

(١) البقرة : ٤٥ .

(٢) (لا) زائدة حسب المعنى المراد فتدبر .

(٣) أصول الكافي ٢ / ٩٠ ، باب الصبر ، الحديث ١٠ .

(٤) البقرة : ٤٥ .

ليس إلا تطبيقاً للعموم على أظهر أفراده ، وهو الكفّ عن المفطرات المعهودة من الفجر إلى المغرب ، وإنما الاعتبار بعموم الحكم لخصوص مورد الخطاب. وأحاديث الصبر منها :

النبي : « سيأتي على الناس زمان لا ينال الملك فيه إلا بالقتل ، والتجبر ، ولا الغنى إلا بالغصب ، وبالبخل ، ولا المحبة إلا باستخراج الدين^(١) ، وآتباع الهوى^(٢) فمن أدرك ذلك الزمان ، فصبر على الفقر وهو يقدر على الغنى ، وصبر على البغضة وهو يقدر على المحبة ، وصبر على الذلّ وهو يقدر على العزّ آتاه الله ثواب خمسين صديقاً ممن صدّق بي »^(٣).

قال الشيخ المجلسي : « وصبر على البغضة » أي بغضة الناس له لعدم آتباعه لهم^(٤).

باقري : « من لا يعدّ الصبر لنوائب الدهر يعجز »^(٥).
وصادقي : « إنا صبر ، وشيعتنا أصبر منا ، قلت جعلت فداك كيف صار شيعتكم أصبر منكم ؟ قال : لأننا نصبر على ما نعلم ، وشيعتنا يصبرون على ما لا يعلمون »^(٦).

الثانية الكلمات :

صبراً على مجامر الكرام صبراً . والصبر حيلة من لا حيلة له . والصبر عند الصدمة الأولى . والصبر على البليّة أهون من ركوب الهلكة . والصبر كاسمه .

(١) أي طلب خروج الدين من القلب أي بطلب خروجهم من الدين ، مرآة العقول ٨/١٣٦ .
(٢) الأهواء النفسانية ، أو أهوائهم الباطلة ، وذلك لأن أهل تلك الأزمنة لفسادهم لا يجيئون أهل الدين المصدر نفسه .

(٣) أصول الكافي ١/٩١ ، الحديث ١٢ .

(٤) مرآة العقول ٨/١٣٧ .

(٥) أصول الكافي ٢/٩٣ ، الحديث ٢٤ .

(٦) المصدر نفسه ، الحديث ٢٥ .

وإن كان الصبر مرّاً فعاقبته حلوة . وإن غلا اللحم فالصبر رخيص . والصبر تجرّع الغصص . والصبر صبران : صبر على ما تكره ، وصبر عما تحبّ ، والرجل من جمعها . واللثام أصبر أجساداً ، والكرام أصبر أنفساً . والصبر على المصيبة مصيبة على الشامت بها . ودفع المصيبة بالصبر . والجزع أحد المصيبتين . واصبر مختاراً مأجوراً ، وإلا صبرت مضطراً مأروزاً . وأصبر الناس على الأذى المحتاج ، والحريص إذا طمعا . وما أحسن الصبر في مواطنه .

* وعاقبة الصبر الجميل جميلة *

والصبر في كلّ مواطن حسن حسبك من حسنه عواقبه
عواقب الصبر ما لها منن وأفضل أخلاق الرجال التصبر^(١)

إنهاء ما للصبر من حديث ، وكلمة يخلص إلى كتاب مفرد ، وحاصل الأمرين أن الصبر قوّة وشجاعة ، وكرم وفتوة ، يفضي بصاحبه إلى القدوة والإمامة ؛ ألا تسمع قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ﴾^(٢) .

(١) التمثيل والمحاضرة ٤١٤ - ٤١٥ .

(٢) السجدة : ٢٤ . من المثل : «الصبر مفتاح الفرج» أمثال وحكم ٢٥٥/١ . «الصبر وإن كان مرّ المرام حلوا المحتام» .

١٤٤

انتظار الفرج من الفرج

إذا صدق المنتظر في دعواه فلا يخلو من دعاء صادق تعقبه الإجابة ؛ ومن ثم صار الانتظار نفسه من ظاهرتة ، قد جاءت الكلمة في جواب الإمام الكاظم (عليه السلام) عن سؤال الحسن بن الجهم ، وهو عن الشيخ الطوسي (طاب ثراه) قال :

عنه - أي الفضل بن شاذان - عن ابن أسباط عن الحسن بن الجهم ، قال : سألت أبا الحسن (عليه السلام) عن شيء من الفرج ؟ فقال : أو لست تعلم أن انتظار الفرج من الفرج ؟ قلت : لا أدري إلا أن تعلمني ، فقال : نعم انتظار الفرج من الفرج^(١) .
أقول :

يمكن أن تفسر الكلمة إلى تفاسير ثلاثة :
الأول : ما قدمناه من أن المنتظر إذا صدق في دعواه لا ينفك عن دعاء صادق تعقبه الإجابة .

الثاني : أن غيبة الإمام المهدي من أعظم البلاء ، ويطول البلاء إذا قست قلوب الناس ، وتقصّر مدّته إذا انتظروا وأقبلوا على الدعاء ، فالانتظار عامل مؤثر لذهاب البلاء ، أو قصره ، فتذهب الغيبة وتزول بالانتظار ، والدعاء وذلك هو الفرج وإليك النصّ الدالّ عليه الذي رواه الشيخ الكليني قال :
علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن هشام بن سالم قال :

قال أبو عبدالله (عليه السلام) هل تعرفون طول البلاء من قصره ؟ قلنا : لا . قال : إذا ألهم أحد [منكم] الدعاء عند البلاء فاعلموا أن البلاء قصير^(١) .

وصحيح أبي ولاد قال : قال أبو الحسن موسى (عليه السلام) : ما من بلاء ينزل على عبد مؤمن فيلهمه الله عزّ وجلّ الدعاء إلاّ كان كشف ذلك البلاء وشيكاً ، وما من بلاء ينزل على عبد مؤمن فيمسك عن الدعاء إلاّ كان ذلك البلاء طويلاً ، فإذا نزل البلاء فعليكم بالدعاء^(٢) والتضرّع الى الله عزّ وجلّ^(٣) .

الثالث : أن انتظار الفرج من أقوى عوامل تكوين الأمل والرجاء في الإنسان الباعث على أعمال الخير، وإحياء القلب بذلك ، ويقابله اليأس والخيبة الحاصلة بترك الانتظار ، ومحصل الكلام أن الانتظار أمل ورجاء يعيش به الإنسان ، وإنّ الأمل الراجي قادم على كلّ ما يقرب إليه المأمول والمرجوّ وهو الامام المهدي (عليه السلام) كعبة الامال والرجاء للناس جميعاً .

تتميم :

إنّ أحاديث انتظار الفرج كثيرة لاجمال هنا لذكرها ، ولكنّ البعض منها

كما يلي :

منها النبوي :

« أفضل أعمال أمتي انتظار الفرج من الله عزّ وجلّ »^(٤) .

والمهدي : « وأكثروا الدعاء بتعجيل الفرج ؛ فإنّ ذلك فرجكم »^(٥) .

(١) أصول الكافي ٢/٤٧١ .

(٢) انظر: «إذا نزل البلاء...» .

(٣) أصول الكافي ٢/٤٧١ .

(٤) إكمال الدين ٦٠٤ ، الأمثال النبوية ١/١٤١ ، الرقم ٨٦ .

(٥) إكمال الدين ٢/٤٨٥ .

والصادقي : « من سرّ أن يكون من أصحاب القائم فلينتظر ، وليعمل بالورع ومحاسن الأخلاق وهو منتظر ... »^(١).

والرضوي : « ما أحسن الصبر وانتظار الفرج أما سمعت قول الله عزّ وجلّ : ﴿ وارتقبوا إني معكم قريب ... ﴾^(٢).

والانتظار كما تقدّم بيانه عند « أفضل العبادة بعد المعرفة انتظار الفرج »^(٣).
كيفية نفسانية ينبعث عنها التهيؤ لما ينتظره ، أو قل : طلب إدراك ما يأتي من الأمر كأنه ينظر متى يكون ..^(٤) . وليعتبر الحال بمن يرقب قدوم مسافر عزيز له ينزل عليه دفعة واحدة ، بدون إخبار مسبق ، وهل ينام من يأمل قدومه في كلّ وقت مفاجأة ؟

وقد عرفت أنّ الدعاء والانتظار يقربان خروج الإمام المهدي (عجل الله فرجه) ولا يقتنع بذلك من دون أعمال الخير والتقوى فإنّه كجسد لا روح فيه ، ولا بدّ من صالح الأعمال ، وما يضمن لك رضاه ؛ فإنّ رضاه رضى الله تعالى .

(١) إكمال الدين ٢٨٧/١ ، الباب ٢٥ .

(٢) هود : ٩٣ .

(٣) انظر حرف الهمزة مع الفاء .

(٤) المصدر .

١٤٥

أنت لعمرى مؤنسة

كلمة قد قالها الإمام موسى (عليه السلام) لأم إبراهيم المجاب إحدى زوجاته ، وصورتها التي رواها قطب الدين الراوندي كما يلي قال :
ومنها - أي من معجزات الإمام موسى (عليه السلام) - : ما روى واضح عن الرضا (عليه السلام) قال : قال أبي موسى (عليه السلام) للحسين بن أبي العلاء : اشتر لي جارية نوبية^(١) ، فقال الحسين : اعرف والله جارية نوبية نفيسة أحسن ما رأيت من التوبة ، فلولا خصلة لكانت من شانك ، قال : وما تلك الخصلة ؟

قال : لاتعرف كلامك ، وأنت لاتعرف كلامها ، فتبسّم ، ثم قال : اذهب حتى تشتريها ، فلما دخلت [بها] إليه قال لها بلغتها : ما اسمك ؟ قالت: مؤنسة، قال : أنت لعمرى مؤنسة ، قد كان لك اسم غير هذا ، [وقد] كان اسمك قبل هذا حبيبة ، قالت : صدقت.

ثم قال : يابن أبي العلاء إنها ستلد لي غلاماً لا يكون في ولدي^(٢) أسخى ولا أشجع ، ولا أعبد منه . قلت وما تسميه حتى أعرفه ؟ قال : اسمه إبراهيم ...^(٣).

(١) النوب والتوبة جيل من السودان ومنه ... «بأبي ابن التوبية الطنبية» مجمع البحرين - نوب - .
(٢) غير الإمام الرضا (عليه السلام) من باقي أولاده .
(٣) الخزانج والجرائح ١/ ٣١٠ - ٣١٢ ، البحار ٤٨/ ٦٩ - ٧٠ ، أباة الهداة ٣/ ١٩٦ - ١٩٧ ، الحديث ٨٠ ، ٢١٠ ، الحديث ١٣٠ .

أقول :

من الحديث يعلم أنّ أبا العلام لم تكن له معرفة كافية بالإمام المعصوم حيث قال : « وأنت لاتعرف كلامها » ، ومن خصائص الإمام (عليه السلام) معرفة جميع اللغات منها اللغة النبوية فكيف ينسب إليه عدم معرفتها .
وأما راوي الحديث المسمى بواضح فغير واضح لنا ، ولم أجده في كتب التراجم الموجودة عندي احتتمل بعض أنه جدّ اليعقوبي المؤرخ لانه معروف بابن الواضح . والحديث مطوّل لم نكمله وأنّ الغلام ولد كما وصفه الإمام (عليه السلام) ، وأنه المسمى بإبراهيم قد ولد في الثعلبية^(١) حيث جاء بالجارية هناك عندما أخذها الطلق.

١٤٦

أنتم تدرسون الحكمة ولكن لا يهتدي بها منكم إلا من عمل بها

حكمة من حكم الإمام الكاظم (عليه السلام) قالها لهشام بن الحكم في تمثيل رائع رواها ابن شعبة كما يلي :

« يا هشام إنّ كلّ الناس يُبصر النجوم ، ولكن لا يهتدي بها إلا من يعرف مجازها ومنازلها ، وكذلك أنتم تدرسون الحكمة ولكن لا يهتدي بها منكم إلا من عمل بها»^(٢).

لعلّ وجه المثل للحكمة بالنجوم لإضائتها ، ورفعتها ، وزينتها ، وهدايتها ،

(١) منزل في طريق مكة.

(٢) التحف ٣٩٢.

وعامة نفعها ، وما إلى غيرها من أثر ، والحكمة مثل النجوم في ذلك كله في عالمها الكبير والصغير.

والمراد بالحكمة كل ما يحكم به الإنسان من أمور دينه ودنياه ، وقد قدمنا الكلام حولها بما لا يفتقر إلى الذكر ثانياً^(١) ، نعم نشير إلى بعض ما جاء فيها :

النبوي : « كلمة الحكمة يسمعها المؤمن خير من عبادة سنة »^(٢).

العلوي : « لو ألقيت الحكمة على الجبال لقلقلتها »^(٣).

الآخر : « من عرف بالحكمة لحظته العيون بالوقار ، والهيبة »^(٤).

النبوي : « كاد الحكيم أن يكون نبياً »^(٥).

قيل للقمان : ما الذي أجمعت عليه من حكمتك ؟ قال : لا أتكلّف ما قد كُفيتُه ، ولا أضيع ما وُلّيتُه^(٦).

العلوي : « أيّ كلمة حكم جامعة : أن تحبّ للناس ما تحبّ لنفسك ، وتكره لهم ما تكره لها »^(٧).

الصادقي : « من زهد في الدنيا أثبت الله الحكمة في قلبه ، وأنطق بهالسانه »^(٨).

(١) في تقديم الكتاب.

(٢) البحار ٧٧/١٧٤.

(٣) البحار ٧٨/١٢.

(٤) البحار ٧٧/٢٨٨.

(٥) كنز العمال ١٦/١١٧ ، الرقم ٤٤١٢٣.

(٦) البحار ١٣/٤١٥.

(٧) البحار ٧٧/٢١٠.

(٨) البحار ٧٣/٤٨ ، ٧٧/٨٢ ، « ما زهد عبد... » نبوي.

١٤٧

أنتم تلعبون بالدين

كلمة ترفعُ الكعابَ ، وتضعُ ذوي الألعابِ ، ولاسيما بالدين أصوله وفروعه . قالها الإمام الكاظم (عليه السلام) ردّاً لأبي يوسف القاضي ، رواها الشيخ الكليني (طاب ثراه) قال :

عدّة من أصحابنا عن أحمد بن محمد بن جعفر بن المثني الخطيب عن محمد بن الفضيل وبشر بن إسماعيل قال : قال لي محمد [بن إسماعيل]^(١) :

ألا أسرك يا ابن مثنى ؟ قال : قلت : بلى ، وقمت إليه ، قال : دخل هذا الفاسق آنفاً^(٢) ، فجلس قبالة أبي الحسن (عليه السلام) ، ثم أقبل عليه ، فقال له : يا أبا الحسن ما تقول في المحرم أيستظلّ على المحمل ؟ فقال له : لا ، قال : فيستظلّ في الحبا ؟ فقال له نعم ، فأعاد عليه القول شبه المستهزئ يضحك فقال : يا أبا الحسن فما الفرق بين هذا وهذا ؟ فقال : يا أبا يوسف إن الدين ليس بقياس كقياسكم أنتم تلعبون بالدين : إنا صنعنا كما صنع رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وقلنا : كما قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يركب راحلته فلا يستظلّ عليها وتؤذيه الشمس ، فيستر

(١) كذا في أكثر النسخ ، وفي التهذيب «قال محمد : ألا أسرك الخ» كما في بعض نسخ الكتاب

وهو الصواب مرآة العقول ٣٠١/١٧ .

(٢) إن المراد بالفاسق أبو يوسف القاضي المصدر نفسه .

أبو... وحكم الإمام الكاظم عليه السلام / ج ١ ٤٢٩

جسده بعضه ببعض ، ورباً ستر وجهه بيده ، وإذا نزل استظلّ بالحبأ ، وفي البيت ، وفي الجدار^(١) .

أقول :

يأتي التكلّم على قوله (عليه السلام) : «إنّ الدين ليس بقياس كقياسكم»^(٢) .

(ثم أبو يوسف القاضي له ترجمة سوداء وكفاه خزيماً أنّ عند موته على نقل ابن خلّكان قال : قال محمد بن سماعة : سمعت أبا يوسف في اليوم الذي مات فيه يقول :

اللهم إنك تعلم إنّي لم أجر في حكم حكمتُ فيه بين اثنين من عبادك تعمّداً ، ولقد اجتهدت في الحكم بما وافق كتابك ، وسنة نبيك ، وكل ما أشكل عليّ جعلت أبا حنيفة بيني وبينك ، وكان عندي والله ممّن يعرف أمرك ، ولا يخرج عن الحق وهو يعلمه^(٣) .

(١) الكافي ٤/٣٥٠ . البحار ٤٨/١٧١ .

(٢) حرف «إن» .

(٣) الكنى والألقاب للمحدث القمي ١/١٨٩ . توفي القاضي سنة ١٨٢ .

١٤٨

أنت وأشباهك أشباه الحمير

قد يكون التمثيل بالحمار في البلادة ، ومرة في عدم العلم بما حمل من كتب العلم كما جاء في اليهود : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حَمَلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾^(١) . فإنه ينظر إلى ثاني الاحتمالين المستتبع لترك العمل أيضاً ، بل وإليهما معاً ، مع احتمال ثالث وهو : فقد الأهلية ، والمجدارة للعلوم بالصميم .

ثم الكلمة التمثيلية قالها الإمام الكاظم لعلي بن أبي حمزة البطائني ، وإليك ما رواه السيد الأستاذ قال :

قال محمد بن مسعود : قال : حدّثني حمدان بن أحمد القلانسي ، قال : حدّثني معاوية بن حكيم ، قال : حدّثني أبو داود المسترق عن عيينة بيّاع القصب ، عن علي بن أبي حمزة البطائني عن أبي الحسن الأوّل (عليه السلام) قال : قال يا علي أنت وأشباهك أشباه الحمير^(٢) .
أقول :

قد سوّد البطائني صحيفته بعد ما كانت بيضاء طمعاً في حطام الدنيا وكان من خواصّ الإمام الكاظم فوقف على الرضا (عليها السلام) وهو أحد عمّد الوقف ، وأشباهه على قول الشيخ الطوسي بعد ذكر البطائني :

وزياد بن مروان القندي ، وعثمان بن عيسى الرواسي كلّهم كانوا وكلاء لأبي الحسن موسى (عليه السلام) ، وكان عندهم أموال جزيلة ، فلما مضى أبو

(١) الجمعة : ٥ .

(٢) معجم رجال الحديث ٢١٨/١١ .

أمثال الحكم الإمام الكاظم عليه السلام / ج ١ ٤٣١

الحسن موسى (عليه السلام) وقفوا طمعاً في الأموال ، ودفعوا إمامة الرضا (عليه السلام) وجحوده...^(١).

وهو المضروب في أم رأسه بعد ما أقعد في قبره فقال الملكان له بعد موسى ابن جعفر (عليهما السلام) :

« ثم من ؟ فلجلج فزجراه وقالوا : ثم من ؟ فسكت ؛ فقالا له : أفموسى ابن جعفر أمرك بهذا ؟ ثم ضرباه بمقمة من نار فألبها عليه قبره إلى يوم القيامة ... »^(٢).

ثم التمثيل له وأصحابه بالحمير قد جاء في نصوص أخرى : « أنت يا علي وأصحابك أشباه الحمير »^(٣).

١٤٩

إن خاف على بيضة الإسلام والمسلمين قاتل

في حديث مطول من كتاب الجهاد روي عن أبي الحسن (عليه السلام) قال : « وإن خاف على بيضة الإسلام والمسلمين قاتل فيكون قتاله لنفسه ليس للسلطان ؛ لأن في دروس الإسلام دروس ذكر محمد (صلى الله عليه وآله) »^(٤). أقول :

وهو مروى عن الإمام الرضا وإنما أوردناه لأجل انصراف كنية « أبي الحسن » إلى الإمام الكاظم (عليهما السلام).

قوله (عليه السلام) : « وإن خاف على بيضة الإسلام ... ».

(١) الغيبة ٢١٣ في الوكلاء المذمومين.

(٢) مناقب ابن شهر آشوب ٤/٣٣٧.

(٣) اختيار معرفة الرجال ٤٠٣ ، الرقم ٧٥٤ ، معجم رجال الحديث ١١/٢١٧.

(٤) الوسائل ١١/٢٠.

قال ابن فارس : « بيض » الباء والياء والضاد أصل ، ومشتق منه ، ومشبّه بالمشقق فالاصل البياض من الألوان يقال ابيض الشيء . وأما المشتق منه فالبيضة للدجاجة وغيرها . والجمع البيض . والمشبّه بذلك بيضة الحديد . ومن الاستعارة قولهم : للعزير في مكانه : هو بيضة البلد : أي يحفظ ويحصن كما تحفظ البيضة . يقال : حمى بيضة الإسلام والدين . فاذا عبروا عن الذليل المستضعف بأنه بيضة البلد يريدون أنه متروك مفرد كالبيضة المتروكة بالعراء^(١) فالكلمة أي بيضة البلد تأتي للمدح ، والقدر معاً ويضرب بها المثل لها :

قال الميداني : (بيضة البلد) البلد أدحي النعام ، والنعام تترك بيضها . يضرب لمن لا يعبأ به . ويجوز أن يراد به المدح : أي هو واحد البلد الذي يجتمع إليه ، ويقبل قوله ، وأنشد ثعلب لأمرأة ترثي^(٢) عمرو بن عبد ودّ حين قتله عليّ رضي الله عنه :

لو كان قاتل عمرو غير قاتله بكّيته ما أقام الروح في جسدي
لكن قاتله من لا يعاب به وكان يُدعى قديماً بيضة البلد^(٣)

والبيضة في الحديث الجاري للمدح أي لا بدّ من حفظ الإسلام ...
وتحصينه كما تحفظ البيضة.

(١) معجم مقاييس اللغة ١/٣٢٦.

(٢) المعروف الرائية أخت عمرو.

(٣) مجمع الأمثال ١/٩٧ . الرقم ٤٧٣ ، حرف الباء ، حيوان الجاحظ ٤/٣٣٦ ، وفيه : ومنه بيضة الإسلام.

١٥٠

انزعوا هذه ، واجعلوا مكانها حديداً

كلمة حكمة ، من خواصّ الأشياء ما رواه الشيخ الحرّ عن الصدوق ، قال : محمد بن علي بن الحسين بإسناده عن نصير [نصر] الخادم قال : نظر العبد الصالح موسى به جعفر (عليه السلام) إلى سفرة عليها حلّق صُفر، فقال : انزعوا هذا ، واجعلوا مكانها حديداً ؛ فإنه لا يقرب شيئاً ممّا فيها شيء من الهوامّ^(١).

أقول :

في الروضة : والحلق محرّكة [أو] كعنب جمع حلقة ، والحديد يدفع الهرام^(٢) . والصُفر بالضمّ وكسر الصاد لفة : النحاس ومنه الحديث : « لا يسجد على صفر ، ولا شبه »^(٣) والسفرة : الخوان . والظاهر أنّ الحلق النحاسية كانت في أطرافها إمّا للزينة ، أو جري العادة ، فقال (عليه السلام) للحفاظ والابتعاد عمّا فيها من الطعام عن الهوامّ : « انزعوا هذه » يعني حلق النحاس « واجعلوا مكانها حديداً » في الحديد بأس شديد ومنافع أشار إليها تعالى في سورة الحديد : ﴿ وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس ﴾^(٤) في نبوي : « إنّ الله تعالى أنزل أربع بركات من السماء الى الأرض : أنزل الحديد ، والنار ، والماء ، والملح » . قيل : نزل آدم من الجنة ومعَه خمسة أشياء من حديد : السندان ، والكلبتان ، والميقعة

(١) الوسائل ٣٨/٨ - ٣٩ ، الباب ٤٠ من أبواب آداب السفر الى الحج ، الحديث ١ .

(٢) روضة المتقين ٤/٢٣٠ .

(٣) مجمع البحرين - صفر -

(٤) الحديد : ٢٥ .

والمطرقة ، والإبرة^(١) .

ويقال : إن خبث الحديد يستعمل في أدوية قتالة ، وفيه من السّم القتال للهوام والحشرات^(٢) .

وإنّ في الحديد منافع كما في الآية فسّرت بصنع الآلات والسيوف المعبر عنها بالباس الشديد ، فما من صناعة إلاّ والحديد آلة فيها ، أو ما يعمل بالحديد^(٣) فالحديد من نعم الله العظام التي لا تخفى على أحد فوائد ، وعوائدها المعاشية بل والمعادية من آلات الحرب المستعملة في ساحة الجهاد في سبيل الله ، ومعدن الحديد من المعادن التي أودعها الله في الجبال وبعض أماكن الأرض كجبال موصل والحجاز وبعض جبال إيران وغيرها والله العالم .

١٥١

إن شاء فعل ، وإن شاء ترك

كلمة تقال للتخيير بين الفعل والترك في جميع المباحات ، وغير الواجب و الحرام ، وكثيراً ما تجري على اللسان لهذا الغرض ، ومن ثم جاءت في جواب الإمام الكاظم (عليه السلام) عن سؤال علي بن جعفر أخيه وقد أنهيت أسئلته إلى ٨٦٤ ، وجواباتها^(٤) .

(١) تفسير الكشّاف ٤/٤٨٠ . تفسير الصافي ٢/٦٦٦ .

(٢) تحفة الحكيم مؤمن ٩٩ بعد التعريب .

(٣) تفسير الكشّاف ٤/٤٨٠ - ٤٨١ . والفولاذ فعل الحديد .

(٤) مسائل علي بن جعفر ١٠٣ - ٣٤٩ .

قال علي بن جعفر :

« وسألته عن تفريج الأصابع في الركوع أسنّة هو ؟ قال : إن شاء ففعل ، وإن شاء ترك »^(١).

أقول : طبقت الكلمة المثليّة على بعض مظاهرها وهو تفريج الأصابع في الركوع ، وليس معناه القصر عليه بعد صدق الشمول لغيره أيضاً شأن المثل أين ما حلّ ونزل.

ولا بأس بالإشارة إلى بعض مسنونات الركوع وإن كان موضعها الفقه الإسلامي.

في الباقرى : « إذا أردت أن ترقع وتسجد فارفع يديك ، وكبر ، ثم اركع واسجد »^(٢).

والنبوي : « إذا ركع لو صبّ على ظهره ماءً لاستقرّ »^(٣).
والعلوي : « ما معنى مدّ عنقك في الركوع ؟ فقال : تأويله أمنت بالله ولو ضربت عنقي »^(٤).

والرضوي : « فإذا ركعت فمدّ ظهرك ، ولا تنكس ... ويكون نظرك في وقت القراءة إلى موضع سجودك ، وفي وقت الركوع بين رجلين »^(٥).
عن أبي حميد الساعدي قال : رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذا قام إلى الصلاة كبر ، ثم قرأ ، فإذا ركع مكّن كفيه من ركبتيه ، وفرّج بين

(١) الوسائل ٩٤٥/٤ ، البحار ٢٦٠/١٠ .

(٢) الوسائل ٩٢١/٤ .

(٣) الوسائل ٩٤٣/٤ ، مستدرک الوسائل ٤٣٥/٤ .

(٤) الوسائل ٩٤٢/٤ ، المستدرک ٤٣٦/٤ .

(٥) المستدرک ٤٣٥/٤ .

٤٣٦ المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام

أصابه ثم صَهَرَ ظهره غير مُتْبِع ولا قَابِع»^(١).

صهر ظهره : تناه إلى الأرض^(٢) القبع والإقباع المنهبي : إدخال الرقبة في الكتفين^(٣).

١٥٢

إن شاء الله أن يهديك هُداك

كلمة دعاء الإمام الكاظم (عليه السلام) في محاورة له لهشام بن سالم وصورتها مذكورة عند «إلىّ إلىّ» ، لا إلى المرجئة ، ولا إلى القدرة، ولا إلى»^(٤).

ومن ثم لانعيدها إلا على قدر الحاجة ، وقد جاءت الكلمة مكرّرة فيها جواباً عن سؤاله المكرّر حيث قال :

« فقال هشام : مضى أبوك موتاً ؟ قال : نعم ، قال : فمن لنا بعده ؟ قال : إن شاء الله أن يهديك هُداك ، قال : إنَّ عبد الله^(٥) يزعم أنه إمام ، قال : عبد الله يريد أن لا يعبد الله ، قال : فمن لنا بعده ؟ قال : إن شاء الله أن يهديك هُداك » .

(١) المستدرک ٤/٤٣٦ .

(٢) لسان العرب ٥/٢٦٤ .

(٣) هامس المستدرک ٤/٤٣٦ .

(٤) حرف (إلىّ).

(٥) أصول الكافي ١/٣٥٢ ، إرشاد المفيد ٢٩٢ ، المناقب لابن شهر اسوب ٤/٢٩٠ .

أقول :

والكلمة غير مقصورة على هشام بن سالم ، وهي صالحة لأن يقال لمن يطلب الهدى ، شأن المثل أينما حلّ ونزل . والهدى هنا هي معرفة الإمام المفترض الطاعة التي تجب على كلّ من وضع عليه قلم التكليف ، وقد تواترت الروايات بأنّ من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهليّة ، أو ميتة كفر ، أو نفاق ، أو ضلال ، على اختلاف ألفاظها ، وإليك اللفظ الأوّل :

روى الشيخ الحرّ عن الطبرسي في إعلام الوري بإسناده إلى أبي محمد الحسن بن علي (عليه السلام) في الخبر الذي روى عن آبائه (عليهم السلام) :
 « أنّ الأرض لا تخلو من حجّه الله على خلقه ، وأنّ من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهليّة ، فقال : إنّ هذا حق كما أنّ النهار حق ، فقيل : يا ابن رسول الله فمن الحجّة والإمام بعدك ؟ فقال : ابني محمد هو الإمام والحجّة بعدي ، فمن مات ، ولم يعرفه مات ميتة جاهلية...»^(١).

بيان : هذا الحديث يعتبر في المقام حديثين : روايته عن آبائه ، وتطبيقها بلفظه على الإمام المهدي عجل الله فرجه حيث قال : « فمن مات ولم يعرفه مات ميتة جاهليّة » فتدبر جيّداً.

(١) الوسائل ١١/٤٩١ - ٤٩٢.

١٥٣

انصرف راشداً

كلمة سائرة على اللسان ، تقال للتفائل والدعاء للذاهب ، قد قالها الإمام الكاظم (عليه السلام) لمخارق المغني في حديث رواه الشيخ الصدوق بإسناد له وفيه بيان تشييع المأمون المأخوذ من أبيه هارون وصلته بمأتي دينار واعتراض الفضل بن الربيع ، واحتيال مخارق المغني في أخذ ثلاثين ألف دينار وأقطاع تغل في كل سنة عشرة آلاف دينار ، وحملها إلى الإمام ، وإليك من حديثه :

فلما نظر إلى ذلك مخارق المغني دخله في ذلك غيظ ، فقام إلى الرشيد فقال : يا أمير المؤمنين قد دخلت المدينة وأكثر أهلها يطلبون مني شيئاً ، وإن خرجت ولم أقسم فيهم شيئاً لم يتبين لهم تفضل أمير المؤمنين عليّ و منزلتي عنده ، فأمر له بعشرة آلاف دينار ، فقال : يا أمير المؤمنين هذا لأهل المدينة ، وعليّ دين احتاج أن أقضيه ، فأمر له بعشرة آلاف دينار أخرى ، فقال له : يا أمير المؤمنين بناقي أريد أن أزوجهن وأنا محتاج إلى جهازهن ، فأمر له بعشرة آلاف دينار أخرى .

فقال له : يا أمير المؤمنين لا بدّ من غلّه تعطينها ترد عليّ وعلى عيالي وبناتي ، وأزواجهنّ القوت ، فأمر له بأقطاع ما تبلغ غلّته في السنة عشرة آلاف دينار ، وأمر أن يعجل ذلك له من ساعته .

ثم قام مخارق من فوره وقصد موسى بن جعفر (عليه السلام) وقال له : قد وقفت على ما عاملك به هذا الملعون ، وما أمر لك به ، وقد احتلت^(١) عليه لك ، وأخذت منه صلاتي ثلاثين ألف دينار ، وأقطاعاً يغلّ في السنة عشرة آلاف

(١) من الاحتيال.

دينار ، ولا والله ياسيدي ما أحتاج إلى شيءٍ من ذلك ، ما أخذته إلا لك ، وأنا أشهد لك بهذه الأقطاع وقد حملت المال إليك .

فقال : بارك الله لك فيك وفي مالك^(١) ، وأحسن جزاك ، ما كنت لآخذ منه درهماً واحداً ، ولا من هذه الأقطاع شيئاً ، وقد قبلت صلتك وبرك ، فانصرف راشداً ، ولا تراجعني . فقبل يده ، وانصرف^(٢) .

أقول :

يأتي الحديث عند « بارك الله لك فيك ، وفي مالك »^(٣) وإن لزم التكرار ؛ لنلفت النظر إلى خساسة الملك المسبب لأن يجسر المتسنم له على إمام زمانه ، ومن هوان الدهر أنّ الطاغية هارون ، ومن لفّ لفه أن يهينوا المعصوم حتى أنّ مخارق المغنيّ ، يفتاظ له ، ويحتال في قبض الأموال والأقطاع ، وحملها إليه ، وما درى أن لو شاء لصيرّ الثرى إلى الثرى ذهاباً بإذن الله تعالى ، ﴿ بل عبادةً مكرّمون ﴾ لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ﴿^(٤) .

قوله (عليه السلام) : « فانصرف راشداً » دعاء للذاهب بالخير والرشاد ، ويأثله قول الإمام المهدي عجل الله فرجه لعيسى بن مهدي الجوهري الذي رآه في قصة له قال : « يامولاي ادع لي بالثبات ، فقال : لو لم يثبتك الله ما رأيتني ، وامض ينجحك راشداً »^(٥) . والكلمتان متقاربتان في المعنى .

مخارق المغنيّ .

لم أر من تعرّض له ، والمذكور في التراجم مخارق بن عبدالله الشيباني من

(١) انظر حرف الباء مع الألف ، تجد الحديث مذكوراً فيه .

(٢) عيون أخبار الرضا ١/ ٧٥ ، البحار ٤٨/ ١٣٢ .

(٣) حرف الباء مع الألف .

(٤) الأنبياء : ٢٦ - ٢٧ .

(٥) البحار ٥٢/ ٦٩ - ٧٠ .

الصحابة^(١) فإن صحَّ الحديث فإنَّ مخارق المغني موال للإمام (عليه السلام) ، وعدوِّ لعدوِّه ، وأمَّا عمله التغني ولاسيما الآلات الموسيقية المتداولة فلا ريب في تحريمه وقد حقَّقنا موضوع الغناء ، وحكمه مع الأدلة في رسالة مفردة . وهل هو مع الجارية المغنية التي ثمنها سحت كما في الحديث الكاظمي : « إنَّ ثمن الكلب والمغنية سحت » ، والصادقي : « شراؤهنَّ وبيعهنَّ حرام »^(٢) سواء ، أم بينهما فرق ؟ لانرى فرقا لمكان الحرفة ، وإن كانت هي أشدَّ منه عرفاً وشرعاً .

١٥٤

انظر في تصرف الدهر وأحواله ؛ فإنَّ ما هو آت من الدنيا كما وليَّ منها

ما أكثر العبر ، وأقلَّ الاعتبار ومن أولئك الأقلين الناظر إلى تصرف الدهر نظر من يأخذ بالعبر . قد جاءت الكلمة في غضون كلمات الإمام الكاظم (عليه السلام) لهشام بن الحكم قال :

« وانظر في تصرف الدهر وأحواله ؛ فإنَّ ما هو آت من الدنيا كما وليَّ منها فاعتبر بها »^(٤) .

أقول :

يشهد لما قلناه أمره (عليه السلام) بالاعتبار ، لا مجرد النظر ليعلم تصرفات الدهر خالياً عن الأخذ والعمل به ، وكذا بقية كلماتهم كالكتاب العزيز التي تهدف من ورائها العمل ، والتطبيق ، لا العلم فحسب .

(١) التنقيح ٢٠٣/٣ .

(٢) الوسائل ٨٧/١٢ - ٨٨ .

(٣) النهج ٢٠٣/١٩ ، الحكمة ٣٠٣ .

(٤) التحف ٣٩١ .

في كتابنا أمثال وحكم النهج ما يناسب الكلمة وهي كلمة أمير المؤمنين (عليه السلام) : « وعلى أثر الماضي ما يمضي الباقي »^(١) كالقطار يتبع بعضه بعضاً في السير^(٢).

وقد يستدل على آخر الشيء بأوله وجوداً وعدمأً ويأثله العلو في الآخر : « استدل على ما لم يكن بها كان ؛ فإن الأمور أشباه »^(٣) ، وكذا قولهم : (حكم الأمثال فيما يجوز ، وما لا يجوز سواء)^(٤) .
وقوله (عليه السلام) :

« فإن ما هو آت من الدنيا كما ولّى منها » ؛ لأنه عرضة الزوال فكأنه قد زال وأي فرق بين الباقي من أيام الدهر ، وبين ما مضى منه ، والمادة واحدة ، والسبب واحد ، وإرادة الله في الجميع واحدة وهي سنة القهر له بالفناء ، والموت كما قال تعالى : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾^(٥) .
وسنته فيما بقي من الدهر هي بعينها فيما مضى منه ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ ﴾^(٦) ، ﴿ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾^(٧) ، ﴿ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ ﴾^(٨) ، ﴿ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾^(٩) ، أساس ، ومقياس

(١) النهج ٧/٨١ ، الخطبة ٩٨ .

(٢) الأمثال والحكم المستخرجة من نهج البلاغة ٢٦٣ ، الرقم ٨٥ .

(٣) النهج ١٦/١١٣ ، الوصية ٣١ ، أمثال وحكم الإمام الرضا ٦٢/١ .

(٤) مثل علمي مشهور .

(٥) الرحمن : ٢٦ - ٢٧ .

(٦) غافر : ٨٥ .

(٧) الأحزاب ٦٢ .

(٨) فاطر : ٤٣ .

(٩) فاطر : ٤٣ .

سماوي ليس لغيره فيه صنع .

وقد جاء في الأمثال : (من المحال بقاء الدهر على حال)^(١)

١٥٥

إن فعلت لم أجالسك

من الكلمات المختارة المأثورة التي تصلح مثلاً ، أو هي حكمة على الأقل ومن المستحسن في العقول الهجرة عن القبيح والكف عنه ، وترك المجالسة لفاعله ، ما قاله الإمام الكاظم (عليه السلام) لعبدالله بن مصعب الزبيري عندما أراد الخوض في جوارٍ ، رواه الشيخ الكليني (طاب ثراه) قال :

عدة من أصحابنا عن سهل بن زياد عن علي بن أسباط عن محمد بن الصباح عن عبد الرحمن بن الحجاج عن عبدالله بن مصعب الزبيري قال : سمعت أبا الحسن موسى بن جعفر (عليهما السلام) ، وجلسنا إليه في مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، فتذاكرنا أمر النساء ، فأكثرنا الخوض وهو ساكت لا يدخل في حديثنا بحرف ، فلما سكتنا قال :

أما الحرائر فلا تذكرهنّ ، ولكنّ خير الجواري ما كان لك فيها هوى و كان لها عقل وأدب ، فلست تحتاج إلى أن تأمر ولا تنهى . ودون ذلك ما كان لك فيها هوى وليس لها أدب ، فتصبر عليها ، لمكان هواك فيها . وجارية ليس لك فيها هوى ، وليس لها عقل ولا أدب ، فتجعل فيما بينك وبينها البحر الأخضر . قال : فأخذت بلحيتي أردت أن أضرب فيها لكثرة خوضنا لما لم نقم فيه

(١) أمثال وحكم ٤/ ١٧٣٨ .

على شيءٍ ولجمعه الكلام ، فقال لي : مه إن فعلت لم أجالسك^(١).

الجواري ، وترجمة الزبيري

أما وجه تقسيم الجواري إلى ثلاثة ؛ لأنَّ الجارية إما واجدة للعقل والأدب ، أو فاقدة لها . وصاحبها إما يهوى الواجدة ، أو الفاقدة ، أو لا هوى ولا وجدان ، وهو القسم الثالث المضروب له المثل بالبحر الأخضر ، لبيان الخيلولة ، أو البُعد الشاسع^(٢).

ترجمة الزبيري

عبدالله بن مصعب الزبيري قال الأستاذ الخوثي : والد بكّار بن عبدالله ابن مصعب مرقّ عهد يحيى بن عبدالله بن الحسن ، وأهانته بين يدي الرشيد ، وقال : اقتله يا أمير المؤمنين ، فإنه لا أمان له ! فقال للرشيد : إنه خرج مع أخي بالأمس ، وأنشد أشعاراً له ، فأنكرها فحلّفه يحيى بالبراءة وتعجيل العقوبة ، فحمّ من وقته ، ومات بعد ثلاثة ، فانخسف قبره مرّات كثيرة.

رواه الصدوق في العيون : الجزء ٢ ، الباب ٤٨ ، بإسناده عن علي بن محمد النوفلي ، الحديث ١ ، ولكنّه ضعيف.

وروى محمد بن يعقوب بإسناده عن عبدالله بن مصعب الزبيري رواية تكشف عن وقاحته وسوء أدبه مضافاً إلى ما كان عليه من عدم التزامه بأحكام الدين . الكافي : الجزء ٥ ، باب أصناف النساء من كتاب النكاح ٣ ، الحديث ٢ . قال المحدث المجلسي : في مرآة العقول في تعليقه على هذا الحديث : انظر إلى هذا الرجل ووقاحته ومبلغ أدبه الديني وعدم مراعاته حرمة مسجد النبي (صلى الله عليه وآله) ومهبط أنوار الوحي ، وحرمة رسول الله وحرمة

(١) الكافي ٥/٣٢٢ - ٣٢٣ ، باب أصناف النساء ، الحديث ٢ ، الوسائل ١٤/١٣٠ .

(٢) لا أدري ما المراد بالبحر الأخضر هل هو معرّب الخزر وهو بحر قزوين بحر الخزر؟ أو البحر الأحمر في جدّه أو كان معهوداً لبحرٍ خاصٍ أو النساء؟

ابنه صلوات الله عليهما ، وكيف هم بهذه الشناعة التي تعرب عن خباثته الموروثة ولاغرو منه ومن أمثاله ... (١).

أقول : يريد السيد الأستاذ برواية الكافي مارويناها عنه بأسرها الدالة على تقسيم الجساري ، ووقاحة الزبيري أمام الإمام المفترض الطاعة ، وفي المسجد النبوي.

قوله (عليه السلام): «مه»

قال ابن فارس : «مه» كلمتان تدلّ إحداها على زجر ، والأخرى على منظر ولذّة . فالأولى قولهم : مه ، ومهّمه به : زَجَرَهُ بقوله له ذلك . والمهّمة : الخرق الأملس الواسع.

والأخرى قولهم : ليس له مهّمه : إذا لم يكن جميلاً (٢) ، وآخر : اسم مبنّي على السكون بمعنى اسكت (٣) ، وآخر : مه كلمة بنيت على السكون كصه ، ومعناه اكفف ، لأنّه زجر ، فإن وصلت ونوّنت قلت : «مه مه» . وقيل هي ما الاستفهاميّة ، ووقفت عليها بهاء السكت (٤).

ولاريب أن «مه» لا تقال إلا لردع القائل عمّا قال كالزبيري الفاقد الأدب فردعه (عليه السلام).

(١) معجم رجال الحديث ١٠/٣٣٥ - ٣٣٦ ، وقد علق على حديث الكافي المعلق بها ذكره في معجم

الرجال هامش الكافي ٥/٣٢٣.

(٢) معجم مقاييس اللغة ٥/٢٦٧ - ٢٦٨ - مهمة - .

(٣) النهاية ٤/٣٧٧ - مهمة - .

(٤) مجمع البحرين - مهمة - .

١٥٦

إن كان أبوك أحق ينبغي أن تكون مثله

يضرب به المثل للمماثلة في المشتركات يقال إماماً للمطايبة ، أو للتأديب جاء جواباً من الإمام الكاظم (عليه السلام) لمولى له ، وصورته قد رواها الشيخ الكليني قال :

محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن عيسى عن معمر بن خلاد قال :
 إن أبا الحسن (عليه السلام) اشترى داراً ، وأمر مولى له أن يتحوّل إليها ، وقال :
 إن منزلك ضيق ، فقال : قد أحدث هذه الدار أبي ، فقال أبو الحسن (عليه
 السلام) : إن كان أبوك أحق ينبغي أن تكون مثله^(١) .
 أقول :

هنا أمران : المماثلة في مشتركات شخصين الولد ، والوالد مثلاً ، وسعة
 الدار وضيقها .

الأول : إن كان الأب كَيْساً فطناً ينبغي أن يكون الولد مثله ، لأنّ قانون
 الوراثة أحد القوانين الثلاثة قاضٍ بذلك^(٢) وموثر بالصميم فالولد مختص
 بخصال الوالد إن خيراً فخييراً ، وإن شراً فشرّاً ، وإنّ الولد التمر ، والوالد الشجر ،
 فإن طاب طاب ، وإن خبث خبث ، وأنّه جاء في الدعاء : « أعوذ بك من شرِّ
 والد وما ولد » قال الشيخ الطريحي : يعني من شرِّ إبليس وشياطينه^(٣) . وهو كما
 ترى لادلالة على ما قال إلّا لدليل معلوم .

(١) الكافي ٥٢٥/٦ ، باب سعة المنزل ، الحديث ٢ .

(٢) والتربية ، والمحيط .

(٣) مجمع البحرين - ولد - .

والنبوي: «الولد سرّ أبيه» إن ثبت^(١) دليل على أن الولد ليس إلا الوالد المتصور به؛ ومن ثم قيل: إنه الوالد الثاني، وحياته الثانية، وأنه كلّه كما قال أمير المؤمنين لولده الحسن (عليهما السلام): «وجدتك بعضي بل وجدتك كلي»^(٢)، نعم قد يشاء الله تعالى المضادة فـ ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾^(٣): الموت والحياة المعنوية والظاهرية فيلذ الصالح من الطالح، والطالح من الصالح، والمثال غير عزيز كابن نوح، وقابيل بن آدم (عليهما السلام).

والثاني:

في الحديث النبوي: «من سعادة المرء المسلم المسكن الواسع»، والباقرى: «من شقاء العيش ضيق المنزل»^(٤) فلا يرغب ضيق الدار إلا من ضاق فكره.

(١) أمثال وحكم ٢٨١/١، وردّ السخاوندى كما في اللؤلؤ المرصوع ٩٩.

(٢) النهج ٥٧/١٦، الوصية ٣١.

(٣) الرود: ١٩.

(٤) الكافي ٥٢٦/٦، وفي ٥٢٥ الصادقي: «من السعادة سعة المنزل».

ثم إن الحديث يحتل أنه تاظمي ولأجله أوردناه؛ لأن راويه وهو معمر بن خلاد بن أبي خلاد البغدادي من أصحاب الرضا، والكاظم عليها السلام على قول البرقي راجع معجم رجال الحديث ٢٦٣/١٨.

إن كانت أفاعيل العباد من الله دون خلقه فالله أعلى وأعزّ

روى الشيخ المجلسي نقلاً من كنز الكراجكي عن محمد بن سنان عن داود الرقي أن أبا حنيفة قال لابن أبي ليلى : مر بنا إلى موسى بن جعفر (عليه السلام) لنسأله عن أفاعيل العباد ، وذلك في حياة الصادق (عليه السلام) وموسى (عليه السلام) يومئذٍ غلام ، فلما صاروا إليه سلّموا عليه ، ثم قال له : أخبرنا عن أفاعيل العباد : ممن هي ؟

فقال لهما : إن كانت أفاعيل العباد من الله دون خلقه فالله أعلى وأعزّ من أن يعذب عبده على فعل نفسه ، وإن كانت من الله ومن خلقه فإنه أعلى وأعزّ من أن يعذب عبده على فعل قد شاركهم فيه ، وإن كانت أفاعيل العباد من العباد فإن عذب فبعده ، وإن غفر فهو أهل التقوى وأهل المغفرة . ثم أنشأ يقول :

لم تخل أفعالنا اللّاقى نذمّ بها	إحدى ثلاث معان حين تأتيها
إما تفرّد بارينا بصنعتها	فيسقط الذمّ عنّا حين ننشئها
أو كان يُشركنا فيها فيلحقه	ما سوف يلحقنا من لائم فيها
أو لم يكن لإلهي في جنائتها	ذنبٌ فما الذنب إلا ذنب جانيتها ^(١)

أقول :

يروى الشيخ الطبرسي القصّة مع اختلاف في ألفاظها ، وإسناد الأبيات

إلى غيره (عليه السلام) حيث قال : (وفي ذلك يقول الشاعر :) ثم يروي الأبيات فراجع^(١).

كما ورواها ابن شهر آشوب في كتاب متشابه القرآن بشكل يأتي بيانه عند « إن المعصية لا بد أن تكون من العبد ، أو من ربه ، أو منها جميعاً »^(٢). من عرف ظاهرة الإرادة وما يعقبها ، وما يتقدمها من تصوّر الشيء المراد ، وتصديق فائدته ، والشوق الباعث على الإقدام عليه ، ثم هجمة النفس ، لايتهم الله ، ولايتوهمه ، فالاتهام والتوهم إننا نشأ عن الجهل بمحتوى الإرادة.

١
١٥٨

إن كانت به غرّة سائلة فهو العيش

روى الشيخ الحر عن الكليني بإسناده إلى سليمان الجعفري عن الإمام الكاظم (عليه السلام) قال : سمعته يقول :

« من خرج من منزله ، أو منزل غير منزله في أول الغداة فلقني فرساً أشقر^(٣) به أوضاع بورك له في يومه ، وإن كانت به غرّة سائلة فهو العيش ولم يلق في يومه ذلك إلا سروراً ، وقضى الله حاجته »^(٤).

أقول :

الخيل خير قد جاء في عدّة من أحاديث تصرّح به منها.

(١) الاحتجاج ١٥٨/٢ - ١٥٩.

(٢) متشابه القرآن ومختلفه ١٢٠. وفيه بدل كلمة معان ، خصان ، قال :

لم تخل أفعالنا أَلّاتي نذمّ بها إحدى ثلاث خصال حين نأتيها

(٣) حمرة تعلق بياضاً مجمع البحرين - شقر -

(٤) الوسائل ٣٤٩/٨.

النبويّ: « الخيل معقود في نواصيها الخير »^(١).
 والآخر: « الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة ، والمنفق عليها
 في سبيل الله كالباسط يده بالصدقة لا يقبضها »^(٢).
 والآخر في قول الله عزّ وجلّ: ﴿ الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
 سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾^(٣) قال :
 نزلت في النفقة على الخيل.

قال الصدوق : هذه الآية نزلت في أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وجرت
 في النفقة على الخيل وأشباه ذلك^(٤).

وكفانا تفسيره (طاب ثراه) لها عمّا يرد على عموم ذلك فإنّ القرآن يجري
 مجرى الشمس والقمر ، والمورد لا يختصّ عمومه كما قرّر في موضعه.
 قوله: « به غُرّة سائلة فهو العيش ».

قال ابن الأثير في حديث إسقاط الجنين : أصل الغُرّة : البياض الذي
 يكون في وجه الفرس ، وكان أبو عمرو بن العلاء يقول : الغُرّة عبد أبيض أو
 أمة بيضاء ، وسمّي غُرّة لبياضه ، فلا يقبل في الدية عبد أسود ولا جارية
 سوداء .. وإنما الغُرّة عندهم ما بلغ ثمنه نصف عُشر الدية^(٥).

وعليه معنى الحديث : إذا لقي فرساً أبيض الناصية السائل بياضها في
 أوّل لقائه صباحاً يتفائل به بالخير في صبحه فإنّه يلقي سروراً ، وإسعاف حاجته ؛
 لأنّ الخير معقود في ناصيته.

(١) الوسائل ٨/٣٤٨.

(٢) الوسائل ٨/٣٤٤.

(٣) البقرة : ٢٧٤.

(٤) الوسائل ٨/٣٤٤.

(٥) النهاية ٣/٣٥٣ - غرر -.

١٥٩

إن كانت عصا موسى ردت ما ابتلعته من حبال القوم وعصيهم فإن
هذه الصورة تردّ ما ابتلعته من هذا الرجل

كلمة تحذّر من حجة الله على الخلق الإمام الكاظم (عليه السلام) على طاغية زمانه
هارون ، وإنه ممن قال الله تعالى : ﴿ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ * لَا يُسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ
وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾ ^(١) ، ولا يتحدّى الخصم إلا بأمر منه تعالى .

روى ابن شهر آشوب عن علي بن يقطين قال : استدعى الرشيد رجلاً
يُبطّل به أمر أبي الحسن ، ويُحجّله في المجلس ، فانتدب له رجلٌ مُعزّمٌ ^(٢) . فلما
أحضرت المائدة عمل ناموساً ^(٣) على الخبز ، فكان كلّها رام خادم أبي الحسن
تناول رغيفٍ من الخبز طار من بين يديه ، واستفزّ هارون الفرح والضحك لذلك ،
فلم يلبث أبو الحسن أن رفع رأسه إلى أسدٍ مُصوّر على بعض الستور ، فقال
له : يا أسد الله خذ عدوّ الله ؛ قال : فوثبت تلك الصورة كأعظم ما يكون من
السباع فافترس ذلك المُعزّم ، فخرّ هارون وندماؤه على وجوههم مغشياً عليهم ،
وطارت عقولهم ! خوفاً من هول ما رأوه ، فلما أفاقوا من ذلك بعد حين ، قال
هارون لأبي الحسن (عليه السلام) أسألك بحقّي ^(٤) عليك لما سألت الصورة أن
تردّ الرجل ، فقال : إن كانت عصا موسى ردت ما ابتلعته من حبال القوم

(١) الأنبياء : ٢٦ - ٢٧ .

(٢) الذي يستعمل الرقي والعزائم وهو الساحر .

(٣) ما تنمسّ به من الاحتيال .

(٤) أي حق له عليه يا ترى .

وعصيتهم ، فإن هذه الصورة تردّ ما ابتلعته من هذا الرجل^(١).

أقول :

وحيث لم تردّ ما ابتلعته عصا موسى ، فلم يردّ أسد موسى ما ابتلعه من الرجل المعزم المغرور بعزائمه في قبال حجة الله تعالى . وقد جاء نظير ذلك عن ابنه الرضا (عليهما السلام) في مجلس فرعون عصره المأمون العباسي^(٢) وذلك جزاء المجرمين في الدنيا قبل الآخرة ، ولولا أمر الله بالكفّ ، لا ابتلعت الصورة من في المجلس بأسرهم.

١٦٠

إن كانت الكعبة هي النازلة بالناس فالناس أولى بفنائها

كلمة تحكيم لأولوية السبق وإنها من المقاييس العقلية ، والشرعية من إعطاء الحق للأسبق في كافة الأمور التي طبّقها الإمام الكاظم (عليه السلام) لمشكلة هدم الأفتية والبيوت حول البيت الحرام لغرض توسيعه ، وصورتها مروية رواها العياشي السمرقندي في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة ﴾^(٣).

قال :

عن الحسن بن علي بن النعمان قال : لما بنى المهدي^(٤) في المسجد الحرام بقيت دار في تربيعة المسجد ، فطلبها من أربابها فامتنعوا ، فسأل عن ذلك الفقهاء

(١) المناقب ٤/ ٢٩٩ ، البحار ٤٨/ ٤٢.

(٢) اقتبس أسدان حميد بن مهران عيون أخبار الرضا ٢/ ١٦٩ ، الباب ٤١.

(٣) آل عمران : ٩٦.

(٤) ابن المنصور المتوفى ١٦٩هـ.

؟ فكلُّ قال له : إنّه لا ينبغي أن يدخل شيئاً في المسجد الحرام غضباً ، فقال له علي بن يقطين : يا أمير المؤمنين لو [أتى] كتبت إلى موسى بن جعفر (عليه السلام)، لأخبرك بوجه الأمر في ذلك ، فكتب إلى والي المدينة أن يسأل موسى ابن جعفر عن دار أردنا أن ندخلها في المسجد الحرام فامتنع علينا صاحبها فكيف المخرج من ذلك ؟ فقال : ذلك لأبي الحسن (عليه السلام) ، فقال أبو الحسن (عليه السلام) : ولا بدّ من الجواب في هذا ؟ فقال له : الأمر لا بدّ منه .
فقال له اكتب :

«بسم الله الرحمن الرحيم إن كانت الكعبة هي النازلة بالناس فالناس أولى بفنائها ، وإن كان الناس هم النازلون بفناء الكعبة فالكعبة أولى بفنائها» .
فلما أتى الكتاب إلى المهدي أخذ الكتاب فقبّله ، ثم أمر بهدم الدار ، فأتى أهل الدار أبا الحسن (عليه السلام) فسألوه أن يكتب لهم إلى المهدي كتاباً في ثمن دارهم ، فكتب إليه أن أرضح لهم^(١) شيئاً فأرضاهم^(٢) .
أقول :

سبق السؤال وجوابه سؤال الدوانيقي أبا عبدالله الصادق (عليه السلام) عن ذلك والجواب : « فإن كانوا هم تولّوا قبل البيت فلهم أفنيتهم ، وإن كان البيت قديماً قبلهم فله فئاؤه » فدعاهم أبو جعفر فاحتجّ عليهم بهذا فقالوا له : اصنع ما أحببت^(٣) .

(١) الإرضاح والرضوخ : العطاء السير المجمع - ضخ -

(٢) تفسير العيّاشي ١/١٨٦ . الوسائل ٩/٣٣١ . البحار ١٠/٢٤٥ - ٢٤٦ .

(٣) تفسير العيّاشي ١/١٨٥ . الوسائل ٩/٣٣١ .

١٦١

إن كانت لك حاجة فحرك شفيتك

مثل يضرب للسعي على الحصول للو طر نظير قولهم منك الدعاء ومن الله الإجابة ، ومنك الحركة ومن الله البركة^(١) . وإنه قد قاله الإمام الكاظم (عليه السلام).

قال العلامة المجلسي :

روى السيد ابن طاووس في كشف المحجة من كتاب الرسائل لمحمد بن يعقوب عمّن سمّاه قال : كتبت إلى أبي الحسن (عليه السلام) إن الرجل يحب أن يُفضي إلى إمامه ما يحب أن يُفضي إلى ربّه ، قال : فكتب : إن كانت لك حاجة فحرك شفيتك ، فإنّ الجواب يأتيك^(٢).

وهذا ردّ على من قال إن النية كافية كالمتمصّفة بل كما تقدّم ذكر ما يبائل الكلام من الكاظم (عليه السلام) أيضاً لساعة بن مهران ، وهو :

« إذا كانت لك حاجة إلى الله فقل ... »^(٣) ، فتحريك الشفتين ، وذكر الحاجة بالقول مؤظف ومحبوب ، ولعلّ الحديث ناظر إلى لزوم ذكر الحاجة عندها عند الدعاء والطلب من الله تعالى ولا ينافي ذكرها للإمام المعصوم لأنّه (عليه السلام) الوجيه عند الله فإذا طلبت منه الحاجة تشقّع للطالب عند الله أن يقضيها له كيف لا وهو أعزّ شفيع يشفع عند الله ، وأهل البيت أسماؤه الحسنى التي أمر

(١) الحركة بركة . (أز تو حركت . أز خدا برکت) أمثال وحكم ١/١١٤ .

(٢) البحار ٢٢/٩٤ .

(٣) المصدر نفسه . وانظر حرف (إذا).

العباد في الدعاء بها.

عن الرضا (عليه السلام) : « إذا نزلت بكم شديدة فاستعينوا بنا على الله عزّ وجلّ وهو قوله عزّ وجلّ :

﴿ والله الأسماء الحسنی فادعوه بها ﴾^(١) ، ونصّت نصوص على أنّهم الأسماء الحسنی منها الصحيح الصادقي في تفسير الآية : « نحن الأسماء الحسنی التي لا يقبل الله من العباد عملاً إلاّ بمعرفتنا »^(٢) ، وأنّهم الوسيلة المبتغاة إلى الله في آية ﴿ وابتغوا إليه الوسيلة ﴾^(٣) ؛ ومن ثمّ يندب عند الدعاء ذكر الصلاة على محمد وآله^(٤) ؛ لأنّه دعاء مستجاب وبه تقضى الحاجة ، ولا تردّ ، وليس لنا مجال لإيراد الأدلّة هنا.

١٦٢

إن كان في يدك هذه شيء فإن استطعت أن لاتعلم هذه فافعل

من الأمثال السائرة الروائية يضرب لتشديد الكتّان ، رواه الشيخ الكليني بإسناده إلى عثمان بن عيسى عن أبي الحسن صلوات الله عليه قال : « إن كان في يدك هذه شيء فإن استطعت أن لاتعلم هذه فافعل ، قال : وكان عنده إنسان فتذاكروا الإذاعة ، فقال : احفظ لسانك تُعزّز ، ولا تمكّن الناس من قياد رقبتك فتذلّ »^(٥).

(١) الأعراف : ١٨٠.

(٢) أصول الكافي ١/١٤٣ - ١٤٤.

(٣) المائة : ٣٥ . تفسير نور القديين ١/٥١٩ «... وهم الوسيلة الى الله».

(٤) البحار ٦٥/٩٤ ، العلوي وغيره.

(٥) أصول الكافي ٢/٢٢٥ - ٢٢٦.

أقول :

سبقت إحدى الكلمتين الأخيرتين : « احفظ لسانك تعزَّ »^(١) وتأتي الأخرى في موضعها^(٢) إن شاء الله.

في الكتابان ، والمنع من إذاعة السرِّ أحاديث ، وكلمات غير قليلة ، تقدّم بعضها^(٣) ، وفيما يلي من الآخر :

في صحيح صادقي : « إنَّ أمرنا مستور مقنَّع بالميثاق ، فمن هتك علينا أذله الله ».

وفي آخر : نفس المهموم لنا ، المغتَم لظلمنا تسبيحُ ، وهمَّه لأمرنا عبادةُ ، وكتبانَه لسرِّنا جهادٌ في سبيل الله.

قال لي^(٤) محمد بن سعيد : اكتب هذا بالذهب ، فما كتبت شيئاً أحسن منه^(٥).

قال المأمون للرضا (عليه السلام) : أنشدني أحسن ما رويته في كتابان السرِّ فقال :

وإني لأنسى السرَّ كي لا أذيعه فيامن رأى سرّاً يصابن بأن يُنسى
مخافة أن يجري بيالي ذكره فينبذه قلبي إلى ملتوى الحشا^(٦)

(١) العنوان.

(٢) حرف (لا).

(٣) حرف الهمزة مع الحاء.

(٤) أي لعيسى بن أبي منصور الراوي.

(٥) أصول الكافي ٢/٢٢٦.

(٦) في نسخة « الحسا ».

فيوشك من لم يُفَش سرّاً وجمال في خواطره أن لا يطيق له حبساً^(١)
في علوي منسوب : « سرّك دمك ، فلا تُجربينه إلا في أوداجك »^(٢) ،
والمثل : (سرّك من دمك)^(٣) ، في حديث : « إذا حدّث الرجل ، ثم
التفت ، فهو أمانة ، وإن لم يستكتمه » .

واطعن الطعنة النجلاء عن عرض واكتم السرّ فيه ضربة العنق^(٤)

١٦٣

إن كان لا يُغنيك ما يكفيك فليس شيء من الدنيا يُغنيك

من كلمات الإمام الكاظم (عليه السلام) الحكميّة لهشام بن الحكم رواها
ابن شعبة الحرّاني .

وصورتها :

« يا هشام إن كان يُغنيك ما يكفيك فأدنى ما في الدنيا يكفيك ، وإن كان
لا يُغنيك ما يكفيك فليس شيء من الدنيا يُغنيك »^(٥) .

أقول :

تمنح الكلمتان أهل الدراية حكمة المعاش ، ولسائر الناس نهج القنوع ،

(١) عيون أخبار الرضا ١٧٣/٢ .

(٢) الأمثال العلويّة مخطوط .

(٣) مجمع الأمثال ١/٣٤٣ حرف السين .

(٤) مجمع الأمثال ١/٣٣١ - ٣٣٢ ، حرف السين .

(٥) التحف ٣٨٧ ، البحار ٣٠١/٧٨ .

وترك الحرص ؛ لأن الأولى منها ترغّب القناعة ، والثانية تشوّه وجه الحريص ، وأن الدنيا لا تكفيه ، ولا يذوق حلاوة الكلمتين إلا من عرف حسن القنوع ، وقبح الحرص ، والهلوع والطمع .
وهنا الكلام خاصّ بالكلمة الثانية ، وأمّا الأولى المرغّبة للقناعة فانتظرها^(١) .

الحرص والهلوع والقرآن ، والحديث ، والكلمات :

الحرص والهلوع والقرآن :

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خَلَقَ هَلُوعاً * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً * إِلَّا الْمُسْلِمِينَ ... ﴾^(٢) .

الهلوع : الحرص ، وأشدّ الجزع ، وقول علي (عليه السلام) : « وعلوت إذ هلعوا »^(٣) .

وقال ابن فارس : الهلع في الإنسان شبه الحرص . ويدلّ على سرعة وحدّة . وناقاة هلوع حديدة سريعة . وقال ابن السكيت : رجل هلعة وهلع يجزع سريعاً^(٤) .

ومعنى الآية : في خلقة الإنسان الحرص والجزع السريع ، ولعلّ ما بعدها تفسير للهلوع ، ولا يسلم أحدٌ من هذه الصفة إلاّ المصلي ، فيُعلم أنّ من ثمرات الصلاة الصحيحة السلامة من ذلك .

الحرص والحديث :

في باقري : « مثل الحريص على الدنيا كمثل دود القزّ كلّما ازدادت من

(١) حرف (إن) .

(٢) المعارج : ١٩ - ٢٢ .

(٣) مجمع البحرين - حرص - .

(٤) معجم مقاييس اللغة ٦/٦٢ - حرص - .

القرّ على نفسها لفاً كان أبعد لها من الخروج حتى تموت غمّاً»^(١).

الحرص والكلمات :

الحرص وعاء حشوه الذلّ . الحرص ينقص قدر الإنسان ، ولا يزيد في رزقه.

* أذلّ الحرص أعناق الرجال *^(٢)

١٦٤

إن كان يُغنيك ما يكفيك فأدنى ما في الدنيا يكفيك

هذه أولى الكلمتين اللتين قالهما الإمام الكاظم (عليه السلام) لهشام بن الحكم في كلام معه لا بدّ من ذكره أيضاً لبيان الربط :

« ياهشام إن كان يغنيك ما يكفيك فأدنى ما في الدنيا يكفيك ، وإن كان لا يُغنيك ما يكفيك فليس شيء من الدنيا يغنيك »^(٣).

أقول :

فسرنا الأولى بالقنوع ، والثانية بالحرص ، وقد واعدناك التكلّم على الأولى ، وحن موضع الوفاء به في المقام .
القنعة في القرآن ، والحديث ، والكلمات .

(١) البحار ٢٣/٧٣ .

(٢) التمثيل والمحاضرة ٤٤٥ . وصدر البيت * تعالى الله يا سلم بن عمرو * لأبي العتاهية التمثيل والمحاضرة ٧٦ .

(٣) التحف ٣٨٧ البحار ٣٠١/٧٨ .

القناعة في القرآن :

قال تعالى : ﴿ فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر ﴾^(١).

القانع : الذي يرضى بما أعطيته ولا يسخط ، ولا يكلح ، ولا يلوي شذقه غضباً ، والمعتر : المارّ بك لتطعمه . في صادقي « القانع يقنع بما أرسلت إليه من البضعة فما فوقها ، والمعتر يعتريك لا يسألك »^(٢) وفسّرت آية ﴿ فلنحيينه حياة طيبة ﴾^(٣) كما في نبوي بالقناعة ، والرضا بما قسم الله^(٤) . والظاهر أنّ من ظاهرة الحياة الطيبة القناعة بلا قصر عليها إبقاءً لإطلاق الآية وشمولها لغيرها.

القناعة في الحديث :

في صحيح صادقي : « من قنع بما رزقه الله فهو من أغنى الناس » .
وآخر : « شكا رجل إلى أبي عبدالله (عليه السلام) أنه يطلب ، فيصيب ولا يقنع ، وتنازعه نفسه إلى ما هو أكثر منه وقال : علّمني شيئاً انتفع به ، فقال أبو عبدالله (عليه السلام) : إن كان ما يكفيك يُغنيك فأدنى ما فيها يُغنيك ، وإن كان ما يكفيك لا يُغنيك فكل ما فيها لا يُغنيك »^(٥).

القناعة في كلمات الأدباء :

الحرّ عبد إذا طمع ، والعبد حرّ إذا قنع . أنت العزيز ما التحفت بالقناعة .
من لم يقنع باليسير لم يقنع بالكثير . القانع بما قسم الله له في حدائق النعم .

(١) الحجّ : ٣٦ .

(٢) تفسير الصافي ١٢٤/٢ .

(٣) النحل : ٩٧ .

(٤) تفسير مجمع البيان ٣٨٤/٦ .

(٥) أصول الكافي ١٣٩/٢ .

٤٦٠ المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام

أخفض العيش رضا المرء بحظّه أعرف الناس بالله أرضاهم بما قسم الله له . من تجاوز الكفاف لم يغنه إكثار . من رضي بحاله استراح وأراح^(١) .

١٦٥

إن كنت اعوججت فتب

الاعوجاج الحيد عن الاستقامة فيستتاب من حاد عن الأصحاب . كلمة الإمام الكاظم (عليه السلام) جاءت في كلام له :

« إذا صحبت رجلاً وكان موافقاً لك ، ثم غاب عنك ، فلقيته فاضطرب قلبك عليه فارجع إلى نفسك فانظر ، فإن كنت اعوججت فتب ، وإن كنت مستقيماً فاعلم إنه ترك الطريق ، وقف عند ذلك ، ولا تقطع منه حتى يستبين لك إن شاء الله تعالى »^(٢) .

أقول : الاعوجاج من العوج بفتح العين في الأجسام ، وبالكسر في المعاني انظر نهاية الجزري في - عوج - .

والقلب يحدثك عن الصديق عن قبضه ، وعن بسطه ، وأنه صادق ، أو كاذب ، وعلى اتصال ، أو انفصال ، فإن كان واصلاً وإلا فليعلم أن أحدهما قد أحدث ؛ وتغنيتك شهادته عن إقامة البرهان ، أو الشهود .

ولو أن قلبين توافقا على أمر فيه رضا الله غمرتها الرحمة ، وظاهرة الوفاق تظهر في المعانقة وغيرها .

ففي صحيح صادقي : « إن المؤمنين إذا اعتنقا غمرتها الرحمة ، فإذا التزما

(١) التمثيل والمحاضرة ٤١١ .

(٢) إحقاق ١٢/٣٤١ .

لا يريدان بذلك إلا وجه الله ، ولا يريدان غرضاً من أغراض الدنيا ، قيل لهما : مغفوراً لكما ، فاستأنفا . فإذا أقبلا على المساءلة قالت الملائكة بعضها لبعض : تنحوا عنها ، فإن لهما سرّاً ، وقد ستر الله عليهما .

قال إسحاق : فقلت : جعلت فداك فلا يكتب عليهما لفظها وقد قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾^(١) ، قال : فتنفَّس أبو عبدالله (عليه السلام) الصعداء ، ثم بكى حتى اخضلت دموعه لحيته وقال : يا إسحاق إنَّ الله تبارك وتعالى إنَّما أمر الملائكة أن تعتزل عن المؤمنين ، إذا التقيا ، إجلالاً لهما ، وأنه وإن كانت الملائكة لا تكتب لفظها ، ولا تعرف كلامها ؛ فإنَّه يعرفه ويحفظه عليهما عالم السرِّ وأخفى^(٢) .

وآخر : « شيعتنا الرِّحَاء بينهم الذين إذا خلوا ذكروا الله [إن ذكرنا من ذكر الله] إننا إذا ذكرنا ذكر الله ، وإذا ذكر عدونا ذكر الشيطان »^(٣) .

١٦٦

إن كنت تريد البلد فهو الذي فرض الله على المسلمين وعليك
- إن كنت منهم - الحج إليه

كلمة تفاخر في النسب ، والبلد ، والمفاخرة ، والصيت ، قد قالها الإمام الكاظم (عليه السلام) لدحض عريض^(٤) اسمه نُفيع ، وصورتها على مارواها السيد المرتضى في الغرر كما يلي قال :

(١) ق : ١٨ .

(٢) أصول الكافي ١٧٤/٢ .

(٣) أصول الكافي ١٨٦/٢ .

(٤) الذي يتعرَّض لآخرين كثيراً .

أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال : حدّثني عبد الواحد بن محمد الخصيبي قال : حدّثني أبو علي أحمد بن إسماعيل قال : حدّثني أيوب بن الحسين الهاشمي قال : قدم على الرشيد رجل من الأنصار ، يقال له نُفيع - وكان عَرِيضاً - قال : فحضر باب الرشيد ومعه عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، وحضر موسى بن جعفر (عليهما السلام) على حمار له ، فتلقاه الحاجب بالبر^(١) والإكرام ، وأعظمه مَنْ كان هناك ، وعَجَّل له الإذن ، فقال نُفيع لعبد العزيز : من هذا الشيخ ؟ قال : أو ما تعرفه ؟ قال : لا .

قال : هذا شيخ آل أبي طالب ، هذا موسى بن جعفر ، قال : ما رأيت أعجز من هؤلاء القوم ! يفعلون هذا برجل^(٢) يُقدَّر أن يزيلهم عن السرير ! أما لئن خرج لأسوءته ، فقال له عبد العزيز : لاتفعل ، فإن هؤلاء أهل بيت قلما تعرّض لهم أحد في خطاب إلاّ وسّموه بالجواب^(٣) سمةً يبقى عارها عليه مدى الدهر .

قال : وخرج موسى بن جعفر (عليهما السلام) ، فقام إليه نُفيع الأنصاري ، فأخذ بلجام حماره ثم قال له : من أنت ؟ فقال له : يا هذا إن كنت تريد النسب فأنا ابن محمد حبيب الله بن إسماعيل ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله . وإن كنت تريد البلد فهو الذي فرض الله على المسلمين وعليك - إن كنت منهم - الحجّ إليه . وإن كنت تريد المفاخرة ، فوالله ما رضي مشركو قومي^(٤) مسلمي قومك أكفاءً لهم حتى قالوا : يا محمد ، أخرج إلينا أكفاءنا من قريش .

[وإن كنت تريد الصيت والاسم فنحن الذين أمر الله تعالى بالصلاة علينا في

(١) في نسخة «بالبر» هامش الأمامي ٢٧٥/١ .

(٢) «يقدر» المصدر .

(٣) «وسماً يبقى عارده» المصدر .

(٤) كشيبة وعتبة وعمرو بن عبد ود .

الصلوات المفروضة بقوله : اللهم صل على محمد وآل محمد ، ونحن آل محمد [(١)] .
قال : فخلّي عنه ويده تُرْعَد ، وانصرف بخزي ، فقال له عبد العزيز :
لم أقل لك ! (٢) .
أقول :

أوردنا الحديث كَمَلًا لِيَتَجَلَّى المراد من مفاخرة الإمام (عليه السلام) ،
وسببها ، ولولا تعرّض الرجل العريض نُفَعِج الأنصاري ، وأنّ الحق يقال ،
والكلام يؤتى به على وفق الحال ، لما تفاخر ؛ لأنّه تعريف للنفس وتزكيتها ،
وتزكية المرء نفسه قبيحة ، كما جاء في المنع عن المفاخرة الباطلة المزيفة :
ففي صحيح صادقي : « سألته عن قول الله عزّ وجلّ : ﴿ وَادْكُرُوا اللَّهَ
كَذِكْرِكُمْ ءَابَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾ (٣) ؟ قال : كان المشركون يفتخرون بمنى إذا
كان أيام التشريق ، فيقولون : كان أبونا كذا ، وكان أبونا كذا فيذكرون فضلهم ،
فقال : ﴿ اذكروا الله ... ﴾ (٤) .

وذلك لأنّ تفاخرهم كان كذباً وزوراً ؛ وقد ورد عن أمير المؤمنين (عليه
السلام) في احتجاجه واستحقاقه ذكر شيءٍ من فضائله : لتبيين الحق ورفع
الالتباس الذي جاء من قبل أعدائه في كلام طويل له مشتمل على سبعين
منقبة قال :

« إنَّ أوَّلَ منقبة لي : أنّي لم أشرك بالله طرفة عين ، ولم أعبد اللّات والعزرى

(١) هامش الأمالي ١/٢٧٥ .

(٢) أمالي المرتضى : غرر الفوائد ودرر القلائد ، المتوفى ٤٣٦ هـ ج ١/٢٧٤ - ٢٧٥ . مناقب ابن
شهر آشوب ٤/٣١٦ ، أعلام الدين ٣٠٥ - ٣٠٦ البحار ٣٣٣/٧٨ . مع اختلاف ما في متون
الكتب الثلاثة وبعض الأغلاط المطبعية فراجع .

(٣) البقرة : ٢٠٠ .

(٤) الوسائل ١٠/٢٢٠ .

والثانية إني لم أشرب الخمر قطّ .

والثالثة : أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) استوهبني عن أبي في صباي ، وكنت أكيله وشريبه ومؤنسه ومحدثه .

والرابعة إني أول الناس إيماناً وإسلاماً .

والخامسة إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال لي : « يا علي أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي » . - إلى قوله (عليه السلام) : -

وأما السبعون : فإن رسول الله (صلى الله عليه وآله) نام و نومي ، وزوجتي فاطمة وابني الحسن والحسين ، وألقى علينا عباءة قطوانية ، فانزل الله تبارك وتعالى فينا : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ ^(١) ، وقال جبرئيل (عليه السلام) : أنا منكم يا محمد ، فكان سادسنا جبرئيل (عليه السلام) ^(٢) .

وقول السجّاد (عليه السلام) في مجلس يزيد لعنه الله :

« معاشر الناس من عرفني فقد عرفني ، ومن لم يعرفني فأنا أعرفه نفسي : أنا ابن مكة ومنى ، أنا ابن المروة والصفاء ، أنا ابن محمد المصطفى ، أنا ابن من لا يخفى ، أنا ابن من علا فاستعلا فجاز سدرة المنتهى وكان من ربه قاب قوسين أو أدنى ، أنا ابن من صلى بملائكة السماء مثني مثني ... » ^(٣) .

أقول :

لولا خوف الإطالة لذكرناه عن آخره . ثم آية ﴿ لا أقسم بهذا البلد * وأنت حلّ بهذا البلد ﴾ ^(٤) ! أنها من دلائل القول الكاظمي غير الخفية .

(١) الأحزاب : ٣٣ .

(٢) الحصال ٥٧٢/٢ . ٥٨٠ .

(٣) البحار ١٧٤/٤٥ .

(٤) البلد : ١ - ٢ .

١٦٧

إن كنت تريد الصيت والاسم فنحن الذين أمر الله تعالى بالصلاة
علينا في الصلوات المفروضة بقوله : اللهم صلّ على محمد وآل محمد
ونحن آل محمد

هذه ثانية كلمات الإمام الكاظم (عليه السلام) الأربع المذكورة عند « إن كنت تريد البلد فهو الذي فرض الله على المسلمين وعليك - إن كنت منهم - الحج إليه »^(١) . في كلام له لدحض الرجل العريض : نفع الأنصاري ، ذكرناه عن آخره هناك ، فلا نعيد.

الصيت :

قال ابن منظور :

الصيت : الذكر ، يقال : ذهب صيته في الناس أي ذكره . والصيت ،
والصات : الذكر الحسن . الجوهري : الصيت الذكر الجميل الذي ينتشر في
الناس دون القبيح ؛ يقال : ذهب صيته في الناس ، وأصله من الواو ، وإنما انقلبت
ياءً لانكسار ما قبلها كما قالوا : ربيعٌ من الرُوح ، كأنهم بنوه على فعل بكسر
الفاء للفرق بين الصوت المسموع ، وبين الذكر المعلوم ، وربما قالوا انتشر صوته
في الناس .. قال ابن سيده : والصوت لغة في الصيت ، وفي الحديث : « مامن
عبد إلا له صيت في السماء » أي ذكرٌ وشهرة وعرفان ؛ قال : ويكون في الخير
والشر . والصية بالهاء مثل الصيت .

قال ليبيد:

وكم مشتر من ماله حسن صيته لآبائنه في كل مبدى ومحضر^(١)

الشهرة الجميلة هي المراد بالصيت والاسم في الحديث الجاري ، وأبي اسم أرفع أو شهرة أسنى جملاً من محمد وآل محمد وكفاهم شرفاً وشموخاً أن الصلاة لا تصح ولا تقبل إلا بالصلاة عليهم ، فقد أعطاهم الله من الشرف والرفعة ما لم يعط احداً من العالمين وليس يزيد في شرفهم تشريفهم بالصلاة ؛ وإنما شرفت الصلاة بالصلاة عليهم ؛ كما قال الإمام الرضا (عليه السلام) في دعاء له على عدوه وظالمه : « صلّ على من شرفت الصلاة بالصلاة عليه ، وانتقم لي ممن ظلمني ، واستخفّ بي ، وطرد الشيعة عن بابي ... »^(٢).

وقال الشافعي :

يا أهل بيت رسول الله حبّكم فرض من الله في القرآن أنزلهُ
يكفيكم من عظيم القدر أنكم من لم يصلّ عليكم لا صلاة له^(٣)

(١) اللسان ٥٨/٢ - صوت - .

(٢) عيون أخبار الرضا ١٧٠/٢ - ١٧١ ، البحار ٨٢/٤٩ - ٨٣ .

(٣) إحقاق الحق ٥٣٤/٢ .

١٦٨

إن كنت تريد المفاخرة فوالله ما رضي مشركو قومي مسلمي قومك

هذه رابعة الكلمات الأربع التي ردّ بها الإمام الكاظم (عليه السلام) نفيح الأنصاري العريض الذي اعترضه ، وأخذ بلجام حماره ، قائلاً له من أنت ، فأجابه بما اشتمل على الكلمات الأربع تقدّمت ثلاثة ، وبقيت الرابعة في كلام له مع الرجل العريض وفي آخره قال :

« وإن كنت تريد المفاخرة ، فوالله ما رضي مشركو قومي مسلمي قومك أكفاءً لهم حتى قالوا : يا محمد أخرج إلينا أكفاءنا من قريش »^(١).

وقد ذكرنا القصّة بكاملها عند « إن كنت تريد البلد فهو الذي فرض الله على المسلمين وعليك - إن كنت منهم - الحجّ إليه »^(٢).

ودلالة كلامه (عليه السلام) على كونه أرفع وأعلى فخراً هي أنّ مشركي قريش في وقعة بدر الكبرى كشيبة ، وعُتبة ، وفي غزوة الأحزاب عمرو بن عبد ود ، لم يرضوا عند البراز في ساحة القتال مسلمي قوم نفيح الأنصاري من الأنصار ، والمهاجرين من المسلمين ؛ لأنّ الحروب والغزوات الإسلامية إنّما أخذت تستعر نيرانها بعد هجرة الرسول (صلى الله عليه وآله) من مكة إلى المدينة ، ولم يكن الكفو لمقاابلة هؤلاء المشركين الأبطال إلّا علي بن أبي طالب (عليه السلام) فتكون المفاخرة له ، ولأبنائه المعصومين كلّهم ، بل ولسائر ذراريهم

(١) أمالي المرتضى ١/٢٧٤ - ٢٧٥ ، مناقب ابن شهر آشوب ٤/٣١٦ ، اعلام الدين ٣٠٥ -

٣٠٦ البحار ٣٣٣/٧٨ مع اختلاف ما في الكتب الثلاثة.

(٢) حرف (إن) وفي الكتب الأربعة.

إلى يوم القيامة.

وليعلم أنهم (عليهم السلام) حين يتصدون للمفاخرة لا لذاتها ، بل لدحض خصومهم.

المفاخرة الحسنية

من المناسبة للكلام الكاظمي المفاخرة الحسنية التي ذكرها ابن أبي الحديد المعتزلي نقدها وعنوانها كآلاتي بألفاظها قال :

﴿ مفاخره بين الحسن بن علي ورجال من قريش ﴾

روى الزبير بن بكار في كتاب (المفاخرات) ، قال : اجتمع عند معاوية عمرو بن العاص ، والوليد بن عقبة بن أبي مُعَيْط ، وعتبة بن أبي سفيان بن حرب ، والمغيرة بن شعبة ، وقد كان بلغهم عن الحسن بن علي (عليه السلام) قوارص ، وبلغه عنهم مثل ذلك ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ! إن الحسن قد أحيا أباه و ذكره ، وقال فصديق ، وأمر فأطيع ، وخفقت له النعال ، وإن ذلك لرافعه إلى ما هو أعظم ، ولا يزال يبلغنا عنه ما يسؤنا.

قال معاوية : فما تريدون ؟ قالوا : ابعث عليه فليحضر لنسبه ونسب أباه ونعيه ونوبخه ، ونخبره أن أباه قتل عثمان ونقره بذلك ، ولا يستطيع أن يغير علينا شيئاً من ذلك.

قال معاوية : إني لأرى ذلك ، ولا أفعله ، قالوا : عزمنا عليك يا أمير المؤمنين لتفعلن ؛ فقال : ويحكم لا تفعلوا ! فوالله ما رأيته قط جالساً عندي إلا خفت مقامه وعيبي لي ، قالوا : ابعث إليه على كل حال ؛ قال : إن بعثت إليه لأنصفته منكم.

فقال عمرو بن العاص : أتخشى أن يأتي باطله على حقنا ، أو يربي قوله

على قولنا ؟

قال معاوية : إني إن بعثت إليه لآمرته أن يتكلم بلسانه كله ، قالوا : مره بذلك . قال : أما إذ عصيتموني ، وبعثتم إليه وأبيتم إلا ذلك فلا ترضوا له بالقول ، واعلموا أنهم أهل بيت لا يعيبهم العائب ، ولا يلصق بهم العار ، ولكن اذفوه بحجره تقولون له : إن أباك قتل عثمان ، وكره خلافة الخلفاء من قبله .

فبعث إليه معاوية ، فجاءه رسوله ، فقال : إن أمير المؤمنين يدعوك . قال : من عنده ؟ فسأهم له ، فقال الحسن (عليه السلام) : ما لهم خرّ عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون . ثم قال : يا جارية ابغيني^(١) ثيابي ، اللهم إني أعوذ بك من شرورهم ، وأدرا بك في نحورهم ، وأستعين بك عليهم ، فاكفنيهم كيف شئت وأتني شئت ، بحول منك وقوة يا أرحم الراحمين .

ثم قام ، فلما دخل على معاوية أعظمه وأكرمه ، وأجلسه إلى جانبه ، وقد ارتاد القوم وخطروا خطران الفحول ، بغياً في أنفسهم وعلواً ، ثم قال : يا أبا محمد : إن هؤلاء بعثوا إليك وعصوني .

فقال الحسن (عليه السلام) : سبحان الله ! الدار دارك ، والإذن فيها إليك ، والله إن كنت أحببتهم إلى ما أرادوا وما في أنفسهم إني لأستحي لك من الفحش ، وإن كانوا عابوك على رأيك إني لأستحي لك من الضعف فأبها تقرّر ، وأبها تنكر ؟ ... ومالي^(٢) أن أكون مستوحشاً منك ولا منهم ! إن وليي الله ، وهو يتولّى الصالحين .

فقال معاوية : يا هذا ، إني كرهت أن أدعوك ، ولكن هؤلاء حملوني على ذلك مع كراهتي له ، فإن لك منهم النصف ومني ، وإنما دعوناك لتقرّر أن عثمان

(١) ابغيني ، أي أعينني على إحضارها هامش شرح النهج ٢٨٦/٦ .

(٢) أي ليس لي الاستيحاش منكم جميعاً ، والله وليي في كل حال وولي كل صالح .

قُتِلَ مَظْلُومًا ، وَأَنَّ أَبَاكَ قَتَلَهُ ، فَاسْتَمَعَ مِنْهُمْ ثُمَّ أَجَبَهُمْ ، وَلَا تَمْنَعُكَ وَحَدَّثَكَ
وَاجْتَمَاعَهُمْ أَنْ تَتَكَلَّمَ بِكُلِّ لِسَانِكَ .

فَتَكَلَّمَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ ، فَحَمَدَ اللَّهَ وَصَلَّى عَلَى رَسُولِهِ ، ثُمَّ ذَكَرَ عَلِيًّا
(عَلَيْهِ السَّلَامُ) ، فَلَمْ يَتْرِكْ شَيْئًا يَعْيبُهُ بِهِ إِلَّا قَالَهُ ، وَقَالَ : إِنَّهُ شَتَمَ أَبَا بَكْرٍ وَكَرِهَ
خِلَافَتَهُ ، وَامْتَنَعَ مِنْ بَيْعَتِهِ ، ثُمَّ بَايَعَهُ مُكْرَهًا ، وَشَرِكَ فِي دَمِ عَمْرٍ ، وَقَتَلَ عِثْمَانَ ظَلْمًا ،
وَادَّعَى مِنَ الْخِلَافَةِ مَا لَيْسَ لَهُ .

ثُمَّ ذَكَرَ الْفِتْنَةَ يَعْيِّرُهَا ، وَأَضَافَ إِلَيْهِ مَسَاوِيَّ ، وَقَالَ : إِنَّكُمْ يَا بَنِي عَبْدِ
الْمَطْلَبِ لَمْ يَكُنْ اللَّهُ لِيُعْطِيَكُمْ الْمَلِكَ عَلَى قَتْلِكُمُ الْخُلَفَاءِ ، وَاسْتِحْلَالَكُمْ مَا حَرَّمَ اللَّهُ
مِنَ الدَّمِ ، وَحَرَصَكُمْ عَلَى الْمَلِكِ ، وَإِتْيَانَكُمْ مَا لَا يَحِلُّ . ثُمَّ إِنَّكَ يَا حَسَنَ تَحَدَّثُ
نَفْسَكَ أَنَّ الْخِلَافَةَ صَائِرَةٌ إِلَيْكَ ، وَلَيْسَ عِنْدَكَ عَقْلٌ ذَلِكَ وَلَا لَبٌّ ، كَيْفَ تَرَى اللَّهُ
سَبْحَانَهُ سَلَبَكَ عَقْلَكَ ، وَتَرَكْتَ أَحْمَقَ قَرِيشٍ يُسَخِّرُ مِنْكَ وَهَزَأُ بِكَ ، وَذَلِكَ لِسُوءِ
عَمَلِ أَبِيكَ ! وَإِنَّا دَعَوْنَاكَ لِنَسْبِكَ وَأَبَاكَ ، فَأَمَّا أَبُوكَ فَقَدْ تَفَرَّدَ اللَّهُ بِهِ وَكَفَاهُ أَمْرَهُ ،
وَأَمَّا أَنْتَ فَإِنَّكَ فِي أَيْدِينَا نَخْتَارُ فِيكَ الْخِصَالِ ، وَلَوْ قَتَلْنَاكَ مَا كَانَ عَلَيْنَا مِنَ اللَّهِ
إِثْمٌ ، وَلَا عَيْبٌ مِنَ النَّاسِ ، فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَرُدَّ عَلَيْنَا وَتَكْذِبْنَا ؟ فَإِنْ كُنْتَ تَرَى
أَنَا كَذَبْنَا فِي شَيْءٍ فَارُدَّهُ عَلَيْنَا فِيمَا قُلْنَا ، وَإِلَّا فاعلم أَنَّكَ وَأَبَاكَ ظَالِمَانِ .

ثُمَّ تَكَلَّمَ الْوَلِيدُ بْنُ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ ، فَقَالَ : يَا بَنِي هَاشِمٍ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ
أَخْوَالَ عِثْمَانَ ؛ فَنَعِمَ الْوَلَدُ كَانَ لَكُمْ ؛ فَعَرَفَ حَقَّكُمْ ، وَكُنْتُمْ أَصْهَارَهُ فَنَعِمَ الصَّهْرُ
كَانَ لَكُمْ ، يَكْرِمُكُمْ فَكُنْتُمْ أَوْلَى مِنْ حَسَدِهِ ، فَقَتَلَهُ أَبُوكَ ظَلْمًا ، لَا عِذْرَ لَهُ وَلَا حِجَّةَ ،
فَكَيْفَ تَرَوْنَ اللَّهَ طَلَبَ بَدْمِهِ ، وَأَنْزَلَكُمْ مِنْزِلَتَكُمْ ! وَاللَّهِ إِنَّ بَنِي أُمِّيَّةٍ خَيْرٌ لِبَنِي
هَاشِمٍ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ لِبَنِي أُمِّيَّةٍ ، وَإِنَّ مَعَاوِيَةَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ نَفْسِكَ .

ثُمَّ تَكَلَّمَ عُتْبَةُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ ، فَقَالَ : يَا حَسَنَ ، كَانَ أَبُوكَ شَرَّ قَرِيشٍ
لِقَرِيشٍ ، أَسْفَكَهَا لِدِمَائِهَا ، وَأَقْطَعَهَا لِأَرْحَامِهَا ، طَوِيلَ السِّيفِ وَاللِّسَانِ ، يَقْتُلُ
الْحَيَّ ، وَيَعْيِبُ الْمَيِّتَ ، وَإِنَّكَ تَمَنَّيْتَ قَتْلَ عِثْمَانَ ، وَنَحْنُ قَاتِلُوكَ بِهِ ، وَأَمَّا رَجُلًا

الخلافة فلست في زَنْدِهَا قَادِحاً ، ولا في ميزانها راجحاً ، وإنكم يا بني هاشم قتلتم عثمان ، وإن في الحق أن نقتلك وأخاك به ؛ فأما أبوك فقد كفانا الله أمره وأقاد منه ، وأما أنت فوالله ما علينا لو قتلناك بعثمان إنَّم ولا عدوان .

ثم تكلم المغيرة بن شعبة ، فَشَتَمَ علياً ، وقال : والله ما أعيبه في قضية يخون ، ولا في حكم يميل ، ولكنه قتل عثمان . ثم سكتوا .

فتكلم الحسن بن علي عليه السلام ؛ فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على رسوله صلى الله عليه وآله ، ثم قال :

أما بعد يا معاوية ، فما هؤلاء شتموني ولكنك شتمتني ، فحشاً ألفيته ، وسوء رأي عُرِفَتْ به ، وخُلُقاً سيئاً ثَبَّتَ عليه ، وبغياً علينا ؛ عداوة منك لمحمد وأهله ، ولكن اسمع يا معاوية ، واسمعوا فلاقولن فيك وفيهم ما هو دون ما فيكم .
أنشدكم الله أيها الرهط أتعلمون أن الذي شتمتموه منذ اليوم صلى القبلتين كليهما وأنت يا معاوية بهما كافر ؛ تراها ضلالة ، وتعبد الآلات والعزرى غواية ؟!

وأنشدكم الله هل تعلمون أنه بايع البيعتين : بيعة الفتح وبيعة الرضوان ، وأنت يا معاوية بإحداهما كافر ، وبالأخرى ناكث ؟!

وأنشدكم الله هل تعلمون أنه أول الناس إيماناً ، وأنت يا معاوية وأباك من المؤلفة تُسرّون الكفر وتُظهرون الإسلام ، وتستمالون بالأموال ؟!

وأنشدكم الله أستم تعلمون أنه كان صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر ، وأن راية المشركين كانت مع معاوية ومع أبيه ، ثم لقيكم يوم أحد ويوم الأحزاب ، ومعه راية رسول الله صلى الله عليه وآله ، ومعك ومع أبيك راية الشرك ، وفي كل ذلك يفتح الله له ، ويفلج حجته ، وينصر دعوته ، ويصدق حديثه ، ورسول الله صلى الله عليه وآله في تلك المواطن كلها عنه راضٍ ، وعليك وعلى أبيك ساخط ؟!

وَأُنشِدُكَ اللهُ يَا مَعَاوِيَةَ ، أَتَذَكُرُ يَوْمًا جَاءَ أَبُوكَ عَلَى جَمَلٍ أَحْمَرَ ، وَأَنْتَ تَسْوِقُهُ ، وَأَخُوكَ عَتَبَةَ هَذَا يَقُودُهُ ، فَرَأَى رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَقَالَ : «اللَّهُمَّ الْعَنِ الرَّاكِبَ ، وَالْقَائِدَ وَالسَّائِقَ !؟».

أَتَنْسَى يَا مَعَاوِيَةَ الشَّعْرَ الَّذِي كَتَبْتَهُ إِلَى أَبِيكَ لَمَّا هَمَّ أَنْ يُسَلَّمَ ، تَنْهَاهُ عَنْ ذَلِكَ :

يا صخر لا تُسَلِّمَنَّ يَوْمًا فَتُفَضِّحُنَا	بعد الذين يَبْدِرُ أَصْبَحُوا فَرَقَا
خَالِي وَعَمِّي وَعَمَّ الْأُمَّ ثَالِثَهُمْ	وَحَنَظَلُ الْخَيْرِ قَدْ أَهْدَى لَنَا الْأَرْقَا
لَا تَرَكْنَنِّي إِلَى أَمْرٍ تَكَلَّفْنَا	وَالرَّاقِصَاتِ بِهِ فِي مَكَّةَ الْحُرْقَا
فَالْمَوْتُ أَهْوَنُ مِنْ قَوْلِ الْعِدَاةِ لَقَدْ	حَادَ ابْنُ حَرْبٍ عَنِ الْعُرَى إِذَا فَرِقَا

وَاللهُ لَمَّا أَخْفَيْتُ مِنْ أَمْرِكَ أَكْبَرَ مِمَّا أَبْدَيْتُ .
 وَأُنشِدُكُمْ اللهُ أَيُّهَا الرَّهْطُ ، أَتَعْلَمُونَ أَنَّ عَلِيًّا حَرَّمَ الشَّهَوَاتِ عَلَى نَفْسِهِ
 بَيْنَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَأَنْزَلَ فِيهِ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا
 تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتٍ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ﴾^(١) ، وَأَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بَعَثَ
 أَكْبَرَ أَصْحَابِهِ إِلَى بَنِي قُرَاطِظَةَ فَنَزَلُوا مِنْ حِصْنِهِمْ فَهَزَمُوا ، فَبَعَثَ عَلِيًّا بِالرَّايَةِ ،
 فَاسْتَنْزَلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللهِ وَحُكْمِ رَسُولِهِ ، وَفَعَلَ فِي خَيْرٍ مِثْلِهَا !
 ثُمَّ قَالَ : يَا مَعَاوِيَةَ أَظُنُّكَ لَا تَعْلَمُ أَنِّي أَعْلَمُ مَا دَعَا بِهِ عَلَيْكَ
 رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَكْتُبَ كِتَابًا إِلَى بَنِي خَزِيمَةَ ، فَبَعَثَ
 إِلَيْكَ [ابْنَ عَبَّاسٍ] فَوَجَدَكَ تَأْكُلُ ، ثُمَّ بَعَثَهُ إِلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى فَوَجَدَكَ تَأْكُلُ ،
 فَدَعَا عَلَيْكَ الرَّسُولَ بِجُوعِكَ^(٢) [وَنَهَمَكَ إِلَى أَنْ تَمُوتَ .

(١) المائدة : ٨٧.

(٢) في أسد الغابة ٤/٣٨٦ وفيه فقال : «لا أشبع الله بطنه».

وأنتم أيها الرهط : نشدتم الله ألا تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله لعن أبا سفيان في سبعة مواطن لا تستطيعون ردّها :
 أوها : يوم لقي رسول الله صلى الله عليه وآله خارجاً من مكة إلى الطائف ، يدعو ثقيفاً إلى الدين ، فوقع به وسبّه ، وسفّهه ، وشتمه ، وكذّبه ، وتوعّده ، وهم أن يببطش به ، فلعنه الله ورسوله وصرف عنه .

والثانية : يوم العير : إذ عرض لها رسول الله صلى الله عليه وآله وهي جائية من الشام فطردها أبو سفيان ، وساحل بها ، فلم يظفر المسلمون بها ولعنه رسول الله صلى الله عليه وآله ودعا عليه ، فكانت وقعة بدر لأجلها .
 والثالثة : يوم أحد ، حيث وقف تحت الجبل ، ورسول الله صلى الله عليه وآله في أعلاه ، وهو ينادي : أعلُّ هبل ! مراراً ، فلعنه رسول الله صلى الله عليه وآله عشْر مرّات ، ولعنه المسلمون .

والرابعة : يوم جاء بالأحزاب ، وغطفان واليهود ، فلعنه رسول الله وابتهل .
 والخامسة : يوم جاء أبو سفيان في قريش فصدّوا رسول الله صلى الله عليه وآله عن المسجد الحرام ﴿والهدى معكوفاً أن يبلغ محله﴾^(١) ذلك يوم الحديبية ، فلعن رسول الله صلى الله عليه وآله أبو سفيان ، ولعن القادة ، والأتباع ، وقال : «ملعونون كلهم وليس فيهم من يؤمن» ، فقيل : يا رسول الله ، أفما يرجئ الإسلام لأحد : منهم فكيف باللعنة ؟ فقال : «لا تصيب اللعنة أحداً من الاتباع ، وأمّا القادة فلا يفلح منهم أحد» .

والسادسة : يوم الجمل الأحمر .

والسابعة : يوم وقفوا لرسول الله صلى الله عليه وآله في العقبة ليستنفروا ناقته ، وكانوا اثني عشر رجلاً ، منهم أبو سفيان . فهذا لك يامعاوية ؛

وأما أنت يا ابن العاص ؛ فإن أمرك مشترك ، وضعتك أمك مجهولاً ، من عُهر وسفاح ، فيك أربعة من قريش ، فغلب عليك جزّارها ، الأمها حسباً ، وأخبتهم منصّباً ؛ ثم قام أبوك فقال : أنا شاني محمد الأبر ، فأنزل الله فيه ما أنزل .

وقاتلت رسول الله صلى الله عليه وآله في جميع المشاهد ، وهجوته ، وأذيته بمكّة ، وكِدته كيدك كلّهُ ، وكنتَ من أشدّ الناس له تكذيباً وعداوة .

ثم خرجتَ تريد النجاشي مع أصحاب السفينة لتأتي بجعفر وأصحابه إلى أهل مكة ، فلما أخطأك ما رجوت ورجعك الله خائباً ، وأكذبتك واشياً ، جعلتَ حدّك على صاحبك عمارة بن الوليد ، فوشيتَ به إلى النجاشي ، حسداً لما ارتكب مع حليلتك ، ففضحك الله وفضّح صاحبك .

فانتَ عدوّ بني هاشم في الجاهليّة والإسلام . ثم إنك تعلم وكلّ هؤلاء الرهط يعلمون أنّك هجوتَ رسول الله صلى الله عليه وآله بسبعين بيتاً من الشعر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « اللهم إني لا أقول الشعر ، ولا ينبغي لي ، اللهم العنه بكلّ حرفٍ ألف لعنة » ؛ فعليك إذاً من الله ما لا يحصى من اللعن .

وأما ما ذكرتَ من أمر عثمان ، فأنتَ سعرتَ عليه الدنيا ناراً ثم لحقتَ بفلسطين ، فلما أتاكَ قتله ، قلتَ : أنا أبو عبدالله إذا نكأتُ قرحة أدميتها^(١) . ثم حبستَ نفسك إلى معاوية وبعثتَ دينك بدنياه ، فلسنا نلومك على بغض ، ولا نعاتبك على ودّ ، وبالله ما نصرتَ عثمان حياً ، ولا غضبتَ له مقتولاً ، ويحك يا ابن العاص ! ألسنتُ القائل في بني هاشم لما خرجتَ من مكّة إلى النجاشي .

تقول ابنتي أين هذا الرحيل وما السّير مني بمستنكر
فقلت : ذريني فإنّي امرؤ أريد النجاشي في جعفر

(١) المثل : (إذا حككت قرحة أدميتها) جمع الأمثال ٢٨/١ ، الرقم ١٠١ ، المستقصى ١٢٤/١ .

لَأَكُوْبُهُ عِنْدَهُ كَيْتَةٌ
 وَشَانِي أَحْمَدٌ مِنْ بَيْنِهِمْ
 وَأَجْرِي إِلَى عْتَبَةِ جَاهِدًا
 وَلَا انْثَنِي عَنْ بَنِي هَاشِمٍ
 فَإِنْ قَبِلَ الْعَتَبَ مِنِّي لَهُ
 أَقِيمِ بِهَا نَخْوَةَ الْأَصْعَرِ
 وَأَقُولُهُمْ فِيهِ بِالْمَنْكَرِ
 وَلَوْ كَانَ كَالذَّهَبِ الْأَحْمَرِ
 وَمَا اسْطَعْتُ فِي الْغَيْبِ وَالْمَحْضَرِ
 وَإِلَّا لَوَيْتُ لَهُ مِشْفَرِي

فهذا جوابك هل سمعته؟!

وَأَمَّا أَنْتَ يَا وَلِيدَ؛ فَوَاللَّهِ مَا أَلْوَمَكُ عَلَى بَغْضِ عَلِيٍّ، وَقَدْ جَلَدَكَ ثَمَانِينَ فِي
 الْخَمْرِ، وَقَتَلَ أَبَاكَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ صَبْرًا، وَأَنْتَ الَّذِي سَمَّاهُ اللَّهُ الْفَاسِقَ
 وَسَمَّيْتُ عَلِيًّا الْمُؤْمِنَ، حَيْثُ تَفَاخَرْتُمَا فَقُلْتَ لَهُ: اسْكُتْ يَا عَلِيُّ، فَأَنَا أَشْجَعُ مِنْكَ
 جَنَانًا، وَأَطْوَلُ مِنْكَ لِسَانًا، فَقَالَ لَكَ عَلِيٌّ: اسْكُتْ يَا وَلِيدَ فَأَنَا مُؤْمِنٌ وَأَنْتَ فَاسِقٌ؛
 فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي مُوَافَقَةِ قَوْلِهِ: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَأَيَسْتَوُونَ﴾^(١) ثُمَّ أَنْزَلَ فِيكَ عَلَى مُوَافَقَةِ قَوْلِهِ أَيْضًا: ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ
 فَتَبَيَّنُوهُ﴾^(٢).

ويحك يا وليد! مهما نسيت فلا تنس قول الشاعر فيك وفيه:

أَنْزَلَ اللَّهُ وَالْكِتَابَ عَزِينَ
 فَتَبَيَّنُوا الْوَلِيدَ إِذْ ذَاكَ فَسِقًا
 لَيْسَ مِنْ كَانَ مُؤْمِنًا - عَمَرَ اللَّهُ -
 سَوْفَ يُدْعَى الْوَلِيدَ بَعْدَ قَلِيلٍ
 فَعَلِيٌّ يَجْزِي بِذَاكَ جَنَانًا
 فِي عَلِيٍّ وَفِي الْوَلِيدِ قِرَانًا
 وَعَلِيٌّ مَبُورًا إِيمَانًا
 كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا خَوَانًا
 وَعَلِيٌّ إِلَى الْحِسَابِ عِيَانًا
 وَوَلِيدٌ يَجْزِي بِذَاكَ هَوَانًا

(١) السجدة: ١٨.

(٢) الحجرات: ٦.

رُبَّ جَدِّ لُعُقْبَةَ بْنِ ابَانٍ لَا بَسُّ فِي بِلَادِنَا تَبَانَا^(١)

وما أنت وقريش؟ إنما أنت عُلجٌ من أهل صفورية، وأقسم بالله لأنت أكبر في الميلاد، وأسنَّ ممن تُدعى إليه.

وأما أنت يا عتبة: فوالله ما أنت بحصيفٍ فأجييك، ولا عاقل فأحاورك وأعاتبك، وما عندك خير يرجى، ولا شرٌّ يتقى، وما عقلك وعقل أمتك إلا سواء، وما يضرُّ علياً لو سببته على رؤس الأشهاد!

وأما وعيدك إيتاي بالقتل، فهلاً قتلت اللحياني إذ وجدته على فراشك! أما تستحي من قول نصر بن حجاج فيك:

يَالرَّجَالِ وَحَادِثِ الْأَزْمَانِ وَلسُبَّةِ تَخْزِي أَبَا سَفِيَانِ
نُبِّتَ عْتَبَةَ خَانِهِ فِي عَرْسِهِ جَبَسَ^(٢) لثِيمَ الْأَصْلِ مِنَ لِحْيَانِ

وبعد هذا ما أربأ بنفسي عن ذكره لفحشه، فكيف يخاف أحدٌ سيفك، ولم تقتل فاضحك! وكيف ألومك على بغض علي، وقد قتل خالك الوليد مبارزة يوم بدر وشرك حمزة في قتل جدك عتبة، وأوحذك من أخيك حنظلة في مقام واحد!

وأما أنت يا مغيرة فلم تكن بخليق أن تقع في هذا وشبهه، وإنما مثلك مثل البعوضة إذ قالت للنخلة: استمسكي، فإني طائرة عنك، فقالت النخلة: وهل علمت بك واقعة علي فأعلم بك طائرة عني!

والله ما نشعر بعداوتك إيانا، ولا اغتمنا إذ علمنا بها، ولا يشق علينا

(١) التبان: سراويل صغيرة (معرب: تبيان بالفارسية) يكون للملاحين هامش شرح النهج ٢٩٣/٦

(٢) الجبس: الجبان. النقييل الروح. اللثيم: الزدي.

كلامك وأنَّ حدَّ الله في الزنا لثابت عليك ، ولقد درأَ عمر عنك حقاً : الله سائله عنه !

ولقد سألت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : هل ينظر الرجل إلى المرأة يريد أن يتزوجها ؟ فقال : « لا بأس بذلك يا مغيرة ما لم ينو الزنا » . لعلمه بأنك زان .

وأما فخركم علينا بالإمارة : فَإِنَّ الله تعالى يقول : ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْبَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾^(١) .

ثم قام الحسن فنفض ثوبه ، وانصرف ؛ فتعلَّق عمرو بن العاص بثوبه . وقال : يا أمير المؤمنين قد شهدت قوله في وقْدَه أُمِّي بالزنا ، وأنا مطالب له بحدِّ القذف .

فقال معاوية : خلَّ عنه لا جزاك الله خيراً . فتركه .

فقال معاوية : قد أنبأتكم أنه ممن لا تطاق عارضته ، ونهيتكم أن تسبوه فعصيتُموني ، والله ما قام حتى أظلم عليَّ البيت ، قوموا عني ، فلقد فضحككم وأخزاكم بترككم الحزم ، وعدولكم عن رأي الناصح الشفيق ؛ والله المستعان^(٢) .
أقول :

فليحكّم الجميع عقله ثم ليقتضوا . وإننا ذكرنا المفاخرة بين الإمام الحسن (عليه السلام) وهؤلاء ؛ لأجل العلفة بينها ، ومفاخرة الإمام الكاظم (عليه السلام) ، ولم يكن من شأن أهل البيت (عليهم السلام) التفاخر لولا الضرورة الداعية له ، وإن كان كل ما قالوه صدقاً فترى نفع الأنصاري العريض اعترض الإمام وقال له : من أنت ؟ يريد السوء به والإمام ماذا يصنع أمام سؤاله

(١) الإسراء : ١٦ .

(٢) شرح النهج ٦/٢٨٥ - ٢٩٤ .

أليس كان الجواب بما أجاب من البلد ، والنسب والصيت والاسم ، والمفاخرة؟
أو ليس السجّاد في مجلس يزيد لعنه الله كان من الواجب عليه إعلام المجالسين
بأن يزيد قتل ابن رسول الله ، وهؤلاء الأسرى أهل بيته ولعمري قد قام بإبلاغ
الرسالة هو وعمّه الحسن والحسين وأبناؤه المعصومون بذلك أحسن قيام.

١٦٩

إن كنت تريد النسب فأنا ابن محمد حبيب الله بن إسماعيل
ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله

هذه ثلاثة الكلمات الأربعة التي دحض الإمام الكاظم (عليه السلام) بها
الرجل العريض نفع الأنصاري حين اعترضه ، وأخذ بلجام حمارة قائلاً له : من
أنت ؟ فقال له :

«يا هذا إن كنت تريد النسب فأنا ابن محمد حبيب الله بن إسماعيل ذبيح
الله بن إبراهيم خليل الله.....»^(١).

ذكرناها عن آخرها عند «إن كنت تريد البلد فهو الذي فرض الله على
المسلمين وعليك - إن كنت منهم - الحج إليه»^(٢).

وإنما جعلناها الثالثة مع أنّها أولها ، لرعاية نظم الحروف ، في هذا
الكتاب ، انظر نهجه المذكور فيه^(٣).

(١) أمالي المرتضى ١/٢٧٥ ، المناقب ٤/٣١٦ ، أعلام الدين ٣٠٥.

(٢) حرف (إن).

(٣) تقديم.

وسبق من حديث السَّجَّاد (عليه السلام) في مجلس يزيد لعنه الله عند
«إن كنت تريد البلد...» قوله : «يا معشر الناس من عرفني فقد عرفني ، ومن لم
يعرفني فأنا أعرفه نفسي : أنا ابن مَكَّةَ ومنى ، أنا ابن المروة والصفاء ، أنا ابن
محمد المصطفى...»^(١).

وإذا صدق النسب له ؛ لأنه ابن الحسين بن فاطمة بنت محمد ، صدق
ذلك للباقر ، والصادق ، والكاظم ، والرضا ، والجواد ، والهادي ، والعسكري ،
والمهدي المنتظر عليهم السلام .

لأن نسبهم ينتهي إلى فاطمة بنت محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
وحبيب الله محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف
ابن قَصِي بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر - وهو قريش -
ابن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار
ابن معدن بن عدنان وهذا متفق عليه ، وما بعد مختلف فيه ، ومن هنا جاء في النبوي :
«إذا بلغ نسبي إلى عدنان فأمسكوا»^(٢) ، وإليك من بعده برواية المسعودي
قال :

ابن أدد بن تاخور بن سود بن يعرب بن يشجب . بن ثابت بن
إساعيل بن إبراهيم^(٣) .

وقال ابن شاکر الکتبي : عدنان وفيه قال :

وكم أب قد علا بابن ذرى شرف كما علا برسوله الله عدنان
ابن أد بن أدد بن اليسع بن الهميسع بن سلامان بن ثابت بن حمد بن

(١) البحار ١٧٤/٤٥ .

(٢) إعلام الوری ١٣ .

(٣) مروج الذهب ٢/٢٦٣ .

قيدار بن الذبيح إسماعيل بن إبراهيم الخليل^(١).
وقصة هارون عند القبر النبوي مع الكاظم (عليه السلام) وقوله :
«السلام عليك يا أبة» معروفة رواها الشيخ المفيد في الإرشاد^(٢)، تدلّ بصراحة
على النسب المذكور .

١٧٠

إنّ الأمور ... كلّها بيد الله عزّ وجلّ

تقال الكلمة للتفويض إلى الله تعالى ، وهو والتسليم نهاية العلم ، وأما
أول العلم فمعرفة ، ثم التوكّل عليه ، ثم الرضا بقدره ؛ كما في دعاء علوي :
«اللهم منّ عليّ بالتوكّل عليك...»^(٣).

قد جاءت الكلمة في كتاب تعزية أمّ هارون بموسى ابنها ، رواه العلامة
المجلسي من قرب الإسناد للحميري بسنده المرسل إلى الكاظم (عليه السلام).
قال محمد بن عيسى عن بعض من ذكره : أنّه كتب أبو الحسن موسى (عليه
السلام) إلى الخيزران^(٤) أمّ أمير المؤمنين هرون يعزيها بموسى ابنها ، وهنّتها
بهمرون ابنها الرشيد :

«بسم الله الرحمن الرحيم ... الى قوله : - ثم إنّ الأمور أطال الله بقاءك

(١) عنون التواريخ ٤/١ للكتبي ت ٧٦٤.

(٢) ص ٢٩٨.

(٣) أصول الكافي ٥٨١/٢ ثمانية : «والتفويض إليك وترضا بقدرك ، والتسليم إليك حتى لا أحبّ
تعجيل ما أخرت ، ولا تأخير ما عجّلت يا ربّ العالين».

(٤) زوجة المهديّ العبّاسي ت ١٦٩ ، وأمّ موسى القادي ت ١٧٠ : وهارون ت ١٩٣.

كلها بيد الله عز وجل ويقدرها بقدرته فيها ، والسلطان عليها...»^(١).

أقول :

فذكر التعزية عن آخرها وعلق عليها بما ينبغي النظر إليه ،
فراجعه^(٢).

من الإيثار الاستعانة بالله تعالى في الأمور كلها ، لأنها بيده
ومستمدة من مدده .

قال الملاحدي السبزواري في المنظومة :

ازمة الأمور طراً بيده والكل مستمدة من مدده^(٣)

وجاء في دعاء السجاد (عليه السلام) عند القبر النبوي هذا

بعضه :

اللهم إني أصبحت لا أملك لنفسي خيراً ما أرجو ، ولا أدفع عنها
شراً ما أحذر عليها ، وأصبحت الأمور بيدك ، فلا فقير أفقر مني ، ﴿رب
إني لما أنزلت الي من خير فقير﴾^(٤) «...»^(٥).

ومن دعاء الصادق (عليه السلام) عند الخروج من البيت تريد

الحج والعمرة : «...» اللهم أنت المستعان على الأمور كلها. وأنت صاحب
في السفر ، والخليفة في الأهل...»^(٦).

(١) البحار ١٣٤/٤٨.

(٢) المصدر ١٣٥.

(٣) الحكمة المتعالية ٨ ، للملاحدي السبزواري المتوفى ١٢٨٩ هـ.

(٤) القصص : ٢٤.

(٥) الوسائل ٢٦٧/١٠ - ٢٦٨.

(٦) الوسائل ٢٧٩/٨.

إذا صدق العبد وخلص دعاؤه ، وتنصّله إليه تعالى كان له الله
أينما كان .

وتماثل الكلمة الكاظمية الكلمة الرضوية : «الأمر بيد الله عزّ
وجلّ»^(١) وأيضاً الهادوية : «ثم إن هذه الأمور كلّها بيد الله تجري
إلى أسبابها...»^(٢) .

١٧١

إنا صنعنا كما صنع رسول الله ، وقلنا كما
قال رسول الله صلى الله عليه وآله

من كلمات الإمام الكاظم المختارة ، رواها الشيخ الكليني من محاوره له
مع أبي يوسف القاضي تقدمت مرّة عند «انتم تلعبون بالدين»^(٣) ، وتأتي الإشارة
عند «إن الدين ليس بقياس كقياسكم»^(٤) .

فلا نعيدها إلا بقدر الحاجة . قال (عليه السلام) : «إنا صنعنا كما صنع
رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقلنا كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله ، كان
رسول الله يركب راحلته فلا يستظلّ عليها ، وتؤذيه الشمس ، فيستر جسده
بعضه ببعض...»^(٥) .

(١) عيون أخبار الرضا ٢/٢٢٠ ، باب الدلالات ٤٧ ، الحديث ٣ .

(٢) الكافي ٥/٣٧٣ .

(٣) كلمة «انتم» .

(٤) حرف «إن» .

(٥) الكافي ٤/٣٥٠ ، البحار ٤٨/١٧١ .

أقول : حرّرتنا موضوع الاستئلال ، وتغطية الرأس ، وأنها شيئان وأن على المحرم أن لا يستئلل في المسير ، ولا يغطّي الرأس ، وغير ذلك من تروك الإحرام ، فراجع^(١) وترجمة القاضي المذكورة هناك فلا وجه للتكرار .
ليس الرسول صلّى الله عليه وآله أسوة في فروع الأحكام فحسب بل في كلّ شيء قال تعالى : ﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً﴾^(٢) .

وليس الخيرة إلّا الله ، وما كان للناس إلّا أن يُسلموا الأمر له تعالى وللرسول ليسلموا ، وأن يحذروا عن المخالفة ، وفي القرآن تبيان كلّ شيء ، ﴿ولا رطبٌ ولا يابس إلّا في كتاب مبين﴾^(٣) ، ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾^(٤) ﴿وربّك يخلق ما يشاء يختار ما كان لهم الخيرة﴾^(٥) .

وقد جاء الأمر بالصلاة والتسليم على الرسول وأن لا يجدوا في أنفسهم حرجاً ممّا قضى ﴿فلا وربّك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً ممّا قضيت ويسلموا تسليماً﴾^(٦) بأن لا يقولوا : لا ، إذا قال : نعم أو نعم ، إذا قال : لا . وماذا يقول أبو يوسف ، ومن لّفه بعد هذا كلّه ؟؟ .

(١) «إن الدين ...» .

(٢) الفرقان : ١ .

(٣) الأنعام : ٥٩ .

(٤) الأحزاب : ٣٦ .

(٥) القصص : ٦٨ .

(٦) النساء : ٦٥ .

١٧٢

إنّا وشيعتنا خُلِقنا من الحلاوة

من كلمات الحلاوة لمن لم يفقدها من الناس ، وإن كان الآخر كانت الأخرى ، رواها الشيخ الكليني قال :

عَدّة من أصحابنا عن سهل بن زياد عن أحمد بن هارون بن موفق المدني عن أبيه قال : بعث إليّ الماضي (عليه السلام) يوماً ، فأكلت عنده ، وأكثر من الحلواء ، فقلت : ما أكثر هذه الحلواء ؟ فقال (عليه السلام) : إنّا وشيعتنا خُلِقنا من الحلاوة ، فنحبّ الحلواء^(١).

أقول :

إنّا خلقت الشيعة من الحلاوة لحلاوة إيمانهم بالله والرسول وأهل بيته المعصومين (عليهم السلام) ؛ والمؤمن حلوّ يحبّ الحلواء ؛ لأنّ الإيمان حلوّ ، والمؤمن حلو المكافحة ، حلو العشرة ، حلو الصحبة ، حلو الفعال ، حلو المقال ؛ وكل ذلك للحلاوة الإيمان الذي معه وأهل البيت (عليهم السلام) هم معدنه وأصله ، وحلاوة شيعتهم فرع عن الأصل وهم الأصل لها ، والمؤمن حلوي يحبّ الحلواء ومنها التمر ، ويريدها ولا يريد الخمر ، ومن هنا جاء في باقري : «من لم يرد منا الحلواء أراد الشراب»^(٢) وفي رضوي : «...أنا تمرّي وشيعتنا يحبّون التمر ؛ لأنّهم خلقوا من طينتنا ، وأعداؤنا يا سليمان يحبّون المسكر ؛ لأنّهم خلقوا من مارج من

(١) الكافي ٣٢١/٦.

(٢) المصدر ، والوسائل ٥٢/١٧.

نار»^(١) .

ولعلّ المثل السائر : (شيعتنا قمريون ، وأعداؤنا خمريون) مصدره الرضوي المذكور ، وقد ذكرناه في أمثال وحكم الامام الرضا (عليه السلام) في الجزء الأول.

وصادقي : «إنا أهل بيت نحبّ الحلوا ، وقال : إن بي موادّ ، وأنا أحبّ الحلوا»^(٢) .

وهل هذه الموادّ هي الإيوان المعبرّ بها ؟ الظاهر ذلك ، ومن المحتمل أنّه (عليه السلام) يريد غيره .

ونبوي : «إذا وضعت الحلواء ، فأصيبوا منها ولا تردّوها»^(٣) .

وأخر : «من أظعم أخاه حلاوة ، أذهب الله عنه مرارة الموت»^(٤) .

وسجادي : «... وسيؤتّى بالرأسين - يعني رأس عُبيد الله وشمر - يوم كذا، فلما كان في ذلك اليوم أُوتِيَ بالرأسين... وقال: الحمد لله الذي لم يمتني حتى أراي... ولما كان وقت الحلواء لم يأت بالحلواء... فقال...: لا تريد حلواء أحلى من نظرنا إلى هذين الرأسين»^(٥) .

(١) الكافي ٦/٣٤٦ .

(٢) الوسائل ١٧/٥٣ .

(٣) مستدرک الوسائل ١٦/٣٥٥ .

(٤) المصدر .

(٥) المصدر نفسه ص ٣٥٦ . اختصرناه ، ومن ساء نظر .

١٧٣

أَنْى يَكُونُ ، وَلَا يَكُونُ ، وَلَمْ يَكُنْ

قال الشيخ الطبرسي : روي عن أبي الحسن موسى بن جعفر الكاظم (عليه السلام) أنه قال : لما سمعت هذا البيت - وهو لمروان بن أبي حفصة - :
 أَنْى يَكُونُ ، وَلَا يَكُونُ ، وَلَمْ يَكُنْ لبني البنات وراثه الأعمام

دار في ذلك ليلتي ، فتمت تلك الليلة ، فسمعت هاتفاً في منامي يقول :
 أَنْى يَكُونُ ، وَلَا يَكُونُ ، وَلَمْ يَكُنْ للمشركين دعائم الإسلام
 لبني البنات نصيهم من جدّهم والعمّ متروك بغير سهام
 ما للطلق ولللترات ، وإنّما سجّد الطليق مخافة الصمصام
 وبقي ابن ثلة واقفاً متلّداً فيه ويمنعه ذوو الأرحام
 إنّ ابن فاطمة المنوّه باسمه حاز الترات سوى بني الأعمام^(١)
 أقول : في نسخة الاحتجاج «متلّداً» كما سمعت ، ونسخة عيون
 أخبار الرضا (عليه السلام) «متردداً»^(٢).

ورويت القصّة نفسها عن أبي الحسن الرضا (عليه السلام) مع اختلاف يسير ، رواها الشيخ الصدوق قال : حدّثنا علي بن أحمد بن محمد بن عمران الدقاق رضي الله عنه قال : حدّثنا محمد بن أبي عبد الله الحسيني عن عبد السلام ابن صالح الهروي قال : حدّثني معمر بن خلّاد وجماعة قالوا :

(١) الاحتجاج ١٦٧/٢ - ١٦٨، ونسخة غير مأمونة عن أغلاط.

(٢) تأتي النسخة . التلّة : الروب.

دخلنا على الرضا (عليه السلام) فقال له بعضنا جعلنا الله فداك، مالي أراك متغيّر الوجه؟ فقال (عليه السلام): إنّي بقيت ليلتي ساهراً متفكراً في قول مروان بن أبي حفصة:

أنّى يكون، وليس ذاك بكائن
لبنى البنات وراثه الأعمام

ثم نمت فاذا أنا بقائل قد أخذ بعضادة الباب وهو يقول:

للمشركين دعائم الإسلام	أنّى يكون وليس ذاك بكائن
والعمّ متروك بغير سهام	لبنى البنات نصيبهم من جدّهم
سجد الطليق مخافة الصمصام	ما للطليق وللتراث؟ وإنّما
فمضى القضاء به من الحكام	قد كان أخبرك القرآن بفضله
حاز الوراثة عن بني الأعمام	إنّ ابن فاطمة المنوّه باسمه
يبكي ويسعده ذوو الأرحام ^(١)	وبقي ابن نثلة واقفاً متردداً

فتجد الرواية والإمام المروي عنه، والأبيات متفاوتة فهل هناك قصتان إحداهما عن الإمام الكاظم، يروها الطبرسي؟ والأخرى عن الرضا (عليهما السلام) على نقل الشيخ الصدوق؟ أو هي قصة واحدة وقع الخطأ في الإسناد؟ لا أدري؛ إذ كلّ ذلك محتمل. وكيف كان، والمهم بيان الغرض من القصة كما يلي:

يريد الشاعر بشعره الذي كان الإمام الكاظم، أو الرضا عليهما السلام متفكراً ليلته أنّ الخلافة لأولاد العباس دون بني هاشم، لأنهم ينتمون إلى النبي صلى الله عليه وآله بالعمومة، وأنّما بنو هاشم من ولد علي (عليهم السلام) بنو

(١) أمثال وحكم الإمام الرضا (ع) أو كلماته المختارة ١٦٧/١، طبع بيروت، دار الزهراء، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ عيون أخبار الرضا ١٧٤/٢ - ١٧٥.

بنته ، والعم أقرب إلى الميت من ابن بنته ، وأولى بميراثه منه ، وعليه فالخلافة هارون أو المأمون العباسي دون الامام الكاظم ، أو الرضا (عليهما السلام) ، لأنه ابن بنته والعباسيون بنو عمّه ؛ من ثم استغرب الشاعر الضال أن تكون الإمامة وراثه أولاد فاطمة ، لأنّها خصيصة الأعمام قائلاً:

أنى يكون ولا يكون ولم يكن لبني البنات وراثه الأعمام^(١)

فأجاب عنه القائل في منام المعصوم (عليه السلام) بالأبيات التي أنشدها، ومن أجله جعلناها من كلماته المثليّة أو الحكميّة أو المختارة أو أي شيء أحببت تسميته .

سؤال : من هو القائل في المنام ، وهل المعصوم يفتقر إلى ذلك ؟ أو الغرض الإبهام ؟ وهل منام المعصوم (عليه السلام) كغيره ؟ وقد جاء في صادقي : «إنّ منّا لمن ينكت في أذنه ، وإنّ منّا لمن يرى في منامه ، وإنّ منّا لمن يسمع مثل صوت السلسلة التي تقع في الطست»^(٢) .

وقد أوردنا ذلك عند .

* أنى يكون وليس ذاك بكائن *

من كلمات الإمام الرضا (عليه السلام)^(٣) .

(١) نسخة عيون الأخبار ٢/ ١٧٤ - ١٧٥ :

* أنى يكون وليس ذاك بكائن * .

(٢) البحار ٢٦/ ٥٥ .

مروان بن أبي حفصة مرواني ضال منحرف ، ولد ١٠٥ ، ومات ١٨٢ ، أعلام الزركلي

٢٠٨/٧ .

(٣) أمثال وحكم الإمام الرضا (عليه السلام) أو كلماته المختارة ١/ ١٦٧ - ١٦٨ ، الرقم ٤٣ .
كلمة (أنى) .

١٧٤

إنّ البيع في الظل غشّ ، والغشّ لا يحلّ

لعدم الإطّلاع الكافي على العيوب إذا لم يكن الضياء، والغشّ في الشرائع والعقول محرّم : لأنّه خيانة ، والمؤمن لا يخون . تقال الكلمة للنصح ، وهي مروية عن الكاظم (عليه السلام) رواها الشيخ الكليني قال :

علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن هشام بن الحكم قال : كنت أبيع السابري في الظلال ، فمّر بي أبو الحسن موسى (عليه السلام) فقال: يا هشام إنّ البيع في الظل غشّ ، وإنّ الغشّ لا يحلّ^(١) .
أقول :

السابري : الرقيق . والدروع ، قال ابن الأثير : وفي حديث حبيب بن أبي ثابت : «قال : رأيت علي ابن عباس ثوباً سابرياً أستشف ما وراءه» . كلّ رقيق عندهم سابريّ ، والأصل فيه الدروع السابرية . منسوبة إلى سابور^(٢) .
هشام بن الحكم :

قال النجاشي : هشام بن الحكم أبو محمد مولى كنده ، وكان ينزل بني شيبان بالكوفة انتقل إلى بغداد سنة تسع وتسعين ومائة ، ويقال : إنّ في هذه السنة مات^(٣) .

قال الأستاذ الخوئي : وقال الشيخ (٧٨٢) : هشام بن الحكم كان من

(١) الكافي ٥/١٦٠ - ١٦١ .

(٢) النهاية ٢/٣٣٤ - سير .

(٣) رجال النجاشي ٢/٣٩٧ . الرقم ١١٦٥ .

٤٩٠ المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام

خواص سيدنا ومولانا موسى بن جعفر (عليه السلام) ، وكانت له مباحثات كثيرة مع المخالفين في الأصول وغيرها...

وقال ابن شهر آشوب في معالم العلماء (٨٦٢) أبو محمد هشام بن الحكم الشيباني كوفي تحوّل إلى بغداد ، ولقي الصادق والكاظم (عليهما السلام) ، وكان ممن فتح الكلام في الإمامة ، وهذب المذهب بالنظر ورفع الصادق (عليه السلام) في الشيوخ وهو غلام ، وقال : هذا ناصرنا بقلبه ، ولسانه ، ويده . وقوله (عليه السلام) :

«هشام بن الحكم رائد حقنا ، وسائق قولنا ، المؤيد لصدقنا ، والدافع لباطل أعدائنا ، من تبعه ، وتبع أثره ، تبعنا ، ومن خالفه وألحد فيه ، فقد عادانا ، وألحد فينا»^(١) .

وكلّ من ترجمه أشار الى قوّة مناظراته ، ويشهد لها مناظرته مع عمرو بن عبيد في مسجد البصرة^(٢) .

(١) معجم رجال الحديث ٢٧١/١٩ ، الرقم ١٣٣٢٩ ، ص ٢٧٣ .

(٢) تقديم الكتاب تفسير المثل الروائي .

١٧٥

إِنَّ الدَّعَاءَ جُنَّةٌ مَنْجِيَةٌ تَرُدُّ الْبَلَاءَ وَقَدْ أُبْرِمَ إِبْرَامًا

كلمة ترغيب وفزع إلى الله عند نزول الحوادث ، جاءت في ضمن كلام الإمام الكاظم (عليه السلام) رواه السيّد ابن طاووس طاب ثراه ، سبق متناً وسنداً عند «ادفعوا البلاء بالدعاء»^(١) . وجعلت الكلمة كالدليل له ؛ قال (عليه السلام) فيه :

«وادفعوا البلاء بالدعاء ؛ فَإِنَّ الدَّعَاءَ جُنَّةٌ مَنْجِيَةٌ تَرُدُّ الْبَلَاءَ وَقَدْ أُبْرِمَ إِبْرَامًا»^(٢) ، كما وتقدّم هناك ذكر شيءٍ مما جاء في الدعاء فراجع^(٣) .
جُنَّةٌ مَنْجِيَةٌ :

الجُنَّةُ : الوقاية ، قال ابن الأثير : وفيه - أي النبوي - «الصوم جُنَّةٌ» أي يقي صاحبه ما يؤذيه من الشهوات . والجُنَّةُ الوقاية . ومنه الحديث «الإمام جُنَّةٌ» ، لأنه يقي المأموم الزلّل والسّهو . ومنه حديث الصدقة «كمثل رجلين عليها جُنَّتَانِ من حديد» أي وقائتان^(٤) .

أقول : ومنه حديث «إِنَّ الدَّعَاءَ جُنَّةٌ مَنْجِيَةٌ» بل أعمال البرّ كلّها جنّ تقي أصحابها من البلاء في الدنيا والآخرة كما جاء في العلوي : «وصنائع المعروف تقي مصارع الهوان» كما في خطبة له (عليه السلام) قال فيها :

(١) حرف الهمزة مع الدال .

(٢) البحار ٤٨/١٥٠ ، مهج الدعوات ٢١٨ .

(٣) حرف الهمزة مع الدال .

(٤) النهاية ١/٣٠٨ - جنن - .

«إن أفضل ما توسّل إلى الله سبحانه وتعالى الإيمان به وبرسوله ، والجهاد في سبيله ، فإنّه ذروة الإسلام ، وكلمة الإخلاص فإنّها الفطرة ، وإقام الصلاة فإنّها الملة ، وإيتاء الزكاة فإنّها فريضة واجبة ، وصوم شهر رمضان فإنّه جنة من العقاب ، وحجّ البيت واعتباره ، فإنّها ينفيان الفقر ، ويرحضان الذنب ، وصلّة الرحم فإنّها مثرة في المال ومنساة في الأجل ، وصدقة السرّ فإنّها تكفّر الخطيئة ، وصدقة العلانية فإنّها تدفع ميتة السوء ، وصنائع المعروف فإنّها تقي مصارع الهوان...»^(١) .

وأنّا أوردناها لاشتغالها على أعمال البرّ التي تجلب لأربابها الخير ، وتدفع عنهم الشرّ ، والدعاء أيضاً من البرّ يجلب الخير ، ويدفع الشرّ ، والبلاء النازل .

١٧٦

إنّ الدين ليس بقياس كقياسكم

ليس الدين فكرة ، وتخيلاً بشرياً حتى تناله العقول ، والمقائيس المزيّفة ، بل وحي سهاوى .

كلمة إبطال للتّراي والتّخرص ، قالها الإمام الكاظم (عليه السلام) ردّاً على أبي يوسف القاضي سبق حديثه عند كلمة «أنتم تلعبون بالدين» كَمَلًا^(٢) .

رواه الشيخ الكليني . ومنه :

«يا أبا يوسف إنّ الدين ليس بقياس كقياسكم أنتم تلعبون بالدين . إنّا

(١) النهج ٧/٢٢١ ، الخطبة ١٠٩ .

(٢) حرف الهمزة مع النون .

صنعنا كما صنع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وقلنا كما قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ...»^(١) .

أقول :

الكلام حول استظلال المحرم حالة السير ، وأما عند النزول والخباء فلا بأس به ، ولا يقاس التعريس بالسير الممنوع من الاستظلال فإن هذا محرم حالة السير دون حالة النزول ، وكان القاضي يستهزأ بالحكم النبوي ، المحرم تارة والحلال أخرى : كما على المحمل ، والخباء . قال : «أيستظل على المحمل ؟ فقال له : لا ، قال : فيستظل في الخباء ؟ فقال له نعم . فأعاد عليه القول شبه المستهزئ يضحك...» .

حوار بين الإمام الكاظم (عليه السلام) ، وبين القاضي أبي يوسف الذي مات سنة ١٨٢ ، وعند احتضاره قال : (اللهم تعلم - إلى قوله - وكل ما أشكل عليّ جعلت أبا حنيفة بيني وبينك ، وكان عندي والله ممن يعرف أمرك...)^(٢) .

وقد قال تعالى : ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * نَمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ بِحَاجِرِينَ﴾^(٣) .
هذا لخاتم النبيين ، فما حال الآخرين ؟ فليقل القاضي وأضرا به ماشاءوا؛ وقد جاء الحظر عن القياس في أحاديث أهل البيت (عليهم السلام) زهاء مائة وأربعين حديثاً في مجامع الأحاديث من الكتب الأربعة للمشائخ الثلاثة ، ولولا الخروج عن الموضوع لسردناها ، وإنها ليجدر صنع كتاب مفرد لها ، وكفى في

(١) الكافي ٤/٣٥٠ .

(٢) الكنى والألقاب للمحدث القمي ١/١٨٩ .

(٣) الحاقّة : ٤٤ - ٤٧ .

المنع عن القياس حديثنا الجاري ، والحرّ تكفيه الإشارة ، وهل الجاهل يعلم شيئاً
يا أيها القاضي .

١٧٧

إنّ الزرع ينبت في السهل ، ولا ينبت في الصفا

كلمة تمثيل للحكمة العامرة في قلب المتواضع دون المتكبر بالزرع النابت
في السهل دون الصفا . جاء في كلام الإمام الكاظم (عليه السلام) مع هشام بن
الحكم رواه ابن شعبة الحرّاني (طاب ثراه) قال :

«يا هشام إنّ الزرع ينبت في السهل ، ولا ينبت في الصفا . فكذلك
الحكمة تعمر في قلب المتواضع ، ولا تعمر في قلب المتكبر الجبار ؛ لأنّ الله جعل
التواضع آلة العقل ، وجعل التكبر من آلة الجهل ، ألم تعلم أنّ من شمنخ إلى
السقف برأسه شجّة ، ومن خفّض رأسه استظلّ تحته ، وأكّنه . وكذلك من لم
يتواضع لله خفّضه الله ، ومن تواضع لله رفّعه الله»^(١) .
أقول :

اشتمل الكلام على مثلين رائعين : مثل للحكمة العامرة في القلب
المتواضع بالأرض السهلة ، ولضدّها بضدّها . ومثل للمتواضع لله بالخافض برأسه
عن السقف المستظلّ تحته المكنّ به ، والمتكبر الشامنخ رأسه إلى السقف المشجوج به .
وسياقي التكلّم على المثل الثاني في محلّه المتاح إنّ شاء الله تعالى .
وتقدّم بحث ضاف حول الحكمة وقلوب المؤمنين عند «إذا أراد استنارة ما

فيها نَضَحَهَا بالحكمة ، وَزَرَعَهَا بالعلم»^(١).

ولعمري إنها كلمة لا تَشْمَنُ بالأرض مَلَأَهَا ذهباً ، فانظر إليها نظر دقة حتى تنكشف لك بعض ما هنالك ، وقلنا إن ذلك من غرر الصحاح الماثورة ، ومن محاسن الكلام الذي لو علمه الناس لا تَبِعُوا أهل البيت (عليهم السلام) ، إذ الكل بطابعهم طالب للحقيقة ، وإنها الاختلاف في شبكة التطبيق ، والإنسان يريد النفع بالصميم ، واليسر ، ولا يريد الضرّ والعسر ، وإن الله تعالى جعل فيه غريزة الطلب ، ولكن المطلوب قد لا يكون مرضياً لا شرعاً ، ولا عقلاً ، ولا عرفاً ، ولا عند نفسه ، إذا تبين الرُشد من الغي ، وخلص الحق عن محض الباطل ، وانكشف له الغطاء كما قال تعالى : ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾^(٢) ، نعم قد كشف اليوم لقوم يحبهم الله ويحبونه عن بصرهم ، فاختاروا الله ، وآثروه على كلّ الأمنيات ، والغايات ؛ لأنه تعالى غاية العايات ، وأمنية الأمنيات والآمال ، وهو غاية آمال الرسول والأئمة المعصومين (عليهم السلام) .

(١) حرف (إذا) وانظر أصول الكافي ٤٢١/٢ .

(٢) ق : ٢ .

١٧٨

إن سفينة نوح كانت مأمورة طافت بالبيت حين غرقت الأرض

حجّ نوح (عليه السلام) وهو في السفينة على وجه الماء ، وغرق العالم كله ، وطاف بالبيت بطوافها ، وكانت مأمورة بالغرق ، والطواف ، وكلّ شيءٍ مقهور لأمر ربّه القدير على كلّ شيءٍ ، في كلام للإمام الكاظم (عليه السلام) رواها الشيخ الكليني في حجّ الأنبياء (عليهم السلام) قال :

محمد بن يحيى عن بعض أصحابه عن الوشّاء عن علي بن أبي حمزة قال : قال لي أبو الحسن (عليه السلام) : إن سفينة نوح كانت مأمورة ، طافت بالبيت حين غرقت الأرض ، ثم أتت منى في أيامها ، ثم رجعت السفينة ، وكانت مأمورة ، وطافت بالبيت طواف النساء^(١) .

سفينة نوح كعصا موسى كانت طائفة لله ، مأمورة بامرّه تعالى ، والإنسان والعالم كلّ مسخّر ومسخّر لله تعالى التسبيح التكويني ، وأمّا التسبيح الإرادي قد يتخلّف عن ذوي الإرادة من الإنس والجنّ بالإرادة التشريعيّة ، لا التكوينيّة ، والإنسان مأمور بأمرين تكوينيّ وهو وجوده وما كان خارجاً عن طوعه ، وتشريعي وهي الأحكام الشرعيّة التي يراد صدورها منه وبطوع إرادته مباشرة أو تسبيحاً لا يخلق الله لها كما إذا أردت الماء فإمّا أن تأتي أنت به مباشرة ، وأخرى تأمر عبدك أن يأتيك به ، والثاني قد يتخلّف دون الأوّل ، وهو معنى التكوين ، والتشريع الإرادي .

وفي رضوي : «ويحك يا فتح إنّ الله إرادتين ومشيئتين إرادة حتم ، وإرادة

عزم...»^(١) قال المعلق : إنَّ الله تعالى إرادة عزم سبأها المتكلمون بالإرادة التشريعية، والتشريع هو تعليم الله تعالى عباده كيفية سلوكهم في طريق العبودية... وإرادة حتم سموها بالتهيئة^(٢).

ثم نقول :

إنما تعرّضنا لبحث الإرادة وليس في الحديث الكاظمي منها شيء ؛ لقوله (عليه السلام) : «إنَّ سفينة نوح كانت مأمورة» والمأمورة تستدعي الأمر وهو الله تعالى ، ولا أمر إلا عن الإرادة والإرادة إرادة تهيئية ، وإرادة تشريعية ، وإنها أمرت السفينة بالإرادة التهيئية ، وقد تكلمنا عن طاعة الكائنات من أرض وسماء وبشر وشجر في كتابنا (السلام في القرآن والحديث)^(٣) ، ونأتي على بحث الإرادة عند بعض الكلمات الكاظمية الآتية.

١٧٩

إنَّ السلطان العادل بمنزلة الوالد الرحيم

رحمة الوالد على أولاده جبلة ذاتية لا تزول ، والسلطان العادل بمنزلة رحيم بالبرعية برحمة لم تزل ما دام عادلاً فإذا ذهب عدالته زالت رحمته كلمة قالها الإمام الكاظم (عليه السلام) ، رواها الشيخ الحرّ من مجالس الصدوق بإسناده إلى الإمام أنه قال لشيعته - ما لفظه - :

(١) توحيد الصدوق ٦٤.

(٢) هامش التوحيد ٦٤.

(٣) في خاتمة الفصول العشرة ، طبع بيروت ، دار الأضواء ، سنة ١٤١١ هـ . وفيه من بحوث لا يستغني عنها الجميع .

لا تذّلوا رقابكم بترك طاعة سلطانكم ، فإن كان عادلاً فاسألوا الله بقاءه ، وإن كان جائراً فاسألوا الله إصلاحه ، فإنّ صلاحكم في صلاح سلطانكم ، وإنّ السلطان العادل بمنزلة الوالد الرحيم ، فأحبّوا له ما تحبّون لأنفسكم ، وأكرهوا له ما تكرهون لأنفسكم^(١) .

توصيف السلطان بالعدل وأنّه بمثابة الأبّ الرحيم ترغيب إلى الحصول عليه وأنّه لا بدّ أن يكون السلطان بالقياس إلى رعاياه كذلك ، وإلا فلا خير في سلطنته ، ولا سيّما إذا كان فاقداً للعدالة ، أو كان لا يسمح لله جائراً غشوماً وظلوماً ، فإنّه عذاب جهنّم في الدنيا لهم ، وتقسيم السلطان إلى العادل ، والجائر مقدّمة لبيان وظائف الرعيّة أمامها ، وهل يوجد سلطان يعدل غير الإمام المعصوم ، أو الوالي المنصوب من قبله ؟ أنت الناظر المجرّب ، وإنّ العدالة بمعناها الصحيح لا تتحقّق إلاّ في المعصوم فحسب وفي دولته عزّة الإسلام والمسلمين وقد جاء في الدعاء للإمام المهدي (عليه السلام) في الغيبة الكبرى :

«اللهم إنّنا نرغب إليك في دولة كريمه تعزّ بها الإسلام وأهله ، وتذلّ بها النفاق وأهله ، وتجعلنا فيها من الدعاة إلى طاعتك ، والقادة إلى سبيلك ، وترزقنا بها كرامة الدنيا والآخرة...» .

«اللهم إنّنا نشكو اليك فقد نبينا صلواتك عليه وآله ، وغيبة ولىنا [إمامنا] وكثرة عدونا ، وقلة عددنا ، وشدة الفتن بنا ، وتظاهر الزمان علينا فصلّ على محمد وآله ، وأعنّا على ذلك بفتح منك تعجّله ، وبضّر تكشفه ، ونصر تعزّه وسلطان حق تظهر ، ورحمة منك تجلّلناها ، وعافية منك تلبسناها برحمتك يا أرحم الراحمين»^(٢) .

(١) أمالي الصدوق ٣٠٢ ، الوسائل ٤٧٢/١١ .

(٢) الإقبال ٦٠ - ٦١ .

ثم أحاديث العدل كثيرة منها .

العلوي : «عدل السلطان خير من خصب الزمان»^(١) .

والصادقي : «العدل أحلى من الماء يصيب الظمئان ، ما أوسع العدل إذا

عدل فيه...»^(٢) .

١٨٠

إن شيئاً هذا آخره لحقيق أن يزهد في أوله

كلمة تخويف ، وتزهيد ، قالها الإمام الكاظم (عليه السلام) ومن حكمه التي رواها ابن شعبة قال : وقال عند قبر حضره :

«إن شيئاً هذا آخره لحقيق أن يزهد في أوله ، وإن شيئاً هذا أوله لحقيق أن يخاف آخره»^(٣) .

إذا كان أول عقبات الآخرة الموت والإقبار ، فكيف بها بعدهما من خروج القبر ، والوقوف بين يدي الله للحساب ، وإذا كان آخر الحياة وزهرتها ورونق جمالها الموت والقبر ، فحريّ الزهد عن الدنيا الفانية . فالكلمتان إحداهما تزهيد ، والأخرى تخويف ، فلو زهد الإنسان في الدنيا أمنّ العقبات ، ولا خوف عليه منها ، وإلا فلا أمن ولا أمان له .

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) يصف القبر ، وبعض نزعات الموت ، والاعتزاز :

(١) البحار ١٠/٧٨ .

(٢) أصول الكافي ١٤٦/٢ ، البحار ٣٦/٧٥ .

(٣) التحف ٤٠٨ ، البحار ٣٢٠/٧٨ ، البيان والتبيين ١١٥/٣ .

« فاستبدلوا بالقصور المشيدة، والنهارق الممهدة؛ الصخور والأحجار
المُسندة ، والقبور اللَّاطئة الملهدة التي قد بُني على الخراب فناؤها ، وشُيد
بالتراب بناؤها ، فمحلها مقترَّبٌ ، وساكنها مغترَّبٌ ، بين محلة موحشين ؛ وأهل
فراغ متشاغلين ، لا يأنسون بالأوطان ، ولا يتواصلون تواصل الجيران ، على ما
بينهم من قرب الجار ، ودنوِّ الدار ، وكيف يكون بينهم تزاوُرٌ ، وقد طحنهم بكلِّكته
البليِّ ، وأكلتهم الجنادل والثرى.....»^(١) .
وقال (عليه السلام) :

«فكم أكلت الأرض من عزيز جَسِدٍ ، وأنيق لونٍ ، كان في الدنيا غَدِيَّ
تَرفٍ ، وربيب شَرَفٍ ، يتعللُّ بالسرور في ساعة حزنه ، ويفزع إلى السلوة إن
مصيبة نَزَلَتْ به ، ضناً بغضارة عيشه ، وشحاحة بلهوه ولعبه ، فبينما هو يضحك
إلى الدنيا وتضحك إليه في ظلِّ عيش غَفولٍ إذ وَطِئَ الدهر به حَسَكه ، ونَقَّضَتْ
الأيام قواه ، ونظرت إليه الحتوف من كُتُبٍ ، فخالطه بَثٌّ لا يعرفه ، ونجِّيَّ هَمٍّ
ما كان يجده ، وتولدت فيه فترات علل ، آنس ما كان بصحَّته ، ففزع إلى ما كان
عوِّده الأَطْبَاء.....»^(٢) .

أقول : وراح (عليه السلام) يصف ما نزل به من نزعات ، وسكرات
الموت ، ما يجدر به أن يجعل نصب العين.

(١) النهج ١١/٢٥٧ . الخطبة ٢٢١ .

(٢) النهج ١١/١٥١ . الخطبة ٢١٦ .

إنّ الصفات تشته

مقياس مطّرد للمشتركات ، ومنها الصفات المشتركة المراد بها هنا الأئمة المعصومون (عليهم السلام) ، جاء في كلام الإمام الكاظم (عليه السلام) مع النصرائي الرائد لمذهب الحق منذ ثلاثين سنة حتى رأى في المنام القاتل له : ائت عليا دمشق ، فأتاها ، وكان عليها راهب اسمه مطران ، وبعد تبادل الكلام بينهما قال للرائد : سر إلى مدينة النبي المبعوث في العرب ، ثم تسأل عن موسى بن جعفر ... ثم أعلمه أنّ مطران عليا الغوطة^(١) غوطة دمشق أرشدني إليك وهو يقرئك السلام كثيراً ويقول لك : إني لأكثر مناجاة ربّي أن يجعل إسلامي على يديك...

فأتى النصرائي الإمام (عليه السلام) «ثم قال : إن أذنت لي يا سيدي كفرتُ لك . وجلست ؟ فقال (عليه السلام) : آذن لك أن تجلس ، ولا آذن لك أن تكفر^(٢) ، فجلس ، ثم ألقى عنه بُرسنه ، ثم قال : جعلت فداك تأذن لي في الكلام ؟ قال : نعم ما جئت إلّا له ، فقال له النصرائي : اردد على صاحبي السلام - أو ما تردّ السلام ؟ - ، فقال أبو الحسن (عليه السلام) : على صاحبك أن [إن] هداه الله ، فأما التسليم فذاك إذا صار في ديننا ، فقال النصرائي : إني اسالك - اصلحك الله ؟ - قال : سل ، قال : أخبرني عن كتاب الله تعالى الذي أنزل على محمد ، ونطق به ، ثم وصفه بها وصفه به فقال : ﴿حَم * وَالكِتَابِ الْمُبِينِ

(١) سبق تفسيره في «آذن لك أن تجلس ...».

(٢) المصدر حرف الهمزة مع الألف.

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴾ * فِيهَا يُفَرَّقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿^(١)﴾ مَا

تفسيرها في الباطن ؟

فقال : أَمَا ﴿ حَم ﴾ فهو محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَهُوَ فِي كِتَابِ هُودِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْهِ ، وَهُوَ مَنْقُوصُ الْحُرُوفِ . وَأَمَا ﴿ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾ فَهُوَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) . وَأَمَا اللَّيْلَةُ ففَاطِمَةُ وَأَمَا قَوْلُهُ : ﴿ فِيهَا يُفَرَّقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ يَقُولُ : يَخْرُجُ مِنْهَا خَيْرٌ كَثِيرٌ : فَوْجَلٌ حَكِيمٌ ، وَرَجُلٌ حَكِيمٌ ، وَرَجُلٌ حَكِيمٌ . فَقَالَ الرَّجُلُ : صَفَّ لِي الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ مِنْ هَؤُلَاءِ الرَّجَالِ ، فَقَالَ : إِنَّ الصِّفَاتِ تَشْتَبِهُ ، وَلَكِنَّ الثَّالِثَ مِنَ الْقَوْمِ أَصْفَ لَكَ مَا يَخْرُجُ مِنْ نَسْلِهِ ، وَأَنَّهُ عِنْدَكُمْ لَفِي الْكُتُبِ الَّتِي نَزَلَتْ عَلَيْكُمْ ، إِنْ لَمْ تَغْيِرُوا ، وَتَحَرَّفُوا ، وَتَكْفَرُوا وَقَدِيمًا مَا فَعَلْتُمْ... »^(٢) .

أقول :

إِنَّمَا جِئْتُ عَلَى هَذِهِ النَّبْذَةِ مِنَ الْقِصَّةِ لِيَعْلَمَ الْغُرُضَ مِنَ الْكَلِمَةِ ، وَأَنَّ صِفَةَ الْإِمَامَةِ مَشْرُوكَةٌ بَيْنَ عَلِيِّ وَأَوْلَادِهِ الْمَعْصُومِينَ ثُمَّ أَشَارَ إِلَى الثَّالِثِ وَهُوَ الْحُسَيْنُ وَنَسْلُهُ الَّذِينَ هُوَ أَحَدُهُمْ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) فَتَدَبَّرْ جَيِّدًا.

(١) الدخان : ١ - ٤ .

(٢) أصول الكافي ١/٤٧٨ - ٤٧٩ ، باب موند... الحديث ٤ ، انظر الشرح له مرآة العقول ٦/٤٣٠ .

إنّ ضوء الروح العقل

من حكميات الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) ما رواه ابن شعبة ،
في كلام له مع هشام بن الحكم :

«يا هشام إنّ ضوء الجسد في عينه ، فإن كان البصر مضيئاً استضاء الجسد كله ، وإنّ ضوء الروح العقل ، فإذا كان العبد عاقلاً كان عالماً بربه ، وإذا كان عالماً بربه أبصر دينه . وإن كان جاهلاً بربه لم يقم له دين . وكما لا يقوم الجسد إلا بالنفس الحيّة ، فكذلك لا يقوم الدين إلا بالنيّة الصادقة . ولا تثبت النيّة الصادقة إلا بالعقل»^(١).

أقول :

يأتي التكلم على كلمة «كما لا يقوم الجسد إلا بالنفس الحيّة...»^(٢).
في الإنسان ضوءان ضوء البصر ، وضوء البصيرة المتفرّعة عن العقل ،
قد يكون فيه الضوءان معاً ، وقد ينطفيان معاً ، وثالثة يبقى ضوء البصر ، ورابعة
ضوء البصيرة . فالأقسام أربعة ، وأنت على المجرب .

قوله (عليه السلام) : «إنّ ضوء الروح العقل» يشهد له المثل النبوي كما
في موثّق الصدوق عنه (صلى الله عليه وآله) : «ألا ومثّل العقل في القلب كمثل
السراج وسط البيت»^(٣) ، والعقل نور ابتدعه الله بقدرته ، وأودّعه في ابن آدم ،

(١) التحف ٣٩٦ . البحار ٣١٢/٧٨ .

(٢) حرف (كما) .

(٣) جامع أحاديث الشيعة ٣٤٩/١ . الباب ١٠ . الحديث ٢٠ .

٥٠٤ المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام

وجعل العلم نفسه ، والفهم روحه ، والزهد رأسه ، والحياء عينه ، والحكمة لسانه ،
والرأفة همته به يثاب ، وبه يعاقب .

وها هنا بحوث حول العقل ، ومحله من البدن هل هو القلب كما في
النبوي المتقدم ، أو «موضع العقل الدماغ ؟ ألا ترى أن الرجل إذا كان قليل
العقل قيل له : ما أخف دماغك»^(١) . وقيل محله القلب والدماغ معاً^(٢) وغير ذلك
من الآراء .

ثم العقل يقابله الجهل في حديث جنود العقل والجهل^(٣) . ولعله لعدم
انفكاك العلم عن العقل كما قال (عليه السلام) : «إذا كان العبد عاقلاً كان عالماً
بربه ، وإذا كان عالماً بربه أبصر دينه» .

١٨٣

إن العاقل رضي بالدون من الدنيا مع الحكمة

من حكميات الإمام الكاظم (عليه السلام) في كلام له مع هشام بن
الحكم رواه الشيخ الكليني طاب ثراه قال :

«يا هشام إن العاقل رضي بالدون من الدنيا مع الحكمة ، ولم يرض
بالدون من الحكمة مع الدنيا ، فلذلك ربحت تجارتهم»^(٤) .

أقول : يراد من الدون القلة المستبدلة، وصور الاستبدال أربعة ، والعاقل

(١) تفسير البرهان ٤/٤٧٤ .

(٢) مجمع البحرين - عقل - .

(٣) أصول الكافي ١/٢١ - ٢٣ .

(٤) أصول الكافي ١/١٧ ، التنقيح ٣٨٧ ، البحار ٧٨/٣٠١ .

لا يختار منها عند المزاومة بين الدنيا ، والحصول على العلم المعبر عنه بالحكمة إلا العلم فيقدمه على الدنيا وإن فاتته بالأسر ، أو لم يبق له إلا القليل منها ، ولا يقدم الدنيا على العلم والحكمة ، ولا على القليل منها ، فقليل العلم لا يساويه بالدنيا بأسرها فضلاً عن قليلها .

والصور الأربع تأتي بالمقارنة بين الدنيا والعلم باعتبار الكثرة والقلة من الجانبين : كثيرهما ، وقليلهما وكثرة أحدهما ، وقلة الآخر العلم الكثير مع الدنيا القليلة ، أو كثرتها مع العلم القليل ، ويريد الحديث من هذه الصور : الدنيا القليلة مع العلم الكثير ، ولا يريد العلم القليل مع الدنيا بأسرها .

في قوله تعالى : ﴿ قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا... ﴾^(١) . صور المقارنة أربعة بين شيءٍ وشيءٍ إما كلاهما خير ، أو دان ، أو أحدهما أدنى والآخر خير ، والعاقل لا يستبدل الداني بالذي هو خير فضلاً عن الأدنى فلو اختار أحد الداني على الخير ، أو الأدنى على الخير لم يكن عاقلاً بل العاقل يقدم الخير على الداني فضلاً على الأدنى ، ومن ثم قال تعالى لمن استبدل الأدنى بالذي هو خير ﴿ اهبطوا ﴾ .

وكذلك من استبدال الدنيا بالحكمة ، أو ساوئى بينهما فليس بعاقل إذ لو كان ، لقدّم الحكمة على الدنيا ؛ لأنّها الحياة الأبدية الباقية دون الدنيا الفانية . ولك أن تقول ما قاله تعالى عن لسان موسى (عليه السلام) لبني إسرائيل لمن استبدل الدنيا بالعلم كثيرها أو قليلها ﴿ أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير ﴾ لأنّ الآية مقياس عقلي مطرد لها مواضع يصحّ تطبيقها عليها تطبيقاً قهرياً والعقل قاضٍ بصحة التطبيق ولا يأبأها ، والآيات تجري مجرى الشمس والقمر ، وفيها علم الحاضر والماضي والمستقبل .

١٨٤

إنَّ العاقل لا يحدِّث مَنْ يخاف تكذيبه

من الحكميات المروية عن الإمام الكاظم (عليه السلام) الصالحة للمثل إن لم تكنه . رواها الشيخ الكليني (طاب ثراه) قال :
«يا هشام إنَّ العاقل لا يحدِّث من يخاف تكذيبه ، ولا يسأل من يخاف منعه ، ولا يعد ما لا يُقدر عليه ، ولا يرجو ما يعنّف برجائه ، ولا يقدم على ما يخاف فوته بالعجز عنه»^(١) .

خمس خصال لا يقدم عليها العاقل... وهذه نبذة مما يتجنب عنه العاقل ، وقس عليها كل ما ليس على وفق الحكمة ، لأنّه بصفته عاقل ، والعقل هو وضع الشيء في مواضعه ، ويقابله الجهل الذي يخطب صاحبه خطباً يفقد الحساب منه .

قوله (عليه السلام) : «إنَّ العاقل لا يحدِّث مَنْ يخاف تكذيبه» ؛ لأنّه يقول الحق ، فإذا قال شيئاً حقاً وردّه السامع ، صار سبباً لردّ الحق ، إلا إن يكون وفق الحكمة ، إذ من الحكمة إبلاغ الحجّة وإتمامها وإن لم يعمل بها ، وكُذبت ، وكانت الأنبياء يأتون بالحجج إلى الناس ويكذبونها والأنبياء قدوة العقلاء وفي ذلك جاءت في القرآن آيات كثيرة منها آية :

﴿وإن يُكذِّبوكَ فقد كذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾^(٢) ، ﴿إن كلُّ إلّا كذَّبَ

(١) أصول الكافي ١/٢٠ ، التحف ٣٩٠ ، البحار ٧٨/٣٠٤ .

(٢) فاطر : ٢٥ .

الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابٌ ﴿١١﴾ ، ﴿كَلِمًا جَاءَ أُمَّةً رِسْوٰهَا كَذِبُوهُ﴾ ﴿١٢﴾ ، ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا﴾ ﴿١٣﴾ ، ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ ﴿١٤﴾ ...﴿قَالُوا لِمَ تَعْظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ ﴿١٥﴾ بل في بعضها خوف التّكذيب لا يمنع من إبلاغ الحديث السماوي : ﴿قَالَ رَبِّي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ ﴿١٦﴾ .

وليس معنى ذلك «أن العاقل لا يحدث من يخاف تكذيبه» غير صحيح العياد بالله ، بل أردنا بيان مواضع الاستثناء من إتمام الحجّة ، أو محض الإبلاغ ، أو أن السامع يصدقه في المستقبل ، ولو احتمالاً ، أو أن يكون للعاقل عذرٌ مقبول عند الله كما في الآية ﴿١٧﴾ .

١٨٥

إنّ العاقل لا يكذب ، وإن كان فيه هواه

من الحكميّات التي تصدّقها العقول ، وأنها على وفق الحكمة العمليّة .
قالها الإمام الكاظم (عليه السلام) لهشام بن الحكم وهو أحد العقلاء المرضيين ،
رواها ابن شعبة طاب ثراه قال :

(١) ص : ١٤ .

(٢) المؤمنون : ٤٤ .

(٣) الأنعام : ٣٤ .

(٤) المائدة : ٩٩ .

(٥) الأعراف : ١٦٤ .

(٦) الشعراء : ١٢ - إلى قوله تعالى : - ﴿ فَآتَيْنَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ : ١٦ .

(٧) الأعراف : ١٦٤ .

«يا هشام إنَّ العاقل لا يكذب ، وإن كان فيه هواه»^(١) .

قد يرى الرجل الحصول على ما يريد بأن يسلك سُبُلًا لا يرتضيها العقل ومع ذلك يسلكها ويظفر بها يريد، وهل يكون عاقلاً ، أو ممن لا عقل له ؟

الجواب أن يقال : إذا انسدت الأبواب دون وصوله إلى الغرض وكل السبل ، ولا يستطيع استمرار الحياة إلَّا به بأن اضطرَّ إليه فلا إثم عليه بشرط أن لا يكون هو الذي سبَّب الاضطرار لنفسه ؛ قال تعالى: ﴿فمن اضطرَّ غير باغٍ ولا عادٍ فلا إثم عليه﴾^(٢) ، وإن كانت الضرورة قد جاءت عن اختياره فهو من المتعمد المختار ، وإن لزمه الاضطرار ، والامتناع ؛ إذ الامتناع بالاختيار لا ينافي الاختيار^(٣) ؛ أي أن الأثم ثابت عليه ، والآية تشير إليه .

وأما الذي لم تنسَدَّ عليه الأبواب ، ولا ضرورة تلزمه على الكذب سوى الأطماع وحبِّ الدنيا والظفر بها من طريق الكذب والحتمَل ؛ فإنه لا عقل له ؛ «إنَّ العاقل لا يكذب وإن كان فيه هواه» .

وما يمنع العاقل أن يكذب ، علمُه بقبح الكذب ، وأنه يسلب المروءة ، ويدلُّ على اللؤم ، وعدم الأصالة والكرم ؛ فإنَّ الكريم الأصيل يصدق ، ولا يكذب أبداً ، ولئن فَعَلَ فليعلم أنه دخيل لا أصيل ، ولئيم لا كريم .

وخذ لما ذكرناه من أحاديث وكلمات مثلاً:

في باقري : «إنَّ الله عزَّ وجلَّ جعل للشِّرِّ أقبالاً ، وجعل مفاتيح تلك الأقبال الشراب ، والكذب شرٌّ من الشراب» .

وأخر : «إنَّ الكذب خراب الإيمان» .

(١) التحف ٣٩١ ، البحار ٣٠٥/٧٨ .

(٢) البقرة : ١٧٣ .

(٣) مثل كلامي .

أصل وحكم الإمام الكاظم عليه السلام / ج ١ ٥٠٩

وصادقي : «إن الكَذَاب يهلك بالبيِّنات ، ومهلك أتباعه بالشبهات»^(١) .
وآخر : «قال عيسى بن مريم (عليه السلام) : من كثر كذبه ذهب بهأوه»^(٢) .

ومن الكلمات : الكَذَاب والميِّت سواء ؛ لأنَّ فضيلة الحي النطق ، فاذا لم يوتق بكلامه فقد بطلت حياته ، الكَذَاب بين مهانة الدنيا وعذاب الآخرة كما قال الله تعالى : ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾^(٣) حسب الكاذب بفعله شتاً، وقلبه خصماً^(٤) .

١٨٦

إنَّ العاقل اللبيب من ترك ما لا طاقة له به

من حكميات الإمام الكاظم (عليه السلام) رواها ابن شعبة الحرّاني في كلام له مع هشام بن الحكم قال :

«يا هشام إنَّ العاقل اللبيب من تَرَكَ ما لا طاقة له به.....»^(٥) .

أقول : ليس في أحكام الإسلام حكم خارج عن طاقة العباد ، إلا مسألة الجهاد الموضوع على القتل في سبيل الله، او الحرج ، أو أي عظيم لصون حوزة الإسلام ، وأحكام الله عزَّ وجلَّ ، ومن هنا قال الفقهاء في قاعدة «لا ضرر ولا

(١) أصول الكافي ٢/ ٣٣٩ . باب الكذب ، الحديث ٣ ، و ٤ ، و ٧ .

(٢) المصدر ص ٣٤١ ، الحديث ١٣ .

(٣) البقرة : ١٠ .

(٤) التمثيل والمحاضرة ٤٤٥ - ٤٤٦ .

(٥) التحف ٣٩٩ ، البحار ٣١٥/٧٨ .

ضرار في الإسلام»^(١) أن لا حكم ضرري مجعول في الشريعة ، واستثنوا منها الجهاد فإنه موضوع على الضرر تحكيمياً لقاعدة الأهمّ والمهم وهو حفظ الدين وأهله وأحكامه ، والمسألة محرّرة في كتاب الجهاد للأدلة المذكورة فيه ، وأنه على الرجال غير الأعرج وذوى العلل منهم على تفصيل في ذلك .

قوله (عليه السلام) : «إنّ العاقل اللبيب من ترك ما لا طاقة له به» يريد به الموضوعات العرفيّة كمن يستقرض ما لا يستطيع الوفاء به ، أو الوعد بما لا يستطيع العمل به ، أو الدخول فيما لا يمكن الخروج منه ، وامثال ذلك ، وقد جاء في الأمثال : (إن أردت أن تطاع فسل ما يستطيع)^(٢) .

نعم التكاليف الشرعيّة بناؤها على كلفه مستطاعة كالصلاة والصوم والحجّ وسائر الاحكام ، وقد جعل لبعضها البدل الاضطراري ، إن تعذّر على المكلف الاختياري وقد قال تعالى : ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾^(٣) .

وفي صادقي : «ما أمر العباد إلاّ دون سعتهم ، وكلّ شيء أمر الناس بأخذه فهم متّسعون له ، وما لا يتّسعون له فهو موضوع عنهم ولكنّ الناس لا خير فيهم»^(٤) .

بقي سؤال حول ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾^(٥) : هل يكلف الله فوق الطاقة ؟

الجواب : لا يكلف فوق الطاقة والآية تنظر الى العقوبات النازلة على الأمم السالفة لقتلهم أنبياء الله ، وفي هذه الأمة لقتلها لأهل البيت (عليهم

(١) الكافي ٢٩٤/٥ وفيه «على مؤمن» .

(٢) أمثال وحكم ٢٨٦/١ .

(٣) البقرة : ٢٨٦ .

(٤) تفسير الصافي ٢٣٧/١ .

(٥) البقرة : ٢٨٦ .

السلام)، وسمّهم ، وتشريدهم ، وهل قتلت الإمام الحسين بن علي (عليهما السلام) مع ولده وصحبه أمة غيرهم منهم بنو أمية ، وبنو العباس ، ومن سائر الناس؟؟؟

١٨٧

إنّ العاقل : الذي لا يشغل الحلال شكره

كلمة يقضي العقل بصحة معناها : لأنّ إضاعة الحق ليست من شأن العاقل ، فلا يشغله عن أداء الحق ما هو فيه . قالها الإمام الكاظم (عليه السلام) ، رواها الشيخ الكليني وصورتها :

«يا هشام إنّ العاقل : الذي لا يشغل الحلال شكره ، ولا يغلب الحرام صبره»^(١).

كلمتان يتميّز بهما العاقل عن غيره ، إنّ الناس في الحلال ، والحرام رجلان ، رجل يحلّل حلال الله ، وبحرم حرام الله ، ولا يبدّل حكماً من أحكام الله ، ولا يخبط فيها ، ولا يخلظ ، ولا يترك ما وجب فعله ، ولا يفعل ما وجب تركه ، وإذا جاء إليه أمران ، قام بمقتضاهما لا يجعل أحدهما مانعاً من المضي على الآخر ، وإذا لزمه شكر نعمة لا يلهو عنه بالتنعم بها ، كما لو أتاه الحرام لا يفقد صبره عن الكفّ عنه . وشأنه أبداً وضع الشيء مواضعه بلا زيادة ولا نقصان . فمن توفّرت فيه هذه الخصال فهو العاقل .

ورجل جاهل من الجهال ، وإنّ وسم بسئات جليلة جميلة ، وعدّه الناس من العقلاء والعلماء ، ولربّما قالوا لعديم العقل عاقلاً ولعديم العلم عالماً ، فإنّ

(١) أصول الكافي ١/١٦ ، التحف ٣٨٦ ، البحار ٧٨/٣٠٠.

القول لا يوجب عقلاً ، ولا علماً ، وإنما الحساب على الواجد دون الفاقد .
والأقوال قد تصيب وقد تخطي ، والحديث مقياس صحيح تظهر ظاهرته
في موضعه ، ومنه كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) لتعريف العاقل ، والجاهل ،
وكلّ ما جاء من حديث فمن آثار العقل .

قال السيد الرضي طاب ثراه :

وقيل له (عليه السلام) : صف لنا العاقل ، فقال : هو الذي يضع
الشيء مواضعه .

فقيل ، فصف لنا الجاهل ، قال قد قلت^(١) .

قال المعتزلي : هذا مثل الكلام الذي تنسبه العرب إلى الضَّبِّ . قالوا
اختصمت الضَّبُّ والشَّعْبُ إلى الضَّبِّ ، فقالت الضَّبُّ : يا أبا الحسل إني التقتُ
تمرة ، قال : طيباً جنيت ، قالت : وإن هذا اخذها مني ، قال : حطَّ نفسه أحرز ،
قالت : فإني لطمته : قال : كريم حمى حقيقته ، قالت : فاطمني ، قال : حرّاً
انتصر : قالت : اقض بيننا ، قال : قد فعلت^(٢) .

والمثل من وجه مقرب ، ومن وجوه مبعّد .

والغرض أن الجاهل هو من بخلافه لا يضع الشيء مواضعه . وقد ظهر
لك بالمقايسة ، فلا يفتقر إلى تعريف الجاهل ، وللسيد الرضي بيان فراجع^(٣) .

(١) النهج ٦٦/١٩ . الحكمة ٢٣٢ .

(٢) شرح النهج ٦٦/١٩ . وفي هامشه قال : الحسل : ولد الضَّبِّ .

(٣) شرح النهج ٦٦/١٩ .

١٨٨

إنَّ العقلاء تركوا فضول الدنيا فكيف بالذنوب

من حكميات الإمام الكاظم (عليه السلام) رواها الشيخ الكليني طاب ثراه في حديث له مع هشام بن الحكم قال :
«يا هشام إنَّ العقلاء تركوا فضول الدنيا ، فكيف بالذنوب ، وترك الدنيا من الفضل ، وترك الذنوب من الفرض»^(١) .

كما لا يعدل إتيان النفل بإتيان الفرض ، كذلك لا يساوي إتيان الفضل بترك فضول الدنيا بترك الذنوب الذي هو فرض ، والعقلاء يتركون فضول الدنيا فمن اليقين يتركون الذنوب : لأنَّ الذي يواظب على النفل ، وبالطريق الأولى يواظب على الفرض الشرعي ، والعقلي شرعاً وعقلاً والحائد عنها لا يبالي بإتيان كل شيء ، أو ترك كل شيء .

ومن التسويل الشيطاني كما رأي من بعض المواظبة على بعض النوافل والاستمرار عليها لأجل الاعتياد بها ، والتساهل بالفرائض وربما فات شيء منها ، وإلى ذلك ينظر أمير المؤمنين (عليه السلام) ويقول : «لا قرابة بالنوافل إذا أضرت بالفرائض»^(٢) . و«إذا أضرت النوافل بالفرائض فافرضوها»^(٣) .

قال ابن أبي الحديد في اللفظ الثاني : ولا ريب أن من استغرق الوقت بالنوافل حتى آن أوقات الفرائض لم يفعل الفرائض فيها ، وشغلها بالعبادة

(١) أصول الكافي ١/١٧ - ١٨ ، التحف ٣٨٧ .

(٢) النهج ١٨/١٥٨ ، الحكمة ٢٩ .

(٣) النهج ١٩/١٧٠ ، الحكمة ٢٨٥ .

النفليّة ، فقد أخطأ ؛ والواجب أن يرفض النافلة حيث يتضيق وقت الفريضة ، لا خلاف بين المسلمين في ذلك ، ويصلح أن يكون هذا مثلاً ظاهره ما ذكرنا وباطنه أمرٌ آخر^(١) .

وقال في شرح الأوّل :

هذا الكلام يمكن أن يحمل على حقيقته ، ويمكن أن يحمل على مجازه ، فإن حمل على حقيقته فقد ذهب إلى هذا المذهب كثير من الفقهاء ، وهو مذهب الإماميّة وهو أنّه لا يصحّ التنفّل ممّن عليه قضاء فريضة فاتته لا في الصلاة ولا في غيرها ، فأما الحجّ فمتفق عليه بين المسلمين أنّه لا يصحّ الابتداء بنفله ، وإذا نوى نيّة النفل - إلى آخر كلامه -^(٢) .

والعلويان يَحْتَمَن تقديم الفرض ، وترك الفضل عند التزام ، وإلا فالجمع بينهما أولى.

١٨٩

إنّ العقلاء زهدوا في الدنيا ، ورغبوا في الآخرة

كلمة تزهد ، وترغيب ، وجوهرة لا يزينها إلاّ الزاهدون في الدنيا الراغبون في الآخرة ، قالها الإمام الكاظم (عليه السلام) ، ورواها الشيخ الكليني (طاب ثراه) ، في كلام له قال :

(١) شرح النهج ١٩/١٧٠ .

(٢) شرح النهج ١٨/١٥٨ .

«يا هشام إنَّ العقلاء زهدوا في الدنيا ، ورغبوا في الآخرة ؛ لأنَّهم علموا أنَّ الدنيا طالبة مطلوبة ، والآخرة طالبة ومطلوبة...»^(١).
أقول :

تقدّم الحديث عند «الآخرة طالبة ومطلوبة» فاطلبه^(٢).
قوله (عليه السلام) : «إنَّ العقلاء زهدوا في الدنيا...» كلمتان لا تنفك أحدهما عن الأخرى إذ الزاهد عن الشيء لا يرغب فيه ، والرَّاعِب في الشيء لا يزهد عنه ، إلَّا أن يتعدّد زمان الزهد وزمان الرغبة فيمكن أن يزهد أيّام الشباب ، ويرغب في الشيخوخة أو بالعكس بالقياس إلى الدنيا ، أو الآخرة . ولكن إذا كان الزهد في الدنيا عن تعقل وبصيرة ، وكذا الرغبة في الآخرة كانت عن التعقل والبصيرة فلا يعود عن ذلك ، وكلام الإمام ناظر إليه دون من توارده الحالتان في الشباب والشيخوخة ، وإن كان ذلك أيضاً ثابتاً ويحتمل شمول الكلام للقسمين المذكورين.

وكيف كان ، فقد جاء في الزهد ما لا يحصى من حديث وكلمات ، وفي القرآن الكريم آية تجمع الزهد كلّهُ كما قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : «الزهد كلّهُ بين كلمتين من القرآن قال الله سبحانه : ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾^(٣) ومن لم يأس على الماضي ولم يفرح بالآتي فقد أخذَ الزَّهْدَ بطرفيه^(٤)».

والكلام العلوي حديث وقرآن . وأمّا من الكلمات فمنها ما يلي :

(١) أصول الكافي ١٨/١ .

(٢) الهمزة مع الألف .

(٣) الحديد : ٢٣ .

(٤) النهج ٨٧/٢٠ ، الحكمة ٤٤٨ .

ليس الزهد أن لا تملك شيئاً ، وإنما الزهد أن لا يملكك شيء^(١) . الزهد ثروة.

بيان : لو لم نجد للكلمة الأولى مصدراً إلا الآية الآنفة الذكر لكفى . والثانية حكمة علوية قال (عليه السلام) : «العجز آفة ، والصبر شجاعة ، والزهد ثروة ، والورع جنة ، ونعم القرين الرضا»^(٢) . الزهد ترك كل شيء يشغلك^(٣) الزهد حبّ الله وإيثاره على كل شيء.

١٩٠

إنّ عليّاً (عليه السلام) باب من أبواب الجنة فمن دخل بابه كان مؤمناً

من كلمات الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) رواها الشيخ الكليني (طاب تراه) قال :

يونس عن موسى بن بكير عن أبي إبراهيم (عليه السلام) قال : إنّ عليّاً (عليه السلام) باب من أبواب الجنة فمن دخل بابه كان مؤمناً ، ومن خرج من بابه كان كافراً ، ومن لم يدخل فيه ولم يخرج منه كان في الطبقة التي لله فيهم المشيئة^(٤) .

أقول :

(١) مشهور.

(٢) هي في النهج ١٨ / ٩٠ ، الحكمة ٤ .

(٣) سرح النهج ١٨ / ٩١ .

(٤) أصول الكافي ٢ / ٣٨٩ .

وبسند آخر رواه أيضاً إلا أن فيه «إن علياً (عليه السلام) باب من أبواب الهدى فمن دخل من باب علي كان مؤمناً...»^(١).

والمراد أن الدخول في هُدهاه يوجب دخول الجنة، والامتناع عنه امتناع عن دخولها، وقد جاء أنه قسيم الجنة والنار، وأنها طوع وإرادته، فضلاً عن أنه باب من أبواب الجنة، والأحاديث في ذلك كثيرة.

منها ما رواه ابن شاذان في المنقبة الثامنة والتسعين بإسناده إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) إنه كان جالساً في الرحبة^(٢)، والناس حوله، فقام إليه رجل، فقال له: يا أمير المؤمنين إنك بالمكان الذي أنزلك الله فيه، وأبوك معدّب بالنار! فقال له: «مه فضّ الله فاك والذي بعث محمداً بالحق نبياً، لو شفع أبي في كلّ مذنبٍ على وجه الأرض لشفعه الله فيهم، أأبي معدّب في النار، وأنا ابنه قسيم الجنة والنار؟...»^(٣).

ومن طريق الجمهور فيما رواه عنتره عنه صلى الله عليه وآله أنه قال: أنت قسيم الجنة والنار في يوم القيامة، تقول للنار: هذا لي وهذا لك - وقال الأميني بعد هذا الحديث: - وهذا اللفظ رواه ابن حجر في الصواعق ص ٧٥. ويُعرب عن شهرة هذا الحديث النبوي بين الصحابة احتجاج أمير المؤمنين (عليه السلام) به يوم الشورى بقوله: أنشدكم بالله هل فيكم أحد قال له...^(٤).

(١) المصدر ٣٨٨.

(٢) القضاء الواسع من المسجد وغيره.

(٣) مائة منقبة ١٦١ وفي هامشه نبذة مصادر.

(٤) الغدير ٢٩٩/٣. إحقاق الحق ١٦٠/٤ ...

١٩١

إنّ الفقه مفتاح البصيرة ، وتمام العبادة ، والسبب إلى المنازل، والرتب الجليلة...

للفقه خصال أشار إليها الإمام الكاظم (عليه السلام) رواها ابن شعبة في كلام له (عليه السلام) قال :

«تفقهوا في دين الله ، فإنّ الفقه مفتاح البصيرة ، وتمام العبادة ، والسبب إلى المنازل الرفيعة ، والرتب الجليلة في الدين والدنيا . وفضل الفقيه على العابد كفضل الشمس على الكواكب ، ومن لم يتفقه في دينه لم يرض الله له عملاً»^(١١) .
أقول :

من فرائض الإسلام التفقه في الدين ، والمراد به : معرفة أصول الدين وفروعه المستخرجة من الكتاب وحديث أهل البيت (عليهم السلام) اجتهاداً ، أو تقليداً هذا في الفروع ، وأمّا العقائد وهي أصول الدين فالواجب عقلاً الاعتقاد بها من طريق العقل نعم في الكتاب والسنة من الأدلة الفطرية والعقلية ما تدعن لها القلوب وتصدقها العقول وليست إلا إرشاداً إليها ، فالأخذ بها إنما هو من باب الأخذ بالأوامر الإرشادية ، لا شرعية حتى يقال إنّ ذلك غير معقول .

من القرآن الكريم في التفقه آية النفر : ﴿فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين...﴾^(١٢) .

(١) التحف ٤١٠ ، البحار ١٠/٢٤٧ ، البحار ٧٨/٣٢١ .

(٢) التوبة : ١٢٢ .

ومن الأحاديث ما يلي :

في نبوي : «إذا أراد الله بعبد خيراً ففقهه في الدين ، وألهمه رشده»^(١) .
وعلوي : «تعلموا القرآن فإنه أحسن الحديث ، وتفقهوا فيه فإنه ربيع القلوب»^(٢) .

وأخر : «إن أفضل الفقه الورع في دين الله ، والعمل بطاعته ، فعليك بالتقوى...»^(٣) .

وأخر : «الفقيه كلّ الفقيه من لم يقنط الناس من رحمة الله ، ولم يؤمنهم من مكر الله...»^(٤) .

وباقري : «...إنّ الفقيه حقّ الفقيه : الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة المتمسك بسنة نبيه»^(٥) .

وصادقي : «أنتم أفقه الناس إذا عرفتم معاني كلامنا إن الكلمة لتتصرف على وجوه...»^(٦) .

وأخر : «تفقهوا في الدين ، فإنه من لم يتفقه منكم في الدين فهو أعرابي...»^(٧) .
وأخر : «لو وددت أن أصحابي ضربت رؤوسهم بالسياط حتى يتفقهوا»^(٨) .

(١) كنز العمال ١٠/١٣٧ ، الرقم ٢٨٦٩٠ .

(٢) النهج ٧/٢٢١ ، الخطبة ١٠٩ .

(٣) الدعائم ١٥٧ .

(٤) النهج ١٨/٢٤٣ ، الحكمة ٨٧ .

(٥) أصول الكافي ١/٧٠ .

(٦) الوسائل ١٨/٨٤ .

(٧) أصول الكافي ١/٣٦ .

(٨) أصول الكافي ١/٣٦ .

١٩٢

إِنَّ كُلَّ النَّاسِ يَبْصُرُ النُّجُومَ وَلَكِنْ لَا يَهْتَدِي بِهَا إِلَّا مَنْ يَعْرِفُ مَجَارِيَهَا وَمَنَازِلَهَا

كلمة تمثّل الحكمة بالنجوم للإمام الكاظم (عليه السلام) في بيان وصف الحصول على العلم بها قالها لهشام بن الحكم :
«يا هشام إنّ كلّ الناس يبصر النجوم ، ولكن لا يهتدي بها إلا من يعرف مجاريها ومنازلها ، وكذلك انتم تدرسون الحكمة ولكن لا يهتدي بها منكم إلا من عمل بها»^(١) .

تقدّمت الكلمات لضرب المثل للحكمة بالنجوم عند «أنتم تدرسون الحكمة ولكن لا يهتدي بها منكم إلا من عمل بها»^(٢) .

لا يريد (عليه السلام) بالحكمة التي شبهها بالنجوم في الإضاءة والاهتداء العلم بالحكمة اليونانية ؛ ولا الحكمة المصطلحة بالفلسفة من المعرفة بحقائق الأشياء على قدر الطاقة البشرية ؛ لأنّها قد وضع صرحها على القواعد العقلية الصرفة التي لا توافق الشريعة أحياناً . ولا العلم بالقواعد الكلامية ، وإن كان هشام نفسه من المتكلمين المرضيين المقبولين عند الأئمة (عليهم السلام) ، ولا غيرها ممّا لا تعرف إلا بالعقليات غير المؤيدة بالوحي الساهوي ، ولا ننكر الأخذ بها عند الموافقة للشرع .

بل المراد بالحكمة المذكورة في الروايات الكثيرة هي الحكمة القرآنية التي

(١) التحف ٣٩٢ .

(٢) كلمة «أنتم» .

من أوتيتها فقد أوتي خيراً كثيراً وهي المعرفة بالله ، وبالأنبياء وأوصيائهم (عليهم السلام) من المؤمنين بالكتب المنزلة المتعبدين لله المتقادين العارفين الخاشعين المتمسكين بحجرة أهل البيت (عليهم السلام) . وقد وصفهم أمير المؤمنين (عليه السلام) «عند تلاوته : ﴿يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رَجَالٌ لَا تُلْهِيمُهُمْ تِجَارَةً وَلَا بَيْعًا عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾^(١) : إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جَعَلَ الذِّكْرَ جَلَاءً لِلْقُلُوبِ تَسْمَعُ بِهِ بَعْدَ الْوَقْرَةِ ، وَتَبْصُرُ بِهِ بَعْدَ الْعَشْوَةِ وَتَنْقَادُ بِهِ بَعْدَ الْمَعَانِدَةِ . وَمَا بَرَحَ اللَّهُ - عَزَّتْ آلَاؤُهُ فِي الْبَرْهَةِ بَعْدَ الْبَرْهَةِ ، وَفِي أَوْسَانِ الْفَتَرَاتِ - عِبَادٌ نَاجَاهُمْ فِي فِكْرِهِمْ ، وَكَلَّمَهُمْ فِي ذَاتِ عَقُولِهِمْ...»^(٢) .

(١) النور : ٣٦ - ٣٧ .

(٢) النهج ١١/١٧٦ ، الخطبة ٢١٧ .

١٩٣

إن كل نعمة عجزت عن شكرها بمنزلة سيئة تؤاخذ بها

العجز: الكسل والتثاقل ، فمن تثاقل عن شكر النعمة أساء بها ، ويؤخذ بها صنع ، أو يتوب.

جاءت الكلمة في كلام للإمام الكاظم (عليه السلام) مع هشام بن الحكم :

« يا هشام إن كل نعمة عجزت عن شكرها بمنزلة سيئة تؤاخذ بها »^(١).
أقول :

كما تقدّم إن العجز هنا الكسل المسبّب له ، لا أنه سلب القدرة ، لأنّ العاجز ليس عليه حرج ولا تكليف حتى يؤاخذ بتركه ، نعم من عجز نفسه حتى سلب منه الاقتدار ، فلا خطاب ، ولا تكليف في حالة العجز لكونه تكليف ما لا يطاق وهو محال ، ولكن لا يمنع عجزه من العقاب على التعجيز ، دون العجز لأنّ الأوّل اختيار والثاني اضطرار وهذا معنى قول المتكلمين : (الامتناع بالاختيار لا ينافي الاختيار) يريدون به العقاب ، لا الخطاب ، لأنّه قبيح في حال العجز تكليفه.

ولعلّ قوله (عليه السلام) : « بمنزلة سيئة تؤاخذ بها » يريد أن ذلك ليس بذنب ، لأنّه عاجز ولكنه كأنه ذنب يصحّ عقاب راكمه ملاكاً لا خطاباً ؛ لنفس ما ذكرناه من الوجه . وكيف ما كان ، نشير إلى بعض كلمات في الشكر.

(١) التحف ٣٩٤ ، البحار ٧٨ / ٣٠٩.

شكر النعمة واجب بالكتاب والسنة والعقل ، لو رمنا ذكر ما جاء فيها
لخرجنا عن الموضوع وإليك من الكلمات في الشكر نعمة ﴿ لمن أراد أن يذكر
أو أراد شكوراً ﴾^(١).

الشكر في الكتاب العزيز في اثنين وثمانين موضعاً منها قوله تعالى :
﴿ فكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً واشكروا نعمت الله إن كنتم إياه
تعبدون ﴾^(٢).

الشكر في السنة :

في صادقي : « شكر النعمة اجتناب المحارم ، وقام الشكر قول الرجل :
الحمد لله رب العالمين »^(٣).

العقل قاضٍ بوجوب شكر المنعم على إنعامه ، لأنه مُحسِّنٌ لا يبدُّ من جزاء
الإحسان وهو شكره.

ومن الكلمات :

(كلٌّ من أولي نعمة فهو عبدها حتى يعتقه شكرها ، ومن شكرها فقد
استوجب مزيدها)^(٤).

(١) الفرقان : ٦٢.

(٢) النحل : ١١٤.

(٣) أصول الكافي ٩٥/٢ ، البحار ٤٠/٧١.

(٤) التمثيل والمحاضرة ٤١٦.

وفي جوادى : «نعمة لا تشكر كسيئة لا تغفر» البحار ٥٣/٧١.

١٩٤

إنَّ اللهَ ثَقَّتِي وَهُوَ حَسْبِي

روى القطب الراوندي من معجزات الإمام الكاظم (عليه السلام) عن أحمد بن عمر الحلال قال :

سمعت الأخرس يذكر موسى بن جعفر (عليه السلام) بسوء ، فاشتريت سكيناً ، وقلت في نفسي : والله لأقتلنه إذا خرج من المسجد ، فأقمت على ذلك ، وجلست ، فما شعرت إلا برقعة أبي الحسن (عليه السلام) قد طلعت عليّ ، فيها : « بحقي عليك لما كفتت عن الأخرس ؛ فإنَّ اللهَ ثَقَّتِي وَهُوَ حَسْبِي » [فما بقي أياماً إلا ومات]^(١).

هل نستطيع أن نعرف الإمام المعصوم المعرفة الكافية إلا بعد المعرفة بالله نفسه ، ثم الرسول ؟ وإلا فنحن ضالّون كما دلّ الدعاء عليه : « اللهم عرّفني نَفْسَكَ ، فإنَّك إن لم تعرّفني نَفْسَكَ لم أعرف رسولك ، اللهم عرّفني رسولك ، فإنَّك إن لم تعرّفني رسولك لم أعرف حجّتك ، اللهم عرّفني حجّتك ، فإنَّك إن لم تعرّفني حجّتك ضللت عن ديني »^(٢).

وحجّة الله هو الإمام المعصوم (عليه السلام) ، فمن وهب له المعرفة به عرف معنى « إنَّ اللهَ ثَقَّتِي وَهُوَ حَسْبِي » الذي قاله الإمام الكاظم (عليه السلام) عند من أراه ، أو ذكره بسوء كيف يكون الله تعالى حسيبه وثقته ، وقد جاءت

(١) الخرائج والجرائح ٢/٦٥١ - ٦٥٢ ، البحار ٤٨/٥٩ .

(٢) عن المهدي (عج) جمال الأسبوع ٥٢٢ ، البحار ٥٣/١٨٧ ، ٩٥/٣٢٧ .

الفقرة في بعض الأدعية ... بمضمونها ومنها دعاء الصادق (عليه السلام) :
« اللهم أنت رجائي في كل كربة . وأنت ثقتي في كل شدة ، وأنت لي في كل أمر
نزل بي ثقة وعدة »^(١).

أحمد بن عمر الحلال له كتاب ، ثقة ، عدّه الشيخ من أصحاب الرضا
(عليه السلام) ... والبرقي من أصحاب الكاظم (عليه السلام) ...^(٢)
وأما الأخرس فإنه بمقتضى الحديث ضالّ ، أراد أحمد بن عمر الحلال
قتله ، فمنعه (عليه السلام) رعاية الظروف.

١٩٥

إن الله جلّ عن صفة الواصفين ، ونعت الناعتين ، وتوهم المتوهمين

من كلمات الإمام الكاظم (عليه السلام) المختارة ، جاءت في ضمن كلام
له ، رواه الشيخ الصدوق ، قال :

حدّثنا علي بن أحمد بن محمد بن عمران الدقّان رحمه الله ، قال : حدّثنا
محمد بن أبي عبدالله الكوفي ، قال : حدّثنا محمد بن إساعيل البرمكي عن علي
ابن العباس عن الحسن بن راشد عن يعقوب بن جعفر الجعفري عن أبي إبراهيم
موسى بن جعفر (عليهما السلام) قال : ذكر عنده قوم يزعمون أن الله تبارك
وتعالى ينزل إلى السماء الدنيا ، فقال : إن الله تبارك وتعالى لا ينزل ، ولا يحتاج إلى
أن ينزل ؛ إنما منظره في القرب والبعد سواء^(٣) ، لم يبعد منه قريب ، ولم يقرب

(١) أصول الكافي ٥٩٣/٢ ، باب دعوات موجزة ... الحديث ٣٢.

(٢) معجم رجال الحديث ١٧٩/٢.

(٣) انظر حرف «إنها».

منه بعيد^(١١) ، ولم يحتج ، بل يُحتاج إليه ، وهو ذو الطول ، لا إله إلا هو العزيز الحكيم.

أما قول الواصفين إنه تبارك وتعالى ينزل ؛ فإنها يقول ذلك من ينسبه إلى نقص وزيادة ، وكل متحرك محتاج إلى من يحركه ، أو يتحرك به^(١٢) فَظَنَّ بالله الظُّنُونُ فهلك^(١٣) ، فاحذروا في صفاته من أن تقفوا له على حدِّ تحدّوه بنقص أو زيادة أو تحرك أو زوال أو نهوض أو قعود ؛ فإن الله جلّ عن صفة الواصفين ، ونعت الناعتين ، وتوهم المتوهمين ، ﴿ وتوكل على العزيز الرحيم ﴾ * الذي يراك حين تقوم ﴿ وتقلبك في الساجدين ﴾^(١٤).

بيان :

تقال الصفة في المدح والقدح، والنعت خاص بالمدح . والتوهم دون التعقل، وشأن الوهم الجزئيات ، والعقل الكلّيات.

يريد (عليه السلام) إبطال جري الحركة والسكون ، والصعود والقعود، والقرب والبعد ، والزيادة والنقص ، وسائر صفات المخلوقين عليه فلا يكون الربّ تعالى معرضاً لشيءٍ منها ؛ وذلك للزوم الحاجة والتحيز والفقر المنفيّة عنه ؛ لأنه تعالى هو الغنيّ بالذات ، والقدرة كلّه ، وكلّ كمال وجمال وجلال له يدلّ على منع إطلاق صفات المخلوقين عليه عزّ وجلّ ، فمن وصفه أو نعته بغير ما نعت به نفسه ، أو توهمه ، فإنه قال لمخلوق مثله وتعالى الله عمّا قال ، ولم يكن موحداً مخلصاً ، إذ « وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه »^(١٥).

(١) القرب والبعد المعنوي ، وللمعلق بيان ، هامش التوحيد ١٨٣.

(٢) التحرك المباشر أو واسطة أو وسائط.

(٣) حرف الظاء مع النون.

(٤) الشعراء ٢١٧ - ٢١٩ ، التوحيد ١٨٣.

(٥) النهج ٧٢/١ ، الخطبة ١ ، وها شرح يطول المقام به فراجع المصدر لابن أبي الحديد.

١٩٦

إن الله حرّم الجنّة على كلّ فاحش بذّي قليل الحياء

كلمة تحذير عن الفحش ، قالها الإمام الكاظم (عليه السلام) في كلام له لهشام بن الحكم رواه ابن شعبة قال :

« ياهشام المتكلمون ثلاثة : فرابح وسالم وشاجب ، فأما الرابح فالذاكر لله . وأما السالم فالساكت . وأما الشاجب فالذي يخوض في الباطل : إن الله حرّم الجنّة على كلّ فاحش بذّي قليل الحياء لا يبالي ما قال وما قيل فيه ... »^(١)

البذّي : المعتاد بالفحش يقال : فلان بذّي اللسان أو مطلق الفاحش في القول . قال ابن الأثير : فيه « البذاء من الجفاء » البذاء بالمدّ : الفحش في القول.. ومنه حديث فاطمة بنت قيس « بذت على أحمائها » وكان في لسانها بعض البذاء^(٢) قال الشيخ الطريحي : في الحديث : « إن الله حرّم الجنّة على كلّ فاحش بذّي » البذّي - على فعيل - السفه من قولهم : بذأ على القوم يبذ وبذاء بالفتح والمدّ : سفه عليهم ، وأفحش في منطقهم ، وإن كان صادقاً فيه ولعلّها في الحديث واحد مفسّر بالآخر . قيل : وربّما كان التحريم زماناً طويلاً لا تحريماً مؤبداً ، والمراد بالجنّة جنّة خاصّة معدّة لغير الفحاش ، وإلا فظاهره مشكل^(٣) .

(١) التحف ٣٩٤ .

(٢) النهاية ١١١/١ - بذأ - .

(٣) مجمع البحرين - بذأ - ولنا إلى الحديث عودة عند «رابح وسالم وشاجب» حرف الرءاء فراجع مفرداته.

أقول :

يريد بالحديث حديثنا ، ولا إشكال فيه حيث أن الفاحش البيدي إذا مات وهذه حالته لا يدخل الجنة من غير توبة بل ربّما سبّب البذاء سلب الإيمان المحرّم من دخولها ، وفي القيل لعله إشارة إلى التفصيل المذكور.

١٩٧

إن الله خلق النبيين على النبوة فلا يكونون إلا أنبياء

من علم الله المكنون القضاء المحتوم ، وغير المحتوم ذكرهما الإمام الكاظم (عليه السلام) في كلام له رواه الشيخ الكليني (طاب ثراه) بإسناده إليه (عليه السلام) قال :

« إن الله خلق النبيين على النبوة ، فلا يكونون إلا أنبياء ، وخلق المؤمنين على الإيمان ، فلا يكونون إلا مؤمنين . وأعار قوماً إيماناً ، فإن شاء تمّمه لهم ، وإن شاء سلبهم إياه . قال : وفيهم جرت : ﴿ فمستقرّ ومستودع ﴾ وقال لي : إن فلاناً كان مستودعاً إيمانه . فلما كذب علينا سلب إيمانه ذلك »^(١).

أقول :

المراد بـ « فلاناً » أبو الخطاب ؛ ويشهد له حديثه الآخر الذي رواه^(٢) بإسناده إلى عيسى شلقان قال :

(١) أصول الكافي ٤١٨/٢ باب المعارين ، الحديث ٤ . الأنعام : ٩٨ . «وقال لي» القائل هو راوي الحديث.

(٢) أي الكليني.

« كنت قاعداً فمرّ أبو الحسن موسى (عليه السلام) ومعه بهمة^(١)، قال: قلت : يا غلام ما ترى ما يصنع أبوك؟ يأمرنا بالشيء، ثم ينهانا عنه، أمرنا أن نتولّى أبا الخطاب، ثم أمرنا أن نلعنه ونتبرّء منه؟ فقال أبو الحسن (عليه السلام) وهو غلام: إن الله خلق خلقاً للإيمان لا زوال له، وخلق خلقاً للكفر لا زوال له. وخلق خلقاً بين ذلك أعاره الإيمان يسمّون المعارين، إذا شاء سلبهم. وكان أبو الخطاب ممن أعير الإيمان.

قال: فدخلت على أبي عبدالله (عليه السلام) فأخبرته ما قلت لأبي الحسن (عليه السلام)، وما قال لي، فقال أبو عبدالله (عليه السلام): إنّه نبعة نبوة^(٢)».

بيان:

قد سبقت الإشارة الى بعض هذه الأقسام عند « أكثر من أن تقول: اللهم لا تجعلني من المعارين^(٣)».

سؤال: مامعنى خلق خلقٍ للإيمان غير الزائل، وللکفر غير الزائل، وبين ذلك؟ أليس هو من الجبر؟

والجواب: إن المراد بذلك الإقدار الموهوب لهؤلاء الأصناف لا إجبارهم على الإيمان، أو الكفر، وإنّا بعد إقدار الله لهم إما يختارون الكفر أو الإيمان والله يعلم ماذا يختارون والعلم ليس علّة لهذا، ولا ذاك، فإدامة الإيمان كنفسه توفيق، وآخر خذلان، وأبو الخطاب من المخدولين الملعونين.

(١) ولد الضأن ذكراً، أو أنثى.

(٢) من نبعت العين إذا ظهر الماء وسال.

(٣) حرف الهمزة مع الكاف.

١٩٨

إنَّ الله عزَّ وجلَّ خلق بيتاً من نور ، جعل قوائمه أربعة أركان أربعة أسماء

مروي عن الإمام الكاظم (عليه السلام) رواه النعماني بإسناده إلى زياد القندي قال : سمعت أبا إبراهيم موسى بن جعفر بن محمد (عليهم السلام) يقول :
إنَّ الله عزَّ وجلَّ خلق بيتاً من نور ، جعل قوائمه أربعة أركان أربعة أسماء :
« تبارك ، وسبحان ، والحمد ، والله » ثم خَلَقَ أربعة من أربعة ، ومن أربعة أربعة .
ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا ﴾^(١) .

أقول : يماثله في الإبهام والرموز الصحيح الصادقي الذي رواه الصدوق
قال : « إنَّ الله تبارك وتعالى خلق اسماً بالحروف ... غير منعوت^(٢) ، وباللفظ
غير منطوق ، وبالشخص غير مجسّد ، وبالتشبيه غير موصوف ، وباللون غير
مصبوغ ، منفيّ عنه الأقطار ، مبعده عنه الحدود ، محبوب عنه حس كل متوهم ،
مستتر غير مستور . فجعله كلمة تامة على أربعة أجزاء معاً ليس منها واحد
قبل الآخر ، فأظهر منها ثلاثة أسماء لفاقة الخلق إليها وحجب
واحداً منها وهو الأسم المكنون المخزون بهذه الأسماء الثلاثة
التي أظهرت . فالظاهر هو الله تبارك وتعالى^(٣) .
وسخر سبحانه لكل اسم من هذه أربعة أركان فذلك اثنا عشر ركناً ، ثم خَلَقَ
لكل ركن منها ثلاثين اسماً فعلاً منسوباً إليها فهو الرحمن الرحيم ...^(٤) .

(١) التوبة : ٣٦ غيبة النعماني ٥٢ ، البحار ٣٦ / ٤١٠ .

(٢) في نسخة الوافي وغيره «غير منصوت» .

(٣) في نسخة : «فالظاهر هو الله ، وتبارك ، وسبحان» هامش التوحيد ١٩١ .

(٤) التوحيد ١٩٠ - ١٩١ ، الاسم الاعظم ٥٥ ، ٥٦ .

بيان :

لولا إطالة الحديث لجئنا عن آخره وعلّقنا عليه . فلنعد إلى تعليق ما كتبه الشيخ المجلسي طاب ثراه حول حديث الإمام الكاظم (عليه السلام) الجاري قال :

هذا الخبر شبيه بما مرّ في كتاب التوحيد^(١) ومضارع له في الإشكال و الإعضال ، وكان المناسب ذكره هناك ... وهو من الرموز والمتشابهات التي لا يعلمها إلا الله والراسخون في العلم ، ويمكن أن يقال على وجه الاحتمال : إن أسماؤه تعالى منها ما يدلّ على الذات . ومنها ما يدلّ على صفات الذات . ومنها ما يدلّ على التنزيه . ومنها ما يدلّ على صفات الفعل ؛ ف (الله) يدلّ على الذات ، و (الحمد) على ما يستحق عليه الحمد من الصفات الكمالية الذاتية ، و (سبحان) على الصفات التنزيهية ، و (تبارك) لكونه من البركة والنماء على صفات الفعل ، أو صفات الذات لكونه من البروك والثبات ، و (الحمد) على صفات الفعل لكونه على النعم الاختيارية.

ويتشعب منها أربعة ؛ لأنه يتشعب من اسم الذات ما يدلّ على توحيده وعدم التكرّر فيه ، ولذا تنبّه به في سورة التوحيد بعد ذكر الأحد.

وأما صفات الذات فيتشعب أولاً منها القدير ، ولما كانت القدرة الكاملة تستلزم العلم الكامل تشعب منه العليم ، وسائر صفات الذات ترجع إليهما عند التحقيق ، ويحتمل العكس أيضاً بأن يقال : يتشعب القدرة من العلم كما لا يخفى على المتأمل.

وأما ما يدلّ على التنزيه فيتشعب منها أولاً السبوح الدالّ على تنزيه

(١) البحار ٤/ ١٦٦ - ١٦٧ ، وما ذكرنا ورويناه من الشيخ الصدوق من كتاب التوحيد ١٩٠.

الذات ، ثم القدوس الدال على تنزيه الصفات.
وأما صفات الفعل فيتشعب منها أولاً الخالق ، ولما كان الخلق مستلزماً للرزق أو التربية تشعب منه ثانياً الرازق أو الرب ، ولما كانت تلك الصفات الكمالية دعت إلى بعثة الأنبياء ، ونصب الحجج (عليهم السلام).
فبيت النور الذي هو بيت الإمامة كما بين في آية النور مبنية على تلك القوائم ، أو أنه تعالى لما حلّاهم بصفاته وجعلهم مظهر آيات جلاله ، وعبر عنهم بأسمائه وكنياته فهم متخلفون بأخلاق الرحمن ، وبيت نورهم وكناهم مبني على تلك الأركان ، وبسط القول يفضي إلى ما لا تقبله العقول والأذهان ، ولا يجري في تحريره الأرقام بالبنان^(١).

وقد علق العلامة المجلسي على الحديث الصادقي الآنف الذكر أيضاً بما يجدر إليه النظر ، وإنما ذكرناه مثالا لإيهام الحديث الجاري وأنه كما قال صاحب تفسير الميزان من غرر الروايات وأوردنا كلامه في كتابنا الاسم الأعظم^(٢) لا بد لمن أراد فهم الأسماء الحسنی المعرفة الكافية.

(١) البحار ٣٦/٤١٠ - ٤١١ .

(٢) الاسم الأعظم أو معارف البسملة والحمدلة ٥٦ - ٥٧ ، وفيه من بحوث شريفة.

إنَّ الله عزَّ وجلَّ لم يحرم الخمر لاسمها ولكنه حرّمها لعاقبتها

قال الشيخ الكليني : محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن الحسن بن علي بن يقطين عن أخيه الحسين بن علي بن يقطين عن أبيه علي بن يقطين عن أبي الحسن الماضي (عليه السلام) قال : إنَّ الله عزَّ وجلَّ لم يحرم الخمر لاسمها ولكنه حرّمها لعاقبتها ، فما كان عاقبته عاقبة الخمر فهو خمر^{١١} .

آخر الشيء عاقبته وهي أحد مصادر « عَقَبَ » الستة^{١٢} . يريد (عليه السلام) : آخر كل شيء إذا كان كآخر الخمر وهو إسكاره فهو خمر محرّم ونجس ، ويثبت له ما ثبت للخمر .

إنها الإثم المعبر عنها به في القرآن الكريم ، وسبق التكلّم عنها عند « أمّا الإثم فإنه الخمر بعينها »^{١٣} .

قد شدّد الأمر في الخمر في الشرائع السماوية كلها ففي نصوص منها الصادقي : « ما بعث الله عزَّ وجلَّ نبياً قطّ إلّا وفي علم الله عزَّ وجلَّ أنّه إذا أكمل له دينه كان فيه تحريم الخمر ، ولم تزل الخمر حراماً ... »^{١٤} .

وفي صحيح باقري : « لعن رسول الله (صلى الله عليه وآله) في الخمر عشرة : غارسها ، وحارسها ، وعاصرها ، وشاربها ، وساقبها ، وحاملها ، والمحمولة

(١) الكافي ٤١٢/٦ .

(٢) لسان العرب ٦١١/١ - عقب - .

(٣) حرف (أمّا) .

(٤) الكافي ٣٩٥/٦ .

إليه ، وبإيعها ، ومشتريها ، وأكل ثمنها » .
 أظهر مظاهر الإعانة على الإثم أكثر هؤلاء ، وإعانة الإثم إثم ، على أن
 اللعنة لا تسوغ لغير الآثم .
 إن الإسلام لم يعتبر الخمر مالاً وملكاً فللكل إراقتها ، وقد يقال بحق
 الإختصاص لصاحبها المرید تخليلها .

ولم يجعل الله تعالى في الخمر شفاءً ؛ ففي صحيح عمر بن أذينة قال :
 كتبت إلى أبي عبدالله عليه أسأله عن الرجل يبعث له الدواء من ریح البواسیر ،
 فيشر به بقدر أسكرجة من نبيذ صلب ليس يريد به اللذة وإنما يريد به الدواء؟
 فقال : لا ، ولا جرعة ثم قال : إن الله عز وجل لم يجعل في شيء مما حرم شفاءً
 ولا دواءً^(١)؛ ومثله قصة دخول أم خالد عليه (عليه السلام) وسؤالها شرب النبيذ لعلاج
 قرقرة بطنها ، ومزاحه معها وقوله بعد إلقاء المسؤولية عليه : « لا والله ، لا آذن لك
 في قطرة منه فإنها تدمين إذا بلغت نفسك ها هنا ... يقولها ثلاثاً أفهمت؟ قالت:
 نعم ، ثم قال أبو عبدالله (عليه السلام) : ما يبيل الميل ينجس حُباً من ماء ... »^(٢) .

(١) الخصال ٤٤٤/٢ - ٤٤٥ ، باب العشرة ، الحديث ٤١ .

(٢) الكافي ٤١٣/٦ ، باب من اضطر الى الخمر...

(٣) المصدر .

أقول : في المثل : «هي الخمر تكني الطلاء» ، يضرب للأمر ظاهره حسن وباطنه على خلاف
 ذلك مجمع الأمثال ٤٠١/٢ .

٢٠٠

إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيْسَ يَغْضَبُ لَشَيْءٍ كَغَضْبِهِ لِلنِّسَاءِ وَالصَّبِيَّانِ

كلمة عطف وحنان ، ضربت للنساء ، والصبيان ، قالها الإمام الكاظم (عليه السلام) ، ورواها الشيخ الكليني (طاب ثراه) قال :

عَدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحَكَمِ عَنْ كَلِيبِ الصِّدَاوِيِّ قَالَ : قَالَ لِي أَبُو الْحَسَنِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) : إِذَا وَعَدْتُمْ الصَّبِيَّانِ ففُوا لَهُمْ : فَإِنَّهُمْ يَرُونَ أَنَّكُمْ الَّذِينَ تَرْزُقُونَهُمْ : إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيْسَ يَغْضَبُ لَشَيْءٍ كَغَضْبِهِ لِلنِّسَاءِ وَالصَّبِيَّانِ^(١).

سبق التكلّم عن « إذا وعدتم الصبيان ففوا لهم »^(٢) وهنا الكلام على الكلمة الثانية : « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيْسَ يَغْضَبُ لَشَيْءٍ كَغَضْبِهِ لِلنِّسَاءِ ، وَالصَّبِيَّانِ » وهي من بليغ الكلمات التي تشيّد على صرحها المعاني ، وتبرزها للعيون حتى تراها عياناً لا تفتقر معه إلى البيان.

فيقول (عليه السلام) وهو يرمي إلى غايات السخط الإلهي عند صنفين من المخلوقين إذا ظلما ، وتعدّي عليهما : النساء ، والصبيان : إنه تعالى لا يغضب كغضبه لهما ، فمن أراد أن يفرّ من غضب الله فليفرّ من إغضاها ، ومن أراد رضاه تعالى فليكثر من رضاها ، والإحسان إليهما : والسرّ في التعليق ، والربط بين رضاه ، ورضاها ، وكذا سخطه عزّ وجلّ وسخطها هو أنّها ضعيفان ومستضعفان ، والله تعالى وليّ الضعفاء والمستضعفين ، وناصرهم وجاء في وصيّة الإمام الحسين

(١) الكافي ٥٠/٦ ، الوسائل ٢٠٢/١٥ .

(٢) حرف (إذا).

لابنه علي بن الحسين (عليهما السلام) : « أي بني إيتك وظلم من لا يجد ناصرًا
إلا الله جلّ وعزّ »^(١).

ومن المعلوم أنّ ذلك التحذير لنا ؛ لأنّ المعصوم لا يظلم أحداً لمكان
عصمته ، ولا يجد الصبيان والنساء الأسرى بأيدي الآباء ، والأزواج إذا ظلموا
ناصرًا لهم إلاّ الله ، وكما في الحديث الكاظمي : « عيال الرجل أسراؤه فمن أنعم
الله عليه بنعمة فليوسّع على أسرائه ، فإن لم يفعل أو شك أن تزول تلك
النعمة »^(٢) وهذا القدر لمن يعقل كاف.

٢٠١

إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْغِضُ الضَّحَّاكَ مِنْ غَيْرِ عَجَبٍ ، وَالْمَشَاءَ إِلَى غَيْرِ
أَرْبٍ

كلمة تحذير عن بعض أقسام الضحك ، وعن الإقدام على أمر فاقد
للفائدة ، قالها الإمام الكاظم (عليه السلام) ، ورواها ابن شعبة (طاب ثراه)
في ضمن كلام له ، وصورة بعضه كالآتي :
« إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْغِضُ الضَّحَّاكَ مِنْ غَيْرِ عَجَبٍ ، وَالْمَشَاءَ إِلَى غَيْرِ
أَرْبٍ »^(٣).

(١) البحار ٧٨/١١٨.

(٢) الوسائل ١٤/١٢٢ ، ١٥/٢٤٥.

أقول : وكليب راوي الحديث ثقة وهو ابن معاوية الصيداوي انظر معجم رجال الحديث

١٢٣/١٤.

(٣) التحف ٣٩٤.

الضحك :

قال تعالى : ﴿ هُوَ أَضْحَكٌ وَأَبْكِي ﴾^(١) قال الطريحي : أَي خَلَقَ قَوَّي الضحك و البكاء من السرور والحزن . وقيل : إطلاق الضحك على الله تعالى يراد به لازمه وهو الرضا . وقيل : أضحك الأشجار بالأنوار^(٢) ، وأبكى السحاب بالأمطار ، والضحك : ظهور الأسنان عند أمر عجيب ، وضحك يضحك ضحكاً . وفيه أربع لغات ، قاله الجوهري^(٣) .

قال ابن فارس : (ضحك ...) وهو دليل الانكشاف والبروز ... والضحكة كل سنّ تبدو من مقدّم الأسنان والأضراس عند الضحك .. فأما الضحك فيقال إنه العسل وينشد :

فجاء بمزج لم ير الناس مثله هو الضحك إلا أنه عمل النحل^(٤)

إنه تعالى يحبّ الوجه البشر الضحوك ، ويبغض المكفهرّ العبوس ، ومن أدب تلاقي الإخوة التبسّم في وجوههم ، والبداة بالسلام ، والترحيب ، وسائر الناس الأخلاق وطلاقة الوجه ، ومن خير الضحك التبسّم كما اقتصّ تعالى عن سليمان (عليه السلام) : ﴿ فتبسّم ضاحكا من قولها ﴾ أي قول النملة : ﴿ قالت نملة يأيتها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون ﴾^(٥) و « كان صلى الله عليه وآله إذا فرح غصّ طرفه ، جلّ ضحكه

(١) النجم : ٤٣ .

(٢) واحدها نور بالفتح : الزهر .

(٣) مجمع البحرين - ضحك ..

(٤) معجم مقاييس اللغة ٣/٣٩٣ - ٣٩٤ - ضحك ..

(٥) النمل : ١٨ - ١٩ .

التبسم ، يفتّر عن مثل حبة الغمام»^(١) و « القهقهة من الشيطان»^(٢) « إذا قهقهت فقل حين تفرغ : اللهم لا تمقتني » كما باقري^(٣) .
وللضحك من غير عجب نظائر من الحمقى لا تخفى على من نظر المظانّ
ومن الحمق المشي إلى غير حاجة ؛ لأنّ القوى الموهوبة للإنسان للاكتساب بها
لما ينفعه ، والعاقل يعرفه .

٢٠٢

إن الله عزّ وجلّ يبغض العبد النوّام الفارغ

كلمة صالحة أن تقال لإضاعة العمر ، قالها الإمام الكاظم (عليه السلام) ،
رواها الشيخ الكليني بإسناده إلى بشير الدهان ، قال سمعت أبا الحسن
موسى (عليه السلام) يقول : إن الله عزّ وجلّ يبغض العبد النوّام الفارغ^(٤) .
أقول :

في الباب رواية أخرى تدمّ ، وتعلّل بأنّ ذلك ذاهب للدين والدنيا .
ففي صادقي : « كثرة النوم مُذهبة للدين والدنيا»^(٥) .
لم يسعد السعداء ، ولا فاز الفائزون بالنوم والفراغ ، بل ، بالسهر والعمل ،
وإنّ للنوم سكرًا كسكر الشراب كما في علوي : « السكر أربع سكرات : سكر
الشراب ، وسكر المال ، وسكر النوم ، وسكر الملك » ، « إذا أراد أحدكم النوم

(١) مكارم الأخلاق ١١ .

(٢) الوسائل ٤٧٩/٨ .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) الكافي ٨٤/٥ ، باب كراهة النوم والفراغ ، الحديث ٢ .

(٥) المصدر الحديث ١ .

فليضع يده اليميني تحت خده الأيمن : فإنه لا يدري أينته من رقدته أم لا»^(١) .
وإنما جئنا بالفقرة الثانية : لأن سكرات النوم كسكرات الموت ، ومن ثم
قال (عليه السلام) : « لا يدري أينته من رقدته أم لا » ، والنوم في الجملة
كالأكل والشراب وغيرهما ضروري ، وإنها المذموم كثرته ، فلذا جاء في الحديث
لفظة « النّوأم » المبالغة للنوم ، ومما قيل في المساواة بين النوم والموت المثل السائر :
(النوم أخ الموت)^(٢) .

أمّا الفراغ فهو أحد الأمور المأمور باغتنامها في الحديث النبوي : « يا
أبا ذرّ اغتتم خمساً قبل خمسٍ : شبابك قبل هرمك ، صحتك قبل سقمك ، وغناك
قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك »^(٣) .

واغتنام الفراغ قبل الشغل هو الشحّ على أيام العمر والحياة والأوقات
لئلا تذهب سدىً وبلا استثمار منها ولا عمل ، ومنه النّوأم الفارغ ، فالعمر يذهب
بالنوم والفراغ أن يستيقظ ويشغل بما ينفعه في دينه ودنياه وآخرته وتنقضي الأيام
، ولم يحصل الزاد للمعاش ولا المعاد .

(١) الخصال ٦٣٦/٢ حديث الأربعة ، البحار ١٠/١١٤ .

(٢) أمثال وحكم ١/٢٨٠ .

(٣) أمالي الشيخ الطوسي ١٣٩/٢ مجلس الرابع من المحرم ٤٥٧ هـ .

٢٠٣

إنَّ الله لا يستحيي من الحق

الكلمة من الأمثال تقال عند إحقاق الحق ، وإن كان قليلاً ، وعند الحاجة الداعية إلى ذكر ما لا يحسن ذكره : طلباً للحق ، قد قالها الإمام الكاظم (عليه السلام) وفق قول شطيطة النيسابورية ، ويعتبر من الأخبار بالمعنيات ، روى قصتها ابن شهر آشوب المازندراني في المناقب ، وغيره في غيره^(١) والقصة بلفظ المازندراني كالآتي قال :

أبو علي بن راشد ، وغيره في خبر طويل : إنه اجتمعت العصاة الشيعة بنيسابور واختاروا محمد بن علي النيسابوري ، فدفعوا إليه ثلاثين ألف دينار وخمسين ألف درهم ، وألفي شقة من الثياب ، وأتت شطيطة بدرهم صحيح ، وشقة خام^(٢) من غزل يدها تساوي أربعة دراهم ، فقالت : إنَّ الله لا يستحيي من الحق ، قال : فتنيت درهما ، وجاءوا بجزء فيه مسائل ملء سبعين ورقة في كل ورقة مسألة ، وباقي الورق بياض ليكتب الجواب تحتها ، وقد حزمت كل ورقتين بثلاث حزم^(٣) ، وختم عليها بثلاث خواتيم على كل حزام خاتم ، وقالوا : ادفع إلى الإمام ليلة ، وخذ منه في غد ، فإن وجدت الجزء صحيح الخواتيم فاكسر منها خمسة ، وانظره هل أجاب عن المسائل ؟ وإن لم تنكسر الخواتيم فهو الإمام المستحق للمال ، فادفع إليه ، وإلا فردَّ إلينا أموالنا .

(١) كقطب الدين الراوندي في الخرائج ١/٣٢٨ - ٣٣١ .

(٢) منسوج من القطن .

(٣) حزم جمع حزام ما يشد به الوسط .

فدخل على الأفطح عبد الله بن جعفر ، وجربّه ، وخرج عنه قائلاً : ربّ اهديني إلى سواء الصراط . قال : فبينما أنا واقفٌ إذا أنا بغلام يقول : أحب من تريد فأتى بي دار موسى بن جعفر ، فلما رأيَ قال لي : لمَ تفتنط يا أبا جعفر ؟ ولم تفرع إلى اليهود والنصارى ؟ فأنا حجّة الله ووليّه ، ألم يعرفك أبو حمزة^(١) على باب مسجد جدّي^(٢) ؟ وقد أجبتك عمّا في الجزء من المسائل بجميع ما تحتاج إليه منذ أمس ، فجئني به ، وبدرهم شطيطة الذي وزنه درهم ودانقان ، الذي في الكيس الذي فيه أربعة مائة درهم للوازاري^(٣) ، والشقة التي في رزمة الأخوين البلخيين.

قال : فطار عقلي من مقاله ، وأتيت بها أمرني ، ووضعت ذلك قبله ، فأخذ درهم شطيطة ، وأزارها ، ثم استقبلني ، وقال : إنّ الله لا يستحي من الحق ، يا أبا جعفر: أبلغ شطيطة سلامي ، أعطها هذه الصرة - وكانت أربعين درهماً - ، ثم قال: وأهديت لك شقة من لأكفاني من قطن قريتنا صيداء قرية فاطمة (عليها السلام) ، وغزل أختي حليلة ابنة أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) ثم قال : وقل لها ستعشرين تسعة عشر يوماً من وصول أبي جعفر ، ووصول الشقة والدراهم ، فأنفقي على نفسك منها ستة عشر درهماً واجعلي أربعة وعشرين صدقة منك ، وما يلزم عنك ، وأنا أتولّى الصلاة عليك .

فإذا رأيتني يا أبا جعفر فاكنم عليّ ؛ فإنه أبقى لنفسك ، ثم قال : واردد الأموال إلى أصحابها . وافكك هذه الخواتيم عن الجزء ، وانظر هل أجبتك عن المسائل أم لا من قبل أن يجيئنا بالجزء؟! فوجدت الخواتيم صحيحة ، ففتحت

(١) التتالي المدوح.

(٢) عند قبر النبي (ص) ، وقبر أمير المؤمنين (عليه السلام) قال : الحمد لله الذي لم يضلنا

... الخرائج ١/٣٢٨.

(٣) نسبة إلى وازروار لعلّه اسم شخص ، أو موضع.

منها واحداً من وسطها ، فوجدت فيه مكتوباً :

ما يقول العالم (عليه السلام) في رجل قال : نذرت لله لأعتقن كل مملوك كان في رقي قديماً ، وكان له جماعة من العبيد ؟
الجواب بخطه : ليعتقن من كان في ملكه من قبل ستة أشهر ، والدليل على صحّة ذلك قوله تعالى : ﴿ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا ﴾ الآية ^(١) والحديث من ليس له من ستة أشهر .

وفككت الختم الثاني فوجدت ما تحته :

ما يقول العالم في رجل قال : والله لأتصدّقن بهال كثير ، فيما ^(٢) يتصدّق ؟ .
الجواب تحته بخطه : إن كان الذي حلف من أرباب شياء فليتصدّق بأربع وثمانين شاة ، وإن كان من أصحاب النعم فليتصدّق بأربع وثمانين بعيراً ، وإن كان من أرباب الدراهم فليتصدّق بأربع وثمانين درهماً ؛ والدليل عليه قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ﴾ ^(٣) فعددت مواطن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قبل نزول تلك الآية فكانت أربعة وثمانين مؤمناً .

فكسرت الختم الثالث فوجدت تحته مكتوباً :

ما يقول العالم : في رجل نبش قبر ميّت ، وقطع رأس الميّت ، وأخذ الكفن ؟ .

الجواب بخطه : يقطع السارق لأخذ الكفن من وراء الحرز ^(٤) ، ويلزم مائة دينار لقطع رأس الميّت ، لأنّا جعلناه بمنزلة الجنين في بطن أمّه قبل أن ينفخ فيه الروح ، فجعلنا في النطقة عشرين ديناراً ، المسألة إلى آخرها .

(١) يَس : ٣٩ .

(٢) كذا ولعله «فبها» .

(٣) التوبة : ٢٥ .

(٤) حرز الميّت قبره فتكون السرقة من حرز .

فلما وافى خراسان وجد الذين ردّ عليهم أموالهم ارتدوا إلى الفطحية ، وشطيطة على الحق ، فبلغها سلامه ، وأعطاه صُرتَه وشقته ، فعاشت كما قال (عليه السلام) ، فلما توفيت شطيطة جاء الإمام على بعير له ، فلما فرغ من تجهيزها ركب بعيره وانثنى نحو البرية ، وقال : عرف أصحابك ، واقراهم مني السلام ، وقل لهم : إني ، ومن يجري مجراي من الأئمة (عليهم السلام) لا بد لنا من حضور جنازتك في أي بلد كنتم . فاتقوا الله في أنفسكم^(١) .

جننا عن آخر القصة ، لاشتغالها على سيرته (عليه السلام) وخُلُقهِ الرفيع ، وليبان ربط الكلمة المحكيّة عن قول شطيطة : « إن الله لا يستحي من الحق » ويشهد لصدقها قوله تعالى دفاعاً عن نبيّه (صلى الله عليه وآله) وكان يستحي أن يُخرج الطاعمين من بيته بعد صرف الطعام : ﴿ فيستحي منكم ﴾ من إخراجكم ﴿ والله لا يستحي من الحق ﴾^(٢) فيأمركم بالخروج^(٣) .

وتريد شطيطة بالكلمة : إن الله تعالى لا يحتشم أحداً إذا أراد بيان الحق للناس قليلاً كان أو كثيراً ، جليلاً ، أو حقيراً نظير آية ﴿ إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها ﴾^(٤) .

وأنا كذلك لا أحتشم أحداً في دفع المال إلى أهله ، وإن كان لا يستأهل ذكراً لقلته وهو درهم وشقّة خام تساوي أربعة دراهم والمجموع خمسة دراهم وكان الواجب عليّ أداؤها وردّها إلى الإمام (عليه السلام) لأنها خمس المال وهو حق الإمام ، ويصدّقها على مقالتها ، لأمرين : لدفع الشك عن أبي جعفر أمين

(١) المناقب ٤/٢٩١ - ٢٩٢ ، البحار ٤٨/٧٣ - ٧٥ ، والخرائج ١/٣٣٠ ، في معناها .

(٢) الأحزاب : ٥٣ .

(٣) تفسير الصافي ٢/٣٦٢ .

(٤) البقرة : ٢٦ .

اقول : وقد زرنا تربتها الطاهرة خارج نيشابور سنة ١٤٠٩ هـ ، تعرف عند أهلها (بي شتيته) قدس الله روحها .

الأموال في إمامة الإمام (عليه السلام) ، وليزداد يقيناً بها ؛ لأنه إخبار بالمغيّب ، والأمر الثاني أن قول شطيطة حق وصدق ، وأسوة للآخرين ، وأن أداء الحق واجب ولا يحتشم لقلته ، أو جهة أخرى من أعذار واهية لاتقبل.

٢٠٤

إن الله لم يرفع المتواضعين بقدر تواضعهم ، ولكن رفعهم بقدر عظمتهم ومجده

كلمة خافضة رافعة ، تخفض الرافعين ، وترفع الخافضين لله ، قالها الإمام الكاظم (عليه السلام) لهشام بن الحكم ، رواها ابن شعبة من كلام له ، صورته كالآتي قال (عليه السلام) :

« ... واعلم إن الله لم يرفع المتواضعين بقدر تواضعهم ، ولكن رفعهم بقدر عظمتهم ومجده ، ولم يؤمن الخائفين بقدر خوفهم ، ولكن آمنهم بقدر كرمه وجوده ، ولم يفرّج^(١) المحزونين بقدر حزنهم ، ولكن بقدر رأفته ورحمته .

فما ظنك بالرووف الرحيم الذي يتودّد إلى من يؤذيه بأوليائه ، فكيف بمن يؤذني فيه . وما ظنك بالتوّاب الرحيم الذي يتوب على من يعاديه ، فكيف بمن يترضاه^(٢) ، ويختار عداوة الخلق فيه^(٣) .

أقول :

يجمع الكلام من النعوت الربوبية ما يعمّ المخلوق من نور العظمة ،

(١) كذا ، وفي نسخة « يفرّج » .

(٢) الذي يطلب رضاه .

(٣) التحف ٢٩٩ ، البحار ٣١٤/٧٨ - ٣١٥ .

والكرم والجود ، والرأفة والرحمة ، فإن طاعة الطائعين ، أو تواضع المتواضعين أو صفة أخرى يرضاها الربّ تعالى لا تكافئ ، ولا تستطاع الأداء وفي قبال عظمة الله سبحانه تندكّ خشية وإجلالاً والكائنات تنهار من الهيبة ، ويصعق من في السموات والأرض وتخرّ الجبال هدأً ، وإنّا رفعة المتواضعين وعزّة المطيعين هي نور عظمة الله تعالى وكلّ جميل من جماله ، الأمن من كرمه ، والأمان من جوده ، والتفريح من راقته ورحمته ، اللهم إن دعائنا بقدرنا لا بقدرك ، وتواضعنا لا يليق بساحتك ولا طاعة المطيعين ، ولا عبادة العابدين ولا التذلل ، ولا أيّ شيء منّا مما ترضاه بقدرك ، وعزّ قدسك ، ذلك بأننا تراب ، وما للتراب ، وربّ الأرباب^(١) .

٢٠٥

إنّ الله يبغض البطن الذي لا يشبع

روى البرقي بإسناده إلى بشير الدهان أو عمّن ذكره عنه قال : قال أبو الحسن (عليه السلام) : « إنّ الله يبغض البطن الذي لا يشبع »^(٢) .
أقول :

لابدّ للإنسان من شيء يسدّ جوعته ، لأنّه خلق أجوف في صحيح باقري قال : « إنّ الله عزّ وجلّ خلق ابن آدم أجوف »^(٣) وما هو العيان لا يفتقر إلى آية ، أو رواية ، وإنّا خلق أجوف يفتقر بين آونة وأخرى من إدخال الطعام ،

(١) الكلمة من الأمثال المشهورة على الألسن : « ما للتراب وربّ الأرباب » أمنال وحكم ١/٣٣٠

، عند « أين الثرى والثريا » .

(٢) المحاسن ٢/٤٤٦ .

(٣) الكافي ٦/٢٨٦ .

والشراب فيه لسدّ جوعه ثم دفع الفضلة عنه ؛ لأمر نعرف بعضها ، ونجهل الكنه ، أما الذي نعرفه فهو كبح كبرياء ابن آدم ؛ ومن ثم جاء في علوي : «عجبت لابن آدم أوّله نطفة ، وآخره جيفة ، وهو قائم بينها وعاء للغائط ، يتكبر»^(١) وآخر : « ما من عبد إلّا وبه ملك موكل يلوي عنقه حتى ينظر إلى حدثه ، ثم يقول له الملك : يا بن آدم : هذا رزقك ، فانظر من أين أخذته ، وإلى ما صار »^(٢).

وسئل الباقر (عليه السلام) عن الغائط ؟ قال : « تصغير لابن آدم لكي لا يتكبر ، وهو يحمل غائطه معه »^(٣) أين ما حلّ ونزل .
وأيضاً ممّا نعرفه هو الإحساس بالفقر المستمرّ ليسئل الغنيّ على الإطلاق وهو الله تعالى ، ويخضع له ، ويرفع همّه ومهمّته إليه ؛ وليرحم الآخرين مثله ، وغيرها من أمور .

ثم إنّ البطنة ممّا يبغضه الله ، والبطن الذي لا يشبع ، والأكل على الشبع وقد جاء في كلّ ذلك من أحاديث نخرج بذكرها عن الكتاب ، وخذ منها مثالا ففي علوي : « البطنة تحجب الفطنة »^(٤) . « أعود بالله من قلب لا يخشع ، وعلم لا ينفع ، ودعاء لا يسمع ، ونفس لا تشبع »^(٥) ، وصادقي : « ثلاث فيهنّ المقت من الله عزّ وجلّ : نوم من غير سهر ، وضحك من غير عجب ، وأكل على الشبع »^(٦).

(١) الوسائل ١/٢٣٥-٢٣٦.

(٢) الوسائل ١/٢٣٥.

(٣) المصدر.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم ١٨ ، حرف الألف.

(٥) كنز العمال ١/٤٨٧ ، الرقم ٢١٣٤.

(٦) الخصال ١/٨٩.

٢٠٦

إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَنْ الْمَافْسَدُ ، مَنْ الْمَصْلِحُ

كلمة مثلية تقال للتحذير ، وللكشف عن السرائر ، قد قالها الإمام الكاظم (عليه السلام) ورواها العياشي قال :

عن عبد الرحمن بن حجاج عن أبي الحسن موسى (عليه السلام) قال : قلت له : يكون لليتيم عندي الشيء وهو في حجري أنفق منه ، وربما أصبت مما يكون له من الطعام ، وما يكون مني إليه أكثر ؟ فقال : لا بأس بذلك ؛ إن الله يعلم من المفسد ، من المصلح^(١).

الفساد ، والصالح.

قد يراد من الفساد المعصية ، ومن الصالح الطاعة . كما قال القمي في قوله تعالى : ﴿ وَرَبِّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ ﴾^(٢) : والفساد : المعصية لله ولرسوله^(٣) . ولكن إبقاء الكلمتين على شمولها أولى ، ويكون كلٌّ منها بحسبه ؛ ويشهد لذلك ما كتبه الرضا (عليه السلام) لمحمد بن سنان في جواب مسأله قال : « حرّم الله قتل النفس لعلّة فساد الخلق في تحليله لو أحلّ وفنائهم وفساد التدبير... »

وحرّم الله تعالى الزنا ؛ لما فيه من الفساد من قتل الأنفس ، وذهاب الأنساب ، وترك التربية للأطفال ، وفساد الموارث ، وما أشبه ذلك من وجوه

(١) تفسير العياشي ١/١٠٨ ، الوسائل ١٢/١٨٩ ، بلا ذكر الكلمة.

(٢) يونس : ٤٠ .

(٣) تفسير القمي ١/٣١٢ .

الفساد.

وحرّم الله عزّ وجلّ قذّف المحصنات ؛ لما فيه من فساد الأنساب ، ونفي الولد ، وإبطال المواريث ، وترك التربية ، وذهاب المعارف وما فيه من الكبائر والعلل التي تؤدّي إلى فساد الخلق^(١).

قوله (عليه السلام) : « إن الله يعلم من المفسد من المصلح » لعلّ الصحيح « يعلم المفسد من المصلح » ويشهد له آية ﴿ ويستلونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ﴾^(٢) ، والصادقي : « يكون لهم التمر واللبن ، ويكون لك مثله على قدر ما يكفيك ويكفيهم ، ولا يخفى على الله المفسد من المصلح »^(٣) ، والأمر أبين من ذلك.

٢٠٧

إنّ الذي كنت أصليّ له كان أقرب إليّ منهم

جاءت الكلمة في ضمن كلام للإمام الكاظم (عليه السلام) ، رواه الشيخ الكليني (طاب ثراه) قال :

علي بن إبراهيم رفعه عن محمد بن مسلم قال : دخل أبو حنيفة على أبي عبدالله (عليه السلام) ، فقال له : رأيت ابنك موسى (عليه السلام) يصليّ والناس يمرّون بين يديه ، فلا ينهاهم وفيه ما فيه ، فقال أبو عبدالله (عليه

(١) الفقيه ٣/٣٦٩ - ٣٧١.

(٢) البقرة : ٢٢٠.

(٣) تفسير العياشي ١/١٠٨ ، الوسائل ١٢/١٨٩.

السلام) : ادعوا لي موسى ، فدُعي ، فقال له : يا بني إن أبا حنيفة يذكر أنك كنت تصلي والناس يمرّون بين يديك ، فلم تنههم ، فقال : نعم يا أبة ؛ إن الذي كنت أصلي له كان أقرب إليّ منهم : يقول الله عزّ وجلّ : ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ ^(١) ، قال : فضمّه أبو عبدالله (عليه السلام) إلى نفسه ، ثم قال : [يا بني] بأيّ أنت وأمّي يا مُودع الأسرار ^(٢) .
 إن الإماميّة على صحّة الصلاة عند مرور المارّ بين يدي المصليّ ، وأنه مكروه .

قال الشيخ الطوسي (طاب ثراه) : (مسألة ١٨٥) .
 إذا مرّ بين يديه وهو يصلي إنسان رجلاً كان أو امرأة أو حمار أو بهيمة أو كلباً ، أو أيّ شيءٍ كان فلا يقطع صلاته ، وإن لم يكن قد نصب بين يديه شيئاً سواء كان بالقرب منه ، أو بالبعد منه ، وإن كان ذلك مكروهاً . وبه قال جميع الفقهاء إلا ما حكى عن الحسن البصري أنّه قال : إذا كان المارّ بين يديه كلباً أو امرأة ، أو حماراً قطع الصلاة ، وبه قال جماعة من أصحاب الحديث .
 دليلنا إجماع الفرقة ، أيضاً قواطع الصلاة تحتاج إلى أدلّة شرعيّة وليس في الشرع ما يدلّ على أنّ هذه الأشياء تقطع الصلاة . وروى أبو الوداك عن أبي سعيد الخدري أنّ النبي (صلى الله عليه وآله) قال : لا يقطع الصلاة شيء ، فادروا ما استطعتم فإنّها هو شيطان . وروى الفضل بن العباس قال : كنيّادية ، فأتانا رسول الله (عليه السلام) ومعه العباس ، فصلّى في الصحراء ، وليس بين يديه سترة ، وكلب وحمار لنا يعبتان بين يديه ما يابئ ذلك . وروى أبو بصير عن

(١) ق : ١٦ .

(٢) الكافي ٣/٢٩٧ . وفي آخر الحديث للكليني كلام قال : (وهذا تأديب منه (عليه السلام) لا أنّه ترك الفضل) أي تأديب لأبي حنيفة ، لا أنّه ترك السترة بينه وبين الناس .

أبي عبدالله (عليه السلام) قال : لا يقطع الصلاة شيءٌ من كلب ، ولا حمار ، ولا امرأة ، ولكن استتروا بشيءٍ فإن كان بين يديك قدر ذراعٍ رافعاً من الأرض فقد استترت^(١) .

قوله (عليه السلام) : « إن الذي كنت أصلي له كان أقرب إليّ منهم » لا ريب أن المعصوم له المعرفة الكافية بالله تعالى وعظمته ، وكبريائه ، ولا يقاس بآل محمد أحد من الناس في كلّ الجهات سوى أنهم بشر مثلنا يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق ، وأنهم خزّان وحي الله ومعادن علمه ﴿ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾^(٢) .

وهل يستطيع سواهم الحصول على المعرفة بالله تعالى معرفة تفتطمع عن غير الله حال الصلاة وسائر الحالات ، ويعرفون القرب إليه ؟ لا ، ولكن إن الله أولياء ناجاهم الله في ذات عقولهم وفكرهم فأصبحوا ، وأمساوا في يقظة عن سنة الغفل إذا قاموا إلى الصلاة ارتعدت فرائضهم ، وتغيّرت ألوانهم خاشعين لله قد وصفهم تعالى في كتابه العزيز : ﴿ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾^(٣) قال أمير المؤمنين عليه السلام : « لقد رأيت أصحاب محمد (صلى الله عليه وآله) - وسلّم - فما أرى أحداً يشبههم منكم ، لقد كانوا يصبحون شعناً غبراً ، وقد باتوا سجداً وقياماً ، يراوحون بين جباههم وخدودهم ، ويقفون على مثل الجمر من معادهم ، كأن بين أعينهم رُكب المعزى من طول سجودهم : إذا ذكر الله همّلت أعينهم حتى نبّل جيوبهم ، ومادوا كما يميد الشجر يوم الريح العاصف خوفاً من العقاب ، ورجاء الثواب »^(٤) .

(١) الكافي ٢٩٧/٣ . الخلاف ١/١٥٨ - ١٥٩ .

(٢) الأنبياء : ٢٧ .

(٣) المؤمنون : ٣ .

(٤) النهج ٧/٧٧ ، كلام ٦٦ .

بيان :

تعرضنا لشرح الكلام العلوي في كتابنا أمثال وحكم نهج البلاغة^(١) وهذه سيرة العباد فما ظنك بأئمة العباد (عليهم السلام) ، وكيف يجد فاقداً للمعرفة ما لواجدها.

والكلمة الكاظمية أسوة لمن أراد معرفة القرب ، وحضور القلب في الصلاة ، والتأدب بأدائها.

٢٠٨

إنَّ لله تحت عرشه ظلاً لا يسكنه إلا من أسدى إلى أخيه معروفاً

من كتاب قضاء حقوق المؤمنين لأبي علي بن طاهر الصوري بإسناده عن رجل من أهل الري قال : وُلِّي علينا بعض كُتَّاب يحيى بن خالد ، وكان عليّ بقايا يطالبني بها ، وخفت من إلزامي إيَّها خروجاً عن نعمتي ، وقيل لي : إنَّه ينتحل هذا المذهب ، فخفت أن أمضي إليه فلا يكون كذلك ، فأقع فيما لا أحبّ ، فاجتمع رأيي على أني هربت إلى الله تعالى وحججت ولقيت مولاي الصابر - يعني موسى بن جعفر (عليه السلام) - فشكوت حالي إليه فأصبحني مكتوباً نسخته :

« بسم الله الرحمن الرحيم اعلم إنَّ لله تحت عرشه ظلاً لا يسكنه إلا من أسدى إلى أخيه معروفاً ، أو نفس عنه كربة ، أو أدخل على قلبه سروراً . وهذا

(١) الأمثال والحكم المستخرجة من نهج البلاغة ٣٢٠ طبع بمطبعة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين - قم المقدسة - ١٤٠٧هـ.

أخوك والسلام».

قال : فعدت من الحج إلى بلدي ، ومضيت إلى الرجل ليلاً ، واستأذنت عليه ، وقلت : رسول الصابر (عليه السلام) فخرج إلي حافياً ما شيئاً ، ففتح لي بابه ، وقبّلي ، وضمّني إليه ، وجعل يقبل بين عيني ، ويكرّر ذلك كلّما سألتني عن رؤيته (عليه السلام) ، وكلّما أخبرته بسلامته وصلاح أحواله ، استبشر ، وشكر الله ، ثم أدخلني داره ، وصدّرتني في مجلسه ، وجلس بين يدي ، فأخرجت إليه كتابه (عليه السلام) فقبّله قائماً وقرأه ، ثم استدعى بهاله وثيابه ، ففاسمني ديناراً ديناراً ، ودرهماً درهماً ، وثوباً ثوباً ، وأعطاني قيمة ما لم يمكن قسمته ، وفي كلّ شيءٍ من ذلك يقول : يا أخي هل سررتك ؟ فأقول : إي والله وزدت على السرور ، ثم استدعى العمل فأسقط ما كان باسمي ، وأعطاني براءة مما يتوجّه عليّ منه ، وودّعته وانصرفتُ عنه .

فقلت : لا أقدر على مكافأة هذا الرجل إلّا بأن أحجّ في قابل ، وأدعو له ، وألقى الصابر (عليه السلام) ، وأعرّفه فعله ، ففعلت ، ولقيت مولاي الصابر (عليه السلام) ، وجعلت أهدّته ووجهه يتهلّل فرحاً ، فقلت : يامولاي هل سرّك ذلك ؟ فقال : إي والله لقد سرّني وسرّ أمير المؤمنين ، والله لقد سرّ جدّي رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولقد سرّ الله تعالى^(١).

٢٠٩

إنَّ لله عباداً في الأرض يسعون في حوائج الناس هم الآمنون

من الكلمات المختارة المأثورة كلمة الحصول على الأمن من العذاب ، قد قالها الإمام الكاظم (عليه السلام) ، رواها الشيخ الكليني (طاب ثراه) قال : عنه - أي محمد بن يحيى - عن أحمد بن محمد عن معمر بن خلاد قال سمعت أبا الحسن (عليه السلام) يقول : إنَّ لله عباداً في الأرض يسعون في حوائج الناس ، هم الآمنون يوم القيامة ، ومن أدخل على مؤمن سروراً فرَّح^(١) الله قلبه يوم القيامة^(٢) .

أقول : جاء في إدخال السرور في قلب المؤمن أحاديث كثيرة منها ما يلي : ففي صحيح باقري يقول : قال رسول الله (صَلَّى الله عليه وآله) : من سرَّ مؤمناً فقد سرَّني ومن سرَّني فقد سرَّ الله .

وآخر قال : تبسّم الرجل في وجه أخيه حسنة ، وصرف القذى عنه حسنة ، وما عبد الله بشيءٍ أحبَّ إلى الله من إدخال السرور على المؤمن .

وصادقي قال : لا يرى أحدكم إذا أدخل على مؤمن سروراً أنّه عليه أدخله فقط بل والله علينا ، بل والله على رسول الله (صَلَّى الله عليه وآله)^(٣) . ومن أحاديث قضاء الحاجة :

عن المفضل عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : قال لي : يا مفضل

(١) في بعض النسخ «فرّح».

(٢) أصول الكافي ١٩٧/٢ .

(٣) أصول الكافي ١٨٨/٢ - ١٨٩ .

اسمع ما أقول لك ، واعلم أنه الحق وافعله ، وأخبر به عليّة^(١) إخوانك، قلت : جعلت فداك ، وما عليّة إخواني قال : الراغبون في قضاء حوائج إخوانهم ، قال : ثم قال : ومن قضى لأخيه المؤمن حاجة قضى الله عزّ وجلّ له يوم القيامة مائة ألف حاجة ، من ذلك أولها الجنة ، ومن ذلك أن يدخل قرابته ومعارفه وإخوانه الجنة ، قال له : أما تستهي أن تكون من عليّة الإخوان^(٢) .

وكاظمي : « من أتاه أخوه المؤمن في حاجة فإنما هي رحمة من الله تبارك وتعالى ساقها إليه ، فإن قبل ذلك فقد وصله بولايتنا وهو موصول بولاية الله ... »^(٣) .

٢١٠

إنّ الله على الناس حجّتين : حجّة ظاهرة ، وحجّة باطنة

كلمة تقال لقطع الاعتذار ، لمن يرتكب الجريمة ، قد قالها الإمام الكاظم (عليه السلام) لهشام بن الحكم ، رواها الشيخ الكليني طاب ثراه ، وصورتها كالآتي :

« يا هشام إنّ الله على الناس حجّتين : حجّة ظاهرة ، وحجّة باطنة : فأما الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمّة - (عليهم السلام) - ، وأما الباطنة فالعقول»^(٤) .

(١) بكسر المهملة وإسكان اللام ، أي شريفهم ورفيعهم ، جمع على صبية وصبي هامش أصول

الكاظمي ١٩٢/٢ نقلًا عن الوافي.

(٢) أصول الكافي ١٩٢/٢ - ١٩٣ .

(٣) المصدر ص ١٩٦ .

(٤) أصول الكافي ١/١٦ ، التحف ٣٨٦ .

أقول :

قال تعالى : ﴿ وَمَا كُنَّا مَعْذِبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾^(١) ، ﴿ لئنلَا يكون للناس على الله حجةٌ بعد الرسل ﴾^(٢) ، ﴿ قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين ﴾^(٣) .

تنص الآيات بأن الاعتذار بعد الإنذار غير مقبول ، والإنسان يعلم ما يصنع من صنع ممنوع ، أو مسموح له من طريق عقله ، ووجدانه ، ومن بلوغ إنذار الأنبياء والأوصياء والأئمة المعصومين (عليهم السلام) ، فلم يبق للعدر مساغ كما قال عز وجل في هذا المعنى : ﴿ لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبّع آياتك ونكون من المؤمنين ﴾^(٤) .

الحجة :

قد تكررت كلمة الحجة في الروايات ، والأدعية ، والزيارات ، وفي القرآن الكريم آيات منها ما تقدمت والمراد بها ما يصح الاحتجاج به على الخصم ، وكل من اتسین على صاحبه وهي الدليل والبرهان ، ويمكن أن تكون مشتقة من المحجة : الجادة والطريق الواضح ، ولها في اللغة تفاسير أخرى :

قال ابن فارس - هذه الكلمة - : أصول أربعة . فالأول القصد ، وكل

قصد حج . قال :

وأشهد من عوف حلولا كثيرة يجحجون سبب الزبيرقان المزعفرا^(٥)

(١) الإسراء : ١٥ .

(٢) النساء : ١٦٥ .

(٣) الأنعام : ١٤٩ .

(٤) القصص : ٤٧ .

(٥) في اللسان - حجج ، وسبب - البيت للمخبل السعدي .

ثم اختصّ بهذا الاسم القصد إلى البيت الحرام للنسك والحجيج: الحاجّ،
قال :

ذكرتكم والحجيج لهم ضجيج بمكة والقلوب لها وجيب

وفي أمثالهم : « لَحَّ فَحَجٌّ » ، ومن أمثالهم : « الحاجُّ أَسْمَعَتْ » ؛ وذلك إذا
أفشى السرّ : أي إنك إذا أسمعتم الحُجَّاج فقد أسمعتم الخلق .
ومن الباب المحجّة وهي جادة الطريق . قال :

ألا بلغنا^(١) عني حُرَيْشاً رسالة فإنيك عن قصد المحجّة أنكب

ويمكن أن يكون الحجّة مشتقة من هذا ؛ لأنها تقصد ، أو بها يقصد الحق
المطلوب .

يقال حاجبت فلاناً فحججته ، أي غلبته بالحجّة ، وذلك الظفر يكون
عند الخصومة ، والجمع حجج ، والمصدر الحجاج .
ومن الباب حججت الشجّة ، وذلك إذا سبرتها بالميل ، لأنك قصدت
معرفة قدرها . قال :

* يحجُّ مأمومةً في قصرها لجفُّ *^(٢)

والأصل الآخر : الحجّة وهي السنة ، وقد يمكن أن يجمع هذا إلى الأصل
الأول ؛ لأن الحجّ في السنة لا يكون إلا مرة واحدة ؛ فكان العام سمي بها فيه
من الحجّ حجّة قال :

(١) الألف مقلوب من نون التوكيد احتمالاً .

(٢) لعذار بن دُرّة الطائي في - حجج ، ولجف ، وغرّد - اللسان .

يرضين صِعب الدُرِّ في كلِّ حَجَّةٍ ولو لم تكن أعناقهن عواطلاً^(١)
قال قوم : أراد السنة ، وقال قوم : الحجَّة هاهنا : شحمة الأذن. ويقال:
بل الحجَّة الخرزة. أو اللؤلؤ تعلق في الأذن.
والأصل الثالث : الحجاج ، وهو العظم المستدير حول العين يقال للعظيم
الحجاج أحجُّ وجمع الحجاج أحجَّة ...
والأصل الرابع : المحججة : النكوص . يقال : حملوا علينا ثم حجججوا ،
والمحجج العاجز ...^(٢)

٢١١

إنما التديُّ الفهم

هذه الكلمة مستخرجة من كلام الإمام الكاظم (عليه السلام) ، أجاب
به عبد الغفار السلمي ، وإليك الحديث :
روى الشيخ الطبرسي عن يعقوب بن جعفر الجعفري ، قال : سألت رجل
يقال له : عبد الغفار السلمي أبا إبراهيم موسى بن جعفر (عليه السلام) عن
قول الله تعالى : ﴿ تَمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴾ فكان قاب قوسين أو أدنى ﴿^(٣) .
قال : أرى هاهنا خروجاً من حجب ، وتدياً إلى الأرض ، وأرى محمداً
رأى ربه بقلبه ، ونسب إلى بصره ، فكيف هذا ؟
فقال أبو إبراهيم : ﴿ دَنَا فَتَدَلَّى ﴾ ؛ فإنه لم يزل عن موضع ، ولم يتدلَّ

(١) للبيد اللسان - حجج -

(٢) معجم مقاييس اللغة ٢/٢٩ - ٣١ - حجج - وانظر هامشه في معنى الشعر.

(٣) النجم : ٨ - ٩ .

بيدن.

فقال عبد الجبار : أصفه بما وصف به نفسه حيث قال : ﴿ دنا فتدلى ﴾ فلم يتدلّ عن مجلسه إلا وقد زال عنه ، ولولا ذلك لم يصف بذلك نفسه .
فقال أبو إبراهيم (عليه السلام) : إنّ هذه لغة في قريش ، إذا أراد الرجل منهم أن يقول قد سمعتُ يقول قد تدلّيت ، وإنّما التدلّيّ الفهم^(١) .
أقول :

آية ﴿ قاب قوسين ﴾ تدلّ على التجسم المنفي عنه تعالى ، وقد جاء في الأحاديث تأويلها بما يخرجها عن هذه الدلالة ، وفي تفسيرها أقوال أشار إلى بعضها صاحب تفسير الميزان قال :
قوله تعالى : ﴿ ثم دنا فتدلى ﴾ الدنوّ القرب ، والتدلّيّ التعلّق بالشيء ، ويكنّى به عن شدّة القرب . وقيل : الامتداد إلى جهة السفلى ، مأخوذ من الدلو .

والمعنى على تقدير رجوع الضميرين لجبرئيل : ثم قرب جبرئيل فتعلّق بالنبي (صلّى الله عليه وآله) : ليعرج به إلى السموات . وقيل : ثم تدلّى جبرئيل من الأفق الأعلى فدنا من النبي (صلّى الله عليه وآله) ليعرج به .
قوله تعالى : ﴿ فكان قاب قوسين أو أدنى ﴾ - إلى أن قال :-
والمعنى : فكان البعد قدر قوسين ، أو قدر ذراعين ، أو أقرب من ذلك .
وقيل : القاب ما بين مقبض القوس وسيتها ففي الكلام قلب والمعنى : قابي قوسين...^(٢) أي قدرهما ، ولا بأس بذكر بعض ما جاء في تفسيرها من حديث .

(١) الاحتجاج ٢/١٥٧ ، تفسير الصافي ٢/٦١٩ ، تفسير البرهان ٤/٢٥٠ .
قوله (عليه السلام) : «إنّما التدليّ الفهم» إذا كان التدليّ مشتقاً من الدلالة ، وإلا فلا ندري

ما أراده كما يأتي بيانه في المتن .

(٢) تفسير الميزان ١٩/٢٨ - ٢٩ .

في صادقي : « أول من سبق إلى « بلى »^(١) رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وذلك أنه أقرب الخلق إلى الله ، وكان بالمكان الذي قال له جبرئيل لما أسري به إلى السماء : تقدم يا محمد فقد وطأت موطأً لم يطأه ملك مقرب ، ولا نبي مرسل ، ولولا أن روحه ونفسه كانت من ذلك المكان لما قدر أن يبلغه ، وكان من الله عز وجل كما قال : ﴿ قاب قوسين أو أدنى ﴾ أي بل أدنى .»
وفي العلل عن السجّاد (عليه السلام) أنه سئل عن الله عز وجل هل يوصف بمكان ؟

فقال : تعالى الله عن ذلك ، قيل : فلم أسرى نبيّه محمد (صلى الله عليه وآله) إلى السماء ؟

قال : ليريه ملكوت السموات وما فيها من عجائب صنعه ، وبدائع خلقه .
قيل : فقول الله عز وجل : ﴿ ثم دنا فتدلى ﴾ * فكان قاب قوسين أو أدنى ؟

قال : ذلك رسول الله (صلى الله عليه وآله) دنا من حجب النور ، فرأى ملكوت السموات ثم فتدلى ، فنظر من تحته إلى ملكوت الأرض حتى ظن أنه في القرب من الأرض كقاب قوسين أو أدنى .

وعنه (عليه السلام) : فلما أسرى بالنبي (صلى الله عليه وآله) وكان من ربه كقاب قوسين أو أدنى ، رفع له حجاب من حجبه .

وفي الاحتجاج عن السجّاد قال : أنا ابن من علا فاستعلى ، فجاز سدره المنتهى فكان من ربه قاب قوسين أو أدنى^(٢) .

قال الفيض : وفي الأمالي عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال : لما

(١) أشار إلى ﴿ ألسنت بركم قالوا بلى ﴾ الأعراف : ١٧٢ .

(٢) تفسير الصافي ٦١٩/٢ .

عرج بي إلى السماء ، ودنوت من ربي عز وجل حتى كان بيني وبينه قاب قوسين أو أدنى ، فقال لي : يا محمد من تحب من الخلق ؟ قلت يا ربّ عليّاً ، قال : فالتفت يا محمد ، فالتفت عن يساري فإذا علي بن أبي طالب^(١).

بيان :

بعض الأحاديث المذكورة يتطابق مع ظاهر الآية الدالة على القرب من الربّ تعالى ، وليس القرب المضروب له المثل بقاب قوسين ، أو أدنى القرب المكاني حتى يلزم منه التجسّم ، بل معناه لو كان الربّ مرتباً كان مقدار القرب منه أو البعد عنه كقاب قوسين أو أدنى ، وصدق عليه المثل المضروب به ، لشدة قرب المكان بقاب قوسين ، ولا بأس به ، حتى مع العلم بعدم التجسّم له تعالى ، ونظيره آية ﴿ ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ﴾^(٢).

وحبل الوريد : عرق الجيد الموصول به ، فهل يتوهّم بضرب المثل به القرب المكاني ؟ أو المراد بيان عدم الحاجز بين الإنسان وبين ربه ، وأنه لو مثل له في القرب والاتصال فمثله كحبل الوريد المتصل به. وما نحن فيه كذلك. وقد جاء قرب العبد ، أو بعده عنه تعالى في روايات كثيرة منها:

الصحيح الصادقي : « أقرب ما يكون العبد من ربه إذا دعا ربه وهو ساجد ... »^(٣).

فهل كان قربه من الله تعالى في حالة السجود قرباً مكانياً أو زمانياً؟ كلاً ، بل المقصود أنّ العبد استأهل أن يقع موقع الرضا والقبول بأن تشمله العناية الربانية والرحمة والحنان. وقد خرجنا عن موضوع البحث بعض الخروج.

(١) تفسير الصافي ٦١٩/٢.

(٢) ق : ١٦.

(٣) الكافي ٣/٢٢٣ ، باب السجود والتسبيح ... الحديث ٧.

قوله (عليه السلام) : « إِنَّمَا التَّدْيِيُّ الْفَهْمُ » للتَّدْيِيُّ المشتقُّ من الدنوّ

معنيان :

الأوّل : زيادة الدنوّ ، قال الزجاج معنى ﴿ دنا فتدلى ﴾ واحد ، لأنّ المعنى : أنّه قرب ﴿ فتدلى ﴾ أي زاد في القرب ...^(١).

والثاني : النزول من العلوّ إلى استفال^(٢) : لغرض النظر إلى تحت القدمين وعليهما المراد من التدْيِيُّ في الآية القرب والدنوّ إلى الله ، أو التطلّع من علوّ إلى الأرض وهي سفلى السموات. ولا ينطبق أحد التفسيرين على الفهم ، إلا إذا كان التدْيِيُّ من الدلالة التي هي الفهم فمعناه : « إِنَّمَا التَّدْيِيُّ الْفَهْمُ » أي التدلّل : الفهم ، ولكن لا تساعده اللغة ، نعم قال الجوهري : ﴿ ثم دنا فتدلى ﴾ أي تدلّل كقوله : ﴿ ثم ذهب إلى أهله يتمطى ﴾^(٣) أي يتمطّط ...^(٤) . ولعله لغة لا نعرفها.

ثم الجعفري راوي الحديث لا بأس به. وعبد الغفّار مشترك^(٥) والمعنى مطروق إليه لغة وتفسيرا^(٦).

(١) اللسان ٢٦٧/١٤ - دلا.

(٢) المصدر نفسه ١٦٦ - ١٦٧.

(٣) القيامة : ٣٣.

(٤) اللسان ١٦٧/١٤.

(٥) معجم رجال الحديث ١٠/٥٣ - ٥٤ ، وانظر المصدر نفسه ٥٥.

(٦) أي لا يفتقر إلى السند بشرط عدم الإسناد.

٢١٢

إنها الدنيا ساعة

كلمة نافعة إلى الساعة ، قالها الإمام الكاظم (عليه السلام) في غضون كلام له لهشام بن الحكم رواه ابن شعبة قال :

« يا هشام اصبر على طاعة الله ، واصبر عن معاصي الله ، فإنها الدنيا ساعة ، فما مضى منها فليس تجد له سروراً ولا حزناً ، وما لم يأت منها فليس تعرفه ، فاصبر على تلك الساعة التي أنت فيها ، فكأنك قد اغتبطت »^(١).

أقول :

قد سبق الحديث عند « اصبر على طاعة الله، واصبر عن معاصي الله »^(٢) ، وجئنا به ثانياً ، لربط الكلمة المنتزعة ، وأنه العظة التي تذكّر الغافل وتنفعه ، وأنها الساعة التي هو فيها دون ما مضى ، أو ما يستقبله ، ولا يدري الإنسان لعله قد نسجت أكفانه وهو مقبور حين يأتيه . وعليه تحمل الكلمة : « إنها الدنيا ساعة »، ويحتمل تفسيرها بعمر الدنيا ، ويشهد له ﴿ كأن لم يلبثوا إلا ساعة من نهار ﴾^(٣) ويحتمل أن يراد بالساعة عمر ابن آدم وإن طالت الأيام فأنها تعتبر ساعة من نهار لسرعة تصرّمها وفنائها ، وهي صالحة الانطباق على عمر الدنيا ، وباعتبار على أعمار الناس ومن يعيش في الدنيا من عاش فإنه كأنه لم يكن شيئاً

(١) التحف ٣٩٦.

(٢) حرف الهمزة مع الصاد.

(٣) يونس : ٤٥.

مذكوراً ، والحديث الكاظمي كما تقدّم صالح التطبيق على التفسرين و ﴿ كَلِّ
من عليها فإن ﴾^(١) ومن أجله صحّ القول بأنها ساعة بل أقلّ من ذلك قال
القائل :

دَقَّتْ قلب المرء قائمة له إن الحياة دقائق ، وثوان^(٢)

في نبوي : « من فتح له باب من الخير فلينتهزه ؛ فإنه لا يدري متى يعلق
عنه »^(٣).

وعلوي : « بادر الفرصة قبل أن تكون غصّة »^(٤) وهل تبقى باقية من
عظة ؟

(١) الرحمن : ٢٦ .

(٢) قبيل : لأحمد المصري .

(٣) كنز العمال ٧٩١/١٥ ، الرقم ٤٣١٣٤ .

(٤) البحار ٣٤١/٧١ .

٢١٣

إنما شيعة علي من صدق قوله فعله

كلمة اختبار يمتاز بها الصادق عن الكاذب ، جاءت في كلام الإمام الكاظم (عليه السلام) ، رواه الشيخ الكليني (طاب ثراه) بإسناد له إلى موسى ابن بكر الواسطي قال : قال لي أبو الحسن (عليه السلام) :
 « لو ميّزت شيعتي لم أجدهم إلا واصفة ، ولو امتحنتهم لما وجدتهم إلا مرتدين ، ولو تمحصتهم لما خلص من الألف واحد ، ولو غربلتهم غربلة لم يبق منهم إلا ما كان لي ؛ إنهم طال ما أتكوا على الأرائك ، فقالوا : نحن شيعة علي ، إننا شيعة علي من صدق قوله فعله »^(١).
 أقول :

« لو تمحصتهم لما خلص من الألف واحد » ، وكذا « لو غربلتهم لم يبق منهم إلا ما كان لي » يأتي الكلام عنها فراجع^(٢).
 قوله (عليه السلام) : « لو ميّزت شيعتي لم أجدهم إلا واصفة » يريد أنهم يفقدون صفات الشيعة ، وليس لهم نصيب منها إلا الوصف ، وإلا القول دون العمل ، ويشهد لهذا المعنى آخر الحديث : بأن هؤلاء لو كانوا من الشيعة لكان قولهم مصدقاً بفعلهم ، وهم يفقدونه وإنها الشيعي من صدق فعله قوله ؛ وقد قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين ءامنوا لم تقولون ما لا تفعلون * كبر مقتاً عند

(١) روضة الكافي ٢٢٨.

(٢) حرف (لو).

الله أن تقولوا ما لا تفعلون ﴿١﴾.

ولعمري إن رسالة الإمام الصادق عليه السلام التي أرسلها إلى جماعة من الشيعة قد حوت من أمور يجب عليهم الاتصاف بها ، « عن جابر أنه كتب بهذه الرسالة إلى أصحابه ، وأمرهم بمدارستها والنظر فيها ، وتعاهدوا ، والعمل بها ، فكانوا يضعونها في مساجد بيوتهم ، فإذا فرغوا من الصلاة نظروا فيها »^(١) .
 وإليك من آخرها : « ومن سرّه أن يعلم أن الله يحبّه فليعمل بطاعة الله وليتبعنا ، ألم يسمع قول الله عزّ وجلّ لنبيّه (صلى الله عليه وآله) قل : ﴿ إن كنتم تحبّون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ﴾^(٢) والله لا يطيع الله عبدٌ أبداً إلا أدخل الله عليه في طاعته أتباعنا ... »^(٤).

٢١٤

إنما شيعتنا المعادن والأشراف

روى الشيخ الصدوق بإسناده إلى علي بن جعفر عن أخيه موسى بن جعفر (عليهما السلام) قال :

« إننا شيعتنا المعادن والأشراف وأهل البيوتات ، ومن مولده طيّب .

قال علي بن جعفر : فسألته عن تفسير ذلك ؟ فقال : المعادن من قريش ، والأشراف من العرب ، وأهل البيوتات من الموالي ، ومن مولده طيّب من أهل

(١) الصفّ : ٢ - ٣ .

(٢) روضة الكافي ٢ . والرسالة هي أول حديث الروضة المشتمل على ١٣ صحيفة تقريباً وفي الرسالة الصفات الغرّ فراجع .

(٣) آل عمران : ٣١ .

(٤) روضة الكافي ١٤ .

السواد»^(١).

قال ابن الأثير : في حديث بلال بن الحارث « أنه أقطعه معادن القبليّة »
المعادن: المواضع التي تستخرج منها جواهر الأرض كالذهب والفضّة والنحاس
وغير ذلك ، واحدها معدن . والعدن الإقامة . والمعدن مركز كل شيء . ومنه
الحديث « فعن معادن العرب تسألوني ؟ قالوا : نعم » أي أصولها التي يُنسبون
إليها ويتفاخرون بها^(٢).

قال الشيخ الطريحي : والمعدن : مستقرّ الجواهر ، وفي الحديث : « الناس
معادن كمعادن الذهب والفضّة »^(٣) والمعنى : أن الناس يتفاوتون في مكارم
الأخلاق ومحاسن الصفات ، وفيها يذكر عنهم من المآثر على حسب الاستعداد ،
ومقدار الشرف . وتفاوت المعادن فيها الرديّ والجيد^(٤).

وإنما يريد (عليه السلام) بقوله : «إنما شيعتنا المعادن والأشراف» أصالتهم
في الشرف شرفهم الله بأن جعلهم لأهل البيت (عليه السلام) شيعة ومحبين لهم
والمراد بالشيعة الاعتقاد بالولاية وأنهم القائمون بعد النبي مقامه بإقامة الله تعالى
لذلك ورسوله لا المشائخ الحقيقي بوضع القدم موضع أقدامهم عملاً وقولاً ؛ لأنّ
ذلك مقصور على الأمتل فالأمتل ، ﴿وإنّ من شيعته لإبراهيم﴾^(٥).

(١) معاني الأخبار ١٥٨ .

(٢) النهاية ١٩٢/٣ - عدن - .

(٣) الأمثال النبويّة ٣٠٤/٢ الرقم ٥٩٦ ، حرف النون مع الألف .

(٤) مجمع البحرين - عدن - .

(٥) الصفات : ٨٣ .

٢١٥

إنما قال : موسى غير إمام

من الأحجيات التي فسرها الإمام الكاظم (عليه السلام) ، جاءت في قصة مأثورة رواها الشيخ الطبرسي في الاحتجاج ، نذكرها بكاملها : لتكون على بصيرة منها قال :

عن أبي محمد الحسن العسكري قال : قال رجل من خواص الشيعة لموسى بن جعفر (عليه السلام) - وهو يرتعد ، بعد ما خلا به - : يا ابن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ما أخوفني أن يكون فلان بن فلان ينافقك في إظهاره اعتقاد وصيِّتك ، وإمامتك .

فقال موسى (عليه السلام) : وكيف ذاك ؟ قال : لأني حضرتُ معه اليوم في مجلس فلان ، وكان معه رجل من كبار أهل بغداد ، فقال له صاحب المجلس . أنت- تزعم أن صاحبك موسى بن جعفر إمامٌ دون هذا الخليفة القاعد على سريره ؟ قال له صاحبك هذا : ما أقول هذا بل أزعم : أن موسى بن جعفر غير إمام ، وإن لم أكن أعتقد أنه غير إمام فعليّ ، وعلى من لم يعتقد ذلك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

فقال له صاحب المجلس : جزاك الله خيراً ، ولعن من وشى بك إليّ . فقال له موسى بن جعفر (عليه السلام) : ليس كما ظننت ، ولكن صاحبك أفاقه منك . إنَّما قال : موسى غير إمام ، أي إنَّ الذي هو غير إمام فموسى غيره ، فهو إذاً إمام . فإنَّما أثبت بقوله هذا إمامتي ونفى إمامة غيره ياعبدالله، متى يزول عنك هذا الذي ظننت بأخيك هذا من النفاق ؟ تب إلى الله .

ففهم الرجل ما قاله واغتنم ، ثم قال : يا بن رسول الله مالي مائل فأرضيه به ، ولكن قد وهبت له شطر عملي كله من تعبدي وصلاتي عليكم أهل البيت ، ومن لعنتي لأعدائكم.

قال موسى (عليه السلام) : الآن خرجت من النار^(١).

أقول :

إذا سلب السلب صار إثباتاً ؛ لأنَّ سلب السلب إثبات نظير قول

الشاعر :

الحمد لله الذي برهانه أن ليس شأنٌ ليس فيه شأنه^(٢)

فإنَّ نفي الشأن الذي ليس فيه شأن الله تعالى هو باثبات الشأن له في

كلَّ شأن.

وكذلك قول المرمي بالنفاق القائل : « بل أزعم أن موسى بن جعفر غير

إمام » ؛ فإنه قد نفى أن يكون موسى إماماً كإمامة الخليفة ، وفسره الإمام (عليه

السلام) وقال : « إننا قال : موسى غير إمام : أي إن الذي هو غير إمام فموسى

غيره ، فهو إذا إمام ، فإننا أثبت بقوله هذا إمامتي ، ونفى إمامة غيره ».

وحاصل الكلام :

إن موسى غير إمام ، يعني أنه (عليه السلام) ليس كهارون الذي هو

غير إمام والمدعي للإمامة من غير حق وإنها الإمام موسى هو لا غيره ، وظاهره

سلب الإمامة المدعاة لغيره من مثل الخليفة هارون ، وإثباتها لنفسه من قبل الله

وآبائه الطاهرين (عليهم السلام) ، والكلام المذكور يعتبر من اللغز والأحجية

(١) الاحتجاج ١٦٩/٢.

(٢) شرح النهج للمعتزلي ٦٠/١.

التي ظاهرها خلاف المقصود، والمقصود خلاف الظاهر.
أحجية ولُغز^(١):

منها الحديث : « لاتصلّوا على النبي » : أي على الأرض المرتفعة
المحدّودة . و النبي العَلَم من أعلام الأرض التي يهتدى بها ، والمكان المرتفع ...
قال أبو معاذ النحوي : سمعت أعرابياً يقول من يدُلّني على النبي أي على
الطريق ...^(٢).

ومنها : إنَّ عجوزاً من الأنصار قالت : يارسول الله ادع الله لي بالمغفرة،
فقال لها : أما علمت أن الجنة لا تدخلها العجائز؟ فصرخت فتبسّم رسول الله
(صلى الله عليه وآله) ، وقال لها : أما قرأت قول الله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ
إِنشَاءً * فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً * غُرْباً أَتْرَاباً ﴾^(٣).

ومنها : أنّه أتنه امرأة في حاجة لزوجها ، فقال لها : ومن زوجك ؟ قالت :
فلان ، فقال : الذي في عينه بياض ؟ فقالت : لا ، فقال : بلى ، فانصرفت عجلاً
إلى زوجها وجعلت تتأمّل عينه ، فقال لها : ما شأنك ، فقالت : أخبرني رسول
الله (صلى الله عليه وآله) أن في عينيك بياضاً ، فقال لها : أما ترين بياض عيني
أكثر من سوادها^(٤).

بضم الهمزة أغلوطه يتعاطاها الناس ، والجمع : الأحاجي ويعبر عنها بالألغاز ، مجمع البحرين

- حجج -

(٢) اللسان ٣٠٢/١٤ - نيا -

(٣) الواقعة : ٣٥ - ٣٧.

(٤) زهر الربيع ٧/١ ، ٣/٢.

إنّما المؤمن في صلب الكافر بمنزلة الحصاة في اللبنة

المؤمن كالحصاة في اللبنة ، أو كاللؤلؤة في الصدف لا يؤثر الوعاء بالموعى
جاءت الكلمة في كلام الإمام الكاظم (عليه السلام) ، رواه الشيخ الكليني
(طاب ثراه) قال :

علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن علي بن يقطين عن أبي
الحسن موسى (عليه السلام) قال : قلت له : إنّي قد أشفقت من دعوة أبي
عبدالله (عليه السلام) على يقطين ، وما ولد ، فقال : يا أبا الحسن ليس حيث
تذهب ، إنّما المؤمن في صلب الكافر بمنزلة الحصاة في اللبنة يجيء المطر فيغسل
اللبنة ، ولا يضرّ الحصاة شيئاً^(١).

يقطين وما ولد :

أقول : إنّ يقطين بن موسى كما قال الشيخ الطوسي طاب ثراه :
من وجوه الدعاة ، فطلبه مروان فهرب وابنه علي بن يقطين هذا وُلد بالكوفة
سنة أربع وعشرين ومائة ، وهربت به أمّه وبأخيه عبيد بن يقطين إلى المدينة ،
فلما ظهرت الدولة الهاشمية ظهر يقطين وعادت أمّ عليّ بعليّ وعبيد ، فلم يزل
يقطين في خدمة السّفاح والمنصور ، ومع ذلك كان يتشيع ، ويقول بالإمامة ،
وكذلك ولده ، وكان يحمل الأموال إلى جعفر الصادق. ونمّ خبره إلى المنصور
والمهدي ، فصرف الله عنه كيدهما وتوفّي علي بن يقطين رحمه الله بمدينة السلام

(١) الكافي ١٣/٢ ، معجم رجال الحديث ٢٣٢/١٢ ، و ٢٣٥.

ببغداد سنة اثنتين وثمانين ومائة ، وسنه يومئذ سبع وخمسون سنة ، وصلى عليه ولي العهد محمد بن الرشيد ، وتوفي أبوه بعده سنة خمس وثمانين ومائة...^(١) .
وقد مرّت ترجمة علي بن يقطين عند « إلهي في أعلى عليين اغفر لعلي بن يقطين »^(٢) .

ومن تنزيل المؤمن في صلب الكافر بمنزلة الحصاة في اللبنة. يظهر أنّ علياً هو المؤمن ويقطين لا إيمان له ، من دعوة الصادق (عليه السلام) أسفق منها ابنه عليّ على نفسه فطمّنه (عليه السلام) منها وللسيد الأستاذ الخوئي حول كلام الشيخ الطوسي المتقدّم ذكره لترجمة يقطين بيان قال :
إنّ ما ذكره الشيخ من أنّ يقطين كان يتشيع وكان يحمل الأموال إلى جعفر بن محمد (عليهما السلام) ، ونّم خبره إلى المنصور والمهدي لا يتم من وجهين :

الوجه الأوّل : إنّ يقطين لم يظهر أنّه كان يتشيع فضلاً عن أن يحمل الأموال إلى جعفر الصادق (عليه السلام) بل كان هو من دعاة بني العباس كما ذكره النجاشي . ويدلّ على أنّ يقطين لم يكن شيعياً ما رواه محمد بن يعقوب عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن علي بن يقطين عن أبي الحسن موسى (عليه السلام) قال : قلت له إنّني قد اشفقت من دعوة أبي عبدالله (عليه السلام) على يقطين وما ولد ، فقال يا أبا الحسن ليس حيث تذهب إنّها المؤمن في صلب الكافر بمنزلة الحصاة في اللبنة يجيء المطر فيغسل اللبنة ، ولا يضرّ الحصاة شيئاً . الكافي : الجزء ٢ ، باب كون المؤمن في صلب الكافر ، من كتاب

(١) معجم رجال الحديث ١٢/٢٢٧ .

(٢) حرف الهمزة مع اللام .

إنّ المؤمن حيّ ، والكافر ميّت ، وقد قال تعالى : ﴿ يخرج الحيّ من الميت ﴾ الأنعام : ٩٥
وعلي بن يقطين مؤمن حيّ ، ويقطين لا إيمان له وميّت .

الإيمان والكفر ٧ ، الحديث ٢.

وهذه الرواية هي التي تقدّمت عن الكشي مع سقط وتحريف.
دلّت هذه الصحيحة على أن الصادق (عليه السلام) دعا على يقطين ، فخاف
علي بن يقطين من أن يشمله الدعاء ، فقال له الإمام (عليه السلام) : إنّنا المؤمن
في صلب الكافر (الخ).
فبين سلام الله عليه أن الدعاء لا يشمله وهو مؤمن ، وإنّما يختصّ بأبيه
غير المؤمن.

ويدلّ على ذلك أيضاً ما رواه محمد بن يعقوب عن محمد بن يحيى ، وأحمد
ابن إدريس عن محمد بن أحمد عن السيارى عن الحسن بن علي بن يقطين عن
أخيه الحسين عن أبيه علي بن يقطين قال : لي أبو الحسن (عليه السلام) : الشيعة
تربّي بالأمانى منذ مأتي سنة، قال: وقال يقطين لابنه علي بن يقطين : ما بالنا قيل
لنا فكان ، وقيل لكم فلم يكن؟! قال : فقال له علي : إنّ الذي قيل لنا ولكم
كان من مخرج واحد غير أن أمركم حضر ، فأعطيتم محضه فكان كما قيل لكم،
وإنّ أمرنا لم يحضر فعّللنا بالأمانى ، الحديث ، الكافي : الجزء ١ ، باب كراهية
التوقيت من كتاب الحجّة ٨٢ ، الحديث ٦.

دلّت هذه الرواية على أن يقطين لم يكن يعتقد بها يعتقد ابنه عليّ وأنّه
وابنه عليّ كانا من حزبين متقابلين^(١)
وهو الذي أشرنا إليه من تطبيق الآية على يقطين وابنه عليّ.

٢١٧

إِنَّمَا مَنْظَرُهُ فِي الْقُرْبِ ، وَالْبُعْدِ سِوَاءِ

من نعوت الربّ تعالى التي جاء في كلام الإمام الكاظم (عليه السلام) المذكور بأسره عند « إِنَّ اللَّهَ جَلَّ عَنْ صِفَةِ الْوَاصِفِينَ ، وَنَعْتِ النَّاعِتِينَ ، وَتَوْهَمِ الْمُتَوْهَمِينَ »^(١) . فلا نعيده ، والكلام الكاظمي إبطال لمذهب قوم يزعمون أَنَّ اللَّهَ تعالى ينزل إلى السماء الدنيا ، فراجع^(٢) .

والمهمّ بيان القُرب ، والبُعد ، إِنَّ اللَّهَ تعالى وصف نفسه بالقرب فقال : ﴿ فَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ... ﴾^(٣) وفسره الصدوق بالمجيب ، فلو كان ذلك ، لما جمع بينهما في الآية نعم له معانٍ مناسبة له تعالى ، ولا بأس بها ، وإليك لفظه طاب ثراه عند عدّه الأسماء الحسنی قال :

﴿ القريب ﴾

القريب معناه: المجيب ، ويؤيد ذلك قوله عزّ وجلّ : ﴿ فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ . ومعنى ثان : أنّه عالم بوساوس القلوب لا حجاب بينه وبينها ولا مسافة ، ويؤيد هذا المعنى قوله عزّ وجلّ : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسَّوَسُ بِهِ نَفْسِهِ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾^(٤) ، فهو

(١) التوحيد ١٨٣ ، الاحتجاج ٢/٢٥٦ وانظر حرف «إن».

(٢) المصدران.

(٣) البقرة : ١٨٦.

(٤) ق : ١٦.

قريب بغير مماسة ، بائن من خلقه بغير طريق ، ولا مسافة ، بل هو على المفارقة لهم في المخالطة والمخالفة لهم في المشابهة ، وكذلك التقرب إليه ليس من جهة الطرق والمسائف ؛ إنما هو من جهة الطاعة ، وحسن العبادة.

فالله تبارك وتعالى قريب دانٍ دنوّه من غير سفلى ؛ لأنّه ليس باقتطاع المسائف يدنو ، ولا باجتياز الهواء يعلو ، كيف وقد كان قبل السفلى والعلو ، وقبل أن يوصف بالعلو والدنو^(١).

وقد جاء في الدعاء : «ويا من هو بالمنظر الأعلى وبالأفق المبين»^(٢) ولا بدّ من صرف ظاهره الدالّ على التحيّز إلى معنى يصحّ عليه تعالى بعدم نيل العقول المتعمّقة لكنّه ذاته فبعده بعد العقل المطلق عنه ، ودعاء الجوشن «يا من هو في علوه قريب ، يا من هو في قربه لطيف»^(٣) وفيه «يا أقرب من كل قريب»^(٤) ومن عرف المطلق عرف النسبة للقرب والبعده.

(١) التوحيد ٢١٠ وفي المصدر بالاجتياز الهواء ، عدّة الداعي ٣٠٨.

(٢) البحار ٢٩٧/١٠١ بعد زيارة عاشورا.

(٣) البحار ٣٨٨/٩٤.

(٤) البحار ٣٩٠/٩٤.

٢١٨

إنما هلك من هلك من قبلكم بالقياس

ليس من دين الله القياس ، وقد خرج عنه من قاس ، قد جاءت الكلمة في كلام الإمام الكاظم (عليه السلام) ، رواه الشيخ الكليني طاب ثراه قال :

علي بن إبراهيم عن محمد بن عيسى بن عبيد عن يونس بن عبد الرحمن عن سماعة بن مهران عن أبي الحسن موسى (عليه السلام) ، قال : قلت : أصلحك الله إنا نجتمع فنتذكر ما عندنا ، فلا يرد علينا شيء إلا وعندنا شيء مسطر^(١) ، وذلك مما أنعم الله به علينا بكم ، ثم يرد علينا الشيء الصغير ليس عندنا فيه شيء ، فينظر بعضنا إلى بعض ، وعندنا ما يشبهه فنقيس على أحسنه ؟ فقال : وما لكم وللقياس ؟ إنما هلك من هلك من قبلكم بالقياس ، ثم قال : إذا جاءكم ما تعلمون فقولوا به ، وإن جاءكم ما لا تعلمون فها - وأهوى بيده إلى فيه - ثم قال : لعن الله ... كان يقول : قال عليّ وقلت أنا ، وقالت الصحابة وقلت ، ثم قال : أكنت تجلس إليه ؟ فقلت : لا ، ولكن هذا كلامه : فقلت : أصلحك الله أتى رسول الله (صلى الله عليه وآله) الناس بما يكتفون به في عهده ؟ قال : نعم وما يحتاجون إليه إلى يوم القيامة ، فقلت : فضاع من ذلك شيء ؟ فقال : لا ، هو عند أهله^(١) .

أقول :

روايات : منع القياس تربوا على المائة والعشرين رواية لا مجال لذكرها

(١) الكافي ٥٧/١ ، باب البدع ... الحديث ١٣ جامع أحاديث الشيعة ٢٧٤/١ .

سوى الإشارة إلى نبذة منها :

الصحيح الصادقي : « ... إن أصحاب القياس طلبوا العلم بالقياس فلم يزدادوا من الحق إلّا بُعداً ؛ إن دين الله لا يصاب بالقياس » .
والآخر : « إن السنّة لا تقاس ، ألا ترى أنّ امرأة تقضي صومها ولا تقضي صلاتها ، يا أبا ن إن السنّة إذا قيست مُحق الدين » .
والكاظمي : « ما لكم والقياس إن الله لا يُسأل كيف أحلّ ، وكيف حرّم » .
والصادقي : « لا تقس ؛ فإنّ أول من قاس إبليس حين قال : ﴿ خلقتني من نار وخلقته من طين ﴾ فقام ما بين النار والطين ، ولو قام نورية آدم بنورية النار عرف فضل ما بين النورين ، وشفاء أحدهما على الآخر »^(١) .

٢١٩

إنّ ما هو آت من الدنيا كما وليّ منها

من أمثال وحكم الإمام الكاظم (عليه السلام) ، رواه ابن شعبة في غرضون له لهشام بن الحكم قال :
« واعقل عن الله ، وانظر في تصرف الدهر وأحواله ؛ فإنّ ما هو آت من الدنيا كما وليّ منها ، فاعتبر بها ... »^(٢) .
أقول : سبق اللفظ الأوّل : « اعقل عن الله »^(٤) وكذلك الثاني : « انظر

(١) الأعراف : ١٢ .

(٢) أصول الكافي ١/٥٧ - ٥٩ .

(٣) التحف ٣٩١ ، البحار ٣٠٦ .

(٤) الهمة مع العين .

في تصرّف الدهر وأحواله ...»^(١) وشرحهما، وكذا شرح الثالث البحث الجاري فيه ، وقلنا إنّه مماثل لكلمة أمير المؤمنين (عليه السلام) : « وعلى أثر الماضي ما يمضي الباقي »^(٢) كالقطار يتبع بعضه بعضاً في السير^(٣) والسّرّ فيه أنّ حكم الامثال فيبأ يجوز ، وما لا يجوز سواء^(٤) ، ويعتبر بأول الشيء آخره ، ويستدلّ به عليه في مشاركة الصفات والآثار ، وقلّ ما اختلف في ذلك ؛ شأن المثل أين ما حلّ ونزل ، وكمن من آية ورواية تنبّه على هذه المشاركة في مسألة الفناء والزوال وأحوال الأمم العابرة مع الملتحقة ، انظر إلى قوله تعالى : ﴿ كَمْ تَرَكَوْا مِنْ جَنَاطٍ وَعِيبٍ * وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * وَنِعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ * كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴾^(٥) . أليس القوم بالقياس إلى من قبلهم من اللاحقين ، وإلينا من السابقين وكذلك يجري علينا ما جرى عليهم ، ونكون كما كانوا ، فالآتي كما ولى ، والباقي كمن مضى في الأجيال والأمم يتبع بعضهم بعضاً من بداية الدنيا إلى نهايتها والسير سريع بهم يوشك لحوق الباقي بالماضين ، في عمود الدهر الطويل طويلاً وعلى صعيد المحشر كلّهم مجتمعون ﴿ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ * لِمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴾^(٦) ، ذلك يومٌ مجموعٌ له الناسُ وذلك يومٌ مشهود ﴿^(٧)

(١) الهزمة مع النون.

(٢) النهج ٧/ ٨١ ، الخطبة ٩٨.

(٣) الأمثال والحكم المستخرجة من نهج البلاغة ٢٦٣ ، الرقم ٨٥.

(٤) مثل مشهور.

(٥) الدخان : ٢٥ - ٢٨.

(٦) الواقعة : ٤٩ - ٥٠.

(٧) هود : ١٠٣ ، وأما الحدث فلا يحصى.

٢٢٠

إِنَّ مَثَلَ الدُّنْيَا مَثَلُ الْحَيَّةِ مَسَّهَا لَيْنٌ وَفِي جَوْفِهَا السُّمُّ الْقَاتِلُ

من الأمثال المروية عن الإمام الكاظم (عليه السلام) ، رواه ابن شعبة
قال :

«يا هشام إنَّ مَثَلَ الدُّنْيَا مَثَلُ الْحَيَّةِ مَسَّهَا لَيْنٌ وَفِي جَوْفِهَا السُّمُّ الْقَاتِلُ
يَحْذَرُهَا ذُوو الْعُقُولِ ، وَهَوَىٰ إِلَيْهَا الصَّبِيَّانُ بِأَيْدِيهِمْ»^(١) .
بيان :

جاء تمثيل الدنيا بالحية في كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) قال : «مَثَلُ
الدُّنْيَا كَمَثَلِ الْحَيَّةِ لَيْنٌ مَسَّهَا ، وَالسُّمُّ النَّاقِعُ فِي جَوْفِهَا يَهْوِي إِلَيْهَا الْغَرَّ الْجَاهِلُ ،
وَيَحْذَرُهَا ذُو اللَّبِّ الْعَاقِلُ»^(٢) ، والآخِر في كتاب له كتبه إلى سلمان الفارسي رحمه
الله قبل أيام خلافته :

«أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّمَا مَثَلُ الدُّنْيَا مَثَلُ الْحَيَّةِ لَيْنٌ مَسَّهَا ، قَاتِلٌ سُمُّهَا ، فَأَعْرَضَ
عَمَّا يُعْجِبُكَ فِيهَا ، لِقَلَّةِ مَا يَصْحَبُكَ مِنْهَا ، وَضَعُ عِنْدَكَ هُمُومَهَا ...»^(٣) .
تتشابه الحية والدنيا في الإناقة ، والزبرجة ، وفي أنها قتالة لمزاولها
بسمومها ، والانخداع بزهرتها ، وعداوتها لأصحابها ، وإن الحية كافرة تُقتل
على كلِّ حال ، وكذلك تُحذَّر الدنيا ، حذرًا الأنبياء والأئمة (عليهم السلام)
الناس ، كما تُحذَّر الحية ، وهما مهلكاهم فالحذار الحذار منها فلا يأمن منها .

(١) التحف ٣٩٦ .

(٢) النهج ٢٨٤/١٨ ، الحكمة ١١٥ .

(٣) النهج ٣٤/١٨ ، كتاب ٦٨ .

الحية :

قال الدميري : ذكر ابن خالويه لها مأتي اسم ، ونقل السهيلي عن المسعودي أن الله تعالى لما أهبط الحية إلى الأرض أنزلها بسجستان ، فهي أكثر أرض الله حيات ، ولولا العربد يأكلها ويُفني كثيراً منها لخلت من أهلها لكثرة الحيات ...

والحية أنواع منها الرقشاء وهي التي فيها نقط سود وبيض ، ويقال لها الرقطاء أيضاً وهي من أخبث الأفاعي ، قال النابغة في وصف السليم:

فبت كأتي ساورتني ضئيلة	من الرقش في أنياب السّم ناقع
تبادر الراقون من شرّ سُمها	فتسقله يوماً ويوماً تراجع
تسهد من ليل التهام سليمها	كحلي نساء في يديه قعاقع

وقال غيره :

هم أيقظوا أرقط الأفاعي ونبّهوا	عقارب ليل نام عنها حواتها
وهم نقلوا عني الذي لم أفه به	وما آفة الأخبار إلا رواتها

ومن أنواعها الأزعر وهو غالب فيها.

ومنها ماهو أزب ذو شعر.

ومنها ذوات القرون ، وأرسطو ينكر ذلك . قال الراجز :

وذات قرنين طحون الضرس تنهس لو تمكنت من نهس

تدير عيناً كشهاب القبس^(١)

ومنها الشجاع وهي الحية العظيمة التي تثب على الفارس والراجل ، وتقوم على ذنبها وربّما بلغت رأس الفارس ، وتكون في الصحاري - في حديث نبوي - « ما من رجل لا يؤدّي زكاة ماله إلا مثل له يوم القيامة ، شجاعاً أقرع له زبيبتان يفرّ منه وهو يتبعه... » ، والأقرع الذي تمّط رأسه وبيض من السّم ، والزبيبتان : الريشتان من جانبي فمه من كثرة السّم ...^(١)

ومنها العربد وهي حية عظيمة تأكل الحيات .

ومنها الأصلة وهو عظيم جداً له وجه كوجه الإنسان ، ويقال إنه يصير كذلك إذا مرّت عليه ألوف من السنين ومن خاصّة هذا أن يقتل بالنظر أيضاً . ومنها الصلّ وتسمى المكّلة ، لأنّها مكّلة الرأس . وقيل الصلّ الأوّل ، وهذه المكّلة . وهي شديدة الفساد ، تحرق كلّ ما مرّت عليه ، ولا ينبت حول جُحرها شيء من الزرع أصلاً . وإذا حاذى مسكنها طائرٌ سقط ، ولا يمرّ حيوان بقرها إلا هلك ، وتقتل بصفيها على غلوة سهم ، ومن وقع عليه بصرها ولو من بُعد مات ... وهي كثيرة ببلاد الترك .

ومنها ذو الطفتين والأبتر يلتمسان البصر ويسقطان الجبالى...^(٢)

أقول : لعلك تعرف من هذه الأنواع وجه التمثيل بالحية ، ومن المثل :

فلان أعدى من حية^(٣) .

(١) المصدر نفسه ٥٩٦ - ٥٩٧ .

(٢) المصدر ٣٩٢ .

(٣) المصدر ٤٠٣ .

٢٢١

إِنَّ الْمَعْصِيَةَ لَا بَدَّ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْعَبْدِ ، أَوْ مِنْ رَبِّهِ ، أَوْ مِنْهُمَا جَمِيعاً

روى ابن شهر اشوب قال : قال أبو حنيفة : رأيت موسى بن جعفر (عليها السلام) وهو صغير السن في دهليز أبيه ، فقلت : أين يحدث الغريب منكم إذا أراد ذلك ، فنظر إليّ ، ثم قال : يتوارى خلف الجدار ، ويتوقى أعين الجار^(١) ويحْتَنِبُ شَطُوطَ الْأَنْهَارِ ، وَمَسَاقِطَ الثَّيَّارِ ، وَأَفْنِيَةَ الدُّورِ ، وَالطَّرِيقَ النَّافِذَةَ ، وَالْمَسَاجِدَ ، وَلَا يَسْتَقْبِلُ الْقِبْلَةَ ، وَلَا يَسْتَدْبِرُهَا ، وَيَضَعُ وَيَرْفَعُ بَعْدَ ذَلِكَ حَيْثُ شَاءَ . فَلَمَّا سَمِعْتَ هَذَا نَبَلَ فِي عَيْنِي ، وَعَظَمَ فِي قَلْبِي ، فقلت له : جعلت فداك مَنْ الْمَعْصِيَةُ ؟ فنظر إليّ ثم قال :

اجلس حتى أخبرك ، فجلست ، فقال : إِنَّ الْمَعْصِيَةَ لَا بَدَّ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْعَبْدِ ، أَوْ مِنْ رَبِّهِ ، أَوْ مِنْهُمَا جَمِيعاً ، فَإِنْ كَانَتْ^(٢) مِنْ اللَّهِ تَعَالَى فَهُوَ أَعْدَلُ وَأَنْصَفُ مِنْ أَنْ يَظْلِمَ عَبْدَهُ ، وَيَأْخُذَهُ بِهَا لَمْ يَفْعَلْهُ . وَإِنْ كَانَتْ مِنْهَا فَهُوَ شَرِيكُهُ وَالْقَوِيُّ أَوْلَى بِإِنْصَافِ عَبْدِهِ الضَّعِيفِ . وَإِنْ كَانَتْ مِنَ الْعَبْدِ وَحْدَهُ فَعَلَيْهِ وَقَعُ الْأَمْرُ ، وَإِلَيْهِ تَوَجَّهَ النَّهْيُ ، وَلَهُ حَقُّ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ ، وَوَجِبَتْ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ .

فقلت : ﴿ ذَرِيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾^(٣) . ونظم في هذا

المعنى:

لم تحل أفعالنا اللاتي نتم بها إحدى ثلاث خصال حين نأتيها

(١) كذا «الجارى».

(٢) في الأصل (كان).

(٣) متشابه القرآن ومختلفه ١٢٠.

الأبيات مع اختلاف بعض لغاها ، وزيادة بيت :
سَيَعْلَمُونَ إِذَا الْمِيزَانُ شَالَ بِهِمْ أَهُمْ جَنَوْهَا أَمْ الرَّحْمَنُ جَانِيهَا

وقد تقدّمت الأبيات ، ورواية أبي حنيفة بشكل آخر عند « إن كانت أفاعيل العباد من الله دون خلقه فالله أعلى وأعزّ »^(١) ، ومن البعيد جداً أن تكون قصّتان إحداهما مع ابن أبي ليلى ، والأخرى مع آخر ، أو وحده سأل الإمام الكاظم (عليه السلام) عن مسألة الجبر والتفويض وأن الأفاعيل هل هي صادرة من الله تعالى ، أو من العباد ، أو منهما جميعاً ؟ ولا بد من شهر اشوب كلام يطول المقام بذكره فراجع^(٢) .

٢٢٢

اهرب من سائرهم كهربك من السباع الضارية

جاء التمثيل في كلام الإمام الكاظم (عليه السلام) مع هشام بن الحكم رواه ابن شعبة قال :

« يا هشام إياك ومخالطة الناس والأنس بهم إلا أن تجد منهم عاقلاً مأموناً ، فأنس به ، واهرب من سائرهم كهربك من السباع الضارية ... »^(٣) .

الضاري من السباع : المعتاد منها بشيء ومنه « إن قيساً ضراء الله » جمع ضرو وهو من السباع ما ضري بالصيد وهج به : أي أنهم شجعان ، تشبهاً

(١) حرف «إن».

(٢) المصدر نفسه.

(٣) التحف ٣٩٨ ، البحار ٣١٣/٧٨.

بالسياع الضارية في شجاعتها . ومنه الحديث « إن للإسلام ضراوة » أي عادةً ولهجاً به لا يُصبر عنه^(١) سمي ضارياً ، لأنه يضري بالشيء أي يعتاده .

يريد (عليه السلام) من لم يكن من الناس عاقلاً مأموناً فرّ منه فرارك من السبع المعتاد بصيده لا يصبر عنه وهي الغاية في مبالغة الهروب والفرار ، فإنّ الناس كانوا دواءً فأصبحوا داءً قد سلب منهم العقول لا يهتمون سوى دنياهم وأنها أكبر همّهم ، ومهمّتهم ومبلغ علمهم وقد نسب إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) وكان يحدو بالفواطم من مكة إلى مكان هجرة الرسول هذا البيت :

الله ربّ الناس فارفع همّك لا شئ غير الله أن يهّمك^(٢)

والكلمة الكاظميّة بها الكفاية في مجانبة الأوغاد وذوي الأطماع من الناس بل الجميع إلا العاقل الأمين وهو كالكبريت الأحمر ، وهل العاقل الأمين سوى المتّقّي العارف بأهل زمانه ، المستوحش من أوثق إخوانه ؟ وقليل ما هم بل أقل قليل .

٢٢٣

أول ما يبرّ الرجل ولده أن يسمّيه باسم حسن

من الأوّليات برّ الوالد ولده بتحسين اسمه وأدبه : فإنّه حياة الوالد الثانية قال الشيخ الكليني :

عدّة من أصحابنا عن أحمد بن محمد بن خالد عن محمد بن علي عن محمد بن الفضيل عن موسى بن بكر عن أبي الحسن (عليه السلام) قال : أول

(١) النهاية ٨٦/٣ - ضرا - .

(٢) سيرة الرسول (ص) ٩٠ ، في معناه .

ما يبرّ الرجل ولده أن يسمّيه باسم حسن ، فليحسن أحدكم اسم ولده^(١) .
أقول :

قد أشبعنا التكلّم عن الموضوع عند « إذا كان الرجل حاضراً فكأنه^(٢) » .
وفيه نبذة غير يسيرة من أحاديث التسمية التي تربط المقامين ، وان تسمية الولد
باسم حسن يتجلّى حسنّها لدى المراجع الكريم ، نعم قد كانت الجاهلية الجهلاء
تكفّ عن التسمية الحسنى على أبنائها ، وتخصّصها بالماليك والحواري .

روى الصدوق بإسناده إلى أحمد بن أشيم عن الرضا (عليه السلام) قال:
قلت له : لم يسمّى العرب أولادهم بـكلب ، وفهد ، ونمر ، وأشباه ذلك ؟ قال :
كانت العرب أصحاب حرب ، فكانت تهوّل على العدو بأسماء أولادهم .
ويسمّون عبيدهم فرج ومبارك وميمون وأشباه هذا يتيّمون بها^(٣) .

تعرّضنا له في بعض مؤلّفاتنا وعلّقنا عليه بما له صلة بالبحث الجاري فراجع^(٤) .
قوله (عليه السلام) : « أول ما يبرّ الرجل ولده ... » دليل على برّه الكثير

به أوّله تحسين اسمه الذي يبرّ به بعد تكوّنه بل خروجه من بطن أمّه ، ومن البرّ
على الوالد بولده أيضاً قبل الخروج بل والتكوّن ، وإنّه من أوجب أقسام البرّ ،
ألا وهو أكل الحلال المتكوّنة عنه النطفة ، وأن لا يصبّها إلّا في وعاء ظاهر حتى
ينبت النبات الطيب ﴿والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربّه والذي خبث لا يخرج
إلّا نكداً كذلك نصّرف الآيات﴾^(٥) .

(١) الكافي ١٨/٦ ، الوسائل ١٥/١٢٢ .

(٢) حرف «إذا» .

(٣) عيون أخبار الرضا ١/٢٤٥ ، معاني الأخبار ٣٩١ ، وفيه «فرجاً ، ومبارك وميموناً» وهو
الصحيح .

(٤) أمثال وحكم الإمام الرضا أو كلماته المختارة ٢/٦٩٦ .

(٥) الأعراف : ٥٨ .

٢٢٤

أَوَّلُ مَنْ أَحَدَّ وَتَزَنَدَقَ فِي السَّمَاءِ إِبْلِيسُ اللَّعِينِ

من كلام الإمام الكاظم (عليه السلام) مع هارون العباسي قد ذكر بطوله الشيخ ابن شعبة (طاب ثراه) :- إلى أن قال له هارون :-

« أخبرني عن أَوَّلِ مَنْ أَحَدَّ وَتَزَنَدَقَ ؟ فقال موسى (عليه السلام) : أَوَّلُ مَنْ أَحَدَّ وَتَزَنَدَقَ فِي السَّمَاءِ إِبْلِيسُ اللَّعِينِ ، فَاسْتَكْبَرَ ، وَافْتَخَرَ عَلَى صَفِيِّ اللَّهِ وَنَجِيْبِهِ آدَمَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ، فَقَالَ اللَّعِينُ : ﴿ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾ ^(١) فَعَتَا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ، وَالْحَدَّ ، فَتَوَارَثَ الْإِلْحَادَ ذَرِيَّتَهُ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ فَقَالَ : وَإِبْلِيسُ ذَرِيَّةٌ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ ، أَلَمْ تَسْمَعْ إِلَى قَوْلِ اللَّهِ : ﴿ إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذَرِيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بئسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا * مَا أَشْهَدْتَهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلُقَ أَنْفُسَهُمْ وَمَا كُنْتُ مَتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾ ^(٢) .

لأنهم يضلون ذرية آدم بزخارفهم وكذبهم ، ويشهدون أن لا إله إلا الله كما وصفهم في قوله تعالى : ﴿ وَ لئن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ^(٣) : أي أنهم لا يقولون ذلك

(١) ص : ٧٦ .

(٢) الكهف : ٥٠ - ٥١ .

(٣) لقمان : ٢٥ .

إلا تلقيناً وتأديباً وتسميةً ، ومَنْ لا يعلم وإن شهد كان شاكاً معانداً ؛ ولذلك قالت العرب : (من جهل أمراً عاداه ، ومن قصّر عنه عابه ، وألحد فيه)^(١) ؛ لأنه جاهل غير عالم^(٢) .
أقول :

فإبليس أول من بغى على الله في السماء ، كما أن أول من بغى على الله جلّ ذكره في الأرض قابيل بن آدم ولكن في علوي : « أول من بغى على الله جلّ ذكره عناق بنت آدم »^(٣) .

٢٢٥

أول من كفر إبليس

من كلمات الإمام الكاظم (عليه السلام) المأثورة عنه روى أنه قال له : أبو أحمد الخراساني : الكفر أقدم ، أم الشرك ؟ فقال له : ما لك ولهذا ؟ ما عهدي بك تكلم الناس ، قلت : أمرني هشام بن الحكم أن أسألك . [ف] قال : قل له الكفر أقدم ، أول من كفر إبليس ﴿ أَبِي وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾^(٤) . والكفر شيء واحد ، والشرك يُثبت واحداً ، ويشرك معه غيره^(٥) .

(١) شرح النهج ٨٦/٢٠ ، فيه بعض المثل السائر .

(٢) التحف ٤٠٦ ، البحار ٢٤٣/١٠ .

(٣) روضة الكافي ٦٧ .

(٤) البقرة : ٣٤ .

(٥) التحف ٤١٢ ، البحار ٣٢٤/٧٨ ، رواه الكليني في أصول الكافي ٣٨٥/٢ . مع اختلاف في كتابته ولم تكن الكلمة الجارية فيه وهشام بن سالم بدل هشام بن الحكم .

أقول : من لوازم أولية كفر إبليس شركة كل كافر إلى يوم القيامة معه وأن لابليس فيه نصيباً ؛ لأن (الكفر ملة واحدة)^(١) ، وكفر إبليس أقدم كل كفر ؛ لأن آية الإباء قد دلت على تمرده على الله وترك أمره تعالى له بالسجود لآدم صفى الله (عليه السلام) مع الملائكة فسجدوا له ، وأبى أن يسجد ، وقال : ﴿ أنا خير منه خلقتني من نارٍ وخلقته من طين ﴾^(٢) وقد جاء في علوي : « أول من قاس إبليس »^(٣) .

وأما الشرك فهو من زمان عيسى وما بعده حيث قالوا بالتثليث : الأب والابن وروح القدس ويطلق عليه الكفر أيضاً كما في آية ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ﴾^(٤) وبعد موسى ﴿ وقالت اليهود عزير ابن الله ﴾^(٥) ونظائر ذلك مما دل على الشرك من عبدة الأصنام أو الشمس أو القمر أو الكواكب ، والنور ، والظلمة وغيرها من شرك ، أو كفر . وفي باقري : « ومن نصب ديناً غير دين المؤمنين فهو مشرك »^(٦) .

ومن أقسام الشرك الرياء ، ولو فتشنا مزاولة الأعمال والأقوال ، لما خلصت إلى الإخلاص المحض المائة بالمائة ، بل الذنوب ترجع إلى كفر فاعلها ، أو شركه ، والكفر والشرك أقسام لا يسلم من بعضها فضلاً عن غير المسلم الذي دهره ليس إلا كفراً ، أو شركاً .

(١) أمثال وحكم ١/٢٦٨ .

(٢) ص ٧٦ .

(٣) الخصال ٢/٦١٥ ، حديث الأربعانة .

(٤) المائدة : ٧٣ .

(٥) التوبة : ٣٠ .

(٦) أصول الكافي ٢/٣٨٤ .

٢٢٦

أيسرّك أن تراها على ما تراك عليه

التهيئة تزيد العفة ، ومنها الاختضاب لمن أرادها ، وأراد النكاح ، أو استمراره .

قال الشيخ الكليني (طاب ثراه) :

عدّة من أصحابنا عن أحمد بن محمد بن خالد عن أبيه أو غيره ، عن سعد بن سعد عن الحسن بن جهم قال : رأيت أبا الحسن (عليه السلام) اختضب فقلت : جعلت فداك اختضبت ، فقال : نعم إنّ التهيئة ممّا يزيد في عفة النساء ، ولقد ترك النساء العفة بترك أزواجهنّ التهيئة ، ثم قال : أيسرّك أن تراها على ما تراك عليه إذا كنت على غير تهيئة ؟ قلت : لا ، قال : فهو ذاك ، ثم قال : من أخلاق الأنبياء التنظيف ، والتطيّب ، وحلق الشعر ، وكثرة الطروقة ، ثم قال : كان لسليمان بن داود (عليه السلام) ألف امرأة في قصر واحد ثلاثمائة مهيرة وسبعمائة سرية وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) له بضع أربعين رجلاً وكان عنده تسع نسوة وكان يطوف عليهنّ في كلّ يوم وليله^(١) .

إذا كان البعل يضمن للمرأة ما تطلبه من الرجل ويسعف حاجتها فقد حافظ على عفتها ، وكرامتها ، وإذا ترك الضمان ، والتهيئة المسعفة للحاجة الزوجية فقد سبّب لترك عفتها ، ومسّ كرامتها ، وهذا الأمر واضح إلى الغاية بلا افتقار إلى آية ، أو رواية ، وكفى بياناً وإرشاداً إلى ما يدركه العقل قوله تعالى

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾^(١).

والمودة هي المحبة التي لا تفقد لوازمها ما تقدمها وما تأخر عنها ، ومن المعلوم أن التهينة بكل أمر مسعف لحاجتها هي من لوازم الحب ، وقد جاء الأمر بالدعابة قبل أن يأتيها ففي صادقي : « ليس شيء تحضره الملائكة إلا الرهان، ومداعبة الرجل أهله »^(٢) ونبوي : « إذا أراد أحدكم أن يأتي أهله فلا يعجلها »^(٣) ، وآخر : « قول الرجل للمرأة : لأني أحبك ، لا يذهب من قلبها أبداً »^(٤).

٢٢٧

أيم الله لو كشف الغطاء لشغل محسنٌ بإحسانه ، ومسيءٌ بإساءته

من كلمات الإمام الكاظم (عليه السلام) المختارة رواها الشيخ الكليني في كلام له قال (طاب ثراه) :

عدّة من أصحابنا عن أحمد بن أبي عبدالله عن أبي الصخر أحمد بن عبد الرحيم رفعه إلى أبي الحسن صلوات الله عليه قال : نظر إلى الناس في يوم يلعبون ويضحكون ، فقال لأصحابه ، والتفت إليهم : إن الله عزّ وجلّ خلق شهر رمضان مضماراً لخلقه ليستبقوا فيه بطاعته إلى رضوانه ، فسبق فيه قوم ففازوا

(١) الروم : ٢١ .

(٢) الكافي ٥/٥٥٤ .

(٣) الكافي ٥/٥٦٧ .

(٤) الكافي ٥/٥٦٩ .

وتخلف آخرون فخابوا ، فالعجب [كل العجب] من الضاحك اللّاعب في اليوم الذي يثاب فيه المحسنون ، ويخيب فيه المقصرون ، وأيم الله لو كشف الغطاء لشغل محسن بإحسانه ، ومسيء باساءته^(١) .
أقول :

هذا كلام صاحب اليقين بيوم القيامة قبل كشف الغطاء عنه ، وكيف لا وهو ابن من قال : « لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً »^(٢) وذلك أمير المؤمنين (عليه السلام) ، نعم ولقد قال تعالى عن ذلك اليوم : ﴿ فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾^(٣) ، و﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾^(٤) .

وهل ذلك اليوم مكشوف اليوم لغير المعصوم (عليه السلام) ؟
نعم إن الله تعالى عبادةً أنعم الله عليهم وجعلهم في كنفه فكشف عن أبصارهم وبصائرهم يحببهم ويحبونه ، ولا يؤثرون عليه شيئاً قد وصفهم أمير المؤمنين (عليه السلام) في بعض خطبه . فقال : « فكأنهم قطعوا الدنيا إلى الآخرة وهم فيها ، فشاهدوا ما وراء ذلك ، فكأنها أطلعوا غيوب أهل البرزخ في طول الإقامة فيه ، وحققت القيامة عداتها فكشفوا غطاء ذلك لأهل الدنيا حتى كأنهم يرون ما لا يرى الناس ويسمعون ما لا يسمعون .

فلو مثلتهم لعقلك في مقاومهم المحمودة ومجالسهم المشهودة ، وقد نشروا دواوين أعمالهم ، وفرغوا لمحاسبة أنفسهم »^(٥) ، فراجع .

(١) الكافي ٤/١٨١ .

(٢) البحار ٤٦/١٣٥ .

(٣) ق : ٢٢ .

(٤) القلم : ٤٢ .

(٥) النهج ١١/١٧٦ - ١٧٧ ، الخطبة ٢١٧ .

٢٢٨

إيه يا أبا خالد

كلمة الإمام الكاظم (عليه السلام) لاستزادة واستنطاق أبي خالد الزبالي جاءت في كلام له رواه الشيخ الكليني (طاب ثراه) قال :

عدّة من أصحابنا عن أحمد بن محمد ، وعلي بن إبراهيم عن أبيه جميعاً عن أبي قتادة القمي عن أبي خالد الزبالي ، قال : لما أقدم بأبي الحسن موسى (عليه السلام) على المهدي القدمة الأولى نزل زبالة^(١) فكنت أحدثه ، فرآني مغموما فقال لي : يا أبا خالد مالي أراك مغموماً ، فقلت : وكيف لا أغتمّ وأنت تحمل إلى هذه الطاغية ولا أدري ما يحدث فيك . فقال : ليس عليّ بأس ، إذا كان شهر كذا وكذا ، ويوم كذا ، فوافني في أول الميل ، فما كان لي هم إلا إحصاء الشهور والأيام حتى كان ذلك اليوم فوافيت الميل ، فما زلت عنده حتى كادت الشمس أن تغيب ووسوس الشيطان في صدري ، وتخوّفت أن أشكّ فيما قال ، فبينما أنا كذلك إذا نظرت إلى سواد قد أقبل من ناحية العراق ، فاستقبلتهم ، فإذا أبو الحسن (عليه السلام) أمام القطار على بغلة ، فقال :

إيه يا أبا خالد ، قلت : لبيك يا ابن رسول الله ، فقال : لاتشكنّ ، ودّ الشيطان أنك شككت ، فقلت : الحمد لله الذي خلّصك منهم ، فقال : إن لي إليهم عودة لا أتخلّص منهم^(٢) .

(١) منزل معروف بطريق مكة من الكوفة معجم البلدان ١٢٩/٣ .

(٢) أصول الكافي ١/٤٧٧ - ٤٧٨ ، مناقب ابن شهر اشوب ٤/٢٨٧ البحار ٤٨/٧٣ .

أقول :

قال ابن منظور : إيه : كلمة استزادة واستنطاق ، وهي مبنية على الكسر ، وقد تنون . تقول للرجل إذا استزدته من حديث أو عمل : (إيه) بكسر الهاء ، وفي الحديث : إنه أنشد شعر أميه بن أبي الصلت فقال عند كل بيت إيه ؛ قال ابن سكيت : فإن وصلت نونت فقلت : إيه حدتنا ، وإذا قلت إيه بالنصب فإنما تأمره بالسكوت . قال الليث : هيه وهيه بالكسر والفتح في موضع إيه وإيه^(١) . سبق أن الكلمة جاءت في كلامه (عليه السلام) يخاطب بها الزبالي .

٢٢٩

إياك أن تمنع في طاعة الله فتنفق مثليه في معصية الله

كلمة الإمام الكاظم (عليه السلام) الحكيمية قد شوهدت عياناً قبل البيان : أن المال غير المذول في الطاعة ، صرف في العصيان ، وكان الوزر على المجمع والهنأ لغيره ، أو السارق ، أو الوارث ، أو الذئب ، أو الحرق ، أو الغرق ، أو السلطة الجائرة ، أو الهلاك والعطب ، ولم يكن له إلا التعب والنصب ؛ ذلك جزاء من لم ينفق المال في سبيل الله تعالى .

ثم الكلمة قد رواها ابن شعبة قال : وقال (عليه السلام) : « إياك أن تمنع في طاعة الله فتنفق مثليه في معصية الله »^(٢) .

المال والكلمة العلوية المادحة :

أفضل المال ما قضيت به الحقوق . إن خير المال ما أورتك ذخراً وذكرأ

(١) اللسان ١٣٦ / ٤٧٤ - إيه - .

(٢) التحف ٤٠٨ ، البحار ٣٢٠ / ٧٨ .

وأكسبك حمداً وأجراً . أنفع المال ما قضى به الفرض . إن خير المال ما كسب ثناءً وشكراً ، وأوجب ثواباً وأجراً . أزكى المال ما اشتري به الآخرة . أفضل الأموال أحسنها أثراً عليك . خير أموالك ما وقى عرضك . خير الأموال ما أعان على المكارم .

والذامة :

المال يعسوب الفجار . العاقل يطلب الكمال ، والجاهل يطلب المال . المال وبال على صاحبه إلا ما قدم منه . الناس من خوف الذلّ مستعجلوا الذلّ . إذا أراد الله بعبد شراً حبّب إليه المال ، وبسط منه الآمال . كم من مغبوط بنعمته وهو في الآخرة من الهالكين . ليس ينجو من الموت غنيّ لكثرة ماله . ليس الخير أن يكثر مالك ، وولدك ، إنما الخير أن يكثر علمك ، ويعظم حلمك . لا يجمع المال إلا الحرص والحريص شقيّ مذموم . ثروة المال تردي وتطغي وتفتني^(١) ﴿إنّ الإنسان ليطغى* أن رآه استغنى﴾^(٢) ، وهل بعد هذه الآية آية ، وبعد الحديث حديث .

(١) تصنيف غرر الحكم ٣٦٧ - ٣٦٨ .

(٢) العلق : ٦ - ٧ .

٢٣٠

إِيَّاكَ أَنْ يَرَاكَ اللَّهُ فِي مَعْصِيَةِ نَهَاكَ عَنْهَا

كلمة حكمة إن تكن مثلاً تقال للتحذير عن العصيان ، والترغيب للحياء ، رواها الحرّ عن الصدوق بإسناده إلى سعد بن أبي خلف عن أبي الحسن موسى ابن جعفر (عليهما السلام) إنه قال لبعض ولده : يا بني إِيَّاكَ أَنْ يَرَاكَ اللَّهُ فِي مَعْصِيَةِ نَهَاكَ عَنْهَا ، وَإِيَّاكَ أَنْ يَفْقِدَكَ اللَّهُ عِنْدَ طَاعَةِ أَمْرِكَ بِهَا^(١).

الكلمة الثانية تأتي في موضعها^(٢) الطاعة والعصيان سبق التكلّم عنها عند « اصبر على أعداء النعم »^(٣) وهما متقابلان كما أنّ الرؤية والفقدان كذلك والاعتقاد بأنّ الله يرى حين عصيانه جعله تعالى من أهون الناظرين ، وإن اعتقد العاصي أنّه لا يراه فقد كفر به ، وقد جاء في كلمة نبويّة : « اعبد ربّك كأنّك تراه ، فإن كنت لا تراه فإنّه عزّ وجلّ يراك ... »^(٤).

والرؤية المشاهدة بعين البصيرة لا عين البصر ؛ لأنّه قال تعالى: ﴿لَا لَاتَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾^(٥) ؛ ولأنّه لا تحيطه الجهة التي يلازمها الإبصار المحدوديّة المنفيّة عنه وكلمة « كأنّك تراه » تنظير الرؤية القلبية بالرؤية البصريّة دليل على أنّ رؤية الله بالبصر مستحيلة لاستلزامها التحيّر والتحدّد اللازمين للأجسام

(١) الوسائل ١١/١٨٨ ، التحف ٤٠٩ .

(٢) لفظ «إِيَّاكَ» .

(٣) حرف الهمزة مع الصاد .

(٤) أمالي الطوسي ٢/١٣٨ .

(٥) الأنعام : ١٠٣ .

المعزولة عن ساحة الربّ تعالى ، إذ كلّ مرثي بالبصر محدود وقد ذكرنا تفصيل ذلك عند « اعبد ربك كأنك تراه »^(١) وقوله تعالى ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ﴾^(٢) تهديد لكل متمرّد طاغ يركب الذنب بلا هوادة ولا احتشام ، ولا يرى أنّ الله يراه والكلمة الكاظميّة وفق له . وتحذير عن الوقوع موقع غضب الربّ تعالى والتعرّض لذلك ، وسلب الحياء ، والإيمان وعدم رعاية أدب الحضور الحضرة الربوبية . ربّنا أدبنا وارحمنا .

٢٣١

إِيَّاكَ أَنْ يَفْقِدَكَ اللَّهُ عِنْدَ طَاعَةِ أَمْرِكَ بِهَا

كلمة الإمام الكاظم (عليه السلام) هذه والتي سبقت الأخرى منها هما :
« إِيَّاكَ أَنْ يَرَاكَ اللَّهُ فِي مَعْصِيَةِ نَهَاكَ عَنْهَا »^(٣) .

وأصل الكلمتين ما عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال : « احذر أن يراك الله عند معصيته ، ويفقدك عند طاعته ، فتكون من الخاسرين ، وإذا قويت فأقو . على طاعة الله ، وإذا ضعفت فأضعف عن معصية الله »^(٤) .

قال ابن أبي الحديد :

من علم يقيناً أنّ الله تعالى يراه عند معصيته كان أجدر الناس أن يجتنبها ؛ كما إذا علمنا يقيناً أنّ الملّك يرى الواحد منا وهو يراود جاريته عن نفسها ،

(١) الأمثال النبوية ١/١١٩ ، الرقم ٧٥ .

(٢) العلق : ١٤ .

(٣) لفظ «إِيَّاكَ» ، الوسائل ١١/١٨٨ ، التحف ٤٠٩ .

(٤) النهج ١٩/٣٢٤ ، الحكمة ٣٨٩ .

أو يحدث ولده ليفجر به ، ولكنّ اليقين في البشر ضعيفٌ جدّاً ، أو أنّهم أحمق الحيوان وأجهله ، وبحقّ أقول : إنهم إن اعتقدوا ذلك اعتقاداً لا يخالطه الشكّ ، ثم واقعوا المعصية ، وعندهم عقيدة أخرى ثابتة أنّ العقاب لاحق بمن عصى ، فإنّ الإبل والبقر أقرب إلى الرشاد منهم .

وأقول : إنّ الذي جرّأ الناس على المعصية الطمع في المغفرة ، والعمو العام . وقولهم : الحلم والكرم والصفح من أخلاق ذوي النباهة والفضل من الناس ، فكيف لا يكون من البارئ سبحانه عفوٌ عن الذنوب .
وما أحسن قول شيخنا أبي علي رحمه الله : لولا القول بالإرجاء لما عصي الله^(١) .

وأنا أقول : لولا الهداية والتوفيق وإيصال حبه إلى القلب ، لما ارتدع المذنب ؛ وقد جاء في المناجاة الشعبانية «إلهي لم يكن لي حولٌ فأنْتَقَلَ به عن معصيتك إلّا في وقت أيقظتني لمحبتك... إلهي انظر إليّ نظراً من ناديتَه فأجابك واستعملته بمعونتك فأطاعك يا قريباً لا يبعد عن المغترّ به... إلهي هب لي قلباً يُدنيه منك شوقه...»^(٢) .

(١) شرح المصدر .

(٢) الإقبال ٦٨٦ .

٢٣٢

إِيَّاكَ وَالضُّجْرَ وَالْكَسْلَ فَإِنَّهُمَا يَمْنَعَانِكَ حَظَّكَ مِنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ

خَلْتَانِ تَمْنَعَانِ عَنِ الْخَيْرَاتِ وَالْحُظُوظِ : هُمَا التُّضَجْرُ وَالتَّكْسَلُ ، يَنْشَأَانِ
عَنِ حُبِّ الرَّاحَةِ .

مِنْ كَلِمَاتِ الْإِمَامِ الْكَاطِمِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) رَوَاهَا ابْنُ إِدْرِيسَ بِإِسْنَادِهِ إِلَى
أَبِي الْحَسَنِ مُوسَى (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فِي حَدِيثٍ أَنَّهُ قَالَ لِبَعْضِ وَلَدِهِ : إِيَّاكَ وَالْمَزَاحَ
فَإِنَّهُ يَذْهَبُ بِنُورِ إِيْمَانِكَ ، وَيَسْتَخْفُ مَرُوءَتِكَ ، وَإِيَّاكَ وَالضُّجْرَ وَالْكَسْلَ ؛ فَإِنَّهُمَا
يَمْنَعَانِكَ مِنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ^(١) .

أَقْسُولُ :

تَأْتِي كَلِمَةُ «إِيَّاكَ وَالْمَزَاحَ» ^(٢) ، وَأَمَّا وَ «إِيَّاكَ وَالضُّجْرَ وَالْكَسْلَ» الَّتِي يَجْرِي
الْكَلَامُ عَنْهَا هُنَا فَإِلَيْكَ مِنْ أَحَادِيثَ فِي مَعْنَاهَا ، وَمِنْ أَمْثَالِ وَحِكْمِ :
الْفِشْلُ مَنْقُصَةٌ . التَّوَانِي سَجِيَّةُ النُّوْكِيِّ . إِيْتَارُ الدَّعَةِ يَقْطَعُ أَسْبَابَ الْمَنْفَعَةِ .
آفَةُ الْعَمَلِ الْبَطَالَةُ . آفَةُ النَّجْحِ الْكَسْلُ . ثَلَاثٌ يَهْدِدُنَ الْقَوَى فَقَدْ الْأَحْبَةَ ،
وَالْفَقْرَ فِي الْغَرْبَةِ ، وَدَوَامُ الشَّدَةِ . رَبٌّ قَاعِدٌ عَمَّا يَسْرَهُ . كُنْ مِمَّنْ لَا يَفْرِطُ بِهِ عُنْفٌ ،
وَلَا يَقْعُدُ بِهِ ضَعْفٌ . مِنَ التَّوَانِي يَتَوَلَّدُ الْكَسْلُ . لَا تَتَّكِلْ فِي أُمُورِكَ عَلَى كَسْلَانِ .
التَّوَانِي فُوتٌ . الْمَطْلُ عَذَابُ النَّفْسِ . بِالتَّوَانِي يَكُونُ الْفُوتُ . التَّوَانِي فِي الدُّنْيَا

(١) الوسائل ١١/٣٢٠ - ٣٢١ ، التحف ٤٠٩ .

(٢) لفظ «إِيَّاكَ» .

إضاعة ، وفي الآخرة حسرة . من دام كسله خاب أمله . من ضعف جدّه قوى ضده . من أطاع التواني ضيع الحقوق . من قعد عن حيلته [حبلته] أقامته الشدائد . من أطاع التواني أحاطت به الندامة^(١) .

إن سبب الضجر ضيق الصدر ، والممدوح سعته ، وعلة للكسل حبّ الراحة وضدها العمل والكسب الذي به العزّ والشموخ ، وقد تقدّم القول الكاظمي «أغدُ إلى عزك»^(٢) . ترغيب إلى الاكتساب ، وترك التواني والضجر .

٢٣٣

إيّاك والطمع

كلمة الإمام الكاظم (عليه السلام) المأثورة عنه كما يلي:

«إيّاك والطمع ، وعليك باليأس ممّا في أيدي الناس ، وأمت الطمع من المخلوقين فإنّ الطمع مفتاح للدّل ، واختلاس العقل ، واختلاف المروءات ، وتدنيس الغرض ، والذهاب بالعلم»^(٣) .

أقول :

المخاطب بالكلمة هشام بن الحكم المتقدّمة عند « أمت الطمع من المخلوقين »^(٤) . وتكرارها لغرض حاجة الربط ، كما وقد أوردنا نبذة أحاديث ،

(١) تصنيف غرر الحكم ٤٦٣ .

(٢) حرف الهمزة مع الغين .

(٣) التحف ٣٩٩ ، البحار ٣١٥/٧٨ .

(٤) حرف الهمزة مع الميم .

وكلمات تمس كلمة « إياك والطمع » ، وإليك نبذة أخرى .
 منها العلوي : « إذا أحببت أن تجمع خير الدنيا والآخرة فاقطع طمعك
 مما في أيدي الناس » .

وباقري : « أتى رجل رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، فقال : علمني
 يا رسول الله شيئاً ، قال : عليك باليأس مما في أيدي الناس ، فإنه الغنى الحاضر ،
 قال : زدني يا رسول الله ، قال : إياك والطمع ؛ فإنه الفقر الحاضر ... » .
 وعلوي : « أكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع »^(١) .

الطمع والكلمة العلوية الأخرى :

الطمع مورد غير مُصدر ، وضامن غير موف . أهلك شيء الطمع . أقيح
 الشيم الطمع . بلاء الرجل في طاعة الطمع والأمل . خير الأمور ما عرى عن
 الطمع . ذر الطمع والشره ، وعليك بلزوم العفة والورع . رب طمع كاذب لأمل
 غائب . عند غرور الأطماع والآمال تنخدع عقول الجهال ، وتختبر ألباب
 الرجال . غش نفسه من شربها الطمع . قد يكون اليأس إدراكاً إذا كان الطمع
 هلاكاً [إهلاكاً] . من اتخذ الطمع شعاراً جرّعته الخيبة مراراً . نكد الدين الطمع ،
 وصلاحه الورع . لا تطمع فيما لا تستحق . لا تخاطر بشيء رجاء أكثر منه . من
 لم يصلحه الورع أفسده الطمع . الطامع أبداً في وثاق الذلّ قرن الطمع بالذلّ .
 الطمع رقّ محلّد . الطمع محنة . نعوذ بالله من المطامع الدنيّة ، والهمم غير
 المرضية^(٢) .

وكثير من الكلمات المثلية والحكمية مصدرها ما ذكرناه .

(١) الوسائل ١١/٣٢١ - ٣٢٢ .

(٢) تصنيف غرر الحكم ٢٩٧ - ٢٩٩ .

٢٣٤

إِيَّاكَ وَالْكَبِيرَ

من كلمات الإمام الكاظم (عليه السلام) لهشام بن الحكم كالتالية : « يا هشام إِيَّاكَ وَالْكَبِيرَ ، فَإِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ كِبَرٍ ، الْكِبْرِيَاءُ رِذَاءُ اللَّهِ ، فَمَنْ نَازَعَهُ رِذَاءَهُ أَكْبَهُهُ اللَّهُ فِي النَّارِ عَلَى وَجْهِهِ »^{١١}.

الْكِبَرُ فِي اللَّغَةِ ، وَالْحَدِيثُ

قال ابن فارس : الْكِبَرُ : الْعِظْمَةُ ، وَكَذَلِكَ الْكِبْرِيَاءُ ، وَيُقَالُ : وَرثُوا الْمَجْدَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ . وَيُقَالُ : أَكْبَرْتُ الشَّيْءَ : اسْتَعْظَمْتَهُ^{١٢}.

وعرفه بعض الأحاديث بما يلي كالصحيح الصادقي : « قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : إِنَّ أَعْظَمَ الْكِبَرِ غَمَصُ الْخَلْقِ ، وَسَفَهُ الْحَقِّ ، قَالَ : قُلْتُ : وَمَا غَمَصُ الْخَلْقِ ، وَسَفَهُ الْحَقِّ ؟ قَالَ : يَجْهَلُ الْحَقَّ ، وَيَطْعُنُ عَلَى أَهْلِهِ ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ نَازَعَ اللَّهَ عِزًّا وَجَلَّ رِذَاءَهُ »^{١٣} . وصحيح عبد الأعلى عن أبي عبدالله (عليه السلام) : الْكِبَرُ أَنْ تَغْمَصَ النَّاسَ ، وَتَسْفَهُ الْحَقَّ ، وَالْآخِرُ قَالَ : قُلْتُ لَهُ : مَا الْكِبَرُ ؟ فَقَالَ : أَعْظَمَ الْكِبَرِ أَنْ تَسْفَهُ الْحَقَّ ، وَتَغْمَصَ النَّاسَ ، قُلْتُ : وَمَا سَفَهُ الْحَقِّ ؟ قَالَ : يَجْهَلُ الْحَقَّ ، وَيَطْعُنُ عَلَى أَهْلِهِ^{١٤} !

(١) التحف ٣٩٦.

(٢) معجم مقاييس اللغة ١٥٤/٥ - كبر -

(٣) أصول الكافي ٣١٠/٢.

(٤) أصول الكافي ٣١٠/٢ - ٣١١.

أقول : ويجمع الجميع أن المتكبر يسحق الحق سواء أكان حق الله ، أو حق الناس ؛ والسرف فيه أنه يرى نفسه أكبر خطراً من غيره ، ويرى لها الحق على الله وعلى الناس ، ويرى كل الحق لها ، ومن ثم لا يخضع أبداً ، تظهر ظاهرتة عليه لا تنفك عنه كإبليس إنه ﴿ أبى واستكبر وكان من الكافرين ﴾^(١) . وقد جاء الدمّ البالغ للكبر في أحاديث .

منها الصادقي :

« مامن عبد إلا وفي رأسه حكمة ، وممك يمسكها ، فإذا تكبر قال له : أتضع وضعك الله فلا يزال أعظم الناس في نفسه ، وأصغر الناس في أعين الناس ، وإذا تواضع رفعه الله عز وجل ، ثم قال له : انتعش نعتك الله ، فلا يزال أصغر الناس في نفسه ، وأرفع الناس في أعين الناس »^(٢) . وفيه لأهل الدراية الكفاية .

٢٣٥

إيّاك والمزاح ، فإنه يذهب بنور إيمانك

من كلمات الإمام الكاظم (عليه السلام) رواها ابن إدريس أنه قال لبعض ولده :

« إيّاك والمزاح ؛ فإنه يذهب بنور إيمانك ، ويستخف مروءتك ... »^(٣) .

(١) البقرة : ٣٤ .

(٢) أصول الكافي ٢/٣١٢ .

أقول : وفيه أحاديث أخرى فراجع .

(٣) أصول الكافي ٢/٦٦٥ ، الوسائل ١١/٣٢٠ - ٣٢١ ، التخف ٤٠٩ .

أقول :

اشتمل الحديث على ما لم أذكره هنا مخافة التكرار ، إذ سبق باقي الحديث عند « إياك والضجر والكسل فإنها يمنعانك حظك من الدنيا والآخرة »^(١).

المزاح

في المزاح أحاديث ، وكلمات ، وأمثال وحكم لم يسع المقام لذكرها سوى نبذة مادحة.

منها النبوي : « إني لأمزح ولا أقول إلا حقاً »^(٢).

والآخر : « المؤمن دعب لعب ، والمنافق قطب ، وغضب »^(٣).

عن يونس الشيباني قال : قال لي أبو عبدالله (عليه السلام) : كيف مداعبة بعضكم بعضاً ؟ قلت : قليل ، قال : فلا تفعلوا ؛ فإن المداعبة من حسن الخلق ، وإنك لتدخل بها السرور على أخيك ، ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يداعب الرجل يريد أن يسره^(٤).

والآخر : « ما من مؤمن إلا وفيه دعاية ، قيل له : وما الدعاية ؟ قال :

المزاح »^(٥).

أتت امرأة عجوز إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال : لا تدخل الجنة عجوز ، فبكت ، فقال : إنك لست يومئذ بعجوز ؛ قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا

(١) لفظ « إياك ».

(٢) مكارم الأخلاق ٣٦.

(٣) البحار ١٥٥/٧٧.

(٤) أصول الكافي ٦٦٣/٢.

(٥) المصدر.

أنشأناهنّ إنشاءً * فجعلناهنّ أبقاراً»^(١).

عن أنس أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وآله ، فقال : يا رسول الله احملني ، قال النبي صلى الله عليه وآله : إنا حاملوك على ولد ناقة ، قال : وما أصنع بولد الناقة؟! فقال صلى الله عليه وآله : وهل تلد الإبل إلا النوق^(٢).

المزاح وقدحه

في علوي : «إياكم والمزاح ، فإنه يجرّ السخيمة ، ويورث الضغينة وهو السب الأصغر».

وصادقي : «إياكم والمزاح ، فإنه يذهب بهاء الوجه» .

وباقري : «إذا قهقهت فقل حين تفرغ : اللهم لا تمقتني»^(٣).

وآخر : «كثرة المزاح تذهب بهاء الوجه ، وكثرة الضحك تمجّ الإيمان مجاً».

وصادقي : «لا تمار فيذهب بهاؤك ، ولا تمازح فيجتراً عليك».

وآخر : «إياكم والمزاح فإنه يذهب بهاء الوجه ، ومهابة الرجال»^(٤).

المزاح والكلمات

المزاحة تُذهب المهابة ، وتورث الضغينة . المزاح سباب النوكى . لا تمازح الشريف فيحقد عليك ، ولا الدنيّ فيجتريّ عليك . المزح يجلب الشرّ صغيره ، والحرب كبيره . المزح أوله فرح ، وآخره ترحّ . لو كان المزح فحلاً لم يُنتج إلا شراً . المزاح هو السباب الأصغر ، إلا أن صاحبه يضحك . الإفراط في المزح مجون وجنون ، والاقتصاد فيه ظرفٌ ، والتقصير عنه قدامه^(٥) المزح يأكل الهيبة

(١) مجموعة ورّام ١/١٠٢ ، الواقعة : ٣٥ - ٣٦ .

(٢) سنن داود ، الحديث ٤٩٩٤ .

(٣) أصول الكافي ٢/٦٦٤ .

(٤) أصول الكافي ٢/٦٦٥ .

(٥) خ ل سلامة هامش التمثيل والمحاضرة ٤٤٩ .

٦٠٤ المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام

كما تأكل النار الحطب . مَنْ كَثَرَ مَزْحَهُ لَمْ يَسْلَمْ مِنْ اسْتِحْفَافٍ بِهِ ، أَوْ حَقْدٍ عَلَيْهِ
مَنْ كَثَرَ مَزَاحَهُ تَنَازَعَهُ الْحَقْدُ وَالْهَوَانُ . رَبِّ مَزْحٍ فِي غُورِهِ جَدٌّ وَكَدٌّ . [أول]
أسباب القطيعة المرء والمزح^(١) .

الأمثال

المزاح سباب النوكي . المزاحة تذهب المهابة^(٢) كما تقدمت .
قال شعراً :

وتذهب المهابة المزاحة فُلْتُكَ عَنْكَ أَبْدَأُ مَزَاحَهُ
وأطرح المزاح إذ كان يُرى سباب نوكي فهو شرُّ أثر^(٣)

٢٣٦

أي فحش أو خناء أعظم من قول من يصف خالق
الأشياء بجسم أو صورة

قال الشيخ الصدوق : حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي
عبدالله البرقي رضي الله عنه عن أبيه عن جدّه أحمد بن أبي عبدالله عن أحمد بن
أبي نصر عن محمد بن حكيم قال : وصفت لأبي إبراهيم (عليه السلام) قول

(١) التمثيل والمحاضرة ٤٤٨ - ٤٤٩ .

(٢) المستقصى ٣٤٦/١ .

(٣) فرائد اللال في مجمع الأمثال ٢٥٠/٢ .

هشام الجواليقي ، وحكيت له قول هشام بن الحكم إنه جسم . فقال : إن الله لا يشبهه شيء ، أي فحش أو خناء أعظم من قول من يصف خالق الأشياء بجسم أو صورة ، أو بخلقة ، أو بتحديد ، أو أعضاء؟! تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً^(١).

نسب إلى هشام بن الحكم بأن الله جسم ، وإلى هشام بن سالم بأنه صورة وجاءت عنهم (عليهم السلام) أحاديث وفيها الصحاح منها الكاظمي المشهور على اللسان : «دع عنك حيرة الحيران ، واستعذ بالله من الشيطان ، ليس القول ما قال الهشامان»^(٢) . وقد أبطلها السيد المرتضى في كتابه الشافي .

قال المعلق على الكافي : المراد بالهشامين هشام بن الحكم وهشام بن سالم الجواليقي وهما من أجلاء أصحاب أبي عبدالله وأبي الحسن موسى (عليهما السلام) .

وأما ما نسب إليهما من القول بالتشبيه والتجسيم فغير صحيح عند عظماء أصحابنا كما أن السيد المرتضى قدس سره بالغ في براءة ساحتها من مثل هذه الأقوال في كتاب الشافي مستدلاً بدلائل شافية ، ومن أراد الاطلاع فليراجع هناك^(٣).

اقول :

وقد وجه بوجوه منها أنه ناش من عدم فهم كلامها . ومنها ناش من خلط كلام المخالفين بكلامها عند الاحتجاج . ومنها تقول عليها من المخالفين فنسبوا إليها هذه الآراء التافهة كما نسبوا المذاهب الشيعية الى زرارة ومؤمن الطاق

(١) التوحيد ٩٩ ، أصول الكافي ١/١٠٥ .

(٢) المصدران ٩٧ ، ١٠٥ .

(٣) هامش أصول الكافي ١/١٠٥ .

والميثمي وغيرهم من أكابر الشيعة ، وما جاء في الصحيح فلمصلحة فيه لا تخفى على من راجع التراجم^(١) .

قد حكم العقل السليم بمحالية التصوير والتجسيم ؛ للزوم التحديد المحال على الله تعالى وإلى الحكم العقلي أشار الإمام الصادق (عليه السلام) عند ردّ من قال بذلك .

«أما علم أنّ الجسم محدود متناهٍ ، والصورة محدودة متناهية ، فإذا احتمل الحدّ احتمل الزيادة والنقصان ، وإذا احتمل الزيادة والنقصان كان مخلوقاً . قال : قلت : ما أقول : قال : لا جسم ولا صورة وهو مجسمّ الأجسام ومصورّ الصور ، لم يتجزّء ، ولم يتناه ، ولم يتزايد ، ولم يتناقص ، لو كان كما يقولون لم يكن بين الخالق والمخلوق فرق ، ولا بين المنشئ والمنشأ ، لكن هو المنشئ فرّق بين من جسّمه وصوّره وأنشأه ؛ إذ كان لا يشبهه شيء ولا يشبهه هو شيئاً»^(٢) .

وليس على العبد إلّا معرفة ربّه الذي خلقه وصوّره ، وبخلقه وتصويره استحال أن يكون مثله خلقاً وصورة ، ثم بعد ذلك عليه شكر نعمة الخلق ، ولتفصيل المعرفة .

قال الصادق (عليه السلام) : «وجدت علم الناس في أربع أحدها : أن تعرف ربك ، والثاني : أن تعرف ما صنع بك ، والثالث : أن تعرف ما يخرجك عن دينك ، والرابع : أن تعرف ما أراد منك»^(٣) .

قال شيخنا المفيد : هذه اقسام تحيط بالفروض من المعارف ، لأنّه أوّل ما يجب على العبد معرفة ربّه جلّ جلاله ، فإذا علم أنّ له إلهاً وجب أن يعرف

(١) هامش أصول الكافي ١/١٠٥ .

(٢) أصول الكافي ١/١٠٦ .

(٣) أعلام الدين ٤٠ .

صنعه إليه ، فإذا عرف صنعه عرف نعمته ، فإذا عرف نعمته وجب عليه شكره ، فإذا أراد تأدية شكره وجب عليه معرفة مراده ليطيعه بفعله ، وإذا وجبت عليه طاعته وجب عليه معرفة ما يخرج من دينه ليجتنبه فتصح به طاعة ربه ، وشكر أنعامه^(١) ولبعض أهل الفضل :

إن كان جسماً فما ينفك عن عرض
أو كان متصلاً بالشيء فهو به
لا تطلبنَّ إلى التكييف من سبب
واستعمل الحبل حبل العقل تحظ به
والزم من الدين ما قام الدليل به
أو جوهراً فبذئ الأقطار موجود
أو كان منفصلاً فالكل محدود
إنَّ السبيل إلى التكييف مسدود
فالعقل حبلٌ إلى بارئك ممدود
فإنَّ أكثر دين الناس تقليد^(٢)

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه.

حرف الباء

٢٣٧

البئر المعطلة الإمام الصامت ، والقصر المشيد الإمام الناطق

تمتيلان ضربهما الإمام الكاظم (عليه السلام) للإمام المعصوم لحالتي التقيّة وعدمها ، ولإيصال النفع إلى الناس وعدمه ، ذكرهما الشيخ الكليني (طاب ثراه) لتأويل آية البئر المعطلة والقصر المشيد قال :

محمد بن الحسن وعلي بن محمد عن سهل بن زياد عن موسى بن القاسم البجلي عن علي بن جعفر عن أخيه موسى (عليه السلام) في قوله تعالى : ﴿وَبئر مَعطلةٍ وَقصرٍ مَشِيدٍ﴾ . قال : البئر المعطلة الإمام الصامت ، والقصر المشيد الإمام الناطق^(١) .
أقول :

قال تعالى ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبئرٍ مَّعطلةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾^(٢) قيل : ﴿وَبئرٍ مَّعطلةٍ ...﴾ عطف على ﴿من قرية﴾ أي من قرية ومن أهل بئر . قاله الزجاج ، والقراء يذهب إلى عطفها على ﴿عروشها﴾ ، و﴿معطلة﴾ أي متروكة ، أو غائرة الماء أو من دلائنها ، وأرشيته والمعنى خالية من أهلها هلاكهم . و﴿قصر مشيد﴾ أي رفيع طويل قال عدي بن زيد :

شادُهُ مَرمرًا وَجَلَلُهُ كَلدٌ * أ فَلَطيرٍ في ذُرَاهِ وَكُور

(١) أصول الكافي ٤٢٧/١ ، مناقب ابن شهر آشوب ٥٧٠/١ .

(٢) الحج : ٤٥ .

أي رفعه ، أو من الشيد وهو الحصّ قال الراجز :
 لا تحسبني وإن كنت امرءاً غمراً^(١) كحياة المساء بين الطين والشيد

وقال ابن عباس : ﴿ مشيد ﴾ أي حصين . أو ﴿ مشيد ﴾ بالتشديد
 من قوله تعالى : ﴿ في برّوجٍ مُّشيدَةٍ ﴾^(٢) .

يقال : إن هذه البئر ، والقصر بحضرموت معروفان ، فالقصر مشرف على
 قلة جبل لا يرتقي إليه بحال ، والبئر في سفحه لا تقرّ الرياح شيئاً سقط فيه إلا
 أخرجته . وأصحاب القصور ملوك الحضرة ، وأصحاب الآبار ملوك البوادي . أي
 أهلكتنا هؤلاء وهؤلاء وقيل البئر الرسّ ، وكانت بعدن باليمن بحضرموت في بلد
 يقال له : حَضُورًا ، نزل بها أربعة آلاف من آمن بصالح ، ونجوا من العذاب
 ومعهم صالح ، فمات صالح فسُمي المكان حضرموت ؛ لأنّ صالحاً لما حضره مات
 فبنوا حَضُورًا وقعدوا على هذه البئر ، وأمروا عليهم رجلاً يقال له العلس بن
 جلاس بن سويد ... وكان حسن السيرة فيهم عادلاً عليهم وجعلوا وزيره
 سنحاريب بن سواده ، فأقاموا دهرًا ، وتناسلوا حتى كثروا ، وكانت البئر
 تسقي المدينة كلّها وباديتها وجميع ما فيها من الدواب والغنم والبقر وغير
 ذلك ؛ لأنّها كانت لها بكرات كثيرة منصوبة عليها ، ورجال كثيرون موكلون
 بها ، وأبازن (بالنون) من رخام وهي شبه الحياض كثيرة تملأ للناس ، وآخر
 للدواب ، وآخر للبقر ، وآخر للغنم والقوام يسقون عليها بالليل والنهار
 يتداولون ، ولم يكن لهم ماء غيرها ، وطال عمر الملك الذي أمره ، فلمّا جاءه
 الموت طُلي بدهن لتبقى صورته لا تتغير ، وكذلك كانوا يفعلون إذا مات منهم

(١) أي الغمّ الذي لم يجرب الأمور .

(٢) النساء : ٧٨ .



الميت وكان ممن يكرم عليهم ، فلما مات شق ذلك عليهم ، وراوا أن أمرهم فسد ، وضجوا جميعاً بالبكاء ، واغتنمها الشيطان منهم فدخل في جنة الملك بعد موته بأيام كثيرة ، فكلّمهم وقال : إني لم أمت ولكن تغيّبت عنكم حتى أرى صنعكم ، ففرحوا أشدّ الفرح وأمر خاصته أن يضربوا له حجاباً بينه وبينهم ويكلّمهم من ورائه لئلا يعرف الموت في صورته . فنصبوا صنماً من وراء الحجاب لا يأكل ولا يشرب . وأخبرهم أنه لا يموت أبداً ، وأنه إلههم ، فذلك كله يتكلّم الشيطان على لسانه ، فصدّق كثير منهم ، وارتاب بعضهم ، وكان المؤمن المكذب منهم أقل من المصدّق له . وكلّمّا تكلم ناصح لهم زجر وقهر .

فأصفقوا على عبادته ، فبعث الله إليهم نبياً كان الوحي ينزل عليه في النوم دون اليقظة ، كان اسمه حنظلة بن صفوان ، فأعلمهم أن الصورة صنم لا روح له ، وأن الشيطان قد أضلّهم ، وأن الله لا يتمثل بالخلق ، وأن الملك لا يجوز أن يكون شريكاً لله ووعظهم ونصحهم وحذّروهم سطوة ربهم ونقمته : فأذوه وعادوه وهو يتعهدهم بالموعظة ولا يغيبهم بالنصيحة ، حتى قتلوه في السوق وطرحوه في بئر ، فعند ذلك أصابتهم النقمة ، فباتوا شباعاً رواءً من الماء وأصبحوا والبئر قد غار ماؤها وتعطلت رشاؤها ، فصاحوا بأجمعهم وضج النساء والولدان ، وضجت البهائم عطشاً ؛ حتى عمّهم الموت وشملهم الهلاك ، وخلفتهم في أرضهم السباع وفي منازلهم الثعالب والضباع ، وتبدلت جناتهم وأموالهم بالسدر ، وشوك العضاة والقتاد^(١) فلا يسمع فيها إلاّ عزيف الجنّ وزئير الأسد ، نعوذ بالله من سطواته ، ومن الإصرار على ما يوجب نقماته .

قال السهيلي وأما القصر المشيد فقصر بناه شدّاد بن عاد بن ارم ، ولم

(١) السدر سدران ما لا يصلح ورقه للغسول ثمرة عصف لا يسوغ في الحلق . والثاني ثمرة النبق وورقه غسول . العضاة شجر ذا شوك . القتاد شجر له شوك كالأبر هامش تفسير القرطبي

بين في الأرض مثله - فيما ذكروا وزعموا - وحاله كحال هذه البئر المذكورة في إيماشه بعد الأنيس ، وإقفاره بعد العمران ، وإنّ أحداً لا يستطيع أن يدنوا منه على أميال ؛ لما يسمع فيه من عزيف الجنّ والأصوات المنكرة بعد النعيم والعيش الرغد ، وبهاء الملك وانتظام الأهل كالسلك، فبادوا وما عادوا ، فذكرهم الله تعالى في هذه الآية موعظة وعبرة وتذكرة ، وذكرًا وتحذيراً من مغبة المعصية وسوء عاقبة المخالفة ، نعوذ بالله من ذلك ونستجير به من سوء المآل^(١).

إنّما أورد ناقصة أهل البئر والقصر ليتخذ السامع حذره ؛ لأنّ حكم الأمثال فيما يجوز ولا يجوز سواء على الجميع ولاقاربة لأحد من الأمم الغابرة واللاحقة مع الله ، وإنّما هي الطاعة والعصيان والتوفيق والخذلان.

قال الفيض : ﴿ فهي خاوية على عروشها ﴾ ساقطة حيطانها على سقوفها ﴿ بئر معطلة ﴾ لا يستقى منها لهلاك أهلها ﴿ قصر مشيد ﴾ مرتفع أخليناه عن ساكنيه ، في المجمع وفي تفسير أهل البيت (عليهم السلام) في قوله ﴿ بئر معطلة ﴾ أي وكم من عالم لا يرجع إليه ، ولا ينتفع بعلمه ، وفي الإكمال والمعاني وفي الكافي عن الكاظم (عليه السلام) البئر المعطلة الإمام الصامت والقصر المشيد الإمام الناطق.

أقول : إنّما كتبت عن الإمام الصامت بالبئر ، لأنّه منبع العلم الذي هو سبب حياة الأرواح مع خفائه إلّا على من أتاه ، كما أنّ البئر منبع الماء الذي سبب حياة الأبدان مع خفائها إلّا على من أتاها . وكتبت عن صمته بالتعطيل لعدم الانتفاع بعلمه ، وكتبت عن الإمام الناطق بالقصر المشيد ، لظهوره وعلوّ منصبه ، وإشادة^(٢) ذكره.

(١) تفسير القرطبي ١٢/٧٤ - ٧٦ . مقتطفات منه.

(٢) أشاد بذكره إذا رفع من قدره.

وفي المعاني مقطوعاً : أمير المؤمنين هو القصر المشيد ، والبئر المعطلة فاطمة وولدها معطلين من الملك .

والقمي قال : هو مثل لآل محمد صلوات الله عليهم . ﴿ وبئر معطلة ﴾ هو الذي لا يستقى منها . وهو الإمام الذي قد غاب فلا يقتبس منه العلم إلى وقت ظهوره . والقصر المشيد هو المرتفع وهو مثل لأمير المؤمنين والأئمة (عليهم السلام) ، وفضائلهم المنتشرة في العالمين المشرفة على الدنيا وهو قوله : ﴿ ليُظهره على الدين كله ﴾ . وقال الشاعر :

بئرٌ معطلةٌ وقصرٌ مشرفٌ مثلُ لآل محمدٍ مستظرفٌ
فالقصر مجدهم الذي لا يرتقى والبئر علمهم الذي لا ينزف^(١)

وللعامة المجلسي بعد بيان وتمثيل المعصومين (عليهم السلام) بالبئر والقصر ، والشعر المتقدم ذكره قال : والصادقي : أن القصر المشيد رسول الله ، والبئر المعطلة علي (عليه السلام) تنصيص بأن الآية نزلت في قصة قوم حنظلة ابن صفوان من بقايا قوم صالح فلما قتلوه أهلكهم الله وعطلها ، ثم قال : وأقول : على تأويلهم (عليهم السلام) يحتمل أن يكون المراد بهلاك أهل القرية هلاكهم المعنوي أي ضلالتهم فلا ينتفعون لا بإمام صامت ، ولا بإمام ناطق ، ووجه التشبيه فيها ظاهر تشبيهاً للحياة المعنوية بالصورية ، والانتفاعات الروحانية بالجسائية . ويحتمل على بُعد أن يكون فيها للقسم . والأول أصوب ، وقد عرفت مراراً أن ما وقع في الأمم السالفة يقع نظيرها ... ، فكلمة وقع من العذاب والهلاك البدني والمسوخ الصوري في الأمم السالفة فنظيرها في الأمة هلاكهم المعنوي بضلالتهم وحرمانهم عن العلم والكمالات وموت قلوبهم

(١) تفسير الصافي ١٢٧/٢ وهامشه.

ومسخها ، فهم وإن كانوا في صورة البشر فهم كالأنعام بل هو أضلّ ، وهم وإن كانوا بين الأحياء ، فهم أموات ولكن لا يشعرون ولا يسمعون الحق ولا يبصرون ولا ينطقون به ... فهم شر من الأموات؛ إذ الأموات لا يأتون بما يضرّهم ... فعلى هذا التحقيق لا تنافي تلك التأويلات تفاسير ظواهر تلك الآيات . وهو الوجه يجري في أكثر الروايات المشتملة على غرائب التأويلات ممّا قد مضى وممّا هو آتٍ^(١) .

وإنما تصدّينا لذكر الأقوال وبعض التفاسير دون مزيد تعليق في التطبيق ليعلم أن الأمر مطروق إليه.

٢٣٨

بئس العبد عبد يكون ذا وجهين وذا لسانين

من كلمات الامام الكاظم (عليه السلام) لهشام بن الحكم رواها ابن شعبة قال :

«يا هشام بئس العبد عبد يكون ذا وجهين وذا لسانين ، يُطري أخاه إذا شاهده ، ويأكله إذا غاب عنه ، إن أعطي حسّده ، وإن ابتلي خذّله»^(٢) .
أقول :

من علائم المنافق أن يكون ذا وجهين ولسانين كما وصّفه (عليه السلام) في غيبة أخيه يأكله ، وفي حضوره يحمده ، ولا يفارقه الحسد والخذلان له عند

(١) مرآة العقول ٩٣/٥ - ٩٤ .

(٢) التحف ٣٩٥ ، البحار ٣١٠/٧٨ .

النعمة والنقمة ، ونقدّم كما هي العادة نبذة من روايات الباب ، وكلمات أولي الألباب .

النفاق والمنافق :

في صحيح صادقي : « من لقي المسلمين بوجهين ولسانين جاء يوم القيامة وله لسانان من نار ».

وباقري : « بئس العبد عبد يكون ذا وجهين وذا لسانين ، يطري أخاه شاهداً ، ويأكله غائباً ، إن أعطي حسده ، وإن أبتلي خذله » .
ولا يتنافى المأثور مثله ، أو نفسه عن الإمام الكاظم لهشام كما سبق ؛ فإنهم نور واحد ، وإن اختلف الإشراق .

وقدسي : « يا عيسى ليكن لسانك في السرّ والعلانية لساناً واحداً ، وكذلك قلبك إنّي أحذرك نفسك وكفى بي خبيراً ، لا يصلح لسانان في فم واحد ، ولا سيفان في غمد واحد ، ولا قلبان في صدر واحد ، وكذلك الأذهان »^(١) .

كلمات علوية : النفاق شين الأخلاق . النفاق يُفسد الإيمان . ما أقبح بالإنسان ظاهراً موافقاً وباطناً منافقاً . ما أقبح بالإنسان باطناً عليلاً وظاهراً جميلاً . ما أقبح بالإنسان أن يكون ذا وجهين . إياك والنفاق ، فإنّ ذا وجهين لا يكون عند الله . مثل المنافق كالحنظلة الخضرة أوراقها ، المرّ مذاقها . نفاق المرء من ذلّ بيده في نفسه . المنافق قوله جميل ، وفعله الداء الدخيل . كلّ منافق مريب^(٢) .

(١) أصول الكافي ٢/٣٤٣ .

(٢) تصنيف غرر الحكم ٤٥٨ .

وكلمات مثليّه نبويّة .

«مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تعير إلى هذه مرّة وإلى هذه مرّة لا تدري أيّهما تتبع»^(١).

«مثل المنافق مثل جذع النخل أراد صاحبه أن ينتفع به في بعض بنائه فلم يستقم له في الموضع الذي أراد فحوّله في موضع آخر فلم يستقم له ، وآخر ذلك أن أحرقه بالنار»^(٢).

وكلمة علويّة أخرى : «قلوبهم دويّة ، وصفاحهم نقيّة ، يمشون الخفاء ويدبّون الضراء ، وصفهم داء ، وقولهم شفاء ، وفعلهم الداء العياء ، حسّدة الرخاء ، ومؤكّدوا البلاء ، ومقنطوا الرجاء ، لهم بكلّ طريق صريع ، وإلى كلّ قلب شفيح ، ولكلّ شجو دموع ، يتقارضون الثناء ، ويتراقبون الجزاء ، إن سألوا الحفوا ، وإن عدلوا كشفوا ، قد أعدّوا لكلّ حق باطلاً ، ولكلّ قائم مائلاً ، ولكلّ حيّ قاتلاً ، ولكلّ باب مفتاحاً ، ولكلّ ليل صباحاً يتوصّلون إلى الطمع باليأس ليقيموا به أسواقهم»^(٣).

كلمات وأمثال

لا يؤثر قول الله ورسوله فيمن استحكّم النفاق وهو «أضلّ من ولد يربوع» وما أنسب المنافق لا سمه ؛ إذ النفاق السّرّب في الأرض يستتر بإسلامه ، كما يستتر المُسّرّب في الأرض في الأصل مأخوذ من النافقاء أحدى جحر اليربوع إذا طلب من واحد هرب من آخر وهو النافق الداخل النافقاء الخارج من القاصعاء قال

(١) شرح الشهاب ٧٣٧ ، تفسير الميزان ١٢٢/٥ .

(٢) أصول الكافي ٣٩٦/٢ .

(٣) النهج ١٠٦٣/١٠ - ١٦٤ ، الخطبة ١٨٧ .

الدينوري: النافقاء والراهطاء والداماء والقاصعاء جحرة اليربوع^(١).
والمنافق يربوع البشر، وحجرة الشر يأتي بالبشر والبشارة ويبطن الشر
والشرارة. وهو كالقبر المليخ ظاهره، القبيح باطنه، بالله نعوذ منه ومن كل ذي
شر. لقد كثرت فيه الأمثال، لا مجال لذكرها وكفى نزول سورة المنافقين تتلى
صباحاً ومساءً أنزلت في مساوية، وإنه في الدرك الأسفل من النار.

٢٣٩

بئس ما صنع وما كان يدرية ما وقع في قلبه

بئس ونعم كلمتان متقابلتان قدحاً ومدحاً. والكلمة الكاظمية قد سبق
حديثها بتسامه عند «أما الآن: فليتم للمرأة شرطها؛ فإن رسول الله قال:
المسلمون عند شروطهم»^(٢).

في امرأة طلقها زوجها، وأراد رجوعها فاشتريت عليه أن لا يطلقها،
ولا يتزوج عليها فأعطاها شرطها قال (عليه السلام):

«بئس ما صنع وما كان يدرية ما وقع في قلبه في جوف الليل أو النهار؟ ثم
قال له: أما الآن فقل له: فليتم للمرأة شرطها؛ فإن رسول الله (صلى الله عليه
وآله) قال: المسلمون عند شروطهم قلت: جعلت فداك...»^(٣).

وعلقنا عليه بما ينفع البحث الجاري فراجع^(٤). والحديث المذكور تحذير
عما يحظر بالبال وببيده الإنسان وما يدري ماذا يحدث بالليل أو النهار، وهل

(١) أدب الكاتب ١٤٦، والمثل في حيوان النعمري ٤٣٦/٢، اليربوع.

(٢) حرف «أما».

(٣) الكافي ٤٠٤/٥، الشرط في النكاح، الحديث ٨.

٦٢٠ المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام

يستطيع القيام بما نواه ؟ وكان عليه التريث والتثبت لئلا يُصبح من النادمين وقد جاء في المثل النبوي : « الأناة من الله والعجلة من الشيطان »^(١).

كلمات في الأناة :

الأناة حصن السلامة . الأناة نجاة . التأني مع الخيبة خير من التهور مع النجاح . إند تُصب أو تكد . التأني في الأمور أول الحزم ، والتسرع إلى الخطأ عين الجهل . بالتأني تُدرك الفرص . ما دخل الرفق في شيء إلا زانه . الرفق مفتاح النجاح . إن لم تدرك الحاجة بالرفق والدوام فبأي شيء تُدرك ؟ . الحرق بالرفق يُلحم . مَن رَفَقَ رَتَقَ . ومن خَرَقَ خَرَقَ . ولا ريب أن الرفق بالشيء محمود حتى بالجناة^(٢) . والمثل النبوي مذكور في الأمثال النبوية^(٣)

٢٤٠

البادي منها أظلم

من الأمثال السائرة كلام الإمام الكاظم (عليه السلام) ما رواه الشيخ الكليني قال :

ابن محبوب عن عبد الرحمن بن الحجاج عن أبي الحسن موسى (عليه السلام) في رجلين يتسآبان ؟ قال : البادي منها أظلم ، ووزره ووزر صاحبه

(١) حرف «أما».

(٢) التمثيل والمحاضرة ٤٢٠ - ٤٢١.

(٣) ج ١/١٨٨ ، رقم المثل ١١٩ ، حرف الهمزة مع النون.

أَمَّا مُحَمَّدٌ فَحَكَمَ الْإِمَامُ الْكَاطِمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ / ج ١ ٦٢١

عليه ، ما لم يعتذر إلى المظلوم^(١) .

قال الميداني : « هذه بتلك ، والبادي أظلم » ... قالوا : إنَّ أول من قال ذلك الفرزدق ؛ وذلك أنه كان ذات يوم جالسا في نادي قومه ينشدهم ، إذ مرَّ به جرير بن الخطّفي على راحلة وهو لا يعرفه فقال الفرزدق : من ذلك الرجل ؟ فقالوا : جرير بن الخطّفي ، فقال لفتى : انت أبا حزرة فقل له : إنَّ الفرزدق يقول :

ما في ... أمك إسكة معروفة للناظرين وماله شفتان

قال : فلحقه الفتى فأنشده بيت الفرزدق ، فقال جرير : ارجع إليه فقل له :

لكن ... أمك ذو شفاهٍ جمّة مخضرة كغباغب الشيران

فضحك الفرزدق ، ثم قال : هذه بتلك ، والبادي أظلم ... وقوله : «والبادي أظلم» جعله أظلم ، لأنّه سبب الابتداء والجزاء ويجوز أن يكون أفعال بمعنى فاعل كما قال :

* بيتاً دعائمه أعزّ وأطول *

أي : عزيزة طويلة^(٢) .

إنَّ صحَّ القول فقد دلَّ على أن زيادة المكافأة القادحة والمادحة للبادي فهو : إمّا أشدّ ظلماً ، أو إحساناً ومن ثمَّ إنَّ البادي بالسلام له تسع وتسعون

(١) أصول الكافي ٣٢٢/٢ فيه «ما لم يتعد المظلوم ، وص ٣٦٠ ، الوسائل ٦١٠/٨ ، ٦١٠/١١ ، ٢٣٥/١١ التحف ٤١٦ .

(٢) مجمع الأمثال ٤٠١/٢ ، حرف الهاء ، المستقصى ٣٠٤/١ ، العقد الفريد ٥٢/١ .

حسنة ، و للمجيب واحدة ؛ لأنه محسن فواحدة بواحدة ، والباقية للمبتدي به ، وله نظائر لا تحفى على اللبيب العالم ، والأديب الفاهم ، والموضوع مشبع بالأحاديث والكلمات .

نبذة من الأحاديث

منها الباقرى : « من علّم باب هدى فله مثل أجر من عمل به ، ولا ينقص أولئك من أجورهم شيئاً ، ومن علّم باب ضلال كان عليه مثل أوزار من عمل به ولا ينقص أولئك من أوزارهم شيئاً » .

وصادقى : « لا يتكلم الرجل بكلمة حق يؤخذ بها إلا كان له مثل أجر من أخذ بها ، ولا يتكلم بكلمة ضلال يؤخذ بها إلا كان عليه مثل وزر من أخذ بها » .

وباقرى : « من استنّ بسنة عدلٍ فاتبع كان له أجر من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيء ، ومن استنّ جور فاتبع كان عليه مثل وزر من عمل به من غير أن ينقص من أوزارهم شيء » .

وصادقى : « ما من مؤمن سنّ على نفسه سنة حسنة ، أو شيئاً من الخير ثم حال بينه وبين ذلك حائل إلا كتب الله له ما أجرى على نفسه أيام الدنيا »^(١) . والمتحصّل منها أن البادي بالخير ، أو الشرّ له زيادة خير أو شر ، لأنه السبب الأول له ؛ وهذا شاهد صدق لما تقدّم بأن البادي أظلم كما أن الفضل للبادي بالخير والفضل زيادة الأجر له لكونه صار سبباً لحصول الغير على أجر العمل به .

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : « إذا حُيِّتَ بتحيةٍ فحيّ بأحسن منها ،

(١) الوسائل ١١/٤٣٦-٤٣٨ ، الباب ١٦ من الأمر بالمعروف ... الحديث ٢ ، ٤ ، ٥ ، ٧ ، ١٠ .

وإذا أسديت إليك يد فكافئها بما يُربي عليها ، والفضل مع ذلك للبادي»^(١).
نبذة من الكلمات المثليّة

«الفضل للمبتدي ، وإن أحسن المقتدي»^(٢) «والبادي أظلم» كما تقدّم
يكون من المثل المتقابل له فأحد المتقابلين يضرب للخير ، والآخر للشرّ ولا
يخفى عليك موضع ضرب المثلين فلا تخلط أحدهما بالآخر ، كما أنك تعرف
نظائرهما إذا دريت المرمى من أحاديث ، وكلمات أخرى ، فإنّ الباب واحد .

٢٤١

بارك الله لك فيك وفي مالك

كلمة سائرة على اللسان ، قالها الإمام الكاظم (عليه السلام) لمخارق
المعنيّ في قصّة طويلة ، رواها الشيخ الصدوق بإسناده ، وفيها بيان المأمون
العبّاسي تشييعه ، وأنه قد أخذ ذلك عن أبيه هارون ، وصلته وإجلاله لموسى
(عليه السلام) عند دخوله عليه وإليك نبذة منها :

« فلما أراد^(٣) الرحيل من المدينة إلى مكّة أمرَ بصرّة سوداء فيها مائتا دينار،
ثم أقبل على الفضل بن الربيع ، فقال له : اذهب بهذه إلى موسى بن جعفر
وقل له : يقول لك أمير المؤمنين نحن في ضيقة وسيأتيك برّنا بعد هذا الوقت ،
فقمتم في صدره فقلت : يا أمير المؤمنين تعطي أبناء المهاجرين والأنصار وسائر

(١) النهج ٢٠١/١٨ ، الحكمة ٦.

(٢) مجمع الأمثال ٩١/٢ ، حرف الفاء ، أمثال وحكم النهج ٢٨٧.

(٣) أي هارون ، وأخذنا من القصّة ما يربط الكلمة السائرة دون تشييع المأمون وإن شئت نظرت
عيون أخبار الرضا ٧٢/١ ، وإجلال الإمام (عليه السلام) ٧٢ - ٧٤.

قريش وبني هاشم ومن لا تعرف حسبه ونسبه خمسة آلاف دينار إلى ما دونها وتعطي موسى بن جعفر - وقد أعظمته وأجللته - مائتي دينار أخس عطية أعطيتها أحداً من الناس ؟ فقال : اسكت لا أم لك : فإني لو أعطيت هذا ما ضمنته له ، ما كنت آمنه أن يضرب وجهي غداً ببائة ألف سيف من شيعته ومواليه ، وفقر هذا وأهل بيته أسلم لي ولكم من بسط أيديهم وأعينهم .

فلما نظر إلى ذلك مخارق المعنى دخله في ذلك غيظ ، فقام إلى الرشيد فقال : يا أمير المؤمنين قد دخلت المدينة وأكثر أهلها يطلبون مني شيئاً ، وخرجت ولم أقسم فيهم شيئاً لم يتبين لهم تفضل أمير المؤمنين عليّ ومنزلي عنده ، فأمر له بعشرة آلاف دينار ، فقال : يا أمير المؤمنين هذا لأهل المدينة وعليّ دين احتاج أن أقضيه ، فأمر له بعشرة آلاف دينار أخرى ، فقال له : يا أمير المؤمنين بناقي أريد أن أزوجهنّ وأنا محتاج إلى جهازهنّ ، فأمر له بعشرة آلاف دينار أخرى . فقال له : يا أمير المؤمنين لا بدّ من غلّة تعطينيها ترد عليّ وعلى عيالي وبناتي وأزواجهنّ القوت ، فأمر له بإقطاع ما تبلغ غلّته في السنة عشرة آلاف دينار ، وأمر أن يعجل ذلك له من ساعته ، ثم قام مخارق من فوره وقصد موسى ابن جعفر (عليه السلام) وقال له : قد وقفت على ما عاملك به هذا الملعون ، وما أمر لك به وقد احتلت^(١) عليه لك ، وأخذت منه صلاتي ثلاثين ألف دينار ، وأقطاعاً يغل^(٢) في السنة عشرة آلاف دينار ، ولا والله يا سيدي ما أحتاج إلى شيء من ذلك ، ما أخذته إلا لك ، وأنا أشهد لك بهذه الأقطاع ، وقد حملت المال إليك .

فقال : بارك الله لك فيك وفي مالك ، وأحسن جزاك ، ما كنت لآخذ منه

(١) من الاحتيال .

(٢) أي تعطي الغلّة .

درهماً واحداً ولا من هذه الأقطاع شيئاً ، وقد قبلت صلتك وبرّك ، فانصرف راشداً ، ولا تراجعني في ذلك . فقبل يده وانصرف^(١) .

أقول :

تقدّم كلام الإمام الكاظم (عليه السلام) لمخارق المغنيّ عندا « انصرف راشداً »^(٢) ، وما يمسّ هذه الكلمة ، وأيضاً سبق شرح لفظة « بارك الله » عند « اجلس بارك الله فيك »^(٣) فراجعها ؛ فإنها جديرة بالنظر ، ونزيدك هاهنا أن اللفظة قد جاءت في عدّة أحاديث منها ما رواه الشيخ الكليني بإسناده الصحيح إلى عبدالله بن المغيرة عن أبي الحسن الماضي (عليه السلام) قال : قلت له : تزوّجت امرأة فوجدت امرأة قد أرضعتني وأرضعت أختها ، قال : كم ؟ قال : قلت : شيئاً يسيراً ، قال : بارك الله لك^(٤) .

إذا لم يبلغ الإرضاع النصاب الشرعي فليست المتزوّجة أختاً رضاعيّة له ؛ ومن ثم كان الزواج مباركاً ، وهو خمس عشر وجبة أو يوم وليلة والشيء اليسير دون ذلك .

(١) عيون أخبار الرضا ١/٧٤ - ٧٥ . في البحار ٤٨/١٣٣ «بارك الله لك في مالك» .

(٢) حرف الهمزة مع النون .

(٣) حرف الهمزة مع الجيم .

(٤) الكافي ٥/٤٤٤ .

٢٤٢

بتلاً بتاً لا مشوبة فيها ولا ردّ أبداً

كلمة توكيد وتشديد ، تقال لتحبيس الأملك ، وتسبيل منافعها ، قد قالها الإمام الكاظم (عليه السلام) في صدقة جارية له ، فصل مصرفها ، نذكر نبذة منها قد رواها الشيخ الكليني بإسناد له قال :

« تصدق موسى بن جعفر بصدقته هذه وهو صحيح صدقة حسباً بتلاً بتاً لا مشوبة فيها ولا ردّ أبداً : ابتغاء وجه الله عزّ وجلّ والدار الآخرة ، لا يحلّ لمؤمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيعهها أو شيئاً منها ، ولا يهبها ، ولا ينحلها ، ولا يغيّر شيئاً منها ممّا وضعته عليها حتى يرث الله الأرض وما عليها »^(١).

البتلّ والبتّ : القطع قال ابن الأثير : فيه^(٢) « بتلّ رسول الله (صلى الله عليه - وآله - وسلّم) العُمري » أي أوجبها وملكها ملكاً لا يتطرق إليه نقض . يقال بتلّه بتلاً إذا قطعه ... وسمّيت فاطمة البتول لانقطاعها عن نساء زمانها فضلاً ودينياً وحسباً وقيل : لانقطاعها عن الدنيا إلى الله تعالى... والتبتل الانقطاع عن النساء وترك النكاح^(٣) وقال : وفيه « فإنّ المنبت لا أرضاً قطع ، ولا ظهراً أبقى »^(٤) يقال للرجل إذا انقطع به في سفره وعطبت راحلته : قد أنبت ، من البتّ : القطع ، وهو مطاوع بتّ يقال بتّه وأبتّه . يريد أنه بقي في طريقه عاجزاً

(١) الكافي ٥٤/٧ ، عيون أخبار الرضا ٣١/٨ .

(٢) أي الحديث النبوي .

(٣) النهاية بتل - .

(٤) المصدر ٩٣ - بتّ - مثل نبوي ، الأمثال النبوية ٢٤٨/٨ .

عن مقصده^(١).

وكلمة « لا مشوبة فيها ولا ردّ أبداً » أي الخالص بمعنى أنّ هذه الصدقة مقطوعة عن الانتفاع بأصلها كلّها أو بعضها وهو معنى تحبّيس العين المعتبر في الوقف ، وتسبيل المنفعة . والكلمة برمتها التوكيد والتشدد عن أن تنال العين من أي تصرف أو تبديل فيها شأن الأعيان الموقوفة . وبعض نسخ الحديث تقديم البتّ على البتل^(٢) ولكنّه لا يضرّ بالمعنى.

ثم إنّ الصدقة من أهل البيت عليهم بصورة الوصية جاءت في أحاديثهم (عليهم السلام) لاجمال لذكرها.

٢٤٣

البخيل من بخل بما افترض الله عليه

من كلمات الإمام الكاظم (عليه السلام) المختارة الحكمية إن لم تكن المنلية ، رواها الشيخ الكليني (طاب ثراه) بإسناده إليه أنّه قال : « البخيل من بخل بما افترض الله عليه »^(٣).

في البخل والشح ، والبخيل والشحيح :

لمحتوى هذه الكلمات آيات ، وأحاديث ، وكلمات نذكر بعضها ، إذ يخلص الإنهاء إلى كتاب مفرد.

فمن الآيات ﴿ الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما

(١) النهاية ١/٩٣.

(٢) عيون الأخبار ١/٣١ ، الوسائل ١٣/٣١٥.

(٣) الكافي ٤/٤٥ باب البخل والشح ، الحديث ٤.

آتاهم الله من فضله وأعدنا للكافرين عذاباً مهيناً ﴿١﴾ ، دلّت ، ولوحت بأنّ البخل والكتمان بما أوقى الإنسان يعقبا العذاب المهين ، لإفضاء ذلك إلى الكفر. ومنها ﴿٢﴾ ها أنتم هولاء تُدعون لتنفقوا في سبيل فمنكم من يبخل ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه والله الغنى وأنتم الفقراء ﴿٣﴾ ، صرّحت بأنّ للبخل عائلة تعود إلى البخيل نفسه ، وأنه ممن يبنذ الأمر المساوي بالإنفاق وراء ظهره وسيرى جزاء ذلك ويحيط به ضرره لاسواه.

ومن الأحاديث :

في علوي : « البخل جامع لمساوي العيوب ، وهو زمام يقاد به إلى كلّ سوء »^(١) ، ورضوي : « البخل يمزق العرض »^(٢) ، وعلوي : « النظر إلى البخيل يقسي القلب »^(٣) ، ونبوي : « ... إنّما البخيل حق البخيل الذي يمنع الزكاة المفروضة من ماله ... »^(٤) ، وآخر : « البخيل حقاً من ذكرت عنده فلم يصلّ عليّ »^(٥) . ونبوي : « ما محق الإسلام محق الشحّ شيء ، ثم قال : إنّ لهذا الشحّ ديبياً كدبيب النمل ، وشعباً كشعب الشرك - وفي نسخة أخرى - الشوك »^(٦) وصادقي : « إنّ البخيل يبخل بما في يده ، والشحيح يشحّ على ما في أيدي الناس وعلى ما في يديه حتى لا يرى ممّا في أيدي الناس شيئاً إلّا تمنّى أن يكون له

(١) النساء : ٣٧ .

(٢) محمد (ص) : ٣٨ .

(٣) النهج ٣١٦/١٩ . الحكمة ٣٨٤ .

(٤) البحار ٣٥٧/٧٨ .

(٥) البحار ٥٣/٧٨ .

(٦) البحار ٣٠٦/٧٣ .

(٧) المصدر .

(٨) الكافي ٤/٤٥ .

بالحلّ والحرام ، ولا يقنع بما رزقه الله »^(١) .

ومن الكلمات :

البخل يهدم مباني الشرف ، ويسوق الأنفس إلى التلف. من ضَيَّق ضَيِّق ، اتَّق الشحَّ فإنه أدنس شعار ، وأوحش دثار^(٢) .

إذا اجتمع الآفات فالبخل شرّها وشرّ من البخل المواعيد والمطل^(٣) .

٢٤٤

البذاء من الجفاء ، والجفاء في النار

إن لم تكن الكلمة من الأمثال السائرة فمن الحكم المأثورة عن الإمام الكاظم (عليه السلام) قد جاءت في كلام له مع هشام بن الحكم رواه ابن شعبة الحرّاني (طاب ثراه) قال :

« يا هشام الحياء من الإيمان ، والإيمان في الجنّة ، والبذاء من الجفاء ، والجفاء في النار »^(٤) .

تأتي الكلمة الأولى في الحياء فانتظر^(٥) ، وفي البذاء وهو الفحش أحاديث

(١) المصدر نفسه.

(٢) اساس الاقتباس ٧٥ مخطوط.

(٣) اساس الاقتباس ٥٦ ، مخطوط.

(٤) التحف ٣٩٤ ، البحار ٣٠٩/٧٨.

(٥) حرف الحاء مع الياء.

رواها الشيخ الكليني (طاب ثراه) تعطيك صورة من حقيقتها ولوازمها التي لا تنفك عنها على الغالب ، وإليك بعض متونها.

منها النبويّ : إذا رأيتم الرجل لا يبالي ما قال ، ولا ما قيل له فإنه لغية^(١) أو شرك شيطان.

والآخر : إن الفحش لو كان مثلاً لكان مثال سوء.

والآخر : إن من شرّ عباد الله من تكره مجالسته لفحشه.

والآخر : إن الله يبغض الفاحش البذيء والسائل الملحف.

كان لأبي عبدالله (عليه السلام) صديق لا يكاد يفارقه إذا ذهب مكانا ، فبينما هو يمشي معه في الحدائين^(٢) ومعه غلام له سندي يمشي خلفها إذا التفت الرجل يريد غلامه ثلاث مرّات فلم يره ، فلما نظر في الرابعة قال : يا ابن الفاعلة أين كنت ؟ قال : فرفع أبو عبدالله (عليه السلام) يده فصكّ جبهة نفسه ، ثم قال : سبحان الله تقدف أمّه ، قد كنتُ أرى إن لك ورعاً فإذا ليس لك ورع ، فقال : جعلت فداك إن أمّه سنديّة مشرّكة ، فقال : أما علمت أن لكل أمّة نكاحاً ، تنحّ عني قال : فما رأيته يمشي معه^(٣).

(١) أي ولد زنا لأنّ غية الزانية ، والغية الدني السافط.

(٢) أي سوق بيّاع النعل.

(٣) أصول الكافي ٢/٣٢٣ - ٣٢٦ . باب البذاء وباقي الحديث : «حتى فرّق الموت بينهما».

٢٤٥

بسم الله ، آمنت بالله ، توكلت على الله

من كلمات الإمام الكاظم (عليه السلام) المختارة التي جاءت في دعاء علمه الحسن بن الجهم ، رواه الشيخ الكليني قال :
محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن ابن فضال عن الحسن بن الجهم عن أبي الحسن (عليه السلام) قال : إذا خرجت من منزلك في سفر أو حضر فقل :

« بسم الله ، آمنت بالله ، توكلت على الله ، ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله » . فتلقاه الشياطين فتصرف ، وتضرب الملائكة وجوهها ، وتقول : ما سبيلكم عليه ، وقد سمى الله ، وآمن به ، وتوكل عليه ، وقال : ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله ^(١) .

أقول :

اشتمل الحديث على وقاية ذاكر اسم الله بالصيغة المذكورة ، وبيان سببها وأن التسمية تقي صاحبها من سلطة الشياطين عليه ودفعها بواسطة الملائكة قائلين لهم ليس لكم عليه سبيل ؛ لأنه موقى بتسميته الله تعالى ، وإيمانه به ، وتوكله عليه ، وقوله بالمشيئة المطلقة ، ونفي الحول والقوة إطلاقاً لولاه تعالى .

وهل تستطيع الأبالسة والشياطين بعد هذا كله أن يكون لها عليه سبيل؟ كلاً ، كيف وقد سدت هجومها الملائكة وسجلت له الذب والدفاع عنه ، وأخبر به الصادق المصدق ، فكن يا مؤمن على ثقة بهذا الضمان ، واسكن إليه ؛ لأنك

(١) أصول الكافي ٥٤٣/٢ - ٥٤٤ ، باب الدعاء إذا خرج من المنزل ، الحديث ١٢ .

في حصن اسم الله الحصين المنيع الذي لا يطاول ولا يحاول ، وإن جهد العدو ، ورام الهجوم والفتك . ومهما رام ، رُد ، وسُدَّت عليه ، وبذلك فلتطمئن القلوب ؛ لأنه ذكر الله ﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾^(١) .

٢٤٦

بسم الله على أوله وآخره

من جوابات الإمام الكاظم (عليه السلام) عن مسائل سأها أخوه علي ابن جعفر منها قال :

« وسألته عن الرجل يذبح على غير قبلة ؟ قال : لا بأس إذا لم يتعمد ، وإن ذبح ولم يسم فلا بأس أن يسمي إذا ذكر : بسم الله على أوله وآخره ، ثم يأكل »^(٢) .

من شروط حلية الذبيحة التسمية أو مطلق ذكر الله لاسم من أسمائه تعالى عند الذبح ولم تحل إذا تركه عامداً دون النسيان ، فلو تذكّر ذكر ، وقال : بسم الله على أوله ، وآخره ، فقد قضى ما فات منه ، وذكر اسم الله عند ذبح الذبيحة شرط حليتها عند علمائنا أجمع وأكثر العامة وكذا عند إرسال السهم أو الكلب .

قال الشيخ الطوسي (طاب ثراه) :

مسألة : التسمية واجبة عند إرسال السهم ، وعند إرسال الكلب ، وعند الذبيحة ، فمتى لم يسم مع الذكر لم يحل أكله ، وإن نسيه لم يكن به بأس ، وبه

(١) الرعد : ٢٨ .

(٢) البحار ١٠ / ٢٦٥ .

قال الثوري وأبو حنيفة وأصحابه، وقال الشعبي وداود وأبو ثور: التسمية شرط، فمتى تركها عامداً أو ناسياً [أو ساهياً] لم يحلّ أكله . وقال الشافعي : التسمية مستحبة ، فإن لم يفعل لم يكن به بأس . دليلنا إجماع الفرقة وأخبارهم . ولأنه إذا أرسله وسمى حلّ أكله بلا خلاف ، وإذا لم يسم فليس على إباحته دليل ، وأيضاً قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ ^(١) وهذا نص ، وإنما يخرج الناسي والساهي بدليل ، وأيضاً روى عدي بن حاتم وأبو ثعلبة الخشني كلّ واحد منهما على الانفراد أنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) قال : « إذا أرسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله عليه فكل » فأباحه بشرط الإرسال والتسمية - وآخر - « ... وإلا فلا تأكل » ^(٢) .

أقول : لا أريد بسط الأدلة والأقوال ، لأن الحكم متفق عليه عندنا ،

فلا نطيل .

والكلمة تقال أيضاً عند أكل الطعام أو الشراب إذا نسي التسمية أو مطلقاً كما في الصادقي : « وإذا أكلت فقل : بسم الله على أوله وآخره » ^(٣) وإن لم يفعل شاركه الشيطان .

(١) الأنعام : ١٢١ .

(٢) كتاب الخلاف ٥١٧/٢ .

(٣) الكافي ٢٩٢/٦ ، وانظر الوسائل ٣٢٦/١٦ .

٢٤٧

بعلوّ الله الذي كان يعلو به عليّ صاحب الحروب

كلمة من عوذة مولانا الكاظم (عليه السلام) لما ألقى في بركة السباع ،
وتقدّمت الأخرى منها عند « أصبحت وأمسيّت في حمى الله الذي لا يستباح »^(١) ،
والثالثة عند « أنا أين كنت كنت آمناً »^(٢) ، وتأتي الرابعة عند « تمسّكت بالحبل
المتين ، وتدرّعت بهيبة أمير المؤمنين »^(٣) ولربطها بالكلمة كالآتية :

« علوت عليهم بمحمد بن عبدالله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، بعلوّ
الله الذي كان يعلو به عليّ . صاحب الحروب ، منكسّ الفرسان ، مبيد الأقران ،
وتعزّزت منهم بأسماء الله الحسنى ... »^(٤)

إنّ الله تعالى هو الأعلى من كلّ عال ، وعلوّه على كلّ علوّ . وعلوّ علي
ابن أبي طالب هو من علوّ الله عزّ وجلّ ومنه اشتق اسم عليّ كما نصّ عليه في
النصوص منها ما رواه أبو علي بن همام رفعه أنّه لما ولد علي (عليه السلام) أخذ
أبو طالب بيد فاطمة وعليّ على صدره وخرج إلى الأبطح ، ونادى :

ياربّ يا ذا الغسق الدجّي والقمر المبتلج المضّي
بين لنا من حكمك المقضي ماذا ترى في اسم ذا الصبيّ

(١) حرف الهمزة مع الصاد.

(٢) حرف الهمزة مع النون.

(٣) حرف التاء مع الميم.

(٤) مهج الدعوات ٢٤٣ ، البحار ٣٢٩/٩٤.

قال : فجاء شيء يدبّ على الأرض كالسحاب حتى حصل في صدر أبي طالب ، فضمّه مع عليّ إلى صدره ، فلمّا أصبح إذا هو بلوح أخضر فيه مكتوب :
 خُصّصتما بالولد الزكيّ والطاهر المنتجب الرضيّ
 فاسمه من شامخ عليّ عليّ اشتق من العليّ^(١)
 قال العلامة المجلسي : في الفصول المهمّة فسماه أبو طالب عليّاً ، وقال :
 سمّيته بعليّ كي يدوم له عزّ العلوّ وفخر العزّ أدومه^(٢)

إذا الداعي أقسم على الله بعلوّه الذي علا به عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) فلا محالة يعلو على عدّوه وينتصر . وهل يعرف العارفون علوّ علي من علوّ الله وأنه ممسوس في ذات الله تعالى ؟
 إنّ لله في معاليك سرّاً أكثر العالمين ما علموه^(٣)

٢٤٨

البناء يجرّ قليله إلى كثيره

هذا بعض من كلام منليّ جاء في حديث الإمام الكاظم (عليه السلام) : و قد تقدّم عند كلمة « ادفعوا معالجة الأطباء ما اندفع الداء عنكم »^(٤) ، رواه الشيخ الصدوق (طاب ثراه) في الصحيح عنه (عليه السلام) قال :

(١) البحار ١٨/٣٥ - ١٩ .

(٢) البحار ٣١/٣٥ .

(٣) الأمثال والحكم المستخرجة من نهج البلاغة ٥٢٩ .

(٤) الهمة مع الدال .

« ادفعوا معالجة الاطباء ما اندفع الداء عنكم ؛ فإنه بمنزلة البناء قليله
يجرّ إلى كثيره »^(١).

والتمثيل الكاظمي يائله قولهم السائر: (أدعو الله أن لا تبني بالبناء)^(٢).
ووجهه أنّ البناء إذا دخل الدار لا يخرج منها ما وجد مساعاً لعمله وذلك
يدعوه على هدمها لئيبنيها من جديد ليستمرّ له عمل البناية وليعيش أكثر ،
والقصد قصد سيء وعمل إنسان خائن ، لإكثر الله أمثاله.

والغاية من ضرب المثل بالبناء الذي يجرّ قليله إلى الكثير هو أنّ المعالجة
الطبيّة لا تكون إلاّ بمزيد شرب الدواء واستعماله وما من دواء إلاّ وقد جرّ داءً ،
والدواء يفتقر إلى دواء آخر ، وهلمّ جرّاً كما أنّ من أراد مرمة الدار فلا ترم إلاّ بهدم
موضع الخراب منها والتخريب لا يكون حاصلًا إلاّ باتّساع الموضع الذي يرام
تعميره لغرض الإحكام ، وينطبق عليه المثل السائر: (اتسع الخرق على الراقع)^(٣)
وقد جاء في الصادقي : « من كسب مالاً من غير حلّه سلّط الله عليه البناء
والماء والطين »^(٤).

أقول : تحتل قراءة « البناء » بالتشديد أي العامل للبناء فيشمل
الترميم أيضاً.

وكيف كان فقد بان الغرض من التمثيل بالبناء ، وبجمع الأمرين العلاج
الطبيّ ، و البناء أنّهما مظنة الاتّساع وزيادة في الطنبور نغمة كما في المثل^(٥) ، والأمر
أوضح.

(١) علل الشرائع ٢/٤٦٥ ، الباب ٢٢٢ ، النوادر.

(٢) مثل مشهور.

(٣) المستقصى ١/٣٥ ، يضرب في الأمر ، لا يستطاع تداركه.

(٤) الوسائل ٣/٥٨٨.

(٥) مجمع الأمثال ١/٣٢٧ ، حرف الزاي ، المولدون ، أمثال وحكم ١/٨٨٨ ، وفيه (نغمة أخرى).

٢٤٩

البيت بيت الله ، والحرم حرم الله

من الكلمات السائرة على اللسان ، قالها الإمام الكاظم (عليه السلام) لهارون عند طوافه بالبيت ، وتبادل الكلام بينها بعد الفراغ عنه رواها العمراوي صاحب الروض الفائق المتوفى ٨٠١ هـ قال :

حكى أنه لما دخل هارون الرشيد حرم مكة ابتداءً بالطواف ، ومنع الناس من الطواف ، فسبقه أعرابي وجعل يطوف معه فشق ذلك على أمير المؤمنين والتفت إلى حاجبه كالمنكر عليه .

فقال الحاجب : يا أعرابي حلّ الطواف ليطوف أمير المؤمنين ، فقال الأعرابي إن الله ساوى بين الأنعام في هذا المقام والبيت الحرام ، فقال تعالى : ﴿سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم﴾^(١) فلما سمع الرشيد ذلك من الأعرابي أمر حاجبه بالكف عنه ، ثم جاء الرشيد إلى الحجر الأسود ليستلمه ، فسبقه الأعرابي فاستلمه ، ثم أتى إلى المقام ليصلي فيه ، فسبقه فصلّى فيه .

فلما فرغ الرشيد من صلواته وطوافه قال للحاجب اتنني بالأعرابي ، فأتى الحاجب الأعرابي ، وقال له : أجب أمير المؤمنين ، فقال : مالي إليه حاجة ، إن كانت له حاجة فهو أحق بالقيام إليها ، فانصرف الحاجب مغضباً ثم قصّ على أمير المؤمنين حديثه ، فقال : صدق نحن أحق بالقيام ، والسعي إليه ثم نهض

وإنما يناسب الحديث الكاظمي من وجه .

(١) الحج : ٢٥ .

أمير المؤمنين والحاجب بين يديه حتى وقف بإزاء الأعرابي وسلّم فردّ عليه السلام.
فقال له الرشيد : يا أخا العرب أجلس ههنا بأمرك؟ فقال له الأعرابي:
ليس البيت بيتي ، ولا الحرم حرمي البيت بيت الله والحرم حرم الله ، وكلنا فيه
سواء إن شئت تجلس ، وإن شئت تنصرف^(١)
سبقّت القصة بالفاظ لا تغير المعنى ، سردناها عن آخرها عند « اجلس
مكان السائل من المسؤول »^(٢) ومن أجله نكتفي على هذا المقدار ، فراجع^(٣).

(١) احقاق الحق ١٢/٣١٠.

(٢) حرف الهمزة مع الجيم.

(٣) المصدر الأول والثاني .

أقول : من النبويات : «اللهم البيت بيتك ، ونحن عبيدك ونواصينا بيدك ...» الكنز

١٧٢/٥ ، رقم الحديث ١٢٥٠٤.

حرف التاء

٢٥٠

تاهوا في بحر عميق لا يدورن ما غوره

كلمة تمثيلية للعقول التائهة ، والنفوس الناكبة عن صراط الله ومعرفته .
قال علي بن إبراهيم القمي :

حدّثنا محمد بن أبي عبدالله قال : حدّثنا محمد بن إسماعيل عن علي بن العباس عن جعفر بن محمد عن الحسن بن أسد [راشد خ . ل أ عن يعقوب ابن جعفر قال : سمعت موسى بن جعفر (عليه السلام) يقول : إن الله تبارك وتعالى أنزل على عبده محمد (صلى الله عليه وآله) أنه ﴿ لا إله إلا هو الحي القيوم ﴾^(١) وسَمِيَ بهذه الأسماء : الرحمن الرحيم العزيز الجبار العلي العظيم ، فتاهت هنالك عقولهم ، واستخفّت حلومهم ، فضربوا له الأمثال ، وجعلوا له أندادا ، وشبّهوه بالأمثال ومثلوه أشباها ، وجعلوه يزول ويجول^(٢) ، فتاهوا في بحر عميق لا يدورن ما غوره ، ولا يدركون كنهه^(٣) .

من سبّر تاريخ الأديان ، وأخبار المذاهب عرف مدى تيه البشر ، والانحرافات التي لاتضبط ، فانظر طوائف المسلمين ، ودع عنك سواهم ، والأديان غير المسلمة فإنك تجد الحيرة تحوط بك ، وهل يعرف الله إلا بالله ، والرسول إلا بالرسالة ، والإمام إلا بالإحسان ، والأمر بالمعروف ؟ وقد كنت أكتب حديثه ولا أدري مساعه ، ولكن الرحمة عمّتي ، وأخرجتني عن عباي ،

(١) البقرة : ٢٥٥ ، آل عمران : ٢ .

(٢) في الأصل «يجول» بالمهملة .

(٣) تفسير القمي ٢ / ٣٦٠ - ٣٦١ .

وأدرکت إدراکي بأنّ المسانحة بين المعرفّ والتعريف مما لا بدّ منه فلا يجوز في العقول أن يعرف الشيء بالمباين له أو يوصف به ، وهو لا يضمن له إلاّ الضدّ ؛ ومن هنا جاء التعبير : « وبتهجيرهِ الجواهر عُرف أن لا جوهر له »^(١) والحديث كالآتي ، وقد تقدّم عند « أحسنهم استجابةً أحسنهم معرفة »^(٢) وبعض التعليق عليه :

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : « اعرفوا الله بالله ، والرسول بالرسالة ، وأولي الأمر بالأمر بالمعروف ، والعدل والإحسان »^(٣) .
لئن دلّ الحديث على شيءٍ فإنما يدلّ على لزوم المسانحة بين المعرفّ والتعريف كما ذكر ، فكلّ صفة تنافي القديم بالذات ، أو الرسول أو الإمام بعده غير جائزة الحمل عليه عقلاً .

٢٥١

التبّتل أن تقلّب كفيك في الدعاء إذا دعوت

قال الصدوق : حدّثنا المظفر بن جعفر بن المظفر العلوي (رضي الله عنه) قال : حدّثنا جعفر بن محمد بن مسعود عن أبيه عن جعفر بن أحمد ، قال : حدّثني العمركي عن علي بن جعفر عن أخيه موسى بن جعفر ، قال :
التبّتل أن تقلّب كفيك في الدعاء إذا دعوت . والابتهاال أن تبسطهما وتقدّمهما . والرغبة أن تستقبل براحتيك السماء ، وتستقبل بها وجهك . والرهبه

(١) التوحيد ٣٧ ، أمثال وحكم الإمام الرضا ١/٢٤٠ ، رقم ٦٤ .

(٢) حرف الهمزة مع الحاء .

(٣) أصول الكافي ١/٨٥ .

أن تكفيء كفيك ، فترفعهما إلى الوجه . والتضرع أن تحرك إصبعك ، وتشير
بهما^(١) .

أقول :

ظاهرة الدعاء في أطوار الداعي أربعة : التبتل بتقليب كفيه ، والابتهاال
بتقديمها وبسطها ، والرغبة باستقبال راحتيه نحو السماء ووجهه ، والرهبه
بإكفاء كفيه ورفعها أمام الوجه ، والتضرع بتحريك إصبعيه ، والإشارة بهما .
وتزداد سادسة : التبصيص برفع سبائتيه إلى السماء وتحريكها^(٢) .

وفي صادقي : « التضرع رفع اليدين »^(٣) سواء أكان ذلك ، أو بتحريك
الإصبعين فقد امتدح في أي منها : ﴿ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ
قُلُوبُهُمْ ﴾^(٤) ، و ﴿ فَأَخَذْنَاَهُمْ بِالْبِأْسِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴾^(٥) ، و
﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرَّعًا وَخَفِيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾^(٦) ، واذكر ربك في نفسك
تَضَرَّعًا وَخَفِيَةً^(٧) .

كما أن للخمسة الباقية عموم القرآن ، أو خصوصه ، ومنه ﴿ وَاذْكُرْ اسْمَ
رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً ﴾^(٨) ، و ﴿ ثُمَّ نَبْتَهْلِ ... ﴾^(٩) ، و ﴿ يَدْعُونَنَا رَغَبًا

(١) معاني الأخبار ٣٧٠ ، البحار ٣٣٧/٩٣ .

(٢) معاني الأخبار ٣٧٠ .

(٣) المصدر ٣٦٩ .

(٤) الأنعام : ٤٣ .

(٥) الأنعام : ٤٢ .

(٦) الأعراف : ٥٥ .

(٧) الأعراف : ٢٠٥ .

(٨) المزمل : ٨ .

(٩) آل عمران : ٦١ .

وَرَهْبًا ﴿^(١)﴾ .

والبصصة ومنها حديث دانيال (عليه السلام) « حين ألقى في الجُبِّ و
ألقى عليه السباع فجعلن يلحسنه ويصبصن إليه » بصص الكلب إذا حرَّك
بذَنَبِه ... ^(٢) .

٢٥٢

تبقى وحدك وحدك كما كنت وحدك

كلمة مختارة قال الكفعمي : دعاء مستجاب مروى عن الكاظم (عليه
السلام) ، بِسْمِلِ وَقُلْ :

« سبحانك اللهم وبحمدكُ أتني عليك ، وما عسى أن يبلغ من ثنائي
عليك وأمجِّدك مع قلة عملي وقصر ثنائي ، وأنت الخالق وأنا المخلوق - إلى
قوله : -

كنت إذ لم يكن شيءٌ ، وكان عرشك على الماء ، إذ لاسماء مبنية ، ولا
أرض مدحية ولا شمس تضييء ، ولا قمر يجري ، ولا كوكب دري ، ولا نجم
يسري ، ولا سحابة منشأة ولا دنيا معلومة ، ولا آخرة مفهومة ، وتبقى وحدك
وحدك كما كنت وحدك » ^(٣) .

دعاء طويل نسبي بالقياس إلى أطول منه مشتمل على مضامين تُثير
القلوب وتجذبها إلى مالِكها ، وتدفع النفوس إلى بارئها ، وليبيانها موضع خاص ،

(١) الأنبياء : ٩٠ .

(٢) النهاية ١/١٣١ - بصص - «من طمع، أو خوف» .

(٣) البلد الأمين ٣٨٩ .

والمهم شرح الكلمة كما يلي :

أن المراد منها بيان التفريد والتوحيد الذي يفسره قوله تعالى : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفواً أحد ﴾^(١).

هذا هو التوحيد الخالص النافي للضدّ والنّدّ والعدد والنظير والتركيب وكلّ ما يحمل صفةً أو نعتاً من صفات المخلوقين ونعوتهم ، قال أمير المؤمنين (عليه السلام) :

« أول الدين معرفته ، وكمال معرفته التصديق به ، وكمال التصديق به توحيده ، وكمال توحيده الإخلاص له ، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه ؛ لشهادة كلّ صفة أنّها غير الموصوف ، وشهادة كل موصوف أنّه غير الصفة . فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه ، ومن قرنه فقد تنّاه ، ومن تنّاه فقد جزّاه ، ومن جزّاه فقد جهله ، ومن جهله فقد أشار إليه ، ومن أشار إليه فقد حدّه ، ومن حدّه فقد عدّه ، ومن قال : « فيم فقد ضمّنه ، ومن قال : « علامّ » فقد أخلى منه »^(٢) .
ولعمر الله إنه تفسير بكلّ معنى الكلمة لكلمة « تبقى وحدك وحدك كما كنت وحدك » وأنه يُغنيك عن أيّ تفسير .

(١) سورة الإخلاص : ١ - ٥ .

(٢) النهج ٧٢/١ ، الخطبة ١ .

٢٥٣

تجعل فيما بينك وبينها البحر الأخضر

كلمة سائرة على اللسان تقال للمسافة القصوى ، والبعد الشاسع بين الشيئين نظير قوله تعالى : ﴿ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ ﴾^(١) قالها الإمام الكاظم (عليه السلام) في حوار بينه ، وجمع منهم عبدالله بن مصعب الزبيري راوي الحديث المتقدم ذكره عند « إن فعلت لم أجالسك »^(٢) . في أمر النساء ، وقد خاضوا فيه والإمام ساكت وقال لما سكتوا :

« أما الحرائر فلا تذكرهنّ ، ولكن خير الجواري ما كان لك فيها هوى وكان لها عقل وأدب فلست تحتاج إلى أن تأمر ، ولا تنهى . ودون ذلك ما كان لك فيها هوى ، وليس لها أدب فأنت تحتاج إلى الأمر والنهي . ودونها ما كان لك فيها هوى وليس لها عقل ولا أدب ، فتصبر عليها لمكان هواك فيها . وجارية ليس لك فيها هوى وليس لها عقل ولا أدب فتجعل فيما بينك وبينها البحر الأخضر.

قال ... : فقال لي : مه إن فعلت لم أجالسك »^(٣).

أقول :

سبق سند الشيخ الكليني لهذا الحديث ، وترجمة الزبيري عديم الأدب

(١) الزخرف : ٤٨ .

(٢) حرف «إن» .

(٣) الكافي ٥/٣٢٢ - ٣٢٣ ، باب أصناف النساء ، الحديث ٢ ، الوسائل ١٤/١٣٠ .

فراجع^(١)

أعطي أهل البيت (عليهم السلام) جوامع الكلم وكيف لا وهم أمراء الكلام ففي النبوي : « أو تيتُ جوامع الكلم ، واختصر لي الكلام اختصاراً »^(٢) والعلوي : « إنا لأمراء الكلام ، وفينا تنشبت عروقه ، وعلينا تهدلت غصونه »^(٣).

ولفظه « إنا » كناية عن أهل البيت جميعاً ؛ لأنهم كنفس واحدة ولن لبة قريش التي هي سنام العرب البلغاء الفصحي ، وقد نزل القرآن في بيوتهم وعندهم علم ما كان وما يكون وما هو كائن.

وتقسيم الجوارى إلى ثلاثة يشهد له العيان قبل البرهان ، وإن الإمام روعي فداه أراد أن يمنح القوم بما فيه خائضون ولم يأتوا بشيء يشفي الغليل في هذا المضمار.

ثم التمثيل للقسم الثالث بالبحر الأخضر لأمرين : البعد الشاسع ، وعدم الاستطاعة^(٤).

(١) حرف «إن».

(٢) عوالي اللثالي ٤/١٢٠ ، كنز العمال ١١/٤٤٠ ، رقم ٣٢٠٦٨.

(٣) النهج ١٣/١٢ ، الخطبة ٢٢٨.

(٤) والوصول إليه ، أو كناية عن الإهلاك لها بأن ترمى الجارية في البحر لو ساغ.

ثم إن من الشواهد على أن المراد من البحر الأخضر البحر الهادي : المتصل إليه البحر الأحمر المتواجد في جزيرة العرب ، أنه (عليه السلام) كان متواجداً في المدينة المنورة الكائنة في الجزيرة العربية ، أو المراد به الحزر المصحف عن الأخضر ويقوى في النظر أنه البحر الهادي المحيط بالدنيا ؛ إذ يقال يميل لونه إلى الخضرة ، أو السماء ، ويحتمل أنه مما يعلمه المعصوم دون غيره ، والله العالم .

٢٥٤

التحدّث بنعم الله شكر

روى السيد ابن طاووس بإسناده إلى محمد بن عبدالله بن زيد النهشلي قال : أخبرني أبي قال : سمعت الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) يقول : التحدّث بنعم الله شكر ، وترك ذلك كفر ، فاربطوا نعم ربكم تعالى بالشكر^(١) وحصّنا أموالكم بالزكاة^(٢) ، وادفعوا البلاء بالدعاء^(٣) ، فإنّ الدعاء جنة منجية تردّ البلاء وقد أبرم إبراهيم^(٤) .

لو لم يكن إلّا قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾^(٥) لكفى دليلاً للكلمة الكاظمية ، ولكن بما أنّ الخطاب للرسول (صلى الله عليه وآله) يراد بالنعمة ما ذكره علي بن إبراهيم القمي قال : بما أنزل الله عليك ، وأمرك به من الصلاة و الزكاة والصوم ، والحجّ والولاية ، وبما فضلك الله به^(٦) .

قال الفيض : في المجمع عن الصادق (عليه السلام) معناه : فحدّث بما أعطاك الله وفضلك ورزقك ، وأحسن إليك وهداك . وفي المحاسن عن الحسين ابن علي (عليهما السلام) قال : أمره أن يحدّث بما أنعم الله عليه من دينه وفي

(١) حرف الهمزة مع الراء .

(٢) حرف الحاء مع الصاد .

(٣) حرف الهمزة مع الدال .

(٤) مهج الدعوات ٢١٨ ، الوسائل ٤/١٠٩٥ ، البحار ٤٨/١٥٠ .

(٥) الضحى : ١١ .

(٦) تفسير القمي ٢/٤٢٨ .

الكافي عن الصادق (عليه السلام) ... قال : إذا أنعم الله على عبده بنعمة فظهرت عليه سَمِي حبيب الله محدثاً بنعمة الله ، وإذا أنعم الله على عبده بنعمة فلم تظهر عليه سَمِي بغيض الله مكذباً بنعمة الله^(١) .
وكل ذلك من ظاهرة آية التحدث ، وإطلاقها شامل لغير المذكور أيضاً كما أن الخطاب لا يختص مورده فيعم الجميع لعموم الحكم ، وقد مرّ غير مرّة أنّ خصوص المورد لا ينافي عموم الحكم ، كما أنّ كلام المعصوم كذلك .
ثم إنّ التحدث إنّما كان شكراً للنعمة ؛ لأنّه يكشف عن إجلال المنعم وذلك يحسب شكراً لها .

٢٥٥

التختم بالزُّمرد يُسر لا عُسر فيه

من الأحجار الكريمة الزُّمرد ويستحبّ به التختم ، كلمة رواها الشيخ الكليني عن الإمام الكاظم (عليه السلام) قال :

عدّة من أصحابنا عن سهل بن زياد عن هارون بن مسلم عن رجل من أصحابنا وهو الحسن بن علي بن الفضل - ويلقب سكباج - عن أحمد بن محمد ابن نصر صاحب الأنزال وكان يقوم ببعض أمور الماضي (عليه السلام) قال : قال لي : يوماً وأملئ عليّ من كتاب :التختم بالزُّمرد يُسر لا عُسر فيه^(٢)

(١) تفسير الصافي ٢/٨٢٨ - ٨٢٩ .

(٢) الكافي ٦/٤٧١ ، كتاب الزّي والتجمل .

الزُّمُّرْد :

بالضمتين وتشديد الراء ، وقد تفتح : جوهر معروف ، وهو أنواع : ذُبَابِيّ ، وربحانيّ ، فسديّ ، وصابونيّ . التختّم به يمنع عن عروض الصرع ، ويُعمي الأفعى إذا وقع نظرها عليه^(١) وأهم أثر له أنه يُسرُّ لا عُسر فيه . وهو أحد الأحجار الكريمة ومنها الياقوت النافي التختّم به الفقر كما في نبويّ ، وصادقيّ ، وكاظمي^(٢) .

والعقيق يقضى للمتختّم به حاجته : دلّ عليه النبوي والصادقي^(٣) . وأمان في السفر كما في الصادقي ، ويقضي له الحاجة بأحسنها ، وهو مبارك و يُعطى الحسنى كما في النبوي^(٤) ولم يرَ مكروهاً على ما في الصادقي^(٥) ، والفيروزج « أندري ما اسمه ؟ قلت : فيروزج ، قال: هذا بالفارسيّة فما اسمه بالعربيّة ؟ قلت : لا أدري قال : اسمه الظفر » حوارٌ دائر بين النبي وعليّ صلوات الله عليهما وآلهما^(٦) ، وغيره من جوهر أو حجر ثمين من جزع يباي وبلور ، ودُرّ وأشباه ذلك . ولمولا خوف الإطالة لنجزنا لك الحوالة ، ولأريب أنه كما سبق للأحجار والجواهر آثار مشتركة ولكل واحد واحد أثر يخصّه ، ويجمع الجميع أن التختّم به الجمال والتزيّن وتقوية للقلب ، وإرغام للعدوّ ، وسنة في الصلاة وحفظ في السفر

(١) منتهى الأرب في لغة العرب ٥١٥/٢ بعد التعريب.

(٢) الكافي ٤٧١/٦ .

(٣) الكافي ٤٧٠/٦ .

(٤) المصدر .

(٥) المصدر ٤٧١ .

(٦) المصدر ٤٨٢/٢ .

والحضر . وفي كتاب عدّة الداعي لابن فهد الحلبي ذكر شعر ما يوهم إن الزمرد شجر ، ولكنه حجر عبر به مجازاً^(١) : لعلاقة التشبيه به .

٢٥٦

التدبير نصف العيش

من حكميات الإمام الكاظم (عليه السلام) التي رواها ابن شعبة قال :
« التدبير نصف العيش »^(٢) .

التدبير في الأمر : أن تنظر إلى ما يؤل إليه عاقبته ، وتدبر الأمر : التفكير فيه^(٣) .

في التدبير أحاديث ، وكلمات

من الأحاديث : الحكم العلوية : التدبير نصف المعونة . التدبير قبل العمل يؤمن الندم . التدبير قبل الفعل يؤمن العثار . القليل مع التدبير أبقى من الكثير مع التبذير . أدلّ شيء على غزارة العقل حسن التدبير . حسن التدبير ينمي قليل المال ، وسوء التدبير يفني كثيره . صلاح العيش التدبير . قوام العيش حسن التقدير ، وملاكه حسن التدبير . لا عقل كالتدبير . آفة المعاش سوء التدبير . سبب التدمير سوء التدبير . من ساء تديره تعجل تدميره . لاغنى مع سوء تدبير . يستدلّ على الإدبار بأربع : سوء التدبير ، وقبح التبذير ، وقلة

(١) ص ٣٠٦ .

بأبصار التفننج طامحات
على قصب الزمرد مخبرات
كأن حداقها ذهب سبيك
بأن الله ليس له شريك
(٢) التحف ٤٠٣ .

(٣) اللسان ٢٧٣/٤ - دبر - ، مجمع البحرين - دبر - .

الاعتبار ، وكثرة الاعتذار^(١).

كلمات في التدبير :

من أصلح المال صان الأكرميين : الدين ، والعرض . ما عال مقتصد .
أصلحوا أموالكم لنبوة الزمان ، وجفوة السلطان . التدبير يشمر اليسير ، والتبذير
يبدد الكثير . حسن التدبير مع الكفاف أكفى من الكثير مع الإسراف . إن في
إصلاح مالك جمال وجهك ، وبقاء عزك ، وصون عرضك ، وسلامة دينك . من لم
يحمد في التقدير ، ولم يذم في التبذير فهو سديد التدبير^(٢).

أقول :

المتحصّل من جميع ما ذكرناه أنّ التدبير من خصال وصفات العقلاء
والأكياس .

٢٥٧

تراه مثل نهر سُوراء

كلمة تمثيل جاءت لبيان الفجر الصادق المتميّز عن الفجر الكاذب لكي
تصحّ فريضة الصبح عنده ، روى الشيخ الحرّ عن الشيخ الطوسي قال :
« وبإسناده عن محمد بن علي بن محبوب عن أحمد بن محمد بن عيسى
عن الحسين بن سعيد عن فضالة عن هشام بن الهذيل عن أبي الحسن الماضي

(١) تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم ٣٥٤.

(٢) التمثيل والمحاضرة ٤٢٨.

ويجد المتبع أكثر مما ذكر هنا.

(عليه السلام) قال : سألته عن وقت صلاة الفجر ، فقال : حين يعترض الفجر فتراه مثل نهر سُوراء^(١).

أقول :

وفي موثق أبي بصير المكفوف قال : سألت أبا عبدالله عن الصائم متى يحرم عليه الطعام ؟ قال : إذا كان الفجر كالقبطية البيضاء ، قلت فمتى تحل الصلاة ؟ فقال : إذا كان كذلك^(٢).

وصادقي آخر : « الصبح [الفجر] هو الذي إذا رأيتَه كان معترضاً كأنه بياض نهر سُوراء »^(٣).

وللفجر الكاذب والصادق قال الشيخ الحرّ : وروي أن وقت الغداة إذا اعترض الفجر فأضاء حسناً ، وأمّا الفجر الذي يشبه ذنب السرحان^(٤) فذاك الفجر الكاذب ، والفجر الصادق هو المعترض كالقباطي^(٥).

وأبين حديث وجدته مارواه الشيخ الكليني بإسناده إلى علي بن مهزيار قال : كتب أبو الحسن بن الحصين إلى أبي جعفر الثاني (عليه السلام) معي : جعلت فداك ، قد اختلفت موالوك في صلاة الفجر فمنهم من يصلي إذا طلع الفجر الأوّل المستطيل في السماء ، ومنهم من يصلي إذا اعترض في أسفل الأفق

(١) الوسائل ٣/١٥٤ ، الباب من الوقت ٢٧ ، الحديث ٦.

(٢) المصدر ١٥٥ ، الباب ٢٨ ، الحديث ٢.

(٣) المصدر ١٥٣ ، الباب ٢٧ ، الحديث ٢.

(٤) السرحان الذنب.

(٥) المصدر ١٥٣.

والقباطي نسبة إلى القبط بكسر القاف وهم أهل مصر أي ثياب بيض رقيقة تجلب من مصر .

مجمع البحرين - قبط ..

واستبان ، ولست أعرف أفضل الوقتين فأصلي فيه ، فإن رأيت أن تعلمني أفضل الوقتين وتحده لي ، وكيف أصنع مع القمر والفجر لا يتبين معه حتى يحمر ويصبح وكيف أصنع مع الغيم ، وماحد ذلك في السفر والحضر ؟ فعلت إن شاء الله .

فكتب (عليه السلام) بخطه ، وقرأته : الفجر - يرحمك الله - هو الخيط الأبيض المعترض ليس هو الأبيض صعداء ، فلا تصل في سفر ولا حضر حتى تتبينه ؛ فإن الله تبارك وتعالى لم يجعل خلقه في شبهة من هذا فقال : ﴿ كلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ﴾^(١) ، فالخيط الأبيض هو المعترض الذي يحرم به الأكل والشرب في الصوم ، وكذلك هو الذي توجب به الصلاة^(٢) .

قال الحموي : سُوراء بضم أوله وسكون ثانيه ثم راء وألف ممدودة : موضع يقال هو إلى جنب بغداد . وقيل : هو بغداد نفسها ، ويروى بالقصر . قيل : سميت بسوراء بنت أردوان بن باطي الذي قتله كسرى أردشير وهي بنتها - من البناية - .

وقال الأديبي : سوراء موضع بالجزيرة ، وذكر ابن الجواليقي : أنه مما تلحن العامة بالفتح فقالت سوراء . - وقال الحموي أيضاً : - سوراء مثل الذي قبله إلا أن ألفه مقصورة على وزن بشرى : موضع بالعراق من أرض بابل وهي مدينة السريانيين ، وقد نسبوا إليها الخمر ، وهي قريبة من الوقف والحلة المزيدة ...^(٣)

وعليه فقوله (عليه السلام) : « مثل نهر سوراء » يراد به نهر دجلة

(١) البقرة : ١٨٥ .

(٢) الكافي ٣/٢٨٢ باب وقت الفجر ، الحديث ١ .

(٣) معجم البلدان ٣/٢٧٨ . - سوراء - .

المتواجد في بغداد والمقصود بياضه وامتداده المنتشر في الأفق ، لأنه أولاً يظهر بياض في الأفق العالي ولا يقطعاه عن أسفل الأفق سمي صباحاً كاذباً ، لوجود ظلمة الليل في الأسفل وبعد ذلك يزول البياض الذي يشبه ذنب السرحان وهو الذئب فيظهر بياض معترضاً في أسفل الأفق ممتداً كأنه نهر طويل ، أو قل : كأنه ثوب أبيض ممدود^(١) وهو الصبح الصادق .

٢٥٨

ترك الدنيا من الفضل ، وترك الذنوب من الفرض

من حكم الإمام الكاظم (عليه السلام) المخاطب بها هشام بن الحكم ، رواها الشيخ الكليني (طاب تراه) :

« يا هشام إن العقلاء تركوا فضول الدنيا ، فكيف الذنوب ، وترك الدنيا من الفضل ، وترك الذنوب من الفرض »^(٢) .

ولا يعادل الفضل بالفرض ، إذ في الفضل المثوبة ، وفي ترك الفرض العقوبة ولا يساوي العاقل بين التركين ، وقد دلت الأدلة الأربعة : الكتاب ، والسنة ، والإجماع ، والعقل على لزوم ترك الكبائر ، وإتيان الفرائض .
وهنا بحوث منها : تعريف الكبيرة ، والفرق بينها وبين الصغيرة وهل

(١) في حديث الهادي (عليه السلام) : «إذا انتصف الليل ظهر بياض في وسط السماء شبه عمود من حديد تضيئ له الدنيا فيكون ساعة، ثم يذهب ويظلم فإذا بقي ثلث الليل ظهر بياض من قبل المشرق فاضاءت له الدنيا فيكون ساعة ... ثم يظلم ... ثم يطع الفجر الصادق الكافي

الأولى ما أُوعد عليه النار في الكتاب العزيز ، أو في السنة ؟ أو أن الذنوب كلها كبائر ، وإنما تكون صغيرة بالقياس إلى أشد منها ؟

ومنها أي من البحوث عدّها هل هي سبع أو سبع عشر ؟ في صحيح صادقي رواه الكليني بإسناده إلى محمد بن مسلم عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : سمعته يقول : الكبائر سبع : قتل المؤمن متعمداً ، وقذف المحصنة ، والفرار من الزحف ، والتعرب بعد الهجرة ، وأكل مال اليتيم ظلماً ، وأكل الربا بعد البيّنة ، وكلّ ما أوجب الله عليه النار ^(١) ؟ أو سبعين ؟ أو أكثر ؟ ليس هنا موضع ذكرها . ومنها ما لا يغفر من الذنوب كالشرك ، وظلم العباد بعضهم لبعض قال تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ ^(٢) .

ومنها آثارها : في علوي : « فما زالت نعمة ولا نضارة عيش إلا بذنوب اجترحوا إن الله ليس بظلام للعبيد » ^(٣) وصادقي : « إن الرجل يذنب الذنب فيحرم صلاة الليل ، وإن العمل السيء أسرع في صاحبه من السكين في اللحم » ^(٤) .

﴿ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير ﴾ ^(٥) .

(١) أصول الكافي ٢/٢٧٧ .

(٢) النساء : ٤٨ .

(٣) البحار ٧٣/٣٥٠ ، من الخصال .

(٤) أصول الكافي ١/٢٧١ ، البحار ٧٣/٣٣٠ .

(٥) الشورى : ٣٠ .

٢٥٩

ترك النفس وما تهوى أذاها

عاقبة هوى النفس شرّ وفساد، وإنما خيرها وصلاحها كفّها عمّا تهوى .
 قد سبقت كلمة الإمام الكاظم (عليه السلام) عند « أتق المرتقى السهل
 إذا كان منحدره وعراً »^(١) ، لرواية الشيخ الكليني (طاب ثراه) بإسناده إليه
 قال روي فدهاه :

« لاتدع النفس وهواها : فإن هواها في رداها ، وترك النفس وما تهوى
 أذاها ، وكفّ النفس عمّا تهوى دواها »^(٢) .
 وقد علّقنا على الحديث بعض التعليق النافع لفهم الكلمة المختارة
 فراجع^(٣) .

ماهي النفس ؟ وما عددها ؟

قال العلامة الحلي في معارج الفهم : اختلف الناس في حقيقة النفس
 ماهي ؟ - إلى أن قال : - والمشهور مذهبنا .
 أحدهما : أن النفس جوهر ليس بجسم ولا حال في الجسم وهو مدبّر لهذا
 البدن وهو قول جمهور الحكماء ، ومأثور عن شيخنا المفيد ، وبني نوبخت من
 أصحابنا .

(١) حرف الهمزة مع التاء .

(٢) أصول الكافي ٢/٣٣٦ ، الوسائل ١١/٣٤٦ .

(٣) حرف الهمزة مع التاء .

والثاني أنها : جوهر أصلية^(١) في هذا البدن ، حاصلة فيه من أول العمر إلى آخره ، لا يتطرق إليها التغير ولا الزيادة ولا النقصان .
وعند المعتزلة عبارة عن الهيكل المشاهد المحسوس ...^(٢) .

تعريف الشيء بأظهر خواصه لا يكون من فصوله الحقيقية ، بل كما قال المحقق الخراساني (طاب ثراه) في تعريف الإنسان بأنه حيوان ناطق : (إن مثل الناطق ليس بفصل حقيقي بل لازم ماهو الفصل وأظهر خواصه)^(٣) ، وأن حقائق الأشياء لا يعلمها إلا الله تعالى .

النفس وعددها :

إن النفس واحدة لا تعدد ذاتي لها ، وإنما تعددها بسمايتها باعتبار كماها وشئونها إلى المطمئنة . والراضية . والمرضية . ﴿ يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارجعى إلى ربك راضية مرضية ﴾^(٤) واللؤامة ﴿ ولا أقسم بالنفس اللؤامة ﴾^(٥) . والأماراة ﴿ إن النفس لأماراة بالسوء ﴾^(٦) والملمهة ﴿ فاهمها فجورها وتقواها ﴾^(٧) كما إننا لا نتعدد بتعدد غير صفاتنا وكالاتنا .

(١) كذا .

(٢) البحار ٦٦ / ٨٦ .

(٣) الكفاية ١ / ٥٢ ، المشتق .

(٤) الفجر : ٢٧ - ٢٨ .

(٥) القيامة : ٢ .

(٦) يوسف : ٥٣ .

(٧) الشمس : ٧ - ٨ .

ولا يخفى أن الكلمة حكمة بالغة تنفع المجاهد مع النفس الإمارة .

٢٦٠

تطأطأت عن سمو الخيل ، وتجاوزت قمو العير

من كلمات الإمام الكاظم (عليه السلام) أجاب بها المعترض ، رواها الشيخ الكليني (طاب ثراه) قال :

علي بن إبراهيم أو غيره رفعه قال : خرج عبد الصمد بن علي ومعه جماعة فبصر بأبي الحسن موسى بن جعفر (عليهما السلام) مقبلاً راكباً بغلاً ، فقال لمن معه: مكانكم حتى أضحككم من موسى بن جعفر ، فلما دنا منه قال له : ماهذه الدابة التي لاتدرك عليها النار ، ولا تصلح عند النزال ؟ فقال له أبو الحسن : تطأطأت عن سمو الخيل ، وتجاوزت قمو العير ، وخير الأمور أوسطها . فأفحم عبد الصمد فما أثار جواباً^(١).

أقول :

روي الحديث جمع منهم الشيخ المفيد (طاب ثراه) يختلف معه بعض الاختلاف كالآتي :

وذكر ابن عمار وغيره من الرواة أنه لما خرج الرشيد إلى الحج وقرب من المدينة استقبله الوجوه من أهلها يقدمهم موسى بن جعفر (عليه السلام) على بغلة ، فقال له الربيع : هذه الدابة التي تلقيت عليها أمير المؤمنين والله إن طلبت عليها لم تدرك ، وإن طلبت عليها لم تفت ، فقال : إنها تطأطأت عن خيلاء الخيل ،

(١) الكافي ٥٤١/٦ ، الوسائل ٣٤٦/٨ ، البحار ١٠٣/٤٨ ، ١٥٤ ، ١٧٦ ، ٣٣٤/٧٨ .

٦٦٠ المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام

وارتفعت عن ذلة العير ، وخير الأمور أوسطها^(١).

ومنهم ابن شهر آشوب موافق للمفيد في جواب الإمام (عليه السلام) دون القائل له فراجع^(٢).

وقد اشتمل الجواب على ثلاث كلمات تثنان منها تمهدت لثالثتها . قوله (عليه السلام) : « تطأطأت عن سمو الخيل » وخيلانه هبوط عنه وتجنب عن الشموخ الآتي من قبل الاعتلاء عليه الممنوع شرعاً وعقلاً . « وتجاوزت قمو العير » القمو : الدليل القامية من النساء الدليلة ، وأقمى عدوه : إذا أذله^(٣) . والعير : الحمار الوحشي والأهلي^(٤) والارتفاع عنه ترك ركونه و « خير الأمور أوسطها » يأتي في موضعه^(٥).

٢٦١

تعجب الجاهل من العاقل أكثر من تعجب العاقل من الجاهل

من حكم الإمام الكاظم (عليه السلام) ما رواه ابن شعبة الحرّاني (طاب ثراه)^(٦) ، والعلامة المجلسي رحمه الله عنه ، وعدّوا الكلمة من حكمه ومواعظه^(٧).

(١) الإرشاد ٢٩٧ .

(٢) المناقب ٤ / ٣٢٠ .

(٣) اللسان ٢٠١ / ١٥ - قما - .

(٤) القاموس - قما - .

(٥) حرف الحاء مع الياء .

(٦) التحف ٤١٤ .

(٧) البحار ٧٨ / ٣٢٦ .



التعجب :

حالة تعرض عند خفاء علّة الشيء أو علله، أو قل كلّ أمر فيه نوع غرابة يجهلها الانسان ، أو إدراك ما فيه غرابة لا يعرفها صاحبه ، وكلّ شيء من العاقل يخفى على الجاهل سببه والعاقل لا يخفى ما فيه الجاهل من شئون ؛ لمكان تعقله ، وقد يطلق التعجب على العاقل من باب تجاهل العاقل وهو مجاز بل على خالق العقل الذي لا يخفى عليه شيء مجازاً أو تأويلاً وقد جاء ذلك في بعض الأحاديث أيضاً وقد يجهل العقلاء بل أهل العالم كله ما الله يعلمه ، وكل صنعه تعالى عجب.

قال ابن الأثير :

فيه^(١) : « عجب ربك من قوم يساقون إلى الجنة في السلاسل » أي عظم ذلك عنده وكبر لديه . اعلم الله تعالى أنه إنما يتعجب الآدمي من الشيء إذا عظم موقعه عنده وخفي عليه سببه ، فأخبرهم بما يعرفون ليعلموا موقع هذه الأشياء عنده.

وقيل : معنى « عجب ربك » : أي رضي وأثاب ، فسأه عجباً مجازاً ، وليس بعجب في الحقيقة . والأول أوجه...

والحديث الآخر « عجب ربكم من إلكم وقنوطكم » وإطلاق التعجب على الله مجاز ؛ لأنه لا يخفى عليه أسباب الأشياء . والتعجب مما خفي سببه ولم يعلم^(٢).

(١) أي الحديث النبوي.

(٢) النهاية ١٨٤/٣ - عجب - والإلّ شدّة القنوط ، ورفع الصوت بالبكاء النهاية ٦١/١ - اللّ -

وعلوي : « عجبت للمتكبر الذي كان بالأمس نطفة ، ويكون غداً جيفة »^(١).

« وعجبت لمن شكَّ في الله وهو يرى خلق الله ، وعجبت لمن نسي الموت وهو يرى من يموت ، وعجبت لمن أنكر النشأة الأخرى وهو يرى النشأة الأولى ، وعجبت لعامر دار الفناء ، وتارك دار البقاء »^(٢).

وسجادي : « عجبت لمن يحتمي عن الطعام لمضرتّه ، ولا يحتمي من الذنب لمعرتّه »^(٣).

هذه قطرة من بحر زاخر.

٢٦٢

تعلم العلم ما جهلت

من حكم الإمام الكاظم (عليه السلام) التي جاءت في غضون كلام له مع هشام بن الحكم ، رواه ابن شعبة الحرّاني ، والمجلسي نقلاً عنه قال : قال :

« يا هشام تعلم العلم ما جهلت ، وعلم الجاهل مما علّمت ... »^(٤).

أقول : تأتي الكلمة الثانية في موضعها^(٥) ولها نوع علقه بالأولى نشير إليها : وهي نشر العلم الذي تعلّمه الإنسان ، وإلا كان ممن يكتم العلم حتى عن أهله وقد جاء التنصيص على مظلومية المنوع عنه.

(١) النهج ١٨/٣١٥ ، الحكمة ١٢١.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) البحار ٧٨/١٥٩ ، والمعرة الأثم والمساءة ، والأذى والجنابة . هامش المصدر.

(٤) التحف ٣٩٤ ، البحار ٧٨/٣٠٩.

(٥) حرف العين مع اللام.

ففي نبوي : « أيها الناس لا تعطوا الحكمة غير أهلها فتظلموها ، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم »^(١) ، وكاظمي : « يا هشام لا تمنحوا الجهال الحكمة فتظلموها ، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم »^(٢) .

ومنه يعلم أن قوله (عليه السلام) : « وعلم الجاهل مما علمت » لا يراد إلا من هو أهل لذلك وسيأتي فيه مزيد توضيح إن شاء الله تعالى .

قوله (عليه السلام) : « تعلم العلم ما جهلت » ، لأدلة لزوم التعلم والطلب له على ما نصّ في النصوص منها الصحيح النبوي : « طلب العلم فريضة على كل مسلم ، ألا إن الله يحبُّ بُغاةَ العلم ، والكاظمي : « هل يسع الناس ترك المسألة عما يحتاجون إليه ؟ فقال : لا » ، وفي العلوي : « ... ألا وإن طلب العلم أوجب عليكم من طلب المال : إن المال مقسوم مضمون لكم قد قسمه عادل بينكم ، وضمنه وسيفي لكم ، والعلم مخزون عند أهله ، وقد أمرتم بطلبه من أهله فاطلبوه »^(٣) .

بيان : يريد (عليه السلام) بكلمة «من أهله» النبي وأهل بيته (عليهم السلام)؛ لأنهم خزنته وعلى الطالب له لزوم النظر عمّن يأخذه كما جاء ذلك في تفسير قوله تعالى : ﴿ فلينظر الإنسان إلى طعامه ﴾^(٤) في الباقرى قال : « علمه الذي يأخذه عمّن يأخذه »^(٥) .

(١) البحار ٧٧/١٨١ .

(٢) التحف ٣٨٩ ، البحار ٧٨/٣٠٣ .

(٣) أصول الكافي ١/٣٠ ، كتاب فضل العلم .

(٤) عبس : ٢٤ .

(٥) تفسير البرهان ٤/٤٢٩ .

نعم إذا كان أهلاً ، أخذ الحكمة أين ما وجدها ، لأنها ضالته .

٢٦٣

تقدّست يا قدّوس عن الظنون والحدوس

من كلمات قنوت الإمام الكاظم (عليه السلام) رواه السيد ابن طاووس
(طاب ثراه) - إلى أن قال : -

« تقدّست يا قدّوس عن الظنون والحدوس ، وأنت الملك القدّوس ، بارئ
الأجسام والنفوس ... »^(١).

لم نكمل القنوت ، فمن شاء نظر^(٢).

من أسماء الله الحسنى : « القدّوس » . قال تعالى : ﴿ القدّوس
السلام ﴾^(٣).

قال الشيخ الصدوق في باب أسماء الله تعالى : ﴿ القدّوس ﴾ معناه
الطاهر ، والتقدّيس التطهير والتنزيه ، وقوله عزّ وجلّ حكاية عن الملائكة :
﴿ ونحن نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾^(٤) أي ننسبك إلى الطهارة ، ونسبّحك
ونقدّس لك بمعنى واحد . وحظيرة القدس : موضع الطهارة من الأدناس التي
تكون في الدنيا والأوصاب والأوجاع وأشباه ذلك ، وقد قيل : إنّ القدّوس من
أسماء الله عزّ وجلّ في الكتب^(٥).

(١) مهج الدعوات ٥٤ .

(٢) المصدر .

(٣) الحشر : ٢٣ .

(٤) البقرة : ٣٠ .

(٥) التوحيد ٢١٠ .

وقال ابن فهد الحلبي : ﴿ القُدّوس ﴾ فُعُول من القدس وهو الطهارة ،
والقُدّوس الطاهر من العيوب المنزه عن الأنداد والأولاد . - ثم أورد (طاب ثراه)
كلام الصدوق المتقدم الذكر - ^(١) .

قال ابن الأثير : في أسماء الله تعالى « القُدّوس » هو الطهر المنزه عن
العيوب . وفُعُول : من أبنية المبالغة ، وقد تفتح القاف ، وليس بالكثير ، ولم يجئ
منه إلا قُدّوس ، وسَبّوح ، ودَّرّوح ... ^(٢) .

ولم يجئ في القرآن الكريم بهذا اللفظ إلا في سورة الحشر : ﴿ القُدّوس ﴾ ^(٣)
والغالب عليه في الأدعية ذكره مع السَّبّوح الذي قال الصدوق في باب
الأسماء : ﴿ السَّبّوح ﴾ هو اسم مبنّي على فُعُول ، وليس في كلام العرب فُعُول
إلا سَبّوح وقُدّوس ، ومعناها واحد ^(٤) وقد عرفت دَرّوح أيضاً أي المحمرّ كثيراً .
وكيف كان فإن اسم الله القُدّوس توجب المداومة على ذكره القداسة الروحية
وطهارة القلب إذا سأل الذاكر منه تعالى ذلك والقنوت الكاظمي خاصّة في حالة
القنوت.

(١) عدّة الداعي ٣٠٧ - ٣٠٨ .

(٢) النهاية ٢٣/٤ - قدس - .

(٣) الحشر : ٢٣ .

(٤) التوحيد : ٢٧ .

أقول : الحُدّوس جمع الحُدّس ولم أر في اللغة له تصريحاً إلا أنه كالضرب والضروب : الوهم
والتخمين.

٢٦٤

تمسكتُ بالحبل المتين ، وتدرّعتُ بهيبة أمير المؤمنين

من عوذة الإمام الكاظم (عليه السلام) ، رواها السيد ابن طاووس لما ألقى ببركة السباع أولها :

بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله وحده وحده أنجز وعده ونصر عبده وأعز جنده ... « - إلى أن قال : - « فأويت إلى ركن ركين ، والتجأت إلى الكهف المنيع ، وتمسكتُ بالحبل المتين ، وتدرّعتُ بهيبة أمير المؤمنين ، وتعوذت بعوذة سليمان بن داود (عليه السلام) ، واحترزت بخاتمه ، فأنا أين كنت كنت آمناً مطمئناً... »^(١).

تقدّم ذكرها إلى « ركن ركين » مرّة عند « آويت إلى ركن ركين »^(٢) ، وبعضها عند « أنا أين كنت كنت آمناً مطمئناً »^(٣) ، وفيها أبحاث حول بعض كلمات العوذة.

التمسكُ بالحبل المتين ، والتدرّعُ بالهبة العلوية وتفسيرهما.

الحبل المتين حبل الله الذي أمر العباد باعتصامه ، قال تعالى :

﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا﴾^(٤).

الحبل قيل : أنّه لفظ مشترك ، وأصله في اللغة السبب الذي يوصل به

(١) مهج الدعوات ٢٤٢ - ٢٤٣.

(٢) الهمة مع الألف.

(٣) الهمة مع النون.

(٤) آل عمران : ١٠٣.

إلى البُغية والحاجة . والحبل حَبَل العاتق ومنه ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبَلِ الْوَرِيدِ ﴾^(١) الموصول به . والحبل : مستطيل من الرمل ومنه الحديث : والله ما تركت من حبل إلاّ وقفت عليه ، فهل لي من حجّ ؟ والحبل الرَسَن . والحَبَل العهد ، قال الأعشى :

وَإِذَا تُجَوِّزَهَا حَبَالُ قَبِيلَةٍ أَخَذْتَ مِنَ الْأُخْرَى إِلَيْكَ حَبَالَهَا

يريد الأمان . والحبل الداهية قال كثير :

فَلَا تَعْجَلِي يَا عَزَّ أَنْ تَتَفَهَمِي بُنْصَحَ أَتَى الْوَاشُونَ أَمْ بِحُبُولٍ^(٢)

وقد فسّر الحبل في الأحاديث بالقرآن ، وبالنبي وأهل بيته (صلى الله عليهم وسلّم) والشريعة ففي سجّادي : « وَحَبَلِ اللَّهِ هُوَ الْقُرْآنُ »^(٣) وصادقي : « نَحْنُ حَبَلُ اللَّهِ ... »^(٤) وكاظمي : « عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ حَبَلُ اللَّهِ »^(٥) والجميع حق لا بدّ من الأخذ به ويرجع إليه تعالى والهيبة العلوية هي الولاية والمحبة : ﴿ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ ﴾^(٦) والعزّة الربانيّة والعودة من الكلمات المختارة التي هي من الحكم النافعة بالصميم .

(١) الواقعة : ٨٥ .

(٢) تفسير القرطبي ١٥٨/٤ .

(٣) تفسير الصافي ٢٨٥/١ .

(٤) تفسير البرهان ٣٠٦/١ ، تفسير العياشي ١٩٤/١ .

(٥) تفسير البرهان ٣٠٧/١ .

(٦) الكهف : ٤٤ . وقرء بالكسر أي السلطان ، تفسير الصافي ١٥/٢ .

٢٦٥

تمشّطوا بالعاج ؛ فإنّ العاج يذهب بالوباء

من الكلمات المختارة ما يؤثر عن الإمام الكاظم (عليه السلام) ، أثره الشيخ الكليني قال :

علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن الحسين بن الحسن بن عاصم عن أبيه قال : دخلت على أبي إبراهيم (عليه السلام) وفي يده مشط عاج يتمشّط به ، فقلت له : جعلت فداك إنّ عندنا بالعراق من يزعم أنّه لا يحلّ التمشّط بالعاج قال : ولم ؟ فقد كان لأبي منها مشط أو مشطان ، ثم قال : تمشّطوا بالعاج ؛ فإنّ العاج يذهب بالوباء^(١).

كلّ حديث معتبر لا يعارضه آخر مثله عمل به ، والمقام كذلك بل فيه ما يؤكده ومنه الصحيح الباقرى : « لا بأس به ، وإنّ لي منه مشطاً ، وعن صحيح القاسم بن الوليد قال : سألت أبا عبدالله (عليه السلام) عن عظام الفيل مداهنها وأمشاطها ؟ قال : لا بأس به^(٢).

العاج

قد عرفت عدم البأس في التمشّط بالعاج لا من جهة التحريم ، ولا النجاسة بل جاء الأمر به لإذهاب الوباء به.

قال ابن الأثير : وفيه - أي النبوي - « إنّ كان له مشط عاج » العاج : الدّبل . وقيل : شيء يتخذ من ظهر السُّلحفاة البحريّة . فأما العاج الذي هو

(١) الكافي ٦/٤٨٨ - ٤٨٩ ، باب التمشط ، الحديث ٣.

(٢) المصدر ٤٨٩.

عظم الفيل فنَجَسُ عند الشافعي ، وطاهر عند أبي حنيفة^(١) .
العاج : عظم أنياب الفيل . وعن الليث لا يسمّى غير الناب عاجاً قاله
الطريحي ، وزاد : « أن أبا الحسن كان يتمشّط بمشط العاج » ... وروي « أنه
كان لفاطمة عليها السلام سوار من عاج »^(٢) .

ظاهرة التمشط بالعاج الإذهاب بالوباء ، صرح به الكاظمي المتقدّم ،
وفسّر الوباء بالحمّى إذا مشط الرأس ، وإمرار المشط على الصدر مذهب بالهم
والوباء وتسريح اللحية سبعين مرّة ، وعدّها مرّة مرّة يبعد الشيطان أربعين
يوماً^(٣) .

٢٦٦

تنزل المعونة على قدر المؤونة

من الأمثال السائرة على اللسان ، قاله الإمام الكاظم (عليه السلام) .
رواه ابن إدريس في (آخر السرائر) نقلاً من كتاب موسى بن بكر عن العبد
الصالح (عليه السلام) قال : تنزل المعونة على قدر المؤونة ، وينزل الصبر على
قدر المصيبة^(٤) .

تأتي الكلمة الثانية في محلّها^(٥) وأما الأولى ففيها بحثان الأوّل المؤونة ،
والثاني المعونة.

(١) النهاية ٣/٣١٦ - عوج - .

(٢) مجمع البحرين - عوج - والرواية في النهاية ٣/٣١٦ - عوج - .

(٣) انظر الكافي ٦/٤٨٩ .

(٤) التحف ٤٠٣ ، الوسائل ١١/٥٥١ .

(٥) الياء مع النون .

المؤنة

هي فعولة وقيل : مفعلة من الأين وهو التعب والشدة ويقال مفعلة من الأون وهو الخرج والعدل ، لأنه ثقل على الإنسان كذا قال الجوهري . وفي المصطلح الفقهي أن إخراج الخمس بعد المؤنة كما في صحيح ابن أبي نصر : « كتبت إلى أبي جعفر (عليه السلام) الخمس أخرجه قبل المؤنة أو بعد المؤنة ؟ فكتب بعد المؤنة »^(١) وهي ما يصرفه في دور السنة على عياله ، والضياع بعد مؤنة الضيعة ، وبعد خراج السلطان .

قال في الجواهر في تفسير المؤنة : فالأولى إيكاله إلى العرف كإيكال المراد بالعيال إليه ، إذ ما من أحد إلا وعنده عيال ، وله مؤونة ولعله لافرق فيه على الظاهر بين واجبي النفقة وغيرهم مع صدق اسم العيلولة عليه عرفاً كما صرح في المسالك والمدارك والرياض ...^(٢)

والمؤونة عرفاً هي مصارف الرجل على نفسه ومن يعول به من مآكل ومشرب وملبس ومسكن وما يحتاج إليه مع رعاية الشئون عادة وباقي الكلام في الفقه .

المعونة

قال الشيخ الطريحي : المعونة : الإعانة ، وكذا المعانة بالفتح أيضاً ، يقال : ما عندك معونة ولا معانة ولا عون . وفي الحديث : « تنزل المعونة على قدر

(١) الوسائل ٦/٣٥٤ .

(٢) الجواهر ١٦/٥٩ .

المؤونة « ؛ وذلك لتكفل الله تعالى بالأرزاق^(١) ﴿ يمنعون الماعون ﴾^(٢) أي المعونة.

٢٦٧

التودد إلى الناس نصف العقل

من حكم الإمام الكاظم (عليه السلام) ، رواها ابن شعبة قال : « التودد إلى الناس نصف العقل »^(٣).

أقول : لا تنافيها الرواية الأخرى عن الإمام الرضا (عليه السلام) الحديث نفسه أيضاً مع اتحاد المضمون^(٤) ويقاربه النبوي : « رأس العقل بعد الدين التودد إلى الناس ، واصطناع الخير إلى كل بر وفاجر »^(٥) ، والآخر : « رأس العقل بعد الإيمان بالله التحبب إلى الناس »^(٦) ، والآخر عن الإمام الحسن (عليه السلام) : « لا أدب لمن لا عقل له ، ولا مروءة لمن لا همة له ، ولا حياة لمن لا دين له ، ورأس العقل معاشرته الناس بالجميل ، وبالعقل تُدرك الداران جميعاً ،

(١) مجمع البحرين - عون - يريد به الحديث الجاري.

(٢) الماعون : ٧.

أقول يشمل الحديث طالب العلم ومعلمه ما يتحمله من الشدة والتعب في سبيله ، فيوفقه الله ويعينه بالمعونة المعنوية والقرب الروحي.

(٣) التحف ٤٠٣.

(٤) التحف ٤٤٣ ، البحار ٣٣٥/٧٨.

(٥) البحار ٤٠١/٧٤.

(٦) البحار ١٣١/١.

ومن حُرْم من العقل حُرْمها جميعاً»^(١).

بيان :

من العقل العشرة الجميلة ، والتودّد ، والسلام الفاشي بين الناس ، وبه تدرك الداران : الدنيا والآخرة ، وما أحسن ذلك ، قال الشاعر :

ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا وأقبح الكفر والإفلاس بالرجل^(٢)

كيف صار التودّد إلى الناس نصف العقل ؟

الجواب: أن ذلك نظير النبوي : « من تزوّج أحرز نصف دينه »^(٣) وفي الآخر : « فليقت الله في النصف الآخر ، أو الباقي »^(٤) وهو تعبير شائع ، يقال للاهتمام والكناية وأنه لو كان العقل أو الدين مركباً من نصفين فقد وجد بالتودّد، أو التزويج النصف الأوّل ، وعليه بالنصف الثاني وهذا تمثيل لا يقصد به الحقيقة وبيئاته المثل السائر : « لا أدري نصف العلم »^(٥) إذ لا يراد منه سوى التمهيد للظفر به لأنّ الجاهل إذا علّم جهله طلب العلم ، وكيف كان فقد بان المراد من التودّد إلى الناس ، ويشهد له الصادقي : « ... وكونوا إخوة برّرة كما أمركم الله ... »^(٦).

(١) البحار ٧٨/١١١.

(٢) جامع الشواهد ١/٣ ، لأبي دلامة.

(٣) الوسائل ٥/١٤.

(٤) المصدر.

(٥) أمثال وحكم ٣/١٣٤٠.

(٦) البحار ٧٤/٤٠١.

ولفظ «نصف العقل» يفتح النون من الإنصاف لا الأنصاف على احتمال قريب جداً. أي التودّد إلى الناس من الإنصاف العقلي.

حرف الثاء

٢٦٨

ثلاثة لا تضرّ: العنب الرازقي، وقصب السكر، والتفاح اللبناني

روى الشيخ الصدوق بإسناده إلى منصور بن يونس قال : سمعت أبا الحسن موسى بن جعفر (عليهما السلام) يقول : ثلاثة لا تضرّ: العنب الرازقي، وقصب السكر، والتفاح اللبناني^(١).

من كلماته المختارة الماثورة في العنب والسكر والتفاح ما تقدّم، وفيها من أحاديث.

العنب

في العنب خواصّ منها : زوال الغمّ في صادقي : « شكّا نبيّ من الأنبياء إلى الله عزّ وجلّ الغمّ ، فأمره عزّ وجلّ بأكل العنب » وآخر : « إنّ نوحاً شكّا إلى الله الغمّ ، فأوحى الله إليه : كل العنب »^(٢) وجاء في الصادقي : « كان علي ابن الحسين (عليهما السلام) يعجبه العنب ، فكان صائماً فلما أفطر كان أوّل ما جاء به العنب أتته أمّ ولد له بعنقود عنب فوضعت بين يديه ، فجاء سائل فدفعه إليه ، فدست أمّ ولده إلى السائل فاشتريته منه ، ثم أتته به فوضعت بين يديه ، فجاء سائل آخر فأعطاه إياه ففعلت أمّ الولد مثل ذلك ... فلما كان في المرّة الرابعة أكله »^(٣).

وفي العنب أمثال وكلمات منها قولهم : إنك لا تجني من الشوك العنب .

(١) الخصال ١٤٤/١.

(٢) الوسائل ١٧/١١٧ - ١١٨ ، باب العنب.

(٣) الوسائل ١٧/١٦.

قال أبو عثمان الخالدي :

وكم من عدو صار بعد عداوة صديقاً مُجلاً في المجالس مُعظماً
ولا غرو فالعنقود في عود كرمه يُرى عنباً من بعد ما كان حصرماً^(١)

السكر .

في صادقي : «لئن كان الجبن يضرّ من كلّ شيء ولا ينفع فإنّ السكر ينفع من كلّ شيء ولا يضرّ من شيء»، وآخر : «إنّ أول من اتخذ السكر سليمان ابن داود (عليه السلام)» وآخر : «...الذي يقدر أن يبرىء بالمرّ يقدر أن يبرىء بالحلوى» وكاظمي : «كان أبو الحسن (عليه السلام) كثيراً ما يأكل السكر عند النوم»^(٢).

وفيه فوائد منها أنه مع الماء البارد رافع للحمّى ، وأنّه مبارك ويقطع البلغم^(٣).

التفّاح .

في صادقي : «التفّاح نضوح المعدة» وكاظمي : «... ينفع من خصال : من السحر والسّم...» وصادقي : «...وهو يقلع الحمّى ويسكن الحراق»، و«إنّا أهل بيت لا نتداوي الآبافاضة الماء البارد وأكل التفّاح»^(٤).

(١) التمثيل والمحاضرة ٢٧٠.

(٢) الوسائل ٧٦/١٧ - ٧٩ ، باب ٥٠ - ٥١ ، من أبواب الأطعمة المباحة.

(٣) الوسائل ٨٠/١٧.

(٤) الوسائل ١٢٤/١٧ - ١٢٨.

٢٦٩

ثلاثة يستظلون بظلّ عرش الله يوم لا ظلّ إلاّ ظلّه

من كلمات الإمام الكاظم (عليه السلام) المختارة ، رواها الشيخ الصدوق بإسناده إلى علي بن جعفر عن أخيه موسى بن جعفر (عليه السلام) قال : ثلاثة يستظلون بظلّ عرش الله يوم لا ظلّ إلاّ ظلّه : رجل زوّج أخاه المسلم ، أو أخدمه ، أو كتّم له سرّاً^(١) .

تزويج الأخ المسلم ، وإخداّمه ، وكتّم سرّه كيف صار سبباً للاستغلال بظلّ العرش الربوبي ؟

الجواب : بعد ما كان المراد من الأخ المسلم المؤمن الموالي المتابع لأهل البيت (عليهم السلام) أنّ الأمور الثلاثة توجب راحته وأن يعيش في ظلّها وإسكانه وسكونه ، والمؤمن أعظم عند الله من الكعبة ، ومن السماء والأرض بل والعرش ، فإظلاله بظلّ الراحة والعيش صار سبباً لذلك ، على أنّ في هذه الثلاثة رضا الله تعالى الموجب لاستظلاله وهو العمدة ، لأنّ رضا المؤمن رضا الله ، وإلّا لم يكن مؤمناً وإخداّم المؤمن إخداّمه تعالى بمعناه اللائق بعزّ قدسه كما جاء في آية قرص الحسنّة له كمن أقرض الله ، لأنّه غنيّ بالذاب قال تعالى : ﴿ من ذا الذي يُقرض الله قرصاً حسناً فيضاعفه له ﴾^(٢) والعمل إذا كان لله وحده ولم يُرد به إلاّ وجهه صحّ انتسابه إلى الله ، ويزيد الانتساب صدقاً إذا كان العامل

(١) الحاصل ١/١٤١ .

(٢) الحديد : ١١ .

معصوماً وقد جمع النوعين قوله تعالى : ﴿ فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ﴾^(١).

وظاهرها صدق النسبة وإن ورد في آية أخرى نزول الملائكة للمقاتلة مع المشركين يوم بدر : ﴿ ألن يكفيكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة مُنزلين ﴾^(٢).

حصيلة الكلام :

أن الله عزّ وجلّ جعل للعمل الجميل الجزاء الجميل والأجر الجزيل ، فعليه من زوج أخاه المؤمن أو أخدمه مباشرة أو تسبيهاً ، أو كنتم سرّه أظله الله تعالى بظلّ العرش جزاء لعمله ؛ لأنه لا يضيع أجر من أحسن عملاً ، وهو التفضّل والتكرّم دون الاستحقاق العقلي ؛ لأنّ العبد لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً ولا حياة ولا نشوراً ، ولا غير ذلك من أمور.

(١) الأنفال : ١٧ .

(٢) آل عمران : ١٢٤ .

حرف الجيم

٢٧٠

جاء سلطان ذي السلطان العظيم

من الكلمات المختارة قول الإمام الكاظم (عليه السلام) في كتاب علي ابن سويد ، كتبه إليه وهو في الحبس يسأله عن حاله وعن مسائل كثيرة ، واحتبس عليه الجواب شهراً ثم أجابه بجواب هذه نسخته :

« بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله العلي العظيم الذي بعظمته ونوره أبصر قلوب المؤمنين وبعظمته ونوره عاداه الجاهلون ، وبعظمته ونوره ابتغى من في السموات ومن في الأرض إليه الوسيلة بالأعمال المختلفة والأديان المتضادة ، فمصيب ومخطئ ، وضال ومهتد ، وسميع وأصم . وأعمى وحيران ...

- إلى أن قال (عليه السلام) :-

كتبت تسألني عن أمور كنتُ منها في تقيّة ، ومن كتبتها في سعة ، فلما انقضى سلطان الجبابرة ، وجاء سلطان ذي السلطان العظيم بفراق الدنيا المذمومة إلى أهلها العتاة على خالقهم ، رأيت أن أفسّر لك ما سألتني عنه مخافة أن يدخل الحيرة على ضعفاء شيعتنا من قبل جهالتهم ، فاتق الله عزّ ذكره ، وخصّ بذلك الأمر أهله ، واحذر أن تكون سبب بليّة على الأوصياء أو حارثاً عليهم بإفشاء ما استودعتك ، وإظهار ما استكتمتُك ... »^(١)

أقول :

لطول الحديث اقتضت على ما ذكر ، ولكلامه (عليه السلام) شرح

(١) روضة الكافي ١٢٤ ، البحار ٤٨/٢٤٣ .

لا يسع كثيراً من الناس ، إذ كيف يعقلون معنى «بعظمته ونوره عاداه الجاهلون» وهل تسبب العظمة والنور الربوبي عداوة الجاهلين له تعالى؟ إلا بتفسير نهاية العقول ومحدوديتها وبعدها عن إدراك العظمة اللامتناهية والنور غير المحدود وكذا باقي صفاته عز وجلّ التي تحكي عن الذات.

* وكلّ إلى ذاك الجمال يشير *^(١)

قوله (عليه السلام) : « فلما انقضى سلطان الجبايرة ، وجاء سلطان ذي السلطان العظيم ... » به ينعى نفسه وأنه عليه السلام يموت فتنتقع سُلطتهم عليه و يأتي سلطان الله القاهر خلقه بالموت فبادر بالجواب ورفع الحجاب عن وجه الحق.

٢٧١

جاهد نفسك لتردّها عن هواها

من الكلمات المختارة التي جاءت في غضون كلام الإمام الكاظم (عليه السلام) لهشام بن الحكم ، رواه ابن شعبة الحرّاني قال :
« وجاهد نفسك لتردّها عن هواها ؛ فإنه واجب عليك كجهاد عدوك »^(٢).

(١) وقيله :

* عباراتنا شتى وحسنك واحد *

أمثال وحكم ٢/١٠٨٩.

والكلام الكاظمي يرمي إلى أرفع معنى يدرك وأن سبب خلق الخلق وكلّ الأديان المتضادة والاختلاف الموجود فيها إنما هو بالنور الربوبي وعظمة الله تعالى.

(٢) التحف ٣٩٩ ، البحار ٣١٥/٧٨.

أقول :

الجهاد جهادان : جهاد عدوِّ الدين الناصب له العداوة في الظاهر كالكفّار وغيرهم ، وجهاد النفس الإمارة بالسوء . والثاني أخطر الجهادين وأشدّها ، ومن ثم عبّر عنه بالجهاد الأكبر في الحديث الصادقي : « إن النبي (صلى الله عليه وآله) بعث سرّيّه ^(١) ، فلما رجعوا قال : مرحباً بقوم قضاوا الجهاد الأصغر وبقي عليهم الجهاد الأكبر ، فقيل : يا رسول الله ما الجهاد الأكبر ؟ قال : جهاد النفس » ^(٢).

وردّ النفس عن هواها نهيها عنها الذي تعقبه الجنة ، قال تعالى : ﴿ وأما من خاف مقام ربّه ونهى النفس عن الهوى * فإنّ الجنة هي المأوى ﴾ ^(٣) ، وأنها أعدى عدوّ كما في النبوي « أعدى عدوّك نفسك التي بين جنبيك » ^(٤) ، وإن إبليس تاني الاتنين في الخفاء والضرر ، والدنوِّ إلى الإنسان وأعظم عدوّ له كما في نفس الكاظمي : « قال هشام : فقلت : فأيّ الأعداء أو جبههم مجاهدة ؟ قال (عليه السلام) : أقربهم إليك وأعداهم لك ، وأضرّهم بك ، وأعظمهم لك عداوة ، وأخفاهم لك شخصاً مع دنوّه منك ، ومن يجرّض أعداءك عليك وهو إبليس... » ، ولكنّه لم يتيسّر له نفوذ وسوسته إلى القلب إلّا بعد خضوعه ومطاوعته له ، فالأصل النفس ثم إبليس فهي عدوّ الإنسان من داخل وإبليس عدوّه من

(١) هي طائفة من الجيش يبلغ أقصاها أربعمئة ، تبعث إلى العدو . وجمعها السرايا ، سموا بذلك لأنهم يكونون خلاصة العسكر وخيارهم من النسيء السرى النفس . النهاية ٣٦٣/٢ - سرى -

(٢) الوسائل ١٢٢/١١ والآخرة... «جاهد هواك كما تجاهد عدوك» ٢٢٢/١١.

(٣) النزاعات : ٤٠/٤١.

(٤) عوالي الثاني ٤/١١٨.

خارج ؛ ومن ثم تجد النفوس المخلصة ليس له عليها سلطان ، ﴿ قال فبعزتك
لاغوينهم أجمعين * إلا عبادك منهم المخلصين ﴾^(١) ، ولا يكون التخلص من
إغوائه إلا بمجاهدة النفس ومنع هواها.

٢٧٢

جعلت على نفسي أن لا يظلني وإيَّاه سقف بيت

كلمة سائرة على اللسان : « لا يظلني وإيَّاه سقف بيت » تقال للهجران
بين اثنين وهي من الأمثال بالصميم قد رواها أبو جعفر ابن فروخ الصفار قال :
حدّثنا أحمد بن محمد بن محمد عن علي بن الحكم عن عمر بن يزيد قال : كنت
عند أبي الحسن (عليه السلام) فذكر محمد ، فقال : إنّي جعلت على نفسي أن
لا يظلني وإيَّاه سقف بيت . فقلت في نفسي هذا يأمر بالبرّ والصلة ، ويقول هذا
لعمّه ، قال : فنظر إلي فقال : هذا من البرّ والصلة ؛ إنّه متى يأتيني ويدخل علي ،
فيقول ويصدّقه الناس ، وإذا لم يدخل علي لم يقبل قوله إذا قال^(٢).

أقول :

محمد هذا هو ابن عبدالله الأرقط ابن علي بن الحسين (عليهما السلام) ،
قال العلامة المجلسي : والعقب من ولد زين العابدين (عليه السلام) في ستّة
رجال : مولانا الباقر ، وعبدالله الأرقط ، وعمر ، وعليّ ، والحسين الأصغر ، وزيد

(١) ص : ٨٢ - ٨٣ ، الإسرائ : ٦٥ .

(٢) بصائر الدرجات الجزء ٥ / ٢٥٦ - ٢٥٧ ، البحار ٤٨ / ١٦٠ .

والعقب من ولد عبدالله : من محمد الأرقط^(١) قال المعلق على البحار :
محمد هو المعروف بالأرقط ، قال أبو نصر البخاري في سرّ السلسلة
العلوية ص ٥٠ : ومن يطعن في الأرقط فلا يطعن من حيث النسب والعقب ،
وإنما يطعنون لشيء جرى بينه وبين الإمام الصادق (عليه السلام) يقال : بصق
في وجه الصادق (عليه السلام) فدعا الصادق ... فصار أرقط الوجه به نمش
كريبه المنظر .. قال العمري : كان محمد محدثاً من أهل المدينة أقطعه السفاح
عين سعيد بن خالد ، وإنما لقب بالأرقط ، لأنه كان مجدوراً... وذكر أبو الفرج
أنه كان رسول الصادق (عليه السلام) إلى الهاشميين حين دعوه لحضور مؤتمرهم
بالأبواء لبيعة محمد النفس الزكية^(٢).

قال الأستاذ الخوئي : توفي محمد سنة ١٤٨ ، وله ثمان وخمسون سنة^(٣) وله
رواية في الكافي^(٤).

(١) البحار ١٥٦/٤٦.

(٢) هامش البحار ١٥٦/٤٦ ، وفيه ردّ تلقيب عبدالله والد محمد بالأرقط : لأنه كان يعرف بالباهر
لقب بذلك لجماله فكيف يكون كريبه المنظر.

(٣) معجم رجال الحديث ٢٤١/١٦.

(٤) الكافي ٥٠٥/٦.

٢٧٣

جميع أمور الأديان أربعة

من كلمات الإمام الكاظم (عليه السلام) المختارة الجامعة لجميع أمور الأديان الماثورة عنه وقدرها جمع منهم الشيخ المفيد في الاختصاص المنسوب إليه ، وابن شعبة في التحف ، والعلامة المجلسي في البحار في حديث طويل إليك بعضه بلفظ المجلسي (طاب ثراه) :

كان لأبي يوسف^(١) كلام مع موسى بن جعفر (عليهما السلام) في مجلس الرشيد فقال الرشيد - بعد كلام طويل - لموسى بن جعفر بحق آبائك لما اختصرت كلمات جامعة لما تجارينا ، فقال :

« نعم ، وأني بدواة وقرطاس فكتب : بسم الله الرحمن الرحيم جميع أمور الأديان أربعة :

أمر لا اختلاف فيه وهو إجماع الأمة على الضرورة التي يضطرون إليها الأخبار المجمع عليها ، وهي الغاية المعروض عليها كل شبهة ، والمستنبط منها كل حادثة ، وأمر يحتمل الشك و الإنكار فسيبيله استنصاح أهله المنتحلة بحجة من كتاب الله مجمع على تأويلها ، وسنة مجمع عليها لا اختلاف فيها أو قياس تعرف العقول عدله ولايسع خاصة الأمة وعامتها الشك فيه ، والإنكار له وهذان الأمران من أمر التوحيد فما دونه ، وأرش الخدش فما فوقه ، فهذا المعروض الذي يعرض عليه أمر الدين ، فما ثبت لك برهانه اصطفيته ، وما غمض عليك صوابه نفيته ، فمن أورد واحدة من هذه الثلاث فهي الحجة البالغة التي بينها الله في قوله

(١) مَرَّتْ تَرْجَمْتَهُ وَأَنَّهُ مَاتَ عَلَى دِينِ أَبِي حَنِيفَةَ عِنْدَ «إِنَ الدِّينِ...».

لنبيّه : ﴿ قل فله الحجة البالغة فلو شاء هديكم أجمعين ﴾^١ يبلغ الحجة البالغة الجاهل فيعلمها بجهله كما يعلمه العالم بعلمه : لأن الله عدل لا يجور ، يحتاج على خلقه بما يعلمون ، يدعوهم إلى ما يعرفون لا إلى ما يجهلون وينكرون . فأجازه الرشيد وردّه - والخبر طويل -^٢ .

أقول : ثم علّق عليه بما يوضح لك الأمور الأربعة المذكورة ، ولا بأس بذكره وهو كما يلي قال :

توضيح : قسّم (عليه السلام) أمور الأديان إلى أربعة أقسام ترجع إلى أمرين :

أحدهما ما لا يكون فيه إختلاف بين جميع الأمة من ضروريات الدين التي لا يحتاج في العلم بها إلى نظر واستدلال .

وقوله (عليه السلام) : « على الضرورة » إمّا صلة للاجماع : أي على الأمر الضروري ، أو تعليل له : أي إنّنا أجمعوا للضرورة التي اضطروا إليها .

وقوله : « الأخبار » بدل من الضرورة ، ولا يبعد أن يكون في الأصل « للأخبار » وهي أي الأخبار المجمع عليها كذلك غاية جميع الاستدلالات التي تنتهي إليها ، وتعرض عليها كلّ شبهة وتستنبط منها كل حادثة .

وثانيهما ما لا يكون من ضروريات الدين فيحتاج في اثباته إلى نظر واستدلال ، ومثله يحتمل الشك والإنكار فسييل مثل هذا الأمر استنصاح أهل هذا الأمر من العالمين به لمنتحليه : أي لمن أذعن به من غير علم وبصيرة . والاستنصاح لعلّه مبالغة من النصح : أي يلزمهم أن يبينوا لهم بالبرهان على

(١) الأنعام : ١٤٩ .

(٢) البحار ٢/٢٣٨ ، ١٠/٢٤٤ ، التحف ٤٠٧ ، جامع أحاديث الشيعة ١/٢٦٣ ، الباب ٦ نقلًا عن الاختصاص والوسائل ، والتحف .

سبيل النصح والإرشاد . ويحتمل أن يكون في الأصل : « الاستيضاح » : أي طلب الوضوح لهم .

ثم قسّم (عليه السلام) ذلك الأمر باعتبار ما يستنبط منه إلى ثلاثة أقسام ، فنصير بانضمام الأول أربعة :

الأول : ما يستنبط بحجة من كتاب الله لكن اذا كانت بحيث أجمعت الأمة على معناها ولم يختلفوا في مدلولها لا من التشابهات التي تحتمل وجوها واختلفت الأمة في مفادها .

والثاني : السنة المتواترة التي أجمعت الأمة على نقلها أو على معناها .

والثالث : قياس عقلي برهاني تعرف العقول عدله : أي حقيقته ولايسع لأحد إنكاره ، لا القياس الفقهي الذي لا ترتضيه العقول السليمة ، وهذا إنما يجري في أصول الدين ، لا في الشرائع والأحكام التي لا تبصّ الشارع ؛ ولذا قال (عليه السلام) : وهذان الأمران : أي بالقسمة الأولى يكون من جميع الأمور الدينية أصولها وفروعها من أمر التوحيد الذي هو أعلى المسائل الأصولية إلى أرش الخدش الذي هو أدنى الأحكام الفرعية ، والغرض أن هذا التقسيم يتعلّق بمجموع أمور الدين ، ولا يختصّ بنوع منها .

قوله (عليه السلام) : « فمن أورد واحدة من هذه الثلاث » .

أي الثلاث الداخلة في القسم الأخير ، وإنها خصّها ؛ لأن القسم الأول لا يكون مورد المخاصمة والاحتجاج ، وفسّر (عليه السلام) « الحجّة البالغة » بما يبلغ كلّ أحد ، ويتمّ الاحتجاج بها على جميع الخلق .

قوله : « فأجازه الرشيد » : أي أعطاه الجائزة .

هذا ما خطر بالبال وقرّر على الاستعجال في حلّ هذا الخبر المشتمل على

إغلاق وإجمال والله أعلم بحقيقة الحال - وقال :-

ووجدت هذا الخبر بعد ذلك في كتاب الإختصاص وهو أوضح ممّا سبق

فأوردته ، رواه عن ابن الوليد عن أحمد بن إدريس عن محمد بن أحمد عن محمد بن إسماعيل العلوي عن محمد بن الزبيرقان الدامغاني عن أبي الحسن موسى (عليه السلام) قال : قال لي الرشيد : أحببت أن تكتب لي كلاماً موجزاً له أصول وفروع يفهم تفسيره ، ويكون ذلك سماعك من أبي عبدالله (عليه السلام) فكتب :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، أمور الأديان أمران : أمرٌ لا اختلاف فيه وهو إجماع الأمة على الضرورة التي يضطرون إليها ، والأخبار المجمع عليها المعروض عليها كل شبهة ، والمستنبط منها كل حادثة . وأمرٌ يحتمل الشك والإنكار ، وسبيل^(١) استيضاح أهله الحجّة عليه ، مما ثبت لمنتحليه من كتاب مستجمع على تأويله ، أو سنّة عن النبي (صلى الله عليه وآله) لا اختلاف فيها ، أو تعرف قياس العقول عدله ضاق على من استوضح تلك الحجّة ردّها ، ووجب عليه قبولها والإقرار والديانة بها ، وما لم يثبت لمنتحليه به حجّة من كتاب مستجمع على تأويله ، أو سنّة عن النبي (صلى الله عليه وآله) لا اختلاف فيها أو قياس تعرف العقول عدله وسع خاصّ الأمة ، وعامّها الشكّ فيه والإنكار له كذلك هذان الأمران من أمر التوحيد فما دونه إلى أرش الخدش فما دونه فهذا المعروض الذي يعرض عليه أمر الدين فما ثبت لك برهانه اصطفيته ، وما غمض عنك ضوءه نفيته . ولا قوة إلا بالله ، وحسبنا الله ونعم الوكيل^(٢) .

أقول : تربيعة أمور الأديان ، أو تثنيتهما إنّها ذلك باعتبار التصوير ، وتقسيم الأمور إلى المتقن حكمها أو مشكوكه ، وإلى الضروري منها وغير

(١) في الأصل الموجود عندي : «وسبيله...» وفي هامشه : في بعض النسخ أو سبيله استنصاح أهل الحجّة عليه | الاختصاص ٥٨ .

(٢) البحار ٢/ ٢٣٨ - ٢٤٠ ، التحف ٤٠٧ ، البحار ١٠/ ٢٤٤ ، الاختصاص ٥٨ .

الضروري ، أو باعتبار الدليل الدالّ على ذلك الأمر من كتاب الله ، وسنة النبي ، والقياس العقلي الصحيح في الموضوعات الخارجيّة ، أو المصاديق دون الأحكام السماويّة التي لا تصاب بالعقول ، وقد سبق البحث عن القياس الممنوع شرعاً وأنه المنهبي عنه كذلك عند « إنا صنعنا كما صنع رسول الله ، وقلنا كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله »^(١) ، وعند « إنّ الدين ليس بقياس كقياسكم »^(٢) ، وعند « إنا هلك من هلك من قبلكم بالقياس »^(٣) .

وليس الرشيد برشيد في سماع أمور الديانة التي أرشده الإمام الكاظم (عليه السلام) إليها ، وهل يعرف الرشاد من يقتل مرشده ؛ لمك الدنيا ؟ وإنه كباقي الطواغيت الذين قتلوا الأنبياء وأبناء الأنبياء ، والمؤمنين في الأعصار ، والخطاب عام لعامة الناس .

(١) حرف «إنا».

(٢) حرف الدال بعد «إن».

(٣) حرف الهاء بعد «إنا».

٢٧٤

جهاد المرأة حسن التبعل

من الحكم لو لم يكن من الأمثال السائرة قول الإمام الكاظم (عليه السلام) برواية الشيخ الكليني قال (طاب ثراه) :
عدّة من أصحابنا عن سهل بن زياد عن عليّ بن حسان عن موسى بن بكر عن أبي إبراهيم (عليه السلام) قال : جهاد المرأة حسن التبعل^(١).
بيان :

تبعلت المرأة : أطاعت بعلها أو تزوّجت له^(٢) وحُسن التبعل هي الإطاعة الحسنة له ، والتزوّج الملفت لنظره ، فإن للمرأة التزوّج بجميع التزيينات لزوجها ، ورعاية حقه ففي باقري :

جاءت امرأة إلى النبي (صلى الله عليه وآله) فقالت : يا رسول الله ما حق الزوج على المرأة ؟ فقال لها : أن تطيعه ولا تعصيه ، ولا تصدق من بيته إلا بإذنه ، ولا تصوم تطوعاً إلا بإذنه ، ولا تمنعه نفسها وإن كانت على ظهر قتب^(٣) ، ولا تخرج من بيتها إلا بإذنه ، وإن خرجت من بيتها بغير إذنه لعنتها ملائكة السماء وملائكة الأرض وملائكة الغضب وملائكة الرحمة حتى ترجع إلى بيتها ، فقالت :... يا رسول الله من أعظم الناس حقاً على المرأة ؟ قال : زوجها ، قالت : فما لي عليه من الحق مثل ماله عليّ ؟ قال : لا ولا من كلّ مائة واحدة ، قال :

(١) الكافي ٥/٥٠٧ ، الوسائل ١١/١٥ ، ١٤/١١٦ .

(٢) مرآة العقول ٢٠/٣١٩ .

(٣) القتب ما يوضع على سنام البعير ، ويركب عليه (في) كما في هامش الكافي ٥/٥٠٧ .

فقالت : والذي بعثك بالحق نبياً لا يملك رقبتي رجل أبداً^(١١).
وصادقي : « إن قوماً أتوا رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقالوا : يا رسول الله إننا رأينا أناساً يسجد بعضهم لبعض ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها^(١٢).
أقول : لو لم يكن إلا هذا الحديث لكفى في عظيم حق الزوج عليها.

٢٧٥

الجواد الذي يؤدي ما افترض الله عليه

من الكلمات المختارة كلمة الإمام الكاظم (عليه السلام) المفسرة لفظة الجواد ، رواها ابن شعبة الحرّاني بما يلي :

« وسأله عن الجواد ؟ فقال (عليه السلام) : إن لكلامك وجهين ، فإن كنت تسأل عن المخلوقين ، فإنّ الجواد الذي يؤدي ما افترض الله عليه . والبخيل من بخل بما افترض الله . وإن كنت تعني الخالق فهو الجواد إن أعطى وهو الجواد إن منع ؛ لأنّه إن أعطاك أعطاك ما ليس لك ، وإن منعك منعك ما ليس لك^(١٣).
أقول :

تقدّم تمام الحديث عند « إن أعطاك أعطاك ما ليس لك ... »^(١٤) ، وإنّما كرّر ذكره مخافة فوت الغرض .

(١) الكافي ٥/٥٠٧.

(٢) الكافي ٥/٥٠٨ ، باب حق الزوج على المرأة ، الحديث ٦.

(٣) الكافي ٤/٣٩ ، التحف ٤٠٨ ، البحار ٧٨/٣١٩.

(٤) حرف «إن».

قوله (عليه السلام) : « فإن كنت تسأل عن المخلوقين فإن الجواد الذي يؤدّي ما افترض الله عليه » تفسير الجواد بأداء ما افترض الله تعالى عليه بيان لأظهر مصداق له وأصدقه ؛ لأن من لم يؤدّ الفرض فأبى فائدة في النفل و « لا قرابة بالنوافل إذا أضرت بالفرائض »^(١) .
من أساء الله الحسنى الجواد.

قال الصدوق (طاب ثراه) : الجواد معناه المحسن المنعم الكثير الإنعام والإحسان ، يقال : جاد السخي من الناس يجود جوداً ، ورجل جواد وقوم أجواد وجود : أي أسخياء ، ولا يقال لله عزّ وجلّ : سخيّ ؛ لأن أصل السخاوة راجع إلى اللين يقال : أرض سخاوة ، وقرطاس سخاويّ : إذا كان ليناً . وسمي السخي سخياً لئنه عند الحوائج إليه^(٢) .

وقال ابن فهد الحلبي (طاب ثراه) : والفرق بينه - أي الجواد - وبين الكريم أنّ الكريم الذي يعطي مع السؤال ، والجواد يعطي من غير السؤال .
وقيل : بالعكس ...^(٣) .

كلمة جناس بديع :

أكثر الأجواد لا يجودون ، وأكثر الواجدين لا يجودون وفي معناه بالفارسي شعر معروف .

(١) النهج ١٥٨/١٨ ، الحكمة ٢٩ .

(٢) كتاب التوحيد ٢١٥ - ٢١٦ .

(٣) عدّة الداعي ٣١٢ .

(٤) أمثال وحكم ٧٩٦/٢ للشيخ سعدي الشيرازي .

درم داران عالم را كرم نيست كريان را بدست اندر درم نيست

أما الكلمة العربية البديعية فلا أدري لمن هي وما مصدرها (جاء العيان فألوى بالأسانيد) :

بجمع الأمثال ١٩٠/١ ، المولّدون .

حرف الحاء

٢٧٦

الحارّ حمى

من الكلمات المختارة لفظة مأثورة جاءت في كلام الإمام الكاظم (عليه السلام) روى الكشي قال :

وجدت بخط محمد بن الحسن بن بندار القمي في كتابه ، حدّثني علي بن إبراهيم بن هاشم عن محمد بن سالم قال ، لما حمل سيدي موسى بن جعفر (عليها السلام) إلى هارون جاء إليه هشام بن أبي إبراهيم العباسي ، فقال له : يا سيدي قد كتب لي صكّ إلى الفضل بن يونس ، فسله أن يروّج أمرى ! قال : فركب إليه أبو الحسن (عليه السلام) ، فدخل إليه حاجبه ، فقال : يا سيدي أبو الحسن موسى (عليه السلام) بالباب ، فقال : إن كنت صادقاً فأنت حرّ ، ولك كذا وكذا ! فخرج الفضل بن يونس حافياً يعدو حتى خرج إليه ، فوقع على قدميه يقبلها ، ثم سأله أن يدخل فدخل ، فقال له : اقض حاجة هشام ، ففضاها ، ثم قال : يا سيدي قد حضر الغداء فتكرمني أن تتعدّى عندي ، فقال : هات ، فجاء بالمائدة وعليها البوارد ، فأجال أبو الحسن (عليه السلام) يده في البارد.

وقال : البارد تجال اليد فيه ، فلما رفعوا البارد وجاءوا بالحار ، فقال : أبو الحسن (عليه السلام) : الحار حمى^(١) .
قال العلامة المجلسي (طاب ثراه) :

(١) اختيار معرفة الرجال المعروف برجال الكشي ٥٠٠ ، الرقم ٩٥٧ ، البحار ٤٨ / ١٠٩ .

بيان : « الحارّ حمى » أي تمنع حرارته عن إجمالة اليد فيه ، أو كناية عن استحباب ترك إدخال اليد فيه قبل أن يبرد^(١).

لعلّ كلمة « حمى » بالتخفيف من قولهم : « هذا شيء حمى » على فعل بكسر الفاء وفتح العين : يعنى محذور لا يقرب . ومنه « المعاصي حمى الله عزّ وجلّ ، فمن يرتع حولها يوشك أن يدخلها »^(٢) . و « لا حمى إلاّ الله ورسوله »^(٣) . ويؤيده الكاظمي الآخر : « الحارّ غير ذي بركة وللشيطان فيه نصيب »^(٤) والعلوي : « والبركة في البارد »^(٥).

(١) البحار ١٠٩/٤٨ .

(٢) الأمثال النبوية ٢٣٤/١ ، مجمع البحرين - حمى - . العقد الفريد ٢٣٥/٢ هامشه .

(٣) كنز العمال ٩٠١/٣ رقم الحديث ٩١٠٧ ، و ٣٨٣/٤ رقم الحديث ١١٠٢٤ ، مجمع البحرين - حمى - قال بعد ذكر الحديث : أن الشريف منهم كان إذا نزل أرضاً سماها ورعاها من غير أن يشرك فيها غيره وهو يشارك القوم في سائر ما يرعون فيه فجاء النهي عن ذلك . وأضافه إلى الله ورسوله ، أي ما يحمى للخيل التي ترصد للجهاد والإبل التي يحمل عليها في سبيل الله .

(٤) الوسائل ١٦/٦٢٣ .

(٥) الوسائل ١٦/٦٢٢ .

ويحتمل في «حمى» التشديد أيضاً.

٢٧٧

حجبتك لأنك حجبت أخاك إبراهيم الجمال

كلمة مختارة مما يؤثر عن الإمام الكاظم (عليه السلام) تدل بكل صراحة على لزوم رعاية الأخوة الإسلامية ، رواها الشيخ المجلسي (طاب ثراه) من كتاب عيون المعجزات قال :

ومن الكتاب المذكور عن محمد بن علي الصوفي قال : استأذن إبراهيم الجمال رضي الله عنه على أبي الحسن علي بن يقطين الوزير ، فحجبه ، فحج علي بن يقطين في تلك السنة فاستأذن بالمدينة على مولانا موسى بن جعفر فحجبه ، فرآه ثاني يومه ، فقال علي بن يقطين : يا سيدي ما ذنبي ؟ فقال : حجبتك لأنك حجبت أخاك إبراهيم الجمال وقد أبى الله أن يشكر سعيك أو يغفر لك إبراهيم الجمال ، فقلت : سيدي ومولاي من لي بإبراهيم الجمال في هذا الوقت وأنا بالمدينة وهو بالكوفة ؟ فقال : إذا كان الليل فامض إلى البقيع وحدك من غير أن يعلم بك أحد من أصحابك وغللمانك واركب نجيباً هناك مسرجاً قال : فوافي البقيع وركب النجيب ولم يلبث أن أناخه على باب إبراهيم الجمال بالكوفة ، فقرع الباب وقال : أنا علي بن يقطين .

فقال إبراهيم من داخل الدار : وما يعمل علي بن يقطين الوزير ببابي ؟! فقال علي بن يقطين : يا هذا إن أمري عظيم وآلى عليه أن ياذن له ، فلما دخل قال : يا إبراهيم إن المولى (عليه السلام) أبى أن يقبلني أو تغفر لي ، فقال : يغفر الله لك ، فآلى علي بن يقطين على إبراهيم الجمال أن يطاء خده فامتنع إبراهيم من ذلك ، فآلى عليه ثانياً ففعل ، فلم يزل إبراهيم يطاء خده وعلي بن يقطين يقول :

٧٠٠ المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام

اللهم اشهد ، ثم انصرف وركب النجيب وأتاخه من ليلته بباب المولى موسى بن جعفر (عليه السلام) بالمدينة فأذن له ، ودخل عليه فقبله^(١) .
وهل يبقى بعد ذلك لأحد حجة أن يعتذر من ذنبه ، أو يردّ معتذراً؟ كلاً ،
وألف كلاً.

٢٧٨

حصّنوا باب الحلم ، فإن باب الصبر

إن لم تكن الكلمة من الأمثال ، فهي من حكم الإمام الكاظم (عليه السلام) ، رواها ابن شعبة في كلام له لهشام بن الحكم قال :
« يا هشام قلّة المنطق حلم عظيم ، فعليكم بالصمت ؛ فإنه دعة حسنة ،
وقلّة وزر ، وخفّة من الذنوب . فحصّنوا باب الحلم ؛ فإن باب الصبر »^(٢) .
أقول :

تأتي الأولى^(٣) من هذه الكلمات الثلاث ، وكذا الثانية إن شاء الله^(٤) .

الحلم

حول الحلم كما في نظائره من كرائم الخصال آيات ، وروايات ، وكلمات
نذكر منها اليسير :

أمّا الآيات فقد جاءت فيها خمسة عشر كلمة : إحدى عشرة تخص الله

(١) عيون المعجزات ١٠١ ، للشيخ حسين بن عبد الوهّاب من علماء القرن الخامس ، ٨٥/٤٨ .

(٢) التحف ٣٩٤ ، البحار ٣٠٩/٧٨ .

(٣) حرف القاف مع اللام .

(٤) حرف العين مع اللام .

تعالى بما فيها من أروع بيان :

﴿ والله غفور حلیم ﴾^(١) ، ﴿ إن الله غفور حلیم ﴾^(٢) ، ﴿ والله غنيّ حلیم ﴾^(٣) ، ﴿ والله علیم حلیم ﴾^(٤) ، ﴿ والله شكور حلیم ﴾^(٥) ، ﴿ وإن الله لعلیم حلیم ﴾^(٦) ، ﴿ إنّه كان حلیماً غفوراً ﴾^(٧) ، ﴿ وكان علیماً حلیماً ﴾^(٨) .

والأربعة الباقية تثنان منها في إبراهيم (عليه السلام) : ﴿ إن إبراهيم لأواه حلیم ﴾^(٩) ، ﴿ إن إبراهيم حلیم أواه منيب ﴾^(١٠) ، وواحدة في لوط (عليه السلام) ﴿ إنك لأنت الحلیم الرشيد ﴾^(١١) والأخيرة في إسماعيل (عليه السلام) : ﴿ فبشّرناه بغلام حلیم ﴾^(١٢) .

وأما خاتم النبيين محمد (صلى الله عليه وآله) فقد نزلت فيه : ﴿ ولو كنت فظاً غليظ القلب لا نفّضوا من حولك ﴾^(١٣) ، و ﴿ إنك لعلی خلق عظیم ﴾^(١٤) .

(١) البقرة : ٢٢٥ ، المائدة : ١٠٦ .

(٢) البقرة : ٢٣٥ ، آل عمران : ١٥٥ .

(٣) البقرة : ٢٦٣ .

(٤) النساء : ١٢ .

(٥) التغابن : ١٧ .

(٦) الحج : ٥٩ .

(٧) الأنبياء : ٤٤ ، فاطر : ٤١ .

(٨) الأحزاب : ٥١ .

(٩) التوبة : ١١٤ .

(١٠) هود : ٧٥ .

(١١) هود : ٨٧ .

(١٢) الصافات : ١٠٦ .

(١٣) آل عمران : ١٥٩ .

(١٤) القلم : ٤ .

وحصيلة الآيات أن الحلم بلفظه ، أو معناه قد تناوله القرآن الكريم ونال المحل الأعلى منه حيث وصف الله تعالى به نفسه ، وكذا رُسِّله ، وذلك دليل على الترغيب المؤكد و المشدّد على الاتصاف به حتى أنك سمعت أن لو كان (صلى الله عليه وآله) فظاً غليظ القلب كباقي العظماء لما التفّ حول أحدمن الناس ، ولما آمنوا به والنبي أسوة للجميع^(١) .

ومن الروايات في الحلم :

في نبوي : « ما أعزّ الله بجهل قَطّ ولا أدلّ بحلم قَطّ » . وآخر : « إن الله يحبّ الحميى الحليم العفيف المتعفف » . وسجادي : « إنّه ليعجبني الرجل أن يدركه حلمه عند غضبه »^(٢) ومنها ما جاء في حديث عنوان البصرى ووصية الصادق (عليه السلام) له بتسعة أشياء ثلاثة منها في الحلم قال :

« وأما اللواتي في الحلم : فمن قال لك : إن قلت واحدة سمعت عشراً ، فقل : إن قلت عشراً لم تسمع واحدة . ومن شتمك فقل له : إن كنت صادقاً فيما تقول فأسأل الله أن يغفر لي ، وإن كنت كاذباً فما تقول فالله أسأل أن يغفر لك . ومن وعدك بالخنى فعده بالنصيحة والرعاء »^(٣) .

وقول أمير المؤمنين (عليه السلام) : « الحلم عشيرة »^(٤) ، ويروي عنه أيضاً « وجدت الاحتمال أنصر لي من الرجال »^(٥) ، وقال عليه السلام : « الحلم غطاء سائر، والعقل حسام قاطع ، فاستر خلل خلقك بحلمك ، وقاتل هواك

(١) الأحراب : ٢١ .

(٢) أصول الكافي ١١٢ .

(٣) البحار ١/٢٢٦ .

(٤) النهج ٢٠/٦١ ، الحكمة ٤٢٦ .

(٥) المصدر .

بعقلك»^(١).

و«الحلم والأناة توءمان ينتجها علو الهمة»^(٢).

ومن الكلمات في الحلم :

من غرس شجرة الحلم اجتنى ثمرة السلم. الحلم جنود مجنّدة لا أرزاق لها^(٣).

وللكفّ عن شتم اللّيم تكراً أضرّ له من شتمه حين يشتم^(٤)

الحلم حجاب الآفات. حلم ساعة يردّ سبعين آفة. الحلم أجلّ من العقل؛ لأنّ الله تعالى وصف نفسه به. من ملك غضبه احترز من عدوه. حسب الحليم أنّ الناس من أنصاره^(٥).

دعامة العقل الحلم. جمال المرء في الحلم. حلم المرء عونته. كمال العلم بالحلم. فلاحك على خصمك بالاحتمال. مرّ الحلم أعذب من جني ثمر الندم. سورة السفية تكسر الحلاء. والنار المضطربة يطفيها الماء. اذا قام بك الشر فاقعد به. ذلّ الحلم مطية الجهول. غلبة الحلم بالتحلم حسب الحليم^(٦).
ما دمت حيّاً فدار الناس كلهم فإنّما أنت في دار المداراة^(٧)

(١) النهج ٦٩/٢٠، الحكمة ٤٣٣.

(٢) النهج ١٧٧/٢٠، الحكمة ٤٦٩.

(٣) شرح النهج ٦١/٢٠.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) التمثيل والمحاضرة ٤١٣.

(٦) أساس الاقتباس مخطوط.

(٧) المصدر نفسه. وفيه من الحكم والأمثال، والأشعار ما يشفي العليل، ويروي الغليل.

٢٧٩

حصّنوا أموالكم بالزكاة

من الألفاظ القصار البليغة المأثورة عن الامام الكاظم عليه السلام ما رواه الشيخ الكليني (طاب ثراه) بإسناده عنه : « حصّنوا أموالكم بالزكاة »^(١).

تحصين الأموال بالزكاة يتصوّر على وجوه :

الوجه الأول : الزكاة المفروضة وأنّ أداءها تحصينها للأموال ؛ لأنها صدقة والصدقة تزيد المال ، ولا تكون الزيادة إلّا مع فرض بقاء الأصل المزداد عليه ، وذلك معنى التحصين ففي نبوي : « تصدّقوا ؛ فإنّ الصدقة تزيد في المال كثرة ... » وصادقي : « إنّ الصدقة تقضي الدين ، وتخلّف بالبركة »^(٢).

وتجب الزكاة في الأنعام الثلاثة : الإبل والبقر ، والغنم . والغلات الأربع : الحنطة ، والشعير ، والتمر ، والزبيب . وفي النقدين : الذهب ، والفضّة ولا تجب فيما عدا ذلك^(٣) بل هي مندوبة في الحبوبيات دون الخضروات . وفي الخيل الأناث دون الذكور ، ودون الحمير والبغال . ولكل ما ذكر من الأشياء التسعة الأولى نصاب خاص ، وأحكام مخصوصة مذكورة في علم الفقه تفصيلاً من أحبّ نظر المظان.

الوجه الثاني : لكل شي زكاة ومنه الأموال وتحصينها في غير المفروضة إنفاقها في سبيل الله ، لما تقدم من أنّ الله يعطي المتصدق البركة والبركة الزيادة

(١) الكافي ٦١/٤ ، باب النوادر ، الحديث ٥ ، البحار ٤٨/١٥٠.

(٢) الكافي ٩/٤.

(٣) منهاج الصالحين ٣٠٢/١.

مَشِيدٌ ﴿١﴾

وقد تقدّمت قصّتها^(١)، وفيها العبرة لمن اعتبرها.

ومن تلك المعاصي الزنا واليمين الكاذبة وقطيعة الرحم المستدعية للدمار ففي نبوي : « الزنا يورث الفقر ، ويدع الديار بلاقع »^(٢) ، وآخر : « إياكم واليمين الفاجرة ؛ فإنّها تدع الديار من أهلها بلاقع »^(٣) ، وعلوي : « إنّ اليمين الكاذبة ، وقطيعة الرحم تذران الديار من أهلها بلاقع »^(٤).

قال الجزري : البلاقع جمع بلقع ، وبلقعة وهي الأرض القفر التي لاشيء بها ، يريد أنّ الحالف يفتقر ويذهب ما في بيته من الرزق^(٥).

وإنّ من الذنوب ما يجعل عاليها سافلها كما في قوم لوط ، ومنها الظلم المسبّب لأهله الفناء، وإنّ الله ليسلّط على أهل الأرض إذا عملوا بالمعاصي و الخيانة طواغيتها فيبيدوهم ، أو يسلّط الريح كما في قصّة عاد وامثالها.

(١) الحجّ : ٤٥ .

(٢) حرف الباء مع الهمزة .

(٣) الوسائل ٢٣٣/١٤ .

(٤) الوسائل ١٤٥/١٦ .

(٥) الوسائل ١٤٤/١٦ .

(٦) النهاية ١٥٣/١ . - بلقع - وفي المثل : (اليمين الغموس تدع الديار بلاقع) مجمع الأمثال

٤٢٥/٢ ، الرقم ٤٧٤٤ ، حرف الباء . وفيه : اليمين الغموس : التي تغمس صاحبها في الإثم

... والبلقع : المكان الخالي .

الحمد لله منتهى رضاه

من الكلمات المنتزعة عمّا يؤثر عن الإمام الكاظم (عليه السلام) ،
والأصل لها ما رواه الشيخ الصدوق (طاب ثراه) قال :
أبي ومحمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رحمهما الله ، قالا : حدّثنا محمد
ابن يحيى العطار ، وأحمد بن إدريس جميعاً عن محمد بن أحمد عن علي بن
إساعيل عن صفوان بن يحيى عن الكاهلي ، قال : كتبت إلى أبي الحسن (عليه
السلام) في دعاء : الحمد لله منتهى علمه . فكتب إليّ : لا تقولنّ منتهى علمه ،
ولكن قل : منتهى رضاه^(١) .

أقول :

مما يحتمّ المنع عن قول « الحمد لله منتهى علمه » ما رواه بإسناده إلى
أبي علي القصاب قال : كنت عند أبي عبدالله (عليه السلام) ، فقلت : الحمد لله
منتهى علمه ، فقال : لا تقل ذلك ؛ فإنه ليس لعلمه منتهى^(٢) .

وجه المنع :

هو أنّ الصفات تنقسم إلى صفة الذات كالحياة والقدرة والعلم والسمع و
البصر ، وإلى صفة الفعل كالخلق والإرادة والكرهه والرضا ونحوها والفرق بينها
أنّ صفة الذات لا يصحّ سلبها عن الله فلا يقال : هو حيّ وغير حيّ ، قادر وغير

(١) التوحيد ١٣٤ ، التحف ٤٠٨ ، البحار ٢٤٦/١٠ ، الوسائل ١١٦٨/٤ .

(٢) التوحيد ١٣٤ ، الوسائل ١١٦٩/٤ .

قادر وعالم وغير عالم ، سميع وغير سميع ، بصير وغير بصير ، وأمّا صفة الفعل فيصحّ سلبها فتقول : يخلق ولا يخلق ، يريد ولا يريد ، يرضى ولا يرضى . وقد جاء عن أهل البيت (عليهم السلام) : « لم يزل الله عالماً قادراً ثم أراد »^(١) خلافاً لبعض الفلاسفة حيث يرون الإرادة من صفة الذات ، وآخر فصل فقال : إذا نسبت إلى الذات فصفة ذات ، وإلى الفعل فصفة فعل . وقد تعرّضنا لذلك عند كلمات الإمام الرضا (عليه السلام) ومن هنا تعرف وجه المنع ، لأنّ العلم غير متناه دون الرضا.

٢٨٢

الحياء من الإيمان

هذا من الأمثال السائرة وقد جاء في كلام الإمام الكاظم (عليه السلام) لهشام بن الحكم ، رواه ابن شعبة الحرّاني رحمه الله ، قال : « الحياء من الإيمان ، والإيمان في الجنّة ، والبذاء من الجفاء ، والجفاء في النار »^(٢).

أقول :

قد سبق التكلّم حول البذاء : ثانية الكلمتين^(٣) ، وأمّا الأولى فقد ذكرنا

(١) أصول الكافي ١/١٠٩ . «فإرادته إحدائه» المصدر نفسه . «فإرادة الله هي الفعل...» التوحيد ١٤٧ .

(٢) التحف ٣٩٤ ، البحار ٣٠٩/٧٨ .

(٣) في أمثال وحكم الإمام الرضا ، أو كلماته المختارة ١/٢١٨ .

أنها من المثل السائر المعداد من جملة الأمثال النبوية التي تعرض لذلك الميداني في مجمع الأمثال ، قال : « الحياء من الإيمان » هذا يروى عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) . قال بعضهم : جعل الحياء - وهو غريزة - من الإيمان وهو اكتساب ؛ لأن المستحي ينقطع بحيائه عن المعاصي وإن لم يكن له تقية ، فصار كالإيمان الذي يقطع بينها وبينه ، ومنه الحديث الآخر : « إن لم تستحي فاصنع ما شئت » أي : من لم يستحي صنع ما شاء ، لفظه أمر ومعناه الخبر^(١) .

ومن الأمثال الرضوية^(٢) ، ولا ينافيه كونه مثلاً نبوياً ، وكاظماً أيضاً ؛ لأن كلام الجميع واحد ، كما أن أرواحهم ونورهم واحدة جاء ذلك في الزيارة الجامعة : « وأن أرواحكم ونوركم وطينتكم واحدة »^(٣) .

ولعلّ الميداني يريد بقوله : ومنه الحديث الآخر : ما قدمناه عن الإمام الكاظم (عليه السلام) « ما بقي من أمثال الأنبياء إلا كلمة : إذا لم تستحي فاعمل ما شئت »^(٤) . وقد أشبعنا البحث بأحاديث الحياء والكلمات .

(١) مجمع الأمثال ٢٠٦/١ . رقم المثل ١١٢٨ ، حرف الحاء .

(٢) عيون أخبار الرضا ٢١١/١ ، البحار ٣٣٤/٧١ .

(٣) عيون أخبار الرضا ٢٧٩/٢ ، الحديث ١ .

(٤) الخصال ٢٠/١ ، باب الواحد ، وأمالى الصدوق ٤٥٧ ، وحرف « إذا » فراجع .

حرف الخاء

٢٨٣

خافوا الله في السرّ حتى تعطوا من أنفسكم النصف

من لم يخف الله في السرّ لا يكون منصفاً مع الناس في العلانية ، فهو من الجفافة لا محالة ، والبغاة الذين يبغون على الله والناس جميعاً ، وعلى أنفسهم .
جاءت الكلمة في ضمن كلام الإمام الكاظم (عليه السلام) ، رواه الشيخ الكليني (طاب ثراه) قال :

عدّة من أصحابنا عن أحمد بن محمد بن خالد عن عثمان بن عيسى عن سبيعة قال : سمعت أبا الحسن (عليه السلام) يقول : « لا تستكثروا كثير الخير ، ولا تستقلّوا قليل الذنوب ؛ فإنّ قليل الذنوب يجتمع حتى يصير كثيراً ، وخافوا الله في السرّ حتى تعطوا من أنفسكم النصف ... »^(١) .

أقول : إن شاء الله يأتي التكلم عن الكلمة الأولى^(٢) وهنا البحث عن الخوف في السرّ والفرق بينه والوجل والخشية وغيرها من لفظه .
الخوف في السرّ :

وهو أن لا يطلّع عليه إذا ركب الذنب إلاّ الله كالصائم إذا أكل أو شرب فيما بين نفسه ؛ حيث لا يعلم به أحد سواه تعالى ، وكسرة العين وما يخفيه صاحبها في صدره ومن ثم قال عز وجلّ : ﴿ يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ﴾^(٣) . والكلام صيغ بياناً من خفى إلى أخفى ؛ لأنّ سرقة النظر خفيّة

(١) أصول الكافي ٢/٤٥٧ ، الوسائل ١١/٢٤٥ .

(٢) حرف «لا» .

(٣) غافر : ١٩ .

وما تخفيه الصدور أخفى وربّما تظهر السرقة لأهل النظر دون الثاني ، نعم قد يظهر ما أضره الإنسان في صفحات الوجه ، وفتلات اللسان كما قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : « وما أضر أحد شيئاً إلاّ ظهر في صفحات وجهه وفتلات لسانه »^(١).

والنبي : « اتقوا فراسة المؤمن ؛ فإنه ينظر بنور الله »^(٢) « إلاّ أن ذلك كلّه ليس بسرّاً إذا ظهر وفشا على تقدير أنه سرّ قد علم.

فالجواب أنّ الإحاطة المطلقة خاصّة له تعالى ﴿ وما أوتيتم من العلم إلاّ قليلاً ﴾^(٣) فالله عزّ وجلّ هو العالم بجميع الأسرار فلا يظهر عليها إلاّ من ارتضى من نبيّ أو وصي نبيّ فيجعله أمين سرّه وهم الأئمة المعصومون ، ثمّ الأمثل فالأمثل.

الفرق بين الخوف والخشية وغيرها.

الخوف : الدّعر والفرع ، يقال : خفت الشيء خوفاً وخيفة^(٤) مطلقاً سواء أعلم وجهه أولاً ، ولا تكون الخشية إلاّ عن المعرفة والعلم ، ومنها قوله تعالى : ﴿ إنّما يخشى الله من عباده العلماء ﴾^(٥) وربّما يطلق الخوف ويراد به ذلك والحبّ ومنه الحديث : « نعم المرء صهيب لو لم يخف الله لم يعصه » أراد أنّه إنّما يطيع الله حبّاً له لا خوف عقابه ، فلو لم يكن عقاب يخافه ما عصى الله ففي الكلام محذوف تقديره : لو لم يخف الله لم يعصه فكيف وقد خافه !^(٦) ولا حبّ إلاّ بعد العلم

(١) النهج ١٨/١٣٧ ، الحكمة ٢٦.

(٢) الوسائل ٨/٤٢٤ ، وكاظمي بلفظ « اتق » انظره.

(٣) الإسراء : ٨٥.

(٤) معجم مقاييس اللغة ٢/٢٣٠ - خوف -.

(٥) فاطر : ٢٨.

(٦) النهاية ٢/٨٨ - خوف -.

بالحبيب.

قال الأستاذ : قال الكشي : بلال وصهيب موليان ، ثم ذكر الحديث الصادقي - قال : كان بلال عبداً صالحاً ، وكان صهيب عبد سوء يبكي على.....^(١)

قال الشيخ الطريحي : وفي بعض مؤلفات المحقق الطوسي ما حاصله : إن الخشية والخوف - وإن كانا في اللغة بمعنى واحد - إلا أن بين خوف الله وخشيته في عرف أرباب القلوب فرقاً وهو : أن الخوف تألم النفس من العقاب المتوقع بسبب ارتكاب المنهيات والتقصير في الطاعات ، وهو يحصل لأكثر الخلق - وإن كانت مراتبه متفاوتة جداً - والمرتبة العليا لا تحصل إلا للقليل . والخشية حالة تحصل عند الشعور بعظمة الحق ، وهيبته ، وخوف الحجب عنه وهذه حالة لا تحصل إلا لمن اطلع على حال الكبرياء ولذة القرب^(٢) .
وفيه فروق أخرى راجع فروق اللغة^(٣) .

٢٨٤

خذ موعظتك من الدهر وأهله

من حكم الإمام الكاظم (عليه السلام) ، قد جاءت في كلام له مع هشام ابن الحكم ، ورواه ابن شعبة الحرّاني قال :

(١) معجم رجال الحديث ٣/٣٦٥ ، اختيار معرفة الرجال تحت رقم ٧٩ .

(٢) مجمع البحرين - خشى - وللکلام فيه -مة جديرة بالنظر فانظرها .

أما إعطاء النصف من النفس فقد تقدم أن من لم يخف الله فهو يجفو الناس ، وبالعكس .

(٣) للعسكري - خوف ..

« وخذ موعظتك من الدهر وأهله ؛ فإنّ الدهر طويلة قصيرة... »^(١).

أقول :

تأتي الكلمة الثانية بلفظ « الدهر طويلة قصيرة »^(٢) ، وأمّا المراد من « وخذ موعظتك من الدهر وأهله » فالسير في آثار الأمم والأجيال ، وما حلّت بهم وبطواغيت الدنيا من العمالقة والفراعنة وتمرد على الله تعالى وقتلهم الأنبياء ودعاة الدين ، والمؤمنين في الأعصار ، أشار إلى ذلك الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) قال في بعض خطبه :

« وإنّ لكم في القرون السالفة لعبرة أين العمالقة وأبناء العمالقة ! أين الفراعنة وأبناء الفراعنة ! أين أصحاب مدائن الرّسّ الذين قتلوا النبيّين ، وأطفئوا سنن المرسلين ، وأحيوا سنن الجبّارين ! أين الذين ساروا بالجيوش ، وهزموا الألوف ، عسكروا العساكر ، ومدّنوا المدائن؟! »^(٣).

وقصص العمالقة والفراعنة مسطورة في التواريخ ولقد أكثروا في الأرض الفساد ، حتى كان عملاق بن طسم يطأ العروس ليلة إهدائها إلى بعلها وإن كانت بكرًا افتضّها قبل وصولها إلى البعل ...^(٤).

ومن العمالقة عاد وشمود أهلّكهم بريح صرصر عاتية قد جاءت قصصهم في القرآن الكريم ونظائرهم من طواغيت الدهر.

ومن أوعظ العظّات الموت ففي خطبة أخرى : « كفى واعظاً بموتى عايّنتموه حملوا إلى قبورهم غير راكبين ، وأنزلوا فيها غير نازلين »^(٥).

(١) التحف ٣٩١ ، البحار ٣٠٦/٧٨.

(٢) حرف الدال مع الهاء.

(٣) النهج ٩٢/١٠ ، الخطبة ١٨٣.

(٤) شرح النهج للمعتزلي ٩٣/١٠.

(٥) النهج ٩٩/١٣ ، الخطبة ٢٣.

ولعمر الحق أن في كل شيءٍ تراه عينك موعظة لمن كان له قلب أو ألقى السمع.

٢٨٥

الحلّ بمنزلة الرجل الصالح يدعو لأهل البيت بالبركة

من كلمات الإمام الكاظم المثلية نزل فيها الحلّ بمنزلة من يدعو لأهل الدار بالرزق والبركة ، رواها الشيخ الطبرسي في مكارم الأخلاق بلفظ روى قال (طاب تراه) :

روى عن الكاظم (عليه السلام) أنه قال : ينادى منادٍ من السماء : «اللهم بارك في الخلالين والمتخلّين» . والحلّ بمنزلة الرجل الصالح يدعو لأهل البيت بالبركة . قلت له : جعلت فداك ما الخلالون ؟ وما المتخلّون ؟ قال : الذين في بيوتهم الحلّ والذين يتخلّون... (١) .

أقول :

في الحلّ والخلال أحكام وآثار وثمرات تتعرّض إلى بعض ما للخلّ : وهو متّخذ من التمر و الزبيب ، وقيل : من السكر والعسل والتين وأمثال ذلك والأكثر من التمر والعنب ، ومن ثم يقال خلّ الخمر ، لأنه ما لم يصير خمراً لم يصير خلاً على خلاف سائر الأقسام حيث أولاً يصير حامضاً ، وأحسنها المتّخذ من الخمر ، ثم الزبيبي ثم التيني ، ثم النارغيلي ثم العسلي . والثلاثة الأخيرة طبعها حارّ يابس ،

(١) مكارم الأخلاق ١٧٦ ، الوسائل ٦٤١/١٦ ، باب ١٠٤ من أبواب آداب المائدة ، الحديث ١١ فيه بعض الحديث الجاري.

والخمري مركب قوي ، ولكلِّ مراتب ثالثها أشد قبضاً وتجفيفاً وأسرع نفوذاً ورفعاً للخلط الغليظ ، والالتهاب والعطش ، ومعين للهضم والإشتهاء ، وذاهب بالبلغم ، وموافق للمعدة الملتهبة والبلغمية وقاطع للصفراء ومفتِّح للسُّدد ، وشربه على الريق قاتل للديدان المعدوية ، والحارّ منه نافع للدم الجامد ، وعشرات فوائد وآثار أخرى من شاءها نظر المظان^(١) ومن ذلك يؤخذ في علاج الأسنان ودواء الأضراس مع دهن الحنظلة وإليك سند الدواء :

قال الشيخ الكليني : عدة من أصحابنا عن سهل بن زياد عن بكر بن صالح عن سليمان بن جعفر الجعفري قال : سمعت أبا الحسن موسى (عليه السلام) يقول : دواء الضرس تأخذ حنظلة فتقشرها ثم تستخرج دهنها ، فإن كان الضرس مأكولاً منحرفاً تقطر فيه قطرات ، وتجعل منه في قطنه شيئاً ، وتجعل في جوف الضرس ، وينام صاحبه مستلقياً يأخذه ثلاث ليالٍ ، فإن كان الضرس لا أكل فيه وكانت ريجاً قطر في الأذن التي تلى ذلك الضرس ليالي كل ليلة قطرتين ، أو ثلاث قطرات ، يبرأ بإذن الله ، قال : وسمعته يقول : لوجع الفم ، والدم الذي يخرج من الأسنان ، والضربان والحمرة التي تقع في الفم ، تأخذ حنظلة رطبة قد اصفرّت فتجعل عليها قالباً من طين ، ثم تثقب رأسها وتدخل سكيناً جوفها فتحك جوانبها برفق ثم تصب عليها خلّ تمر^(٢) حامضاً شديداً الحموضة ، ثم تضعها على النار فتغليها غلياناً شديداً ، ثم يأخذ صاحبه منه كلّما احتمل ظفره فيدلك به فيه ويتمضمض بخل ، وإن أحبّ أن يحوّل ما في الحنظلة في زجاجة أو بستوقة^(٣) فعل ، وكلّما فنى خله أعاد مكانه ، وكلّما عتق^(٤) كان خيراً

(١) تحفة الحكيم المؤمن ١٠٦ ، في الحناء مع اللام ، بعد التعريب.

(٢) في بعض النسخ [خلّ خمر] أي صار بالعلاج خلاً مرّة العقول ٩٤/٢٦ - ٩٥.

(٣) «مربّ» «بستو» كوجك سفالين أي ظرف صغير.

(٤) عتق الحمر قدمت وحسنت.

قوله (عليه السلام) : « وكلما عتق كان خيراً له ».

يراد بعتق الخلل شدة حموضته وقوامه لقدمه والمعروف على الألسن الخلل أبو سبع سنين يؤخذ في بعض المعالجات ، حتى أنه من الثلاثة التي أحسنها العتيق ، وينسب شعر إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) ، ولم تثبت النسبة بأنه قد قاله :
ثلاثة أحسنها العتيق الخلل ، والحمام ، والصديق^(٢)

وفي الخلل : أحاديث منها الصادقي : « إنا لنبدأ بالخلل عندنا كما تبدون بالملح عندكم ، وإن الخلل ليشد العقل ، ولكن في الآخر : « إن بني إسرائيل كانوا يستفتحون بالخلل ويختمون به ، ونحن نستفتح بالملح ونختم بالخلل » ، والآخر : « إن بني أمية يبدون بالخلل في أول الطعام ويختمون بالملح ، وإنا لنبدأ بالملح في أول الطعام ونختم بالخلل »^(٣).

وحيث ورد بالابتداء بالملح والخلل والاختتام بهما أيضاً ، فيجمع بينهما إما باستحباب الجمع ، أو التخيير كما أشار إلى الوجهين الشيخ الحر^(٤) والأمر في السنن سهل ، إلا أن يكون شعاراً عند ثبوت المخالفة من المخالف فالعمل على الحق.

(١) روضة الكافي ١٩٥.

(٢) ولاربيب في الأحسنية أما عتق الخلل فقد عرفت ، والحمام الجديد بارد ، والنافع الحار ، والصديق : التلبد المجرب.

(٣) الوسائل ١٦/٦٢٨ - ٦٢٩.

(٤) الوسائل ١٦/٦٢٩.

٢٨٦

خيانتك وتضييعك عليّ مالي سواء

إذا اجتمع مختلفان في شيء فهما متوافقان موضعاً ، ومنه كلمة الإمام الكاظم (عليه السلام) التي رواها ابن شعبة عنه قال :

قال له وكيله : والله ما خنتك ، فقال له (عليه السلام) خيانتك وتضييعك عليّ مالي سواء ، والخيانة شرهما عليك^(١) . وخيانة المال وضييعته وإن كانتا في الاسم مختلفتين ، ولكنها متوافقتان موضعاً وبالنتيجة ، إلا أن الخيانة أكثر شراً على صاحبها ، لأنّ نيتها هي الداعية على التضييع ، وعدم الرعاية الكافية لكل شيء بحسبه رعاية.

الخيانة

أصل الخيانة الخون وهو في اللغة التنقّص ، خانه يخونه خوناً انتقص الوفاء ، قال ابن فارس . قال ذو الرّمة :

لابل هو الشوق من دار تخونها مرّاً سحابٌ ومرّاً بارحُ تربُ^(٢)

ويقال : الخوان الأسد . والقياس واحد . فأما الذي يقال : إنهم كانوا في العربيّة الأولى الربيع الأوّل [خوّاناً]^(٣) فلا معنى له ولا وجه للشغل به . وأما قول ذي الرّمة :

(١) التحف ٤٠٨ ، البحار ٢٤٦/١٠ ، ٣٢٠/٧٨ ، الوسائل ٢٩١/١٣ صادقي .

(٢) اللسان - خون - .

(٣) اسم من أساء لأيام في الجاهليّة هامش معجم مقاييس اللغة ٢٣١/٢ - خون - .

لا ينعش الطرف إلا ما تخونه داعٍ يناديه باسم الماء مبعوم^(١)

فإن كان أراد بالتخون التعهد كما قاله بعض أهل العلم فهو من باب الإبدال... وسمعت كما قاله بعض أهل العلم فهو من باب الإبدال .
- وقال - وأما الذي يؤكل عليه ، فقال قوم : هو أعجمي... فليل... يسمى خواناً لأنه ينحون ما عليه أي يتنقص^(٢).

فلو اتتمن المال فانتقص منه خان . وهل يقال ذلك إذا لم يردّ المال كله وجهده ؟ مقتضى التعريف منع القول مع أن الناس يحكمون بخيائته وهو الحق . ثم إن الخيانة قد جاء لفظها في القرآن وبعض صيغها قال تعالى : ﴿وإن يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل﴾^(٣) ، و ﴿وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء﴾^(٤) ، و ﴿يا أيها الذين ءامنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون﴾^(٥) ، ﴿ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلاً﴾^(٦) ، ﴿يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور﴾^(٧) ﴿علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم﴾^(٨) ، ﴿ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم﴾^(٩) ، ﴿ولا

(١) اللسان - نعش ، خون ، بغم - .

(٢) معجم مقاييس ٢/٢٣١ - خون - ، وإنما ذكر بعض مشتقات الخون كالجوان لزيادة الاطلاع.

(٣) الأنفال : ٧٦ .

(٤) الأنفال : ٥٨ .

(٥) الأنفال : ٢٧ .

(٦) المائدة : ١٣ .

(٧) فاطر : ١٩ .

(٨) البقرة : ١٨٧ .

(٩) النساء : ١٠٧ .

تكن للخائنين خصيماً ﴿^(١)﴾ ، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ ﴿^(٢)﴾ ، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
 مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ ﴿^(٣)﴾ ، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ ﴿^(٤)﴾ ، ﴿إِنَّ لَا
 يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ ﴿^(٥)﴾ .

بيان :

هذه أربعة عشر لفظاً استعمله القرآن بما له من تنوع البيان الجامع
 لأطراف ما للخيانة من معنى ، وكفى بذلك ردعاً لمن كان له قلب أو ألقى السمع
 وهو شهيد ، وأما الأحاديث والكلمات فحدّث ولا حرج . فمن الأحاديث :

النبي : « أربع لا تدخل بيتاً واحدة منهنّ إلّا خرب ، ولم يعمر بالبركة
 : الخيانة ، والسرقه ، وشرب الخمر ، والزنا » ﴿^(٦)﴾ .

والآخر : « لاتخن من خانك فتكن مثله » ﴿^(٧)﴾ .

والآخر : « تناصحوا في العلم ؛ فإنّ خيانة أحدكم في علمه أشدّ من
 خيانتة في ماله » ﴿^(٨)﴾ .

والباقري في قوله تعالى : ﴿ لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم ﴾ :
 فخيانة الله و الرسول معصيتها ، وأما خيانة الأمانة فكلّ إنسان مأمون على
 ما افترض الله عزّ وجلّ ﴿^(٩)﴾

(١) النساء : ١٠٥ .

(٢) الأنفال : ٥٨ .

(٣) النساء : ١٠٧ .

(٤) الحجّ : ٣٨ .

(٥) يوسف : ٥٢ .

(٦) البحار : ١٧٠/٧٥ .

(٧) البحار : ١٠٣/١٧٥ .

(٨) البحار : ٦٨/٢ .

(٩) تفسير القمي ٢٧٢/١

ومن تلك الاحاديث الصادقي : «إن الله تبارك وتعالى آلى على نفسه أن لا يجاوره خائن ، قال : قلت : وما الخائن ؟ قال : من أدخر عن مؤمن درهماً أو حبس عنه شيئاً من أمر الدنيا»^(١) . من الكلمات المثلية :
* أخون من ذئب بصحراء هَجَرَ *^(٢)

٢٨٧

خير الأمور أو ساطها

من الأمثال السائرة على اللسان ، وسرى به الركبان ، جاء في غضون كلام الإمام الكاظم (عليه السلام) ، ورواه جمع منهم ابن شهر اشوب طاب ثراه قال - واللفظ له - :

ابن عمار إنه - أي الإمام الكاظم روعي فدهاه - استقبل الرشيد على بغلة ، فاستنكر ذلك ، فقال : أتركب دابة إن طلبت عليها لم تلحق ، وإن طلبت لم تسبق . وفي رواية إنه قال : إن طلبت عليها لم تُدرك ، وإن طلبت لم تفت ! فقال (عليه السلام) : لستُ بحيثُ أحتاج أن أطلب أو أطلب ، وإنما تطأطأت عن خيلاء الخيل ، وارتفعت عن ذلة العير ، وخير الأمور أو ساطها^(٣) .
أقول :

يريد (عليه السلام) بالوسط واحد الأوساط أن البغل ليس كمن علا من فوق الخيل المختال باعتلائه ، ولا كالحمار الممتهن راكبه بل هو الوسط

(١) البحار ٧٥/١٧٣ .

(٢) المستقصى ١/١١٢ .

(٣) المناقب ٤/٣٢٠ ، الوسائل ٨/٣٤٦ ، البحار ٤٨/١٥٤ ، البحار ٧٨/١٧٦ .

المصون عن الذميتين : الاختيال ، والأمتهان الشرّين ، وأنه الخير الدائم ، كما قال القائل :

حَبِّ التَّنَاهِي شَطَطٌ خَيْرُ الْأُمُورِ الْوَسْطُ

قال الميداني : خير الأمور أوسطها . يضرب في التمسك بالاعتقاد .
قال أعرابي للحسن البصري : علّمني ديناً وسطاً ، لا ذاهباً فروطاً ،
ولاساقطاً سقوياً ، فقال : أحسنت يا أعرابي ، خير الأمور أوسطها^(١) .
قال الزمخشري : قاله مطرف بن الشخير^(٢) .

وجعل الجاحظ للمثل تمامه : وشرّ السير الحقيقة^(٣) ، وهو من المثل
النبوي ذكرناه في كتاب (الأمثال النبوية) ، رواه المسعودي^(٤) والوسط
بالسكون يقال فيما كان متفرّق الأجزاء غير مستقل .. فإذا كان متصل الأجزاء
كالدار والرأس فهو بالفتح . وقيل : كل ما يصلح فيه - بين - فهو بالسكون وما
لا يصلح فيه - بين - فهو بالفتح^(٥) .

(١) مجمع الأمثال ٢٤٣/١ ، حرف الحاء .

(٢) المستقصى ٧٧/٢ .

(٣) البيان والتبيين ٢٠٦/٣ .

(٤) مروج الذهب ٢٩٥/٢ ، الأمثال النبوية ٣٩٣/١ ، الرقم ٢٤٩ .

(٥) النهاية ١٨٣/٥ - وسط - .

حرف الدال

٢٨٨

الدعاء يردّ ما قد قدر ، وما لم يقدر

لفظ ما رواه الشيخ الكليني (طاب ثراه) بإسناده إلى أبي الحسن (عليه السلام) هو :

« إنَّ الدعاء يردّ ما قد قدر ، وما لم يقدر . قلت : وما قد قدر عرفته ، فما لم يقدر ؟ قال : حتى لا يكون »^(١) .
أقول :

وهو مروى عن الصادق (عليه السلام) ، رواه المفيد^(٢) وكذا العلامة المجلسي^(٣) . وإنَّ الدعاء مناجاة العبد مع ربه .
وللسيد ابن طاووس ما يلي :

ورأيت من فوائد المحافظة على المناجاة أن الله جلّ جلاله يقول : ﴿ اذكروني أذكركم ﴾^(٤) ، ومن المعلوم أنه لو قال بعض ملوك الدنيا الفانية لأحد مماليكه الذين يعرفون قدر منزلته العالية : اذكرني حتى اذكرك ، وكان في حضرة الملك كما هو في حضرة الله جلّ جلاله : فإنه كان يجتهد في دوام ذكره غاية الاجتهاد ليذكره مولاه ، ويشرفه بذكره في الدنيا والمعاد ، ألا ترى معنى قول الشاعر :
يودّ أن يُمسي مريضاً لعلها إذا سمعت عنه بشكوى تُراسله
وهتز للمعروف في طلب العلى لتذكر يوماً عند سلمى شائله

(١) أصول الكافي ٢/٤٦٩ . البحار ٩٣/٢٩٧ .

(٢) الاختصاص ٢١٩ .

(٣) البحار ٩٣/٩٧ .

(٤) البقرة : ١٥٢ .

فالعبيد العارفون المؤدبون يجتهدون في الإكثار من ذكر مولاهم الذي يراهم ليذكرهم ، أو لعله بفضله يرضى عنهم أو يرضاهم ...^(١).
 في صادقي : « تعرفون طول البلاء من قصره ؟ قلنا : لا ، قال : إذا ألهمتم أو ألهم أحدكم بالدعاء فليعلم أن البلاء قصير »^(٢) ، وكاظمي : « مامن بلاء ينزل على عبد مؤمن ، فيلهمه الله عز وجل الدعاء إلا كان كشف ذلك وشيكاً ... »^(٣).

٢٨٩

دفن ناس كثير أحياءاً ما ماتوا إلا في قبورهم

كلمة مختارة منتزعة من كلام الإمام الكاظم (عليه السلام) مع ابن أبي حمزة صورته :

عن أحمد بن مهران عن محمد بن علي عن علي بن أبي حمزة قال : أصاب [الناس] بمكة سنة من السنين صواعق كثيرة ، مات من ذلك خلق كثير ، فدخلت على أبي إبراهيم (عليه السلام) فقال : مبتدء آمن غير أن أسأله ينبغي للغريق والمصعوق أن يتربص به [بهما] ثلاثاً لا يدفن إلا أن يجيء منه ريح تدل على موته ، قلت : جعلت فداك كأنك تخبرني أنه قد دفن ناس كثير أحياءاً ما ماتوا ، فقال : نعم يا علي ! قد دفن ناس كثير أحياءاً ما ماتوا إلا في قبورهم^(٤).

(١) فلاح السائل ٤١.

(٢) أصول الكافي ٤٧١/٢ ، فلاح السائل ٤١.

(٣) المصدر الأول . وقد تقدم ذكر ما يتفكع عند «ادفعوا البلاء بالدعاء» و«إن الدعاء جنة ...».

(٤) الوسائل ٦٧٧/٢ ، باب الاحتضار . عوالم العلوم الخاص به (ع) ٨٧.

أقول :

في بعض كتب الحديث اكتفى بـ « نعم »^(١) وكيف كان فقد عقد الشيخ الحرّ في الوسائل باب وجوب تأخير تجهيز الميت مع اشتباه الموت ثلاثة أيام...^(٢).

في صحيح صادقي : « خمس ينتظر بهم إلا أن يتغيّر : الغريق ، والمصعوق ، والمبطون ، والمهدوم ، والمدخن » . وآخر عن الغريق أيغسل ؟ قال : نعم و يستبرء ، قلت : وكيف يستبرء ؟ قال : بترك ثلاثة أيام قبل أن يدفن ، وكذلك أيضاً صاحب الصاعقة : فإنه ربّما ظنّوا أنه مات ولم يمّت^(٣) .
الصاعقة :

الصعق والصاعقة الأول : أن يغشى على الإنسان من صوت شديد يسمعه وربّما مات ومنه ﴿ وَخَرَّ مُوسَى صَعْقاً ﴾^(٤) . والثانية : النار التي يرسلها الله تعالى مع الرعد الشديد . وقد تكرّرت اللفظة في الأحاديث وكلّها راجع إلى الغشي والموت والعذاب^(٥) .

(١) دلائل الإمامة ١٦٣ .

(٢) الوسائل ٦٧٦/٢ ، الباب ٤٨ .

(٣) الوسائل ٦٧٦/٢ - ٦٧٧ .

(٤) الأعراف : ١٤٣ .

(٥) النهاية ٣٢/٣ - صعق - مقتطف منه .

٢٩٠

الدهر طويلة قصيرة

هذه الكلمة منتزعة من كلام الإمام الكاظم (عليه السلام) مع هشام بن الحكم ، رواه ابن شعبة الحرّاني قد جاء في ضمنه ما يلي :

« يا هشام أصلح أيامك الذي هو أمامك ، فانظر أي يوم هو ، وأعد له الجواب ؛ فإنك موقوف ومسؤول ، وخذ موعظتك من الدهر وأهله ؛ فإن الدهر طويلة قصيرة... »^(١).

تقدّم بعض كلماته فانظر.

قوله (عليه السلام) « فإن الدهر طويلة قصيرة » تنعيت الدهر بالطول والقصر ، وتأنيتها لتأويله بالأيام أي أيامه الطويلة أو القصيرة لأجل أعمار آحاد الناس فمنهم من عمّر في الدنيا طويلاً ، وآخر قصيراً فتختلف الأيام طولاً وقصراً وقد توافق كعمّر الرسول وعليّ (صلى الله عليهما وأهلهما) حيث عمرا ثلاث وستين سنة متساويين.

الدهر

قال ابن فارس : وهو الغلبة والقهر ، وسمي الدهر دهرًا لأنه يأتي على كلّ شيء ويغلبه فأما قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : « لا تسبوا الدهر ، فإن الله هو الدهر » فقال أبو عبيد : معناه أن العرب كانوا اذا أصابتهم المصائب قالوا : أبادنا الدهر ، وأتى علينا الدهر ، وقد ذكروا ذلك في أشعارهم

(١) التحف ٣٩١ ، البحار ٣٠٦/٧٨.

قال عمرو الضُّبَعِي :

رَمَتْنِي بِنَاتِ الدَّهْرِ مِنْ حَيْثُ لَا أَرَى فَكَيْفَ بِمَنْ يُرْمَى وَلَيْسَ بِرَامٍ
فَلَوْ أَنَّ نِيَّ أَرْمَى بِنَبْلِ تَقِيَّتُهَا وَلَكِنِّي أُرْمَى بِغَيْرِ سَهَامٍ

وقال آخر :

فَاسْتَأْثَرَ الدَّهْرَ الْغَدَاةَ بِهِمْ وَالدَّهْرَ يَرْمِينِي وَمَا أُرْمَى
يَا دَهْرَ قَدْ أَكْثَرْتَ فَجَعْتَنَا بِسِرَاتِنَا وَوَقَرْتَ فِي الْعِظَمِ
وَسَلَيْتَ مَا لَسْتَ تَعْقِبُنَا يَا دَهْرَ مَا أَنْصَفْتَ فِي الْحُكْمِ

فَأَعْلَمَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أَنَّ الَّذِي يَفْعَلُ ذَلِكَ بِهِمْ هُوَ اللَّهُ
جَلَّ ثَنَاهُ ، وَأَنَّ الدَّهْرَ لَا فَعْلَ لَهُ ، وَأَنَّ مَنْ سَبَّ فَاَعْلَ ذَلِكَ فَقَدْ سَبَّ رَبَّهُ تَبَارَكَ
وَتَعَالَى ...^(١) ، والمراد هنا الدنيا ومنه : « الدهر يومان : يوم لك . ويوم عليك ، فإذا
كان لك فلا تبطر ، وإذا كان عليك فاصبر »^(٢) .

(١) معجم مقاييس اللغة ٢/٣٠٦ - دهر - .

(٢) النهج ١٩/٣٦٤ ، الحكمة ٤٠٦ .

٢٩١

الديك أحسن صوتاً من الطاووس

كلمة مختارة تصلح لمقارنة الواجد والفاقد ، رواها الشيخ الكليني (طاب ثراه) في غرضون حديث الإمام الكاظم (عليه السلام) قال :
عَدَّة من أصحابنا عن أحمد بن محمد بن خالد عن القاسم بن يحيى عن جده الحسن بن راشد عن يعقوب بن جعفر بن إبراهيم الجعفري قال : ذكر عند أبي الحسن (عليه السلام) حسن الطاووس ، فقال : لا يزيدك على حسن الديك الأبيض شيء ، قال : وسمعتَه يقول : الديك أحسن صوتاً من الطاووس ، وهو أعظم بركة ينهبك في مواقيت الصلاة ، وإنما يدعو الطاووس بالويل لخطيئته التي ابتلى بها^(١).
أقول :

يجلب النظر منظر الطاووس وقد وصفه أمير المؤمنين (عليه السلام) في خطبته قال :

« ومن أعجبها خلقاً الطاووس الذي أقامه في أحسن تعديل ، ونضد ألوانه في أحسن تنضيد بجناح أشرح قصبه ، وذنب أطال مسحبه ؛ إذا درج إلى الأنتى نشره من طيه ، وسما به مُطلاً على رأسه ، كأنه قلع داريّ عنجّه نوتيه^(٢) يختال بالوانه ، ويميس بزيفانه ، يُفضي كإفضاء الديكة ، ويؤرّ بملاقحه آرّ الفحول المغتلمة للضراب أحيلك من ذلك على معاينة لا كمن يحيل على ضعيف

(١) الكافي ٦/٥٥٠ ، كتاب الدواجن.

(٢) النوني : الملاح وجمعه النواقي أمثال النهج ٣٢٣.

إسناده ولو كان كزعم من يزعم : أنه يلقيح بدمعة تسفحها مدامعه ، فتقف في ضفتي جفونه ، وأنّ أثناه تطعم ذلك ثم تبيض ، لامن لقاح فحل سوى الدمع المنبجس ؛ لما كان ذلك بأعجب من مطاعمة الغراب»^(١) .
بيان :

يعجز البيان عن صفة الطاووس وهل إلى ما يدركه (عليه السلام) سبيل ؟
فارجع البصر إلى الألوان فتراها منضّدة أجمل تنضيد تملك الأبصار ثم ارجع إلى شرح الخطبة حتى تعلم بعض ما لهذا الخلق المنضود فتحمد الخائق له وللديك الأبيض الذي هو أحسن صوتاً منه وإنّما يصوت الطاووس كما قال : « فإذا رمى ببصره إلى قوائمه زقا مُعولاً بصوت يكاد يبين عن استغاثته ويشهد بصادق توجّعه ؛ لأنّ قوائمه حمش كقوائم الديكة الخلاسيّة »^(٢) وللكلام تنمّة.

(١) النهج ٢٦٨/٩ ، الخطبة ١٦٦ .

(٢) النهج ٢٧١/٩ ، الخلاسيّة المتولدة من الدجاج الهندي والفارسي .

حرف الذال

٢٩٢

ذكر أولي الألباب بأحسن الذكر ، وحلاهم بأحسن التحلية

كلمة مختارة منتزعة من كلام الإمام الكاظم (عليه السلام) مع هشام بن الحكم رواه الشيخ الكليني بإسناده إليه قال :
يا هشام ثم ذكر - أي الله عز وجل - أولي الألباب بأحسن الذكر ،
وحلاهم بأحسن الحلية.

فقال : ﴿ تؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤتى الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولوا الألباب ﴾^(١).

وقال : ﴿ والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب ﴾^(٢).

وقال : ﴿ إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب ﴾^(٣).

وقال : ﴿ أفمن يعلم أنها أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى إنها يتذكر أولوا الألباب ﴾^(٤).

وقال : ﴿ آمن هو قانت إناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنها يتذكر أولوا

(١) البقرة : ٢٦٩.

(٢) آل عمران : ٧.

(٣) آل عمران : ١٩٠.

(٤) الرعد : ١٩.

الألباب ﴿١١﴾.

وقال : ﴿ كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبّروا آياته وليتذكّر أولوا الألباب ﴾ (١).

وقال : ﴿ ولقد آتينا موسى الهدى وأورثنا بني إسرائيل الكتاب * هدى وذكرى لأولى الألباب ﴾ (٢) ... (٤).

الألباب واحدها اللبّ : العقل أي أصحاب العقول ، لأنّ « أولي » بمعنى الأصحاب والآيات المشتملة على هذه الكلمة ست عشرة لم يذكر الإمام (عليه السلام) منها إلاّ سبعة ولولا مخالفة التطويل لجئنا عن آخرها وحول الكلمة كلمات لغويّة وغيرها.

قال ابن منظور : ولبّ كلّ شيء نفسه وحقيقته ، وربّما سُمي سُمّ الحية لبّاً . و اللبّ العقل . والجمع ألباب والبّ : قال الكميّ :
إليكم بني آل النبيّ تطلّعت نوازع من قلبي ظمأً وألببُ

وليبب : عاقل ذو لبّ من قوم ألباء ، والأنتى لبيبة .. وقولهم : لبّيك ولبيّه منه أي لزوماً لطاعتك وفي الصحاح : أي أنا مقيم على طاعتك (٥) وراح يسرد المشتقات مع شواهداها.

(١) الزمر : ٩ .

(٢) ص : ٢٩ .

(٣) غافر : ٥٣ - ٥٤ .

(٤) أصول الكافي ١/١٥ - ١٦ ، كتاب العقل والجهل . الحديث ١٢ .

(٥) اللسان ١/٧٣٠ - ٧٣١ . - لبب - .

حرف الراء

الرؤيا على ما تعبر

من الأمثال السائرة على اللسان : « الرؤيا على ما تعبر » رواه الشيخ الكليني (طاب ثراه) في الصحيح عن الحسن بن جهم قال : سمعت أبا الحسن (عليه السلام) يقول :

« الرؤيا على ما تعبر ، فقلت له : إن بعض أصحابنا روى أن رؤيا الملك كانت أضغاث أحلام ، فقال أبو الحسن (عليه السلام) : إن امرأة رأت على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن جذع بيتها قد انكسر ، فأنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقصت عليه الرؤيا ، قال لها النبي (صلى الله عليه وآله) : يقدم زوجك ويأتي وهو صالح ، وقد كان زوجها غائباً فقدم كما قال النبي ، ثم غاب عنها زوجها غيبة أخرى فرأت في المنام كأن جذع بيتها قد انكسر فأنت النبي فقصت عليه الرؤيا ، فقال لها : يقدم زوجك ويأتي صالحاً ، فقدم على ما قال ، ثم غاب زوجها ثالثة فرأت في منامها أن جذع بيتها قد انكسر فلقيت رجلاً أعسر فقصت عليه الرؤيا فقال لها الرجل سوء : يموت زوجك ، قال : فبلغ [ذلك] النبي (صلى الله عليه وآله) فقال : ألا كان عبر لها خيراً^(١) . في نبوي : « الرؤيا لأول عابر » ، وآخر : « الرؤيا على الرجل طائر ما لم يعبر ، فإذا عبرت وقعت ، فلا تحدثن بها إلا حبيباً أو لبيباً »^(٢) وفي صادقي :

(١) روضة الكافي ٣٣٥ - ٣٣٦ .

(٢) المجازات النبوية ٢٥٢ .

« الرؤيا على ثلاثة وجوه : بشارة من الله للمؤمن ، وتحذير من الشيطان ، وأضغاث أحلام ».

وآخر : « أمّا الكاذبة المختلفة فإنّ الرجل يراها في أول ليلة في سلطان المردة الفسقة وإنّما هي شيء يخيّل إلى الرجل وهي كاذبة مخالفة لا خير فيها ، وأمّا الصادقة إذا رآها بعد الثلثين من الليل مع حلول الملائكة وذلك قبل السحر فهي صادقة لا تخلف إن شاء الله إلا أن يكون جنباً أو ينام على غير ظهور ولم يذكر الله عزّ وجلّ فإنّها تختلف وتبطل على صاحبها »^(١).
توسّعنا في غير المقام فراجع^(٢).

٢٩٤

ربّنا غفور ستور أبي أن يكشف أسرار عباده

كلمة مختارة من كلمات الإمام الكاظم (عليه السلام) المتبادلة بينه وبين هارون رواها ابن شعبة الحرّاني (طاب ثراه) قال :

دخل إليه^(٣) وقد عمد على القبض عليه ، لأشياء كذبت عليه عنده^(٤) ، فأعطاه طوماراً طويلاً فيه مذاهب وشنعة^(٥) نسبها إلى شيعته [فقرأه] ثم قال له : يا أمير المؤمنين نحن أهل بيت منينا بالتقول علينا^(٦) وربّنا غفور ستور أبي

(١) روضة الكافي ٩٠ - ٩١.

(٢) الأمتال والحكم الرضويّة ٣٥٨/١.

(٣) أي إلى هارون.

(٤) أي هارون.

(٥) الفضاة والقباحة.

(٦) رأس المتقولين هارون وأضرابه.

أن يكشف أسرار عبادته إلا في وقت محاسبته ﴿ يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ﴾^(١).

- ثم قال :-

حدّثني أبي عن أبيه عن عليّ عن النبي صلوات الله عليهم : الرحم إذا مسّت الرحم اضطربت ثم سكنت ، فإن رأى أمير المؤمنين أن تمسّ رحمي رحمه ويصافحني فعل . فتحول عند ذلك ، عن سريره ومدّ يمينه إلى موسى عليه السلام فأخذ يمينه ، ثم ضمّه إلى صدره فاعتنقه وأقعده عن يمينه ، وقال : أشهد أنّك صادق وأبوك صادق وجدّك صادق ورسول الله (صلّى الله عليه وآله) صادق^(٢).

أقول : والمملك عقيم^(٣) كما قاله لابنه المأمون^(٤) ولم يقتله سواه وهكذا تكون سيرة طواغيت الدنيا يقتلون الأنبياء وأبناء الأنبياء ، وقادة الدين عبر القرون.

قوله (عليه السلام) : « ربّنا غفور ستور أبي أن يكشف أسرار عبادته إلا في وقت محاسبته » نصّ عليه القرآن بقوله تعالى : ﴿ يوم تبلى السرائر ﴾^(٥) ، ﴿ يوم لا ينفع مال ولا بنون ... ﴾ كما تلاه بودلّل به على ساتريّة الله تعالى على قبائح العباد في دار الدنيا ، ويكشف عنها في المحشر ، واليوم الذي يساق فيه المجرمون إلى العذاب الأكبر ، والمتقون إلى الفردوس .

(١) الشعراء : ٨٩.

(٢) التحف : ٤٠٤ ، البحار ٢٤١/١٠ ، والحديث طويل.

(٣) من المثل السائر ذكره الميداني في مجمع الأمثال ٣١١/٢ ، الرقم ٤٠٦٦ ، حرف الميم ، المستقصى ٣٥٠/١.

(٤) - لو نازعتني هذا الأمر لأخذت الذي فيه عينك : فإنّ الملك عقيم - عيون أخبار الرضا ٧٤/١.

(٥) الطارق : ٩.

والكشف عن حقائق الناس وفيهم الأشرار والأبرار تجده في ألفي آية من الكتاب العزيز قد فصلته تفصيلاً لا مجال للتعرض إليه في المقام.

٢٩٥

رحم الله امرءاً همّ بخير فعله ، أو همّ بشرّ فارتدع عنه

من حكم الإمام الكاظم (عليه السلام) التي جاءت في كلام له لأبي خديجة ، رواه الشيخ الكليني رحمه الله بإسناده إليه قال :
دخلت على أبي الحسن (عليه السلام) فقال لي : إن الله تبارك وتعالى أيدّ المؤمن بروح منه تحضره في كل وقت يُحسن فيه ويتقى ، وتغيب عنه في كل وقت يذنب فيه ويعتدي ، فهي معه تهتزّ سروراً عند إحسانه ، وتسيخ في الثرى عند إساءته . فتعاهدوا عباد الله نعمه بإصلاحكم أنفسكم تزدادوا يقيناً وتربحوا نفساً ثميناً ، رحم الله امرءاً همّ بخير فعله ، أو همّ بشرّ فارتدع عنه . ثم قال : نحن نُؤدّ الروح بالطاعة لله والعمل له^(١) .
أقول :

أبو خديجة هو سالم بن مكرم وكناه الصادق (عليه السلام) أبا سلمة ، من أصحابه وأصحاب الكاظم (عليه السلام) قال فيه النجاشي : ثقة ثقة^(٢) .
وحديثه هذا مشتمل على الروح الملازم للمؤمن ما لم يقترف الذنب ، إذ «لا يزني الزاني وهو مؤمن»^(٣) والإحسان الصلاة بل مطلق الطاعة هنا وفي آية

(١) أصول الكافي ٢/٢٦٨ ، الوسائل ١١/٢٣٥ .

(٢) معجم رجال الحديث ٨/٢٢ ، رجال النجاشي ١/٤٢٣ ، الرقم ٤٩٩ .

(٣) الوسائل ١١/٢٥١ «قال : ينزع منه روح الإيمان» الحديث الصادقي ، والأمثال النبوية ٢/١١٨ ، الرقم ٤٣٣ ، حرف «لا» .

﴿ هدى ورحمة للمحسنين ﴾ الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون ﴿^(١)﴾ إشارة إلى ذلك حيث عرّف تعالى المحسنين بالمقيمين للصلاة...
قال العلامة المجلسي :

والمراد بالإحسان الإتيان بالطاعات ، وبالإتقاء الاجتناب عن المنهيات والاعتداء التجاوز عن حدود الشريعة ... « تهتّر » أي تتحرك سروراً ... والهزّة بالكسر النشاط والارتياح ... « واهتّر عرش الرحمن لموت سعد » أي ارتاح بروحه واستبشر لكرامته على ربّه . وقال : ساحت قوائمه : أي خاضت ، والشئ راسب والأرض بهم انخسفت . والثرى قيل : هو التراب الندى وهو الذي تحت الظاهر من وجه الأرض ، فإن لم يكن فهو تراب ، ولا يقال ثرى .
وأقول : يظهر من الأخبار أنه منتهى المخلوقات السفلية ، وعند ذلك ضلّ علم العلماء .

وقال الفيروز آبادي : الثرى الندى والتراب النديّ ، أو الذي إذا بلّ لم يصر طيناً . والأرض . وقال : تعهده وتعاهده تفقده وأحدث العهد به . وفي المصباح : عهدت الشيء ترددت إليه وأصلحته ، وحقيقته تجديد العهد به .
والظاهر أن المراد هنا حفظ نعم الله واستبقاؤها ، واستعمال ما يوجب دوامها وبقاؤها . والمراد بالنعم هنا النعم الروحانية من الإيمان واليقين ، والتأييد بالروح والتوفيقات الربانية ، وتعاهدها إننا يكون بترك الذنوب والمعاصي ، و الأخلاق الذميمة التي توجب نقصها أو زوالها ؛ كما قال (عليه السلام) :
« بإصلاحكم أنفسكم » .

و « يقيناً » تمييز ، وزيادة اليقين بقوله تعالى : ﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ﴾^(٢) ، وأيضاً إصلاح النفس يوجب الترقى في الإيمان واليقين وما يوجب الفلاح

(١) لقمان : ٣ . ولعل وجهه الإحسان بنفسه .

(٢) إبراهيم : ٧ .

في الآخرة ، كما قال سبحانه : ﴿ قد أفلح من زكّيتها * وقد خاب من دسّيتها ﴾^(١) .
والنفيس الكريم الشريف الذي يتنافس فيه . في المصباح : نفس الشيء
نفاساً : كرم ، فهو نفيس . ونفست به مثل صننت به لنفاسته وزناً ومعنى . والشمين :
العظيم الثمن . والمراد بهما هنا الجنة ودرجاتها العالية ، والسعادة الباقية . « هم
بخير » : أي أراداه وقصده . « فارتدع » أي انزجر عنه وتركه . و « نحن نؤيد
الروح » أي نقويه . وفي بعض النسخ « نزيد » فيرجع إلى التأييد أيضاً ؛ فإنه
يتقوى بالطاعة كأنه يزيد^(٢) .

جئنا عن آخره ، لأجل شرح الحديث وغريبه ، وإنّ الإنسان لا يخلو من
همّ الخير أو الشرّ وقد وكلّ لكلّ فرد ملك يسدّه ، أو شيطان يوسوسه ، والأشدّ
وسوسة نفسه كما قال تعالى : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه
ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ﴾^(٣) . وحبل الوريد . الوريد عرق في العنق
وهو الحبل أيضاً^(٤) .

٢٩٦

رحم الله من استحيا من الله حق الحياء

من الحكم المروية في غضون كلام الإمام الكاظم (عليه السلام) لهشام
ابن الحكم ، قال روي فدهاه :

« ياهشام رحم الله من استحيا من الله حق الحياء : فحفظ الرأس وما
حوى ، والبطن وما وعى ، وذكر الموت والبلى ، وعلم أنّ الجنة محفوفة بالمكاره ،

(١) الشمس : ٩ - ١٠ .

(٢) مرآة العقول ٣٩٥/٩ - ٣٩٦ .

(٣) ق : ١٦ .

(٤) النهاية ١/٣٣٣ - حبل - وفيه (فأضافه إلى نفسه لاختلاف اللفظين ، والله أقرب منه).

والنار محفوفة بالشهوات»^(١).

في كتابنا الأمثال النبوية المثل النبوي : « من وقى شرّ لقلقه وبقببه وذذببه وجبت له الجنة » ، رواه صاحب الفردوس عنه (صلى الله عليه وآله) في ضمن حديث : « من أكل لقمة حرام لم تقبل له صلاة أربعين ليلة ولم تستجب له دعوة أربعين صباحاً ، وكل لحم ينبته الحرام فالنار أولى به ، وإن اللقمة الواحدة تنبت اللحم . وقال : من وقى شرّ لقلقه ، وبقببه ، وذذببه فقد وجبت له الجنة » .

واللقلقة اللسان ، والقبقب البطن ، والذذبذب الفرج ، قلت : وقد أخذ

من هذا من قال :

ولقلقي قبقبّي ذبذبيّ عن التذاذ طرحت بجانب^(٢)

والحديث الجاري رواه الكراجكي بلفظ «استحيوا من الله حق الحياء، قيل له يا رسول الله إنا لنستحيي ، فقال : ليس كذلك ، من استحيا من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما حوى ، والبطن وما وعى ، وليذكر الموت والبلى ، ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا ، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء»^(٣).

وقد عدّ النيسابوري الكلمة من الأمثال السائرة قال : (من وقى شرّ لقلقه ، وبقببه ، وذذببه فقد وقى) ، قال : اللقلق اللسان والقبب البطن والذذبذب الفرج ، يضرب لمن يكثر^(٤).

(١) التحف ٣٩٠ ، البحار ٣٠٥/٧٨ .

(٢) ٢٨٩/١ ، رقم المثل ٥٨٤ كنز الفوائد ١٨٤ ، السفينة ٢٤/١ - أكل - ، والبيت في منظومة السبزواري ٣٠٩ .

(٣) كنز الفوائد ٩٨ .

(٤) مجمع الأمثال ٣٠/٢ - الرقم ١٢ - في الميه .

قال الطريحي في الحديث: «هلاك المرء في ثلاث: قببه، وذبذبه، ولقلقه»^(١).

وقد سبق بحث الحياء عند «الحياء من الإيمان»^(٢).

٢٩٧

رُشيد الهجري يعلم علم المنايا والبلايا والإمام أولى بعلم ذلك

كلمة مختارة صالحة للمقارنة والأولوية جاءت في غضون كلام الإمام الكاظم (عليه السلام) مع إسحاق بن عمار، رواه الشيخ الكليني (طاب ثراه) قال:

أحمد بن مهران - رحمه الله - عن محمد بن علي عن سيف بن عميرة عن إسحاق بن عمار قال: سمعت العبد الصالح ينعى إلى رجل نفسه، فقلت في نفسي: وإنه ليعلم متى يموت الرجل من شيعة؟! فالتفت إليّ شبه المغضب، فقال: يا إسحاق قد كان رُشيد الهجري يعلم علم المنايا والبلايا والإمام أولى بعلم ذلك، ثم قال: يا إسحاق اصنع ما أنت صانع! فإن عمرك قد فنى، وإنك تموت إلى سنتين وإخوتك وأهل بيتك لا يلبثون بعدك إلا يسيراً حتى تتفرق كلمتهم ويخون بعضهم بعضاً حتى يشمت بهم عدوهم، فكان هذا في نفسك؟ فقلت: فإني أستغفر الله بما عرض في صدري، فلم يلبث إسحاق بعد هذا المجلس إلا يسيراً حتى مات، فما أتى عليهم إلا قليل حتى قام بنو عمار بأموال الناس فأفلسوا^(٣).

(١) مجمع البحرين - قبب، وذبذب -.

(٢) حرف الحاء مع الياء.

(٣) أصول الكافي ١/٤٨٤.

أقول :

محتوى الحديث يماثله ، أو نفسه ما تقدّم عند كلمة « اصنع ما أنت صانع »^(١) ؛ إذ من البعيد أن يروى إسحاق بن عمّار قصة يموت فيها بإخبار الإمام (عليه السلام) مرتين ، ولا أدري كيف رواها القطب بصورة تخالفها بعض الشيء وهو إسنادها إلى إسحاق بن منصور فراجع^(٢) ، ولعلّه من تصحيف الرواة^(٣) .

رُشيد الهجري

هو من حوارى أمير المؤمنين (عليه السلام) ، والحديث الكاظمي نفسه دليل على علمه بالمنايا والبلايا الذي يفقده أكثر الناس ، وكان إذا لقي الرجل قال له : فلان أنت تموت بميته كذا . وقد قتل في حبّ عليّ (عليه السلام) فقتله ابن زياد وقد أخبره بذلك ويقول له : رشيد المنايا وصلب على نخلة أكل رطبها بإخباره (عليه السلام) انظر الكشي^(٤) .

٢٩٨

الرفق نصف العيش

من حكم الإمام الكاظم (عليه السلام) التي توزن بالأوزان الثقيلة فترجّح عليها ، رواها الشيخ الكليني رحمه الله قال :

عدّة من أصحابنا عن سهل بن زياد عن علي بن حسان عن موسى بن

(١) حرف الهمزة مع الصاد.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) بأن وهم الراوي في إسناده الحديث إلى ابن منصور عوض عمّار.

(٤) اختيار معرفة الرجال المعروف برجال الكشي ٧٧ ، الرقم ١٣١.

بكر عن أبي الحسن موسى (عليه السلام) قال : الرفق نصف العيش ، وما عال امرء في اقتصاده^(١) .

الرفق :

في نبوي : « الرفق يُمن ، والخُرق شؤم » .

وآخر : « إن الرفق لم يوضع على شيء إلا زانه ، ولا نزع من شيء إلا شانه » .

وآخر : « لو كان الرفق خلقاً يُرى ما كان مما خلق الله شيء أحسن منه » .

وآخر : « إن الله يحب الرفق ويعين عليه ، فإذا ركبت الدوابَّ العُجف^(٢) فأنزلوها منازلها ، فإن كانت الأرض مجدبة فأنجوا عنها ، وإن كانت مخصبة فأنزلوها منازلها » .

وآخر : « ما اصطحب اثنان إلا كان أعظمهما أجراً وأحبَّهما إلى الله عزَّ وجلَّ أرفقهما بصاحبه » .

وآخر : « إن في الرفق الزيادة والبركة ، ومن يحرم الرفق يحرم الخير »^(٣) .
وفي باقري : « من قسم له الرفق قسم له الإيمان » .

وصادقي : « ... والرفق في تقدير المعيشة خير من السعة في المال ، والرفق لا يعجز عنه شيء ، والتبذير لا يبقى معه شيء ؛ إن الله عزَّ وجلَّ رفيق يحب الرفيق »^(٤) .

أقول :

سَمِيَ الصَّاحِبَ رَفِيقاً لِرَفْقِهِ بِصَاحِبِهِ ، وَإِلَّا فَلَا رِفَاقَةَ بَيْنَهُمَا ، وَمَعْنَى

(١) أصول الكافي ٥٤/٤ ، ١٢٠/٢ ، والوسائل ٢١٤/١١ .

(٢) العجف بالتحريك الهزال .

(٣) أصول الكافي ١١٩/٢ - ١٢٠ .

(٤) المصدر ١١٨ - ١١٩ .

«الرفق نصف العيش» الهناء به ؛ وليس هنا تنصيف حقيقي والنصف الآخر المال ، وقد جاء التعبير به في مواضع لم يقصد منه المعنى الحقيقي وإنما المراد من النصف فيها إما البعض ، أو الركن الرئيسي ، وأنه لولاه لما تم الأمر .

كلام حول النصف :

قال الكراجكي : مما ورد في ذكر النصف : روي أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال التودد إلى الناس نصف العقل ، وحسن السؤال نصف العلم ، والتقدير في النفقة نصف العيش ^(١) ، وجاء في خبر آخر عنه (عليه السلام) .
التقدير نصف المعيشة .

وروى عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال : لهم نصف الهرم . في السلامة نصف الغنيمة .

وقال بعض الحكماء : الخوف نصف الموت . وقال آخر : المخافة شطر المنية . وقيل : الراحة نصف السلامة . وحسن الطلب نصف العلم . والتودد نصف الحزم . وحسن التدبير نصف الكسب . وقال بعض الحكماء : نصف رأيك مع أخيك : يريد بذلك وجوب المشاورة ليجتمع الرأي . وقيل إذا بان منك أخوك بان شطرك ، وإذا اعتلّ خليلك فقد اعتلّ نصفك . وأنشد :

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

وكتب أبو العتاهية إلى أحمد بن يوسف :

لئن عدت بعد اليوم إني لظالم سأصرف نفسي حيث تُبغى المكارم
متى ينهج الغادى إليك بحاجة ونصفك محبوب ونصفك نائم
ولما أتهم قتيبة بن مسلم أبا مجلد ، قال له أبو مجلد : أيها الأمير ثبتت ؛

(١) في النبوي «التودد إلى الناس رأس العقل» البحار ٤٠١/٧٤ ، وحديث النصف رضوي كما في التحف ٤٤٣ ، البحار ٣٣٥/٧٨ ، أمثال وحكم الإمام الرضا ... ج ١/٢٩٠ ، الرقم ٧٣ .

فإن التثبّت نصف العفو . وقيل : السفر نصف العذاب . وقال سعيد ابن أبي عروبة : لأن يكون لي نصف وجه ونصف لسان على ما فيها من قبح المنظر وعجب المخبر أحبّ إليّ من أن يكون ذا وجهين ولسانين ، وذا قولين مختلفين .
ولبعضهم :

بسطت لساني ثم أوثقت نصفه
فإن أنت لم تنجز عداي تركتني
فنصف لساني في امتداحك مطلق
وباقى لساني الشكر باليأس موثق
ووجدمكتوباً على قبر :

يا قبر أنت سلبتني إلفاً
وأخذت نصف الروح من جسدي
قدّمته وتركنتني خلفاً
فقبرته وتركنتني نصفاً

وقيل : إذا اتخذت جارية فعليك بالبيضاء ؛ فإنّ البياض نصف الحسن لابن عفيفة :

إنّ دنيا هي التي
سرقوها نصف اسمها
بسحر العين سافرة
هي دنيا وآخرة

لابن المعتز في جارية له :
يا دهر كيف شققت نفساً
وتركت نصفاً للأسى
سقيا لوجه حبيبة
فخلست منها النصف خلساً
جعل البقاء عليه نحساً
أودعتها كنفا ورمساً

وأشدّ لذّي الرمة :

وإنّ امرأاً في بلدة نصف قلبه
ونصف بأخرى ؛ إنّه لصبور^(١)

يريد القائل بالنصف في هذه المواضع بأجمعها البعض ، أو الركن أو مطلق التوزيع لا التقسيم إلى النصفين المتساويين كما في آية الفرائض قال تعالى: ﴿ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ ﴾^(١١) ، و ﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ ﴾^(١٢) ، و ﴿ وَإِنْ أَمْرَةٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ﴾^(١٣).

وفي آية الطلاق قال عز وجل : ﴿ وَإِنْ طَلَّقْتُموهنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ ﴾^(١٤) ، وآية الحدود : ﴿ فَإِذَا أَحْصَنْتُمْ فَإِنَّ أُتِينَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ﴾^(١٥) ، وفي آية قيام الليل : ﴿ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴾^(١٦) ، و ﴿ إِنْ رَبُّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِّ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ ﴾^(١٧).

كل ذلك يراد بالنصف الحقيقي والمتبّع اللبيب لا يخفى عليه الأمران فيه ، وقد أطلنا الكلام حول النصف لأدنى علقه كانت في الحديث الكاظمي : «الرفق نصف العيش» ولعمري إنه كذلك ، يجد حلاوته من يرفق بعياله أو رفقته ، أو جاره ، أو كل من صاحبه في حضره وسفره ، حتى بنفسه ونفيسه .

(١) النساء : ١١ .

(٢) النساء : ١٢ .

(٣) النساء : ١٧٦ .

(٤) البقرة : ٢٣٧ .

(٥) النساء : ٢٥ .

(٦) المزمل : ٣ .

(٧) المزمل : ٢٠ .

٢٩٩

الرفق يمنُ والخرق شؤم

من الأمثال السائرة التي جاءت في كلمات الإمام الكاظم (عليه السلام)، استخرج المثل منها في كلام له مع هشام بن الحكم رواه ابن شعبة الحرّاني قال :
يا هشام عليك بالرفق ؛ فإن الرفق يمنُ والخرق شؤم ، إن الرفق والبرّ وحسن الخلق يعمر الديار ، ويزيد في الرزق «^(١)» .

أقول :

قد جاء المثل المذكور في نبوي تقدّم ذكره^(٢) وفي كتاب الأمثال النبويّة عدّدناه منها فراجع^(٣) .

والرفق لين الجانب وترك العنف المضادّ له ، وهما متقابلان لا يجهلها العارف باللغة العربيّة ، وبمواضع الإصابة ، وليس الإطلاق بمحبوب ، ولا كلّ خرق بمغضوب ، وقد قال تعالى : ﴿ وليجدوا فيكم غلظة ﴾^(٤) . وجمع الأمران في آية ﴿ أشدّاء على الكفّار رحماء بينهم ﴾^(٥) ، وإتّنا جاء الحديث النبوي أو الكاظمي بطابعه دون الملابس غير الستيرة على الفاهم .

وفي الكلمات :

الرفق مفتاح النجاح . إن لم تُدرك الحاجة بالرفق والدوام فبأي شيء

(١) التحف ٣٩٥ . البحار ٣١١/٧٨ .

(٢) في «الرفق نصف العيش» ، أصول الكافي ١١٩/٢ .

(٣) الأمثال النبويّة ٤٤٦/١ ، الرقم ٢٨٥ ، حرف الرء مع الفاء .

(٤) التوبة : ١٢٣ .

(٥) الفتح : ٢٩ .

تَدْرِكُ؟ الحرق بالرفق يلحم . من رفق رَفَقَ ، ومن خَرَقَ خَرَقَ^(١) .

إلحاق

قال ابن الأثير : في حديث الدعاء : « وألحقني بالرفيق الأعلى » الرفيق : جماعة الأنبياء الذين يسكنون أعلى عليين وهو اسم جاء على فعيل ومعناه الجماعة كالصديق والخليط يقع على الواحد والجمع^(٢) .

ولم يجيء في القرآن الكريم من اشتقاق الرفق سوى « رفیق » و « مرفق » و « المرافق » ، و « مرتفق »^(٣) .

والرفق من شعب المحبة وهي من ثمار المعرفة التي لا خلة أفضل منها في العقول.

٣٠٠

ريح الكنيف وريح الطيب سواء ؟

كلمة مضروبة للتمثيل للطاعة والعصيان والتمييز بينهما بما لهما من أثر كبير جاءت في غضون حديث الإمام الكاظم (عليه السلام) ، رواه الشيخ الكليني (طاب ثراه) بإسناده إلى عبدالله بن موسى بن جعفر عن أبيه قال : سألته عن الملكين هل يعلمان بالذنب إذا أراد العبد أن يفعله ، أو الحسننة ؟ فقال : ريح الكنيف وريح الطيب سواء ؟ قلت : لا ، قال : إن العبد إذا هم بالحسننة خرج نفسه طيب الريح ، فقال صاحب اليمين لصاحب الشمال : قم ؛ فإنه قد هم بالحسننة ، فإذا فعلها كان لسانه قلمه وريقه مداده فأثبتها له . وإذا

(١) التمثيل والمحاضرة ٤٢٠ - ٤٢١ .

(٢) النهاية ٢/٢٤٦ - رفق - .

(٣) النساء : ٦٩ ، والمائدة : ٦ ، والكهف : ١٦ ، ٢٩ ، ٣١ .

هم بالسيئة خرج نفسه منتن الريح فيقول صاحب الشمال لصاحب اليمين :
قف فإنه قد هم بالسيئة ، فإذا هو فعلها كان لسانه قلمه وريقه مداده وأثبتها
عليه^(١).

أقول : أما الملكان فقد صرح القرآن بوجودهما قال تعالى : ﴿ ما يلفظُ
من قول إلا لديه رقيب عتيد ﴾^(٢) كاتب الحسنات ملك اليمين ، وكاتب
السيئات ملك الشمال وهما في آية ﴿ عن اليمين والشمال قعيد ﴾^(٣) ونص على
أنهما الكاتبان الحسنات والسيئات النبوي فراجع^(٤).

وأما علم الملكين بأعمال العبد ففي آية ﴿ وإن عليكم لحافظين * كراماً
كاتبين * يعلمون ما تفعلون ﴾^(٥) التصريح به.
أثر الطاعة والعصيان :

إن للطاعة نوراً ، وطيباً تبرز ظاهرتة في ظاهر البدن والوجه ففي سجادي:
« سئل ما بال المتجهدين بالليل من أحسن الناس وجهاً ؟ قال : لأنهم خلوا
بربهم فكساهم من نوره »^(٦). وصادقي : « صلاة الليل تحسن الوجه ، وتحسن
الخلق ، وتطيب الريح ... »^(٧).

وإن العصيان يجرح الإنسان لدليل آية ﴿ ويعلم ما جرحتم بالنهار ﴾^(٨)
والجرح أضع من الريح.

(١) أصول الكافي ٤٢٩/٢ ، الوسائل ٤١/١ - ٤٢ .

(٢) ق : ١٨ .

(٣) ق : ١٧ .

(٤) تفسير نور الثقلين ١١١/٥ ، تفسير البرهان ٢١٩/٤ - ٢٢٠ ، آية ﴿ إذ يتلقى المتلقيان عن
اليمين ... ﴾ ق : ١٧ .

(٥) الانقطار : ١٠ - ١٢ .

(٦) البحار ١٥٩/٨٧ نقلاً من العلل والعيون .

(٧) البحار ١٥٣/٨٧ .

(٨) الأنعام : ٦٠ .

فهرس الكلمات المختارة

الصفحة	الرقم	الكلمة
٧		كلمة المؤتمر
٩		الإهداء
٥٤-١١		تقديم
حرف الهمزة		
٦٠-٥٧	١	الآخرة طالبة ومطلوبة
٦٣-٦١	٢	آمين آمين
٦٥-٦٣	٣	آويت إلى ركن شديد
٦٦-٦٥	٤	أبدأ بيمين على يمينك
٦٨-٦٧	٥	أبره يا مُبِيرَ الأمم الظالمة
٧٢-٦٨	٦	أبشر بطول سلامة يا مربع
٧٧-٧٣	٧	أبغض عدونا في الله ، وأحبب ولينا في الله
٧٩-٧٨	٨	أبلغ خيراً ، وقل خيراً ، ولا تكن إمعة
٨٠-٧٩	٩	اتخذوا القيان ، فإن هن قطننا وعمولاً
٨٧-٨١	١٠	أتق فراسة المؤمن ، فإنه ينظر بنور الله
٨٩-٨٨	١١	أتق الله ودع الباطل وإن كان فيه نجاتك

الصفحة	الرقم	الكلمة
٨٩-٩٠	١٢	أتق الله وفل الحق وإن كان فيه هلاكك
٩٥-٩١	١٣	اتق المرتقى السهل إذا كان منحدره وعراً
٩٧-٩٦	١٤	أتدرون ما مثل هذا
٩٩-٩٨	١٥	أترك وفتيناك بما وعدناك
١٠٠-٩٩	١٦	أترين أنه ليس من مصائد الشيطان
١٠٣-١٠١	١٧	أجب دعوته إذا دعاك
١٠٥-١٠٣	١٨	اجتنب أفنية المساجد وسطوط الأنهار
١٠٧-١٠٥	١٩	اجتهدوا في أن يكون زمانكم أربع ساعات
١١٥-١٠٨	٢٠	أجد الضراب ، فإن القوم فساق
١١٦-١١٥	٢١	اجلس بآرك الله فيك
١٢٤-١١٧	٢٢	اجلس مكان السائل من المسؤول
١٣١-١٢٤	٢٣	أحبّ العباد إلى الله المفتنون التوابون
١٣٢-١٣١	٢٤	إحدى الجهالتين أهون من الأخرى
١٣٣-١٣٢	٢٥	احذر أن تكون سبب بلية على الأوصياء
١٣٥-١٣٤	٢٦	احذر رد المتكبرين
١٤١-١٣٥	٢٧	احذر الله ونفسي
١٤٣-١٤٢	٢٨	احذر هذه الدنيا واحذر أهلها
١٤٤-١٤٣	٢٩	احذري أن تفعلين كما فعلت
١٤٦-١٤٤	٣٠	أحسن ظنك بربك
١٤٨-١٤٦	٣١	أحسنهم استجابة أحسنهم معرفة
١٥١-١٤٨	٣٢	إحفظ لسانك تُعزّ
١٥٤-١٥١	٣٣	أحمد العلم عاقبة ما زاد في عملك العاجل
١٥٨-١٥٥	٣٤	أخبرني عن حرفين أسألك : ما العترف في بدنك وما الصهلج في الإنسان ؟؟



الرقم	الصفحة	الكلمة.
٣٥	١٥٨ - ١٦١	أخبرني ما اسم أمّ مريم ؟
٣٦	١٦١ - ١٦٣	أخذت منه عامرة ، ولا يأخذها إلا معمورة
٣٧	١٦٣ - ١٦٧	اخلع نعليك ؛ إنك بالوادي المقدس
٣٨	١٦٧ - ١٧٢	أداء الأمانة ، والصدق يجلبان الرزق
٣٩	١٧٣ - ١٧٦	أدر لسانك في فيك
٤٠	١٧٦ - ١٧٧	ادفعوا البلاء بالدعاء
٤١	١٧٨ - ١٧٩	ادفعوا ما تحذرون علينا وعليكم بالدعاء
٤٢	١٧٩ - ١٨٢	ادفعوا معالجة الأطباء ما اندفع الداء عنكم
٤٣	١٨٣ - ١٨٦	إذا أتاكم آتٍ فأسمع أحدك في الأذن اليمنى مكرها ثم تحوّل إلى الأذن اليسرى فاعتذر فاقبلوا عذره
٤٤	١٨٦ - ١٨٨	إذا احتاج الإنسان إلى شيء عرفته أعضاؤه ذلك
٤٥	١٨٨ - ١٩٢	إذا أراد استنارة ما فيها نضحها بالحكمة ، وزرعها بالعلم
٤٦	١٩٢ - ١٩٦	إذا أراد أمراً قلل الكثير ، وكثر القليل
٤٧	١٩٧ - ٢٠٠	إذا أراد الله بالذرة سراً أنبت لها جناحين فطارت فأكلها الطير
٤٨	٢٠١ - ٢٠٣	إذا أردت أن تعلم ما لك عندي فانظر مالي عندك
٤٩	٢٠٣ - ٢٠٥	إذا أعجبه شيء فلا يكثر ذكره
٥٠	٢٠٦ - ٢٠٨	إذا أنت اعتصمت بالله فقد هديت إلى صراط مستقيم
٥١	٢٠٨ - ٢٠٩	إذا انكسفت الشمس فارفع بصرك إلى السماء
٥٢	٢١٠ - ٢١٢	إذا حكّم عدل
٥٣	٢١٢ - ٢١٥	إذا ذكرت مقدرتك على الناس فاذكر مقدرة الله عليك غداً
٥٤	٢١٦ - ٢١٩	إذا رأيت المشوّه الأعرابي فانتظر فرجك
٥٥	٢٢٠ - ٢٢٢	إذا سمعت فعه ، وإذا وعيت فاعمل
٥٦	٢٢٣ - ٢٢٦	إذا قال صدق
٥٧	٢٢٦ - ٢٣٠	إذا كاد العدو فلا تكده

الصفحة	الرقم	الكلمة
٢٣٢- ٢٣٠	٥٨	إذا كان الإمام عادلاً كان له الأجر . وعليكم الشكر
٢٣٥- ٢٣٢	٥٩	إذا كان الجور أغلب من الحق لم يحل لأحد أن يظن بأحد خيراً
٢٤٧- ٢٣٦	٦٠	إذا كان الرجل حاضراً فكأنه
٢٤٩- ٢٤٧	٦١	إذا كان زهواً واستبان البُسر من الشيبص حل
٢٥٣- ٢٥٠	٦٢	إذا كان لك ياساعة حاجة إلى الله عزَّ وجل فقل
٢٥٤- ٢٥٣	٦٣	إذا كنتُ لا أحسن أجيبك فما فضلي عليك ؟
٢٦٠- ٢٥٥	٦٤	إذا لم تستحي فاعمل ما سنت
٢٦٢- ٢٦١	٦٥	إذا مات المؤمن بكت عليه الملائكة . ويقاع الأرض
٢٦٣- ٢٦٢	٦٦	إذا مرَّ بك أمران ... فانظر أيهما أقرب إلى هواك فخالفه
٢٦٥- ٢٦٤	٦٧	إذا ملكت هذا الأمر فأحسن إلى ولدي
٢٦٧- ٢٦٥	٦٨	إذا نزل البلاء فعليكم بالدعاء
٢٦٩- ٢٦٧	٦٩	إذا وعدت أنجز
٢٧٢- ٢٧٠	٧٠	إذا وعدتم الصبيان ففوا لهم
٢٧٣- ٢٧٢	٧١	إذا وقع في نفسك شيء فتصدق على أول مسكين تم امض
٢٧٦- ٢٧٤	٧٢	اذهب ، واطلب المعرفة
٢٨٠- ٢٧٧	٧٣	اربطوا نعم ربكم تعالى بالشكر
٢٨٣- ٢٨١	٧٤	أربعة من الوسواس : أكل الطين وقت الطين ...
٢٨٦- ٢٨٣	٧٥	استحيوا من الله في سرائركم كما تستحيون من الناس في علانيتكم
٢٨٨- ٢٨٦	٧٦	استمسك بعروة الدين : آل محمد
٢٩٠- ٢٨٩	٧٧	اسجدي لربك
٢٩١- ٢٩٠	٧٨	أسرع الخير ثوابا البير
٢٩٤- ٢٩١	٧٩	أسرع الشر عقوبة البغي
٢٩٦- ٢٩٤	٨٠	الأسير عيال الرجل
٢٩٦- ٢٩٧	٨١	اشتد مؤونة الدنيا والدين

الرقم	الصفحة	الكلمة
٨٢	٢٩٧-٢٩٩	أصبحت وأمسيت في حمى الله الذي لا يستباح
٨٣	٣٠٠-٣٠٢	اصبر على أعداء النعم
٨٤	٣٠٣-٣٠٤	اصبر على طاعة الله ، واصبر عن معاصي الله
٨٥	٣٠٥-٣٠٧	أصلح أيامك هو الذي أمامك
٨٦	٣٠٧-٣٠٩	اصنع ما أنت صانع
٨٧	٣٠٩-٣١٠	أضباً إلى إضياء السبع لطريدته
٨٨	٣١٠-٣١١	أضح لمن أحرمت له اضمن لي أن لاتلقى أحداً من أوليائك الآقضيت حاجته ، وأضمن لك أن لا يظلك سقف سجن أبداً
٨٩	٣١٢-٣١٣	اطرقه ببلية لا أخت لها
٩٠	٣١٣-٣١٤	أطيب ريحاً من قضيب الآس حين يؤخذ من شجره في طيبه
٩١	٣١٤-٣١٦	اعرف العقل وجنده ، والجهل وجنده تكن من المهتمدين
٩٢	٣١٧-٣٢٢	أعظم الله لك أجرک
٩٣	٣٢٣-٣٢٤	اعقل عن الله
٩٤	٣٢٤-٣٢٥	اعمل كأنك ترى ثواب عملك
٩٥	٣٢٦-٣٢٨	أعلمهم بأمر الله أحسنهم عقلاً
٩٦	٣٢٧-٣٢٨	أعيذك بالله أن تبوء بأثمي وإثمك
٩٧	٣٢٨-٣٣١	اغتنم جهله عن السؤال حتى تسلم من فتنة القول
٩٨	٣٣١-٣٣٢	اغد إلى عزك
٩٩	٣٣٣-٣٣٤	أفترى هذا الذي يأخذ بمنقاره ينقص من البحر
١٠٠	٣٣٤-٣٣٥	أفضل العبادة بعد المعرفة انتظار الفرج
١٠١	٣٣٦-٣٣٧	أفضل ما يتقرب به العبد إلى الله بعد المعرفة الصلاة
١٠٢	٣٣٧-٣٤٠	اقرأوا رُق
١٠٣	٣٤٠-٣٤٢	اقرؤوا كما تعلمتم
١٠٤	٣٤٣-٣٤٥	

الرقم	الصفحة	الكلمة
١٠٥	٣٤٥-٣٤٦	أقم الشهادة لله عزَّ وجلَّ ولو على نفسك
١٠٦	٣٤٧-٣٤٨	أكثرُ الصواب في خلاف الهوى
١٠٧	٣٤٩-٣٥٠	أكثر من أن تقول : اللهم لا تجعلني من المعارين
١٠٨	٣٥٠-٣٥٣	إلهي في أعلى عليين اغفر لعلِّي بن يقطين
١٠٩	٣٥٤-٣٥٦	ألحوا في الدعاء أن يكفيكموه الله
١١٠	٣٥٧-٣٥٨	ألزم العلم لك ما ذلك على صلاح قلبك
١١١	٣٥٨-٣٥٩	ألزموهم من ذلك ما ألزموه أنفسهم
١١٢	٣٦٠-٣٦٤	أليس معي من يملك الدنيا والآخرة ؟
١١٣	٣٦٤-٣٦٥	إليّ إلهي لا إلى المرجئة . ولا إلى القدرية ...
١١٤	٣٦٦-٣٦٧	أما إن أبدأنكم ليس لها نمن إلا الجنة فلا تبيعوها بغيرها
١١٥	٣٦٨-٣٦٩	أما إنك في سبعتنا أبين من البرق في الليلة الظلماء
١١٦	٣٦٩-٣٧٠	أما تخافن أن تنزل به نعمة فنصيبكم جميعا ؟
١١٧	٣٧٠-٣٧١	أما رأيت الرجل يُحفظ ولا يُحفظ ما معه ... ؟
١١٨	٣٧٢-٣٧٣	أما علمت أن إلهي كنه حساب ؟
١١٩	٣٧٣-٣٧٤	أما علمت أن الشمس تغرب بذنوب المحرمين ؟
١٢٠	٣٧٥-٣٧٦	أما علمت بالذي كان من أصحاب موسى ؟
١٢١	٣٧٦-٣٧٨	الإمام بمنزلة البحر لا ينفد ما عنده ...
١٢٢	٣٧٨-٣٧٩	أما والله إن المؤمن لقليل . وإن أهل الكفر لكثير
١٢٣	٣٧٩-٣٨٠	أما والله لقد كانت الدنيا . وما فيها إلا واحد يعبد الله
١٢٤	٣٨١-٣٨٢	إمتحن قلبك فإن كنت تحبه فاحلف . وإلا فلا
١٢٥	٣٨٢-٣٨٣	أمت الطمع من المخلوقين
١٢٦	٣٨٤-٣٨٥	أما الآن ... فليتم للمرأة شرطها ؛ فإن رسول الله قال : المسلمون عند شروطهم
١٢٧	٣٨٦-٣٨٧	أما الإثم فإنها الحمره بعينها

الصفحة	الرقم	الكلمة
٣٨٨-٣٨٧	١٢٨	أما البلغم فإنه خصم جدل إن سدد من جانب انفتح من آخر
٣٩٠-٣٨٩	١٢٩	أما الدم فإنه عبد عارم وربما قتل العبد مولاه
٣٩٤-٣٩٠	١٣٠	أما الريح فإنه ملك يدارى
٣٩٦-٣٩٥	١٣١	أما صاحبكم هذا فقد نخل من الذنوب نخلاً
٣٩٨-٣٩٧	١٣٢	أما المرة فإنها أرض إذا اهترت رجعت بها فوقها
٣٩٩-٣٩٨	١٣٣	أما وأنتم ترحلون عنا فلا
٤٠٢-٤٠٠	١٣٤	أميران وليس بأمرين
٤٠٣-٤٠٢	١٣٥	إن أعطاك أعطاك ما ليس لك ، وإن منعك منعك ما ليس لك
٤٠٦-٤٠٤	١٣٦	أنا ابن منى والمشعرين وزمزم
٤٠٨-٤٠٦	١٣٧	أنا إمام القلوب ، وأنت إمام الجسوم
٤٠٩-٤٠٨	١٣٨	أنا أين كنت كنت أماناً مطمئناً
٤١١-٤١٠	١٣٩	أنت إذا تمنى هلاك الأبد
٤١٢-٤١١	١٤٠	أنت أعلم وما قلت
٤١٧-٤١٣	١٤١	أنت ربى إذا ظمئت إلى الماء وقوتى إذا أردت الطعاما
٤١٨-٤١٧	١٤٢	أنت شاك ، والشاك لاخير فيه
٤٢١-٤١٩	١٤٣	إن تصبرت تغتبط ، وإلا ينفذ الله مقاديره ...
٤٢٤-٤٢٢	١٤٤	انتظار الفرج من الفرج
٤٢٦-٤٢٥	١٤٥	أنت لعمرى مؤنسة
٤٢٧-٤٢٦	١٤٦	أنتم تدرسون الحكمة ، ولكن لا يهتدي بها منكم إلا من عمل بها
٤٣٠-٤٢٨	١٤٧	أنتم تلعبون بالدين
٤٣١-٤٣٠	١٤٨	أنت وأشباهك أشباه الحمير
٤٣٢-٤٣١	١٤٩	إن خاف على بيضة الإسلام والمسلمين قاتل
٤٣٤-٤٣٣	١٥٠	انزعوا هذه ، واجعلوا مكانها حديداً
٤٣٦-٤٣٤	١٥١	إن شاء فعل ، وإن شاء ترك

الصفحة	الرقم	الكلمة
٤٣٧-٤٣٦	١٥٢	إن شاء الله أن يهديك هُداك
٤٣٩-٤٣٨	١٥٣	انصرف راشداً انظر في تصرف الدهر وأحواله ، فإن ما هوأت من الدنيا كما ولى منها
٤٤١-٤٤٠	١٥٤	إن فعلت لم أجالسك
٤٤٤-٤٤٢	١٥٥	إن كان أبوك أحمق ينبغي أن تكون مثله
٤٤٦-٤٤٥	١٥٦	إن كانت أفاعيل العباد من الله دون خلقه فالله أعلى وأعز
٤٤٧	١٥٧	إن كانت به غرة سائلة فهو العيش
٤٤٩-٤٤٨	١٥٨	إن كانت عصا موسى ردت ما ابتلعت من حبال القوم ... فإن هذه الصورة ترد ما ابتلعت من هذا الرجل
٤٥٠	١٥٩	إن كانت الكعبة هي النازلة بالناس فالناس أولى بفنائها
٤٥٢-٤٥١	١٦٠	إن كانت لك حاجة فحرك شفتيك
٤٥٣	١٦١	إن كان في يدك هذه شيء فإن استطعت أن لا تعلم هذه فافعل
٤٥٥-٤٥٤	١٦٢	إن كان لا يغنيك ما يكفيك فليس شيء من الدنيا يغنيك
٤٥٧-٤٥٦	١٦٣	إن كان يغنيك ما يكفيك فأدنى ما في الدنيا يكفيك
٤٥٩-٤٥٨	١٦٤	إن كنت اعوججت فُتّب
٤٦٠	١٦٥	إن كنت تريد البلد فهو الذي فرض الله على المسلمين وعليك
٤٦٤-٤٦١	١٦٦	- إن كنت منهم - الحج إليه إن كنت تريد الصيت والاسم فتحن الذين أمر الله تعالى بالصلاة علينا...
٤٦٦-٤٦٥	١٦٧	إن كنت تريد المفاخرة فوالله ما رضي مشركوا قومي مسلمي قومك
٤٧٨-٤٦٧	١٦٨	إن كنت تريد النسب فأنا ابن محمد حبيب الله ...
٤٨٠-٤٧٨	١٦٩	إن الأمور ... كلها بيد الله عز وجل
٤٨٢-٤٨٠	١٧٠	إنّا صنعنا كما صنع رسول الله ، وقلنا كما قال رسول الله ...
٤٨٣-٤٨٢	١٧١	

الصفءة	الرقم	الكلمة
٤٨٥ - ٤٨٤	١٧٢	إنآ وشبعنا خلقنا من الحلاوة
٤٨٨ - ٤٨٦	١٧٣	أنى يكون ، ولا يكون ، ولم يكن
٤٩٠ - ٤٨٩	١٧٤	إن الببع فى الظلّ غشّ ، والغشّ لا يحلّ
٤٩٢ - ٤٩١	١٧٥	إن الدعاء ءنة منءية تردّ البلاء وقد أرم إبراماً
٤٩٤ - ٤٩٢	١٧٦	إن الدين ليس بقاءس كقاءسكم
٤٩٥ - ٤٩٤	١٧٧	إن الزرع ينبس فى السهل ، ولا ينبس فى الصفا
٤٩٧ - ٤٩٦	١٧٨	إن سفينة نوح كانت مأورة طافت بالبيت ءن ءرفت الأرض
٤٩٩ - ٤٩٧	١٧٩	إن السلطان العادل بمنزلة الوالد الرءيم
٥٠٠ - ٤٩٩	١٨٠	إن شئناً هذا آره لءقبق أن يزهد فى أوله
٥٠٢ - ٥٠١	١٨١	إن الصفات تشبهه
٥٠٤ - ٥٠٣	١٨٢	إن ضوء الروح العقل
٥٠٥ - ٥٠٤	١٨٣	إن العاقل رضى بالدون من الدنيا مع الحكمة
٥٠٧ - ٥٠٦	١٨٤	إن العاقل لا بءء من بءاف تكذبه
٥٠٩ - ٥٠٧	١٨٥	إن العاقل لا يكذب ، وإن كان فىه هواه
٥١١ - ٥٠٩	١٨٦	إن العاقل اللبب من ترك ما لا طاقة له به
٥١٢ - ٥١١	١٨٧	إن العاقل : الذى لا يشغل الحلال شكره
٥١٤ - ٥١٣	١٨٨	إن العقلاء تركوا فضول الدنيا فكيف بالذنوب
٥١٦ - ٥١٤	١٨٩	إن العقلاء زهدوا فى الدنيا ، ورءبوا فى الآخرة
٥١٧ - ٥١٦	١٩٠	إن علماً (عليه السلام) باب من أبواب الجنة فمن دخل بابه كان مؤمناً
٥١٩ - ٥١٨	١٩١	إن الفقه مفاة البصيرة ، وقام العبادة ...
٥٢١ - ٥٢٠	١٩٢	إن كلّ الناس ببصر النجوم ولكن لا بهتدى بها إلا من يعرف بءاربها ومنازلها
٥٢٣ - ٥٢٢	١٩٣	إن كلّ نعمة عءزت عن شكرها بمنزلة سئنة تؤاخذ بها

الصفحة	الرقم	الكلمة
٥٢٥-٥٢٤	١٩٤	إنَّ اللهَ تَقِيٌّ وَهُوَ حَسْبِي
٥٢٦-٥٢٥	١٩٥	إنَّ اللهَ جَلَّ عَنِ صِفَةِ الْوَاصِفِينَ ...
٥٢٨-٥٢٧	١٩٦	إنَّ اللهَ حَرَّمَ الْجَنَّةَ عَلَى كُلِّ فَاحِشٍ بَدَنِيٍّ قَلِيلِ الْحَيَاءِ
٥٢٩-٥٢٨	١٩٧	إنَّ اللهَ خَلَقَ النَّبِيِّينَ عَلَى النَّبُوءَةِ فَلَا يَكُونُونَ إِلَّا أَنْبِيَاءَ
٥٣٢-٥٣٠	١٩٨	إنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ بَيْتاً مِنْ نُورٍ ، جَعَلَ قَوَائِمَهُ أَرْبَعَةَ أَرْكَانٍ
٥٣٤-٥٣٣	١٩٩	إنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَحْرَمِ الْخَمْرَ لِاسْمِهَا وَلَكِنَّهُ حَرَّمَهَا لِعَاقِبَتِهَا
٥٣٦-٥٣٥	٢٠٠	إنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيْسَ يَغْضَبُ لَشَيْءٍ كَغَضَبِهِ لِلنِّسَاءِ وَالصَّبِيَّانِ
٥٣٨-٥٣٦	٢٠١	إنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْغِضُ الضَّحَّاكَ مِنْ عَجَبٍ ...
٥٣٩-٥٣٨	٢٠٢	إنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْغِضُ الْعَبْدَ النَّوَامِ الْفَارِغِ
٥٤٤-٥٤٠	٢٠٣	إنَّ اللهَ لَا يَسْتَحِي مِنْ الْحَقِّ
٥٤٥-٥٤٤	٢٠٤	إنَّ اللهَ لَمْ يَرْفَعْ الْمُتَوَاضِعِينَ بِقَدْرِ تَوَاضُعِهِمْ وَلَكِنْ رَفَعَهُمْ بِقَدْرِ عَظَمَتِهِ وَمَجْدِهِ
٥٤٦-٥٤٥	٢٠٥	إنَّ اللهَ يَبْغِضُ الْبِطْنَ الَّذِي لَا يَشْعُرُ
٥٤٨-٥٤٧	٢٠٦	إنَّ اللهَ يَعْلَمُ مِنَ الْمَفْسُودِ ، مِنَ الْمَصْلُوحِ
٥٥١-٥٤٨	٢٠٧	إنَّ الَّذِي كُنْتُ أَصْلَى لَهُ كَانَ أَقْرَبَ إِلَيَّ مِنْهُمْ
٥٥٢-٥٥١	٢٠٨	إنَّ اللهَ تَحْتَ عَرْشِهِ ظِلٌّ لَا يَسْكُنُهُ إِلَّا مَنْ أَسَدَى إِلَى أَخِيهِ مَعْرُوفاً
٥٥٤-٥٥٣	٢٠٩	إنَّ اللهَ عِبَاداً فِي الْأَرْضِ يَسْعَوْنَ فِي حَوَائِجِ النَّاسِ هُمُ الْآمِنُونَ
٥٥٧-٥٥٤	٢١٠	إنَّ اللهَ عَلَى النَّاسِ حَجَّتَيْنِ : حَجَّةٌ ظَاهِرَةٌ ، وَحَجَّةٌ بَاطِنَةٌ
٥٦١-٥٥٧	٢١١	إنَّهَا التَّدْبِيُّ الْفَهْمُ
٥٦٣-٥٦٢	٢١٢	إنَّهَا الدُّنْيَا سَاعَةٌ
٥٦٥-٥٦٤	٢١٣	إنَّهَا شِيعَةُ عَلِيٍّ مِنْ صَدَقَ قَوْلُهُ فَعَلَهُ
٥٦٥-٥٦٤	٢١٤	إنَّهَا شِيعَتُنَا الْمَعَادِنُ وَالْأَسْرَافُ

الصفءة	الرقم	الكلمة
٥٦٩ - ٥٦٧	٢١٥	إنءا قال : موسى غير إمام
٥٧٢ - ٥٧٠	٢١٦	إنءا المؤمن في صلب الكافر بمنزلة الحصاة في اللبنة
٥٧٤ - ٥٧٣	٢١٧	إنءا منظره في القرب ، والبعد سواء
٥٧٦ - ٥٧٥	٢١٨	إنءا هلك من هلك من قبلكم بالقياس
٥٧٧ - ٥٧٦	٢١٩	إن ما هو آت من الدنيا كما ولى منها إن مئل الدنيا مئل الءمة مسها لئن
٥٨٠ - ٥٧٨	٢٢٠	وفي جوفها السم القاتل إن المعصية لا بد أن تكون من العبد ، أو من ربه أو منها جميعاً
٥٨٢ - ٥٨١	٢٢١	أهرب من سائرهم كهربك من السباع الضارية
٥٨٣ - ٥٨٢	٢٢٢	أول ما يبر الرجل ولده أن يسمة باسم حسن
٥٨٤ - ٥٨٣	٢٢٣	أول من ألد و تزدق في الساء إبليس
٥٨٦ - ٥٨٥	٢٢٤	أول من كفر إبليس
٥٨٧ - ٥٨٦	٢٢٥	أسرك أن تراها على ما تراك عليه
٥٨٩ - ٥٨٨	٢٢٦	أيم الله لو كشف الغطاء لشغل محسن بإحسانه ، ومسيء بإساءته
٥٩٠ - ٥٨٩	٢٢٧	إيه يا أبأ خالد
٥٩٢ - ٥٩١	٢٢٨	إبأك أن تمنع في طاعة الله فتفق مثليه في معصية الله
٥٩٣ - ٥٩٢	٢٢٩	إبأك أن يراك الله في معصية نهاك عنها
٥٩٥ - ٥٩٤	٢٣٠	إبأك أن يفقدك الله عند طاعة أمرك بها
٥٩٦ - ٥٩٥	٢٣١	إبأك والضجر والكلسل فإنها يمنعانك حظك ...
٥٩٨ - ٥٩٧	٢٣٢	إبأك والطمع
٥٩٩ - ٥٩٨	٢٣٣	إبأك والكبر
٦٠١ - ٦٠٠	٢٣٤	إبأك والمزاح ؛ فإنه يذهب بنور إيمانك
٦٠٤ - ٦٠١	٢٣٥	أي فءس أو فءاء أعظم من قول من يصف خالق الأشياء
٦٠٧ - ٦٠٤	٢٣٦	

الصفحة	الرقم	الكلمة
حرف الباء		
٦١٦ - ٦١١	٢٣٧	البئر المعطلة : الإمام الصامت ...
٦١٩ - ٦١٦	٢٣٨	بش العبد عبدي يكون ذا وجهين ...
٦٢٠ - ٦١٩	٢٣٩	بش ماصنع وما كان يدريه ما وقع ...
٦٢٣ - ٦٢٠	٢٤٠	البادي منها أظلم
٦٢٥ - ٦٢٣	٢٤١	بارك الله لك فيك وفي مالك
٦٢٧ - ٦٢٦	٢٤٢	بتلاً بتاً لا مشوبة فيها ولا ردّ أبداً
٦٢٩ - ٦٢٧	٢٤٣	البيخيل من يخل بما افترض الله عليه
٦٣٠ - ٦٢٩	٢٤٤	البذاء من الجفاء والجفاء في النار
٦٣٢ - ٦٣١	٢٤٥	بسم الله ، آمنت بالله ، توكلت على الله
٦٣٣ - ٦٣٢	٢٤٦	بسم الله على أوله وآخره
٦٣٥ - ٦٣٤	٢٤٧	بعلو الله الذي كان يعلو به علي ...
٦٣٦ - ٦٣٥	٢٤٨	البناء يجزّ قليله إلى كثيره
٦٣٨ - ٦٣٧	٢٤٩	البيت بيت الله ، والحرم حرم الله

حرف التاء

٦٤٢ - ٦٤١	٢٥٠	تاهوا في بحر عميق لا يدرون غوره
٦٤٤ - ٦٤٢	٢٥١	التبئل أن تقلّب كفيك في الدعاء ..
٦٤٥ - ٦٤٤	٢٥٢	تبقى وحدك وحدك كما كنت وحدك
٦٤٧ - ٦٤٦	٢٥٣	تجعل فيها بينك وبينها البحر الأخضر
٦٤٩ - ٦٤٨	٢٥٤	التحدّث بنعم الله شكر
٦٥١ - ٦٤٩	٢٥٥	التختم بالزمرّد يسرّ لا عسر فيه

الصفحة	الرقم	الكلمة
٦٥٢ - ٦٥١	٢٥٦	التدبير نصف العيش
٦٥٥ - ٦٥٢	٢٥٧	تراه مثل نهر سورا
٦٥٦ - ٦٥٥	٢٥٨	ترك الدنيا من الفضل ، وترك الذنوب من القرض
٦٥٨ - ٦٥٧	٢٥٩	ترك النفس وما تهوى أذاها
٦٦٠ - ٦٥٩	٢٦٠	تطأطأت عن سمو الخيل ، وتجاوزت قمو العير
٦٦٢ - ٦٦٠	٢٦١	تعجب الجاهل من العاقل أكثر من تعجب العاقل من الجاهل
٦٦٣ - ٦٦٢	٢٦٢	تعلم العلم ما جهلت
٦٦٥ - ٦٦٤	٢٦٣	تقدست باقدوس عن الظنون والحدوس
٦٦٧ - ٦٦٦	٢٦٤	تمسكت بالخيال المتين وتدرعت بهيبة أمير المؤمنين
٦٦٩ - ٦٦٨	٢٦٥	تمشطوا بالعاج ، فإن العاج يذهب بالوباء
٦٧١ - ٦٦٩	٢٦٦	تنزل المعونة على قدر المؤونة
٦٧٢ - ٦٧١	٢٦٧	التودد إلى الناس نصف العقل

حرف الثاء

٦٧٦ - ٦٧٥	٢٦٨	ثلاثة لا تضر : العنب الرازقي ، وقصب السكر ...
٦٧٨ - ٦٧٧	٢٦٩	ثلاثة يستظلون بظل عرش الله ...

حرف الجيم

٦٨٢ - ٦٨١	٢٧٠	جاء سلطان ذي السلطان العظيم
٦٨٤ - ٦٨٢	٢٧١	جاهد نفسك لتردها عن هواها
٦٨٥ - ٦٨٤	٢٧٢	جعلت على نفسي أن لا يظنني وإياه سقف بيت
٦٩٠ - ٦٨٦	٢٧٣	جميع أمور الأديان أربعة

الصفحة	الرقم	الكلمة
٦٩٢-٦٩١	٢٧٤	جهاد المرأة حُسن التبعّل
٦٩٣-٦٩٢	٢٧٥	الجواد الذي يؤدّي ما افترض الله عليه

حرف الحاء

٦٩٨-٦٩٧	٢٧٦	الحارحمي
٧٠٠-٦٩٩	٢٧٧	حجبتك لأنك حجبت أخاك إبراهيم الجَمال
٧٠٣-٧٠٠	٢٧٨	حصّنا باب الحلم : فإنّ بابَه الصبر
٧٠٥-٧٠٤	٢٧٩	حصّنا أموالكم بالزكاة
٧٠٦-٧٠٥	٢٨٠	حق على الله أن لا يعصى في دار إلاّ أضحاها ...
٧٠٨-٧٠٧	٢٨١	الحمد لله منتهى رضاه
٧٠٩-٧٠٨	٢٨٢	الحياء من الإيمان

حرف الخاء

٧١٥-٧١٣	٢٨٣	خافوا الله في السرّ حتى تعطوا من أنفسكم النصف
٧١٦-٧١٥	٢٨٤	خذ موعظتك من الدهر وأهله
٧١٩-٧١٧	٢٨٥	الخلّ بمنزلة الرجل الصالح ...
٧٢٣-٧٢٠	٢٨٦	خيانتك وتضييعك عليّ مالي سواء
٧٢٤-٧٢٣	٢٨٧	خير الأمور أوساطها

حرف الدال

٧٢٨-٧٢٧	٢٨٨	الدعاء يردّ ماقدّر ، وما لم يقدر
٧٢٩-٧٢٨	٢٨٩	دفن ناسٌ كثيرٌ أحياءً أما ماتوا إلاّ في قبورهم

الصفحة	الرقم	الكلمة
٧٣١ - ٧٣٠	٢٩٠	الدهر طوبلة قصيرة
٧٣٣ - ٧٣٢	٢٩١	الدبك أحسن صوتاً من الطاووس

حرف الذال

٧٣٨ - ٧٣٧	٢٩٢	ذكر أولي الأبواب بأحسن الذكر ...
-----------	-----	----------------------------------

حرف الراء

٧٤٢ - ٧٤١	٢٩٣	الرؤيا على ما تعبر
٧٤٤ - ٧٤٢	٢٩٤	ربنا غفور ستور أبي أن يكشف أسرار عباده
٧٤٦ - ٧٤٤	٢٩٥	رحم الله امرءاً هم بخير فعله ...
٧٤٨ - ٧٤٦	٢٩٦	رحم الله من استحيا من الله حق الحياء
٧٤٩ - ٧٤٨	٢٩٧	رُشيد الهجري يعلم علم المنايا والبلايا والإمام أولى يعلم ذلك
٧٥٣ - ٧٤٩	٢٩٨	الرفق نصف العيش
٧٥٥ - ٧٥٤	٢٩٩	الرفق يمن والخرق شؤم
٧٥٦ - ٧٥٥	٣٠٠	ريح الكنيف وريح الطيب سواء ؟